

مصر القديمة

تأليف

سليم حسن

الجزء الثالث عشر

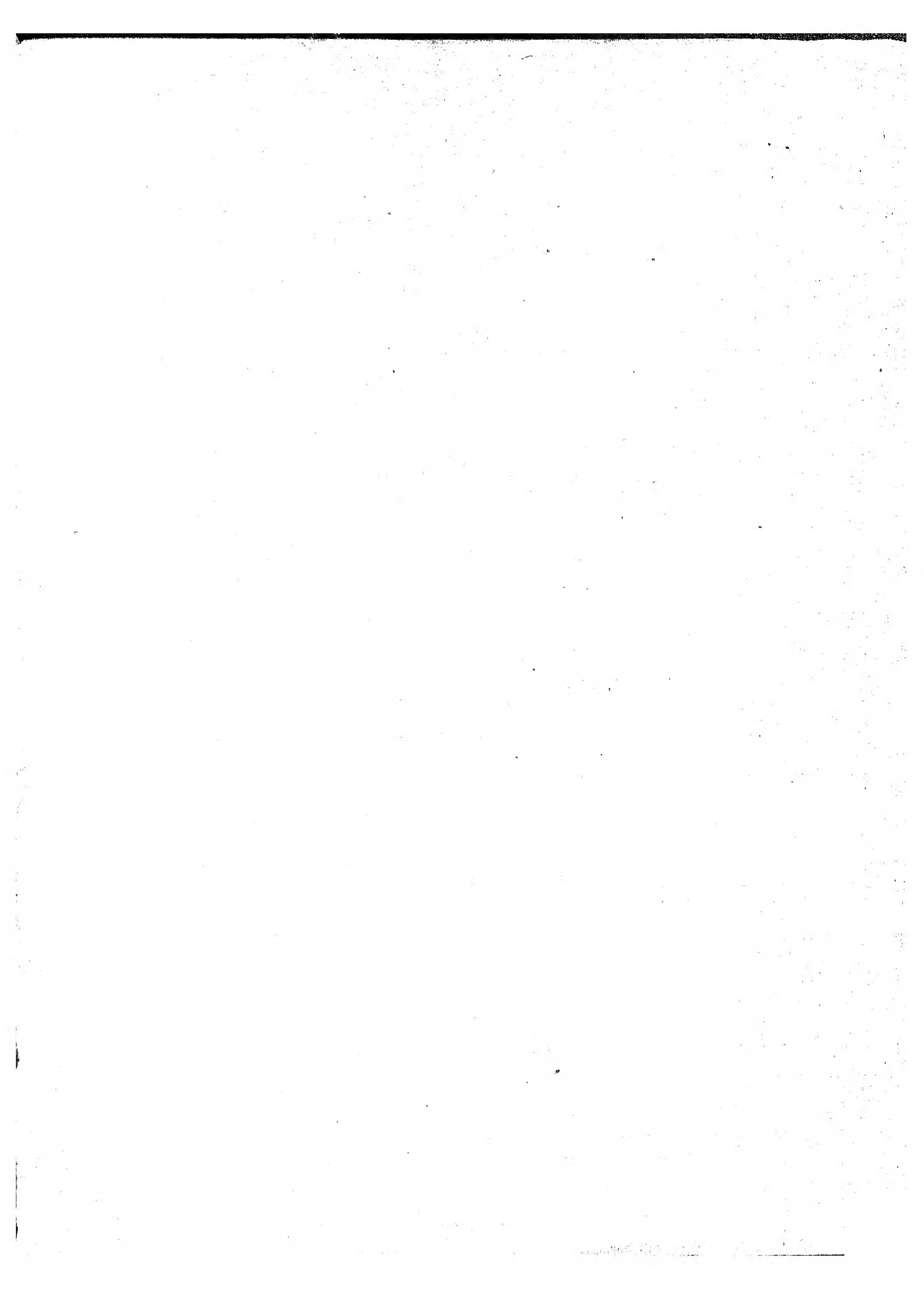
من العهد الفارسي إلى دخول الإسكندر الأكبر مصر

ويليه لمحات في تاريخ السودان وفارس وقصة قناة السويس قديماً

الثمن : ٢٧٥ قرشا

مطابع دار الكتاب العربي بمصر

مؤسسة مصرية للطباعة الحديثة





مصر القديمة

تأليف

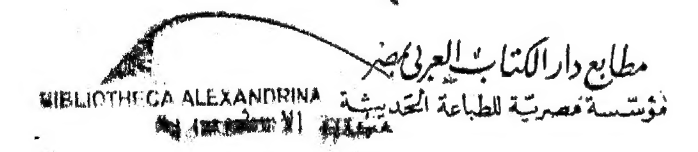
سليم حسن

الجزء الثالث عشر

من العهد الفارسي إلى دخول الإسكندر الأكبر مصر

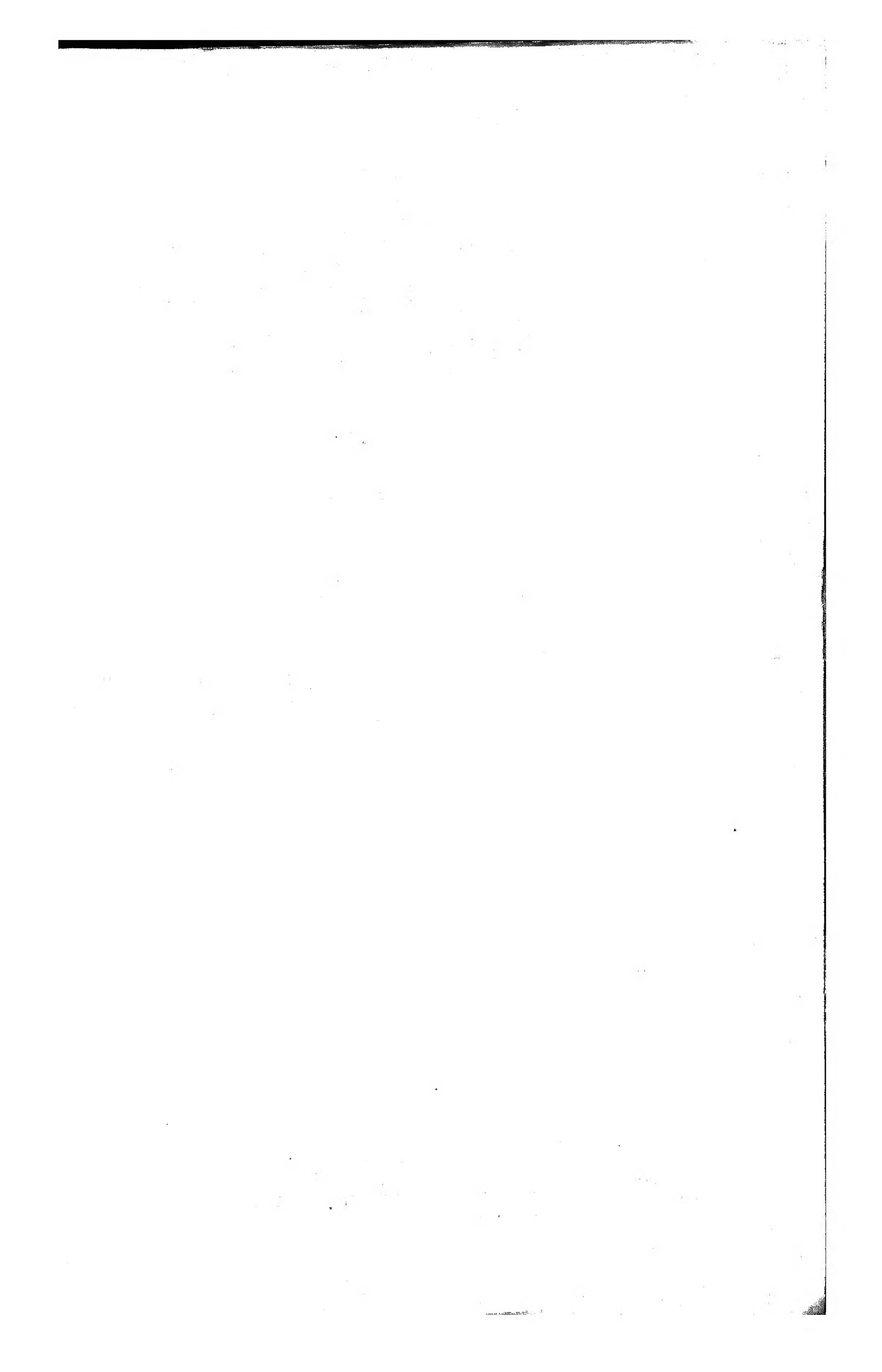
وبه لمحات في تاريخ السودان وفارس وقصة قناة السويس قديماً

الثمن : ٢٧٥ قرشا



مطابع دار الكتاب العربي بمصر
مؤسسة مصرية للطباعة الحديثة

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA



تمهيد

يختتم هذا الجزء من « مصر القديمة » آخر مرحلة فى تاريخ أرض الكنانة فى عهودها القديمة ويبتدىء بغزو الفرس لمصر والاستيلاء عليها عنوة عام ٥٢٥ ق.م. ولا ريب فى أن هذا الفتح الفارسى كان يعد فى نظر الفرس أعظم انتصار لهم أمام العالم المتمدين آنذاك كما كان يعتبر أكبر كارثة وأخزى معرة حلت بالشعب المصرى فى تاريخه المجيد . حقاً ذاقت أرض الكنانة قبل انتصار الفرس عليهم مرارة الغزو والاستعمار الاجنبى فقد اجتاح الهكسوس منذ أكثر من ألف ومايتى عام قبل الغزو الفارسى بلاد مصر ، غير أن سيطرتهم عليها لم تشمل كل التربة المصرية الا فترة قصيرة نسبيا انكمشوا بعدها فى الوجه البحرى ثم ما لبثوا أن اجلاهم المصريون عن البلاد جملة على يد احمس الأول مؤسس الاسرة الثامنة عشرة وبانى أول لبنة فى صرح الامبراطورية المصرية التى امتدت بعده على أيدى خلفائه من أعالى دجلة والفرات حتى الشلال الرابع . واقتصادا فى القول سيطرت مصر منذ نهاية باكورة القرن السادس عشر قبل الميلاد حتى بداية القرن الحادى عشر قبل الميلاد بوجه عام على كل العالم المتمدين ونشرت علومها وحضارتها فى معظم الأقطار التى كانت تدين لسلطانها أو تتصل بها . ولكن عوامل الوهن والضعف والدعة أخذت تدب فى أوصال الشعب المصرى عندما جنح أبناؤه الى حياة الترف والرفاهية وذلك فى فترة بدأت تظهر فيها أمم فتية لم تدنسها عوامل الترف ، ومن ثم أخذت تظهر بوادر الاضطرابات والفتن السياسية والدينية فى أرجاء الامبراطورية مما ادى الى انحلالها وتفكك اوصالها ، فلم يسع الفراعنة امام تلك الحالة المنذرة بكل

خطر الا استعمال الجنود المرتزقة لقمع الفتن وحماية البيت المالك نفسه . وقد كان من جراء هذا التصرف ان وطد هؤلاء الجنود المرتزقة اقدامهم فى طول البلاد وعرضها وانتهى بهم الأمر الى انتزاع السلطة من يد الفرعون وتولية واحد منهم عرش الملك . كان هذا أول تدخل اجنبى غير مباشر فى حكم البلاد فقد كان «سيشنق» مؤسس الأسرة الثانية والعشرين لوبيا مرتزقا وعلى الرغم من أن أسرته قد انقذت أرض الكنانة لفترة من الزمن من الفوضى الا انه منذ نهاية حكم أسرته اخذت بذور الفرقة تنبت وتينع فى وادى النيل الذى كان ينحدر سكانه نحو الهاوية لما اصابه من شيخوخة طاحنة وانحلال تمثل بصورة مزعجة فى رجال الدين الذين كان جل همهم جمع المال والسلطان فى أيديهم بما كان لهم من نفوذ جارف على نفوس الشعب الساذج . ولن نكون مبالغين اذا قررنا هنا ان تغلغل السلالات الأجنبية فى ارجاء البلاد واستيلاء أسرهم على زمام الحكم منذ الأسرة الثانية والعشرين كان السبب الرئيسى فى ضياع الامبراطورية وخرابها . والواقع ان المصائب قد توالت على مصر منذ نهاية حكم هذه الأسرة اذ انقض عليها الكوشيون من الجنوب واخضعوها لسلطانهم على يد الملك « بيعنخى » حوالى عام ٧٥٠ ق.م. الذى وجد البلاد فى فوضى يحكمها اكثر من ثمانية عشر ملكا فى آن واحد فى بقاع متفرقة منها . وفى تلك الفترة الحرجة من تاريخ أرض الكنانة كانت دولة آشور الفتية تمد فتوحها على كل العالم المتمدين فوصلت فى فتوحها حتى أبواب مصر التى كان يحتلها الكوشيون فانقض على أرض الدلتا الملك « اسرهدون » واستولى عليها وطرد الكوشيين منها ثم تلاه آشور بنيبال واستولى على كل البلاد جملة وطارد « تنوتأمون » الكوشى حتى انزوى فى عاصمته « نباتا » وبذلك انتهى الحكم الكوشى لمصر وبدأ الحكم الأشورى

الحقيقى فيها حوالى عام ٦٦٧ ق.م غير ان سيطرة الاشوريين لم تدم طويلا. وآية ذلك ان آسرة من أسر حكام المقاطعات فى الدلتا أخذت فى مقاومة الآشوريين وانتهى الأمر بان اجلى بسمتيك مؤسس الأسرة السادسة والعشرين كل الحاميات الآشورية التى كانت ترابط فى أرض الدلتا وبذلك تخلصت مصر من احتلال آخر اجنبى لم يدم طويلا . ولقد سار بسمتيك الاول مؤسس هذه الأسرة بالبلاد نحو الفلاح . والواقع أنه يعد من دعاة نهضتها وبعثها من جديد اذ نجده قد استمر فى احياء مجد البلاد القديم وذلك بالرجوع الى ما كان لمصر من علوم وفنون وثقافة وفلسفة حتى جعلها قبلة العلم والمعرفة . يضاف الى ذلك انه اخذ يتصل بالبلاد الأجنبية المجاورة لمصر ويفتح ابوابها لكل طالب وبخاصة انه كان فى حاجة الى تكوين جيش قوى فى هذه الفترة يدافع به عن مصر فى وجه الممالك الفتية الناشئة التى ظهرت فى العالم وقتئذ . ولقد كان له ما أراد اذ تدفق على مصر الجنود المرتزقة من بلاد الاغريق « وكاريا » بآسيا الصغرى ؛ وقد عرف هؤلاء الجنود المرتزقة بشجاعتهم ومهارتهم فى فنون الحرب وحسن التسلح ، هذا الى ان الشعب الاغريقى منذ أقدم عهوده كان مرتبطا بمصر ويعتقد أن أرض الكنانة هى أم الحضارات والعلوم، فلما اتاح لهم «بسمتيك» سبيل الدخول الى مصر فى عصر نهضتها هذه وفد اليها جمع غفير من طلاب العلم والمعرفة واخذوا ينهلون من حياضها وينقلون الى بلادهم كل ما تعلموه ، ومن ثم كانت المعرفة المصرية النواة الاساسية الصالحة التى نشأ منها العلم الاغريقى والمعرفة الاغريقية فى كل مظاهرهما . وهذه العلوم والمعارف هى التى نشرها الاغريق بدورهم فى كل انحاء العالم المتمدين وبنى على أساسها العلم الحديث. والواقع أنه منذ منتصف

القرن السابع حتى نهاية القرن الخامس قبل الميلاد كانت مصر الينبوع الذى استقى منه الشعب اليونانى كل علومه وفنونه . وهكذا سارت أسرة بسمتيك فى طريقها نحو اعلاء كلمة مصر واحياء علومها القديمة ، غير أنه فى نهاية عهد «احمس الثانى» ظهرت دولة الفرس الفتية فى الأفق وأخذت تمد سلطانها على كل أقطار العالم المتمدين ؛ وكانت مصر وقتئذ خارجة من حروب داخلية طاحنة انهكت قواها واضعفت قوتها الحربية فكانت الفرصة سانحة امام الفرس الذين كانوا قد بيتوا العزم على فتحها والاستيلاء عليها منذ عهد ملكهم «كورش»، غير أن المنية اختطفته قبل أن ينفذ عزمه، فلما تولى «قمبيز» عرش ملك فارس من بعده قام بحملة جبارة على مصر واستولى عليها عنوة بعد حرب مريرة عام ٥٢٥ ق.م. وبهذا الفتح الفارسى فقدت مصر استقلالها وأصبحت جزءا من املاك الامبراطورية الفارسية التى كانت تشمل كل العالم المتمدين . وقد تضاربت الأقوال فى كيفية حكم «قمبيز» لمصر ومعاملته شعبها وآلهتها. وتدل الوثائق التاريخية الأصلية التى فى متناولنا على أنه على الرغم مما ذكره «هردوت» من فظاعة معاملة «قمبيز» لجثة «أحمس الثانى» وانتهاك حرمة العجل أبيس بجرحه وسوء معاملته الكهنة واحتقاره لهم ، فانه احترم آلهة مصر وقدم القربان لهم . وعلى أية حال فان الشعب المصرى الأبى على الرغم من ان «قمبيز» لقب نفسه فرعونا وتدين بدين المصريين وسمى نفسه ابن الاله، قام بثورة فى عهد ابنه دارا الأول، بصرف النظر عن حسن معاملة الأخير لهم، وذلك أن المصريين الذين لم يرضوا يوما ما بالحكم الأجنبى انتهزوا فرصة هزيمة الفرس على يد الاغريق فى موقعة « ماراتون » على ما يقال ، واشعلوا نار فتنة فى كل البلاد ولم تخمد نارها الا فى عهد «اكزركزس الأول» الذى اعاد السكينة

ثانية فى البلادوشددالخناق علىالمصريين بقوة وعنف وصرامة لم تعهدمن قبل .

لم يهدأ للمصريين بال مع ذلك اذ قاموا كرة اخرى بثورة جبارة وذلك عندما رأوا ملك الفرس « ارتكزكزس » منهمكا فى حروبه مع بلاد اليونان التى دوخت بلاد الفرس بانتصاراتها عليها ، وكان المحرك لهذه الفتنة مصرى يدعى «ايناروس» غير أنه لم يفلح فى طرد الفرس ، ولكن النضال ظل مستمرا بين المصريين وبين الفرس سرا وعلانية على حسب الاحوال حتى منتصف حكم دارا الثانى حوالى عام ٤١٠ ق.م. حينما هبت ثورة عنيفة أخرى أشد من سابقتها فى مصر قادها بطل يدعى « امير تاوس » انتهت بنصر المصريين على الفرس وطردهم من بلادهم جملة عام ٤٠٤ ق.م. واصبحت البلاد تتنسم أنفاس الحرية من جديد .

أسس «أمير تاوس» الذىطرد الفرس من مصر الأسرةالثامنةوالعشرين وبه بدأت هذه الأسرة وبه انتهت. وتدل كل المصادر التىفى متناولنا علىأن ملوك الأسرتين التاسعة والعشرين والثلاثين قادوا ارض الكنانة الى طريق الفلاح فقد انتعشت اقتصاديات البلاد بصورة ملحوظة ودبت فيها روح الحياة ، ويرجع السبب فى ذلك الى انصراف الفرس عن مصر بحروبها مع بلادالاغريق، هذا فضلا عن أندويلات الاغريققد أخذت تتحالف معمصر وبخاصةاثينا وتمد اليها يد المساعدة عند أيةمحاولة تبدو منالفرسلغزو وادى النيل. ومنثمقامت علاقات وطيدة نسبيا بين مصر وبلاد اليونان اساسها مناهضة الفرس . ومن أجل ذلك كانتتسمح بلاد الاغريق عنطيبخاطر لابنائها الشجعان بالانخراطفى سلك الجيش المصرى بوصفهم جنودا مرتزقين مدربين على أحدثفنونالحرب وقد كان الدافع لهؤلاء الجنود المرتزقة للانخراط فى الجيش المصرى ما كانوا

يكسبونه من أجور عالية بالنقد الذهبى الذى كان يسكه الفراعنة خصيصا لهذا الغرض . وقد كانت مصر من جانبها تمد البلاد الاغريقية بالمال والذخيرة اثناء نشوب حرب بينها وبين فارس بقدر ما تسمح به الاحوال . والظاهر ان فراعنة مصر فى خلال الاسرتين التاسعة والعشرين والثلاثين كانوا يتبعون سياسة الدفاع لا الهجوم حيال الفرس . وقد حاول الفرس غزو مصر فى عهد «نقطانب الأول» مؤسس الأسرة الثلاثين ولكنهم باءوا بالفشل بفضل مساعدة الجنود المرتزقة وفيضان نهر النيل فى وجه الغزاة . وقد ظل هذا الفرعون واقفا موقفا دفاعيا جريا على سياسة اسلافه الذين كانوا لا يرمون الى القيام بأى توسيع خارج مصر ، غير ان خلفه «تاخوس» أخذته العزة القومية وذكر ماكان لمصر من سلطان وجاه فى العالم القديم فصمم على اعادة املاك الامبراطورية المصرية الى سلطانه كما كانت فى عهد تحتمس الثالث فى آسيا . ومن ثم اخذ يعد العدة لذلك وبهذا خرج على خطة الدفاع التى سار عليها فراعنة مصر فى تلك الفترة ، وقد كان يعاضده فى فكرته هذه القائد الاغريقى «خبرياس» الذى كان يقود جيشه البرى فى ساحة القتال . والواقع ان « تاخوس » اتخذه مستشاره المالى ، ولكن « خبرياس » الذى لم يكن يعرف العادات والطباع المصرية اخطأ الهدف فى معاملة المصريين وبخاصة الكهنة الذين كانوا فى هذه الفترة بوجه خاص اصحاب قوة عظيمة ونفوذ هائل على أفراد الشعب . أشار «خبرياس» بفرض ضرائب فادحة على الشعب المصرى ليعد بها العدة لتجهيز الحملة على بلاد آسيا لفتحها وضمها لمصر وكانت وقتئذ ضمن املاك الفرس ، غير أن «خبرياس» لم يكتف بفرض الضرائب على أفراد الشعب بل تخطى ذلك الى الكهنة فجردهم من كل املاكهم ، ومن ثم اصبحوا هم والشعب حربا على

«تاخوس»، وقد جهز « تاخوس» الحملة وساربها على آسيا وأخذت انتصاراته تترى ، غير انه قامت مؤامرة عليه فى داخل البلاد المصرية وفى الجيش نفسه فى ساحة القتال وكانت نتيجتها ان فر «تاخوس» الى معسكر العدو وعاد الجيش الى مصر وتولى «نقطانب» الثانى المغتصب للعرش زمام الأمور فى مصر واكتفى بسياسة الدفاع والمهادنة طوال مدة حكمه .

وقد كان اول شيء عمله نقطانب الثانى هو ارضاء الكهنة وضمهم الى جانبه وهى السياسة التى كان يتبعها أسلافه الا الفرعون « تاخوس » . والمطلع على تاريخ هذه الفترة يلحظ أن كل ملوك الأسرتين التاسعة والعشرين والثلاثين كانوا يعملون كل ما فى وسعهم لارضاء طبقة الكهنة فكانوا يقيمون المبانى الدينية بصورة تلفت النظر ، ولا أدل على ذلك من المبانى العظيمة العدة التى أقامها الفراعنة آنئذ فى طول البلاد وعرضها وبخاصة ماتركه لنا كل من نقطانب الأول ونقطانب الثانى من معابد ومحاريب تكاد تضارع فى كثرتها وعظمتها ماتركه فراعنة الأسرة الثامنة عشر العظام .

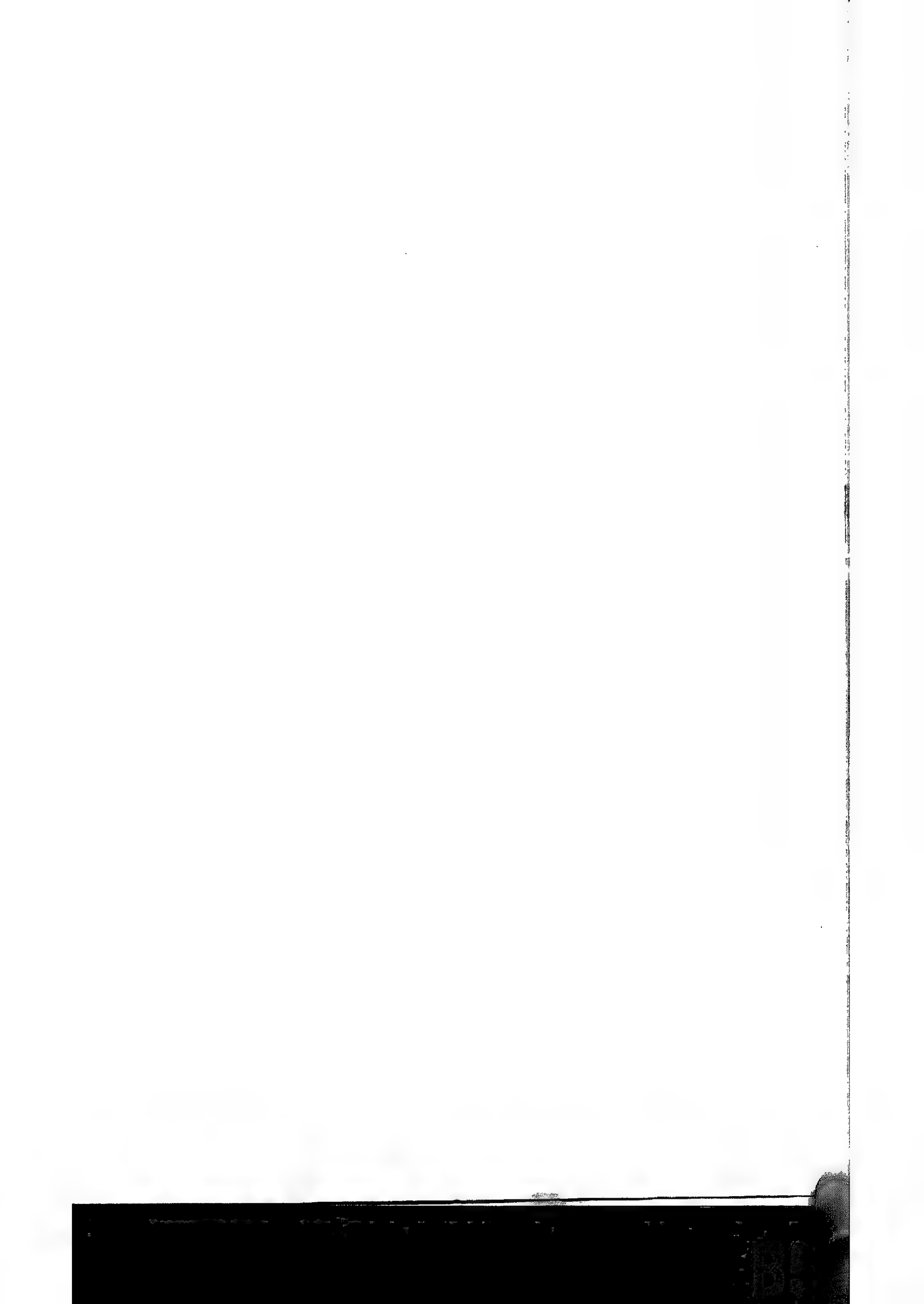
وقد أخذ نقطانب يعد كل أسباب الدفاع عن مصر فى وجه أية غارة فارسية فارضى أولا الكهنة باقامة المبانى العظيمة للالهة واستعان بالجنود المرتزقة الاغريق وعلى رأسهم قواد اغريق مغدقا عليهم المال الوفير من الذهب والفضة ؛ غير ان السياسة العالمية لم تكن وقتئذ مواتية له ، وذلك ان الفرس ، كانوا قد صفوا حسابهم على وجه التقريب مع بلاد الاغريق واخذوا بعد ذلك يوجهون انظارهم الى فتح مصر ثانية ، والواقع ان الفرس كانوا يعدونها دائما جزءا من امبراطوريتهم فجهزوا حملة جبارة لغزو مصر ، وبعد نضال طويل استولوا عليها ، وعندئذ اضطر نقطانب الثانى الى الفرار الى بلاد النوبة ومعه كنوزه

حوالى عام ٣٤١ ق.م. وقد حاول وطنى مصرى آخر نزع النير الفارسى عن مصر وأفلح فعلا فى طرد الفرس حوالى عام ٣٣٨ ق.م. ولكن الفرس استردوا أرض الكنانة كرة أخرى حوالى عام ٣٣٦ ق.م. غير انه فى هذا الوقت بالذات كانت هناك دولة قوية ابتلعت دولة اليونان فى بلاد مقدونيا على رأسها الاسكندر الأكبر الذى سار بجيوشه فاتحا كل أقطار العالم المتمدين فاجتاح كل امبراطورية الفرس ، وعندما وصلت جيوشه فى زحفها الى ابواب مصر سلم له الشعب المصرى تخلصا من النير الفارسى عام ٣٣٢ ق.م. وهكذا انتقل ملك مصر من يد الفرس الى يد الاسكندر الأكبر ومن ثم ظلت ارض الكنانة تنتقل من يد فاتح الى فاتح آخر على مر الدهور حتى قامت بثورتها الجبارة عام ١٩٥٢ تلك الثورة التى قضت بها على آخر مستبد اجنبى ، وتولى زمام امورها مصريون يجرى فى عروقهم الدم المصرى الخالص ، وها هى مصر تبنى من جديد مجدها الغابر وتتبؤ مكانتها فى العالم الجديد وتعمل جاهدة على بلوغ المكانة التى كانت تمتاز بها بين امم العالم القديم والتاريخ يعيد نفسه .

هذا وقد اتبعنا تاريخ هذا العهد بلمحة فى تاريخ بلاد السودان فى تلك الفترة كما اوردنا نبذة فى تاريخ بلاد الفرس لارتباطها بمصر فى تلك الفترة وأخيرا وضعنا فى نهاية الكتاب ملحقا عن قناة السويس أو بعبارة اخرى القناة التى كانت تربط بين البحر الاحمر والبحر الأبيض المتوسط منذ اقدم العهود حتى حفر القناة الحالية ، وذلك ليعلم كل مصرى أن هذا المشروع الضخم يضرب باعراقه فى الأزمان السحيقة فى القدم وليس بدعة ابتدعها اهل الغرب الحديث .

وانى اتقدم هنا بعظيم شكرى لصديقى الأستاذ محمد النجار المفتش بوزارة التربية والتعليم والاستاذ محمد نصر المدرس بالمدارس الاعدادية لما قاما به من مراجعة أصول الكتاب كما أتقدم بالشكر للاستاذ محمد عزت بجامعة عين شمس لقراءة بعض تجارب هذا المؤلف .

وأخيرا لايسعنى الأن اشكر السيد محمد زكى خليل مدير مطبعة جامعة القاهرة على مابذله من مجهود عظيم وعناية ملحوظة فى تنسيق طبع هذا المؤلف . وختاما شكرى للسيد حسن حسنى المنياوى مدير مطبعة « دار الكتاب العربى » لما ابداه من اهتمام بالغ فى انجاز الطبع بسرعة فائقة وجهد ملحوظ والله اسأل ان يوفقنا جميعا لما فيه خير مصر ...



مقدّمة

الفتح الفارسى لمصر

رأينا عند الكلام على الفتـح الآشـورى للبلاد المصرية أنه لم يجسر ملك من ملوك « آشور » على اعلان نفسه ملكا شرعيا على عرش الـكنانة بالمعنى الحقيقى ، أى لم يعلن واحـد منهم نفسـه فرعونا على « مصر » ، وحتى عندما استولى «آشوربنيبال» على كل البلادالمصرية ، ريفها وصعيدها لم يترك لنا أثرا يدل على أنه كان يحمل لقب الوجه القبلى والوجه البحرى ؛ وهو اللقب الذى كان يحمله كل ملك تسلط على « مصر » . وتدل شواهد الأحوال على أن الآشوريين لم يتركوا لنا آثارا توحى بأنهم كانوا يبحثون وراء الاحتفاظ بمصر بصفة جـدية أو يرغبون فى التتوج بالتـاج المصرى ، ويحملون الألقاب الفرعونية كما فعل الفرس من بعدهم ، فقـد أعلن ملوك الفرس أنفسهم فراعنـة لمصر ، وأسسوا أسرة أطلق عليهـا الأسرة السابعة والعشرون ، وقد جاءت هذه الأسرة بعد القضـاء على آخر ملك من ملوك الأسرة السادسة والعشرين .

وقد كان « قمبيز » أول عاهل فارسى اسـتولى على الديار المصرية عام ٥٢٥ ق.م ، غير أن فكرة فتح « مصر » كانت فى الواقع موضع تفكير قبل ذلك فى نظر ملك الفرس « كورش » (سيروس Cyrus) ، وكان قد أعد العدة بصبر وأناة لفتح أرض الكنانة غير أن الأجل لم يمتد به لتنفيذ ما أراد . فلما تولى « قمبيز » ملك « فارس » من بعده عمل جهده لاعداد العـدة لذلك ؛

وقد بدأ يستعد بتجريد « أحمس » (أمسيس) الثانى من حلفائه . فتحالف هو مع كل من « بوليكارت » ملك جزيرة « ساموس » وملك « فنيقيا » ، فكان ذلك من الأسباب التى سهلت له تقوية الحملة البرية على « مصر » بوساطة أسطوله البحرى وأساطيل حليفيه . يضاف الى ذلك أن « قمبيز » قد حصل على مساعدة بدو خليج السويس . هذا وقد ضمن «قمبيز»لنفسه وجود قاعدة قوية ينقض منها على الحدود المصرية بالتصريح لليهود ببناء معبد أورشليم ، وفضلا عن ذلك نجد أن الفرس قد اكتسبوا الى جانبهم عواطف الجنود المرتزقة اليهود الذين كانوا فى خدمة الفرعون . وقد ساعدت الأحوال الفرس بهروب « فانس » أحد أبناء « هاليكارناس » وكان رئيسا من رؤساء الجنود المرتزقة الذين كانوا فى خدمة « أحمس » الثانى ، وانضم الى معسكر « قمبيز » وأطلعه على أسرار كل الترتيبات التى وضعها المصريون لمقاومة الفرس . (راجع الجزء ١٢ ص ٣٧٢ ... ألخ) . وبعد أن انتهى « قمبيز » من استعداداته جمع جموعه فى « فلسطين » وأرسى أسطوله فى ميناء « عكة » . وقد كان موت « أحمس » الثانى فى هذه اللحظة الحاسمة وتولى ابنه «بسمتيك» الثالث خلفا له على العرش سببا قويا فى هزيمة المصريين وفقدان « مصر » استقلالها لمدة من الزمن .

وقد بدأ « قمبيز » هجومه على « مصر » فى ربيع عام ٥٢٥ق.م. فزحف الجيش الفارسى من «غزة» وتقابل مع الجيش المصرى وهزمه فى مدينة «بلوز» (الفرما) وقد قاومت هذه المدينة ومن بعدها مدينة « عين شمس » الجيش الفارسى بعض المقاومة . وعلى أعقاب ذلك سقطت مدينة « منف » العظيمة وكان قد احتمى فيها « بسمتيك » الثالث . وفى أثناء تنظيم البلاد المصرية بعد الفتح الفارسى كان « قمبيز » يعد العدة للقيام بحملات نحو الجنوب ونحو الغرب ، وأسفرت حملاته عن خضوع كل من « لوبيا » و « برقة » لسلطانه .

وتحدثنا الأخبار أن الفنيقيين قد امتنعوا عن معاضدة الهجوم الذى قام به « قمبيز » على « قرطاجنة » مما أدى الى فشل حملته على تلك الجهة . وبعد ذلك حول « قمبيز » جهوده لاخضاع الواحات ، وبلاد « كوش » التى كان يعد فتحها من الأمور الضرورية لاتمام فتح « مصر » ، فسار من « طيبة » جيشان اتجه الجيش الرئيسى منهما وهو الذى كان على رأســه « قمبيز » نفسه نحو الجنوب فأخضع الكوشيين وسلمت له الواحة الخارجة دون قتال .

وعندما عاد « قمبيز » من حملته هذه أصابته لوثة ، ومن ثم بدأ يرتكب فظائع فى « مصر » ، فقد اضطهد رجال حاشيته من الفرس كما اضطهد الكهنة المصريين واحتقر ديانة البلاد وعقائدها ، على حسب ماذكره لنا «هرودوت» غير أن المتون المصرية التى وصلت الينا حتى الآن لم يأت فيها مايؤيد ارتكاب هذه الجرائم التى نسب ارتكابها لهذا العاهل . وعندما غادر « قمبيز » الديار المصرية عائدا الى مقر ملكه فى « فارس » وضع مقاليد الأمور فى « مصر » التى أصبحت اقليما من أمبراطوريته فى يد الشطربة « أرياندس Aryandes » وقد مات « قمبيز » فى « ســوريا » عام ٥٢٢ ق.م. وهو فى طريقــه الى «فارس» . وكانت «سوريا» وقتئذ فى ثورة أشعل نارها المرزبان «جوماتا» الذى قيل عنه انه أخو « قمبيز » . وقد قام « دارا » بمحاربة « جوماتا » فقتله وأطفأ نار الثورة فى « سوريا » بسرعة (٥٢١ — ٥٢٠ ق.م.) بعد أن انتشرت فى المــديريات التى انفصــلت عن الامبراطــورية وقتئــذ ، وبقيت « مصر » خاضعة لغزاة الفرس ، على أن الصعوبات التى لاقاها ملك الفرس فى « مصر » لم تأت من المواطنين المصريين بل جاءت من الحاكم الفارسى نفسه ، وذلك أن « أرياندس » قد مد نفوذه الى ما وراء الحدود المصرية حتى أصبحت « برقة » خاضعة له ، ثم لم يلبث بعد ذلك أن أظهر ميوله وأطماعه نحو الاستقلال بالأصــقاع التى كانت تحت سلطانه مما أقلق بال العــاهل

الفارسى . وتحدثنا الوثائق الفارسية أن « مصر » كانت ضمن الأقليم الثائر على ملك الفرس ، وتقول صراحة ان « دارا » فتح هذه البلاد وأخضع الثورات وقتل « أريانديس » .

أعيد بعد ذلك النظام(١) فى البلاد على نمط الأسس الادارية والمالية التى وضعها « دارا » الأول ، وبذلك أصبحت « مصر » بالاضافة الى الأقاليم الافريقية الأخرى تعد الشطربية السادسة من بين شطربيات الامبراطورية الفارسية . وكانت الجزية التى تدفعها « مصر » سنويا للخزانة الفارسية تقدر بمبلغ سبعماية تلنت (٢) من الفضة ، هذا فضلا عن دخل مصايد السمك فى بحيرة « موريس » . وكانت « مصر » زيادة على هذه الضرائب تقوم بمد الجنود الفارسية الذين كانوا معسكرين فيها بكل مايلزمهم . وكان كل من الجيش والأسطول المصرى يسهم فى المشروعات الخاصة بملك الفرس العظيم . وقد أرسل «دارا» مهندس عمارة وعمالا للعمل فى «سوسا» عاصمة ملكه ، وكذلك حسن طرق المواصلات الداخلية فى الامبراطورية، وفتح طرقا برية وبحرية جديدة حتى أصبحت العلاقات المباشرة بين « فارس » وأملاكه فى افريقية ثابتة قوية ، ولا ادل على ذلك من ان هذا العاهل هو الذى حفر « قناة السويس » فربطت بين « مصر » وامبراطورية « فارس » كلها كما سنرى بعد .

وقد ظهر تأثير هذه الاصلاحات بالاضافة الى وضع معيار رسمى للنقد بأن ازدادت العلاقات الاقتصادية فى كل أنحاء العالم الشرقى ، ومن ثم أحست « مصر » بهذا الاصلاح السعيد فى جميع مرافقها الحيوية .

---

(١) أنظر ما كتب عن الاصلاحات التى قام بها دارا فى امبراطوريته فى هذا

(٢) التلنت = حوالى ٢٠٠ جنيه

وتدل الظواهر على أن « دارا » الأول كان يهتم شخصيا باقليمه العربى فقد زار « مصر » فى السنتين الاوليين من حكمه وأظهر عطفه وميله لمعبوداتها المحلية ، فقدم الهدايا للمحاريب ، وشرع فى اقامة المعابد ، وأمر بسن القوانين وشجع تأسيس معاهد التعليم . وقد بقيت «مصر» من جانبها مخلصة له حتى نهاية حكمه تقريبا ، عندما اندلع لهيب الفتنة فى عهد ولاية الشطربه « فرندات Pherendate » ، وذلك قبل موت « دارا » بقليـــل حوالى عام ٤٨٦ ق.م.
ولمـا تولى « اكزركزس » (= خشيرشا أو خشويرش) ٤٨٥ — ٤٨٤ ق.م نصب أخاه « أخامنيس » شطربة على «مصر» وهو الذى اشترك فى الأعمال الحربية التى قام بها «اكزركزس» على بلاد الاغريق اذ كان يساعده بالأسطول المصرى . والظاهر أن الفرس كانوا قد وجهوا كل قوتهم الرئيسية الى محاربة بلاد الاغريق ومن أجل ذلك تركوا « مصر » فى تلك الفترة جانبا ، ومن ثم نفهم السبب الذى من أجله أن « اكزركزس » وخلفه « ارتكزر كزس » لم يزورا « مصر » . ولما قامت ثورة فى الدلتا فى عهد « أرتكزركزس » وكل أمر اخضاعها الى قائده « مجابز Megapeze » ، وكان مشعل نار هذه الثورة قائد مصرى يدعى «ايناروس» ولكن بمعاضدة الاغريق أعداء الفرس عام ٤٥٦ ق.م

وعلى أثر موت «ارتكزركزس» عام ٤٢٤ ق.م. تولى زمام ملك «فارس» بعده الملك « دارا » الثانى ، غير أنه لم يترك لنا آثارا قيمة فى « مصر » . وتدل الأحوال على أن الروابط التى كانت بين « مصر » وبلاد « فارس » فى هذه الفترة قد أخذت فى الانحلال والتراخى شيئا فشيئا الى أن انتهى الأمر بضياع سلطان الفرس من وادى النيل حوالى عام ٤٠٤ ق.م.

الآثار التى خلفها لنا ملوك الفرس

الآثار الهامة التى تركها لنا « قمبيز » :

سنتحدث هنا أولا عن الآثار التى أرخت بعهد هـذا الفرعون ثم نورد ترجمتها ونستخلص منها الحقائق التاريخية الهامة :

١ ــ تمثال فى متحف الفاتيكان (No. 158 [113]) ــ « وزاحررسن »

يظهر أن هذا التمثال الصغير قد أتى به من مجموعة « هدريان » المصرية الموجودة فى مدينة « تريفلى » . والتمثال يمثل رجلا واقفا يرتدى جلبـابا طويلا ويقبض بين يديه على محراب يحتوى على صورة للاله « أوزير » . ويبلغ ارتفاع التمثال سبعين سنتيمترا ، وهو مصنوع من الحجر الصلب الأخضر القاتم ، وقد ضاع رأسه ورقبته وذراعه اليسرى . وتغطى النقوش التى نقشت عليه سطح المحراب وسنادته والقميص والظهر والجزء الأعلى من القـاعدة وتشتمل كلها على ثمانية وأربعين سطرا . وتنقسم عدة متون كل منها مستقل عن الآخر ، ويصعب ترتيبها على حسب تتابعها بصفة قاطعـة . والظاهر أن أحسن ترتيب هو الذى وضعه كل من «بركش» و «بيل» و «ماروكشى» وغيرهم (راجع Posener, La Première Domination Perse en Égypte P.2 ff)

وتدل النقوش التى على هذا التمثال على أن آخر بيان جاء ذكره فى متن هذا التمثال هو اصـلاح مدرسة « سايس » على حسب ما أمـر به الملك « دارا » الأول كما جاء فى أسطر المتن من ٤٣ ــ ٤٥ . ويرجع تاريخ هـذا الحادث الى السنة الثالثة من عهد هذا الملك كما سنرى بعد . وهاك النص الذى جاء على هذا التمثال على حسب الترتيب الذى ارتأيناه .

(أ) على واجهة التمثال :

١ — قربان يقدمه الملك للاله « أوزير حماج » ، آلاف من الخبز والجعة والثيران والطيور وكل شيء طيب طـاهر لروح المقرب لدى آلهة مقاطعـة « سايس » (صاالحجر) رئيس الأطباء « وزاحررسن » .

٢ — قربان يقدمه الملك للاله « أوزير » المقيم فى «حت نيت» (صاالحجر) قربان جنازى من الخبز والجعة والثيران والطيور وأوانى المرمر ونسيج وعطور وكل شيء جميل لأجل روح المقرب لدى الآلهة رئيس الأطباء « وزاحر رسن».

٣ — يا « أوزير » يارب الأبدية ان « وزاحررسن » يضع ذراعيه خلفك لحمايتك ، فليت روحـك تأمر بأن يعمل له كل الأشياء النـافعة كما عملت الحماية خلف محرابك أبديا .

(ب) ونقش على ذراع التمثال اليمنى تسعة أسطر وهى :

المقرب لدى الالهة « نيت » العظيمة أم الاله (أى الاله « رع ») ولدى آلهة « سايس » والأمير الوراثى ، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى والسمير الوحيد وقريب الملك حقا المحبوب والكاتب والمفتش على كتـاب المحكمـة والمشرف على الكتاب العظام للسجن (؟) ومدير القصر (٩) ورئيس البحرية الملكية فى عهـد ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « خنم — اب — رع » « أحمس » الثانى ورئيس البحرية الملكية فى عهد جلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (١٠) «عنخ — كا — رع» «بسمتيك» الثالث «وزاحررسن» ابن مدير القصور (= مدير قصور التاج الأحمر) وكاهن « جرى ب » (رئيس بلدة ب) . (وهذا لقب كان يستعمل فى الأعياد الثلاثينية واللقب معروف منذ الدولة القديمة .) والكاهن « رنب » (= وهو الكاهن العظيم

للمقاطعة الثالثة من مقاطعات الوجه البحرى) والـكاهن « حبت وزات » (وهـو لقب كاهن يذكـر كثـيرا فى العصر المتـأخر) (١) وكاهن الالهة « نيت » التى على رأس مقاطعة (صاالحجر) المسمى « بفتوعونيت » يقول: أتى الى « مصر » الملك العظيم لكل البلاد الأجنبية « قمبيز » على حين كان معه غرباء البلاد الأجنبية كلها ، وعندما استولى على هذه الأرض جميعهـا (١٢) استوطنها هؤلاء الغرباء وأصبح حاكما عظيما على «مصر» وملكا كبيرا على كل البلاد الأجنبية ، وقد نصبنى جلالته فى وظيفة رئيس الأطبـاء (١٣) وجعلنى أعيش بالقرب منه بوصفى السمير والمدير للقصر ومؤلف لقبه أى اسمه بوصفه ملك الوجـه القبلى والوجه البحـرى « مستيورع » (أى المتناسل من « رع ») . وقد عملت على أن يعرف جلالته عظمة (صاالحجر) (١٤) وهى مقر الالهة « نيت » العظيمة الأم التى أنجبت « رع » التى بدأت الولادة عندما كانت الولادة لا وجود لها بعد ، وأن يعرف عظمة هيئة معبد « نيت » : فانه السماء (٢) فى كل أحواله ، وعظمة معبد « حت نيت » وهو مقام الحاكم سيد السماء (أوزير) وهيئة عظمـة « رس نت » و « محنت » (وهما مكانان مقدسان فى « سايس » يعبد فيهما الاله « حـور ») وهيئة بيت « رع » وبيت « آتوم » (وهذه المعابد الأربعة التى ذكرت أخيرا هى التى تقابل الجهات الأربع) «رسنت» = الجنوب ، «محنت» = الشمال ، « بررع » = الشرق ، « بر آتوم » = الغرب وهى المكان الخفى لكل الآلهة

---

(١) يحتمل أن هذه الألقاب التى جاءت فى هذه السطور هى الألقاب التى كان يحملها « وزاحر رسنن » فى عهد الملوك المصريين وقد بقى يحمل بعضها فى عهـد ملوك الفرس ، ولكنه فقد بلا شك قيادة الأسـطول وكذلك وظيفة مفتش كتبة المحكمة والاشراف على كتبة السجون وذلك لأن هذه الوظائف الثلاث لم تذكر فيما بعد ضمن القابه وعلى العكس كان قد أصبح كاهنا ورئيس أطباء .

(٢) تمثيل المعبد بالسـماء وصف شائع عند المصريين

(= المكان الذى فيه المعابد الخاصة بالالهة « نيت » وهو المكان الذى كان فيه الالهة كلهم) .

المتن الذى تحت الذراع اليسرى :

(١٦) المقرب من الاله المحلى « أوزير » وكل الآلهة ، والحاكم الوراثى وحامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والسمير الوحيد ، وقريب الملك الحقيقى محبوبه (١٧) رئيس الأطباء « وزاحر رسن » الذى وضعته « أتمه ردس » يقول : (١٨) لقد تقدمت الى جلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « قمبيز » بشكوى من الأجانب المقيمين فى معبد « نيت » (١٩) ليطردوا من هناك ليصير معبد « نيت » فى كل فخاره كما كان من قبل .

وقد أمر جلالته بطرد الأجانب كلهم (٢٠) الذين استقروا فى معبد الالهة « نيت » وتقويض منازلهم وكل أرجاسهم (؟) التى كانت فى هذا المعبد وعندما حملت (٢١) كل أمتعتهم (؟) خارج سور المعبد أمر جلالته بتطهير « نيت » وتغيير كل من يعمل به

(٢٢) ... وكهنة الساعة الخاصين بالمعبد ، وأمر جلالته باعادة دخل أملاك الوقف الخاص بالالهة « نيت » العظيمة ام الاله «رع» وللآلهة العظام الذين فى « سايس » كما كانت الحال من قبل . وأمر جلالته (٢٣) باقامة كل أعيادهم وكل مواكبهم كما كانت الحال من قبل . وقد عمل ذلك جلالته لأنى عملت على أن ينفذ جلالته عظمة « سايس » مدينة الآلهة الذين جلسوا فيها على عروشهم أبديا .

(ج) المتن الذى على قاعدة المحراب وعلى العمود من الجهة اليسرى

المقرب من آلهة « سايس » (٢٥) رئيس الأطباء « وزاحر رسن » يقول :

لقد ذهب ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « قمبيز » الى « سايس » ودخل بنفسه فى معبد الالهة « نيت » ، وسجد بخشوع كبير أمام جلالتها (أى جلالة « نيت ») كما فعل كل ملك (من قبل) وقرب قربات عظيمة من (٢٦) كل شىء طيب للالهة « نيت » العظيمة أم الاله « رع » ولكل الآلهة العظام الذين فى « سايس » كما فعل كل ملك محسن (٢٧) وقد عمل جلالته ذلك لأنى جعلت جلالته يعرف عظمة جلالتها (أى جلالة الالهة « نيت ») وهى أم الاله « رع » نفسه .

(د) المتن الذى على قاعدة المحراب والعمود من الجهة اليمنى :

(٢٨) المقرب لدى «أوزير حماج» (١) رئيس الأطباء «وزاحر سن» يقول :

ان جلالته أدى كل عمل مفيد فى معبد « نيت » وقد أقر تقديم القربات السائلة لسيد الأبدية « أوزير » فى داخل معبد « نيت » كما كان يعمل كل ملك من قبل (٣٠) وقد عمل جلالته هذا لأنى عملت على أن يعلم جلالته كل الأعمال المفيدة التى عملها كل ملك فى هذا المعبد . وذلك بسبب عظمة هذا المعبد الذى هو مقر الآلهة الذين استقروا فيه أبديا .

(هـ) المتن الذى على الجدار الأيسر للمحراب وعلى الجلباب أمام الذراع اليمنى :

(٣١) المقرب لدى آلهة مقاطعة « سايس » ، رئيس الأطباء « وزاحر سن » يقول :

لقد مكنت دخل أملاك الوقف الخاص بالالهة « نيت » العظيمة والدة الاله « رع » على حسب (٣٢) أمر جلالته لطول الأبدية وحبست أوقافا

---

(١) أى المزمل وهو هنا لقب لأوزير ببلدة « سايس » (صا الحجر) .

للالهة « نيت » سيدة « سايس » من كل شيء طيب كما يفعل خادم ممتاز لسيده وانى رجل طيب فى مدينته فقد نجيت سكانها من الاضطراب العظيم (٣٤) عنــدما حدث فى الأرض قاطبة « مصر » . وهو الذى لم يوجد مثيله من قبل فى هذه الأرض . فقد حميت الضـعيف (٣٥) من القوى وحميت الخائف ممــا حدث له . وحملت لهم كل شيء مفيدفى (٣٦) اللحظة الحرجة التى يجب ان يعمل الانسان لهم فيها شيئا (أى فى وقت الاضطرابات) .

(و) المتن الذى على الجدار الأيمن للمحراب وعلى الجلباب امام الذراع اليسرى

(٣٧) المقرب لدى الآله المحلى « أوزير » رئيس الأطباء « وزاحر رسن » يقول :

انى رجل مقرب من والده وممدوح من والدته ، وموضع ثقــة أخوته . وقد نصبتهم فى وظيفة كاهن ، وأعطيتهم حقلا ذا محصول على حسب أمر جلالته طوال الأبدية وأقمت مدفنا جميلا لمن ليس له مدفن منهم . وأطعمت كل أطفالهم ومكنت كل بيوتهم (٤٠) وعملت لهم كل شيء مفيد كما كان يجب على الوالد أن يعمل لابنه عندما حدث الاضطراب فى هــذه المقاطعة منذ أن وقع الاضطراب العظيم فى كل الأرض « مصر » قاطبة .

(ز) المتن الذى على ظهر التمثال :

٤٣ ـــ الأمير الوراثى ، والحاكم وحامل خاتم ملك الوجه البحرى والسمير الوحيد الكاهن « عنخ ـــ ام ـــ س » ؟ (الذى يعيش فيها أو منها ؟) والكاهن رئيس الأطباء « وزاحر رسن » الــذى أنجبته « أتم اردس » يقــول : ان جــلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « دارا » ليته يعيش أبديا أمرنى أن أعود الى « مصر » فى حين كان جلالته يوجد فى « عيلام » وكان وقتئذ

ملكا عظيما لكل البلاد الأجنبية ، وملكا عظيما على «مصر» لأجل أن أصلح بيت الحياة. (٤٤) — بعد الخراب،والأجانب حملونى من اقليم الى اقليم وجعلونى أصل الى « مصر » كما أمر به سيد القطرين . وقد عملت كل ما أمرنى به جلالته فقد جهزناها بكل طلابها الذين كانوا أبناء أناس ذوى قيمة دون أن يكون بينهم أبناء أناس من السفلة . وقد وضعتهم تحت اشراف كل عالم (٤٥) كل أعمالهم ، وقد امرنى جلالته ان اعطيهم أشياءهم الطبية حتى يكون فى استطاعتهم أن يؤدوا أعمالهم وعلى ذلك سلمتهم كل أشيائهم المفيدة وكل أدواتهم التى نص عليها كتابة كما كانت الحال من قبل ، وقد عمل جلالته ذلك لأنه يعرف فائدة هذا الفن لأجل أن يجعل المريض يعيش ولأجل أن يجعل كل أسماء الآلهة ومعابدهم ودخل أملاك أوقافهم واقامة أعيادهم تبقى أبديا .

(ح) المتن الذى على قاعدة التمثال من اليمين :

(٤٦) رئيس الأطباء « وزاحر رسن » يقول :

كنت رجلا مقربا لدى كل أسياده طالما كنت حيا ؟ وقد منحونى زخارف من الذهب وعملوا من أجلى كل الأشياء المفيدة .

(ط) المتن الذى على القاعدة من جهة اليسار :

(٤٧) وأنه سيكون مقربا لدى الالهة « نيت » من سيقول :

يأيها الآلهة العظام الذين فى « سايس » تذكروا كل الأشياء القيمة التى عملها رئيس الأطباء « وزاحر رسن » ومن أجل ذلك عليكم أن تعملوا

له كل شيء مفيد وتمكنوا بقوة اسمه الطيبة على هذه الأرض سرمديا

التمثال ذو المحراب المحفوظ بمتحف القاهرة

عثر على هذا التمثال الأثرى «روزيلينى» ونقل بعض نقوشه أثناء اقامته فى «مصر» ١٨٢٨ — ١٨٢٩ . غير أن « روزيلينى» لم يقدم لنا أية معلومات محددة عن المكان الذى وجد فيه هذا الأثر (راجع Posener, Ibid p.2 note1 & 2) وتدل شواهد الأحوال على أن «روزيلينى» بدلا من أن ينقل كل النقوش التى عليه اكتفى بنقل النقوش التى تحتوى الأسماء الملكية ومن ثم أصبح من الصعب تحديد تاريخ هذا المتن ، ومع ذلك فان أوجه الشبه الكثيرة التى نلحظها بين تمثال متحف «القاهرة» وتمثال متحف «الفاتيكان» الذى تحدثنا عنه فيما سبق تلفت النظر ، فالتمثالان من طراز واحد ، وكذلك يظهر أنهما قطعا بحجم واحد ، وكذلك نجد نفس الطغراءات فى نقوشهما الا طغراء الملك « بسمتيك » الثالث فانه لم يوجد على تمثال « القاهرة » . ومن المحتمل اذن أن التمثالين هما لرئيس الأطباء « وزاحر رسن » .

تاريخ التمثال : فاذا كان هذا التقارب بين التمثالين صحيحا فان تمثال « القاهرة » يكون من نفس العصر الذى ينسب اليه التمثال الأول . أى فى بداية عهد « دارا » الأول . والسبب الوحيد الذى يجعل الانسان يميل الى هذا التاريخ هو كتابة اسم « دارا » (راجع Bibliotheque de l' Université de Pise, Manscrit 297 de Rosellini studi Egiziani II)

وهاك النقوش التى نقلها « روزيلينى » (الترجمة)

(١) ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « خنم — اب — رع » (أحمس)

(a) ... (٢) جلالة (؟) ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « قمبيز » (b

حامى (؟) كل البلاد الأجنبية (c) ... (٣) السيد العظيم للأراضى «قمبيز» العظيم (d) من يرفع المدن (e) . (٤) واسمه ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « مستيورع » (؟) (f) وجلالته (؟) قد طهر نفسه فى معبد « نيت » (g)... (٥) ملك الوجه البحرى والوجه القبلى « دارا » (h) معطى الحياة أبديا .

٢ـ نقوش سرييوم منف

يوجد ما يربى على عشرين لوحة من لوحات السرابيوم بمدينة « منف » تحمل تاريخ ملوك « فارس » (والواقع أنها تكاد تكون كلها من عهد الملك « دارا ») كما يوجد كثير غيرها ولكن لم نجد ذكر سنة الحكم على واحدة منها خاصة بنفس العصر . ولدينا خمسة متون من بين هذه لها أهمية خاصة بالنسبة للعصر الذى نبحث فيه أى فى تاريخ «مصر» فى عهد الأسرة السابعة والعشرين ، وهذه المتون هى : لوحتان جنازيتان لعجلين من عجول «أبيس» واحدة للملك « قمبيز » والأخرى للملك « دارا » الأول (المتن رقم ٥) ثم متن تابوت العجل الأول من العجلين السابقين (٤) ، ثم لوحتان لشخص يدعى « أحمس » (٦و٧)

لوحة « أبيس » الذى دفن فى السنة الثالثة من عهد الملك « قمبيز » :

هذه اللوحة أعلاها مستدير ويبلغ ارتفاعها ٦٦ سنتيمترا وعرضها ٤٤ سنتيمترا ، عثر عليها « مريت » فى الحفائر التى قام بها فى سرابيوم « منف » وهى محفوظة الآن بمتحف « اللوفر » (No. 354) وتنقسم صفين (راجع Posener. Ibid P. 30 ff)

التاريخ : الشهر الثالث من فصل الصيف من السنة السادسة من عهد

« قمبيز » وقد تحدث عن هذه اللوحــة « بوزنر » وشرحها شرحا وافيــا للمرة الأولى فيما يلى :

الصف الأول : يشاهد تحت قرص الشمس المجنح مائدة قربان وعلى جانبها نقرأ : قربان جنازى .

وعلى اليمين نشاهد العجل « ابيس » يحلى رأسه قرص الشمس والصل بين قرنيه ويشاهد فوق « أبيس » ثلاثة أسطر نقش فيهــا : « أبيس » — « آتوم » الذى له قرنان على رأسه ، ليته يعطى كل الحياة .

وعلى اليسار : نشاهد الملك « قمبيز » راكعا وفوقه نقش اسمه فى ثلاثة سطور :

(١) « حورسماتوى » ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «مستيورع» الاله الطيب سيد القطرين .

وخلف « قمبيز » نشــاهد روحه تحمل اســـمه الحورى « سماتوى » (= موحد الأرضين) .

الصف الثانى : يحتوى على عشرة أسطر وقد محى أكثر من نصف المتن من الجهة اليمنى من اللوحة عدا السطر الأول الذى بقى سليما ، وهاك ترجمة ما تبقى :

السنة السادسة الشهر الثالث من فصل الصيف اليوم العاشر (؟) فى عهد جلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « مستيو (؟) رع » معطى الحياة أبديا اقتيد الآله فى سلام نحو الغرب الجميــل ووضع فى الجبانة (أى فى السربيوم) فى (مكانه) وهو المكان الذي عمله له جلالته — أي قمبيز —

(٣) (بعد أن عمل) كل (الأحفال) فى قاعة التحنيط .

وقد عملت له (كسوة) وملابس « منخت » ووضع معه تعاويذه وكل زيناته من الذهب ومن الأحجار الغالية ... (٥) ... معبد «بتاح» الذى فى داخل حماج (= قاعة من قاعات المعبد) (٦) ....أمر.. نحو (؟) « جت كابتاح » (= «منف») قائلا : قودوا (؟) (٧) ... وقد عمل على حسب كل ما قاله جلالته (١) (٨) .... فى السنة السابعة والعشرين (٢) (٩) ....

٤ — نقوش تابوت « أبيس » الذى دفن فى عهد « قمبيز » .

هذا التابوت مصنوع من الجرانيت الرمادى وقد عثر عليه فى سربيوم « منف » ونقش على الغطاء سطر من النقوش

التأريخ : وهذا التابوت يجب أن يكون خاصا بالثور الذى ذكر على اللوحة الجنازية رقم ٣ وهو العجل المقدس الوحيد الذى جاء على لوحته أنه دفن فى عهد الملك «قمبيز» كما سنرى بعد (راجع Gunn. A.S.26 (1926) pp. 85-86)

---

(١) ان القليل من النقوش التى بقيت من الأسطر ٥ — ٧ ليس له مقابل فى اللوحات الجنازية رقم ١٩٢ — ١٩٣ — ٢٤٠ من لوحات السربيوم الموجودة فى متحف اللوفر . والظاهر أن الموضوع ينحصر فى أمر صادر من الملك وتنفيذه .

(٢) تحتوى اللوحة الجنازية الخاصة بالعجل أبيس هذا على أربعة تواريخ بوجه عام وهى : تاريخ دفن العجل وقد جاء ذكره فى اللوحة التى نحن بصددها فى السطر الأول وتاريخ ولادته وتاريخ تتويجه وتاريخ موته . وتاريخ وفاة العجل الذى نحن بصدده الآن قد حدث قبل دفنه بمدة وجيزة (حوالى ٧٠ يوما فى العادة) اما الرقم ٢٧ الذى نجده فى لوحتنا فلا يمكن أن يعود الا على تاريخ ميلاد أو تتويج أبيس وعلى حسب الآثار لابد ان يكون تاريخ الميلاد . اما التاريخ الثانى فلابد أن يكون فى آخر السطر التاسع وبداية السطر العاشر وعلى ذلك فان تاريخ السنة السابعة والعشرين لا يمكن أن يكون الا تاريخ « أحمس » ٥٤٣ق.م. وعلى ذلك فان أبيس الذى دفن فى عهد « قمبيز » لابد اذا أن يكون قد عاش حوالى تسع عشرة سنة .

الترجمة : (ا) « حور سماتوى » ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « مستيو (؟) — رع » (ب) ابن « رع » « قمبيز » (ج) نيته يعيش أبديا ، لقد عمل بمثابة أثر منه لوالده « آبيس » — « أوزير » تابوتا عظيما من الجرانيت (د) مهدى من (هـ) ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « مستيو (؟) — رع » بن «رع» « قمبيز » معطى كل الحياة وكل الخلود وكل القوة ، وكل الصحة وكل السرور ، مشرفا بمثابة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى سرمديا » .

(٥) لوحة جنازية للعجل « آبيس » الذى توفى فى السنة الرابعة من عهد « دارا » الأول :

هذه اللوحة مستديرة من أعلاها وهى مصنوعة من الحجر الجيرى ويبلغ ارتفاعها ٨٠ سنتيمترا وعرضها ٤٤ سنتيمترا وسمكها ١٠ سنتيمترات ، وهى محفوظة بمتحف « اللوفر » (N ، 357) وقد وجد هذا الأثر مكسورا ولم يبق منه الآن غير ثمانى قطع وينقصه بلاشك قطعتان من جانبه الأيسر وينقسم قسمين .

التاريخ : اليوم الثالث عشر من الشهر السادس من فصل الصيف السنة الرابعة من عهد « دارا » الأول (حوالى ٥١٨ ق.م.) راجع (Chassinat, Rec. Trav. 23 (1901) p. 77-7; Posener, Ibid p. 36 ff)

ومما تجدر ملاحظته هنا ان الصف الأعلى من هذه اللوحة موحد بالصف الأعلى من اللوحة رقم ٣ السابقة الذكر ، ولكننا نجد مكان قرص الشمس المجنح رسم العلامة الدالة على السماء ، ولا يوجد للعجل « آبيس » الا صل واحد بين القرنين ، ونجد تحت مائدة القربان نفس المتن الذى

وجدناه فى النقش رقم ٣ سالف الذكر وواجهة القصر التى تحتوى «الكا» الملكية خالية ، ونجد تحت مائدة القربان نفس المتن الذى فى النقش رقم ٣

واسم الثور هو « أبيس ــ آتوم » الذى يوجد قرناه على رأســه ، ليته يعطى الحياة كلها .

واسم الملك هو : ملك الوجــه القبلى والوجــه البحرى « تارواش » (= دارا) .

الصف الثانى : يحتوى على أحد عشر سطرا ، ويلحظ أن نهـاية كل سطر قد هشمت .

الترجمة : (١) السنة الرابعة الشهر الثـالث من فصـل الصيف اليوم الثالث عشر فى عهد جلالة ملك الوجــه القبلى والوجه البحرى « دارا » معطى الحياة مثل « رع » (أبديا) (؟)

(٢) لقد اقتيد هذا الاله فى (سلام) نحو الغرب الجميل و (أريح فى الجبانة فى مكانه الذى هو) المثوى الذى قد أقامه له جلالته ــ ولم يعمل قط مثيله من قبل ــ بعد أن أقيمت له كل الأحفال) فى قاعة التحنيط . والواقع أن جلالته قد فخمه (كما فخم « حور » والده « أوزير ») . وقد عمل له (أى لأبيس) تابوتا عظيما من مادة صلبة قيمة كما كان يعمل من قبل ، وعمل له كساء وملابس (منخت) وأحضر له تعاويذه وكل حلية من الذهب ومن كل مادة ثمينة ممتازة ، وكانت أكثر جمالا مما كان يعمـل من قبل . والواقع أن جلالته أحب (أبيس العائش) أكثر من كل ملك ، وقد صعد جلالة هذا الاله الى السماء فى السنة الرابعة الشهر الثالث من فصل الصيف (اليوم الرابع وقد ولد) فى السنة الخامسة الشهر الأول من فصل الزرع

اليوم التاسع والعشرين (فى عهد) جلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (مستيو رع) وقد نصب فى معبـد الاله « بتاح » فى السنة (.... البقاء الجميل لحياة) هذا الاله كانت ثمانى سنوات وثلاثة اشهر وخمسة ايام ليت «دارا» يكون له (أى لأبيس) واهبا الحياة والسعادة أبديا (؟)

لوحة « احمس » (امسيس)

هذه اللوحة مصـنوعة من الحجر الجيرى ويبلغ ارتفاعهـا ٤١٥ ملليمترا وعرضها ٢٨٥ ملليمترا وسمكها ٧ ملليمترات عثر عليها فى حفائر « مريت » فى سربيوم « منف » وهى الآن بمتحف « اللوفر » . وتؤرخ هذه اللوحة بعهد الفرس فى «مصر» ، يدل على ذلك ما جاء فى نقوشها من ذكر السيادة الأجنبية واذا كانت الألقـاب التى جاءت على هذه اللوحة موحـدة بألقاب القائـد « أحمس » ـ وهذا أمر مشكوك فيه ـ فانها ترجع الى حكم الملك « دارا » الأول ، وبما أنه جاء فيها موضوع الأحفال التى تتبـع موت عجل « آبيس » فانه فى استطاعتنا أن نقترح السنة الرابعة أو السنة الرابعة والثلاثين وهذان التاريخان معروفان لنا بأنه قد توفى فيهما عجلان من عجول « أبيس » (راجع
Mariette, Serapeum de Memphis (1857) Pl. I serie 16 ; Pierret Recueil d'Inscriptions inedites du Louvre I, p. 67-73 ; Chassinat Rec. Trav. 23 (1901) p. 78 : Posener Ibid p. 41)

الوصف : الصف الأول : نجد فى الجزء الأعلى المستدير من هذه اللوحة تحت علامة السـماء قرص الشمس بجناحين منحنيين وقـد نقشت هنا لفظة « بحدتى » أى الأدفوى مرتين على اليمين وعلى الشمال من الصل الذى يتدلى من قرص الشمس وفى الوسط نشاهد مائدة قربان كتب على جانبيها ألف من الثيران وألف من الطيور وألف من الخبز وألف من الجعة .

ويشاهد على يسار هذا الجزء الأعلى العجل « أبيس » وبين قرنيه صل ، ويلحظ أن لون الرأس والرقبة والصدر والظهر والردف والجزء الأعلى من الذيل أسود وقد نقش فوق العجل اسمه : « أبيس العائش » .

وعلى الجهة اليمنى يشاهد القائد « أحمس » واقفا مرتديا قميصا وقد نقشت خلفه ثلاثة أسطر جاء فيها :

١ — السمير الوحيد ورئيس الجنود « أحمس »

٢ — ابن رئيس الجنود « بايون حور » الذى وضعته « تاكا بنأخبيت »

وفى الصف الثانى تسعة أسطر جاء فيها : [١]

١ — المقرب من « أبيس — أوزير » ، السمير الوحيد ، رئيس الأجناد « احمس » بن « بايون حور » الذى وضعته « تاكا بنأخبيت » يقول : عندما أقتيد هذا الاله فى سلام نحو الغرب الجميل بعد أن كان قد عمل له كل الأحفال فى قاعة التحنيط كان هو « أحمس » واقفا أمامه (أى أمام العجل أبيس) مشتغلا بالرماة وموجها الجنود والعساكر المختارة لأجل أن يجعل هذا الاله الى مثواه فى الجبانة .

وانى خادم عامل لروحك (= لحضرتك) وقد أمضيت كل الليالى ساهرا دون نوم باحثا عن كيفية عمل كل الأشياء المفيدة لك . ولقد وضعت احترامك فى قلوب الناس والأجانب من كل البلاد الأجنبية الذين كانوا فى « مصر » بما فعلته فى قاعة تحنيطك ولقد أرسلت أجانب نحو الجنوب وآخرين نحو الشمال لأحضر كل حكام المدن والمديريات حاملين هداياهم نحو قاعة تحنيطك فيا آباء الآلهة ويا كهنة معبد الاله « بتاح » قولوا : يا « أبيس — أوزير » ليتك تسمع صلوات من فعل لك أشياء مفيدة ، رئيس الجنود « أحمس » .

انه نائح (؟) خلفك وأنه قد حضر بنفسه حاملا الفضة والذهب والكتان الملكى والعطور ، وكل ثمين ذا قيمة وكل شىء جميل .

ليتك تمنحه مكافأة مناسبة لما فعله لك فتمد فى سنيه وتجعل اسمه باقيا أبديا ، وليت هذه اللوحة تثبت بقوة فى الجبانة حتى يذكر اسمه أبديا .

لوحة صغيرة أخرى لـ « أحمس »

وقد ترك لنا « أحمس » هذا لوحة صغيرة عثر عليها فى سرببوم « منف » وهى مصنوعة من الحجر الجيرى ويبلغ ارتفاعها ١٤ ملليمترا وعرضها ١٥٥ ملليمترا وسمكها ٣ ملليمترات وقد عثر عليها « مريت » فى الحفائر التى قام بها فى سرببوم « منف » وهى محفوظة الآن بمتحف « اللوفر No. 330 » وجزؤها الأعلى قد ضاع وكذلك يلحظ أن الأسطر الثلاثة الباقية قد ضاع جزؤها الأعلى كذلك .

التأريخ : هذه اللوحة خاصةبنفس « أحمس » صاحب المتن السابق وعلى ذلك يجب أن تكون معاصرة لها . وعندما نقرن القاب « أحمس » فى اللوحتين نجد أنه قد رفعت درجته على اللوحة الثانية ، وهذا يدل على أن اللوحة رقم (٧) أحدث من الوجهة التاريخية من اللوحة رقم (٦) . وهاك ترجمة ما بقى منها :

المقرب من « أبيس — أوزير » الرئيس الأعظم للجنود « أحمس » بن « بايون حور » الذى وضعته « تاكا بنأخبيت » ابنة « بفتوخنسو » .

وهكذا نجد أنه فى المتن الأول يلقب « أحمس » هذا بلقب رئيس الجنود ، وفى المتن الثانى يلقبه الرئيس الأعظم للجنود .

٣ـ لوحات القنال (راجع Posener, Ibid p. 48. No. I)

لقد عرفت حتى الآن أجزاء من متون لوحات ثلاث من عهد الملك « دارا » الفارسى كانت قد نصبت على طول القناة الموصلة بين النيل والبحر الأحمر وسنشير اليها هنا بالأرقام ٨،٩، ١٠ • وتدل شواهد الأحوال على انه كانت توجد لوحة رابعة غير أننا لا نعرف عنها الا مكانها ، وقد عرفت بلوحة السربيوم . وكانت منصوبة فى البقعة الواقعة بين « بحيرة التمساح » و « البحيرات المرة » . وقد ظن خطأ مهندسو الحملة الفرنسية أن الخرائب التى وجدت فيها هذه اللوحة هى خرائب السربيوم التى يتحدث عنها «أنطوان» فى دليلة (راجع Descr. de L'Egypte Antiquités 5, 149-150 et 6,279) وقد ظل اسم « السربيوم » يطلق على هذا المكان حتى الآن . هذا وقد عملت حفائر فى هذا المكان عام ١٨٨٤ م قام بها « كليرمون جانو Clermont Ganeau» وفى عام ١٨٨٦ م وصل الى متحف « اللوفر » ٢٣ أو ٢٥ قطعة صغيرة من اللوحة عليها نقوش مصرية قديمة غير أنها اختفت بعد ذلك بعامين . وهذه اللوحات الأربع كانت مقامة بالضبط على الشاطىء الأيمن للقناة تجاه البحر الأحمر على مرتفعات من الأرض ، وقد أقيمت بحيث كانت تراها السفن التى تسير فى القناة ، يدل على ذلك كبرها وأهمية القواعد التى أقيمت عليها وكذلك اختيار الأماكن التى أقيمت فيها (راجع Lepsius, Monatsber. K. (P. Ak. der Wiss. zu Berlin, 1866- (1867),287.

وقد وجد فى كل موقع من مواقع هذه اللوحات قطع من النقوش الهيروغليفية والمسمارية ، ووجدت على اللوحة رقم ٩ نقوش هيروغليفية

ومسمارية على الوجهين المقابلين للاثر ، ومن المحتمل ان هذا الترتيب كان قد اتبع فى اللوحة رقم ١٠ غير أنه فى اللوحة التى وجدت فى « تل المسخوطة » وهى اللوحة الثامنة كان كل من المتنين الهيروغليفى والمسمارى مكتوبا على لوحة خاصة كما يقول الأثرى « جولنشيف » (راجع Posener, Ibid p. 50 no. 5)

ويلحظ أن المتن المسمارى كان يحتوى على ثلاث روايات : واحدة بالفارسيةالقديمة والثانية بالبابلية والأخيرة بالعيلامية، وقد ذكر عليها الألقاب الملكية والمرسوم الخاص بعقيدة « اهوراماذدا » ، هذا بالاضافة الىمختصر خاص بشق القناة وبسياحة أسطول مصرى الى « فارس » ، ولم يبقمحفوظا لنا بصورة تامة على وجه التقريب الا اللوحة رقم ٩ . والظاهر أن اللوحتين ١٠،٨ كانتا موحدتين بالتاسعة (راجع Scheil, Rev. d'Assyr., 27, p. 93 & 95-97) ولكن الوثائق تعوزنا للتأكد من ذلك .

وعندما نبدأ بفحص النقوش الهيروغليفية التى على هذه اللوحات تزداد مصاعبنا فى الوصول الى ترجمة مستقيمة ، وذلك لأنه لم تصل الينا لوحة واحدة من هذه اللوحات سليمة . ويلحظ أن كل واحدة منها تحتل فى مساحتها ثلاثة أضعاف ما يحتويه المتن المسمارى وقد قسمت ثلاثة صفوف . الصف الأعلى ويظهر أنه موحد فى اللوحتينالثامنة والتاسعة ويحتمل أنه كذلكموحد فى اللوحة العاشرة والصف الثانى من اللوحة التاسعة يظهر أنه وضع فوق الصف الثانى من اللوحة الثامنة ولكن نجد هنا أن التقريب بين هذا المتن وما جاء على اللوحة العاشرة تقوم فى وجهه اعتراضات . والصف الثالث وهو الذى يحتوى على ذكر الحوادث التى احتفل بها وصل الينا فى حالة سيئة حتى انه أصبح من المتعذر أن نصل الى أى حد كان موحدا على اللوحات

الثلاث . وكل ما يمكن الأدلاء به فى هــذا الصدد هو أن الصــف الثالث فى اللوحات الثلاث يحتوى على روايات هامة .

التاريخ : نقرأ على اللوحة العاشرة السطر ٢٢ الرقم ٢٤ غــير أنه ليس مؤكدا اذا كان هــذا الرقم خاصا بتأريخ أم لا . واذا اتخذنا أساسنا كيفية كتابة اسم « دارا » فان لوحات القناة لابد انها كانت بعد السنة السابعة والعشرين من حكم هذا العاهل ، غير ان قيمة هذا المعيار فيها شك ويجب أن ترجع الحوادث التى جاء ذكرها فى هذه النقوش الى اوائل حكم الملك « دارا » ويؤكد لنا ذلك قائمة البلاد التى ذكرت على ما يظهر فى الصف الثانى .

لوحة « تل المسخوطة »

هذه اللوحة مستدير أعلاها وهى مصنوعة من الجرانيت الوردى ومحفوظة بالمتحف المصرى (J.E.48855) وقد وجدت مهشمة الى ثمانى قطع امكن تركيب سبع منها أما الثامنة فلم يعرف وضعها بالضبط حتى الآن . وقد ضاع الجزء الأيمن كله من اللوحة . وكان قد عثر عليها فى مكان على مســافة كيلومتر واحــد جنوبى « تل المسخوطة » على ربوة تبعد ٣٥٠ مترا من القناة القديمة وقد وجــدها « جولنشيف » عام ١٨٨٩م ونقلت الى المتحف المصرى حــوالى عام ١٩٠٧م (راجع Golenischeff, Rec. Trav. (1890) p. 99-109. Pl. 8; Rec. Trav. (1887) p. 137; Posener, Ibid p. 5o ff) وتتألف نقوش اللوحة من صفين .

الصف الأول : يشاهد تحت علامة السماء التى تحتل هــذا الجزء قرص الشمس المجنح بانحناء وعند نهاية الجناح اليسرى كلمة « بحدتى » (أى « حور » المنسوب الى « أدفو ») وفى الوسط نجد الهين للنيل يقومان بضم

الأرضين بوساطة علامة الضم التى يرتكز عليها طغراء الملك «دارا» ويعلو هذه الطغراه علامة تتألف من ريشتين بينهما قرص الشمس .

وعلى جانبى علامة ضم الأرضين وتحت ساقى كل من الهى النيل ، خطاب النيلين للملك . والمتن الذى على اليسار محفوظ تماما وهو : انى أعطيك كل الأراضى وكل قوم « الفنخو » وكل البلاد الاجنبية وكل الأقواس .

والمتن الذى على الجهة اليسرى من هذا الجزء من اللوحة قد محى تماما ، ولكن يمكن اصلاح جزء كبير منه من اللوحة رقم ٩ وهو : « انى أعطيك كل البشر وكل الناس وكل سكان جزر البحر الايجى » .

ويوجد خلف كل من الهى النيلين سبعة أسطر تحتوى على أقوال أخرى لهذين الالهين وقد بقى الجزء الاعظم من المتن الذى على اليسار وهو :

نطق (١) : انى اعطيك كل الحياة وكل السلطان وكل الصحة نطق (٢) : انى أمنحك كل الانشراح الذى يخرج منى . نطق (٣) : انى أمنحك كل القربان مثل التى يتسلمها « رع » . نطق (٤) : انى أهديك كل المأكولات . نطق (٥) : انى أمنحك كل شىء طيب يخرج منى (أى من النيل) نطق (٦) : انى أمنحك أن تظهر ملكا للوجه القبلى والوجه البحرى (٧) على ... «رع» أبديا .

والقليل الذى بقى فى الجهة اليمنى من الأسطر الثلاثة المحفوظة موحد بالأسطر المقابلة لها من الجهة اليسرى ، ولكن اذا اعتمدنا على توحيد هذه اللوحة باللوحة التاسعة فان شواهد الأحوال تدل على أن مانطق به النيلان يجب أن يكون مختلفا فى قراءته بعض الشىء .

الصف الثانى : هذا الجزء من اللوحة يحتوى على قائمة مؤلفة من أربعة

وعشرين من الأجزاء التى تؤلف الامبراطورية الفارسية . هذا ويشاهـــد فى الوسط سطر محى نصفه يمكن تكملته من اللوحة التاسعة جاء فيه : « انى أمنحك كل الأراضى (وكل البلاد الأجنبية متعبدة أمامك) » .

وقد صف حول هذا العمود من جانبيه الأسماء الجغرافيـــة المنقوشة فى أشكال بيضية محززة يعلوها شخصية بملابس رأس مختلفة عن الاشخاص الآخرين ، غير أنه قد أصابها البلى ويلحظ كذلك أن كل شخصية ترفع ذراعيها تضرعا . وهاك ما بقى من هذه الأسماء :

(١) « فارس » (٢) « ميديا » (٣) « عيلام » (٤) « هور » (= آرى) (٥) « برتى » (بارثى) (٦) « بختر » (بكتريان Bactriane) (٧) «سقدى» Sogdiane (٨) « هرخذى » (Arochosie) (٩) « سرنح » (= درنجيان Drangiane (١٠) « سدجوز » (= بلاد ستاجيدس Sattagydes) (١١) « خـــرزم » (= خوارزم) (١٢) « سك بح » (سك تا = سيثى ذات المستنقعات و « سيثى السهول » (؟) Sythie) (١٣) « ببر » (= بابلون Babylonie (٤) « أرمينا » (أرمينيا Armenie) .

الصف الثـــالث : يحتوى على اثنين وعشرين سطرا على وجـــه التقريب ومعظمها ممحو وهاك ماتبقى منها :

(١) ... « دارا » ... الذى وضعته « نيت » سـيدة « سايس » ، وصورة « رع » ، والذى وضعه (يقصد « رع ») على عرشـــه لأجل أن يتم ماكان قد بدأه . (٢) ... كل الذى تحيط به الشمس عنـــدما كان فى الفرج ولم يكن قد أتى بعد الى العالم وذلك لأنها (= نيت) كانت تعلم أنه كان ابنها وأنها أمرت له (٣) ... هى له ... يدها بالقوس أمامها لأجل أن

تهزم أعداءه (أى أعداء الملك) كل يوم كما فعلت لابنها « رع » وأنه (أى الملك) قوى (٤) ••• وأعداؤه فى كل الأراضى ملك الوجه القبلى والوجه البحرى سيد الأرضين « دارا » ليته يعيش أبديا (الملك) العظيم ، ملك الملوك . (٥) ••• (ابن « هيستاسب » الأخمنيسى العظيم . انه ابنها (أى ابن نيت) الشجاع ••• الذى يمد الحدود (٦) ••• الـ •• مع جزياتهم معدة بمثابة ضريبة له ••• عاقل ••• فى « فارس » (فى) المدينة (٧) •• المقر (؟) •• لأجله (؟) « سيروس » . وقد ذهب جلالته الى ••• أكثر من كل شىء . وقد أمر جلالته أن يحضروا (٨) ••• وقال لهم : هل ••• لا يرى (٩) ••• رجل مسن (؟) كان بينهم قال ••• قد عمل (أو أعطى) •• « سيروس » (١٠) ••• من (أو الى) « شسب » ، وقد عمل •• (١١) •• وأمر عظماء « شسب » (؟) •• (١٢) •• حدودك •• أعطى الأمر (١٣) •• « شسب » (؟) •• هناك (١٤) •• هذا •• بعد أن (١٥) •• على حسب كل ما أمر به جلالته •• لا (١٧) •• « شسب » . وقد عمل جلالته على أن يذهب قارب لأجل أن يعرف الماء (١٨) ••• من « مصر » ثمانية اترو ••• (ولا يوجد) ماء فى ••• لايرى (١٩) أمر القائد الذى عمل ••• مر بذهاب ••• من « مصر » (٢٠) •• اعمل •• (٢١) السفن •• (٢٢) •• السرور

لوحة « كبريت » أو لوحة « شلوفة »

هذه اللوحة محفوظة الآن بمتحف « الاسماعيلية » وهى مصنوعة من الجرانيت الوردى وجزؤها الأعلى مستدير ولابد أن تكون أبعادها كأبعاد لوحة « تل المسخوطة » ، وقد عثر عليها على مقربة من « البحيرة المرة » الصغيرة على ربوة من الأرض على مسافة ثلاثة كيلومترات جنوبى « كبريت »

الواقعة غربى الترعة التى تروى هذه المحطة بالماء العذب . وقد كانت موضوعة على قاعدة مصنوعة من الحجر الرملى وتحتها قطع من الحجر الجيرى تستند عليها . وهذه اللوحة كانت منقوشة من وجهيها وقد خصص وجه منهما للمتن الهيروغليفى والآخر خصص للترجمة باللغات المكتوبة بالخط المسمارى وهى الفارسية القديمة والعيلامية ثم البابلية .

وقد كشف عن اللوحة للمرة الأولى عام ١٨٦٦ م على يد المهندس « ديلسبس » وقد عثر على ما لا يقل عن خمس وثلاثين قطعة من أجزائها منها سبع عشرة قطعة باللغة المصرية ، والقطع الصغيرة التى نقلت الى «شلوفة» قد اختفت ، وقد تمكن من ترتيب خمس عشرة قطعة منها . وفى عام ١٩١١ — ١٩١٢ استأنف الأثرى « كليدا Cledat » الحفائر فى هذا المكان وقد أسفرت أعماله عن وجود قطعتين بالهيروغليفية كانتا معروفتين من قبل (٩،٨) كما عثر على ثلاثين قطعة جديدة وقطع أخرى صغيرة جدا ، وقد نقل الكل الى «الاسماعيلية» مع القطع المنقوشة بالخط المسمارى التى كان قد عثر عليها (راجع Scheil, Rev. d'Assyr. 27. p. 93 95) ، ومن المحتمل أنه كان يوجد بالقرب من هذه اللوحة أثر آخر من العصر الفارسى فقد تحدث كل من « روزيير » Roziere, Descr. de L'Egypte 8,27-47 , et Devilliers و « ديفيلييه » Ibid. 5, 150-153

عن أثر للملك « دارا » من الجرانيت الوردى ، رأيا منه قطعة على مسيرة ست ساعات ونصف الساعة شمالى « السويس » ، وعلى الرغم من أنهما ليسا على اتفاق تام على موقع هذا الأثر فان التفاصيل القليلة التى ذكراها توحى بأن مكانه هو موقع لوحة « كبريت » ومع ذلك فمن المحتمل وجود لوحتين فى نفس المكان (راجع Posener Ibid. p.64 65) وتتقسم اللوحة صفين : —

الصف الأعلى : يشبه بوجه عام الصف الأعلى فى لوحة « تل المسخوطة » وهاك ما بقى من المتن : —

١ — انى أهبك (كل الحياة والسلطان والصحة) ٢ — انى أهبك (كل السرور) • • • ٣ — انى أهبك • • • مثل • • • ٤ — • • • « رع » ٥ — • • • ٦ — • • • يظهر مثل ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ٧ — رب الأرضين مثل « رع » أبديا

الصف الثانى : وهاك ما تبقى عليه من النقوش :

(١) الاله الذى • • • (٢) • • • رجال • • • « دارا » • • • (٤) ملك الملوك الـ • • • (ابن « هيستاسب ») (٥) الأخمنيسى العظيم • • • بالقوة والنصر على • • • (٧) المقر الذى أقامه • • • (وقد وصل جلالته) (؟) • • • كل الـ • • • (٨) لهذه المدينة . وحينئذ ••• من (أو الى) السيد (٩) ••• نحو المكان الذى يوجد فيه جلالته (١٠) • • • فى وسطه . والحدود هى (١١) ثمانية • • • لا ترى ••• (١٢) ••• معبد ••• (١٣) (؟) خرم [1] • • • «مصر» • وليس فيها ماء ••• (١٤) اجعل المفتشين يذهبون ••• لأجل حفر القناة (أو اعادة حفرها) من أول الـ • • • الماء (؟) • • • ومر بمجىء قارب • • • مع (؟) مفتشين حاملين كل الهدايا • • • وقدعمل على حسب (ما أمر به جلالته) [2] ••• (١٦) ••• ٢٤ (أو ٣٢) قارب مملوء

(١) قناة أو بحيرة

(٢) أمر الملك بحفر القناة وبارسال سفينة وجاء فى الروايات المسمارية وهو ما يقابل السطر الرابع عشر ما يأتى : انا « دارا » قد أعطيت الأمر بحفر قناة من أول النهر الذى فى « مصر » واسمه « بيرو » حتى البحيرة المرة التى تخرج من

ب .. وقـد وصـــلوا الى « فارس » [١] ..(١٧) .. وكل الـ ..
الأمراء والمفتشـون (؟) ... دون أن يكون فيهـا [٢] ... (١٨) انك ...
ملك الأبدية . . . أمر كل (؟) أمير . . . (ليس فيها أى ماء) . . .
(١٩) كل الـ . . . ذاهبا نحوها منذ الأزمان الأزلية ولم يجـدوا أى ماء
ولـكن (؟) حملوا . . . وجلالتك قـد عملت . . . والسـفن محملة
بجزيتها(؟) (٢٠) عليها(؟) وكل ماينطق به جلالتـك يوجد فى الحـال كالذى
يخرج من فم « رع » [٣] وعلى ذلك أمر جلالته ... من بوضع هذا على
لوحة منحـوتة ... (٢١) ... عبـادة الاله ... وقد عمـل على حسب
كل أوامر (جلالته) ... (٢٢) ... « دارا » الذى يعيش أبديا لمدة طويلة
... ولم يحدث قط مثل ذلك .

لوحة « السويس » (راجع Posener, Ibid. Pl.XIV-XV)

كانت هذه اللوحة مقامة على مسافة ستة كيلومترات فى شمالى «السويس» والواقع أنه قد وجدت قطعة من لوحة مستديرة أعلاها من الجرانيت الوردى خاصة بالجزء الأيسر من هذا الأثر ، وهذه القطعة تمثل تقريبا ثلث عرضـها (حوالى ٧٣ سنتيمترا من جزئها الأعلى و ٦٢ سنتيمترا من جزئها الأسفل) من

خليج « فارس » (ترجمة « شيل ») وترجم نهاية سطر ١٥ ما يأتى : « وهذه القناة قد حفرت كما أمرت به » (ترجمة « شيل »)

(١) وجاء فى المتن الفارسى : السفن من أول « مصر » على هذا المجرى قد سارت حتى « فارس » وذلك عـلى حسب ما رغبت فيه

(٢) يظهر أن الامر الملـكى جاء فى الاسطر من ١٦ الى ١٧

(٣) عند ما تم المشروع وجهت تحية الملك على ذلك فى الاسطر من ١٨ ـ ٢٠ وتدل شواهد الاحوال على أن العمـل كان ينحصر فى حفر قناة كانت مملوءة بالرمال وتمد السياح بماء الشرب الذى كان لا يوجد دائما فى هذه الجهة

كل . ارتفاعها ١٢ر٣ مترا وسمكها ٧ سنتيمترا . وقد أقيمت اللوحة بالقرب من معسكر « حرس الكبرى » على ربوة صغيرة من الأرض على مسافة ٤٥٠ مترا غربى القناة القديمة وقد عثر الأثرى « كليدا » على الجزء المصرى القديم من هذه اللوحة عام ١٩١١ — ١٩١٢ ، وعثر فى الوقت نفسه على قطعة من المتن البابلى من هذا النقش ووجد « بوزنر » عام ١٩٣٣ قطعتين أخريين من هذه اللوحة (راجع Posener Ibid p.83) وهاك ترجمة ما بقى من هذه اللوحة على حسب ترجمة « بوزنر » :

الصف الأول : لم يبق فيه من النقوش الا بعض علامات : ... كل ... كل الصبحة

الصف الثانى : وجد فى هذا الجزء اسم الملك « اكزركزس » .

الصف الثالث : وجد فيه بقايا المتن التالى ويشمل حوالى ثلاثة وعشرين سطرا وهاك ما بقى منها :

(١) ... أمر باعطاء ... (٢) ... « دارا » ... (٣) ... الحدود (؟) ابن الاله ... (٤) ... والاله منحنى ... (٥) ... عندما كان جلالته فى « فارس » ... (٦) ... كل المفتشين ... (٧) ... لم نر (؟) ولم نسمع ... (٨) ... مكث مدة طويلة ... (٩) ... (؟) ... (١٠) ... من الرمل . ذهبنا ... (١١) ... بالقرب من بئر ... هناك « أو فى » ... (١٢) ... نحن ... اترو ... (١٣) ... أمر ... قائد (؟) ... (١٤) ... ماء ... (١٥) ... على حسب أمر ... (١٦) ... فى «فارس» ... (١٨) ... أى ماء ... (١٩) ... سفن محملة بجزيتها

. . . (٢٠) . . . (٢١) . . . (٢٢) أربعة وعشرون (؟) وهكذا نشاهد ان ما بقى من هـذا المتن لا يمكننا من فهم أى شىء تقريبا الا عند قرنه بالمتون الأخرى .

« نقوش وادى حمامات »

نقش « خنم — اب — رع » : ان أول ما يلفت النظر فى نقوش « وادى حمامات » هو وجود عدد كبير نسبيا خاص بالعهد الفارسى . فمن بين مائتين وخمسين نقشا نجد سبعة عشر منها مؤرخة بعهد ملوك الأسرة السابعة والعشرين أى الأسرة الفارسية على حسب نظام « مانيتون » هذا بالاضافة الى ثلاثة نقوش أخرى ليست مؤرخة يحتمل أنها من هذا العهد أيضا .

ومن هذه النقوش عدد خاص بالملوك والجزء الآخر خاص بالموظفين . ويبلغ عدد النقوش الملكية أحد عشر نقشا (من ١١ الى ٢٣) يضاف الى ذلك مائدة قربان محفوظة بالمتحف المصرى (رقم ١٣) ولوحة بمتحف «برلين» (رقم١٧) وكلها جاء فيها ذكر رئيس عمال بعينه .

ويلحظ أن النقش رقم ١١ يرجع تاريخه الى ما قبل الفتح الفارسى بقليل غير أن درس حياة صاحبه وهو « خنم — اب — رع » ضرورى لارتباطه بالعصر الفارسى الذى نحن بصدد بحثه الآن .

وهذا المتن يحتوى على سبعة عشر سطرا .

وقد ذكر « خنم —اب—رع » هنا بعد والده «احمس بن نيت » ، وعلى ذلك يكون « خنم — اب — رع » هو الذى أمر نقش الأثر الذى لابد وانه

بداية مجال حياته العملية (راجع Devéria, Mem. (Inst- Egyptien (1882

724 note 2 (= Bibl. Egypt - 4, 291 No. 2)

وتاريخ هذا النقش هو السنة الرابعة والاربعون من حكم الملك «أحمس» الثانى (= أمسيس) ٥٢٦ق.م. (راجع L. D. III 275 b, Brugsch, Thesaurus p. 12-37 ; Couyat - Montet. Inscr. du Ouadi Hammamat No. 137. p. 88 et Pl. 33 ; J. E. A. 2 p. 145)

الترجمة : (١) السنة الرابعة والاربعون من عهد ملك الوجه القبلى والوجه البحرى رب الأرضين « خنم — اب — رع » ابن «رع» «أمسيس» (أحمس الثانى) ليته يعيش أبديا ، المحبوب من «نيت» سيدة«سايس»(٢) « حور » الذى يحمى العدالة ، وسيد التاجين بن « نيت » الآمر فى الأرضين ، « حور » الذهبى ، مختار الآلهة (٣) ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «خنم—اب—رع » بن « رع » « أحمس » بن « نيت » ليته يعيش أبديا محبوب « نيت » سيدة « سايس » (٤) — مدير أعمال (٥) — الوجه القبلى والوجه البحرى (٧) وابنه البكر (٨) الذى يحبه (٩) مدير الأعمال فى الوجه القبلى والوجه البحرى « خنم — اب — رع » (١٢) الذى وضعته ربة البيت « ساتنفرتم » (١٤) ليتهم يبقون أمام (١٥) (الآلهة) «مين» و «حور» (١٦) و «ازيس» « قفط » (١٧) أبديا .

***

١٢ — نقش صخرى خاص بمدير الأعمال « خنم — اب — رع »

يحتوى هذا النقش على ثمانية أسطر موضوعة فى اطار مستطيل .

التأريخ : اليوم العاشر من الشهر الثانى من فصل الصيف السنة السادسة

والعشرون من عهـد الملك « دارا » الأول ليتـه يعيش أبديا (٤٩٤ ق.م.)
(راجع Couyat- Montet Inscr. du Ouadi Hammamat No. 18 p. 41
et Pl. 6; Posener Ibid p. 91)

الترجمة : (١) السنة السادسة والعشرون من فصـل الصيف اليوم العاشر من عهـد (٢) « دارا » الأول ليته يعيش أبديا ، مدير الأعمـال لمصر العليا والسفلى (٣) مدير الأعمال فى البلاد كلها (٤) «خنم ـاب ـرع» ابن مدير الأعمال للوجه القبلى والوجه البحرى « أحمس بن نيت » (٥) مدير الأعمال لمصر الجنوبية ومصر الشمالية ، ومدير الأعمال (٧) فى كل الأرض قاطبـة (٨) « خنم ـ اب رع » .

١٣ ـ مائدة قربان « خنم ـ اب ـ رع » المحفوظة بالمتحف المصرى

(راجع J.E. 48439 ; Posener Ibid p. 92)

عثر على هذه المائدة فى عام ١٩٢٣ « ريزنر » فى قرية « القلعة » وهى من حجر الشست الرمادى وطولها ٤٩ سنتيمترا وعرضها ٣٢ سنتيمترا وسمكها ٥٥ ملليمترا وكتابة هذه المـائدة موحـدة بكتابة « خنم ـ اب رع » السالفة الذكر (رقم ١٢) فى « وادى حمامات » وهاك ترجمة ما بقى عليها :

(ا) النقوش التى حول داخل المائدة : (١) مدير الأعمال فى الأرض قاطبة « خنم ـ اب ـ رع » (٢) مدير الأعمال فى الوجه القبلى والوجه البحرى (٣) عمل القربات التى يقدمهـا الملك خبز وجعـة وثيران وطيور وكل شىء طيب لروح « اوزير قفط » (٤ر٥) ـ ملك الوجه القبلى والوجه البحرى رب الأرضين « دارا » معطى الحياة أبديا .

(ب) النقوش التى على حافـة المـائدة : (٦) الـكاهن والد الاله فى

« هليوبوليس » والكاهن والد الاله فى « منف » ومدير القصور (الملكية) والكاهن « سامرت » (٧) (الابن الذى يحبه ، وهو لقب ينعت به «حور» ومن ثم أصبح لقبا للكاهن الجنازى ولشعائر « أوزير » وكذلك أصبح لقب الكاهن الأكبر فى « اهناسيا المدينة » للاله « حرشفى ») والـكاهن حبسى (يحتمل أن يكون لقبا للكاهن الأعظم فى « أتريب » ؟) . وكاتب الآلهة فى « هليو بوليس » وكاهن الآلهة « سخمت » التى تقطن فى القصر العظيم وكاهن « خنم » (؟) ... « أخت رع » وكاهن « خنسو ـ حور » صاحب « طـره » وكاهن « أنوبيس » سـيد « سـپا » (مـكان بالقـرب من « طره ») وكاهن الهة « عيان » (بالقرب من « طره ») وكاهن « بتاح » سيد الصدق وكاهن (؟) ... صـاحب «ب» (١٠) والمشرف على اعمـال الفن العظيمة وقائد الجند وقائد العساكر ومدير الأعمال للوجه القبلى والوجه البحرى « خنم ـاب ـرع » ابن المشرف على اعمال الوجه القبلى والوجه البحرى « أحمس سانيت » (أى أحمس بن نيت) .

نقش صخرى آخر لـ « خنم ـ اب ـ رع »

هذا النقش ينقسم عمودين متلاصـقين الأول يحتوى على تسعة عشر سطرا والثانى يحتوى على أربعة عشر سطرا ويحتـوى كل النقش بالتفصيل على ألقاب «خنم ـاب ـرع» ونسبه ، ويلفت النظر أن القابه هنا تكاد تكون موحدة مع ألقابه التى على مائدة القـربان السـالفة الذكر رقم ١٣ . وتدل الظواهر على أن قصد مدير الأعمال هذا من هذا النقش كان اظهارا لصـلة نسبه برجال العمـــارة العظيمـــة فى الدولة الحديثة فى العصر الكوشى ومن المحتمل كذلك أنه كان يريد أن يرجع بنسـبه الى « أمحـوتب » مهنـدس العمارة الشهير الذى عاصر الملك « زوسر » أحد ملوك الأسرة الثالثة واذا كان

الغرض الذى يرمى اليه هنا أنه يرجع الى تقاليد أسرة قديمة من رجال العمارة فاننا نجد هذه التقاليد على مر الزمن قد حورت وشوهت بارادة المؤلف الذى كان لا يبغى من وراء ذلك قبل كل شيء الا اشباع غروره وزهوه وعلى هذا كان لابد من تفسير سلسلة الأخطاء المزدوجة التى نشاهدها فى هذا المتن فنجد أن مدير الأعمال قد نسب لنفسه أجدادا عظماء منهم من لم يكن له بهم قط أية صلة وذلك لأن هؤلاء الأجداد لم تكن هناك صلة تربط احدهم بالآخر بالاضافة الى أنهم كانوا يحملون ألقابا لم يكونوا يحملونها قط على مانعلم.

هذا ويلحظ أن قائمة الأنساب هذه قد وضعت بدقة تاريخية عظيمة فعندما نحسب طول جيل على حسب الفترة التى تفصل جيلين معروفين من سلسلة النسب (مثل « خنم — اب — رع » — « رع حوتب » أو « باكنخنسو » ؟ نجد أنها حوالى خمس وثلاثين سنة وهذه قاعدة حساب تقدم لنا نتيجة مرضية لفترة أخرى (مثل « خنم—اب—رع » و «حرمساف الثانى ») .

وانه لمن الصعب أن نحدد من أى جد حلت محل سلسلة النسب الحقيقية سلسلة النسب المخترعة ، والواقع أنه من بين خمسة وعشرين علما خلافا لاسمى « خنم — اب رع » ووالده لم يمكن أن نحقق منها الا أربعة أسماء بوجه التأكيد والأسماء المحققة هى « حرمساف الثانى » و « باكنخنسو » و « رع حوتب » و « امحوتب » ولكن يظهر مؤكدا أن هناك أسماء أخرى كذلك تقابل أسماء أشخاص قد عاشوا فعلا مثل « امنحربمشع » الذى يحمل ألقابا واضحة بوجه خاص (راجع Lefebvre Hist. des Grandes Pretres d'Amon p. 137 - 175)

والظاهر أن مؤلف هذه القائمة كان يعرف التواريخ المتوالية لحياة أعضاء قائمة النسب أكثر من معرفته لوظائفهم ، وذلك لأنه منحهم ألقابا من ألقاب

أهل عصره فنجد أن كل أجداد « خنم — اب رع » كانوا يلقبون بلا استثناء مديرى أعمال ، ونجد فى ست حالات أن هذا اللقب قد رفع الى مدير أعمال للوجهين القبلى والبحرى .

هذا ونجد أن سبعة منهم كانوا يلقبون حكاما وتسعة عشر يحملون لقب وزير . وكان « رع — حتب » فعلا يحمل لقب وزير أما الثمانية عشر الآخرون فكانوا يلقبون على ما يظهر وزراء بدون أى حق والسبب فى ذلك هو التعظيم من شأن نسب « خنم — اب رع » . ولا نزاع فى أن مثل هذه الوثيقة يمكن تأريخها بعام ٢٦ من عهد الملك « دارا » (٤٩٦ق.م.) ويجب أن نشير هنا الى أن النقش الذى نفحصه هنا يقع بجوار النقش رقم ١٥ الذى سنتحدث عنه بعد ذلك (راجع Posener, Ibid. p. 99)

ترجمة المتن : ١ — الكاهن والد الاله فى « هليوبوليس » ، والكاهن والد الاله فى « منف » ومدير القصور ، والكاهن « سامرف » (الذى يحبه والده) وكاتب الاله فى « هليوبوليس » ٢ — وكاهن الالهة « سخمت » القاطنة فى القصر العظيم ، وكاهن « خنم رع » (؟) ٣ — صاحب « أخت رع » ، وكاهن « خنسو — حور » صاحب « طرة » ، وكاهن ٤ — « پتاح » صاحب « طره » وكاهن « أنوبيس » سيد « سيا » ، وكاهن آلهة « عيان » ٥ — وكاهن « پتاح » رب العدالة ، وكاهن (؟) . . . . . فى « ب » والمشرف على الأعمال العظيمة (؟) وقائد الجنود ٦ — وقائد العسكر ومدير الأعمال فى كل الأرض قاطبة ٧ — والمشرف على الأعمال فى الوجه القبلى والوجه البحرى « خنم — اب — رع » بن المشرف على الأعمال فى الوجه القبلى والوجه البحرى ٨ — « أحمس سانيت » بن المشرف على الأعمال فى الوجه القبلى والوجه البحرى « عنخ » ٩ — « پسمتيك » بن المشرف على الأعمال « واح

— اب رع — تنى » بن ١٠ — المشرف على الأعمال « نس — شو — تفنت » بن المشرف على الأعمال فى الوجه القبلى والوجه البحرى ١١ — حاكم المدينة والوزير « ثانهبو » بن المشرف ١٢ — على الأعمال والوزير « نس — شو — تفنت » (؟) بن المشرف على الأعمال والوزير ١٣ — «ثاهبو» بن المشرف على الأعمال والوزير « نس — شو — تفنت » (؟) ١٤ — بن المشرف على الأعمال « ثاهبو » ١٥ — بن المشرف على الأعمال والوزير « نس — شو تفنت » (؟) ١٦ — ابن المشرف على الأعمـــال والوزير « حرمساف » ، بن المشرف على الأعمـال ١٧ — والوزير « مرمر » (؟) بن المشرف على الأعمـال والوزير « حرمساف » بن ١٨ — الكاهن الثانى والكاهن الثالث والـكاهن الرابع ، وكاهن « آمون — رع » ملك الآلهة ١٩ — والمشرف على الأعمال وعمـدة المدينة والوزير « امن — حر — بامشع » (= « آمون » على رأس الجيش) ٢٠ — ابن المشرف على الأعمال وعمدة المدينة والوزير « بيبى » بن ٢١ — المشرف على الأعمال والوزير . . . . (؟) بن المشرف على الأعمال ٢٢ — والوزير « ماى » ابن مدير الأعمال والعمدة والوزير « نفرمنو » بن المشرف ٢٤ — على الاعمال والعمدة والوزير « وزاخنسو » ٢٥ — بن المشرف على الأعمال والوزير « باكنخنسو » ٢٦ — بن كاهن « آمون — رع ملك الآلهة ٢٧ — » الرئيس الأعلى لأسرار بيت « رع » ، والمشرف على الأعمال ٢٨ — فى الوجهين القبلى والبحرى وعمدة المدينة والوزير « رع حتب » (فى عهـد «رعمسيس» الثانى) الذى كانت شهرته أكثر من ٢٩ — وظيفة (؟) المشرف على الأعمال فى الوجه القبلى والوجه البحرى وعمدة المدينة والوزير والكاهن المرتل الأول الملك لوجه القبلى والوجه البحرى ٣٠ — « زوسر » (المسمى) « امحتب » بن المشرف على الأعمال فى «مصر» العليا ٣١ — و «مصر السفلى» «كانفر» الذى أنجبته السيدة ٣٢ — «سانتفرتم» ليته يعيش ٣٣ — سرمديا

١٥ — نقش صخرى لـ « خنم — اب — رع »

هذا النقش يحتوى على سبعة أسطر وقد أرخ بالشهر الرابع من فصل الصيف من السنة السادسة والعشرين من عهد الملك «دارا» الأول (٤٩٦ق.م.) (راجع L. D. III 283 b; Brugsch; Thesaurus 1273 Couyat-Montet Ibid No. 91, p. 67 et pl. 22)

ترجمة المتن : ١ — السنة السادسة والعشرون الشهر الرابع من فصل الصيف من عهد ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « تاروش » « دارا » معطى الحياة أبديا ٢ — المشرف على الأعمال فى الوجه القبلى والوجه البحرى والمشرف على الأعمال فى الأرض قاطبة ٣ — والمشرف على الأعمال العظيمة (؟) والمشرف على الأعمال فى كل مناجم البلاد الجبلية ٤ — «خنم — اب رع» ابن المشرف على الأعمال فى « مصر » العليا و « مصر » السفلى ، والمشرف على الأعمال فى الأرض قاطبة « أحمس » الذى وضعته « ساتنفرتم » ابنة الكاهن الأول والد الاله فى « منف » « بب اعح » (؟) ليته يبقى وليته يمكث ، ليته يمكث سرمديا » .

١٦ — نقش صخرى لـ « خنم — اب — رع »

يحتوى هذا النقش على ستة أسطر .

التأريخ : الشهر الثالث من فصل الزرع من السنة السابعة والعشرين من عهد « دارا » الأول (٤٩٥ ق.م.) (راجع Burton, Excerpta Hieroglyphica Pl. 4 No. 1 ; L. D. III 283 d. ; Brugsch Thesaurus pp. 1237-1238 ; Couyat-Montet Ibid No. 193 p. 100 & Pl. 30 ; Posener Ibid p. 107)

الترجمة : (١) السنة السابعة والعشرون الشهر الثالث من فصل « أخت »

من عهد ملك الوجه القبـلى والوجه البحـرى « دارا » ليته يعيش أبديا (٢) المشرف على الأعمال فى المناجم (؟) فى جبال كل البـلاد الجبلية ، وقائد الأجناد وقائد الرماة ، (٣) والمشرف على الأعمال العظيمة الفنية ، والمشرف على كل الأعمال فى الأرض قاطبة (٤) والمشرف على كل الأعمال الخاصة بكل آثـار « مصر » العليـا و « مصر » السـفلى « خنم — اب — رع » بن (٥) المشرف على الأعمال فى « مصر » العليا و « مصر » السفلى « أحمس سانيت » الذى وضعته السيدة (٦) « ساتنفرتم » ليتها تمكث فى حضرة «مين» و «حور» و « ازيس » و « موت » و « خنسو » سرمديا .

١٧ لوحة متحف « برلين » « خنم - أب - رع »(No. 2120)

تحتوى هذه اللوحة على سبعة أسطر ، وقد اشتريت من « الأقصر » وهى مصنوعة من حجر الشست الأسـود وارتفاعهـا واحد وخمسون سنتيمترا وعرضها ثمانية وثلاثون سنتيمترا .

التأريخ : الشهر الثالث من فصل « أخت » (الفيضان) من السنة السابعة والعشرين من عهد الملك « دارا » (٤٩٥ ق.م.) .

(راجع .A.Z. 49 (1911) p. 69 - 71 ; Posener Ibid p. 108)

الترجمة : (١) السنة السابعة والعشرون ، الشهر الثالث من فصل الفيضان من عهـد ملك الوجه القبلى والوجـه البحـرى « دارا » (٢) ليته يعيش سرمديا محبوب الآلهة « مين » و « حور » و « ازيس » صاحبة « قفط » (٣) المشرف على الأعمال العظيمة الفنية والمشرف على المناجم الجبليـة لكل البلاد الأجنبية ، وقائد الأجناد وقائد الرماة (٤) والمشرف على الأعمـال فى الأرض قاطبة (٥) ومدير الأعمال فى الوجه القبلى والوجه البحرى « خنم —

اب — رع » (٦) بن المشرف على الأعمال « أحمس » (٧) ليته يبقى فى حضرة « مين » و « حور » و « ازيس » صاحبة « قفط » .

١٨ — نقش صخرى لـ « خنم — اب — رع »

يحتوى هذا النقش على أحد عشر سطرا

التأريخ : اليوم الثالث عشر من الشهر الرابع من فصل الشتاء من السنة السابعة والعشرين من عهد « دارا » الأول (٤٩٥ ق. م.) . (راجع L. D. III p. 283 g. ; Lieblein Dic. des Noms. Hierog. No. 1215 ; Couyat - Montet Ibid. No. 14 p. 39. & pl 3 ; Posener Ibid. p. 109.)

الترجمة : السنة السابعة والعشرون الشهر الرابع من فصل الشتاء اليوم الثالث عشر من عهد ملك الوجه القبلى والوجه البحرى سيد الأرضين ليته يعيش أبديا (٣) المشرف على الأعمال العظيمة (؟) والمشرف على الأعمال فى مناجم الجبل لكل البلاد الجبلية (أو الأجنبية) وقائد الأجناد وقائد الرماة والمشرف على الأعمال فى الأرض كلها ابن المشرف على الأعمال فى كل «مصر» العليا و « مصر » السفلى « أحمس سانيت » (٧) الذى وضعته السيدة « ساتنفرتم » (٨) ابنة الكاهن والد الاله فى « منف » « بسمتيك » ، ليته يمكث ، ليته يمكث (٩) ليته يبقى ليته يبقى فى حضرة «مين» صاحب «قفط» (١٠) « حور سازيس » العظيمة ام الآلهة (١١) و « حربوخراد » العظيم بكر اولاد « آمون » أبديا .

١٩ — نقش صخرى لـ « خنم — اب — رع »

يحتوى هذا النقش على ثمانية أسطر . وقد أرخ باليوم الحادى عشر من

الشهر الأول من فصل الصيف من السنة الثامنة والعشرين من عهد الملك « دارا » الأول (٤٩٤ق.م.) (راجع Posener Ibid p. 111.)

الترجمة : (١) السنة الثامنة والعشرون الشهر الأول من فصل الصيف اليوم الحادى عشر من عهد ملك الوجه القبلى والوجه البحرى سيد الأرضين « دارا » الأول عاش أبديا (٢) المشرف على كل أعمال الملك (٣) والمشرف على كل الأعمال فى الأرض قاطبة ، والمشرف (٤) علي الأعمال الفنية ، والمشرف على الأعمال فى المناجم (٥) الجبلية لكل البلاد الجبلية (أو الأجنبية) وقائد الأجناد وقائد الرماة (٦) والمشرف على الأعمال فى « مصر » العليا و « مصر » السفلى « خنم — اب — رع » (٧) ابن المشرف على الأعمال فى « مصر » العليا و « مصر » السفلى « أحمس سانيت » (٨) الذى وضعته السيدة «ساتنفرتم» ليته يبقى فى حضرة « حور » و « ازيس » صاحبة « قفط » سرمديا .

٢٠ — نقش صخرى لـ « خنم — اب — رع »

لم يبق من هذا النقش الا الجزء الأعلى من ثلاثة أسطر .

التأريخ : ان اللقب الوحيد الذى نجده للمشرف على الأعمال « خنم — اب — رع » نجده فى النقش رقم ١٩ وحده ، ويظهر من جهة أخرى من الترقيم الذى وضعه كل من « كويا » و « مونتيه » (١٩ = رقم ١٣٤ ، ٢٠ = رقم ١٣٥) وأن هذين النقشين متجاوران على الصخر . وعلى ذلك يمكن أن نحكم أنهما متعاصران أى حوالى السنة الثامنة والعشرين من عهد الملك « دارا » الأول (٤٩٤ ق.م.) .

(راجع Couyat - Montet No. 135 p. 87 ; Posener Ibid 113.)

ترجمة ما بقى من هذا المتن : (١) المشرف على كل أعمال (الملك) «خنم — اب — رع» ...

٢١ــ نقش صخرى لـ « خنم ــ اب ــ رع »

هذا النقش يحتوى على سطرين

التأريخ : اليوم الخامس عشر من الشهر الرابع من فصل الشتاء من السنة الثلاثين من حكم الملك « دارا » الأول (٤٩٢ ق.م.) .
(راجع Posener Ibid. 114)

الترجمة : (١) السنة الثلاثون الشهر الرابع من فصل الشتاء اليوم الخامس عشر من حكم ملك الوجه القبلى والوجه البحرى سيد الأرضين « دارا » عاش أبديا المحبوب من كل اله (٢) مدير الأعمال فى الأرض قاطبة ، والمشرف على الأعمال فى « مصر » العليا و « مصر » السفلى « خنم ــ اب ــ رع » بن المشرف على الأعمال فى « مصر » العليا و « مصر » السفلى «أحمس سانيت » .

٢٢ ــ نقش صخرى لـ « خنم ــ اب ــ رع »

يحتوى هذا النقش على ثلاثة أسطر .

التأريخ : الشهر الرابع من فصل الفيضان من السنة الثلاثين من عهد الملك « دارا » الأول (٤٩٢ق.م.) (راجع L. D. III 283 f. ; Brugsch Thesaurus, p. 1283 ; Couyat - Montet Ibid. No. 186 p. 96 & Pl. 33; Posener Ibid. p. 114)

الترجمة : (١) السنة الثلاثون الشهر الرابع من فصل الشتاء من عهد ملك الوجه القبلى والوجه البحرى رب الأرضين « أنتروش » (دارا الأول) عاش أبديا المحبوب من كل اله (٢) مدير الأعمال فى الأرض قاطبة . والمشرف على الأعمال فى « مصر » العليا و « مصر » السفلى « خنم ــ اب ــ رع » ابن

مدير الأعمال (٣) فى الأرض قاطبة والمشرف على الأعمال فى « مصر » العليا و « مصر » السفلى « أحمس سانيت » الذى وضعته « ساتنفرتم » .

٢٣ — نقش صخرى لـ « خنم — اب — رع »

هذا النقش يوجد مدونا على الصخر بالقرب من صورة الآله « مين » بعضو التذكير منتشرا ويتألف من ثلاثة أسطر ولم يمكن قراءة التاريخ الذى فى هذا النقش بصورة مؤكدة .

(راجع L.D. II I275 d.; Couyat-Montet (Ibid No. 9 p. 67; Posener, Ibid p. 115)

الترجمة : (١) ليت الاله « مـين » صاحب « قفط » (٢) الآله العظيم يعطى الحياة (٣) الى « خنم — اب — رع » المشرف على الأعمال .

نقوش الموظفين من الفرس وغيرهم فى « وادى حمامات »

كشف حتى الآن اثنا عشر متنا على صخور « وادى حمـامات » خاصة بالموظفين فى العهد الفارسى ، منها عشرة متون لموظفين من أصل فارسى يضاف الى ذلك النقش الصخرى رقم ٣٢ وهو الذى لم يذكر فيه اسم صاحبه ، ويظهر أنه كذلك من أصل فارسى . وهذه النقوش تقع فى عهدى الملكين « دارا » الأول و « اكزركزس » .

ويلحظ أن المتن رقم ٣٥ الذى سنتكلم عنه فيما بعد وهو الذى نقش على الصخر الواقع على الطريق بين « قفط » و « سفاجة » لا يؤلف جزءا من هذه المجموعة ولكنه يعد شاهدا عدلا على أنه كان يقع على طريق مختلف عن الطرق الأخرى التى تخترق الصحراء الشرقية .

٢٤ ـ نقش صخرى لموظف فارسى يدعى « اتياواهى »

يحتوى هذا المتن على أربعة أسطر .

التأريخ : السنة السادسة والثلاثون من عهـــد الملك « دارا » الأول (٤٨٦ق.م.) (راجع Burton, Ibid. Pl. 14 No. 3; L.D. III 283 b ; Couyat Montet Ibid No. 146. p. 90 et Pl. 34 ; Posener Ibid p. 117) .

الترجمـــة : (١) السنة السادسة والثلاثون من عهـــد الإله الطيب رب الأرضين « دارا » معطى الحياة مثل « رع » محبـــوب « مين » العظيم الذى يقطن فى « قفط » (٢) عمل بوســـاطة « ساريس » الفارس (أى الخصى) المسمى « أتياواهى » بن « أرتاميس » الذى وضعته السيدة « قنزو » .

٢٥ ـ نقش صخرى لنفس الموظف السابق

يحتوى هذا النقش على خمسة أسطر .

التاريخ : اليوم التاسع عشر من الشهر الأول من فصـــل الفيضان السنة الثانية من حكم الملك « خشيالش » (اكزركزس Xerxes ٤٨٤ ق. م.) (راجع L. D. III p. 283 n. ; Golenischeff Resultats etc. pl. 18 No. 3; Couyat - Montet Ibid. No. 50. p. 52, Pl 6; Posener Ibid. p. 120)

الترجمة : (١) السنة الثانية الشهر الأول من فصل الفيضان اليوم التاسع عشر (٢) من عهد الاله الطيب رب التيجان ، السيد الذى يقوم بأداء الشعائر . (٣) « اكزركزس » (= خشيالش) . (٤) عمله الساريس (= الخصى) الفارسى المسمى « اتياواهى » .

٢٦ ـ نقش صخر لنفس « اتياواهى » السالف الذكر

يحتوى هذا النقش على خمسة أسطر :

التاريخ السنة السادسة من حكم الملك « اكزركزس » (٤٨٠ق٠م٠)

(راجع ; L.D. III, 283 L. Golenischeff Resultats etc. Pl. 18 No. 2 ; Couyat - Montet Ibid No 286. p. 118 ; Posener Ibid, p. 120 f.)

الترجمة : (١) السنة السادسة من عهـد رب التيجان (٢) « اكزركزس » (٣) عمله «ساريس» (الخصى) الفارسى (٤) حاكم «قفط» (٥) «أتياواهى»

٢٧ ـ نقش صخرى لنفس الموظف السابق

هذا النقش يحتوى على خمسة أسطر معها صورة الاله « مين » جالسـا على مقعد خفيف الحمل .

التأريخ : السنة العاشرة من عهد الملك « اكزركزس » (٤٧٦ ق٠ م٠) .

(راجع Couyat - Montet Ibid. No. 106 , p. 74 et Pl. 27 ; Posener Ibid. p. 121)

الترجمة : (١) الاله « مين » العظيم الذى على مقعده (٢) السنة العاشرة من عهد رب الأرضين « خشيالش » (٣) عمله الساريس (الخصى) اتياواهى (٥) و « أرباوارتا » .

والظاهر كما سنرى بعد أن هذين الخصيين أخوان (انظر النقوش رقم ٣١، ٣٣، ٣٤) .

٢٨ — نقش صخرى لـ « اتيا واهى » السالف الذكر

يحتوى هذا النقش على ستة أسطر .

التأريخ : السنة الثانية عشرة من حكم الملك « اكزركزس » (٤٧٦ ق.م.)

(راجع Burton Ibid. Pl. 8 No. 1; Golenischeff Ibid Pl. 18 No. 4; Posener Ibid p. 122, Couyat - Montat Ibid No. 164, p. 93-94 Pl. 35)

الترجمة: (١) السنة السادسة من حكم رب الارضين « قمبيز » (٢) السنة السادسة والثلاثون من حكم رب الأرضين «دارا»(١) (٣) السنة الثانية عشرة من حكم رب الأرضين « اكزركزس » (خشيالش) (٤) عمله الساريس (الخصى) الفارسى «اتياواهى» ليته يبقى فى حضرة « مين » الذى على مقعده

٢٩ — نقش صخرى لنفس الموظف

يحتوى هذا النقش على ستة أسطر .

التأريخ : السنة الثانية عشرة من عهد « اكزركزس » ٤٧٦ ق. م.) .

(راجع Burton, Ibid. Pl. 14 No. 2, Wilkinson, J. E. A. II, p. 145; L.D. III 2830 Couyat - Montet Ibid, No. 148 P. 91 Pl. 34 ; Posener Ibid. P. 123)

---

(١) من المحتمل أن « أتياواهى » صاحب هذا النقش يذكرنا هنا بزياراته السابقة التى جاء ذكر الثانية منها فى المتن ٢٤ ، وقد ذكر كذلك فى المتن رقم ٣٠ كما سيأتى بعد ، واذا كان هذا الموظف عمره اثناء الحملة التى قام بها فى هذه الجهة « قمبيز » هو حوالى عشرين عاما فان عمره يكون فى السنة الثانية عشرة من عهد « اكزركزس » حوالى سبعين عاما تقريبا . وقد ظن « بركش » وكذلك الأثرى « فيدمان » ان هذا المتن الذى نحن بصدده يقدم لنا مدة حياة «اتياواهى» أى ست سنوات فى عهد « قمبيز » وطوال مدة حكم « دارا » الأول وهو ست وثلاثون سنة ثم اثنتى عشرة سنة من حكم « اكزركزس » . وقد فسرت بنفس الطريقة متون اخرى من هذه المجموعة ولكن المقصود من هذه التواريخ هنا كما يظهر كذلك من المتن رقم ٢٥ هو التواريخ لامجموع السنين .

الترجمة : (١) السنة الثانية عشرة (٢) من عهد الاله الطيب سيد الأرضين (٣) « اكزركزس » (٤) عمله الساريس (الخصى) الفارسى « اتياواهى » بن « أرتاميس » .

٣٠ ـ نقش صخرى لنفس الموظف

يحتوى هذا النقش على أربعة أسطر .

التأريخ : السنة الثالثة عشرة من حكم « اكزركزس » .

(راجع Couyat - Montet Ibid No. 13 p. 39 et Pl. 3; Brugsch Gesch. Aeg. p. 758: Posener Ibid. p. 124)

الترجمة : (١) السنة السادسة والثلاثون من عهد الاله الطيب سيد الأرضين ابن « رع » رب التيجان « دارا » ليته يعيش مثل « رع » أبديا .

(٢) السنة الثالثة عشرة من عهد ابنه ، رب الأرضين ، بن « رع » رب التيجان « اكزركزس » ليته يعيش مثل « رع » أبديا .

(٣) عمله الساريس (الخصى) الفارسى حاكم « قفط » (المسمى) « اتياواهى » .

٣١ ـ نقش صخرى

يحيط متن هذا النقش صورة الاله «مين» واقفا أمام مائدة قربان ويشمل ستة أسطر .

التأريخ : السنة الخامسة من عهد الملك «أرتكزركزس» الأول (٤٦١ ق.م.)

(راجع Burton, Ibid Pl. 8 No. 3; L.D. III 283 p. Couyat-Montet Ibid. No. 144 p. 89 and Pl. 34; Wilkinson J. E. A. 2 p. . 145; Posener Ibid. p. 125)

الترجمة : (١) « مين » صاحب « قفــط » رب المقصــورة « سحنت » (مقصورة خاصة بهذا الاله) .

(٢) السنة الخامسة من عهد ملك الوجه القبلى والوجه البحرى .

(٣) ســيد الأرضين « أرتكزركزس » (= أرتخشش) عاش أبــديا ، المحبوب من الآلهة .

(٤) عمله (؟) الفارسى « اريوارتا » .

(٥) بن « أرتاميس » الذى وضعته السيدة « قنزو » ليتها تبقى فى حضرة « مين » ، و « ازيس » صاحبة « قفط » .

٣٢ — نقش صخرى

يوجد هذا النقش بالقرب من النقش السالف فى «وادى حمامات» ويشمل أربعة أسطر وهو على ما يظهر من وضع صاحب النقش السالف « اريوارتا » وقد حذف توقيعه هنا لمجاورة نقشنا هذا من النقش السالف رقم ٣١ على ما يبدو .

التأريخ : السنة السادسةعشرة من عهد الملك«أرتكزركزس» (٤٥٠ ق.م.)

(راجع Burton, Ibid Pl. 8 No. 3; Wilkinson J. E. A. 2 p. 145; L. D. III 283 p.; Couyat - Montet Ibid No. 145 p. 89-90 & Pl. 34; Posener Ibid p. 126)

الترجمة : (١) السنة السادسة عشرة من عهد الاله الطيب سيد الأرضين. (٢) « أرتكزركزس » . (٣) الملك العظيم (٤) محبوب « مين » (؟) (لم يذكر هنا الاله « مين » ولكن يفهم ذلك بالقريحة) معطى الحياة أبديا مثل « رع ».

٣٣ ـ نقش صخرى

يشبه هذا المتن فى ترتيبه المتن رقم ٣١ ويشمل ثمانية أسطر .

التأريخ : السنة السادسة عشرة والسنة السابعة عشرة من حكم الملك « ارتكزركزس » الأول (٤٥٠ ــ ٤٤٩ ق٠ م٠) (راجع Couyat - Montet Ibid No. 72 p. 61-62 and Pl. 17 ; Posener Ibid p. 127.)

الترجمة : (١) « حور » العظيم بن « ازيس » .

(٢) السنة السادسة عشرة من عهد الاله الطيب رب الأرضين ــ السنة السابعة عشرة .

(٣) « أرتكزركزس » معطى الحياة أبديا مثل « رع »

(٤) « مين » و « حور » و « ازيس » صاحبة « قفط » .

(٥) «آمون ـــ رع» ملك الآلهة ورب السماء ليتهم يعطون الحياة ٠٠٠٠ (؟) من « الفارسى » « اريوارتا » . (٧) المسمى « زدحر » بن «ارتاميس»الذى وضعته السيدة « قنزو » ليته يبقى فى حضرة « حور » و « ازيس » صاحبة « قفط » و « آمون ــ رع » ملك الآلهة ، وسيد السماء (أى « حور »).

٣٤ ـ نقش صخرى

يشاهد فى هذا النقش « ارتكزركزس » يقـــدم قربانا يتألف من اناءين للاله « مين » والمتن الذى يصحبه مؤلف من خمسة أسطر .

التأريخ : يرجع تاريخ هذا النقش الى عهد الملك « أرتكزركزس » وهو مثل النقوش الأخرى التى تنسب للموظف « اريوارتا » (انظر النقش رقم ٢٧ الـــذى يؤرخ بالسنة العاشرة من عهد « اكزركزس » وقد ذكر اسمه قبـــل

اسم آخيه) ، (راجع Couyat - Montet Ibid No. 95 p. 69-70 Pl. 21 ;
Posener Ibid p. 129.)

الترجمة : (١) الاله « مين » صاحب « قفط » (٢) رب الحياة (٣) الرئيس الفارسى « اريوارتا » بن « أرتاميس » ليته يبقى فى حضرة «مين» سيد الحياة

٣٥ — كتابة (جرافيتى) على صخرة

يوجد بالقرب من قرية على مسافة ثمانية كيلومترات من نهاية السكة الحديدية التابعة لشركة الفوسفات التى توجد بالقرب من « بئر واصف » .
(راجع Bisson de la Roque Bull. Soc. Sultanieh de Geographie 11 (1922), 133)

وهذه الكتابة تحتوى على اسم الملك « أنتروش » .

هذا ويطيب ان نذكر هنا أن « ريناخ » (راجع Rapport sur les fouilles de Koptos, 44) قد ذكر أنه رأى طغراء الملك « اكزركزس » عند « بئر واصف » غير أنه لم ينشرها .

٣٦ — قطعة من نقش

وهناك أيضا قطعة من نقش دونت بأربع لغات ، وهاك ما أمكن قراءته من هذا النقش على وجه التقريب : الرئيس (؟) الأعلى للمعسكر العظيم الخاص بالملك « اكزركزس » .

٣٧ — نقوش على أوان

جمع الأثرى « بوزنر » فى كتابه عن الفتح الفارسى لـ « مصر » حوالى ثلاث وستين آنية وقطع من أوان مؤرخة بهذا العهد . وقد نقش عليها كتابات هيروغليفية، وهذه الأوانى معظمها من نوع خاص من الحجر يسمى «أراجونيت

« Aragonite » الا الأوانى التى تحمل الأرقام ٧٤ — ٧٥ — ٧٩ فانها ليست من هذا الحجر ، ومعظم هــذه الأوانى عثر عليها فى الحفائر التى عملت فى بلدة « سوس » بالبلاد الفارسية ، وقد قام بهذه الحفائر رجال فرنسيون . وقد وجد على ست قطع من هذه الآثار اسم الملك « دارا » (٣٧ — ٤٢) وعلى اثنتين وثلاثين منها اسم الملك « اكزركزس » (٤٣ — ٧٧) وعلى خمس منها كذلك اسم الملك « ارتكزركزس » (٧٨ — ٨٢) أما الباقى فانـه لم يمكن نسبته الى الملوك الذين أمروا بصنعه لصعوبة قراءة ما على الأوانى من نقوش.

ويلاحظ أن الأوانى التى باسم كل من الملكين «اكزركزس» و«ارتكزركزس» قد نقش ما عليها من كتابة بالفارسية القديمة والعيلامية والبابلية وذلك على غرار لوحات القناة (٨—١٠) وكذلك المتن رقم ٣٦ ، ولم يحفظ على الكثير من قطع « اللوفر » الا المتن الذى دون بالخط المسمارى ولهذا السبب لم ندونها هنا . ويوجد بالمتحف البريطانى من هذه أربع أكبرها الذى يحمـل رقم (٩١٤٥٩) وقد حفظ عليه الاطار الذى فيه النقش الهيروغليفى وقد أحضر « لوفتوس Loftus » القطع التى فى « لندن » من مدينة « سوس » (راجع Loftus Travels & Researches in Chaldée and Susiana p. p. 49.413) والواقـع أن كل ما ذكرنا هنا من آثار لم يأت على نهـاية كل ما فى المتاحف والمجاميع الخاصة فمثلا يوجد فى متحف « طهران » عـدة قطع من الأوانى الأخمينيسية مستخرجة من « سوس » (راجع Posener Ibid. p. 137 No.7) هذا وتطالعنا أعمال الحفر التى تعمل فى «سوس» كل يوم — بجديد — ولا بد من انتظار نتائج هذه الحفائر فقد تأتى بما لم يكن فى الحسبان .

الأوانى التى من عهد الملك « دارا » الأول

عملت كل الأوانى والقطع التى عليها اسم الملك « دارا » الأول المعروفة حتى الآن من الحجر الأرجوانى (وهو نوع من الكلس) وكل أثر من هذه الآثار

عليه نقش بالخط المسمارى والمتن الذى كتب بالهيروغليفية عليه قد وزع على أعمدة محصورة فى مستطيل جزؤه الأعلى على هيئـة السـماء وقد كتبت هذه الأوانى على قدر ما نعلم بطريقة واحـدة : ملك الوجه القبلى والوجه البحرى سيد القطرين « دارا » عاش مخلدا ، السنة العاشرة .

وكتابة اسم الملك واحدة فى كل الأمثلة المعروفة لنا .

التأريخ : وقد بقى على الآنيتين اللتين تحملان الرقمين ٣٧ (السنة ٣٣) و ٣٨ (السنة ٣٤) وهذا يبرهن على أن المقصود هنا هو الملك « دارا » الأول وذلك لأن ملوك الفرس الآخرين الذين كانوا يحملون اسم «دارا» لم يحكموا مدة طويلة كهذه ، ومن المستطاع بما لدينا من تشابه فى المتون وكذلك من توحيد توزيعها أن نعزو الى ملك بعينه عدة آثار عندما يعوزنا التاريخ .

٣٧ — اناء عثر عليه فى « سوريا » عام ١٩٣١

التأريخ: السنة الثالثةوالثلاثون من عهد الملك «دارا» الأول (٤٨٩ ق.م

والمتن الذى على هذا الاناء لم ينشر بعد (راجع Posener Ibid. p. 138)

٣٨ — قطعة من اناء بمتحف « اللوفر » (A. S 515)

عثر عليها فى حفائر « سوس » ومؤرخة بالسنة الرابعة والثلاثين من عهد « دارا » الأول (٤٨٨ ق. م.) (راجع Delegation en Perse Memoires 7 (1905) p. 40 fig. 47; Borchardt A. Z. 49 (1911) p. 75 & pl. 8, No.4)

٣٩ — قطعة من آنية بمتحف « اللوفر » (10507)

عثر عليها فى حفائر«سوس» وليس عليها تاريخ

٤٠ — قطعة من اناء بمتحف « اللوفر »(A. S. 516)

عثر عليها فى حفائر « سوس » وليس عليها تاريخ .

٤١ — قطعة من اناء بمتحف «اللوفر»(A. S. 518)

عثر عليها فى حفائر « سوس » وليس عليها تاريخ .

٤٢ — قطعة من اناء بمتحف «اللوفر»(A. S. 520)

عثر عليها فى حفائر « سوس » وقد ضاع تاريخها ولم يبق الا جزء من اسم الملك « دارا » .

أوانى الملك « اكزركزس »

صنعت الأوانى وكذلك أجزاء الأوانى التى تنسب للملك « اكزركزس » من حجر ارجوانى عدا الاناءين ٧٤ ، ٧٥ .

هذا ويلحظ أن المتن الهيروغليفى يكمل بوجه عام بنقش مسمارى فيذكر الاسم والألقاب الملكية بالفارسية القديمة ، والعيلامية والبابلية . (راجع Weissbach, Keilinschr. der Achämeniden p. 118-119) .

والمتون الهيروغليفية المعروفة حتى الآن تنقسم نوعين :

١ — فمن الرقم ٤٣ الى ٤٨ نجد :

« ملك الوجه القبلى والوجه البحرى سيد الأرضين « اكزركزس » عاش أبديا السنة العاشرة » :

وهذا الكليشية موحد بالكليشيه الذى يوضع على أوانى الملك « دارا » الأول وهو دائما محاط باطار بنفس الطريقة التى نجدها على الأخير .

٢ — القطع من ٤٩ — ٧٦ :

نجد منقوشا عليها « (اكزركزس) الفرعون العظيم » .

وهذا اللقب مأخوذ من الفارسية القديمة[1] ، والنقوش التى من هذا الطراز

كثيرة جدا وتكون أحيانا محصورة فى مستطيل مثل كليشيه المجموعة السابقة وأحيانا لا تكون فى داخل اطار .

٤٣ — آنية مهشمة بمتحف « اللوفر » (A. S. 561)

نقش عليها متن بالمسمارية ومؤرخة بعهد الملك « اكزركزس » (٤٨٤ ق. م.) .

٤٤ — قطعة من اناء بمتحف « اللوفر » (A. S. 578)

وهذه القطعة ليس عليها كتابة مسمارية وقد أرخت بالسنة الثانية من عهد الملك « اكزركزس » (٤٨٤ ق. م.) .

٤٥ — قطعة من آنية بمتحف « اللوفر » (A.S. 577)

ليس عليها نقوش مسمارية وقد أرخت بالسنة الخامسة من عهد « اكزركزس » (٤٨١ ق. م.) .

٤٦ — قطعة من آنية بمتحف « اللوفر » (A. S. 572)

ليس عليها نقوش بالخط المسمارى ولا يوجد عليها تاريخ أيضا .

٤٧ — قطعة من آنية بمتحف « اللوفر » (D. 60)

وهى خالية من النقوش المسمارية وليس عليها تاريخ أيضا .

٤٨ — قطعة من اناء بمتحف « اللوفر » (10512)

ويلحظ أن المتن الذى على هذه القطعة هو الوحيد الذى كتب أفقيا .

التاريخ : لم يؤكد عليها اسم الملك « اكزركزس » بالهيروغليفية ولـكنه بقى محفوظا فى المتن المسمارى ويلحظ أن السنة قد محيت .

٤٩ — آنية محفوظة فى « باريس » (Cabinet des Medailles, Paris)

والظاهر أنه كان قد عثر عليها فى « مصر » ويوجد عليها كتابة مسمارية

وليس عليها تاريخ وكذلك القطع الأخرى التى بعدها وهى ليست بذات أهمية الى رقم ٧٥ .

٧٦ ــ قطعة من آنية بمتحف « اللوفر » (D. 59)

وجد عليها نقوش بالخط المسمارى .

التاريخ : عرف اسم الملك من النقوش المسمارية التى عليها . ولم يبق من الكتابة الهيروغليفية الا دائرة الطغراء .

٧٧ ــ قطعة من آنية بمتحف « اللوفر » (P. 396)

لم يوجد عليها كتابة مسمارية وانما بقى عليها آثار اسم الملك بالمصرية القديمة .

أوانى الملك « ارتكزركزس »

صنعت الأوانى وقطع الأوانى التى عليها اسم هذا الملك من الحجر الأرجوانى (الحجر الجيرى) الا الآنية رقم ٧٩ وكلها تحمل نقوشا بالمسمارية بثلاث لغات وهى لذلك تشبه آثار الملك « اكزركزس » التى من هذا النوع. ويلاحظ أن المتن الهيروغليفى منقوش فى عمد واسم الملك موحد على كل الأوانى أما النقوش فمن طرازين .

الأول : من ٧٨ ــ ٨٠ يشبه الطراز رقم (٢) من أوانى « اكزركزس » وقد جاء فيه « ارتكزركزس » الملك العظيم .

الثانى : من ٨١ ــ ٨٢ وقد جاء فيه : « ارتكزركزس » الملك .

التاريخ : نجد أن الأوانى التى تحمل الأرقام ٧٨ ، ٨١ ، ٨٢ تشبه أوانى « اكزركزس » ويمكن نسبتها للملك « ارتكزركزس » الأول (راجع

Borchardt Ibid 75 & Noel Giron, Rev. D'Assyriologie 18 (1921) p. 144.)

أما آنية « فنيس » رقم ٧٩ فقد أرخت بحكم « ارتكزركزس » الثالث وذلك بسبب شكلها الخاص (راجع Borchardt Ibid. 75, note 3) .

٧٨ — آنية « برلين » (14463)

اشتريت هذه الآنية فى «القاهرة» وسعتها على حسب ماذكره «بورخاردت» ٤٥٥٠ سنتيمترا مكعبا وهذا يساوى عشرة هنات . اقرن هذه الآنية بالآنيتين رقمى ٩٨ ، ٩٩ حيث المعيار قد ذكر بالهن (راجع Borchardt Ibid 74-77 pl. 8, Fig. 2)

والمتن الذى عليها يشبه المتن الذى على الطراز الأول .

٧٩ — آنية من الجرانيت الرمادى محفوظة فى « فنيس »

عثر عليها فى « برسبوليس » (راجع Borchardt Ibid. 75-77 & pl. 9, 4)

والمتن الذى عليها من الطراز الأول السابق الذكر .

٨٠ — قطعة من آنية بمتحف « اللوفر » (A. S. 574)

عثر عليها فى حفائر « سوس » . والمتن الـــذى عليها من الطراز الأول . ويلحظ أن بداية الاسم الملكى قد ضاع .

٨١ — آنية موجودة بمتحف جامعة « فيلادلفيا » (C. B. S. 9208)

اشتريت فى « بغداد » (راجع Borchardt Ibid , 76-77 & pl. 9, 3 ،

والمتن الذى عليها من الطراز الثانى .

٨٢ — آنية فى مجموعة المسيو « نويل ايميه جيرون » قنصل «فرنسا» فى « بور سعيد »

كانت قد وجدت فى ضواحى « ممبج » (Hierapolis) فى « سوريا » .

(راجع Noel Giron, Rev. D'Assyriologie 18 (1921) p. 143-145)

والمتن الذى عليها من الطراز الثانى .

هذا ولدينا خلافا لذلك عدة أوان لا يمكن نسبتها لملك معين بصفة مؤكدة وقد جمعها الأثرى « بوزنر » وتحدث عنها . (راجع Posener Ibid p. 148)

(ز) نقوش أختام ومقابض صناجات وثقالات عقود « منات » وبرنز

وجد من بين الثمانية عشر أثرا التى عثر عليها من هذا الصنف ستة عشر أثرا باسم الملك « دارا » (١٠١ — ١١٦) وواحدة باسم الملك « قمبيز » (رقم ١٠٠) وواحدة باسم الملك « ارتكزركزس » (١١٧) . ومن المستحيل أن نؤكد أن الآثار التى من رقم ١٠١ الى رقم ١١٤ على حسب ترقيم «بوزنر» هى للملك « دارا » الأول ، واذا كانت الكتابة الخاصة بالاسم الملكى المعروفة لنا من أمثلة أخرى تسمح لنا أن ننسب الأثرين اللذين يحملان رقم ١٠١ ، ١١٤ للملك «دارا» الأول بشىء من الاحتمال فانه من الصعب تأريخ القطع الأخرى. ويميل الأثرى « بوزنر » الى نسبتها لنفس الملك لأنه حكم مدة أكثر من مدة الملك « دارا » الثانى ومن مدة الملك « دارا » الثالث . وقد ترك لنا « دارا » الأول فى الواقع آثارا أكثر منهما فى «مصر». ويمكن أن ننسب الأثر رقم ١١٧ لأسباب مماثلة للملك « ارتكزركزس » الأول .

(راجع ; Wiedmann Gesch. Aeg. p. 240-241 ; Petrie Hist. III p. 364-5 Gauthier L. R. IV p. 148-50) .

قمبيز

١٠٠ — خاتم للملك « قمبيز » بمتحف الفنون الجميلة بـ « موسكو »

وجد لهذا الملك خاتم فى متحف الفنون الجميلة فى « موسكو » . (راجع Tourneiv, Hist. de l'Ancien Orient (en Russe) 2, 177 & 411) ويلحظ أن الطابع الذى أخذ لهذا الخاتم كان رديئا ولذلك كان من الصعب

قراءة هذا الخاتم بصورة مؤكدة . هذا ويطيب أن نذكر هنا أن اسم « قمبيز » قد وجد على قطعة منقوشة فى « منف » وقد ذكرها « پترى » فى كتابه عن قصر « ابريز » . (راجع Petrie, The Palace of Apries p. 11) .

الملك دارا الأول

١٠١ — يوجد فى متحف « اللوفر » مقبض صناجة من الخزف الأزرق المطلى No. Inv.2263

(راجع Pierret Catalogue de la Salle Hist. p. 146 No. 664 ; Posener Ibid p. 153)

والمتن الذى على هذه القطعة هو :

(١) الاله الطيب سيد الأرضين والسيد الذى يؤدى الأحفال ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « دارا » معطى الحياة مثل « رع » أبديا .

(٢) اللعب بالصناجة لأجل سيدة الصناجات الالهة « تفنت » .

١٠٢ — صناجة من الخزف بمتحف « القاهرة » (J. E. 15005)

عثر على هذه الصناجة فى « منف » (راجع Mariette Mon-Div. pl. 34 d; Texte (de Maspero) p. 10 ; Maspero Guide to the Cairo Museum (1903) p. 267)

وقد جاء عليها المتن التالى : « الاله الطيب سيد الأرضين والسيد الذى يؤدى الشعائر ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « دارا » عاش أبديا محبوب الالهة « باست » سيدة « باپنات » (؟) (= مكان غير معروف) .

١٠٣ — قبضة صناجة من الخزف الأخضر

يوجد فى متحف « برلين » (N. 4548) مقبض صناجة كذلك من الخزف المطلى الأخضر عثر عليه فى « تانيس » .

(راجع L.D. I.I. p. 283 a, Sachs, die Musikinstrumente des Alten Aegypten Staatliche Museum zu Berlin, Mitteil. aus der Ag. Sammlung 3, 36 & PL. 5, 65; Borchardt A.Z. 69 p. 73)

والمتن الـذى عليها هو : « الاله الطيب سيد الأرضين « دارا » ليت « باست » تعطى الحياة الى صاحبها » (أى صاحب الصناجة) .

١٠٤ — قطعة من مقبض صناجة من الخزف الأخضر الغامق موجودة فى مجموعة « ناش »

(راجع Nash, P.S. B.A. (1908; P.153 & Pl. 1,15).

والمتن الذى نقش عليها هو « الاله الطيب ، رب الأرضين « دارا » . « پتاح » . . . »

١٠٥ — لوحة صغيرة من الخزف المطلى بمتحف « القاهرة »

اشتريت هذه اللوحة من « تل بسطة » (راجع Naville, Bubastis p. 62)

ونقش عليها ما يأتى : « (١) الاله الطيب رب الأرضين « دارا » معطى الحياة . (٢) ماهس عظيم القوة رب ..... » .

١٠٦ — قطعة من ثقالة عقد « منات » من الخرز الأخضر الباهت

هذه القطعة محفوظة الآن بمتحف « ينفرستى كولدج » بمدينة « لندن » .

والمتن الذى نقش عليها : ..... رب التيجان « دارا » ..... .

١٠٧ — قطعة من ثقالة عقد « منات » من الخرز الأصفر

محفوظة الآن بالمتحف المصرى (J. E. 37050) وقد عثر عليهـا فى خبيئة الكرنك (راجع Legrain, A. S. 8, P. 51) .

وقد نقش عليها : (١) الاله الطيب رب الأرضين ملك الوجه القبلى والوجه

البحرى « دارا » معطى الحياة .... (٢) محبوب « حورور » سيد الوجه القبلى .

١٠٨ — قطعة ثقالة عقد « منات » من الخزف الأخضر الباهت

موجودة الآن بمتحف « اللوفر » (Louvre E. 14221)

المتن : الاله الطيب ، رب الأرضين ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « دارا » ليته يعيش أبديا ......

١٠٩ — قطعة ثقالة عقد « منات » من الخزف الأخضر الصافى اللون

موجودة الآن بمتحف « اللوفر » (راجع Louvre J. E. 640 ; Pierret, Catalogue de la Salle Hist. 110 No. 456)

وقد نقش عليها ما يأتى : « الاله الطيب رب الأرضين ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « دارا » عاش أبديا .

١١٠ — قطعة من ثقالة عقد « منات » من الحجر الجيرى الملون باللون الأخضر

محفوظة الآن بمكتبة البلدية بمدينة « فرانكفورت » على نهر « المين » ، عثر عليها بـ « الفيوم » .

ونقش عليها : « ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « دارا » .... » . (راجع Posener. Ibid. p. 158)

١١١ — ثقالة عقد « منات » من الخزف الأخضر الباهت

وهى موجودة الآن بمتحف « ينفرستى كولدج » بمدينة « لنـدن » .

(راجع Petrie, Scarabs and Cylinders p 57 & pl. 57)

ونقش عليها : « الاله الطيب ، رب الأرضين « دارا » معطى الحياة » .

١١٢ — ثقالة عقد «منات » من الخزف الأزرق السماوى اللون

وهى محفوظة الآن بمتحف « فلورنس » (No. 854)

(راجع Schiaparelli : Museo Archeologico di Firenze Antichita egizie 180, No. 1451)

والمتن الذى عليها كالمتن السابق .

١١٣ ـ الجزء الأسفل من ثقالة عقد « منات » من الخزف الرمادى الأخضر

وهو موجود الآن بالمتحف البريطانى (No. 17162) . (راجع Petrie Historical Scarabs Pl. 63 No. 1999)

وقد جاء عليها المتن التالى : « + + + + + « دارا » معطى الحياة أبديا » .

١١٤ ـ قطعة من لوحة من البرنز

وهى موجودة الآن بمتحف « القاهرة » (J.E. 38050) .

وقد مثل على هذه اللوحة موكب ملوك يحملون قربانا ولم يبق من هـذا الموكب الافرعون واحد ، وساق آخر وأمامهما طغراءان موحدان . عثر على هذه القطعة فى خبيئة الكرنك (راجع A.S. 8 .p. 51)

وجاء عليها المتن التالى : « دارا » .

١١٥ خاتم من البرنز

يوجد هذا الخاتم بالمتحف البريطانى (No. 48929) . وقـد عثر عليه فى الواحة الخارجة (راجع Hall. Cat. of Egyp. Scarabs etc. in the British Museum 284 No. 2744)

وجاء عليه المتن التالى : « دارا » .

الملك دارا

١١٦ — حدوة مثلثة الشكل من البرنز

هذه القطعة موجودة الآن بمتحف « اللوفر » (E. 5355)
(راجع Pierret Catalogue de Salle Hist. 164 No. 665) .

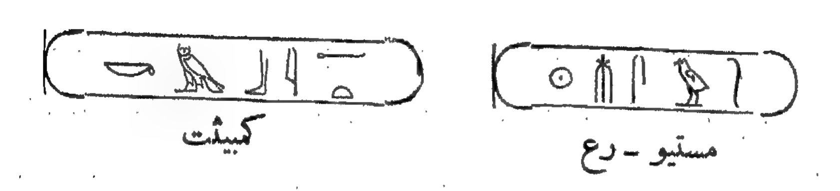
وجاء عليها المتن التالى : « الاله الطيب رب الأرضين ملك الوجه القبلى والوجه البحـرى « دارا » (أنتروش) محبوب « أوزير » معطى الحيــاة والدوام والظهور مثل الشمس أبديا .

الملك « أرتـكزركزس » (= أردشير)

١١٧ — قطعة من تعويذة من الخزف المطلى موجودة بالمتحف المصرى

(J.E. 38023)وجدت فى خبيئة الكرنك (راجع Rec. Trav. 28, p. 148).
لم ينشر « لجران » متن هذه التعويذة .

« عهد الملك قمبيز »



ذكرنا فى الفصل السابق الوثائق التى وصلت الينا حتى الآن من الآثار المصرية المباشرة من عهد الحكم الفارسى الأول لـ «مصر» . وسنحاول هنا أن نستخلص تاريخ تلك الفترة من هذه الوثائق وغيرها مما وصل الينا من مصادر أخرى تمت الى هذه الفترة من تاريخ أرض الكنانة . وأول وثيقة تميط لنا اللثام عن أحوال الفتح الفارسى لـ « مصر » وتسلط « قمبيز » عليها واقامته فيها هى النقوش التى جاءت على تمثال «وزاحر رسن» الموجود حاليا بمتحف « الفاتيكان » . والواقع أن «وزاحر رسن» هذا قد لعب دورا هاما فى هذه الفترة من تاريخ البلاد المصرية ، ومن أجل ذلك سنفحص نقوشه فحصا دقيقا وندرسها درسا وافيا مستفيضا بغية الوصول الى نتيجة مرضية .

ولد « وزاحر رسن » فى مدينة « سايس » الواقعة بالقرب من « كفر الزيات » الحالية، من أبوين مغمورى الذكر . وكان أبوه يسمى «بفتوعونيت» وتدعى أمه السيدة « أتم أردس » . وتدل شواهد الأحوال على أن والده لم يكن معروفا من قبل ، وقد حاول بعض الأثريين أن يوحد اسمه وألقابه باسم وألقاب صاحب تمثال رجل عظيم بمتحف « اللوفر » غير أن تلك المحاولة قد أخفقت لأن ألقاب هذين الرجلين لم يكن بينها شبه ما ، وذلك لأن صاحب تمثال « اللوفر » كان ذا مكانة عظيمة فى حاشية آخر ملوك العهد الساوى فى حين أن والد « وزاحر رسن » لم يكن يحمل أى لقب دينى كسميه ، وعلى

ذلك يجب أن نضرب صفحا عن محاولة ايجاد أى تقارب بين هذين الرجلين ، ومن ثم تترك جانبا التفسير الذى أدلى به الأثرى « رفييو » وعاضده فيه الأثرى «مالت» وهو أن « وزاحر رسن » قد أصبح خائنا لبلاده حقدا عليها وتنكرا لها بعد أن فقد وظائفه الدينية العالية التى كانت وراثية فى أسرته .

(راجع Rev. Egypt I (1880) p. 70-71 ; Culte de Neit à Sais p. 144 ;
Prasek, Forschung zur Gesch. des Altertums 1, 2.)

وقد نفى « جوتييه » (راجع Gauthier L. R. IV P. 112, No. 3.)

حيث يقــول ان اولاد الملك « ابريز » كانوا معــروفين لدينا وعلى ذلك لا يوجد أى سبب يحملنا على الظن مع « رڤييو » أن « أتم أردس » التى جاء ذكرها على تمثال متحف « الڤاتيكان » كانت ابنة ملك .

أما القــول بأن « وزاحر رسن » نفسه كان شــطربة كما ادعى المؤرخ « پراشك » فليس له نصيب من الصحة قط .

(راجع Prasek, Gesch. der Meder und Perser. 2, 48 & 109) .

هذا ولا يمكن توحيده مع « كومبافيس Kombaphis » ؛ كما ذكــر لنــا ذلك الأثرى « بركش » أيضا . (راجع Brugsch id. 1, 251) وعلى أية حال فانه لا يمكن أن ينسب الى « وزاحر رسن » هذا على قدر ما وصلت اليه معلوماتنا أى أثر غير تمثال « الڤاتيكان » وتمثال آخــر وهو التمثال رقم ٢ الذى تحدثنا عنه من قبل .

مجال حياة «وزاحر رسن»

تحدثنا نقوش تمثال « وزاحر رسن » على أن مجال حياته كان مدنيا فى الأصل . فقدكان فى عهد الملك « أحمس » الثانى « أمسيس » يشغل وظائف مدنية عالية ولا نعرف شيئا عن سلوكه مدة احتدام الحرب التى وقعت بين « مصر » والفرس ، غير أنه لوحظ بعد انتهاء هذه الحروب أنه كان من بين رجال حاشية الملك « قمبيز » . ولا نزاع فى أنه كان يميل كل الميل الى جانب الفرس وقد كان له تأثير على نتيجة الحرب التى قام بها الفرس لفتح «مصر» وبخاصة عندما نذكر أن « وزاحر رسن » كان قائدا للاسـطول المصرى فى البحر فى عهد « پسمتيك » الثالث فقد وضعه هذا المنصب السامى فى مكانة خاصة غاية فى الاهمية .ومن المحتمل انالخدماتالعظيمةالتىاداها فعلا لملك الفرس والتى كان لا يزال يؤديها بعد تقربه من الفرس ، قد خولت له أن يتوسط لدى «قمبيز » فى صالح أسرته وفى صالح مدينته « سايس » مسقط رأسه ، كما توسط كذلك لدى الملك لخدمة الآلهة المصرية . ويدل ما لدينا من نقوشه على أنه قد احتفظ بعدد عظيم من ألقابه وقد نال فضلا عن ذلك ألقابا جديدة من الفرس ، وبخاصة لقب « رئيس الأطباء » ، ولا بد أن هذا اللقب كان لقبا حقيقيا لا لقب شرف وحسب . أما الوظيفة الهامة التى كان يقوم بأدائها لدى ملك الفرس فهى وظيفة رئيس المراسيم ومرشد الملك الى كل العادات المصرية القديمة من دينية واجتماعية وغير ذلك .

وتحدثنا النقوش أن « وزاحر رسن » قد سافر بعد وفاة « قمبيز » الى الخارج أى فى عهـد الملك « دارا » الأول فقد ذهب الى « عيلام » ليكون بالقرب من مليكه ، ولكن لا نعلم شيئا قط عن الأحوال التى اقتضت هـذا السفر .

وقد ذهب المؤرخون مذاهب شتى متضاربة فى هذا الصدد ولا حاجة بنا الى سردها هنا فانها كلها محض حدس ورجم بالغيب .

(راجع Revillout. Rev. Egypt. I (1880) p. 71 ; Maspero, Hist. Anc. des Peuples de l'orient Classique 3,685: Farina Bibychnis, 18 (1929) 455)

وعلى أية حال نعلم من نقوش « وزاحر رسن » أن العاهـل الجديد أى « دارا » قد أرسله الى « مصر » فى بعث رسمى كما سنتحدث عن ذلك بعد وقد كان القيام بتنفيذ هذا الأمر آخر عمل قام به جاء فى النقوش التى تركها لنا وقد استغرق حوالى ستة أعوام .

والواقع أن ما جاء فى نقوش تمثال « وزاحر رسن » يعد دفاعا عن موقفه بالنسبة لبلاده فقد أراد أن يفهم خلفه بأنه كان جديرا بكل حمـد وثناء من أسرته ومن مدينته ومن رؤسائه وبوجه خاص من آلهتـه ، ومما يلحظ فى نقوشـه أنه لم يذكر لنا من الوقائع التاريخية الا التى اشـترك فيها هو ، وبخاصة عندما تكون هذه الوقائع عونا له على اظهار تقاه وصلاحه وخدماته لآلهة « سايس » مسقط رأسه . واذا كان «قمبيز» لم يظهر اهتمامه الا بمعبد الالهة « نيت » واذا كان « وزاحر رسن » قد أظهر نفس الاهتمام بوصفه الساعد الأيمن لملك الفرس فان ذلك كان يرجع بلاشك للاختيـار الخفى للأمور التى ذكرها لنا صاحب التمثال فى نقوشه ، هذا بالاضافة الى انه كان فى خدمة اجانب أى فى خدمة الفرس فكان مدينا لهم بمركزه الهام ، ولذلك كان عليه ان يختار من الأمور ما يعجبهم ثم يعرضها عليهم دون تعليق بعد أن كان قد أخذ للامور عدتها ومهد السـبيل بما لديه من سياسة وتجارب لتنفيذها دون تعليق ، وهذه هى التحفظات التى يجب أن نضعها هنا من جهة

القيمة التاريخية لهذه الوثيقة ، ومن جهة أخرى يجب أن نلحظ أن ما قصه علينا « وزاحر رسن » فى نقوش تمثاله كان مفروضا أن يقرأه المارة (هذا اذا كان تمثاله على ما يظهر موضوعا فى معبد « أوزير » بمدينة « سايس ») وكان معاصرا للحوادث التى ذكرها عليه، هذا ومن الطبعى أن يضع أمام المارة صورة مشوهة جدا عن العصر الذى عاش فيه هو ، وأن يفهم القوم أنه أسهم فى الاصلاحات التى جرت فيه . على أنه كيف يكون رئيس الأطباء « وزاحر رسن » هذا ليس فى حاجة الى ملق الملك « قمبيز » ؟ والواقع أن هذا يرجع الى أن المتن قد وضع بعد موت هذا الملك ، يضاف الى ذلك أنه على الرغم من أن « وزاحر رسن » كان ميالا بعواطفه الى الفرس، الا أنه قد تحدث عن وجود اضطرابات عظيمة فى أيامهم فقد أشار الى التخريب الذى سببه الأجانب فى أثناء حروبهم وتوطيد اقدامهم فى «مصر» واخيرا نجد انه قد برهن على حياده فى تلك الفترة بأن وضع أسماء ملوك الأسرة الساوية فى طغراءات وأسبقها بلقبى ملك الوجه القبلى والوجه البحرى كما فعل مع ملوك « فارس » ، وذلك فى حين أننا نجد بعض الوثائق كانت لا تعترف بالملك « أحمس» الثانى ملكا كما جاء ذلك فى تاريخ « هرودوت » . (راجع Herod. III, 16) ، وكما ذكر لنا « ماسبرو » (راجع Hist. III p. 663) و « جريفث » أيضا (راجع Pap. Ryland III, p.99) ومن جهة أخرى نجد فى تواريخ المتون المكتوبة بالخط الديموطيقى أن الأمر كان على عكس ذلك اذ نرى أن « أحمس » الثانى قد عومل بوصفه ملكا على حين أن « قمبيز » وحتى « دارا » قد ذكرا بوصفهما شخصين عاديين .

(راجع Spiegelberg A. Z. LIII p. 30 ; Sottas, A.Z. 23 p. 46)

ومن ثم لا ينبغى علينا الا تقلل من القيمة التاريخية لهذا المتن الذى نحن

بصدده وألا نعد صاحبه رجلا وصوليا ، ولكن بشرط أن نذكر أن الحوادث التى دونها فى هذا المتن كانت قد اختيرت بصورة شخصية توحى بما يشتم منه رائحة التحيز ، ومن ثم يمكن استعماله واستخلاص معلومات ثمينة من محتوياته .

والواقع أن « وزاحر رسن » قد وصف لنا فى متنه هـذا فتح الفرس لـ « مصر » بألفاظ تنطوى على الابهام ، فلم يذكر لنـا الحروب التى قامت بين البلدين ، وهذا الصمت من جهة « وزاحر رسن » كان أمرا طبيعيا لأن ذكرها فى هذا الوقت لم يكن من السياسة أو اللبـاقة التى يحمـد عليها صاحبها ، ولا تدعو الى الفخار فى ظرف كهذا ، وعلى ذلك فقد أراد أن يمثل لنا الملوك الأجانب الذين اغتصبوا « مصر » بأنهم كانوا يواصلون بأمـانة انجاز الأعمـال التى بدأها الملوك الوطنيون . والواقع أن الدور الـذى قام به « سماتوى تفنخت » فى أثناء الفتح الفارسى الثانى لـ « مصر » على يد « أردشير » الثالث يشبه الدور الذى قام به « وزاحر رسن » غير أنه يعد أقل وضوحا من الدور الذى قام به الأخير كما سنرى بعد . وتدل ظواهـر الأمور على أن كلا منهما كان يلعب دورا مزدوجا فكان مذبذبا بين هـؤلاء وهؤلاء .

(راجع Spiegelberg, Chronique demotique de Paris Recto. V 15-16) حيث يقول عند التحدث على غزوة « ارتكزركزس » الثالث لـ « مصر » أن الأجانب كانوا يصلون الى « مصر » فى وقت واحد من الشرق ومن الغرب .

والواقع أن الفتح الفارسى فى القصـة التى رواها لنـا رئيس الأطبـاء « وزاحر رسن » قد ظهر فى صـورة هجرة اذ يقول : « ان سكان البـلاد الأجنبية الذين أتوا مع « قمبيز » قد استوطنوا « مصر » » ، وفى فقرة أخرى

نجد أن مهاجمين قد استقروا فى معبد الالهة « نيت » . ولا نزاع فى أن المقصود من ذلك كان رجال الجيش الفارسى الذين أبقاهم معه « قمبيز » طوال مدة اقامته فى « مصر » (٥٢٥ — ٥٢٢ ق.م.) . وقد كانت « مصر » فى عهده تعد بمثابة قاعدة للأعمال الحربية التى قام بها على بلاد « كوش » والواحات ، ومن المحتمل أن عددا من سكان البلاد المجاورة لـ « مصر » قد انتهزوا فرصة الفتح الفارسى ودخلوا « مصر » مستوطنين فيها . وقد يكون ذلك صحيحا كما جاء فى الوثيقة السالفة التى من عهد الملك « اكزركزس » .

وتدل الوثائق التى فى متناولنا على أن الغزاة كانوا من سلالات عدة ، ولذلك نجد أن « وزاحر رسن » قد اختار التعبير الملائم للدلالة على ذلك فى نقوش تمثاله ، فقد قال عنهم : « الأجانب الذين من كل البلاد الأجنبية » . والواقع أن البردية الآرامية التى عثر عليها فى « مصر » والتى يرجع عهدها الى القرن الخامس تكشف لنا عن وجود فرس وخوارزميين وكسبيين ، وبوجه خاص جم غفير من الساميين يحملون أسماء بابلية وآرامية ويهودية (راجع Ed. Meyer, Das Papyrusfund Von Elephantine 25 et Noël Aimé-Giron, Textes Araméens d'Egypte p. 58)

هذا وقد دل على وجود جنود من البابليين فى جيش « قمبيز » وثيقة بالخط المسمارى . (راجع Meissner, A.Z. 29 p.123)، وقد أحس المصريون بوصول هؤلاء الأجانب بما ارتكبوه من عنف وقسوة، وكان ذلك بلا نزاع بداية عهد من الفوضى وسوء النظام ، ويلحظ أن رد الفعل الذى أحدثته الغزوات الفارسية لـ « مصر » فى الأدب والدين ذو طابع هام بارز ، ففى أسطورة الاله « حور » التى نقشت على جدران معبد « أدفو » نجد أن الاله « ست » عدوه قد أحفظه وأثار غضبه بوصمه له بأنه ميدى (أى فارسى)

(راجع Chassinat Edfu, 6, 214-215 F; Kees, Kult-legende und Urgeschichte, Nachr., Göttingen 1930 p. 346)

هذا ونجد أسماء أقوام الأقواس التسعة القديمة أعداء «مصر» التقليديين (راجع « مصر القديمة » الجزء التاسع ص ١١٨) قد بدءوا يسمون بأسماء حديثة فنجد أن رماة الصحراء الذين وحدوا بالبدو قد سموا بأهل بلاد « ميا » .

(راجع Chassinat, Edfu, 6, p. 198; Sethe, Spuren der Perserherrschaft Nachr., Göttingen 1916) p. 130)

هذا ويلحظ أن التعبير « أجانب كل البلاد الأجنبية » الذى ذكرناه فيما سبق يدل على الغزاة فى المثنين رقم ١ ، ٦ . ويوجد فى نفس نقش معبد « أدفو » الذى نحن بصدده صيغ سحرية عملت ضد أعداء الملك وهؤلاء هم فى الأصل آسيويون (راجع Ibid, 6, 235) . وتدل الأحوال على أن « وزاحر رسّن » لم يخف ما ارتكبه الأجانب من آثام . ويلحظ هذا فى الفقرتين الشهيرتين من نقوشه وهما اللتان تذكران : « الاضطراب العظيم جدا الذى حدث فى مقاطعة « سايس » وفى كل « مصر » . وهذا الاضطراب لم يحدث مثيله من قبل » .

وقد أراد بعض المؤرخين أن يرى فى هذه الاضطرابات اشارة الى أعمال العنف التى ارتكبها « قمبيز » فى « مصر » وهى التى ذكرها الكتاب الأقدمون وبخاصة « هردوت » وهناك الفقرات التى جاء فيها ذكر هذا العنف .

(راجع Herod. 3, 16, 27, 130; Diodorus 1,46; Strabo 17,1, 27; Plutarch, De Iside 44; Justin 1,9, etc.)

وقد تابع « قمبيز » السير من مدينة « منف » الى مدينة « سايس » قاصدا أن يتم ما بدأه ، لأنه عندما دخل قصر « أحمس » الثانى أمر فى الحال بأن يحضر جسم « أحمس » الميت من ضريحه ، وعنـــدما تم له ذلك أعطى الأوامر بجلده ونتف شعره ووخزه وانتهاك حرمتـــه بكل طريقـــة ممكنة ، ولكنهم عندما أخذ منهم التعب كل مأخذ من هذا العمل (لأنه لما كان الجسم محنطا فقد قاوم ولم يمزق اربا اربا) أمر « قمبيز » بحرقه وبذلك أمر بما هو كفر لأن الفرس كانوا يعتبرون النار الها (أى يعبدونها) ، ومن ثم فان حرق الميت لم يكن بحال مسموحا به فى كلتا الأمتين (الفارسية والمصرية) فلم يكن مسموحا عند الفرس للسبب السابق وذلك لأنهم يقولون أنه ليس من الحق أن تقرب لاله جسم انسان ميت ، أما من جهة المصريين فقد كانت النار تعد حيوانا حيا وانها تلتهم كل شيء يمكن أن تصل اليه ، وعندما تتخم بالطعام تخبو بما التهمته وعلى ذلـــك كان قانونهم ألا يعطى بأية حـــال من الأحوال جسم ميت لحيوانات مفترسة ، ولهذا السبب كانوا يحنطونها «حتى لا ترقد وتأكلها الديدان » .

ومن هذا نرى أن « قمبيز » قد أمر بشيء منبوذ فى عادات الأمتين . وعلى أية حال فان المصريين يقولون أنه ليس « أحمس » الثانى الذى عومل بهذه المعاملة بل كان مصريا آخر فى نفس قامة « أحمس » الثانى قد أهانه الفرس ظانين انهم قد أهانوا « أحمس » ، لأنهم يقولون ان « أحمس » كان قـــد أخبر بوحى بما سيحدث له بعد الموت لأجل أن يعالج الشر الذى كان سيلحق به ، ولذلك دفن جسم هذا الرجل الذى عذب بالقرب من باب مدفنه وكلف ابنه بأن يدفن جسمه هو فى أقصى جزء فى الضريح .

والآن فان هذه الأوامر التى أعطاها « أحمس » وهى الخاصة بدفنه هو ، ودفن هذا الرجل يظهر لى أنها لم تعط قط ، ولكن المصريين يفخرون بها كذبا وجاء فى فقرة أخرى (Herod. III 27) : « وعندما وصل « قمبيز » الى « منف » ظهر العجل « أبيس » للمصريين وهو الذى يسميه الاغريق « أبا فوس » وعندما حدث هذا الظهور أسرع المصريون فى الحال الى ارتداء أثمن الملابس وأقاموا أعيادا انقطعوا أثناءها عن العمل . وعندما رآهم « قمبيز » مشغولين هكذا استنبط منهم أنهم يقومون بهذه الأفراح بسبب عدم نجاحه فى حملته على بلاد النوبة ، فأمر حكام « منف » بالحضور أمامه ، وعندما مثلوا فى حضرته سألهم : « لماذا لم يفعل المصريون شيئا من هذا القبيل عندما كان فى « منف » من قبل ثم فعلوا ذلك الآن عندما عاد فاقدا جزءا عظيما من جيشه ؟ » فأجابوا أن الههم قد ظهر لهم وهو الذى كان معتادا أن يظهر فى فترات متباعدة وانه عندما ظهر كان المصريون جميعا قد اعتادوا أن يفرحوا ويقيموا أعيادا وعندما سمع « قمبيز » بذلك قال لهم انهم كذبوا وأمر بقتلهم بسبب كذبهم (٨) وبعد قتلهم أمر بمثول الكهنة فى حضرته ، وعندما قص الكهنة نفس القصة قال انه سيكشف فيما اذا كان الها طيعا على هذا النحو قد أتى بين المصريين ، وبعد أن قال ذلك أمر الكهنة أن يحضروا « أبيس » اليه وعلى ذلك ذهبوا ليحضروه . وهذا العجل « أبيس » أو « أبا فوس » هو عجل بقرة لا يمكنها أن تحمل فى غيره ، ويقول المصريون ان الثور ينزل من السماء على البقرة ومن ثم تضع « أبيس » ، وهذا العجل الذى يسمى « أبيس » يميز بالعلامات التالية : انه عجل أسود فيه بقعة مربعة بيضاء على جبهته وعلى ظهره صورة نسر وفى الذيل شعر مزدوج وعلى لسانه صورة جعران (٢٩) .
وعندما أحضر الكهنة « أبيس » استل « قمبيز » خنجره كانسان يكاد أن

يكون قد خرج عن حواسه ، قاصدا بذلك بقر بطن « أبيس » ولكنه ضربه في فخذه ، وبعد ذلك أخذته نوبة ضحك قائلا للكهنة « أنتم أيها الأغبياء هل هناك آلهة مثل هذه من دم ولحم وتحس بالفولاذ ؟ حقا ان هذا اله جدير بالمصريين ، ولكنكم لن تهزءوا منى » ، وبعد أن تكلم هكذا أمر رجاله بتعذيب الكهنة وقتل كل المصريين الذين كانوا يجدونهم ، على يد هؤلاء الذين كان هذا عملهم ، وعلى ذلك فض عيد المصريين وعوقب الكهنة ، ولكن « أبيس » الذى جرح فى فخذه خارت قواه فى المعبد ، وفى النهاية مات من الجرح ودفنه الكهنة دون علم « قمبيز » .

وفى فقرة أخرى نقرأ عن تعسف « قمبيز » ما يأتى : (راجع Herod. III Par. 37) وبعد ذلك ارتكب أعمالا جنونية مع الفرس وحلفائه أثناء مكثه فى «منف» اذ فتح المدافن القديمة وفحص الأجسام الميتة ، وكذلك دخل معبد «فلكان» واحتقر تمثاله لأن تمثاله كان شديد الشبه بتمثال «باتيس Pataice» الفنيقى وهو الذى يضعه الفنيقيون عند مقدمة سفنهم الحربية وهو على صورة قزم ، وكذلك دخل معبد « كابيرى » (وهو محرم على كل فرد دخوله الا الكهنة) وحرق هذه التماثيل بعد أن مثل بها بطرق مختلفة . وهذه كلها مثل تمثال « فلكان » ويقولون أنها أولاد هذا الأخير هذا ما أورده لنا «هرودوت» (١) غير ان ما جاء فى متن « وزاحر رسن » ليس فيه ما يسوغ حتى التقريب بينه وبين ما جاء فى « هرودوت » ، وذلك لأن الكلمة المصرية التي استعملها « وزاحر رسن » فى متنه وهى كلمة « نشن » لا تعنى فى الواقع الا اضطرابا سياسيا أو فوضى ولا تعنى قط مصيبة أو كارثة . واذا

Diodorus I, 46, Strabo, 17,1, 27 ; Plutarch De Iside, 44 ; Justin I, q etc.

جاز لنا أن نثق فى الصيغ الثابتة التى تستعمل فى وصف « تعذيب كبير » فانا نكون هنا أمام حالة فوضى وسوء نظام يمكن أن نجعل سكان مدينة عظيمة فى خطر مما يجعل القوى يقهر الضعيف ويترك الخائف دون حماية كما جاء فى متن تمثال « وزاحر رسن » • ولكن هذا الوصف لا يمكن ان يعزى الى أعمال الشدة التى ارتكبها « قمبيز » كما حدثنا عن ذلك « هرودوت » وهى الفظائع التى ذكرناها فيما سبق والواقع أن تعسف « قمبيز » كان موجهـا بصورة خاصة للدين ، ولكن على ما يظهر لم يمس هـذا التعسف صغار الشعب الذين يتحدث عنهم متن تمثال « وزاحر رسن »اذ ان هذه الأعمال تصبغ بصفة كارثة عامة نزلت بالبلاد جميعها مثل الاضطراب الذى يحدثنـا عنه متن التمثال .

ومن جهة أخرى ليس امامنا ما يبرر ان « وزاحر رسن » قد اشـار من طرف خفى الى أعمال السوء التى ارتكبها « قمبيز » سيده وحاميه وهو الذى كان يعمل جاهدا باستمرار على اظهار مقاصده الحسنة نحو « مصر » أما ما يجب أن نفهمه من عبارة « الألم العظيم » فيبحث عنه فى نفس متن تمثـال « وزاحر رسن » فالاضطراب الذى فوجئت به البـلاد جميعا قد نتج عن استقرار الأجانب فى « مصر » ، كما ذكر فى المتن ، أما سـوء النظام الذى حدث فى مقاطعة « سايس » فنجد مقابلا له فى اقامة الغزاة فى معبد الالهـة « نيت » .

وهذا التغير فى حالة البلاد يؤكده بصفة غير مباشرة ما جاء فى عقد بابلى خاص ببيع عبد مصرى (Meissner A.Z. (1891) p. 123-124) وهذا العبد كان قد جىء به الى « مسوبوتاميا » عام ٥٢٥ق.م. بوصفه غنيمة حرب ومن ثم يمكننا القول بأنه فى بداية الفتح الفارسى كان سكان « مصر » يجتازون

فترة أليمة فى حياتهم . ومع ذلك فانه بعد الفتح الفارسى تدل الأحوال على أن الحياة قد عادت بسرعة الى مجراها الطبيعى . ففى نهاية السنة السادسة من عهد « قمبيز » (٥٢٤ق.م.) كان فى الامكان الاحتفـــال بدفن عجــل « أبيس » كما جاء ذلك فى الوثيقة رقم ٣ ، وكذلك فى نفس السنة نرى أحد الكهنة القاطنين فى الدلتا قد أرسل فى طلب مرتبه فى معبد من معابد « مصر » الوسطى (راجع Griffith Ryl. Pap. 3, 105-106) وأخيرا نجد فى أربع وثائق من عهد « قمبيز » ما يبرهن على أن حكمه فى « مصر » كان لصــالح البلاد ورقيها . (راجع Sottas A.S. 23. p. 46)

ومما يؤسف له أن متن تمثال « وزاحر رسن » لم يقدم لنا تفاصـــيل أكيدة عن هذا الموضوع فلم نعلم منه شيئا الا ذكره احتلال معبد «سايس». ومن المحتمل أن المدرسة التى كان يجب أن تكون بجوار المعبـــد قد خربت ونهبت ، وذلك لأن الملك « دارا » فيما بعد كان مضطرا لأن يهبها كل المواد اللازمة لاصلاحها . ولا نزاع فى أن اصلاح مدرسة «سايس» كان من أعمال «دارا» لا من أعمال سلفه، ومع ذلك فانه يظهر أن «قمبيز» قد كبح جماح جنوده بمنعهم من التعدى على الأهلين وأصلح على الأقل ولو جزئيا الأضرار التى نتجت عن الغزو . وقد وصف لنا ذلك المتن رقم ٢ ، ومن جهة أخرى نعرف على حسب رأى المؤرخ اليهودى « چوسيفس » (راجع Ant. Jud II, 15, 315) أن « قمبيز » أسس مدينة « بابل » القريبة من « منف » (راجع Ed. Meyer Sitzungsber. Pr. Ak. Wiss. (1915) p. 310 note 1)

ونعرف مكانين يحملان اسم الفاتح الفارسى « قمبيز » ، واحـــد منهما جنوبى الشلال الثانى (راجع Ptolemie, 4, 7 ; Pline Hist. Nat. 6, 181) والثانى عند قناة السويس (راجع Id. 6, 165) وينسب « ديودور »

الصقلى (راجع Diod. 1,33) الى « قمبيز » تأسيس مدينة « مروى » (١) بالسودان .

هذا ونعلم أن الغزاة قد طردوا بأمر من « قمبيز » من داخل سور الالهة « نيت » ، كما امر بتطهير المعبـد ، وعلى ذلك يمكن « وزاحر رسن » أن يتحدث عن تعسفات الأجانب وذلك لأن سيده وحاميـه « قمبيز » لم يكن شخصيا مسئولا عنها بل على العكس حارب تلك التعسفات وأوقفها .

سياسة « قمبيز » فى « مصر »

تدل شواهد الأحوال على أن « قمبيز » باتخاذه هـذه الاجراءات كان يبحث ولو فى الظاهر عن ارضاء الشعب المقهور والتودد اليه . ومن أجـل الوصول الى قصده هذا اتخذ لنفسه ألقابا فرعونية وهى الألقاب الخمسـة التى كان يتقلدها فى العادة كل فرعون عند توليه عرش الملك فى « مصر » ، غير أننا لم نجد له منها حتى الآن الا ثلاثة ألقاب فقد كان يلقب (١) نسـل « رع » (٢) واسـمه « قمبيز » (٣) واسمه الحورى وهو « الذى يوحـد الأرضين » . وقد الف له هذه الألقاب أو الأسماء « وزاحر رسن » الذى أوضح له بطبيعة الحال كذلك الأهمية الدينية لبـلدة « سايس » حتى أنه

(١) ويشمل النيل كذلك جزائر فى داخل مياهه كثير منها يوجد فى «أثيوبيا» ومنها واحدة عظيمـة المسـاحة تدعى «مروى» وقد اقيم عليها كذلك مدينة عظيمة تحمل نفس اسم الجزيرة وهى التى كان قد أسسها « قمبيز » وقـد سماها باسم والدته «مروى» . ويقولون ان هذه المدينة فى صورة درع طويل ، وهى تفوق فى حجمها الجزائر الاخرى فى ستاد وهى كـذلك تحتوى على مـدن طولها هو ٣٠٠٠ ستاد وعرضـها الف هذه الأجزاء ، وذلك لأنهم يقولون ان ليست بالقليلة وأعظمها شـهرة هى « مروى » .

جعله يعيد الى محاريب هذه المدينة خدامها ودخلها المقدس ، وكذلك آمر بأن تقام شعائرها الدينية وتقدم القربات للآله « أوزير » وأخيرا ذهب « قمبيز » نفسه الى هذه المدينة الملكية التى كانت مقـر ملك أسـلافه من المصريين ليسجد امام الآلهة « نيت » ويقوم بنفسه بتقديم قربان عظيم لآلهة المدينـة كما يقول المتن المصرى (راجع المتن سـطر ٢٥) ، وذلك فى حين نجد أن « هرودوت » يقول كما أسلفنا (Herod. III, 16) ان « قمبيز » حضر الى « سـايس » وهتك حـرمة ضريح « أحمس » (أمسيس) فما هى الحقيقة ياترى ؟ ثم يقول « وزاحر رسن » ان جلالته قد عمل ذلك لأنى أفهمته كل عمل مفيد أقيم فى هذا المحراب لكل ملك .

والآن يتساءل الانسان أليس من الجائز أن « قمبيز » قد عمل ذلك كله بعد أن أفهمه « وزاحر رسن » أن اعماله الأولى كانت خاطئة ؟ ومما تجدر ملاحظته هنا أن الموازنة بين « قمبيز » والملوك الآخرين السابقين قد ذكرت فى ثلاث فقرات من متن « وزاحر رسن » (سطر ٢٥،٢٦،٢٩) . والواقع أن « قمبيز » كان يود فى الظاهر ان يستمر فى السير على حسب تقاليد الأسرة المنحلة السـابقة وهى التى كانت عاصمتها الملـكية مدينة « سايس » [١] مقر ملك أسـلافه من المصريين ، كما كانت الآلهـة « نيت » آلهـة الأسرة الحاكمة بطبيعة الحال ، وقد كان يدفن فيها ملوك « سايس » فى داخل سور الآلهة « نيت » كما حدثنا عن ذلك « هرودوت » (راجع Herod. III, 169)

وعلى أية حال لا ينبغى لنا أن نبالغ فى الأهمية التى ينسبها ملوك الفرس الى « سايس » وآلهتها وذلك على الرغم من أننا نرى أن الملك « دارا » قد

---

(١) ولا بد أن العاصمة الادارية فى هذا العهد كانت مدينة «منف» (راجع Griffith Ryl. Pap. 3,79 note 4 ; 97, note 2,182)

اعلن نفسه ابن الآلهة « نيت » كما نقرأ ذلك فى المتون التى وصلت الينا عنه (راجع المتن رقم ٨ سطر ١ ، ٣) والواقع أنه يجب علينا أن نذكر أن متون تمثـال « وزاحر رسن » وضـعها رجـل ساوى وكان غرضـه من ذلك أن يظهر فيها مناقبه الحسنة وأعماله الخيرة التى قام بها لآلهة المدينـة . ولا نزاع فى أن ما قصه علينا هذا الساوى يتعارض مع منشور « قمبيز » الذى حـدد فيه دخل المعابد (راجع Ed. Spiegelberg, Verso d: Ed. Meyer Id. 309-311)

فلقد اختفت فجأة هبات الأفراد للمعابد التى كانت عديدة فى عهد الأسرة السادسة والعشرين فى زمن الفرس ، ومن المحتمل أن ذلك كان نتيجة لمنشور « قمبيز » ، ومن المحتمل اذا أن ما نسب الى « قمبيز » من أعمال العنف فى الحرب وما أتاه جنود الاحتـلال من سلب ونهب هو أصـل ما ينسب الى « قمبيـز » من تخـريب ومن سلب ونهب فى كل المعـابد المصرية (راجع Cowley Aram. pap. No.30, 13-14 (date408)) وكذلك على حسب ما جاء فى « استرابون » نعرف أن « قمبيز » قد خرب معابد « هليوبوليس » .

(راجع Strabo 17, 1, 27 & Pline Hist. Nat, 36,66; Recke A. Z. 1935 (p.123 note 2)

فقال متحدثا عن «عين شمس» : «والمدينة الآن مهجورة تماما وتحتوى على المعبد القديم الذى أقيم على الطريقة المصرية وهو يقدم لنا شواهد عدة عن جنون « قمبيز » وكفره فقد سعى لتخريبها بالنار وبالحديد فهدمها وحرقها فى كل ناحية كما فعل ذلك بالمسـلات ، وهناك اثنتان منهما اتلفتا اتلافـا تاما ، وقد نقلتـا الى « روما » ولكن هناك مسلات اخرى لا تزال موجودة هناك أو فى « طيبـة » وهى « ديوس پوليس پارفا » الحاليـة ، ولا يزال

بعضها منصوبا غير أنها قد أكلتها النار تماما وأخرى ثاوية على الأرض » .

وكان دخل معبد الآلهة « نيت » غير معترف به ولم يعمل له حساب بين المعابد التي احتفظت بامتيازاتها ، فقد كان الأمر الملكى باعادة الدخل المقدس لمعابد « سايس » فى مجموعها (وهو كما يقول المتن خرفيا كما كانت من قبل) قد اتى بعد ذكر طرد الأجانب كلهم الذين كانوا قد احتلوا حرم الآلهة « نيت » وعلى ذلك يجب أن يكون قبل المنشور الذى نحن بصدده الآن وقد يجوز ان الصورة التى رسمها امامنا « وزاحر رسن » ليست مطابقة للأصل تماما وبخاصة عندما نرى انه قد وصف لنا الفاتح فى صورة ملك صالح تقى يسير على حسب التقاليد . ولا نزاع فى ان فى هذا الوصف بعض المبالغات وقد يجوز كل المبالغة كما نشاهد الآن فى ايامنا ان الملوك الطغاة توصف بالتقوى والصلاح واقرب شاهد على ذلك ما شاهدناه فى مصرنا الحديثة عندما وصف « فاروق » بالصلاح والتقى !.

وعلى الرغم من هذه التحفظات فان ما جاء فى متن « وزاحر رسن » لا يمكن أن نشك فيه الا بشىء من الصعوبة .

موضوع قتل العجل « ابيس » :

ولدينا متون أخرى ذكرناها فيما سبق تؤكد احترام « قمبيز » للديانة المصرية (١) ، ونعلم من لوحة عثر عليها فى سربيوم « منف » أن أحد عجول

---

(١) راجع ما كتبه « هرودوت » (Herod. III, 34) اذ نجد ان « قمبيز » قد استشار وحى « بوتو » . وتدل الأحوال على انه فى عهد الملك « دارا » الاول قد نشأت فى « مصر » عبادة مؤسس الاسرة السابعة والعشرين اى انه « قمبيز » كما ذكر ذلك الاستاذ « جريفث »

(راجع Ryl. Pap. III, p. 30 note 1 & p. 132, No. 10)

« أبيس » قد دفن باحتفال فى العام السادس من حكم « قمبيز » (٥٢٢ق.م.)
وقد وصل الينا غطاء تابوت أهداه هذا الفرعون للعجل «أبيس» هذا .

وعلى الرغم من كل هذا يحدثنا الكتاب الأقدمون أن « قمبيز » قد قتل ثورا مقدسا كما ذكرنا من قبل (راجع: Plutarch, de Iside, 44, Justin, 1,9
Clement d'Alexandrie, Protrepticus 4, 52, 6,)

فقد حدثنا « هرودوت » بأن « قمبيز » عاد من حملته الفاشلة فى بلاد النوبة ودخل فى «منف» وقد كان المصريون فى عيد عجل « أبيس » جديد ظهر لهم، وقد ظن « قمبيز » كما ذكرنا آنفا أن المصريين كانوا فى فرح بسبب فشل حملته ، فجرح العجل « أبيس » وقد مات متأثرا من جراحه بعد زمن قصير ، وقد دفنه الكهنة على غير علم من « قمبيز » . وانه لمن الصعب أن نوفق بين هذه القصة وبين ما جاء على اللوحات الجنازية التى وجدت للعجول « أبيس » فى هذه الفترة ، فالثور الذى مات فى عهد « قمبيز » لم يدفن خفية (راجع الوثيقة ٢ ، ٤) وكذلك العجل الذى خلفه وهو الذى مات فى السنة الرابعة من عهد الملك « دارا » الأول (الوثيقة ٥) لم يكن قد قتله بطبيعة الحال الملك « قمبيز » على أنه لو وجد فراغ من الزمن بين هذين العجلين لتأكدنا من تاريخ موت العجل الأول المزعوم ، ولكن هذا ليس هو

حيث نجد انه قد جاء فى ورقة محفوظة فى مدينة « برلين » (راجع Berlin Papyrus N. 3110 (pl. 1, 10, 1). ويرجع عهدها الى السنة الخامسة والثلاثين من عهد الملك « دارا » الأول، ان الملك « قمبيز » كان له كاهن روح مما يدل فى هذا العهد على أنه كان يعبد ولا بد أن نلحظ هنا أن سياسة الأخمينيسيين كانت دائما حسنة بالنسبة لآلهة البلاد التى فتحوها (راجع: Ed. Meyer Gesch. des Altertums 3, (1912) § 57.)

(٦)

الوضع الحقيقى اذ على العكس لو قارنا تاريخ دفن العجل الأول (وقد كان الدفن يحدث عادة بعد سبعين يوما من تاريخ موت « أبيس ») وكان ذلك فى السنة السادسة الشهر الحادى عشر اليوم العاشر من عهد الملك « قمبيز » بتاريخ ولادة « أبيس » الثانى وكانت فى السنة الخامسة الشهر الخامس فى اليوم التاسع والعشرين من عهد الملك « قمبيز » فانا نجد أنه أثناء حوالى خمسة عشر شهرا كان قد وجد عجلان من عجول « أبيس » فى وقت واحد ، وهذا يتنافى مع العقائد الدينية المصرية وهى التى على حسبها لايمكن أن يظهر الاله فى حيوانين فى آن واحد فالعجل « أبيس » فى الواقع يولد الها ، وتوارث الثيران المقدسة يجب أن يحدث لا من تتويج « أبيس » الى تتويج آخر بل من ولادة عجل « أبيس » الى ولادة عجل « أبيس » آخر ، وما لدينا من لوحات جنازية نادرة متتابعة للعجول « أبيس » تؤكد هذا المبدأ ، فاللوحتان رقمى ١٩٣ ، ٢٤٠ المحفوظتان بمتحف « اللوفر » قد عثر عليهما فى السربيوم بمدينة « منف » (راجع Rec. Trav., 22 (1900) 20, 21, I,d, 167)

ونفهم من نقوشهما أن عجلا منهما قد ولد فى اليوم التالى من موت سلفه ، هذا ونفهم كذلك من اللوحات الجنازية التى عثر عليها فى بوخيوم «أرمنت» (أى مدفن عجول « أرمنت ») (راجع Mond. and Myers. The Bucheum Vol. 2; Herog. Inscr. by Fairman, 28-34. see especially the telas 7-12)

انه فى مدة معلومة كانت تؤلف سلسلة متتابعة لعجول ولكن لم نجد فيها ما يثبت وجود عجلين مقدسين فى آن واحد .

ومن ثم فان لوحتى « أبيس » فى العهد الفارسى يوجد فيهما تناقض

يحتاج الى ايضاح (١) . وأول ما نلحظه فى هذا الموضوع هو أن تاريخ موت « أبيس » الذى مات فى عهد « قمبيز » لم يوجد على اللوحة (راجع الوثيقة رقم ٣) وهذه اللوحة لم يبق عليها الا تاريخ الدفن ، واذا طرحنا من هـذا التاريخ سبعين يوما وهى الأيام التقليدية اللازمة للتحنيط والمعروفة لنا من لوحات أخرى وجدت فى السرابيوم ، فانا نحصل على تاريخ موت العجل وهو لا يتفق مع تاريخ ولادة العجل الذى جاء ذكره على اللوحة رقم ٥ اذ كان فى الواقع بعد ذلك بحوالى خمسة عشر شهرا تقريبا فهل لا يمكننا فى هذه الحالة أن نفرض أن الفترة التى وقعت بين الموت والدفن للعجل « أبيس » الذى جاء ذكره فى اللوحة رقم ٣ كانت أكثر من سبعين يوما وأن « أبيس » هذا كان قد مات قبل ولادة خلفه ؟. ومما يؤسـف له أن اللوحة رقم ٣ قد وصلت الينا فى حالة رديئة جدا مما لا يسمح لنا أن نؤكد هذه النظرية التى فرضناها هنا . ونود أن نلفت النظر هنا الى أنه لا يوجد فى اللوحات الجنازية الأخرى للعجل « أبيس » ما يقابل القطع التى بقيت لدينا ، وهى التى يمكن قراءة ما عليها (الأسطر ٥ — ٧) اذ نجد فيها أمرا ملكيا والأمر بتنفيـذه ، وهذا الأمر خاص بدفن « أبيس » . فاذا تغاضينا عن الصيغ الدينية العادية التى نجدها فى مثل هذه النقوش فاننا نجـد أن المتن رقم ٣ يوحى بأن دفن العجل « أبيس » كان يجرى فى أحوال غير عادية استوجبت تدخل الملك ، فهل كان هذا الأمر خاصا بتأخير فى جنازة « أبيس » والثور المقدس الذى ذكر على اللوحة رقم ٥ قد ولد فى اليوم التاسع والعشرين من الشهر الخامس

---

(١) وقد اعترف « ماسپرو » (راجع (Maspero Hist. Anc. 3, 668 note 4 بوجود عجلين « ابيس » فى وقت واحد غير أنه اعترف بأن هذا امر شـاذ .
(راجع كذلك (Revillout Notice des Pap. Dem. p. 386—387

من السنة الخامسة من عهد: « قمبيز »(١) (= ٢٩ مايو ٥٢٥ ق. م) .
وقد كان يجب أن يكون سلفه وهو العجل صاحب اللوحة رقم ٣ قد مات
على حسب القاعدة قبل هذا التاريخ .

والواقع أن هذه اللوحة معاصرة للفتح الفارسي لـ « مصر » ، وهو الذى
قد أرخ بدون شك فى مايو — يونية سنة ٥٢٥ ق. م. وقد عرفنا ذلك من ثلاث
أوراق ديموطيقية مؤرخة بشهر « هاتور — طوبة من السنة الثانية من عهد
« بسمتيك » الثالث والظاهر اذاً أنه فى شهرى مارس — مايو سنة ٥٢٥ ق.م.
كان هذا الملك لا يزال يحكم « مصر » (راجع Ryl. Pap. 1. 3,24) ولما كان
لم يمكث الا شهورا معدودات ، وأن مدة حكمه كانت متداخلة فى سنتين

---

(١) ومنذ أن وضع « فيدمان » كتابه عن « مصر » (Wiedmann Gesch. Aeg.
226-227) استعمل المؤرخون هذا التاريخ لتحديد تاريخ فتح « مصر » (راجع
عن ذلك « بورخارت » Borchardt, Die Mitteil. zur Zeitlichen Festlegung von
Punkten der Aegyptischen Gesehich. und ihre anwendung. p. 64).

حيث يقول إنه فى ٢٩ مايو ٥٢٥ ق.م. كان « قمبيز » قد اعترف به فعلا ملكا
على « مصر » وذلك لأنه يحمل لقب ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ،
وأن هذا اليوم كان قد أرخ به على حسب سنى حكمه غير أن المتن لا يقول
أن « قمبيز » كان يوجد فى هذه اللحظة فى وادى النيل بل يصف حادثا بعيدا
عن شخص الملك وهو ولادة عجل « أبيس » ، وقبل كتابة هذا المتن بثمانى
سنين . والواقع أنه فى الوثائق الديموطيقية التى جاءت بعد
الفتح الفارسى قد وجدنا أن السنين الأخيرة من حكم « أمسيس » وتواريخ
حكم « بسمتيك » الثالث وهما معاصران لحكم « قمبيز » فى بلاد « فارس » قد
حذفت ووضع مكانها سنو حكم الملك الفارسى .

قارن السنة ٣ (٥٢٨ ق.م = السنة ٤٢ من حكم امسيس) والسنة ٨ (٥٢٢
ق.م.) من عهد « قمبيز » فى البردية رقم ٥٠٠٥٩ الموجودة بمدينة « القاهرة »
(راجع Cat. Gen. Spiegelberg, Dem Denkmäler 3,42-45; Griffith Ryl. Pap.
3, 105-106)

ومن الممكن كذلك ان نفس التغيير قد حدث فى المتن رقم ٥ . وعلى ذلك
لا يمكننا أن نؤكد أن التاريخ ٢٩ مايو سنة ٥٢٥ ق.م. كان الغزاة فيه فعلا فى
« مصر » وأن « بسمتيك » الثالث لم يكن جالسا فعلا على عرش الكنانة

مدينتين فان الفتح الفارسى لا يمكن وضعه فى أكثر من نهاية الشهر السادس من السنة الثانية من حكم هذا الفرعون (أمشير = يونيه) ويؤكد لنا ذلك المصادر القديمة وهى التى على حسبها حدث الفتح قبل نهاية شهر يونيـــة .
(راجع Prasek, Forschung zur Gesch. des Alterthums 1. 58)

ومن الممـــكن ان الفـــوضى التى ســـادت البـــلاد المصرية فى أوائل الفتح الفارسى قد سببت تأخيرا كبيرا فى اقامة الحفل بجنازة العجل «أبيس». وهذا التأخير الذى كان يزيد على سنة قد لا يدعو الى الدهشـــة كثيرا اذا ألقينا نظرة على المتن رقم ٦ وهو الذى يظهر لنا أهمية التجهيزات التى كان يستلزمها الاحتفال بدفن «أبيس» (راجع Kees, Kulturgeschichte, 74 Note 2) وهذه الطريقة التى اتبعت هنا لحل مســـألة وجود عجلى « أبيس» فى آن واحد ان هى فى الواقع الا حل موضوع شاذ بآخر مثله شاذ ، ولذلك يجب أن ننظر الى هذا الموضوع بعين حذرة الى أن يأتى المتن الذى يحل هذا اللغز .

وقد ظن الاثرى « فيدمان » (Gesch. Agyp., p. 229) أن العجل «أبيس» الذى دفن فى السنة السادسة من عهد « قمبيز » كان قد قتله الملك نفسه ، ولا بد أن حياة هذا العجل القصيرة كانت قد اندمجت فى حياة العجل الذى مات فى عهد الملك « دارا » ، وأن هذه خدعـــة كان الغرض منها محو آثار الجريمة التى ارتكبها « قمبيز » . ويقول « فيدمان » ان الغش قد ظهر لنا فى لوحة الحيوان الذى قتل ويعنى بذلك اللوحة رقم ٣ وهى التى وضـــعها الـــكهنة سرا ، والأشـــهر الخمســـــة عشر التى وجـــد فيهـــا فى وقت واحد عجلا « أبيس » ان هى فى الواقع الا مدة حيـــاة الثور الذى صرعه « قمبيز » .

ويقول « بوزنر » انه يجب أن تهمل هذه النظرية وذلك لأن الترجمة التى

قدمها لنا «فيدمان» للوحة رقم ٣ تبرهن على أن التاريخ الذى جاء فى السطر الثامن قد أخطأ فيه ، يضاف الى ذلك ان التصحيحات التى عملت فى الأسطر الأربعة الأولى قد أصبحت مؤكدة وذلك بموازنة البقية الباقية منها التى لا تزال ظاهرة بما يقابلها من متون مماثلة ، ومن هذه الأسطر نفهم أن التحنيط والنقوش الخاصة بالعجل « أبيس » هذا قد عملت رسميا ، ويؤكد ذلك نقوش التابوت (الوثيقة رقم ٤) التى لم تكن معروفة فى عهد «فيدمان» وعلى حسب هذه النقوش نفهم أن هذا التابوت كان قد أهداه «قمبيز» لهذا العجل « أبيس » ، وحتى لو فرضنا ان نقوش اللوحة والتابوت كاذبة — وفى ذلك شك — فان وجود هذا التابوت المصنوع من الجرانيت وحجمه الضخم يجعل نظرية « فيدمان » القائلة ان « أبيس » هذا كان قد دفن خفية قابلة للشك الكبير ، يضاف الى ذلك أن التاريخ الذى جاء فى السطر الثامن من اللوحة له معنى هام ، اذ يبرهن على أن « أبيس » الذى ذكر على اللوحة قد عاش حوالى تسع عشرة سنة لا خمسة عشر شهرا كما ظن « فيدمان » وعلى ذلك لا يكون هو العجل الذى قتله الملك لأنه على حسب ما جاء فى « هرودوت » قد حدث القتل بعد ولادة «أبيس » أو فى أثناء أعياد التتويج وهى الأعياد التى كانت تقام عادة بعد مضى بضعة أشهر من ولادة «عجل أبيس» جديد — وقد كان على أكثر تقدير مدة شهرين على حسب اللوحة ٣٤ — (راجع Rec. Trav. 22,11) وثمانية أشهر وثمانية وعشرين يوما على حسب اللوحة رقم ١٩٣ (راجع Ibid. 20-21) وتسعة أشهر ويومين على حسب اللوحة رقم ٢٤ (Ibid. 167) وتسعة أشهر وأحد عشر يوما على حسب اللوحة رقم ١٩٢ (Ibid. 20) واذا أردنا أن نجمع حياة « أبيس » صاحب اللوحة رقم ٣ مع حياة خلفه فان حياة العجل الأخير تكون على ذلك حوالى السنة السابعة

والعشرين من عهد الملك « أمسيس » الثانى ، وعلى أية حال فان هذه الوسيلة التى كان الغرض منها مسح آثار الجريمة لا يمكن أن تكون قد حدثت الا منذ اللحظة التى تكون فيهـا ذكريات قتل « أبيس » بيـد قمبيز قد بدأت تتناسى بعض الشيء أى فى عصر كان يجب فيه ألا تكون سببا لمضايقة نفوذ الفاتحـين ، على أن هـذه الحيلة التى اتى تأثيرها متـأخرا وغـير مؤكد يظهر أنها كذلك قليلة الاحتمال ، وكذلك قليلة الجدوى ، وعلى أية حال فان الحل الذى اقترحه « فيدمـان » وكذلك الحلول الأخـرى التى يمكن أن يتصورها الانسان ليجعل متن اللوحة يتفق مع ما جاء فى قصة « هرودوت » تكون من باب الحدس والتخمين الخطر ، وانه لمن الحكمة أن ننظر الى ما جاء فى قصة « هرودوت » بعين الشك فى تفاصيلها ومجموعها .

ونسـتخلص من هـذا العـرض الطـويل أن المحـاولات التى عملت للتوفيق بين ما جاء فى النقوش الهيروغليفية وبين ما جاء فى قصة « هرودوت » وما نقـله لنا « ديودور » و « استرابون » وغيرهم لم تقدم لنا هنا نتائـج مرضية يرتاح اليها النقد العلمي . والواقع أن حكم « قمبيز » كما جـاء فى المتون المصرية يدل على مايظهر على أنه كان ملكا أكثر حكمة وروية مما افتراه عليه الكتاب الأقدمون من أقاويل . و مع ذلك قد يكون كل ما نسبه لنفسه بوصفه فرعونا لا يخرج عن كونه كالفراعنة الآخرين يقولون ما يحلو لهم ويخفون ما شاءوا ان يخفوا من مخاز واعمـال مشينة ولأنهم آلهة والآلهة لا تخطيء .

عصر الملك «دارا» الأول

«نسوت رع تاريوشا»

ذكر «مانيتون» أن الملك «دارا» الأول حكم ٣٦ سنة (راجع Unger. Chronologie des Manetho p.285 ; Wiedmann Geschichte, p. 666) وأعلى تاريخ له وجد على الآثار المصرية هو السنة السادسة والثلاثون (راجع Inscriptions du Ouadi Hammamat, Couyat-Montet p. 90, No. 146 etc).

ولا نزاع فى أن الوثائق المصرية القديمة قد أظهرت لنا الملك «قمبيز» فى صورة مختلفة عن الصورة التى صورها لنا الكتاب القدامى من الاغريق والرومان، وعلى ذلك فانها تؤلف مستندا ثمينا لتاريخ التسلط الفارسى على وادى النيل، ولكن عندما نصل الى عهد الملك «دارا» نجد أنه على الرغم من قلة المصادر المصرية الخاصة به بالنسبة لسلفه فانها تقدم لنا حقائق جديدة كما أنها لا تغير قط الفكرة التى يمكن أن نكونها عن عهده على حسب ما جاء فى المصادر غير المصرية كما حدث فى عهد «قمبيز» فتدلنا الوثائق المصرية على انه فى عهد الملك «دارا» عاد «وزاحر رسن» الى «مصر» بأمر من الملك لأجل أن يعيد تأسيس مدرسة «سايس» (راجع الوثيقة أسطر ٢٤ — ٢٥) وهذا العمل كان يؤلف على ما يظهر جزءا من مجموع الأجراءات التى اتخذها «دارا» لأجل تحسين حال البلاد المصرية فى الداخل، ويحق لنا ان نقرب هذا الرأى من فقرة جاءت فى الحوليات الديموطيقية. (راجع Spiegelberg, Die Sogenante Chronik Verso C, 6-16 cf: Ed. Mey er Sitzungsber. (Pr. Ak. Wiss. (1915), 304-309, Reich Mizraim I (1933) 178-182).

حيث نجد أن الملك « دارا » قد وكل الى الشطرب أمر سن القوانين المصرية، ويرجع تاريخ ذلك الى السنة الثالثة من عهد «دارا» (١) الأول (٥١٩ ق. م.). وربما كان هذا التاريخ هو التاريخ التقريبي الذى عاد فيه « وزاحر رسن » الى « مصر » .

وتدل شواهد الأحوال على أنه بعد موت « قمبيز » قامت فى « مصر » ثورة نزعت فيها عن نفسها نير الحكم الفارسى مؤقتا وتفصيل ذلك على ما يظهر (راجع Journal of Near Eastern Studies, Vol. 2 Part 4, p. 307 ff) أنه فى خلال الثورة التى قام بها « نبوبخود نصر » الثالث ملك « بابل » على الملك الأول ما بين أكتوبر وديسمبر سنة ٥٢٢ق.م (Herod. IV. 145) انتهزت « مصر » هذه الفرصة ونزعت عن عاتقها نير الحكم الفارسى ، وعلى أية حال فان شطرب « مصر » المسمى « أرياندس Aryandes » هو الذى كان قد أعاده « دارا » الى الحكم لم يشاطر فى هذه الثورة بقلبه بل كان يعمل بوصفه ممثلا لقمعها من قبل « دارا » . والواقع أن لدينا فقرة من المؤرخ « بوليانوس Polyaenus » كان يعتقد منذ زمن طويل أنها تشير الى اشتراك « ارياندس » فى هذه الثورة ، (راجع Wiedemann Geschichte Agypt. p. 236)
ولكن يجب أن نفهمها الآن على عكس ذلك ، اذ قد جاء فيها أن المصريين قد أبوا احتمال فظائعه وثاروا عليه بسببها . ولا نزاع فى أن الثورة التى قام بها المصريون (كما ذهب الاستاذ او لمستيد) على حسب وثيقة « وزاحر رسن »

---

(١) وقد ذكرت نفس السنة فى الورقة الديموطيقية رقم ٤١ من القائمة التى وضعها « جريفث » (راجع Ryl. Pap. 3, 25-26) : الذهب والفضة التى تركت فى معبد « ادفو » (؟) فى السنة الثالثة من عهد «دارا» وهل هذه الوثيقة تنسب الى النظام الذى قام به شطربة « مصر » (راجع Revillout Notice, 407)

الذى كان يجله « دارا » كثيرا كانت على دارا وعلى اريندس ومن ثم لم يكن يذكر عنه الا كل ثناء عاطر كما أسلفنا. والواقع أنه اخذ يحدثنا بعد ان ذكر ماقام به من اعمال عظيمة وما عمله له « قمبيز » انه عمل لوالده ولوالدته ، كل شىء كان يمكن ان يرغب فيه والده عندما حل الاضطراب بهذه المقاطعة (يقصد «سايس»)، وذلك خلافا للاضطراب العظيم الذى حل بكل ارض « مصر » . وفى الجملة التى تلى ذلك يذكر لنا « وزاحر رسن » جلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « دارا » ، ومن ثم نفهم أنه كانت توجد بمصر اضطرابات عند تولى « دارا » عرش الملك ، ولن نكون قد ذهبنا بعيدا عن الصواب اذا فسرنا هذه الاضطرابات بأنها الثورة التى قام بها المصريون على «دارا» والشطرب الفارسى « أرياندس » ، هذا ويستمر « وزاحر رسن » فى حديثه قائلا :

« دارا » ...... أمر بالعودة الى « مصر » . وهذه العبارة لها أهمية عظيمة وذلك لأن هذا المصرى « وزاحر رسن » الذى كان مواليا للفرس الذين أغدقوا عليه النعم العديدة ، قد وصل الى مرتبة لم يكن فى استطاعته أن يصل اليها اذا كانت « مصر » قد بقيت مستقلة ، كان قد هرب من بلاده خلال الاضطرابات ومن المحتمل أنه كان قد هرب بصحبة «اريانديس»، ولم يكن فى استطاعته العودة اليها الا عندما أمره « دارا » بالعودة أى بعد أن كان قد قضى على الثورة ، وبذلك أصبح الموظفون الموالون للفرس فى طمأنينة على حياتهم .

والفقرة المشار اليها نقلا عن « بوليانوس » تذكر أنه كان من الضرورى لأجل اخماد هذه الثورة أن يجتاز الملك « دارا » صحراء بلاد العرب ويصل الى « منف » فى الأيام التى كان المصريون فيها يلبسون الحداد على العجل

« أبيس » المتوفى ، ولما وصل هذا العاهل الى « مصر » منح مبلغ مائة تلنت من الذهب لقائد العجل « أبيس » وقد دهش الشعب المصرى من هذا السخاء حتى أنهم أحجموا عن الاستمرار فى ثورتهم على الفرس .

وهذه الفقرة كانت لسبب وجيه لها علاقات بمتن مصرى منذ زمن بعيد ، وعلى حسبه نجد أن عجل « أبيس » كان قد مات ودفن فى السنة الرابعة من حكم الملك « دارا » (راجع Posener Ibid No. 5, p. 36) وعلى ذلك كان لابد أن نستنبط أن « دارا » كان قد وصل الى « مصر » ما بين ٣١ أغسطس و ٨ نوفمبر من عام سنة ٥١٨ ق.م. ولابد ان نعرف أن هذا الفصل من السنة فى « مصر » لم يكن ملائما كل الملاءمة وذلك لأن الفيضان يكون فى قمة ارتفاعه فى سبتمبر ، وفى هذا الوقت تكون أراضى الدلتا مغمورة بالمياه ، ولكن « بوليانوس » يقول ان « دارا » اجتاز الصحراء العربية وهذا التعبير يدل فى الأزمان القديمة على أنه كان يشمل الأراضى التى تقع شرقى الدلتا ، وعلى ذلك كان فى مقدور « دارا » أن يتفادى أرض الدلتا التى كان يغمرها الفيضان وبذلك كانت طريقه بلا نزاع عبر وادى « طليمات » ، ومن الجائز ان مسألة اصلاح القناة القديمة وهى التى كانت تمر بوادى « طليمات » قد عملت فى هذا الوقت .

والآن لم يعد بعد موضوع تاريخ زيارته من الموضوعات الرئيسية اذ فى مقدورنا أن نضرب صفحا عن موضوع اقامته تمثالا لنفسه أمام تمثال سيزوستريس » الذى أخضع تماما عددا كبيرا من "لامم التى أخضعها « دارا » لسلطانه والذى قهر السيثيين (Sethians) أيضا ، وهذا عمل عظيم قد عجز « دارا » عن اتيانه ، (Herod. II, 110; Diod, I, 58) وذلك لأنه فى وقت دخوله « مصر » عام ٥١٨ ق.م. لم يكن فى الواقع قد هاجم سيثيى « أوربا » .

ولكن لدينا عبارة فى الحوليات الديموطيقيـة لا تعارض دخول « دارا » « مصر » متأخرا فى عام ٥١٨ ق.م. وهذه العبارة ما يأتى : « أرسل « دارا » الى « مصر » شطربة فى السنة الرابعة » وأمر بجمع القوانين القديمة المصرية وهذا الأمر يظهر جليا على أنه كان قد أرسل من خارج « مصر » ولكن فى الوقت نفسه كانت وقتئذ قد اصبحت « مصر » ثانية اقليمافارسيا ،لهاشطربها الخاص . والواقع أن السنة الرابعـة من حكم « دارا » فى « مصر » كانت قد انتهت فعلا فى ٣٠ ديسمبر سنة ٥١٨ ق.م. واذا فرضنا أن « دارا » كان قد دخل البلاد المصرية ما بين ٣٠ أغسطس ، ٨ نوفمبر من هذه السنة فانه لم يكن لديه وقت لوضع الأمور فى نصابها ، فكان عليه أن يعيد « أرياندس » شطربة على « مصر » ، ثم يعود هو الى « آسيا » ، ومع ذلك فقد أصـدر أوامر فى « مصر » نفسها فى نفس السنة .

وعلى ذلك فانه من الممكن أن نجبر على قبول الاقتراح السابق وهو أن النواة الحقيقية التى جاءت فى قصة « بوليانوس » وهى أنه من المحتمل أن عجل «ابيس» قد مات فى نفس السنة التى وصل فيها «دارا»الى « مصر » (وذلك على الرغم من أن وصوله كان قبل ذلك بأشهر فى الشتاء) .

وكذلك لا بد أن نستنبط أنالثورة قد قضى عليها بنجاح بوساطة اجراءات أعنف مما جاء فى قصة « بوليانوس » .

ومهما يكن من أمر فان موضوع اشتراك « أرياندس » فى ثورةالمصريين على الفرس قد اصبح أمرا مفروغا منه ، ويمكن الآن أن نعثر على ضـوء جديد مخاطراته التى جاءت بعد ، وذلك أنه بعد انقضاء سنين على الحوادث التى ذكرناها الآن وحوالى الوقت الذى كان فيه « دارا » نفسه مشتغلا فى

حروب مع السيثيين ، سعى « أرياندس » الى أن يظهر ولاءه للملك لما أسبغه عليه من نعم بالاستيلاء على بلاد « لوبيـا » لتكون ملك « فارس » ، وقد اتخذ لذلك حجة أنه كان يساعد حاكم « برنيقيا » (برقة) الذى كان فى زمنه وهذه الحجة لم يقبلها حتى «هرودوت» (Herod. IV, 145) ، وامر جنوده بالسير نحو « برقة » وقد استسلمت بعد حصار دام تسعة أشهر ، ثم وصـل جيشـه بعد ذلك مظفرا الى « ايوسبريس » Euesperis « بنغازى الحالية » (راجع Oric Bates, The Eastern Lybians p. 52) وعلى أية حال فان جيشه عندما قفل راجعا الى « فرتيكا » اشتبك فى مناوشات لا نهاية لها مع السكان الأصليين ، ومن أجل ذلك أمر « أرياندس » جيشه بالعودة الى وطنه . وقد كانت عودته هذه على ما يظهـر قد تمت بشق الأنفس ، وعلى أية حال فان الحملة قد أصابت بعض النجاح ، هذا وقد أرسل « أرياندس » بعض الأسرى البرقيين الى الملك « دارا » ، وقد أرسلهم الأخير الى بلاد «بكتيريا» (الفرس) حيث كانت توجد مستعمرة لهم هناك كان يمكن رؤيتها فى أيام « هرودوت »

وحوالى نفس هذا الوقت كانت « قناة السويس » قد تم انشاؤها وعلى ذلك كانت اللوحات التذكارية قد أقيمت على شاطئيها ، وقد كتب ضمن قائمة المديريات الفارسية فيها اقليم « لوبيا » كما سنرى بعد . وتدل شـواهد الأحوال على أنه فيما بعد قد اتهم « أرياندس » شطرب « مصر » بالخروج على « فارس » وحكم عليه فيما بعد بالاعدام .

رحلة « دارا » الى « مصر »

ويحدثنا « بوزنر » عن رحلة « دارا » الى « مصر » فيقول انه على حسب ما جاء فى نقـوش « وزاحر رسن » كان الملك « دارا » فى هذه اللحظـة

فى « عيلام » (سطر ٤٣) وقد جاء « دارا » الى « مصر » على حسب نظرية « فيدمان » فى السنة التاليـة ، وهذا التاريخ قد وضـع على حسب ما جاء فى فقرة فى « بوليانوس » (Polyaenus 7-11-7) وهى التى على حسب ما جاء فيها يكون الملك قد وصل الى « مصر » بعد موت عجل « أبيس » كما ذكرنا من قبل ، وهذان المتنان يذكران نفس الحادث ، على ان الحصول على تاريخ الرحلة الملكية بهذه الكيفية يعترضه عقبات (راجع Herod IV, 145 and How and Wells. A Commentary on Herod. 1, p. 356) ولم يحز اجماعا تاما . ومن جهة أخرى فان قيمة ما قصه « بوليانوس » قد اعترض عليـه « جـريفث » (راجع Ryl. Pap. III p. 26)

أما اللوحةرقم ٥ فانها فى حدذاتها لم تقدم لنا أية معلومات تاريخية محدده ومع ذلك فهناك تفصيل لابد من ذكره جاء على هذه اللوحـة : فقد ترك فى الصف الأعلى منها مكان العلم الذى كان يجب أن يحتوى على الاسم الحورى لملك « خاليا » ، والاسم الملكى الوحيد الذى جاء ذكره فى المتن هو « دارا » وقد كتب بالمصرية (Ryl. III p. 26 / والظاهر أنه منذ وصول « دارا » الى « مصر » كان قد أمر بتأليف ألقابه الفرعونية على غرار ما فعل « قمبيز » .

وعلى ذلك فانه ليس من المستحيل أن النقش كان سابقا لرحلته الى« مصر »

وتنسب الى « دارا » بوجه عام الألقاب المكية التى توجد على الجدار الخارجى الغربى لمعبد الواحة الخارجةوبداية المتن قد ضاعت . واسمه الحورى قد اختفى والأسماء الأربعة التالية هى ••• رب التيجان : ابن « آمون » المختار بن « رع » فى داخل برافد (؟) ، حور الذهبى : سيـد الأراضى المحبوب من آلهة « مصر » وآلهتها ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ،

شعاع « رع » والابن الحقيقى الذى يحبه « دارا » ، الفتى فى قوته ، ليته يعيش أبديا ... الخ Posener Ibid, 176 N. 7 ومن الجائز أن هذا النقش كان قد عمل قبل سفر « دارا » الى « مصر » .

وهذه اللوحة السابقة الذكر هى الوحيدة التى وصلت الينا عن موت عجل « أبيس » فى مدة حكم « دارا » ، ولكن على حسب ما جاء فى لوحات أخرى لأفراد نعرف أن عجلا آخر قد مات فى السنة الرابعة والثلاثين من حكم هذا الفرعون فمثلا لدينا لوحة من السرابيوم محفوظة الآن بمتحف « اللوفر » راجـــع (Rec. Trav. 21, p. 67) ذكر فيها مراسيم الدفن — وهذه المتون لا يمكن تقريبها مما ذكره « بوليانوس » الذى ذكرناه فيما سبق (7. 11. 7) وهـــو الذى يذكر ان « دارا » قد جاء الى « مصر » ليقمع ثورة الشطرب « أرياندس » . والواقع أن اعدام « أرياندس » قد حدث قبل تأليف لوحات سنة ٣٤ وذلك لأنه فى السنة الثلاثين كانت مصر محكومة بالشطرب « فراندات Pherendate » أقرن (Pap. Dem. 13540 du Musee de Berlin Spiegelberg Sitzungsber Pr. Ak. Wiss (1928) p. 605-606) وهذا يتفق مع ما ذكرناه عن « أرياندس » وعدم قيامه بثورة بل على العكس من ذلك .

القائد « احمس » :

ولا نزاع فى أن المتن رقم ٦ يصف لنا دفن احد هذين العجلين وهذا المتن هام لأنه يذكر الغزاة (السطر رقم ٥) وكذلك لأنه جاء فيه ألقاب هامة لـ « أحمس » هذا ، فقد كان يلقب المشرف على الجنود ، وجاء ذكره فى لوحة أخرى (اللوحة رقم ٧) انه المشرف الأعلى للجنود . و « أحمس » هذا هو القائد الذى قاد الحملة التى أرسلها الشطرب « أرياندس » على « برقة »

(Herod.4,167,201,203) غير أن هــذا الرأى فيه شك فقــد جاء على حسب « هرودوت » ان القائد « أمسيس » (أحمس) هو « مارافين Maraphien » وهذا يدل على أنه من أصل فارسى (راجع Ibid. 1, 125) وذلك لأن اسم « أحمس » كان اسما شائع الاستعمال فى هذا العهد ، وعلى أية حال فانه على حسب ما جاء فى « بوليانوس » كان قائد الجيش المصرى يدعى « أرسامى Arsames » . وقد وقفا «احمس» والطبيب « وزاحر رسن » فى العمل على احترام آلهته وبث الخوف منهم فى نفوس الذين كانوا فى خارج البلاد المصرية (اللوحة رقم ٦ سطر ٤ — ٥) وقد ادعى أنه أمر بمجىء حكام المدن والمقاطعات الى « منف » لجلب الهدايا الى « أبيس » المتوفى ، وهــذا القول اذا كان صحيحا فانه يعد شاهدا بما كان يتمتع به « أحمس » من سلطة عظيمــة عنــد حكام الفــرس فى « مصر » ، ومن المرجح انه لم يــكن الا منفذا لأوامر الشطرب أو الملك . وعلى أية حال فانه من المهم أن نرى مصريا يحتل مثل هذه المكانة الهامة فى الادارة الفارسية ، كما أنه من المهم أن نشاهد مرة اخرى الرعاية والاهتمام والاحترام التى كان يظهرها الفاتحون نحو ديانة بلد مقهورة (Ryl. 3, p. 35 No, 3)

الموظفون الفرس فى « مصر »

ولا نزاع فى انه كان يوجــد فى تلك الفترة عدد عظيم من حــكام المدن والمديريات المصرية من الذين أتى بهم « أحمس » الى « منف » لم يكونوا من أصــل مصرى . والواقع أننا نعرف من المتون التى نقشت على صــخور « وادى حمامات » واحدا من هؤلاء وهو حاكم « قفط » المسمى «اتياواهى» بن « أرتاميس » وتدعى امه « قنزو » (النقوش ٢٤ — ٣٠) . وقد عاش هذا الموظف فى عهد كل من الملك « قمبيز » والملك «دارا» والملك «اكزركزس»

(المتن ٢٨) وآخر تاريخ عرف لهذا الموظف هو السنة الثالثة عشرة من حكم « اكزركزس » عام سنة ٤٧٣ ق. م. وقد كان كذلك اخوه الأصغر موظفا فارسيا ، وقد ذكر مرة واحدة (سنة ٤٧٦ ق.م.) . ثم ذكر بمفرده في عهد الملك « أرتكزركزس » فى النقوش ٣١،٣٢،٣٤ . وتمتد النقوش الخاصة بهذين الفارسيين الى سبع وثلاثين سنة وهذا يوضح لنا التأثير المتزايد للبلاد المفتوحة على الأجانب ، ويلحظ أن النقوش الأولى الخاصة بالموظف «اتياواهى» (النقوش ٢٤ — ٢٦) لا تحتوى الا على التاريخ والاسم ، أما لقب الموظف فقد نقل عن الآرامية . هذا ونجد فى السنة العاشرة من عهد « اكزركزس » ان « اتياواهى » هذا يضيف صورة الاله « مين » الى نقوشه (النقش ٢٧) ونقرأ فى السنة الثانية عشرة دعاء مختصرا كتبه نفس الموظف للاله «مين» (النقش ٢٨) . هذا ونجد فى نقوش « اريوارتا » — وهى أحدث من السابقة — أنها مصحوبة بصورة اله (٣١ ، ٣٣ ، ٣٤) وقد ترجم « اريوارتا » هذا لقبه الى المصرية وهو « زدحر » (تاخوس) (النقش ٣٣) واتخذه لنفسه ، وقد تضرع لكل من الاله « مين » (٣٤) والاله « مين حور » والالهة « ازيس » (٣١ ، ٣٢) والاله « آمون رع » ملك الآلهة .

السياسة الدينية التى نهجها الملك « دارا » :

كانت سياسة الفرس تقوم على نهج سديد من حيث احترام موظفيهم للديانة المصرية ، وهذا النهج قد وضعه الملك « دارا » وسار على مقتضاه ، ولا نزاع فى أن ذلك قد ارضى المصريين تماما وبخاصة عندما نعلم أن هذه كانت النقطة الحساسة عندهم . ومن ثم نرى فى عهد « دارا » أن الالهة « نيت » قد حافظت على مكانتها الممتازة بين الآلهة المصريين فى تلك الفترة من تاريخ البلاد وقد أعلن الملك أنه ابن هذه الالهة كما جاء فى اللوحة الثامنة (سطر ١ — ٣)

وانه لمن المهم أن نرى أن اللوحة رقم ٩٠ وهي التي نجد فيها تشابهات عدة بما جاء في اللوحة الثامنة قد احلت صورة العقيدة الخاصة بالاله «أهورامازدا» محل الصيغ التي تعبر عن تمسك الملك بالآلهة المصريين. هذا وقد تحدثنا فيما سبق عن اصلاح مدرسة « سايس » ونجد كذلك أن المحاريب الأخرى لم تنس . ولا نزاع في ان الملك « دارا » هو الذي شرع في بناء معبد للاله « آمون رع » في الواحة الخارجة ، وقد عثر علي صناجة في « منف » وهي الآن في متحف « القاهرة » وقد نسبت خطأ كما يقال الى هذا الملك ولكن من جهة أخرى نعرف أنه ترك لنا آثارا في « بوصير » (راجع Naville, The Mound of the Jews, Pl. 7A & p. 27-28) ، هذا ويحتمل أنه ترك بعض الآثار في « الكاب » (راجع Chassinat Edfu 7, 214, 248)

استغلال المحاجر في عهد الملك « دارا » :

يدل على ما قام به « دارا » الأول من نشاط في فن العمارة النقوش التي تركها لنا في محاجر « وادي حمامات » . وقد كان يدير هذه الأعمال في المحاجر موظف كبير يدعى « خنم — ا ب — رع » وكان يحمل لقب المشرف على الأعمال (المتون ١١ — ١٣) و « خنم — ا ب — رع » هذا هو ابن موظف كبير آخر يدعى « أحمس سانيت » وكان يحمل بدوره لقب المشرف على الأشغال أو الأعمال في عهد الملك « أحمس » الثاني (النقش ١١ سطر ٤—٦) وكانت أمه تدعى «سانتفرتم» . ويظهر لنا من نص النقش ١١ المؤرخ بالسنة الرابعة والأربعين من عهد الملك « أحمس » الثاني أن « خنم — ا ب — رع » كان في صحبة والده أثناء العمل ، وبعد انقضاء ثلاثين سنة على ذلك تقريبا أي في عهد « دارا » الأول نجده قد عاد الى « وادي حمامات » وحده ، وفي خلال الأربع سنين التالية لذلك غاد الى هذه المحاجر عدة مرات وترك لنا نقوشا هناك

وعلى الرغم من أن هـذه المتون لم تذكر لنا الغرض من هذه الحمـلات فانه يبدو من عناوينها ان « خنم ـ إ ب ـ رع » كان يذهب الى « وادى حمامات » للبحث عن الأحجار الخاصـة بالبناء وانه لمن الصعب ان نعـرف بصورة قاطعة السبب الذى جعل كلا من « اتياواهى » و «اريوارتا » يذهب الى هذه المحاجر . على أنه لما كان لا يوجد فى ألقاب كل منهما ما يشير الى انه كان رجل عمارة فقد يتساءل المرء فيما اذا لم يكن قد قفا اثر خليج«قفط» (راجع Strabo, 17, 1, 15) ليصل الى البحر الأحمر ثم يذهب من هناك بطريق الماء الى «فارس» أم لا ، ولابد ان نشير هنا الى وجود نقش على الصخر كتب فيه طغراء «دارا» الاول على الطريق التى تؤدى من « قفط» الى « سفاجة» (النقش ٣٥) .

الثورة فى « مصر » فى نهاية عهد دارا

تدل شواهد الأحوال على أن الثورة التى قام بها المصريون فى اواخر عهد الملك « دارا » الأول لم تمكث طويلا فلدينا الآنيتان رقمى ٤٤،٣٣ تؤرخان بالسنة الثانية من عهد الملك « اكزركزس » وقد جاء ذكر هذه السنة فى المتن رقم ٢٥ وهو الذى عثر عليه فى « وادى حمامات » ومن جهة أخرى نجـد السنة السادسة والثلاثين من عهد « اكزركزس » فى المتون التى تحمل الأرقام ٣٠،٢٨،٢٤ على التوالى وهذه الآثار مستخرجة من نفس محاجر « وادى حمامات » ، وظاهر من هذه التواريخ أن الثورة التى قام بها المصريون لتحرير بلادهم كان من المحتمل ان تكون من اسبابها الاخبار التى وصلت الى «مصر» عن هزيمة الفرس امام الاغريق فى موقعـة « ماراتون » وانها على اية حال

لم تكن ثورة طويلة الأمد كما سنرى .

والواقع أن وادى النيل فى عهد الملك « دارا » كان من الوجهة الحربية محصنا بحاميات فارسية قوية تمتد من بلدة « ماريا » الواقعة فى الشمال (وهى على مقربة من مكان مدينة «الاسكندرية» الحالية) حتى بلدة «الفنتين» (« اسوان » الحالية) والشلال فى الجنوب ، وكانت أقوى حامية للفرس فى بلدة « منف » ذات الموقع الإستراتيجى الممتاز فى أهميته لوقوعه على مسافة قريبة عند بداية تفرع الدلتا . وكانت حاميـة « منف » (البدرشين وميت رهينـة الحاليتين) تتألف بوجه خاص من جنـود من الفرس يحملون رتب ضباط ، كما كانت تحتوى على عناصر أخرى من الجنود المصريين والأجانب كالجنود المرتزقة من اليهود الذين كانوا يقطنون « الفنتين » وقتئذ . هذا وكانت كل هذه الحاميات الفارسـية تمون من البلاد التى تعسكر فيهـا مما كانوا يتسلمون من انواع المحاصيل المختلفة وبخاصة القمح .

وتدل شواهد الأحوال بوجه عام على أن « مصر » فى عهد الملك « دارا » الأول كانت سعيدة وفى رخاء بقـدر ما يسمح به نظام الاسـتعمار الأجنبى نسبيا ، وما لدينا من نقوش يدل على أن « دارا » كان شخصيا ذا ميـول طيبة نحو البلاد المصرية ، وقد كان من الممكن أن تسير الأحوال فى مجراها الطبيعى اذا كان حكام البلاد من الفرس قد أظهروا نفس الاعتدال والحكمة اللذين انتهجهما عاهلهم نفسه . هذا ولم يكن فى الامكان أن يقبض على زمام الأمور وهو فى عاصمته البعيدة ويرقب حركات عماله ومعاملتهم للاهلين فى « مصر » على الوجه الأكمل ، وقد زاد الطين بلة أن هذا العاهل قد توفى فى عام ٤٨٦ ق.م. ، ومنذ اواخر حكمه قامت فى البلاد المصرية حركة وطنيـة لمقاومة الحكم الأجنبى وكان غرضها طرد الفرس والتخلص من حكمهم .

والواقع أن الأسباب الحقيقية التى دعت لقيام هذه الثورة مجهولة لنا تماما وكذلك لا ندرى شيئا عن سير الحوادث فى تلك الفترة . حقا كان لموقعة « ماراتون » التى هزم فيهاالفرس أمام اليونان بعض الأثر فى قيام هذهالثورة، ولكنها اول هزيمة منى بها الفرس وقضت على نفوذهم الذى كان لا يجارى فى العالم وقتئـــذ ، ولم يكن فى استطاعة الفرس وقتئذ ارسال حملة على بلاد اليـــونان مع قيام انفجار ثورة فى « مصر » بل كان لابد من القضـــاء عليهـــا اولا ، ولذلك فان كـلا من الملك « دارا » ومن بعـده ابنـــه وخليفته « اكزركزس » قد عملا بحماس على استرداد نفوذهما وسلطانهما على « مصر » (راجع Herod. VII 2, 18 ; VII, 5)

ففى عام ٤٨٤ق.م. استرد الجيش الفارسي بدون كبير عناء البلاد المصرية للحكم الفارسي ، وقد نصب « اكزركزس » «أخمينيس» شطربةعلى«مصر»، والظـــاهر انه هـــو الذى قاد الحمـلة على البـــلاد لاســـتردادها من يد الثوار . والظاهر كذلك أنه كان قد أخضع البلاد وجعلها أكثر امتثالا لسلطان الفرس عما كانت عليه فى عهد « دارا » الأول(راجع Herod VII,7 cf VII, 20) وقد اختلفت الروايات فى مجرى حوادث هذه الثورة لقلة ما لدينا من آثار تحدثنا عن كنهها ، فقد قيل بان الثورة لم يقم بها المصريون انفسهم بل قام بها اللوبيون الذين كانوا يقطنون غربى الدلتا ، فانتزعوا الوجه القبلى من الفرس ، وكانت عاصمة ملك الفرس فى « مصر » وقتئذ بلدة « منف » وقد قاومت الثوار الذين استولوا على الوجه البحرى الى ان وصلت النجدة الى جيش الفرس ، وفى تلك الفترة ، كانت طريق « وادى حمامات » التى تربط بين « مصر » والطريق البحرية الى بلاد العرب هى الطريق التى تربط بين عاصمة الملك الفارسية و « مصر » .

« اكزركزس » الأول وثورة « خبا باشا »

ولدينا رواية أخرى تدل على أن الذى قام بهذه الثورة فى بداية عهد « اكزركزس » هو احد الأبطال المصريين الذى أراد أن يخلص « مصر » من الاستعباد الفارسى ، وتدل ما لدينا من نقوش على أنه حكم البلاد بوصفه ملكا واتخذ لنفسه ألقابا ملكية ، وهذا البطل يدعى « خبا باشا » ، غير أن العصر الذى عاش فيه هذا الملك لا يزال موضوع نقاش كبير ، والواقع أنه فى عهد « الاسكندر آجوس Alexander Aegus » وجد نقش من عهد الملك « بطليموس سوتر » الذى كان يحكم « مصر » فعلا جاء فيه (راجع . Mar : Mon. Divers. p. 14, Records of the Past X, 71) « وقد ذهب لفحص تمثال الملك «خبا باشا » . وقد ذكر الكهنة أن ملك الفرس « اكزركزس » قد اضطهد « بوتو » ، وقد حصل الكهنة على هبات جديدة من «بطليموس» الذى أعاد الأوقاف القديمة التى كان منحها « خبا باشا » لمعبد « بوتو » ، أما النقش الآخر الذى دون عن هذا البطل فيدل على أنه كان قابضا على ناصية الامور فى « منف » ، فقد أرخ بالسنة الثانية شهر « هاتور » . وهذا ولدينا حروف طغرائه على جعل ، وكذلك فى مجموعة « ستير » (راجع L.D. IV 196)

ويقول « بترى » عن هذا الملك (راجع Petrie, Hist. III 368—9) انه على الرغم من ان « خبا باشا » يعد اسرة قائمة بذاتها مستقلة فانه يعتبر «بكنرف» ملك الأسرة الرابعة والعشرين، فقد حكم كل منهما مدة قصيرة لا أهمية لها .

وقد اختلف المؤرخون فى تحديد عهد هذا الملك فقد كان يؤرخ حتى عام

١٩٠٧ بأنه القائد المصرى الذى قاد الثورة على الفرس فى عام ٤٨٦ ق.م.
وقد برهن « فلكن » (راجع A.Z. 35. (1897) p. 81-87) على حسب ترجمة مضبوطة للوحة الشطرب ان « خبا باشا » جاءفى العهد الذى بعد «شبرش» الطاغية أى « اكزركزس » . وقد ظن أن ذلك حدث فى عهد «ارتكزركزس» الأول التى وقعت فى خلاله الثورة العظيمة الثانية فى وادى النيل على الفرس ، وأخيرا نشر الأثرى « شبيجلبرج » ورقة كتبت بالديموطيقية تدعى ورقة « ليبى Libbeg » وتحتوى على عقد زواج مؤرخ بالسنة الاولى من عهد الملك « خبا باشا » وقد دونها نفس الكاتب الذى دون ورقة أخرى مؤرخة بالسنة التاسعة من عهد « الإسكندر الاكبر » وعلى ذلك نبرهن على أن « خبا باشا » كان قد حكم « مصر » قبل عهد « الاسكندر الاكبر » بزمن قصير أى عند نهاية الحكم الفارسى ما بين ٣٤٢ — ٣٣٢ ق.م.

(راجع Der Papyrus Libbey, Schrifften der Wissen-schaft Gesch. in Strasburg 1907) ، ولكن من جهة أخرى لم تجد اسم « خبا باشا » لا فى ملوك الأسرة التاسعة والعشرين ولا فى ملوك الأسرة الثلاثين فى قائمة « مانيتون » هذا فضلا عن أنه لم يذكر اسمه فى الخوليات الديموطيقية . وقد حدد « ماسبرو » تاريخ هذا الغاهل واقترح أن يكون قد جاء فى عهد « دارا » الثالث (كودومان) ، ولكن اذا كانت الورقة الديموطيقية (2430) المحفوظة بمتحف (اللوفر) تؤرخ بالسنة الثانية من عهد « دارا » الثالث فان الأثرى « جوتييه » فى هذه الحالة يميل الى وضع « خبا باشا » قبل آخر ملك فارسى حكم « مصر » أى فى عهد «ارتكزركزس» الثالث وهو الذى يلقب باسم « أوكوس » او « أرسش » (ما بين ٣٤٣ — ٣٣٦ ق.م.) (راجع L.R. IV 159 note 2) ولكن على الرغم من كل ذلك نجد أن الأثرى « جريفث » فى عام ١٩٠٩ م قد أصر على أن يضع الحادث

الذى يسمى ثورة « خبا باشا » فى السنة الخامسة والثلاثين من حكم « دارا » أى قبل التاريخ الذى اقترحه الأثريون الذين سبقوه بنحو مائة وخمسين سنة (راجع Griffith Ryl. vol. II. p31)

وهاك الآثار التى تركها لنا « خبا باشا »

١ — ورقة « لبى Libbey » (راجع Sphinx VII p. 139-140)

هذه الورقة محفوظة الآن فى متحف الفن بمدينة « توليدو » بمقاطعه « أهيو » بأمريكا الشمالية وكانت قد اشتريت من « الأقصر » وتحتوى على صيغة عقد زواج مكتوب بالديموطيقية وهاك الترجمة :

١ — فى السنة الأولى فى شهر « هاتور » (Athyr) من عهد الملك « خبا باشا » قالت السيدة « سيتربون Setyrboone ابنة « بيتهاربوكراتس Peteharpokrates » و « سيميتيس Semminis » الى الكاهن فاتح باب المحراب لـ « آمون » « الكرنك » فى « طيبة » الغربية المسمى « تيوس Teos » بن « باو انس حار بخرت » انك اتخذتنى زوجتك وأمهرتنى ٥/١٠ دبنا من الفضة — (= ٢ر٥ ستات) — وانى اكرر ٥/١٠ دبنا من الفضة مهرا لى فاذا نبذتك بوصفك زوجى كارهة لك أو أحببت رجلا آخر أكثر منك فانى ارد اليك ٢ر٥ أعشار دبنات من الفضة (أى ١/٤ ١ ستات) — وانى اكرر ٢ر٥ أعشار دبنات من الفضة وهى التى تخص هذه ٥/١٠ دبنا من الفضة (؟) وهى = ٢ر٥ ستات (نقد أغريقى) — وانى أكرر ٥/١٠ دبنا من الفضة (؟) وهى التى أعطيتنيها مهرا ، وانى أتزل لك عن النصف من جميع كل شىء سأحصل عليه منك مادمت متزوجا منى : تسلم صورة من المتن أعلاه فى ورقة أخرى وقد قمت بنقلها (؟) وانى أقرر كل كلمة دونت أعلاه على حسب (؟) الوثيقة

الحالية وسأتممها بستة عشر شاهدا ، وانى اعطيكها — ولن يكون فى استطاعتى أن أحدد تاريخا آخر لك غير السابق (؟) — ودون أن أتفاوض معك بأية طريقة بالكتابة أو شفويا (؟) .

كتبه « بتحار برس Peteharpres » بن « بكاس Pekas » .

ويضيف الناشر لهذا العقد ما يأتى : من بين الستة عشر شاهدا الذين وقعوا على حسب ما جاء فى السطرين ١ه٣ فان الخمسة التالية قد دونت أسماؤهم على ظهر الورقة :

١ — « بتى Pete » .... ابن « بتو » (؟)

٢ — « سمينس » بن « وافريس Waphris » (ابريز) .

٣ — .... ابن « فيبيس Phebis »

٤ — « توتيوس » (؟) بن « بتو »

٥ — الكاهن « حرى — سشت » (كاتم السر) (؟) فى « طيبة » « أمينوفيس » بن « تيوس » .

ولا نزاع فى أن هذه الوثيقة تقدم لنا فكرة صريحة جلية عن قيمة الوثائق الديموطيقية . وقد علق « شبيجلبرج » على ترجمته هذه بملحوظة صغيرة أراد أن يحدد فيها تاريخ حكم الملك « خبا باشا » وقد حدده على وجه التقريب بين ٣٤١ — ٣٣٢ ق .م. ولكن « جريفث » كما ذكرنا من قبل قد عارضه فى ذلك .

٢ — الوثيقة الثانية من عهد « خبا باشا » : هى تابوت لعجل « ابيس » وجد فى سربيوم « منف » ، وقد أرخ بالسنة الثانية شهر « هاتور » (راجع

(Brugsch A.Z. (1871) p. 13 ; Thesaurus p. 968 وقد جاء عليه : السنة شهر هاتور فى عهد جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحرى « خبا باشا » محبوب « أبيس » ، « أوزيرحور » صاحب « كم » (= الثور) .

٢ ــ اللوحة المسماة لوحة الشطربة : عثر على هذه اللوحة فى «القاهرة» عام ١٨٧٠ م فى اساس حجرة صغيرة فى جامع « شيخون » . وقد كشف عنها « محمد أفندى خورشيد » الذى كان وقتئذ رئيس الملاحظين بالمتحف المصرى . وتؤرخ بالسنة السابعة من عهد «الاسكندر» الثانى بن «الاسكندر الأكبر » ، وقد أهداها « بطليموس » ابن « لاغوص » الذى قنع فيها بتلقيب نفسه بشطربة « مصر » وقتئذ . وقد كان « بطليموس » هذا صاحب قوة فعلية وكان يقطن فى قلعة الملك « الأسكندر » الأول على شاطىء البحر الايونى أى فى « الأسكندرية » التى كانت تسمى فى بادىء الأمر « ركوتى » . وقدأسكن كثيرا من الجنود المرتزقة من الاغريق فى هذا المكان ومعهم خيلهم كما وضع فيها سفنا مجهزة بجنودها وعتادها . ولما ذهب الى بلاد « سوريا » من أجل منازلة اهلها فى موقعة ، خاض المعمعة بقلب صلب وأنقض على العدو كما ينقض النسر على الحمام . فأستولى على هذه البلاد دفعة واحدة وساق رؤساءها الى « مصر » كما استولى على جيادهم كلهاوسفنهم وكل ثروتهم وبعدعودته من حملته المظفرة فى «المرمريك» اقترح عليه أحد مستشاريه أثناء احتفاله بنصره والعمل على ما يمكن ان يرضى آلهة « مصر » ان يثبت لمعبد « بوتو » الوقف الذى كان قد حبسه الملك « خباباشا» على آلهة هذه المدينة وكذلك الممتلكات التى كان قد وهبها « اكزركزس » الأول ملك الفرس فوافق على ذلك ، ثم ينتهى متن هذه اللوحة باللعنات على كل من يحاول العودة الى التعدى على هذه الأوقاف

(Maspero Guide (1915) p. 199) وقد لقب « خباباشا » فى هذه اللوحة بأنه تمثال « تاتنن » المختار من الاله « بتاخ » .

٤ — وعثر للملك « خباباشا » كذلك على جعران فى مجموعة « ستير » (راجع Brugsch Bouriant Livre des Rois p. 122) وقد نقش عليه « خباباشا » محبوب « رع » . وقد حدث نقاش كبير عن أصل « خباباشا » فمن قائل أنه شطرب الفرس ومن قائل أنه كوشى أو عربى المنبت ، غير ان طغراءه الأولى تبرهن على انه توج فى « منف » وعلى ذلك يحتمل انه كان من أصل لوبى كما أقترح ذلك «ماسبرو » ، وذلك على غرار الرئيس « ايناروس » الذى أعلن نفسه فيما بعد ملكا على كل « مصر » وذلك لأن ورقة « لبى » تعد وثيقة من أصل طيبى . وهناك رأى آخر يقول انه من أصل نوبى (راجع عن كل ذلك Friedrich Karl Kienitz Die politische Geschichte Agyptens Von 7 Bis Zum 4 Jahrhundert vor der Zeitwende pp. 185-189 حيث عالج موضوع « خباباشا » وجمع كل الآراء التى وردت عنه .

عهد الملك « اكزركزس » فى مصر

خاشاروشا

مكث حكم الملك « خباباشا » حوالى عام اذا صدقنا الرأى الذى يقول أنه عاش فىعهد الملك «اكزركزس»(١)، وبعد ذلك حضر الأخير الى«مصر» وقضى على الثورة التى تزعمها « خباباشا » . والواقع أن هذه الثورة كما ذكرنا آنفا لم تكن ذات شأن عظيم ، ولا تعد حادثة بالغة الأهمية ، غير ان تأثيرها كان عظيما ، وذلك ان « دارا » قد أراد ان تكون « مصر » جزءا لا يتجزأ من امبراطوريته وأن يكون فرعونا على هذه البلاد بوصفها مستقلة فى ظاهر الأمر وهذه السياسة قد حققها لنفسه ، غير أن الثورة التى قامت فى « مصر » قد أظهرت له أنه كان خاطئا فى زعمه .

ولما تولى « اكزركزس » زمام الحكم فى « مصر » حاد عن سياسة والده والواقع أنه لم يكن يعرف الموقف فى « مصر » ولم يكن قد زارها من قبل، هذا فضلا عن أنه لم يكن يظهر أية أهمية لوادى النيل ولذلك فانه عامل « مصر » كمديرية من مديريات الامبراطورية الأخرى ومن ثم منع المال الذى كان يعطيه سلفه لمساعدة المعابد المصرية ، ويدل ما لدينا على أنه لا « اكزركزس » ، ولا خلفه «ارتكزركزس» قد اقام معابد فى«مصر».ولا نزاع

---

(١) وهذا الرأى فيه شك كبير والمحتمل جدا انه عاش قبل فتح الاسكندر لمصر مباشرة .

فى أنه جعل « مصر » فى حالة عبودية ومهانة أكثر مما كانت عليه فى عهد « دارا » . وبعد أن تم له الفتح عاد الى عاصمة ملكه فى « فارس » تاركا أخاه « أخمينيس » حاكما عليها ، فأخذ فى استعباد الأهلين بصورة بشعة .

ولا نزاع فى أن الفرس قد أخذوا يضيقون الخناق على المصريين باطراد لدرجة أن الوظائف الصغيرة التى لا أهمية لها قد أصبحت فى يد الفرس ، وذلك لانتزاع ما يمكن انتزاعه من هذه البقرة الحلوب حتى الفناء ، ومن ثم لوحظ فى هذه الفترة أن التجارة المصرية التى كانت رائجة السوق فى عهد «دارا الاول» قد أخذت تتدهور بسرعةمحسة. واذا كانت شواهد الأحوال تدل على أن هذه التجارة كانت رائجة بعض الشىء فى البحر الأحمر وعلى الطرق الصحراوية التى كانت تخترقها القوافل فانها من جهة أخرى قد انقطعت أسبابها فى « نقراتش » وفى البحر الأبيض المتوسط وذلك بسبب الحروب التى كانت مشتعلة بين جمهورية « أثينا » وحلفائها من جهة وبين الأمبراطورية الفارسية من جهة أخرى . وقد كانت « مصر » مضطرة وقتئذ أن تقحم نفسها فى هذه الحروب على كره منها وكان لابد ان تلعب فيها دورا حاسما بسبب تبعيتها للدولة الفارسية . ومن ثم نرى ان « اخمينيس » قد جهز أسطولا مؤلفا من مائتى سفينة مصرية ليشد به من أزر الحملة الهائلة التى أرسلها الفرس على بلاد الاغريق فى عام ٤٨١ ق.م. فى الحرب الميدية الثانية وعلى الرغم مما أظهره المصريون من شجاعة ومهارة فى حروبهم البحرية فى موقعتى « أرتميز » و « سلامس » فان هذه الحملة قد منيت بالفشل التام والهزيمة المخزية .

على أن العبث والطغيان والفساد الذى اتصف به « اكزركزس » لم يقتصر على « مصر » بل نشاهد أنه فى أول سنة من حكمه ذهب الى «بابل»

وأتى فيها أمرا منكرا لم يأته ملك من ملوك الفرس قبله ، وذلك أن كلا من « كيروس » و « قمبيز » و « دارا » قد دخل هذا البلد بوصفه ملكا وقد كان ذلك يمثل فى احتفال مقدس مهيب وكان على العاهل أن يقوم فى عيد رأس السنة فى المعبد بالقبض على يدى الاله « بل — مردوك » وبذلك يصبح تملكه عرش البلاد شرعيا ، غير أن « اكزركزس » عوضا عن ذلك أمر بابعاد تمثال « مردوك » عن المعبد ، ومن ثم نجد ان ملكية « بابل » قد ألغيت (راجع

Ed. Meyer Forsch. II p. 476-479; G.D.A. IV, 1 p. 121-123; cf Lehmann Haupt zu Herod. I, 183; Klio 7 **(1907), p. 447-8;** comp, F.H. **Weissbach Zur neu Babylon und Achamenidischen** Z. D. **M.** G. 62 **(1908) p. 642-645**)

أما عن آثار حكم « اكزركزس » فى « مصر » فضئيلة . والظاهر أنه لم يعد الى « مصر » ما بين عامى ٤٨٤ ق.م ، ٤٦٥ ق.م وهى السنة التى مات فيها فقد قتله « ارتابانوس » فى صيف ذلك العام . وقد دلت اعماله على انه لم يكن يسعى لجلب محبة المصريين وجذب قلوبهم اليه . وكل ما يمكن الاشارة اليه من أعمال قام بها هو وخلفه « ارتكزركزس » من بعده النشاط الذى أظهره كل منهما فى قطع الأحجار من « وادى حمامات » وهذه الأحجار على ما يظهر كانت تنقل الى بلاد « فارس » عن طريق البحر الاحمر لاقامة المبانى الهامة (١) .

---

(١) راجع كذلك النقوش المصرية الآرامية من عصر «اكزركزس» الموجودة بمتحف « برلين Borchardt, A.Z, 49 1911 p. 73-74; Bisseng Z D.M G.; 34 (1910) p. 226-238 »

الملك « ارتكزركزس » الأول وثورة « ايناروس »

ارتاشساس

على أثر موت الملك «اكزركزس» تولى بعده الحكم العاهل «ارتكزركزس» وقد حكم هذا العاهل على حسب رواية « مانيتون » احدى واربعين سنة ، ولكن على حسب الآثار التي تركها لنا نجد أن آخر سنة في حكمه هي السنة السابعة عشرة ويقول «سينسل Syncelle » إنه حكم أربعين عاما Unger Chronologie des Manetho p.258 ، و « ارتكزركزس » هو الابن الأصغر للملك « اكزركزس » .

وقد لاحظ الأثرى « فيدمان » مما جاء في النقش رقم ٣١ الذي عثر عليه في « وادي حمامات » والمؤرخ بالسنة الخامسة من حكم الملك « ارتكزركزس » الأول (٤٦١ ق.م.) أن الدلتا كانت في ذلك الوقت في ثورة عامة ؛ وقد استنبط أن الوجه القبلي كان قد بقي خاضعا للفرس ولم يقم بأي عصيان .

والظاهر أنه على اثر وفاة « اكزركزس » شبت نار فتنة في « مصر » تشبه التي قامت في أواخر عهد « دارا » الأول بقيادة الملك « خباباشا » على بعض الأقوال . وحقيقة هذه الثورة أن أميرا من أمراء مملكة « لوبيا » — التي كانت تنحصر بين فرع النيل الكانوبي والصحراء والبحر — يدعى « ايناروس » ابن « بسمتيك » الذي يحتمل أنه كان من فرع الأسرة الساوية القديمة التي أبعدت عن عرش الكنانة منذ ستين عاما مضت ، قد ضم تحت لوائه بيسر وسهولة الجزء الأعظم من بلاد الوجه البحري الواقع بين فرعي النيل

الرئيسيين . وقد قوبل هذا الأمير بكل ترحاب فى كل مكان دخله ، وكان أول عمل حاسم قام به هو طرد جباة الجزية من عمال الفرس وكذلك أقصى جنود «اخمينيس» شطربة البلاد ولم يكن أمام هؤلاء الجنود الا الالتجاء الى « منف » حيث لم يكن يدور بخلد « ايناروس » انه سيقفو أثرهم الى هناك ويقضى عليهم الا بعد أن يتأكد من أنه فى مأمن من عدم هجوم بحرى عليه . وقد طلب من أهل « برقة » مساعدته فى هذا الصدد كما طلب من جمهورية « أثينا » ذلك بصفة خاصة ، وقد أرسلت الأخيرةاليه من « قبرص »اسطولا مؤلفا من مائتى سفينة بحرية مزودة بخمسين الف مقاتل مدججين بالسلاح بعضهم من « أثينا » نفسها وبعضهم الآخر من حلفائها وهذا الأسطول قد تمكن فعلا من الاقلاع فى النيل دون عناء ، وأنضمت قوته الى قوة « ايناروس » التى حاصرت قلعة « منف » وقد كان ذلكفى الوقت الذى عاد فيه « أخمينيس » بجيشه فهزمه « ايناروس » فى « بابرميس » احدى مدن الدلتا Dic. Geogr. IV. p. 79 فى عام ٤٥٩ ق.م وقد قتله وأرسل جثته الى ملك الفرس « ارتكزركزس » . وقد حاول هذا العاهل عبثا ان يغرى مملكة « اسبرتا » بالقيام بمهاجمة عدوتها ومناهضتها « أثينا » انتقاما لمساعدتها لـ « مصر » ، ولجعل « أثينا » تسحب نجدتها من « مصر » ولكنه لما خاب مسعاه اضطر الى ارسال جيش جديد قوى الى دلتا النيل ، وقدبولغ فى تقدير عدد هذا الجيش اذ قدر بنحو ثلاثمائة ألف مقاتل بقيادة شطرب « سوريا » المسمى « مجابيز » . وقد كان هذا الجيش يعتمد على أسطول يشد أزره قوامه ثلاثمائة سفينة يقودها « ارتاباز » .

وقد وقعت بين الفريقين موقعة كانت نتيجتها أن هزم المصريون واليونان فى هذه المرة هزيمة ساحقة . وقد اضطر المصريون الى التخلى عن « منف »

نطاردهم الفرس وحاصروهم فى جزيرة « بروسوبيس Prosopis » وبعد حصار دام أكثر من سنة ونصف السنة سد « مجابيز » مياه النهر وبذلك أمكنه ان يستولى على الأسطول الذى أصبح يقف على اليابسة لانحسار المياه عنه (٤٥٦ ق.م.) وبعد حرب دامت سنوات دارت الدائرة على المصريين فخسروا الحرب ، وكان من جراء ذلك أن أعدم « ايناروس » بوضعه على خازوق ، ومن ثم عادت « مصر » ترزح تحت نير الفرس من جديد .

هذا وكانت « أثينا » قد أرسلت بعد ذلك ببضع سنين نجده للمصريين مؤلفة من خمسين سفينة دون علمها بما حل بالجيشين المصرى واليونانى فاستولى عليها الفرس دون عناء وهى سائرة فى فرع النيل المنديسى (٤٥٥ — ٤٥٤ ق.م.) واخيرا عقد فى عام ٤٤٨ ق.م صلح « كالياس » بين « اثينا » وملك الفرس العظيم ، وقد كان من شروطه الواضحة الجلية عدم محاولة « أثينا » التدخل فى مصلحة « مصر » أو العمل على استقلالها القومى .

ولم يترك لنا « ايناروس » ولا معاصره « امرتى » الأول على ما يظهر آثارا . وعلى اية حال فان «ارتكزركزس» الأول لم يكن معروفا لدى المصريين فى عهده مثل أسلافه وذلك لأنه على ما يظهر لم يذهب الى « مصر » قط (١) ومما يطيب ذكره هنا أنه فى عصر هذا العاهل وبخاصة فى المدة التى ساد فيها

---

(١) حفظت لنا قصة « ايناروس » وحروبه فيما كتبه كل من « ديدور الصقلى » والمؤرخ اليونانى ثوسديد « Thucydide » و « كتسياس » (راجع L. R, IV, p. 153 note 3)

السكون أى فى المدة التى جاءت على أعقاب صلح « كالباس » بين عامى ٤٤٨ — ٤٤٥ ق.م. زار المؤرخ اليونانى « هردوت » وادى النيـل وترك لنا وصفه الجغرافى الحر الغنى بما حواه من الملاحظات العجيبـة عن الحياة السياسية والاجتماعية والدينية لوادى النيل ، وعلى الرغم مما حواه من أخطاء يرتكبها كل سائح لا يعرف طبائع البلاد فان مؤلفه يعد أنفس ما تركه لنا اليونان الأقدمون وهو لا يزال حجة يرجع اليها عن العصر الذى عاش فيه من ناحية ما رآه رأى العين .

الملك (دارا) الثانى

انتريوش = « دارا الثانى »

حكم هذا الملك على حسب ما رواه « مانيتون » تسع عشرة سنة ولم يرد شيء عن سنى حكمه قط فى الآثار المصرية . ولابد أن نلفت النظر هنا الى أن السنة التاسعة عشرة من عهد « دارا » قد وجدت فى متن بطلمى فى معبد « ادفو » وقد نسبها بعض المؤرخين (راجع Actes du Congress International des Orientalistes tenu a Leide, t. IV p. 233-235; Introduction à Ed. Meyer Geschichte des Alten Agypten p. 45 إلى «دارا» الثانى ولكنها يجب أن ننسب الى « دارا » الأول (راجع L. R. IV p. 153 No. 4) هذا ولابد أن نشير هنا الى أنه بعد موت « ارتكزركزس » (أردشير) الثانى عام ٤٢٤ ق.م. خلفه على عرش « سوس » أخوه « اكزركزس » الثانى ؛ والظاهر انه لم يمكث على عرش الملك الا شهرين (راجع Unger Chronologsie de Manethon p. 285; Maspero Hist. Ancienne III p. 278 n., Wiedmann Aeg. Gesch. p. 666) ثم قتله أخوه « سوجديانوس Sogdianos » الذى لم يحكم بدوره الا ستة أو سبعة أشهر وبعد ذلك قتله أخوه «أوكوس» الذى خلفه على أريكة الملك باسم « دارا » الثانى .

ولم يترك لنا كل من « اكزركزس » الثانى و « سوجديانوس » خلال حكمهما الذى لم يدم أكثر من سنتين أى أثر من أعمالهما فى « مصر » كما لم نعثر على اسم واحد منهما لا فى الهيروغليفية ولا فى الديموطيقية .

ولم يكن « دارا » الثانى هذا ابن الملك « اكزوكزس » الأول بل كان

صهره وكان يطلق عليه أسم « أوكوس » . وقد كان قبل توليه عرش بلاد « فارس » شطربة مديرية « هيركانى » ، وبعد قتل « سوجديا نوس » خلفه على العرش عام ٤٢٣ ق.م. وقد أطلق عليه اليونان « ابن أبيه » وذلك لأنه كان واحدا من أولاد « ارتكزركزس » الأول العديدين غير الشرعيين والواقع أن « دارا » الثانى هو الملك الوحيد بعد « ارتكزركزس » الأول الذى ترك له على الآثار فى « مصر » .

فنجد فى المعبد الذى أقامه « دارا » الأول فى الواحة الخارجة أن «دارا» الثانى هذا أضـاف طغراءه فى أماكن عدة وقد نقش هناك بوجـه خاص ذكرى له على الآثار فى « مصر » .

(راجع Brugsch, Reise Nach der Grossen Oase El-Khargeh p. 13 ff & Lepsius A.Z.XII (à874) p. 73,75, 78; Brugsch A Z.XII (1875) p. 51 ff; Wiedmann Gesch. p-240 No. 1-2; id. p. 880 No. 1.

وقد كان المعبود المحلى للواحة الخارجية يدعى « آمون رع سيدهبت » (اى الواحة الخارجة) الآله الأعظم القوى الساعد . وتدل النقوش على أن « دارا » الثانى قد زاد فى لقبه وهو « محبوب آمون رع » باضافة نعوت مختلفة لهـذا الآله وقد نظفت مصـلحة الآثار هذا المعبد ورممته (راجع «فخرى» الواحة الخارجة) .

ولا يفوتنا هنا أن نذكر أنه فى عهد حكم هذا الملك وبعبارة أدق فى عام ٤٠٧ ق.م. دونت البردية المشـهورة باللغة الآرامية والتى عثر عليهـا فى « الفنتين » وسميت باسمها (راجع Cowley, Aramaic popyrus of the fifth Century, Oxford, 1923)

وهذه الورقة تحدثنا عن المستعمرة اليهودية التى كانت تقطن «الفنتين» وقتئذ . والواقع أن تأسيس هذه المستعمرة يرجع على أقل تقدير الى حكم الملك « ابريز » (٥٨٨ — ٥٦٩ ق . م) (راجع Schäfer Klio (1904) p.155 ff) ومن المحتمل أنها ترجع الى أقدم من ذلك اذ قد تكون فى عهد « بسمتيك » الثانى (٥٩١ — ٥٨٨ ق.م) أو حتى فى عهد « بسمتيك » الأول (٦٦٣ — ٦٠٩ ق.م.) (راجع Dictionnaire de la Bible supplement fasc-X (1923) p. 983-984)

وأوراق « الفنتين » الآرامية هذه عثر عليها فى هذه البلدة على دفعات من عام ١٩٠٤ — ١٩٠٨ م. على يد بعثات أوربية مختلفة. ومعظم هذه الأوراق مؤرخ ويمكن وضع الأوراق بعد الفحص مابين عامى ٤٩٥ ، ٤٠٠ ق.م وبعبارة أخرى فى عهد الحكم الفارسى لـ « مصر » . وكان يهود « الفنتين » يؤلفون مستعمرة حربية ينفق عليها ملك « فارس » ، وعندما طرد الفرس من «مصر» عام ٤٠٠ ق.م. كان على يهود « الفنتين » أن يغادروا هذا المكان الذى احتلوه منذ اكثر من قرن من الزمان ، ومن المحتمل ان هؤلاء اليهود لم يشتت شملهم دفعة واحدة وذلك لأنه لدينا وثيقة آرامية مؤرخة بالسنة الخامسة من عهد الملك « امرتى » وهو الملك الوحيد الذى يعرف فى الأسرة الثامنة والعشرين كما سنرى بعد (راجع Papyrus No. 35 de Cowley op. cit.) فى عهد البطالمة الذين أظهروا حسن معاملتهم لهذه الطائفة .

ومما تجدر ملاحظته هنا ان كهنة الآله « خنوم » لم يكونوا على حسن تفاهم على الأقل فى نهاية العهد الفارسى مع اليهود القاطنين فى «الفنتين» لخلاف فى الدين وبخاصة عندما نعلم أن المصريين كانوا يحتقرون اليهود ودياناتهم ويبتعدون عنهم كل البعد ، ولذلك فانه فى عيد الفصح الذى كان يحتفل فيه

اليهودبذبح «خروف صغير» نجد ان كهنة «الفنتين» الذين كانوايعبدون الاله « خنوم » (أى الـكبش) لم يصرحوا بذبح الخـروف . وهـذا لم يكن بالأمر الغريب من جانب المصريين ، وعلى أية حال فانه من الجائز جدا ان تاريخ اليهود لم يكن مجهولا لدى المصريين ، فمن غير المعقول أن يوجـد تعايش طويل بين المصريين واليهود دون أن يوجد لذلك تأثير مهما كان ضئيلا حتى لو كان بين الفريقين خلاف فى الثقافة والآراء ، وعلى ذلك فمن الجائز أن يكون تاريخ « يوسف » وسبع السنين العجاف معروفا عند كهنة معبـد « خنوم » فى « الفنتين » عن طريق اليهود .

هذا وبعد « دارا » الثانى آخر ملوك الأخمينيسين الذى تألفت منهـم الأسرة السابعة والعشرون على حسب رأى « مانيتون » ، وبعد وفاة هـذا العاهل حكم بلاد « فارس » بعده « ارتكزركزس » الثانى ، غير أن هـذا العاهل ومن خلفه من ملوك الفرس لم يظهروا فى « مصر » . ومنذ السنين الأخيرة من عهد « دارا » الثانى اخذت الحركة المصرية القومية تقوى وتشتد فى البلاد وأخذت فى طرد المستعمر من بلادها الى أن أفلحت فى التخلص من شطربة الفرس الذى كان يحكم « مصر » ووضعت مكانه على عرش «مصر» أميرا مصريا يدعى « أميرتايوس » وكان مستقلا عن عاصمة ملك « فارس » تمام الاستقلال وهكذا بدأ عهد جديد فى التاريخ المصرى كما سنشرح ذلك فيما يلى .

طرد الفرس من «مصر»

لم يرض الشعب المصرى يوما ما بالحكم الفارسى مدة تسلطه عليه ، ولذلك فانه كان يتحين الفرص للتخلص من نيرهم كما تخلص من قبل من نير الآشوريين ، وقد واتت الفرصة المصريين حوالى عام ٤٩٠ ق.م. عندما هزم الاغريق الفرس هزيمة منكرة فى واقعة « ماراتون » بالقرب من « أثينا » . ومنذ ذلك العهد اتجهت أنظار عاهل الفرس نحو بلاد الاغريق ومن ثم أخذ يعبىء حملة ضخمة للقضاء عليها ومسح العار الذى لحق ببلاده وبجيشه . وتدل شواهد الأحوال على أن الفرس لم يضيقوا الخناق على المصريين ولم يتابعوا ملاحظة سير الأمور فيها عن كثب ، ولا أدل على ذلك من أنه فى عام ٤٨٦ ق.م قامت ثورة فى الوجه البحرى أي بعد واقعة «ماراتون» بمدة قصيرة ، وفى ذلك يقول « هردوت » (راجع Herod, VII, 1) وعند ما وصلت أخبار موقعة « ماراتون » الى « دارا » بن « هيستابس » الذى كان فى شدة الغيظ والحنق على الآثينيين بسبب هجومهم على «ساريس» فى « آسيا الصغرى » ازداد غضبه جدا وأصبح تواقا بشدة الى شن حرب على الاغريق . وبعد أن أرسل فى الحال رسلا الى المدن المختلفة حتم عليها أن تجهز جيشا ، وفرض على كل مدينة عددا أكبر مما كانت تقدمه من قبل من السفن والخيل والغلة وسفن الشحن . وعند ما أعلنت هذه الأوامر فى أنحاء الامبراطورية أصبحت كل بلاد « آسيا » فى اضطراب لمدة ثلاث سنوات ، وقد انخرط أشجع الرجال فى الجيش واستعدوا لغزو بلاد الاغريق ، ولكن فى السنة الرابعة ثار المصريون — الذين كان قد أخضعهم « قمبيز » — على الفرس . وعندما كان « دارا » يستعد للقيام بحملة على « مصر »

و « أثينا » قام نزاع شديد بين أولاده على خلافة الملك . وانتهى أمر هذا النزاع باختيار « اكزركزس » ليكون خليفته على ملك « فارس » (٤٨٥ — ٤٦٤ ق.م)

وعلى أية حال فقد مات « دارا » قبل أن يقوم بالحملة على « مصر » لاخضاعها وترك ذلك لابنه « اكزركزس » الأول ، وتدل شواهد الأحوال على أن الأخير لم يكن ميالا لمحاربة الاغريق ، ولكن من جهة أخـرى جهز جيشا لاخماد الثـورة فى « مصر » . ويحـدثنا « هردوت » فى ذلك قائلا (راجع Herod. VII,5-7) : « ولكن « مردنيوس » بن « جوبرياس »وهو ابن عم « اكزركزس » وابن أخت « دارا » الذى كان حاضرا وله تأثير عظيم جدا عليه أكبر من كل الفرس كان يخاطبه باللغة التالية قائلا : « سيدى انه ليس من الحق أن الأثينيين بعد أن أوقعوا أضرارا كبيرة بالفرس أن يتركوا دون عقاب على ما ارتكبوه من أعمال ، وعلى أية حال فلتنه الآن المشروع الذى تقوم به ، وعند ما تقضى على وقاحة «مصر» سر بجيشك على «أثينا» حتى تنال شهرة حسنة بين الناس ، وكل واحد سيأخذ حذره للمستقبل اذا سولت له نفسه الزحف على قطرك » .

وفى السنة الثانية من حكمه قام بالحملة على « مصر » وفى ذلك يقول « هردوت » Herod. VII,7 وعندما أقنع « اكزركزس » باشعال نار حرب على الاغريق قام أولا وقتئذ فى السنة الثانيـة بعد موت « دارا » بحملة على الثائرين ، وبعد ذلك صير كل « مصر » فى حالة استعباد اسوأ مما كانت عليه فى عهد « دارا » ووكل أمر حكومتها الى شـقيقه « أخمينيس » بن « دارا » .

وبعد ذلك ولى « آكزركزس » وجهه شطر بلاد الاغريق لمحاربتها وكان من جراء الهزائم التى توالت عليه وعلى جيوشه فى حروبه مع بلاد الاغريق أن اندلعت نار الفتن فى أنحاء المديريات الفارسية ، وقد أغتيل «اكزركزس» وخلفه على عرش الملك ابنه « ارتكزركزس » (٤٦٤ — ٤٢٤ ق٠م) وفى خلال حكم هذا العاهل قامت ثورة فى « مصر » مطالبة بتحرير نفسها وكانت أشد خطرا وأكثر عنفا من التى قامت فى عهد « دارا » الأول .

وكان القابض على زمام هذه الثورة فى «مصر» أمير يدعى «ايناروس» بن « بسمتيك » وهو على ما يظن نوبى الأصل ، وقد امتدت الثورة فى أنحاء البلاد وساعد « ايناروس » وشد أزره مصرى آخر يدعى « امرتى » من بلدة « سايس » . وتدل الأحوال على أنه من الأسرة الملكية الساوية المنحلة . وفى تلك الأثناء وجد الأثينيون فرصة لاضعاف عدوهم الاكبر ملك الفرس فأرسلوا أسطولا قوامه ثلاثمائة سفينة حربية على حسب رواية « ديودور » الصقلى (Diod. XI, 71) ومائتا سفينة فى رواية أخرى (Ibid XI,74) اما المؤرخ العظيم « ثوسيديد » فيقول ان عدد السفن كان مائتى سفينة (راجع Thucydide, I, 104)وقد سار هذا الأسطول فى النيل حتى وصل الى « منف » • ولكن قبل أن يصل هذا الاسطول الى « مصر » كان « ارتكزركزس » ملك الفرس قد ساق جيشا عرمرما قوامه ثلثمائة ألف مقاتل الى « مصر » وقد تقابل الجيش المصرى مع الجيش الفارسى عند بلدة « بابرميس » وهى عاصمة احدى مقاطعات الوجه البحرى لا يعرف موقعها ، وكان يقام فى هذه البلدة عيد خاص (راجع Reallexikon p. 582) وقد هزم المصريون فى بادىء الأمر ولكن كانت لهم الغلبة فيما بعد عند ما وصل اليهم المدد الاغريقى • وقد كان بين الموتى فى الجانب الفارسى « أخمينيس » أخو ملك الفرس .

وبعد ذلك تقهقر الأحياء من الفرس الى « منف » . أما المتمصرون فى « بابرميس » فقد أقاموا الحصار أمام « منف » ، وقد اضطر الفرس الى التخلى عن جزء منها للمصريين وأقاموا المتاريس فى جزء محصن منها وأخذوا فى مقاومة هجمات الجيش المصرى الاغريقى . (راجع Diod XI 74; Ktesiaas 33 ; Pline Histoire Naturelle xxxv, 11, 40; Isocrate sur la Paix 86)

ولكن لم يمض أكثر من ثمانية عشر شهرا حتى انتقم الفرس لأنفسهم وهزموا الجيش المصرى . وقد اضطر الاغريق الى الالتجاء الى جزيرة « بروزوبيتيس Prosopitis » وأحرقوا سفنهم التى كانت على استعداد لمنازلة الفرس فى موقعة فاصلة ، ولكن الفرس لم يهتموا باقتفاء أثرهم وبذلك أمكنهم العودة الى بلاد الاغريق مارين على ما يظن ببلاد « لوبيا » . (راجع Diod XI, 77)

أما « ايناروس » الذى كان قد جرح فى الحرب ، فقد وقع أسيرا وسيق الى « سوس » حيث أمر « أرتكزركزس » بقتله . وقد حاول الاغريق كرة أخرى اختراق الدلتا ولكن أسطولهم هزم هزيمة منكرة على يد الاسطول الفنيقى الذى كان وقتئذ فى خدمة الفرس (راجع Diod, XI, 77; Thucydide I, 110)

وبعد موت « ايناروس » بقى « أمرتى » القائد الوحيد الذى يقود الوطنية ، ويقول « جروت » المؤرخ المعروف عن هذه الحرب Grote XLV (p 417 Vol. V, Every mans Ed) وفى مقابل الانتصارات العدة التى انتصرها الأثينيون لابد أن نحسب هزيمتهم الجائحة فى «مصر» بعد حروب دامت ستة أعوام مع الفرس (٤٦٠ – ٤٥٥ ق.م) . وقد نالوا فى بادىء الأمر نجاحا لامعا مع الأمير « ايناروس » الثائر على الفرس فطردوا الفرس من كل « منف » الا أقوى جزء منها الذى يسمى « القلعة البيضاء » . وقد كان انزعاج ملك الفرس عظيما لوجود الأثينيين فى « مصر » لدرجة أنه أرسل « ميجابازوس Megabazus » بمبلغ عظيم من المال الى مملكة «اسبرتا» لاغراء اللاسيداموتيين

على غزو « أتيكا » . وعلى أية حال فان هذا المبعوث لم يفلح فى مأموريته، وعلى ذلك أرسلت قوة كبيرة من الفرس الى « مصر » بقيادة « مجابازوس » بن « زوبيروس » Zopyrus (راجع Herod. III, 160)

فطرد الأثينيين وحلفاءهم بعد موقعة عنيفة من « منف » الى جزيرة فى النيل تدعى « بروزوبيتيس » Prosopitis وقد حوصروا فيها مدة ثمانية عشر شهرا الى أن حول « مجابازوس » مياه فرع النيل وجعل مجراه يجف ثم هاجم الجزيرة أرضا وقد نجا القليل جدا من الأثينيين من طريق البر الى « سيرينى » ، أما سائر الجيش فقد قتل أو أسر ، وكذلك قتل « ايناروس » نفسه . وقد زاد فى هزيمة الأثينيين وصول خمسين سفينة أثينية بعد الهزيمة التى منى بها الأثينيون ، ولكن هذه السفن كانت قد وصلت دون علم من رجالها بذلك فسارت فى فرع النيل المنديسى ، وبذلك وقعت على غفلة من رجالها فى قبضة الفرس والفنيقيين ولم ينج من هذه السفن الا القليل جدا . وقد أصبحت كل مصر ثانية خاضعة للفرس الا الأمير « أميرتاوس » الذى حاول أن يحافظ على استقلاله بالارتداد الى مناقع الدلتا الصعبة المنال وهكذا نرى أن أسطولا بحريا من أكبر الأساطيل التى أرسلتها « أثينا » وحلفاؤها لطرد الفرس قد مزق شمله تماما ، هذا وقد كتب « ديودور » رواية مخالفة لما ذكرناه (راجع Diod XI, 77, XII, 3) وقد أفلح «أميرتاوس» فى المحافظة على استقلاله فى الدلتا على الأقل حتى عام (٤٤٩ق.م) وقد طلب النجدة ثانية من «أثينا» فأرسلت اليه أسطولا مؤلفا من ستين سفينة حربية ولكنه على أثر سماعه بموت «سيمون» عاد الى بلاد الاغريق حتى قبل أن يصل الى الشواطىء المصرية(راجع Thucydide I, 112; Plutarch Cimon 18) ولما رأى المصريون أن الصلح قد أبرم بين « أثينا » والفرس هدأت ثورتهم لفقدان أملهم فى مساعدة « أثينا » هذا بالاضافة الى أن الشطرب الجديد قد أظهر تسامحا وسياسة ماهرة اذ نصب « تاميراس » و « بوزيرس » ابنى

« ايناروس » الذى قاد الثورة و « أميرتاوس » شريكه فى الحركة الوطنية على رأس الحكومة التى كان يسيطر عليها والداهما . وقد جاء ذكر ذلك فى « هرودوت » على سبيل ذكر احترام الفرس لأولاد الملوك فيقول : « لأن الفرس كانوا معتادين تكريم أولاد الملوك وحتى لو كانوا قد تمردوا عليهم فانهم مع ذلك كانوا ينعمون بالحكم على أولادهم ، ويمكن البرهنة على وجود هذه العادة بأمثلة كثيرة أخرى ومن بينها ماحدث للامير تاميراس بن « ايناروس » اللوبى الذى أعيدت له حكومة والده و « بوزيريس » بن « أميرتاوس » الذى أعيدت اليه حكومة والده ، ومع ذلك لم يفعل أحد سوءا للفرس أكثر مما فعله كل من « ايناروس » و « أميرتاوس » . وعلى الرغم من هذا التسامح وحسن المعاملة فان « مصر » لم تخضع بأكملها للحكم الفارسي .

وحقيقة ذلك أن مصريا يدعى « بسمتيك » أرسل فى عام ٤٤٥ق.م. ثلاثمائة ألف مكيالا من الغلال (سعة المكيال حوالى ١٣ لترا) الى « أثينا » (وعلى حسب ما جاء فى « بلوتارخ » ٤٠ ألف مكيالا) (راجع Plutarch Pericles 37) ومن الجائز جدا أن ذلك كان ثمنا للمساعدة الحربية التى أرسلتها « أثينا » الى « مصر » أثناء ثورة الدلتا . ولم تحدثنا النقوش أو المحفوظات عن شيء أكثر بمناسبة هذه الثورة .

وعلى أثر موت « ارتكزركزس » الأول قامت المشاحنات العادية كما ذكرنا آنفا على تولى عرش الملك ، ولم تمض الا بضعة أشهر حتى مات كل من « اكزركزس » الثانى وقاتله وهو أخوه « سوجديانوس » وتولى عرش البلاد أخ ثالث لهما يدعى « أوكوس » وهو الذى تسمى باسم « دارا » الثانى (٤٢٤ — ٤٠٤ ق.م.)

والاثر المصرى الوحيد الذى ينسب الى عهده فى « مصر » هو الأنشودة التى حفرت على جدران معبد الواحة الخارجة الذى أقامه « دارا » الأول كما ذكرنا من قبل .

(أمير تاوس) والأسرة الثامنة والعشرون

هذه الأسرة قد مثلت فى تاريخ « مانيتون » بملك واحد حكم ست سنوات ويدعى « أميرتاوس » . ولما كان الكتاب الكلاسيكيون قد حافظوا لنا على ذكريات ملكين لمصر بهذا الاسم يبعد أولهما عن الآخر بنحو نصف قرن من الزمان فانا نتساءل الآن أيهما كان موحدا بالملك الذى جاء ذكره فى تاريخ « مانيتون » (؟) .

وقد ذكرت لنا الحوليات الديموطيقية سلسلة متصلة الحلقات مؤلفة من تسع ملوك تبتدىء بملك يمكن توحيده بالملك « أميرتاوس » وتنتهى بالملك «نقطانب» الثانى . هذا ولم يأت ذكر «أميرتاوس» آخر فى هذه السلسلة (راجع Revillout - Rev - Egyptologique I p. 145, 149 & 151) ومن ثم يمكننا أن نستنبط بصورة قاطعة أن المقصود هنا هو « أميرتاوس » الثانى ومن المحتمل أنه كان حفيد « أميرتاوس » الأول وقد ذكرنا من قبل أن أمراء الدلتا قد حاولوا نزع نير الفرس عن عاتقهم وذلك بمساعدة الاغريق المرتزقة قبل أن يقوم « أميرتاوس » بحملته الناجحة عليهم وطردهم من « مصر » . والواقع أنه كما ذكرنا منذ عهد « دارا » الأول بعد هزيمته فى « ماراتون » على يد اليونان أخذ الوجه البحرى يعمل على استرجاع حريته ولكن « اكزركزس » الأول كسر شوكة هذه الحركة الوطنية . ولا نعرف اسم المحرض على قيام هذه الحركة الأولى ، وكل ما يمكن أن نؤكده الآن هو أنه على رأى بعض المؤرخين ليس « خبباشا » الذى جاء ذكره على الآثار المصرية (راجع L. R. IX p. 155 No. 2) . وقد ناقشنا هذا الموضوع من قبل .

وفى أوائل حكم « ارتكزركزس » الأول قامت ثورة أخرى وفى هذه المرة كان المحرض على قيامها لوبى يدعى « ايناروس » بن « بسمتيك » كما ذكرنا من قبل . وقد استمرت الثورة بضع سنين ، وبعد ذلك قمعها الفرس بشدة وعنف أكثر مما قمعت به الثورة الأولى ، ومع ذلك فان زميل « ايناروس » وهو « اميرتاوس » المصرى قد نجح فى المحافظة على استقلاله عدة سنوات وذلك بمساعدة « أثينا » كما ذكرنا مفصلا من قبل وعندما اختفى « اميرتاوس » بقى ابنه « بوزيريس » لعبة فى أيدى الفرس يحكمونه كيف شاءوا . وبعد تولية « دارا » الثانى عرش ملك « فارس » قامت ثورة جديدة فى « مصر » ، ومن المحتمل جدا أنها كانت من صنع « اميرتاوس » الثانى الذى يحتمل أنه كان ابن « بوزيريس » ولكنها أخمدت على أية حال كسابقتها : وقد بقيت نار الفتنة تحت الرماد ملتهبة الى أن كان لها ضرام نار فى منتصف حكم « دارا » الثانى ثم امتد لهيبها لا فى الدلتا وحدها بل فى كل أنحاء « مصر » ، وقد أفلحت هذه المرة فى طرد الفرس من كل « مصر » ، ومن المحتمل جدا أن هذا النجاح كان بمساعدة « اثينا » لمصر . والواقع أننا لا نكاد نعرف شيئا معينا عن هذه الثورة الناجحة غير أنها ابتدأت حوالى عام ٤١٠ ق.م. وانتهت فى عام ٤٠٤ ق.م . (Xenophon Anabase 1, 4, 5, 13) بالاعتراف باستقلال «مصر» عن الفرس .

ومما هو جدير بالذكر هنا بهذه المناسبة أنه فى عام ٤١٠ ق.م. حدث اضطهاد لليهود فى « الفنتين » وكان سببه على ما يظهر ميل المستعمرين فى هذه الجهة لملوك الفرس شأن كل الأقليات فى كل زمان ومكان ، هذا فضلا عن الأسباب الدينية الأخرى التى ذكرناها فيما سبق ، ومن أجل ذلك هدم المصريون معبدهم ، ومع كل فان هذه المستعمرة لم تختف كلية من البلاد . وقد مكثت حرب التحرير على الأقل ست سنوات ، وكما قلنا من قبل انتشرت الثورة فى كل أنحاء القطر المصرى . و « اميرتاوس » الثانى هذا كان من أصل

ساوى ، ومن المحتمل أنه كان ينحدر من صلب أسرة « بسمتيك » التى كان قد خلع « قمبيز » آخر ملوكها وهو « بسمتيك » الثالث عن عرش « مصر » منذ أكثر من قرن مضى ، وتدل الأحوال على ان «اميرتاوس» الثانى قد مكث على عرش « مصر » مدة ست سنوات وهذه هى المدةالتى حددها له «مانيتون» ، وليس لدينا أي أثر باسمه فى « مصر » حتى الآن وليس لدينا من النقوش المصرية من اسماء الملوك ما يمكن توحيده باسمه الا « امنرود » أو « رود آمون » كما أقترح ذلك بعض علماء الآثار (راجع Lepsius Konigsbuch pl. XLIX No. 66) ولكن هذا الاقتراح قد رفضه « ماسبرو » ثم « بدج » واخيرا « جوتييه » (راجع Gauthier, L. R. III p. 392 No 3).

أما المحاولات الأخرى لتقريب هذا الاسم الأغريقى النطق الى المصرية القديمة فقد جاء فى الحوليات الديموطيقية . وهذه بدورها ليست محاولات مقنعة ، وذلك لأن الأسم الذىأريد تقريبه من أسم « امرتى » أو«أميرتاوس» ليست قراءته مؤكدة ، وفى الوقت الذى نجد فيه الاثرى « رفييو » (راجع Revillout Rev. Egyptologique T. I. fasc. 4 Textes Demotiques p. 1, II, fasc. 1, text. p. 1 etc.) يريد أن يقربهذا الاسم مناسم «امن حر» فأننا نجد من جهة أخرى أن الأثرى « هس » يقترح تقريبه من الاسم الديموطيقى «امنردس» وهذا هو نفس ما اقترحه الأثرى «شتيندورف» والملك «امرحر» على حسب رأى « رفييو » جاء ذكره على بردية ديموطيقية محفوظة الآن بالمتحف البريطانى ، ولكن هذا الملك الذى يشير اليه هذا الأثرى كان يحكم « طيبة » وكل الوجه القبلى فى حين أن « أميرتاوس » لم يكن يحكم الا الدلتا . وعلى أية حال فانه بكل أسف ليس لدينا أى أثر آخر يمكن ان يساعدنا على حل هذه المسألة الهامة وبخاصة لأن استقلال « مصر » قد جاء على يديه .

الوثائق الديموطيقية المنسوبة إلى العهد الفارسى الأول

لم نجد الا سجلات قليلة من عهد « قمبيز » فى « مصر » • وتدل شواهد الأحوال على أن الثلاث أو الأربع سنين التى مكثها « قمبيز » فى « مصر » وكذلك الفترة التى سبقت تولى « دارا » الأول حكم « مصر » وهى الفترة التى جاء ذكرها على لوحة قبر محفوظة بالمتحف البريطانى على ما يحتمل والتى قيل عنها انه لم يكن فيها ملك فى البلاد (راجع A. Z. XXXI. p. 94 & pl. I) لابد كانت الأعمال التجارية قد كسدت فيها أكثر مما كانت عليه فى عهدى الملكين « نيكاو » و « ابريز » . وهذان الملكان فى الواقع لم يتركا لنا الا عددا قليلا من الأوراق البردية ، وهذا الكساد كان لا بد منه ولو لم يكن « قمبيز » بالرجل المجنون القاسى كما مثل لنا فى التقاليد التى وصلت الينا عنه عن طريق الكتاب الاغريق .

والأوراق الديموطيقية المعروفة لدينا حتى الآن من عهد الأسرة السابعة والعشرين أى الأسرة الفارسية تؤرخ كلها بعهد الملك « دارا » الأول ، ومن المعقول أن ننسبها كلها الى ذلك العهد الذى كان يدير فيه « دارا » الأول امبراطوريته الشاسعة بكرم وحكمة مما وطد سلطانه ورفع شأنه فى العالم ، اللهم الا اذا كانت لدينا براهين تلزمنا أن ننسبها الى غير عهده من الملوك الذين يحملون أسم « دارا » . ولانزاع فى أن الوثائق التى تؤرخ بسنة بعد السنة العشرين لابد أن تنسب الى « دارا » الأول وهى كثيرة جدا وذلك لأن حكم « دارا » الثانى قد انتهى بثورة بعد أن حكم تسعة عشر عاما .

وأهم الوثائق التى وصلت الينا من عصر « دارا » هى :

١ — تقرير رسمى (راجع (Griffith Ryl III, 25

العمود الأول : يحتوى على قائمة كئوس وأشياء أخرى ومبالغ من

الذهب والفضة الموجودة فى معبد « حور » فى « أدفو » (او المأخوذة منه).

العمود الثانى : الذهب والفضة التى تركت فى معبد « ادفو » (؟) فى السنة الثالثة من عهد « دارا » الأول وقد أجتمع الكهنة وقسموا المتاع فيما بينهم وقد ذكر أسم كل كاهن والمبلغ الذى تسلمه .

الأعمدة من ٣ — ٨ (؟) : يظهر أن هذه الأعمدة بقية قائمة اسماء الكهنة والذهب والفضة التى تسلموها .

وهذه الوثيقة على الرغم من أنها ممزقة فأنها هامة . والظاهر أنها وثيقة معبد أو سجل جاء نتيجة تحقيق حكومى .

وقد يخالج الانسان الشك فى أن القسمة (؟) بين الكهنة لم تكن قسمة عادية لدخل بل كانت محاولة للاستيلاء أو اخفاء الكنوز التى لم تستول عليها الحكومة وذلك لأن المقدار الذى استولى عليه كل كاهن كان كبيرا اذ ما حفظ منها ظاهرا فى الوثيقة كان يتراوح ما بين ٢٠ ، ٧٠ قطعة من الفضة ومن الذهب ما بين ٢ر٥ الى ٧ قطع . وقد تسلم كاهن ٣ر٥ قطعة من الذهب و ٣٠ قطعة من الفضة ومن هذه الأرقام يظهر بداهة أن قطعة الذهب فى ذلك الوقت كانت تساوى ما يقرب من عشر قطع من الفضة وكانت نسبته فى المعاملة محددة من حيث الوزن وهى ان ١٠/٣ ١٣ من الفضه = واحدا من الذهب وذلك على حسب مانعرفه من العملة فى ذلك الوقت ، أما النسبة المتفق عليها من حيث الوزن فى المعاملة البابلية الفارسية فكانت بنسبة عشرة الى واحد ، وفى النظام الفنيقى هى ١٥ الى ١ (راجع Hill in Encycl. Bible. 4444) وعلى ذلك فان النسبة التى ذكرناها فيما سبق هى على حسب النظام الفارسي المتفق عليه .

ومن جهة أخرى يمكن أن تكون نقودا ملك الكهنة وكانت قد وضعت فى المعبد ضمانا لعدم ضياعها فى السنين التى حدثت فيها الاضطرابات ، ثم اخرجت من مخبئها الآن للاتجار بها بعد ان عاد السلام . وكان معبـد « أدفو » من المعابد التى منحها « دارا » الأول عطفه الخاص . وكذلك عطف عليه من بعده « دارا » الثـانى .

وقد أعتمد الأثرى « فيدمان » على فقرة جاءت فى « بوليانوس » تذكر لنا أن « دارا » قد وصل الى « مصر » مباشرة بعد موت العجل « أبيس » ، وأنه وهب مائة تلنتا من الذهب لمن يكشف عن « أبيس » آخر ولذلك أرخت زيارة هذا الملك العظيم لـ « مصر » بالسنة الرابعة غير ان قصة « بولبانوس » غير مقنعة .

ويوجد فى المكتبة الملكية الفرنسية (راجع Bibliotique Nationale Ryl. III p. 26) بردية تعرف بالحوليات الديموطيقية وتؤرخ بأوائل الحـكم الاغريقى فى «مصر» وتحتوى على فقرتين هامتين خاصتين بالمعاملة التى لقيتها المعابد فى عهد « قمبيز » ومما يؤسف له أن هاتين الفقرتين ممزقتـان وقد ترجمهما الأثرى « جريفث » من نسخة بخط الأثرى « رفييو » لا يعتمـد عليها كثيرا وهاك الترجمة .

« الـكلمات الخاصـة (؟) بالمتـاع : وهى التى كتبت بـكتابة المتاع بالانفصال (؟) من السنة — (؟) ٤٤ — من عهد الفرعون « أحمس » الى اليوم الذى أتى فيه « قمبيز » « مصر » (أو خرج من « مصر » (؟)) وعلى ذلك مات قبل أن يصل بلاده . — وكان « دارا » (؟) هو الذى حكم «مصر» — وكل الأرض (أو كل الأرض حزنت من أجله أى « أمسيس ») ، وذلك بسبب رحمة قلبه كأمير . وانه (« قمبيز » أو « دارا ») منح « مصر »

لشطربته فى السنة الثالثة قائلا : دع وثائق الحساب (؟) ••• واعداد المحاربين ••• كتاب « مصر » يرسلون الى ••• مغ ، حتى يستطيعوا كتابة عوائد « مصر » المقررة (؟) لسنة (؟ ٤٤) من عهد الملك « أحمس » كعوائد ، وهى العوائد المقررة (؟) للفرعون للمعابد وهى العوائد التى كانت أحضرت الى هنا (؟) • • •

• • حتى سنة ١٩ • • • « مصر » التى كانت • • • الأمور التى كانوا مشتغلين بها ، الأوقاف الالهية • • • عوائد « مصر » . وقد كتبوا نسخة (منها ؟) وهى كتابة « آشور » .

وقد كملت قبالتها (؟) لقد كتبت قبالتها ولم يحذف شىء (؟) .

ان الأمور التى كانت قد فحصت ضد (؟) عوائد المعابد فى بيت المحاكمة .

ان القوارب (أو الألواح ؟) وخشب الحريق والكتان (؟) والبردى (؟) التى اعتيد أن تعطى للمعابد من قبل فى عهد الفرعون « احمس » عدا معبد «سيفى» ، ومعبد«آون» (هرموبوليس فى الدلتا) ، ومعبد «بوبسطة» . أمر « قمبيز » قائلا : لا تعطها اياهم من الـ . . . بل « رع » اماكن تعطى اياهم فى خمائل (؟) بلاد الجنوب « مصر العليا » حتى يمكنهم ان يحصلوا على قوارب « أو ألواح » وخشب حريق لأنفسهم ويحضروها لآلهتهم . دعهم يعطونها كما كانت الحال من قبل .

وان الماشية التى اعتيد اعطاؤها المعابد ، ومعابد الآلهة من قبل فى حكم الملك « أحمس » عدا المعابد الثلاثة التى ذكرت أعلاه ، قد أمر « قمبيز » قائلا : ان نصفها سيمنح لهم .

وما اعتيد منحه لها — أى المعابد الثلاثة التى ذكرت أعلاه — أمر أن يمنح لها أيضا .

وان الطيور التى كان معتادا منحها للمعابد فى الزمن السابق فى عهد الفرعون « أحمس » عدا المعابد الثلاثة ، فان « قمبيز » أمر قائلا : امنحها لها وستربى الكهنة أوزا لأنفسهم وتعطيها آلهتهم . ومقدار الفضة ، والماشية والطيور ، والغلة والأشياء الأخرى التى كان معتادا اعطاؤها معابد الآلهة من قبل فى عهد الفرعون « أحمس » وهى التى أمر من أجلها « قمبيز » قائلا : لا تعطوها الآلهة .

(٢) وثيقة زواج من عهد هذا الفرعون (راجع Ryl. III, p. 27 & 116)

وهذا العقد يحتمل أنه كان نتيجة زواج حدث عندما كان الزوج ينتظر مولودا أو كان المولود قد وضعته أمه فعلا وملخصه هو أنه فى السنة الخامسة من شهر « أبيب » اعترف الساقى « بشنيسى » بن «حريرم» و «انيوتهتس» أنه تسلم ثلاثة دبنات من الفضة من « تسنن حور » ابنة الساقى « أسمن » و « رورو » واذا طلقها فانه يدفعها ثانية اليها وكذلك يعطيها ثلث ما يكسبه كله ، فى أثناء حياته معها بما فى ذلك دخله (؟) من السقاية (وفاتح الجبل) .

وهاك الترجمة الحرفية :

السنة الخامسة شهر بابه من عهد الفرعون « دارياوش » « دارا »

ان سقاء الوادى (المسمى) « بشنيسى Pshenesi » بن « حريرم Herirem » وأمه تدعى « أنيوتهتس Enneutehts » يقول للمرأة « تسن حور Tsenhor » ابنة سقاء الوادى (المسمى) « أسمن Esmin » وأمها تدعى « رورو Ruru » لقد أعطيتنى ثلاث قطع من الفضة من مالية « بتاح » عملة جارية (؟) أى قطعتين من الفضة زائد ٢/٣ ، ١/٦ ، ١/١٠ ، ١/٣٠ ، ١/٦٠ قدت من مالية « بتاح » أى ثلاث قطع من الفضة من خزانة « بتاح » عملة جارية (؟) ثانية ، واذا تركتك كزوجة وكرهتك فانى سأعطيك

ثلاث القطع من الفضة التى من خزانة « پتاح » عملة جارية (؟) وهى التى قد أعطيتنيها وهى المكتوبة أعلاه هذا بالاضافة الى ثلث كل شىء سأكسبه معك وانى سأعطيها اياك .

الكاتب « زحو » وتسعة شهود .

وهذا على ما يظهر عقد نتيجة زواج والغرض منه اتمام تأكيده .

(٣) وثيقة أخرى يعترف فيها الأب بوراثة ابن له (Ibid p. 23)

وتتلخص فى أنه فى السنة الخامسة جعل « بشنيسى » ابنته « رورو » التى أنجبها من « تسنن حور » شريكة مع أولاده الآخرين الذين سيولدون له فى كل أملاكه وفى كل ما سيكسبه مستقبلا وفى وظائفه بوصفه ساقيا وفاتحا وقد كتب هذه الوثيقة الكاتب « رحو » وشهد عليها تسعة (؟) شهود .

(٤) وثيقة وقف او هبة لولد (راجع Ryl. III p. 28)

وتتلخص هذه الهبة فى انه فى السنة الخامسة من عهد « دارا » الأول فى شهر « هاتور » تعترف الساقية المسماة « تسنن حور » بحق السقاء « بتامنحوتب » بكرها وهو ابن « انحارو » بنصف كل ممتلكاتها وكل ما تستحقه من والديها والنصف الآخر يئول لابنتها «رورو» واذا حدث أن ولد لها طفل آخر وعاش فنصيبه من التركة يؤخذ من نصيبهما بالتساوى .

كتبه « ابى » بن « زحو » (وثمانية شهود) .

(٥) وثيقة وقف لولد (راجع Ibid P. 28)

وذلك أنه فى السنة الخامسة فى شهر هاتور اعترفت « تسنن حور » بحق ابنتها الصغرى الساقية المسماة « رورو » ابنة « بشنيسى » بنصف كل ممتلكاتها . وباقى الوثيقة كالسابقة .

الكاتب « ابى » (وثمانية شهود) .

ويلاحظ أن هذه الوثائق الثلاث السالفة الذكر ليست الا تسوية عملت

بعد زواج وولادة ابنة وأن التسوية مع الزوجة أرخت قبل التسوية مع أولادهما بشهر ، واحدى هذه التسويات قد عملتها الزوجة لابنها من زوج سابق ، والتسويتان الأخريان قد عملهما الزوج والزوجة على التوالى لابنتهما، ويحتمل ان ذلك قد حدث بعد ولادتها مباشرة . ومما يطيب ملاحظته هنا ان الأولاد كانوا قد أصبحوا يحملون لقب ساق ، وقد كان هذا تقليدا موروثا بطبيعة الحال كما كانت الحال فى هذا العصر ، وقد تحدث عنه « هردوت » (راجع « مصر القديمة » الجزء التاسع ص ٤٨٩) وقد كانوا صغار السن بلا نزاع وذلك لأنه قد ولد طفل للأبوين فيما بعد كما سنرى .

وكذلك يلحظ هنا أن النساء كان لهن الحق التام فى التصرف فى أملاكهن، وكانت الزوجة لها الحق بسبب أولادها فى أن تأخذ نصيبا مما يكسبه زوجها فى أثناء زواجهما (راجع Ibid. p. 19 No. 16 & p. 20 No. 18)

(٦) وثيقة بيع عبد (راجع Ibid 28, & 58)

وقد جاء فيها : السنة الخامسة شهر برمودة من عهد الفرعون له الحياة والفلاح والصحة « ثاريوس » (« دارا » الأول) له الحياة والفلاح والصحة.

اعترف « أحمس » بن « بسمتيك » وأمه هى « أتورو » لفاتح المحراب ليت « آمون » ... « موت » بن « اسخنس » وأمه « اسخنس » :

لقد جعلت قلبى يرضى بالفضة لأجل الشاب « بشن » . . . ابن «تحتمس» وأمه هى « ختبسير بونى Khetbesierboni » وهو عبدى الذى بعته لك وانه ملكك وهو عبد لك .

وان من سيأتى اليك من أجله باسمى أو باسم أى رجل فى البلاد قاطبة سواء أكان أخا أم أختا أم أبا أم أما أم سيدا ام انا نفسى قائلا انه ليس عبدك: فأنى سأخلصك منه . واذا لم اخلصك منه فانى سأعطيك خمسة دبنات

فضة من خزانة « پتاح »من الفضة الخالصة وهى (أربعة) دبنات من الفضه زائدا ٩ ٢/٣ ، ١/٦ ، ١/١٠ ، ١/٣٠ ، ١/٦٠ أى خمسة دبنات ثانية من الفضـــة من خزانة « پتاح » : وعبدك مع ذلك ملكك هو وأولاده الى الأبد (يأتى بعد ذلك توقيع الكاتب ويحتمل كذلك توقيعات الشهود على ظهر البردية) .

ومن هذه الوثيقة وأخريات غيرها (راجع Ibid. p. 57-58) نرى وثائق عن بيع محض نجد فيه أن العبيد كانوا يباعون بيع الماشية . وهذه الوثائق تختلف عن وثائق العبودية التى نرى فيها أن العبد هو الذى يقدم نفسه للبيع بمحض ارادته . والواقع أننا لا زلنا نشك فى الحالة الأخيرة فهل كانت مجرد تأجير للشخص نفسه أو عبارة عن تعويض مقنع (؟) وعلى أية حال يستحسن أن نعتبر فى مثل هذه الحالات الأخيرة أن الشخص البـــائع سلم نفسه للعبودية بعد أن كان حرا طليقا من أجل دين أو لأجل أن يحصل على وسيلة حسنة للعيش أو ينعم بعيشة رغدة نسبيا ومثل هذه الحالات كانت شائعة فى « فلسطين » وبين البابليين .

ظلامة « بتنيسى »

هذه الشكوى وقعت حوادثها فى السنة التاسعة من حكم الملك «دارا» الأول ، وقد تحدثنا عنها فيما سبق (أنظر « مصر القديمة » الجزء الثانى عشر ص ٩٣ ألخ) .

(٧) هبة نصف بيت لزوجة (راجع Ryl. III p. 28)

السنة العاشرة شهر بئونة ، أعطى « بشنيبسى » زوجة « تسنن حور » نصف موقع بيت خال ، يشرع أن يبنى عليه فى غربى « طيبة » بالقرب من قبر الملك « وسرتون (؟) Userton » (يحتمل أنه «أوسركون») وتقسم مصاريف المبانى مناصفة بالتساوى ، ونصف الملكية .

الكاتب « أبى » بن « زحو » وثمانية شهود .

ويلحظ أن « بشنيسى » لم يشتر الموقع بعد كما سنرى فيما يلى :

(٨) شراء موقع بيت (راجع Ryl. III p. 29)

السنة الثانية عشرة شهر بابه يبيع «توتوتوى Teuteutoi » الموقع الخالى للبيت المذكور أعلاه (يحتمل نصف ماكان قد شرع فى بيعه فى العقد السالف) فقط الى « بشنيسى » ، الكاتب « أبى » وثمانية شهود .

(٩) بيع بقرة (راجع Turin, Not. p. 415. Ryl. III p. 29)

السنة الخامسة عشرة شهر برمودة . ان الراعى « فنامون Phenamun » يبيع بقرة حرث حمراء الى « مخاف Mekhaf» بمبلغ أربعة قدات من الفضة ١٥ مكيالا من القمح (؟) بضمانة غرامة دبن من الفضة . الكاتب « ابى » وثمانية شهود .

(١٠) منحة ردهة (؟) راجع (Ryl. III p. 29)

السنة السادسة عشرة شهر بابه . ان السقاء « اسامنحوتب Esamenhotep » يعطى « حوش » (ردهة تبع بيت والده « تسنن حور » بالامتيازات المنوعة المعينة) . (الظاهر أن « اسامنحوتب » كان شديد القرابة بـ « تسنن حور » — اذ أنه استعمل التعبير « والدنا » « اسمن » وذلك على الرغم من أن والديه كانا مختلفين ، ومن المحتمل أنه كان جارا مباشرا له ، فقد اشتركا فى سلم واحد) .

(١١) اعتراف بسلفية غلة (Ryl. III p. 29)

السنة الرابعة والعشرون شهر كيهك أخذ « اتوروز » على نفسه أن يدفع الى « افعو Efôu » كمية من القمح فى ٢٤ طوبة واذا تأخر عن ذلك يدفع أرباحا شهرية .

الكاتب « ابى » وثمانية شهود .

(١٢) وقف لابنة (وصية ؟) :

السنة الرابعة والعشرون شهر برموده يعــترف « بشنيسى » لابنته « رورو » بنصف كل أملاكه وأرباحــه المقبلة والنصف الثانى هــو ملك أخيها « أتورو (؟) .

الكاتب « ابى » .

ويلحظ هنا أن أسم « أتورو » قد أخذ من وثيقة أخرى ستأتى بعد حيث نجد أن « رورو » قد صارت شريكة مع كل الأطفال . وذلك لأن الأسرةقد وقفت عن الزيادة فى عدد أفرادها ومن المحتمل كذلك بالنسبة لزواجها فقد أصبح النصيب محددا بوساطة وصية جديدة) .

(١٣) هبة أرض : (Ryl. III p. 29)

السنة الخامسة والعشرون شهر بئونة يعطى كاهن « آمون رع » ملك الآلهة أربعة أرورات من الأرض فى «بمهنامون Pmehenamun » الســقاية « رورو » بصفة وقف لقبر المرأة « تت » .

الكاتب « ابى » . امضاء المهدى (وسبعة شهود) .

واذا كان هذا الاصلاح الذى عمل فى هذه الهبة صحيحافان الوثيقة تدل على أن السقاءات الاناث كن يتبعن مقابر النساء .

(١٤) بيع نصف بقرة : (Ryl. III p. 29)

السنة (التاسعة والعشرون) (؟) أو السنة التاسعة شهر أمشير . يبيــع « حاروز » نصف عجلة سوداء ، اشتراها من « خور » الى « ستيمنكو Steamenkou » مع نصف عجلها بضامن الملكية بغرامة .

الكاتب (وأربعة شهود) .

ويلحظ هنا انه لما كان تاريخ هذه الوثيقة قد مزق فانه ليس من المؤكد أنها من عهد « دارا » الأول .

(١٥) **وثيقة طلاق** : (Ryl. III p. 30)

السنة التاسعة والعشرون شهر أبيب . طلق السقاء «بت»...« تاهاى » وأنها حرة فى أن تتزوج . كاتب وأربعة شهود (على ظهر الوثيقة) .

(١٦) **عقد زواج لزوجة** : (Ryl. III p. 117)

السنة الثلاثون شهر توت من عهد الفرعون « دارا »

ان المرأة « اسنخبى » ابنة سقاء الوادى (المسمى) « خبخرات Khepekhrat » وأمها تدعى « تتامون » « Tsteamon » .... تقول لسقاء الوادى (المسمى) « اتورو » بن « بشوتفنختى Pshutefnakhti» وأمه هى ....

لقد جعلتنى زوجة هذا اليوم .

ولقد أعطيتنى قدت واحدا من الفضة من خزانة « بتاح » خالصا (أى فضة خالصة) بمثابة مهرى . واذا هجرتك بوصفك زوجا وكرهتك وأحببت رجلا أكثر (؟) منك فعلى أن أعطيك نصف قدت من الفضة الخالصة من خزانة « بتاح » الذى قد اعطيتنيه مهرا لى . وليس لى الحق فى أى متاع فى « بتاح » الذى قد اعطيتنيه بمثابة مهرى . وليس لى الحق فى أى متاع فى الأرض سأحصل عليه معك . وذلك دون ذكر أى براءة (مقابل ذلك) . كاتب واربعة شهود على ظهر الورقة .

(١٧)**بيع ارث :** (Ryl' III, 2. p. 30)

السنة الواحدة والثلاثون شهر بؤونه . تبيع « تأمن » . . لأخيها من أمها وهو سقاء يدعى « فنــلابوى (؟) Phenlaboi » حقوقها من ميراثها من أمها . كاتب (وثمانية شهود) .

(١٨) **اعتراف بحق الربع فى وظيفة ومكاسبها :** (Ryl. P. 30)

السنة الواحدة والثلاثون شهر بئونة يعترف الســقاء (امنحتب) بحق « تسنن ــ حور » فى ربع أجور السقاية المعطاة مقابل خدمة « اســبوتو » وأولاده . وعليه أن يؤدى ربع الخدمة كالعادة . لم يذكر فى الوثيقة كاتب أو شهود (؟) .

ملحوظة : ليس هناك من شك فى أن « امنحتب » المذكور هنا هو نفس « اسامنحتب » الذى ذكر فى الوثيقة رقم ١٠ السالفة الذكر هنا أو أخوه .

(١٩) **وثيقة طلاق :** (Ryl. III, p. 30 &. 117)

السنة السادسة والثلاثون (أو الرابعة والثلاثون) شهر برمودة من عهد الملك « دارا » .

يقول سقاء وادى « امنتى » (الغرب) صاحب « ويسبت Uis pete » . . . ابن اسامنحتب) وأمه « أتورو » ، للمرأة « تاهاى » ابنة ســقاء « امنتى » صاحب « ويس » و « تنفر » وأمها « كوسنيسى » .

وقد سرحتك باعتبارك زوجة وانى قد انفصلت عنك وليس لى أى حق على الأرض عندك .

« ولقد قلت لك اتخذى لنفسك زوجا فى أى مكان ستذهبين اليه ولن يكون فى قدرتى أن أقف أمامك فيها (أى فى الأماكن) من هذا اليوم وما بعده الى الأبد » كاتب وثمانية شهود .

(٢٠) وثيقة طلاق : (Ryl. III p. 30)

السنة الرابعة والثلاثون شهر بئونة . طلق السقاء « وسر » — المرأة « رورو » . . . الخ وهذه الوثيقة كالسابقة .

كاتب وأربعة شهود .

وهذا الرجل يجوز أنه صاحب الوثيقة السابقة واذا كان الأمر كذلك فانه على ما يظهر كان من أسرة غير ثابتة .

(٢١) اتفاق خاص ببقرة : (Ryl. III p. 30)

السنة الخامسة والثلاثون . ان الراعى « زحو» التابع لمقاطعة « تشترس» تكفل للموظف « أسحور » أن بقرة الحرث التى قد أعطاها « أسحور » المذكور أعلاه لسقائه « زحو » لأجل أن يجعلها عقيما ، سترد اليه فى يوم ٢٠ هاتور ، واذا أخل بذلك فعليه أن يعطى أخرى مثلها فى نفس التاريخ أويدفع خمس قدات من الفضة فى آخر الشهر ، واذا تأخر فعليه أن يدفع فوائد شهرية وقد رهن كل متاعه لتنفيذ ذلك .

كاتب وثمانية شهود .

والمفهوم أن السقاء « زحو » هو فرد آخر من أسرة « اسامنحتب » التى وجدت فى كل أوراق « برلين » .

(٢٢) تبادل بقرات : (Ryl. III p. 31)

السنة الخامسة والثلاثون شهر برمهات . ان راعى الثيران « أتوروز » يعطى بقرة حمراء لسقاء جبانة « زمى » « أتورو » بن « بشنسى » و « تسنن حور » بدلا من بقرة أخرى .

الكاتب « خمسة شهود » .

(٢٣) مستند عن باكورة الأثمار : (Ry. III p. 31)

السنة الخامسة والثلاثون شهر برمهات . مستند بثلاث أوزات تسلمها الكاهن والد الاله « زحو » من « بتمنستو Petemenstu » بمثابة فائدة عن السنة الخامسة والثلاثين ، وقد تسلم « زحو » باكورة الثمار الخاصة بأرض المعبد التابعة لمقاطعة « ديوس بوليس » وهى التابعة لمعبد « آمون » ، وذلك فى مقابل أراضيه هو .

كاتب وأربعة شهود (على ظهر الورقة) .

(٢٤) الاعتراف بامانة : (Ryl III p. 31)

السنة الخامسة والثلاثون شهر برموده . يعترف « بتاح أرتايس » بأن لديه سبعة وعشرين مكيالا من الغلة (؟) فى بيته ملك « زبتحف عنخ Zeptehefankh » ومتعهد باعطائها عند الطلب . كاتب واربعة شهود .

تاريخ « مصر »
بعد نهاية الفتح الفارسى الأول
(٤٠٤ ــ ٣٤١ ق.م.)

مقدمة : علاقة مصر ببلاد الاغريق :

نزعت « مصر » عن عاتقها نير الحكم الفارسى على أثر موت الملك العظيم «دارا» الثانى فى باكورة عام ٤٠٤ ق.م. وقد كان مخلصها «أمير تاوس» كما ذكرنا من قبل . وتدل الأحوال على أن أرض الكنانة كانت محكومة بأسر مصرية طوال مدة عهد الملك « ارتكزركزس » الثانى الذى كان يسمى « منمون » (حوالى ٤٠٤ ــ ٣٥٨ ق.م.) وكذلك فى خلال الجزء الاعظم من عهد الملك « ارتكزركزس » الثالث الذى كان يلقب « اوكوس » (حوالى ٣٥٨ ــ ٣٣٧ ق.م.) وقد كانت علاقة « مصر » طوال هذه الفترة التى تبلغ أكثر من ثلثى قرن من الزمان ، مع بلاد اليونان وبخاصة مع « أثينا » و « أسبرتا » وثيقة ونشطة متصلة سواء أكان ذلك من ناحية المدد الحربى الذى كانت تمدها به هاتان البلدتان لمواجهة الخطر الفارسى أم من جهة المساعدة المالية والاقتصادية التى كانت ترسلها « مصر » الى « أثينا » و « أسبرتا » وذلك لتنفيذ المشروعات اليونانية المناهضة لملك الفرس العظيم عدو اليونان اللدود ، هذا ونرى من جهة أخرى أن الاغريق كانوا أحيانا يرسلون الى بلاد الفرس قوادا وجنودا مرتزقة لينضموا الى صفوف الجيش الفارسى لمحاربة « مصر » واضعافها ومن ثم نرى أن الاغريق كانوا لايسيرون على حسب سياسة موحدة مع الفرس على الرغم من شدة كرههم لهم .والواقع

أن النفوذ الاغريقى أو الهيلانى كان ينفذ بشدة بصور مختلفة فى وادى النيل ولكن بسياسة وحزم ، ولذلك نرى فى نهاية الأمر ان البلاد المصرية كانت ممهدة للتسليم لحكمهم عندما شرع « الأسكندر » المقدونى فى غزوها .

وسنحاول فيما يلى ان نضع اولا اطارا تاريخيا لهذا العهد الذى سبق الفتح المقدونى لـ «مصر» بقدر ماتسمح به الحقائق التاريخية التى فى متناولنا ثم نتحدث عن الفترة التى عاشت فيها « مصر» مستقلة يحكمها ابناء جلدتها الى ان جاء الفتح الفارسى الثانى .

ملخص تاريخ الفترة الأخيرة من عهد هذا الفرعون

مقدمة : يجدر بنا أن نذكرهنا أولا بشىء من الاختصار الحقائق الاساسية لما سنفصله بعد . فنعلم أولا ان الفرعون « أميرتاوس » هو الذى خلف على عرش « مصر » الملك « دارا » الثانى الذى يعد آخر ملوك الأسرة السابعة والعشرين . والملك « اميرتاوس » يعد حتى الآن الملك الوحيد الذى يمثل الأسرة الثامنة والعشرين . وقد خلفه على العرش بعد حكم دام ست سنوات الملك « نفريتيس Nepherites » وهو المؤسس للاسرة التاسعة والعشرين المنديسية . وقد مكث على العرش ست سنوات وفى عهده قامت « مصر » بحرب بمساعدة « لاسيدمونى » (أسبرتا) للتغلب على الفرس وكان ذلك فى ربيع عام ٣٩٦ ق.م. وبعد وفاة « نفريتيس » الأول هذا تولى عرش الملك ملك يدعى « اكوريس » حكم ثلاث عشرة سنة وقد صد محاولة قام بها الجيش الفارسى لغزو « مصر » وتحالف مع « افاجوراس Evagorase » حاكم « قبرص » وافاد من مساعدة القائد الأثينى « خابرياس Chabrias » وتولى الملك بعد « أكوريس » هذا الفرعون « بساموتيس Psamuthis » غير أنه لم يمكث على عرش البلاد الا سنة واحدة ، تولى بعدها الملك

« نفريتيس » الثانى ولم يحكم بدوره الا أربعة أشهر وبذلك انتهت الأسرة المنديسية المنسوبة الى بلدة « منديس » (« تل الربع » الحالية) التى كانت تعتبر مسقط رأس مؤسسها .

وأتى على أعقاب هذه الأسرة أسرة اخرى وهى الأسرة الثلاثون وتلقب بالاسرة السمنودية نسبة الى بلدة « سمنود » وقد ظل ملوكها يحكمون البلاد حتى الفتح الفارسى الثانى، ومؤسس هذه الاسرة هو الملك «نقطانب» الأول وقد مكث على عرش الملك ثمانيـة عشرة سنة ويمتاز عصره بصـفة أساسية بما قام به من صد غارة قام بها الفرس حوالى ٣٧٤ أو ٣٧٣ ق. م. ، وجاء بعده الفرعـون « تاخوس Tachos » وعلى الرغم من قصر عهده فان زمن حكمه كان مليئا بالحوادث الهامة فهو الذى قام قبل موقعة « ماتيا » (فى صيف ٣٦٢ ق.م.) بحبك المؤامرات على شطاربة مختلفين من الفرس وأمراء من حكام « آسيا » ومهد للحرب وهاجم الفرس مع القائد الاثينى « خابرياس » وملك « أسبرتا » « اجيسيلاس Agesilas » . وفى عهـد هذا الفرعون كذلك قامت ثورة عليه انتزعت منه الملك وتولى بعده حكم الكنانة الملك « نقطانب » الثانى وهو الذى ساعده ملك « أسبرتا » «اجيسيلاس» وقد دام حكم « نقطانب » ثمانية عشرة سنة وهو الذى صد أول هجوم قام به الفرس حوالى عام ٣٥٣ أو ٣٥١ ق. م. للاستيلاء على « مصر » . وقد انتهى حكمه بعد ضربة شديدة أنزلها به الفرس واليونان وذلك قبـل نهاية عهد ملك الفرس « أوكوس » ببضع سنين ، والواقع أن تاريخ هـذه الفترة كان مليئا بالاحداث مما أدى الى صعوبات جمة خطيرة لتحديد زمنها .

مصادر هذا العهد :

ومن بين أهم المصادر التى يرجع اليها فى درس هذا العصر: أولاً ما تركه لنا

« ديودور » الصقلى (Books XIV,XV,XVI etc) وتاريخه على الرغم مما فيه من فائدة فانه يحتوى على متناقضات ، ولدينا كذلك قوائم ملوك « مصر » المأخوذة عن « مانيتون » وهى التى أخذها عن التقاليد المصرية وهذه التقاليد قد وصلت الينا عنه بدورها بصفة غير مباشرة أى ان الاقتباسات التى نقلها عنه نساخون متأخرون ترجع الى القرن الثالث بعد الميلاد ، ولذلك فانه لا يمكن عدها مصادر أصلية . والقوائم المتأخرة التى وصلت الينا على الرغم من أنها لا تقدم لنا معلومات قيمة دقيقة عن مدد حكم الملوك المختلفين من جهة الا أنها من جهة اخرى تقدم لنا مدة حكم كل ملك بالتوالى . والمقتبسات التى أشرنا اليها غاية فى الاختصار حتى انها تكون فى بعض الاحيان غامضة بعض الشيء ومتضاربة أيضا ، مثال ذلك اننا نجد الأسرة الثلاثين قد مكثت فى الحكم عشرين سنة على حسب ما جاء فى احدى هذه القوائم المقتبسة وثمانية وثلاثين سنة على حسب قائمة اخرى . وعلى ذلك فانه ليس من المستغرب أن نجد المؤرخين الأحداث قد وصلوا الى نتائج مختلفة فى بحوثهم . واذا كان قد اصبح من المتفق عليه تقريبا ترتيب ثورات الفراعنة على العرش ومدة حكم كل واحد منهم فاننا من جهة أخرى نجد أن بعض الحوادث قد وضعت فى عصور مختلفة للحوادث الأصلية ، وهذا التناقض نجده كذلك فى التفاصيل فمثلا نجد ان المؤرخين قد اختلفوا على تحديد السنة التى قامت فيها حملة فارسية فى عهد « نقطانب » الأول وكذلك لم يتفق على زمن الحملة التى أخفق فيها « أوكوس » ملك الفرس فى عهد « نقطانب » الثانى وغير ذلك من الأحداث . وعلى اية حال فقد فحص المؤرخ « بول كلوشيه » موضوع هذه التواريخ ووصل فيها الى نتائج تقريبية . (راجع Rev. Egyptologique Tom. 1 p. 257) وكذلك

بحث اخيرا هذا الموضوع الأثرى الألمانى Friedrich Karl Kienitz (راجع
Die Politische Geschichte Agyptens Vom 7 bis zum 4 Jahrhundert vor
der Zeitwende p. 166—180) وقد وصل الى نتائج هامة يعتمد عليها فى
كثير من الأحيان •

والآن بعد هذه المقدمة القصيرة عن ملوك تلك الفترة من تاريخ البلاد
سنفصل القول فى حكمهم فيما يلى :

الأسرة الثامنة والعشرون

مصر فى عهد الفرعون (أمير تاوس) والأسرة المنديسية

يدل ما لدينا من معلومات حتى الان على أنه لم يكن هناك اتصال مباشر قائم بين العالم الهيلانى والملك « اميرتاوس » (٤٠٤ — ٣٩٩ ق.م.) . وهذا الفرعون هو الملك الوحيد الذى يمثل الاسرة الثامنة والعشرين الساوية ، ومع عدم وجود معلومات لدينا فى هذا الصدد فانه لا يمكننا ان نعتبر أن كلا من تاريخ « مصر » وتاريخ بلاد الاغريق فى هذا العهد كان بعيدا أحدهما عن الآخر .

ومما هو جدير بالملاحظة هنا أولا التأثير الهام الذى أوجدته الحوادث الجسيمة الهيلانية المعاصرة فى تحرير « مصر » من الحكم الفارسى ، وذلك أن حروب البلوبونيز التى دارت رحاها بين « أسبرتا » و « اثينا » كان من جرائها وهى فى شوطها الأخير (حوالى ٤٠٥ — ٤٠٤ ق.م) تحويل قوة الدولة الفارسية من داخلها الى خارج حدودها وذلك لأن بلاد الفرس فى ذلك العهد كانت قد وقعت فى مشاكل سياسية وبخاصة ما قام به « كورش » الصغير الذى كان يعد من أعظم رجال الفرس وامهرهم فى الاحوال الاغريقية (راجع Xenophon Hell, II, 1, 14; Plutarque Lysander, 9). ولا شك فى أن هذه الأحوال لم تكن مواتية من جهة الفرس لقمع الثورة التى اندلعت فى « مصر » وهى الثورة التى انتهت بتنصيب الفرعون « آميرتاوس » فرعونا على أرض الكنانة (عام ٤٠٤ ق.م.) وسنرى أنه بعد مرور بضع سنين على الاستعدادات التى قام بها « كورش » بمعاضدة اغريق « آسيا الصغرى » (٤٠٢—٤٠١ ق.م.) ، وكذلك الحملة التى قام

بها « كلارك Clearque » وجنوده المرتزقة ، قد أدت الى شــل حــركة حكومة الملك « منمون Mnemon » وتحبيذ ثورة الاســتقلال التى قامت فى مصر .

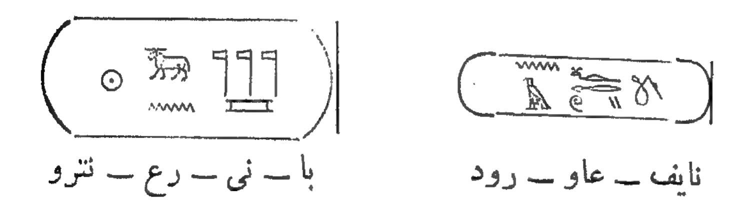
وتدل الأحــوال على انه حوالى هــذا العهــد أو قبله بقليــل كانت توجد روابط صداقة بين الشطرب حاكم بلاد « أيونيا » المسمى « تاموس » الذى كان حليفا للامير «كورش» وبين بلادالاغريق نفسها وبين ملك«مصر» «بسمتيك» الذى كان يحكم على الدلتا وقتئذ (راجع Doid, XIV,3 53-4) غير أن هذه الحالة لم تدم طويلا اذ نجد انه بعد هزيمة « كورش » قد اعتمد صديقه « تاموس » على صــاحبه « بسمتيك » واحتمى فى بلاطه ولكــن « بسمتيك » بدلا من حمايته ذبحه هو وأولاده (راجع Diod, XIV,, 35, 5) ويقول « ديودور » فى ذلك أن « بسمتيك » كان قد أراد بفعلته هــذه أن يستولى على أسطول الشطرب وثروته . وعلى أية حال فان الكارثة التى حاقت بالأمير « كورش » ان لم تكــن قد أحدثت رد فعــل فى حاشــية « أمير تاوس » فانها على الأقل قد نجحت فى ذلك فى الأقليم الذى على الشاطىء لصالح هذا الملك .

ومن جهة أخرى اذا صدقنا الشائعة التى دونها «اكسنوفون Xenophon» فانه على حسبها كان جيش ملك الفرس يحتوى فى صفوفه فى موقعة «كوناكسا Cunaxa » على مصريين اذ يقول فى ذلك : « وبجانبهم (أى الفرس) كان يوجد جنود مسلحون بدروع من خشب تصل حتى أقدامهم وهؤلاء كانوا على ما يقال مصريين » (راجع Anab I,VIII, 9). وعلى العكس نجد أن قوة الجنود المرتزقة المخيفة بقيادة « كلارك » كانت على شفا القضاء على سلطان « منمون » ملك الفرس . وهــذه القوة كانت تميل بصــفة غير مباشرة الى

استقلال « مصر » ، غير أن الأحوال قد قادتها الى أن تنقلب على الثائرين فى وادى النيل ، وذلك انه بعد موقعة « كوناكسا » قدم القائد «كلارك» على حسب ما رواه « اكسنوفون » (راجع Anab, II, V, 13) الى « تسافرن » « Tissapherne » مساعدته بجنوده على « مصر » . (راجع Anab, II, 1, 14) والواقع أن العلاقات لم تكن علاقات مباشرة بين «مصر » وبلاد اليونان ويظهر ذلك بصورة عابرة قلقة فى عهد تلك الأسرة الساوية التى مثلها « أمير تاوس » .

الاسرة التاسعة والعشرون

« نفريتيس » الأول



حكم هذا الفرعون على حسب ما جاء فى « مانيتون » ست سنوات أما على الآثار فنجد أن آخر أثر عثر عليه له يرجع الى السنة الرابعة من حكمه كما سنذكر ذلك فيما بعد (راجع L.R. IV p. 161, note 5)

وفى عهد الملك « نفريتيس » اول ملوك الأسرة المنديسية (٣٩٩ــ٣٩٣ق.م) نجد أن سياسة « مصر » الخارجية كانت على ما يظهر تميل الى مناهضة الفرس بمساعدتها اليونان وذلك على الرغم من أنه لم يكن حاكما قويا كما سنرى بعد .

ويبتدىء « نفريتيس » على حسب ما جاء فى « مانيتون » أسرة جديدة وهى الأسرة التاسعة والعشرون التى يرجع أصلها الى بلدة « منديس » والظاهر أنه توج على « مصر » فى عام ٣٩٩ق.م أى قبل موت «أميرتاوس» أو سقوطه بسنة . ويذكر لنا المؤرخ « شور » (راجع W. Schur, Klio 20 / 1926, p. 274) أن «نفريتيس» كان مصريا فى حين أن «أميرتاوس» كان لوبى الأصل غير ان اسم «نفريتيس» بالمصرية « نايف ــ عاو ــ رود » ليس مصريا قط. والواقع أنه كان مثل كل حكام هذا العصر ينتمى الى أصل

لوبى ، ولا يفوتنا أن نذكر هنا أنه يجوز أن الشخص كان يحمل اسما غير مصرى ويكون من أصل أجنبى ولكن العكس كان صحيحا .

وعلى أية حال فان التغير فى اعتلاء العرش قد جاء عن طريق القوة .

وسنرى أن « أميرتاوس » لم يكن فى مقدوره أن يضع قواعد ثابتة لتوطيد أسرته كما فعل من قبل « بسمتيك » الأول مؤسس الأسرة السادسة والعشرين .

وقد ترك لنا «نفريتيس» هذا بعض آثار قليلة ليست بذات أهمية عظمى، فى كل أنحاء البلاد ، وذلك فى مدة ست السنوات التى حكمها ، وسنذكر هذه الآثار التى خلفها لنا باسمه .

١ — عثر له فى السنة الثانية من حكمه فى سربيوم « منف » على لوحتين نقشا بالخط الهيراطيقى جاء فيهما ذكر دفن عجل « أبيس » وهما محفوظتان الآن بمتحف « اللوفر » .

(Deveria, Catalogue des Manuscrits Eg. p. 208; L.R. IV p. 161 et note 6)

٢ — وعثر على لفافة مومية مؤرخة بالسنة الرابعة من حكمه وهى محفوظة الآن بمتحف « اللوفر » ومكتوبة بالخط الديموطيقى .

Deveria Catalogue des Manuscrits Egyp. p. 207 ; Maspero Hist. Anc. III p. 753 A. 2; Wiedmann Gesch. Agyptens von Psammetich 1, bis auf Alexander d. Gr. (1886), p. 273; Gauthier L.R. IV p. 162

٣ — وفى «تل تمى الامديد» عثر له على قطعتين من الحجر الجيرى عليهما اسمه

A.S. 13, p. 208; Porter & Moss IV p. 37; Gauth. L.R. IV p. 162

٤ — وكذلك عثر فى نفس المكان على قطعة من تمثال مجيب منحوت فى قطعة من تابوت مصنوع من الجرانيت الأسود وهى محفوظة بالمتحف

المصرى وربما كان هذا دليلا على أن هذا الملك قد دفن فى « منــديس »
(راجع Rec. Trav. 9,p. 19 ; L.R. IV p. 163 No. 9)

٥ — وفى « منف » وجد له تمثال « بو الهول » برأس رجل مصنوع من البازلت وهو محفوظ الآن بمتحف « اللوفر » (A. 26) وقد كتب على قاعدته اسم « نفريتيس » ووصف بأنه محبــوب « أوزيرسوكر » و « بتــاح » القاطن جنوبى جداره

(راجع De Rougé, Notice des Monuments, p. 24 ; Pierret, Recueil d'Inscrip. II P. 1 ; Wiedmann Gesch. 273 ; Gauth. Ibid, 162 No. 5)

٦ — وفى « سوهاج » عثر له على محراب من الجرانيت الأحمر وجد فى الدير الأبيض (راجع Ancient Egypt 1915, p. 27)

٧ — أما فى الكرنك فقد عثر على قطعتين من الحجر الرملى عليهما صور تمثل هذا الملك وآلهة مختلفة وهذه القطع وجدت مبنية فى معبد «خنسو» الصغير الواقع فى الجنوب الشرقى من محيط المعبد الكبير ، وقد شاهد هذه القطع « لبسيوس » ، وتدل شواهد الأحوال على أن البطالمة قد استعملوها فى اصلاح هذا المعبد ، وهذه القطع محفــوظة الآن فى متحف « برلين »
(راجع Mus. Berlin No. 2113, & 2114 ; Wiedmann Gesch. Aegypt. von Psammetich 1 bis Alex p. 273)

٨ — هذا وتوجد قطعة أخرى لهذا الملك من نفس المــكان الســابق
(راجع Wiedemann P. S. B. A. VII (1885) p. 111 ; Wiedemann Suppl. p. 75 ; Petrie Hist. of Egypt p. 373; L.R. IV p. 162 No. 4).

(٩) وتوجد كذلك قطعة أخرى من نفس المعبد السابق .

راجع Champ. Not. descr. II, 290 ; Petrie, Ibid. 373; L.R. IV 162 A 5, Potrer & Moss II 89).

(١٠) ويوجد له تمثال مجيب بمتحف « اللوفر » (راجع Rec. Trav. 4. p. 110; Wiedemann, Ibid 273; Petrie Ibid 373; L.R. IV 163 No. 9.)

(١١) هذا ويوجد طابع خاتم هذا الملك فى المتحف البريطانى (راجع Brit. Mus. 5583; Hall, Scarabs 1 p. 292 No. 2792; Petrie Scarabs and Cylinders p. 40)

(١٢) ويوجد له جعران وقطع أخرى صغيرة فى « يونيفرستى كولدج بلندن وبتروغراد » (راجع Petrie Ibid. p.33, 40 & Pl. LV11, 29, 1)

هذا وقد نشرت كتابة على لوحة من الخشب نشرها « نورى هويت » Towry White(راجع P.S.B.A, 23 (1901) p. 130-131). غير أن هذه النقوش من طراز كتابتها لا بد أن تكون مزورة على الرغم من قلة النقوش التى تنتسب لهذا الملك (راجع Petrie Hist. III p. 373 ; Gauth. L.R. IV p. 163 No. 7 & A 1)

هذه هى كل الآثار التى تنسب الى عهد هذا الفرعون ويلحظ فيها أنها لم تحدثنا بكلمة واحدة عن سياسته الخارجية قط . والواقع أن سياسته الخارجية كانت تنحصر فى علاقته مع ملك الفرس وأعدائه اليونان ، وقد لعب دورا محدودا فى مدة حكمه ، وكان غرضه الأكبر هو المحافظة على استقلال بلاده التى كانت تطمع الفرس فى استردادها ، ووضعها تحت سيطرتها . ولذلك نجد أنه قد استجاب فى عام ٣٩٦ق.م. الى مساعدة « اجيسيلاس » ملك « لسيدمونيا » (أسبرتا) عندما سار الأخير لمحاربة الفرس وكانت « لسيدمونيا » تبحث وقتئذ عن حلفاء يساعدونها على طاغية الفرس ، وقد

فكرت بطبيعة الحال فى « مصر » عدوة الفرس ، وكانت وقتئذ بلادا غنية ولها جيش وطنى جديد نالت به استقلالها حديثا من الفرس ، وقد حضر الى « مصر » فعلا رسول « أسبرتا » لمقابلة الملك « نفريتيس » وطلب اليه عقد حلف مع بلاده لمناهضة الملك العظيم (راجع Diod. XIV, 79, 4)

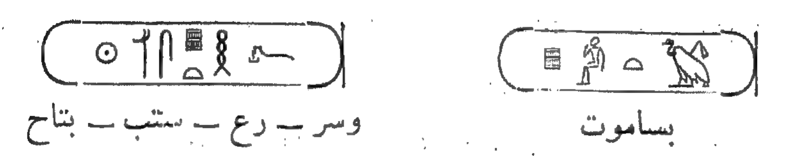
على أن ما قام به « نفريتيس » من مساعدة يدل دلالة واضحة على السياسة المحددة التى اتبعها فى هذه المرة وهى سياسة دفاع ستكون النهج الذى سيسير عليه ملوك « مصر » فى عهدى الأسرتين التاسعة والعشرين والثلاثين . هذا ويجدر بنا أن نشير هنا الى أن مشروع المحالفة لم يأت من جانب « مصر » ولكنه جاء من جانب « أسبرتا » ، ومن ثم يمكننا القول أن هذا الفرعون لو ترك وشأنه لما دار بخلده أن يقوم بأى تعد على « ارتكزركزس » عاهل الفرس ، والظاهر أنه لم يكن لديه أى رغبة للفتح والغزو كما كانت عادة الفراعنة أسلافه عند تولى عرش الملك فى تلك الفترة بل نجده قد قنع باستقلال بلاده . يضاف الى ذلك أن « نفريتيس » لم يقدم لحليفته الجديدة « أسبرتا » مساعدة الا بقدر معلوم كما حدثنا عن ذلك بصراحة « ديودور » اذ يقول أن الأسبرتيين لم ينالوا مساعدة الفرعون الحربية بل حصلوا منه على نصف مليون مكيال من الشعير وعلى الأدوات اللازمة لتجهيز مائة سفينة حربية (راجع Diod. XIV, 79, 4)

وقد اقتضت الأحوال أن تكون المساعدة المصرية غير كافية جزئيا ، وذلك لأن اللاسيدمونيين الذين حملوا الحبوب المصرية للجيش الذى كان فى « آسيا » قد رسوا بسفنهم فى جزيرة « رودس » ، غير عالمين أنها كانت قد انحازت لعدوهم حديثا ومن ثم استولى القائد «كونون Conon » وأهالى « رودس » على ما كانت تحمله السفن من مئونة (راجع Ibid. XIV, 79, 7)

وفى هذه الحالة نشاهد أن موقف الفرعون لم يكن موقف تردد أو مخادعة اذ لم يتزحزح عن خطته وهى الحياد فلم يرسل مساعدة فعلية لأعداء الملك العظيم ، والواقع أنه لم يغادر البلاد المصرية جندى واحد أو سفينة حربية واحدة لمساعدة حليفته ، وقد كانت كل مشاركة « نفريتيس » فى هذا المشروع الحربى المعادى للفرس قد نفذت بصورة تدل على منتهى التحفظ والحرص • ولاشك فى أن ما فعله كان خروجا بعض الشىء عن الحياد ، ولذلك يظهر أن المحالفة التى قامت بين البلدين لم تكن محالفة بالمعنى الحقيقى .

وقد مات « نفريتيس » فى عام ٣٩٣ق.م. بعد أن حكم أرض الكنانة حوالى ست سنوات وقد جاء عنه فى الحوليات الديموطيقية عبارة غير كاملة : « لأن ما فعله كان قد عمله بعلم مما جعل ابنه يخلفه » • وقد دفن فى « منديس » أو فى ضواحى « تمى الأمديد » حيث عثر على قطعة من تماثيله المجيبة كما ذكرنا آنفا وبموته قامت ثورة طاحنة فى داخل البلاد ولم يمكث ابنه « موتس » على عرش البلاد الا مدة قصيرة جدا • « فقد عزل عن الملك بعد مدة قصيرة (؟) بسبب آثام كثيرة ارتكبها فى مدة حكمه ••••• وقد عزل (؟) » • وبما أنه كان قد حاد عن القانون فانه قد نصب خلفه فى مدة حياته (راجع Demotische Chronik Col. III 21, IV, 6) • هذا ولم نعرف حتى الآن آثارا للملك « موتس » هذا .

الملك بساموتيس



وقد خلفه على عرش الملك مدع آخر يدعى «بساموتيس Psammuthis» غير انه لم يمكث كذلك على عرش الملك أكثر من سـنة واحـدة ، هذا ولا نعرف أى صلة بينه وبين كل من الملك « نفريتيس » وابنه « موتس » • فهل يمكن أن يكون شطب اسم « نفريتيس » الأول من قطعـة الحجر التى عثر عليها فى الكرنك كان من عمل « بساموتيس » هذا ؟ .

وتدل الأحوال على أن قوة نفـوذه كانت فى الجنـوب وذلك لأن الأثر الوحيد الذى عثر عليه له كان من الكرنك ، غير أن ذلك لا يمكن أن نستنبط منه أنه كان من أهل الوجه القبلى •

وعلى أية حال فان هذا الملك على الرغم من قصر مدة حكمه قد ترك مايدل على نشاطه فقد كان أهم عمل قام به هو اقامة معبد صغير أمام الجناح الجنوبى للبوابة الأولى لمعبد الدولة الكبير فى الكرنك وكذلك لم يكن فى استطاعة « بساموتيس » أن يمكث طويلا على عرش الملك ففى عـام ٣٩٢ق.م. عزل من عرش الملك وقد جاء عنه فى الحوليات الديموطيقية ما يأتى :

وكان رابع حاكم بعد حكم الميديين وهو « بشن موت » ولم ينهج طريق الآله فلم يترك طويلا فى الحكم (راجع Demotische Chronik Col. IV, 7-8)

وقد ترك لنا الآثار الآتية غير ما ذكرناه آنفا .

١ ـ قطعة من الحجر عليها اسمه عثر عليها فى قرية « النجع الفوقانى »

بالكرنك . وهى محفوظة الآن فى متحف « برلين » (No. 2095) (راجع L. D. III 259 b. ; L.D.T III. p. 40 ; Ausf. verz. p. 245; L. R. IV p. 168 No. 2 ; Porter and Moss II. p. 89.)

٢ ــ وكذلك عثر له على قطعة من عمود فى ردهة المعبد الكبير بالكرنك ما بين البوابتين التاسعة والعاشرة (راجع Porter & Moss II p. 61)

٣ ــ وقد ظهر نشاطه فى العمارة فى المخزن الواقع فى الجنوب الشرقى لمعبد « آمون » (راجع L.D. III, 259 a ; L.D.T. III, p. 42 ; Champ. Mon. . 283, No. 4 ; IV, 303, No. 1 ; 309 No. 3 ; Rosellini Mon. Stor. 1, 14, No. 56 ; 154, No. 4 ; Mariette, Karnak Texte p. 11; Wiedemann P.S. B.A. 7, (1885) p 108-110)

٤ ــ واخيرا وجد له جعران باسمه (راجع Petrie, Scarabs and Cylinders p. 48, Pl. LV11, 29, 3) هذا وهناك شك كبير فى أن الخاتم المصنوع الذى وجــد عليه طغراؤه (A.Z. 21, p. 70) وكذلك الجعران الذى وجد فى مجموعة « لوفتى » Loftie وذكره « بترى » (راجــع Petrie Hist. Scarabs No. 2000) وكذلك ذكره « جوتييه » فى كتاب الملوك (راجع L. R. p. 169 No. 4 & 5 note 3) هما له .

هذا ولابد ان نشير هنا الى أن ما ذكره « رفييو » (Revillout, Rev. Egypt. 2 (1882) p. 50) , من أن قبر هذا الملك موجود فى « سقارة » ونشر ذلك « لبسيوس » كان نتيجة خطأ وقع فيه .

الملك «هجر» (أوكوريس)

انظر : (Revue D' Egyptologie Tom. VII p. 107)

٣٩٢ — ٣٨٠ ق.م.



حكم هذا الفرعون على حسب ما جاء فى « مانيتون » ثلاث عشرة سنة (٤٠٠ — ٣٨٧ ق.م) (راجع Unger Chronologie des Manetho p. 297) وفى رواية أخرى حكم عشر سنين ، غير ان الرقم ثلاث عشرة سنة هو الرقم الذى يعترف به المؤرخون عادة .

وجاء فى « مانيتون » أن هذا الملك هو خليفة « نفريتيس » ، ولكن الأثرى « فيدمان » يقول على حسب الحوليات الديموطيقية انه جاء بعد الملك « بساموت » غير ان نقشا بالكرنك يحبذ رواية « مانيتون » (راجع Daressy, Notice explicative des ruines de Medinet Habou p. 22; L. R IV p. 164 & 165 No. 3)

وقد توصل الملك الجديد « أوكوريس » فى نهاية الأمر الى القضاء على الفوضى التى كانت شائعة فى البلاد . ويدل ما قام به « أوكوريس » هذا من شطب أسم الملك « بساموتيس » من نقوش المعبد الصغير الذى كان قد

أقامه فى الكرنك ووضع اسمه هو مكانه ، على انه كانت قد نشبت حرب بينهما . والظاهر انه قد أتم هذا المعبد الصغير الذى لم يتم فى عهد سلفه كما سنرى بعد ، ولكن من جهة أخرى يبرهن اسم أبنه « نفريتيس » على ان « أوكوريس » على ما يظهر كانت بينه وبين « نفريتيس » الأول علاقة قرابة ويلحظ هنا أيضا ان اسم « أوكوريس » (هجر) ليس اسما مصريا (راجع A. S. 18, (1919) p. 39 No. 2) ومن المحتمل اذا أن الاضطرابات التى قامت فى البلاد فى عامى ٣٩٣ ، ٣٩٢ ق.م. كان سببها على وجـه عام خلافا بين نفس أفراد الأسرة .

والواقع أنه بتولى « أوكوريس » عرش الملك بدأ فى أرض الكنانة عصر جديد . ولابد ان نعتبره بأنه هو الواضع الحقيقى للسيطرة المصرية فى القرن الرابع قبل الميلاد . فمنذ بداية عهده لم يكن استقلال « مصر » يعد نتيجـة لأمر واقع ، لأن بلاد الفرس عدوه اللدود كانت فى نضـال عنيف مع الأغريق فى « آسـيا الصغرى » وبحر « ايجه » وأكبر دليـل على عظم قـوته ورخاء البلاد فى عهده ما تركه لنا من آثار ضخمة فى طول البلاد وعرضها ، فقد ترك لنا فى مدة الثلاث عشرة سنة التى حكمها حوالى خمسـة وثلاثين أثرا منتشرة فى انحاء البلاد من أول قناة السويس شـمالا حتى مدينـة « الكاب » جنوبا .

والواقع أنه كما سنرى بعد قد أمر باقامـة المبانى فى « الـكرنك » و «الاقصر» و « المدمود » ومدينة « هابو » و « الكاب » . وقد عثر له فى « اهناسيا المدينة » على قطعة من محراب وفى « سوهاج » وجد له ناووس من الجرانيت وفى الدلتا حيث كانت تتركز سياسة البلاد عثر له على سلسلة تماثيل ملكية هذا بالاضافة الى تمثال « بو الهول » من البازلت جميل الصنع ،

وكذلك وجدت مجموعة نقوش عدة فى مخاجر « طرة » و «المعصرة» مؤرخة بالسنوات الست الأولى من حكم هذا الفرعون ، وهذا دليل ناطق على ان « أوكوريس » قد أقام مبانى فى الوجه البحرى ، وفضلا عن كل نشـاطه هذا فى العمارة فانه يعد مؤسسا لقوة بحرية عظيمة فى « مصر » .

ولا نزاع فى أن السياسة التى نهجها « أوكوريس » كانت أكثر جرأة وأوضح سبيلا من التى سلكها سلفه « نفريتيس » . ولا أدل على ذلك من المساعدة التى قدمها الى « أفاجوراس » صاحب « قبرص » فقد كانت اكثر تحديدا وأعظم أهمية على الرغم من أنها كانت على نطاق ضيق ، ولم تدم طويلا . وفى الحق لم يـكن الموقف الذى يقفـه « أوكوريس » هو نفس الموقف الذى كان فى عهد « نفريتيس » . فمما لا شك فيه أن ثورة «مصر» على الفرس ، ومشـاركة المصريين المتواضـعة فى الحملة التى أرسلت على الفرس عام ٣٩٦ ق.م. كانت قد شغلت بال حكومة « ارتكزركزس الثانى » وقد أرسل هذا الملك العظيم حوالى عام ٣٩٠ ق. م. حمـلة على « مصر » قوية ، ولما رأى «أوكوريس» أنه قد هدد بصورة مباشرة بالجيوش الجرارة التى كان يقودها كل من « أبروكومس Abrocomes » و « تيتروستس Tithraustes » و « فارنابازوس Pharnabasos» (راجع Isocrates Pangyr., 148) فانـه لم ير بدا من التحالف مع ألد أعـداء عاهـل الفرس وقتئذ وهما فى تلك الآونة « أثينا » و « أفاجوراس صاحب قبرص » ، على أن محالفتـه لبـلاد « أثينا » فى عـام ٣٨٨ ق.م. لم تكن الا حدثا جـديدا كما ذكـر لنا ذلك « أريستوفان » (راجع Ploutos, 179) ومن المحتمل أن هذه المحالفة لم تـكن الا نتيجة غير مبـاشرة وحادثا ثانويا اذا ما قيست بمحالفتـه مع « قبرص » التى كانت تعاضد « أثينا » منذ عام ٣٩٠ ق. م.

ومما يؤسف له أنه ليس لدينا حقائق تحدثنا عن مقدار ما جنته « مصر » من فائدة من وراء هذه المعاهدة الأثينية المصرية ، هذا ويدل الصمت المطلق الذى لجأ اليه كل من المؤرخين « اكسنوفون » و«ديودور » بصورة واضحة المعالم على عكس ما أظهراه من جهة العلاقات بين « أثينا » و « قبرص » وبين « مصر » و « قبرص » على ان هذه المحالفة لم يكن لها أية أهمية أساسية ، ولابد أنها قد أنتهت من تلقاء نفسها بصلح « انتالسيداس Antalcidas » عام ٣٨٧ — ٣٨٦ ق. م. ، ولكن من جهة اخرى يحدثنا « ديودور » عن العلاقات التى كانت بين «أوكوريس» و«أفاجوراس» بشيء من الاختصار ولكنه اختصار مفيد . ويقول ان « أفاجوراس » قد عقد معاهدة مع « أوكوريس » ملك « مصر » الذى كان وقتئذ فى حالة حرب مع الفرس وقد وصل اليه امدادات هامة . والألفاظ التى أستعملها «ديودور» فى هذا الصدد لاتسمح لنا ان نحكم بأن المفاوضات عن المعاهدة التى ابرمت بينهما قد جاءت من جانب « افاجوراس » لا من جانب « أوكوريس » ، وعلى أية حال يمكن القول أن « أوكوريس » عندما رأى أن بلاده مهددة بخطر الغزو من جانب الفرس سارع فى ابرام هذه المعاهدة . ولا شك فى أن هذا التحالف يظهر عليه أنه كان أشد قوة من التحالف الذى عقد بين الملك « نفريتيس » وبلاد « أسبرتا » وذلك لأنه كان اتفاقا حربيا لا مجرد معاهدة صداقة .

ومما يلفت النظر هنا أن « أوكوريس » كان فى مقدوره أن يثبت أمام المهاجمين من الفرس ويلحق بقوادهم هزائم أفدح من التى حاقت به كما ذكر لنا ذلك « اسوكرات » (راجع Ibid. Pang., 140) ، هذا فضلا عن أنه أرسل فريقا من جيشه لمساعدة « أفاجوراس » ، ولكن يتساءل المرء هل كان بين هذا المدد بعض الجنود المرتزقين الذين استعان بهم « أوكوريس »

فيما بعد فى حروبه (راجع Diod,XV, 29, 1)؟ والجواب عن ذلك أنه قد يجوز ولكن المتن لم يحدثنا بشىء عنه ، ومن الجائز ان « اوكوريس » قد قطع الطريق على الغزاة من الفرس وبذلك قدم يد المساعدة لحليفه « أفاجوراس » وذلك بفضل جنوده الوطنيين فقط . هذا ولم يقف « أوكوريس » عند هذا الحد فى مساعدة « أفاجوراس » حربيا بل أرسل مثل « نفريتيس » الحبوب الى حليفه ، يضاف الى ذلك أنه وضع تحت تصرفه ثروة طائلة ، وأخيرا أرسل أسطولا مؤلفا من خمسين سفينة لمعاضدته (راجع Diod. Ibid. XV, 34) . ويلحظ هنا أن المؤرخ « ديودور » لم يذكر لنا اولا المدد البحرى الذى على مايظهر جاء متأخرا نسبيا وانه جاء بعد ارسال المدد من الجنود والغلال والمال . والواقع أن عرض هذا المدد لم يأت من جانب « أوكوريس » بل جاء بناء على طلب من «أفاجوراس» عندما شاهد أن قلة عدد جيشه البحرى لا تكفي لمقاومة الفرس . (راجع Ibid. XV, 3, 4)

ومع كل ذلك فقد نزلت بالجيش الأسبرتى كارثة بحرية فى موقعة « كيتون » وقد وقع هذا الخبر على « مصر » وقوع الصاعقة (راجع Ibid. XV, 35-6) وذلك لأن الخمسين سفينة الحربية التى أرسلها « أوكوريس » لمساعدة حليفه وهى تعادل ربع الأسطول الفارسى قد فقدت (راجع Ibid. XV, 34) يضاف الى ذلك أنه فى نفس الوقت كانت قد بدأت تظهر علامات الفتور بين « أفاجوراس » والفرعون « أوكوريس » . وما حدثنا به « ديودور » فى هذا الصدد واضح جلى فقد ذكر لنا أن « أفاجوراس » الذى هزم فى واقعة « كيتون » قد هرب تحت جنح الظلام من بلدة « سلامين Salamine » طالبا الحماية فى بلاط حليفه الأول ، غير أنه لم يلق منه أى ترحاب لمد يد المساعدة ، ولذلك اضطر ثانية الى أن يعود الى الملك « أوكوريس » ويرجوه فى أن يستمر فى مزاولة الحرب بقوة وعزم

وأن يتأكد من صدق الرابطة المتينة التى تربطه به على مغالبة ملك الفرس (راجع Ibid. XV, 4, 2) ومنذ تلك الحادثة أصبح التحالف الذى بين هذين البلدين مجرد تحالف رسمى وحسب . ولا أدل على ذلك من أن المساعدة التى كان يقدمها ملك « مصر » للملك « أفاجوراس » كانت ضئيلة فلم يعد يرسل اليه جنودا أو سفنا حربية بل كان كل ما أمد به « أفاجوراس » عند عودته من « مصر » هبة من المال كانت أقل بكثير مما كان ينتظر منه (راجع Ibid. XV, 8, 1) . وهكذا نرى ان المساعدات العظيمة التى كان يقدمها ملك « مصر » لحليفه « أفاجوراس » قد أخذت فى التضاؤل والتراخى . واذا سلمنا أن السياسة المصرية فى هذا العهد لم تكن فسيحة الأفق وأنها كانت ذات طابع قارى أكثر منه بحرى وأنها ذات صبغة مصرية محضة فانه يمكننا أن نفسر بسهولة هذا التطور الذى ظهر فى سياسة « أوكوريس » ، وذلك أنه رأى أن دوام وجود تهديد حربى خطير على « مصر » وما دام هذا الخطر من نتيجته ان يودى باستقلال ارض الكنانة فانه لم يظهر أقل حماس لصالح محالفه .

وتدل الظواهر على أن مساعدة « أوكوريس » البحرية التى لم تأت الا متأخرة قد ارسلت بعد الحاح من حليفه ، ولم تأت عن طيب خاطر ، هذا فضلا عن أنها كانت غير كافية ، وقد كانت كارثة « كيتيون » خاتمة المطاف لابعاده عن مساعدة « أفاجوراس » . ولا نزاع فى أن الفرعون « أوكوريس » لم يقطع صلته بالملك « أفاجوراس » اذ كان يمده بمساعدة ضئيلة ، بل لقد تحالف مع ابن « تاموس » المسمى « جلوس » الذى كان قد خرج على ملك الفرس العظيم ولكن لم نستطع معرفة قيمة هذا التحالف الذى عقد مع « جلوس » (راجع Diod. XV, 9, 3) . وتدل الأحوال على أن الفرعون « أوكوريس » قد استعمل كل موارده فى داخل حدود بلاده فلم

تعد الجنود او السفن الحربية الفرعونية ترسل لمساعدة حلفائه اليونان على هزيمة الفرس بل كان القواد والجنود المرتزقون من الاغريق هم الذين كانت تجلبهم أموال الفرعون الى دلتا النيل زرافات ووحدانا ، ويحدثنا « ديودور » (راجع Ibid. XV, 29, 1) عن تجمعهم بكثرة حول الملك « أوكوريس » الذى كان يغدق عليهم المبالغ الباهظة ويمنح العدد الوفير من قوادهم الجدد العطايا (XV, 29, 1) وقد نصب « أوكوريس » على الجيش الذى ألفه من الجنود اليونان بهذه الكيفية القائد « خابرياس » الأثينى . وقد حصر « ديودور » كلامه فى التحدث عن الحماس والنشاط اللذين أظهرهما هذا القائد العظيم فى قيادة جيشه (XV, 29, 2) غير أنه لم يشر قط الى ان هذا الجيش قد قام بمحاولة حربية من قبله بمهاجمة عدو البلاد . ومن جهة أخرى يذكر لنا المؤرخ « كورنيلياس نيبوس Cornelius Nepos » (راجع Iphicrates, 2) صراحة ان الملك « أرتكزركزس » قد أرسل رسولا الى الأثينيين يطلب اليهم « أفكراتيس » لأنه يريد مهاجمة « مصر » . والواقع أن « خابرياس » قد أبدى نشاطا فى « مصر » لاعداد الجنود وتدريبها ، هذا فضلا عن اقامة حصنين عند الحدود لحمايتها من الجهتين الشرقية والغربية (راجع Strabon XVI, 11, 33, XVII, 1, 22)

وعلى أية حال فانه مهما كانت مقاصد كل من « خابرياس » والفرعون « أوكوريس » فان من الواضح أن السياسة المصرية كانت فى أساسها ذات صبغة حربية قارية وأن دلتا النيل كان مقدرا لها كما حدث فى عامى ٣٨٩ — ٣٨٧ ق. م. أن تكون المكان الأساسى للحرب التى ستنشب لمواجهة الغزاة وصدهم عن احتلال البلاد المصرية كرة أخرى .

ولكن الواقع أنه لم تنشب نار حرب بعد فى عهد الملك « أوكوريس » لصد عدوان الفرس عن « مصر » . هذا وتحدثنا الأخبار أن هذا الفرعون قد حرم عام ٣٨٠ ق.م. احسن مساعد له فى شئون الحرب ، وذلك لأن

« خابرياس » لم يكن موفدا رسميا من قبل « أثينا » لقيادة جيش الفرعون واعداده لمواجهة العدو ، بل الواقع أن هذا القائد كان قد غادر « أثينا » دون أن يأخذ موافقة رسمية من « ديموس Demos » (راجع XV,29,2.). ولكن مع ذلك يتساءل المرء هل كان « خابرياس » يعمل بوصفه قائد جنود مرتزقة وحسب ؟ والجواب عن ذلك هو لا . وذلك لأن « أثينا » التى كانت الحليفة القديمة لكل من « أفاجوراس » والفرعون « أوكوريس » ، قد أنحنت أمام الحوادث التى وقعت فى عام ٣٨٧ — ٣٨٦ ق. م. وجعلتها تمر دون أن تفكر فى قطع العلاقات الودية التى كانت بينها وبين عاهل الفرس ، فقد كان من المحتمل ان الأثينيين الذين جرح شعورهم بسبب ضآلة ما جنوه من معاهدة « أنتالسيدس Antalcides » وكسر شوكة « أفاجوراس » ، قد نظروا بفرح وغبطة الى مساعدة قائدهم الممتاز «خابرياس» لملك« مصر» من اجل القضاء على اعدائهم الفرس . ولا شك فى أن ملك الفرس وقواده كانوا وقتئذ يخشون بطبيعة الحال وجود«خابرياس» على رأس الجيش المصرى بجانب الفرعون « أوكوريس » . وقد كان من جراء ذلك أن أنتخب الملك « ارتكزركزس » القائد « فارانابازوس Pharanabazos » ليكون على رأس جيشه الذى اعده لمحاربة « مصر » . وقد طلب هذا القائد بدوره الى الأثينيين استدعاء « خابرياس » من « مصر » وقد جاء هذا الطلب فى فترة مناسبة وذلك لان قوة الفرس وسلطانهم منذ صلح عام ٣٨٧ — ٣٨٦ ق. م. وهزيمة « أفاجوراس » قد أخذت فى الازدياد لدرجة مخيفة ، وقد رأى الأثينيون أمام ذلك أنه لابد من مهادنة ملك الفرس واكتساب رضاء « فارانابازوس »(راجع Ibid XV, 29,4) ولذلك خضعوا لمطلب هذا الشطربة القوى ووعدوه بأكثر من ذلك وهو أن « افيكراتيس » سيقوم قريبا للانضمام للمعسكر الفارسى .

وهكذا انتهى عهد الفرعون « أوكوريس » الذى بدأ بفخار وعظمة دون

ان يمنع عن بلاده العـــدوان الذى كان يتهـــددها من قبـل الفـرس واذا كانت « مصر » لم تقدم لحلفائها الأغريق الا مساعدة ضئيلةمحدودة مما أدى الى هزيمتهم فان ذلك لم يكن فى مصلحتها اذ قد بقيت منفردة دون أن يكون لها عضـد من المدن الهيلانية الرئيسـية التى كانت محالفة لها فى سـنتى ٣٩٦ — ٣٩٥ ، ٣٨٩ — ٣٨٧ ق. م. ممـا أدى الى انقلاب الحـال فأصبحت هذه المدن على ود ومصافاة مع الفرس ولو ظاهرا .

ولا نزاع فى أن « مصـر » على الرغم من انهـا فقـدت صـداقة حكام المدن الاغريقية العظيمة مثل « أثينـا » و « اسـبرتا » فانه كان فى استطاعتها بما لديها من موارد اقتصادية وثراء ضخم أن تجلب الى خدمتها وتخسع تحت تصرفهـا نشاط آلاف الجنـود الاغريق الطمـوحين الذين يميلون للمغامرة حبا فى كسب المال ، غير أن مغـادرة القائد « خابرياس » الذى كان مكلفا بتنظيم قوة « مصر » الحربية الهائلة قد أضعفت معنويتها بصورة بارزة ، وذلك فى وقت كان الفرس يسـتعدون فيه لتجهيز جيش جرار باشراف القائد « فارانابازوس » الذى كان لا يقل فى مهارته الحربيـة عن « خابرياس » لغزو « مصر » كرة اخرى وجعلها ولاية فارسية من جديد.

نشاط (أوكوريس) فى الواحات وغيرها

ولم تقتصر سياسة « أوكوريس » على معاهداته مع بلاد اليونان لمناهضة الفرس بل نجد كذلك أن عماله فى « آسيا الصغرى » كانوا يبدون نشاطا ملحـوظا فقـد عقد هـذا العاهـل مع « بيزيدرن » — الذى تخلى عن تبعيتـه للفرس فى « آسـيا الصـغرى » — معاهدة ود وصداقة (راجع Theopomp. Frg. 103 (111); Jacoby F. Gr Hist. II, 2 p. 558, 1-11)

وفى الغرب عقد محالفة مع «باركارن Barkäern » قوامها الود والمهادنة (راجع Theopomp. Ibid. p. 558, 1) وبذلك حمى ظهره ، وفضلا عن ذلك سهلت

هــذه المعاهدة على الجنود الأغريق المجيء الى « مصر » والانضــمام الى جيشها .

هذا وقد وجه « أوكوريس » قوته الى التوسع فى الخــارج نحو الغرب فنجد أن حاكم واحة « سيوه آمون » (راجع Herod, II, 32) المســمى « سنتخ ـــ أر ـــ ديس » قد اعترف بسلطان « أوكوريس » عليه .

والواقع ان الملك « أوكوريس » يعد اول حاكم مصرى ظهــر اســمه هنا فى النقوش الهيروغليفية كما سنرى بعد. فمنذ زمن اعيد بناء معبد «أغورمى» الذى لم يكن فى الواقع مبنيا على الطراز المصرى قط فأصبح ذا طابع مصرى (راجع A.Z., 69, (1933) p. 1 ff & p. 7 ff & p. 21 f) .

والسبب فى هذا الزحف فى الغرب لم يكن الا سياسة خارجية ، اذ لا نزاع فى ان واحــة « آمون » هذه لم يكن لهــا معنى لدى « مصر » والمصريين وقتئذ (راجع O, Eissfeldt, Philister und Phönizier A. O. 34 Band Heft 3, (1936) p. 16 ff)

حيث يقول : ان واحة « آمون » ليس لها على ما يظهر علاقة بـ « آمون » المصرى ولكن كانت مكانته ثانوية اذ قد حل محــله بوســاطة الفنيقيين الههم المسمى « بعل هامون » وهو الذى قد طوى فى عالم النســيان (اقرن ذلك بكتابة واحــة « آمون » بتضعيف الميم مع كتابة « آمون » المصرى بميم غير مضعفة) . وقد كانت الحملة فى ذلك الوقت تحتاج الى تعب وتحمل مخــاطر كما كانت الحــال منذ زمن قريب فى عصرنا . والواقع أن واحــة « آمون » كانت بالنسبة للمصرى عند قرن الهها بالههم « آمون » « طيبة » شيئا لا يذكر ، ولكن من جهــة اخرى كانت قيمتها للمصرى من الوجهــة السياسية العالمية وبخاصة أن « آمون » الصحراء الذى كان على الطــريق الموصــل الى « فرنيكا » منــذ القرنين السادس والخــامس ـــ على جانب

عظيم من الأهميـــة البالغة ، فقــد طلب اليه « كرويســـوس » المشورة قبل هجومه على « كورش Kyros » عام ٥٤٦ ق. م. (راجع Herod, 1, 46)

وقد وفر على « قمبيز » كما قيل نصرا حربيا يستحق الذكر .

وقد اهدى الشـــاعر « بنــدر » ل « آمون » اللـــوبى انشـــودة (راجع Frg. 36 (Schroeder), cf. Schol. Pind IX, 89; Pausanias IX, 16, 1) . وكذلك أرسل « كيمون » قبل موته بقليل (٤٥٠ — ٤٤٩ ق. م. الى « آمون » رسولا (راجع Plutarch Kimon, 18) . وسعى « ليسندر » لغرض فى نفسه ليجعل « آمون » فى خدمته (راجـــع Diod. XIV, 13, 5)

ولقد كان من جراء اهتمام الملك « أوكوريس » وحمايتـــه لهذا الاله أن غلا نفوذه فى كل العالم الأغريقى ، وقد كان ذلك جل ما تصبو اليه نفســـه ولكنه قد وافته المنية والحرب التى كانت تدور رحاها بقيادة «أفاجوراس» على الفرس لا تزال مســـتمرة فى صيف عام ٣٨٠ق.م. (والظـــاهر ان قبره كان فى « منف ») .

وقد عزى احتمـــال دفنه فى « منف » الى العثور على تمثـــال مجيب له هناك . وهذا التمثال محفوظ الآن بمتحف «القاهرة» كما سنذكر ذلك بعد.

وعلى اثر موته قامت المشاحنات على وراثة العرش وقد كان هذا اداء دفينا فى الدولة المصرية خلال القرن الرابع قبل الميلاد . والواقع أن «أوكوريس» لم يـــكن قد اســـتطاع الوصول الى تثبيت أسرته وتوطيد قدمها من حيث وراثة العرش . ومن المحتمـــل أنه قبل موته ببضعة أشهر قامت مشـــاحنات جديدة واضطرابات داخلية . ولم يكن فى مقدور « نفريتس » الثانى (نايف ـــ عـــا ـــ رود) ابن « أوكـــوريس أن يمكث أكثر من أربعـــة أشهـــر (راجع Kienitz p. 88).

وقد جاء عنه فى الحوليات الديموطيقية ما يأتى : « ان الحاكم الخامس الذى اتى بعد الميديين (الفرس) اى « اوكوريس » رب التيجان قد ترك يحكم كل وقت تسلطه وذلك لأنه كان يعمل صالحا للمعابد ، وقد أسقط عندما حاد عن القانون ولم يأخذ الحذر من أخيه ، والحاكم السادس الذى جاء بعد الميديين أى « نفريتس » الثانى لم يمكث على العرش اذ لم يحب الناس أن يكون على العرش وذلك لأنه حاد عن القانون الذى كان فى عهد والده . وقد ترك ابنه يقابل السوء من بعده » . (راجع Chronik, Col. IV, 9. 12. cf Ed, Meyer, Klein Schriften 1-11 (1910-24) II p. 84)

وقبل أن نتحدث عن « نقطانب » الأول الذى ارتقى عرش الملك بعد « نفريتس » الثانى لابد أن نذكر هنا بشيء من الاختصار الآثار العدة التى تركها لنا الفرعون « أوكوريس » العظيم فى جميع أنحاء البلاد .

والواقع أن « أوكوريس » قد ترك لنا آثارا عدة فى أنحاء البلاد كما أشرنا الى ذلك من قبل وهاك أهم ماتركه لنا مدونا عليه اسمه :

(١) وجد له فى « طرة » و « المعصرة » كتابات منوعة بالخط الديموطيقى تحمل تواريخ من السنة الأولى من حكمه حتى السنة السادسة : فلدينا نقوش فى محاجر « طرة » و « المعصرة » مؤرخة بالسنين الأولى والثانية والرابعة والسادسة ، وكذلك نقوش لاتحمل تواريخ لم يمكن قراءتها وقد نقلها جميعا الأثرى « شبيجلبرج » (راجع A.S. 6. p. 219-233 No. 2, 4, 5, 6, 13, 14, 15 (?), 19, 20, 33; H. Brugsch, Rec. du Mon. I. Tom. X No. 16, 14 bis 16, 20 bis. 22 ; Champ Not. descr. II 489 ; Vyse, Pyramids III. 102 / 3 ; L.D.T. 1 p. 223. Daressy A.S. 11,(1911) p. 267 ; L.R. IV, 164 . 11, 2 et A. 5 ; Porter. & Moss IV p. 75)

ومن المحتمل كذلك أنه جاء على قطعة ورق ديموطيقية فى مجموعة « رشى

Ricci » يجوز أنه عثر عليها فى سربيوم « منف » ، هذا التــاريخ هو : السنة الثالثة الشهر السابع من عهد « أوكوريس »
(راجع Spiegelberg, Demotische Chronik p. 30 N. 6.)

(٢) وجد فى سربيوم « منف » كتابة من عهـــد « بطليموس » الثـــالث « يورجيتس » وقد جاء فيها ذكر عمال كانوا يعملون هناك فى السنةالرابعة من عهد « أوكوريس » (راجع Brugsch, A.Z. 22 (1884) p. 116; Revillout Rev. Eg. 6 (1891) p. 136-9; L.R. 164 note 5)

(٣) أوراق من دفتر حساب مكتوبة بالخط الديموطيقى محفوظة الآن بالمتحف المصرى (رقم ٣٠٨٩٩ — ٣٠٩٠٣) مؤرخةبالسنةالسادسةالشهر الثامن اليوم الثامن (؟) ومن المحتمل أنها وجدت فى « منف » (؟) (سقارة ؟)
(راجع Spiegelberg, Cat. Gen. (Demot. Pap. p. 195, & T. LXV111; Revillout Not. Pap. Demot. Arch. p. 471)

(٤) وجد مصباح عليــه اسم الملك « أوكوريس » وهو محفوظ الآن بمتحف « برلين » . (راجع Mus. Berlin No. 8811; Ausfürliches der Agyptischen Altertümer und Gipsabgüsse im Konigl. Museum zu Berlin. 2. Auflage Berlin 1889 p. 250; L.R. IV 167 A. 2 b)
عثر عليها فى مضيق قناة « السويس » .

(٥) وعثر له فى « تل بسطة » ؟ على جزءتمثال من الجرانيتوهو محفوظ الآن بالمتحف البريطانى . (راجع; Naville, Bubastis p. 56 & Pl. XL111 B; Petrie Ibid. 374; L.R. IV 167 No. 17: Porter & Moss IV, 32)

(٦) وكذلك فى « هليوبوليس » عثر على قطعتين من تمثال له ، واحدة وجـــدت فى عام ١٨٤٢ رآها « لبسيوس » فى « الأسكندرية » والثـــانية

محفوظة بمتحف « بوسطن » (29732) والقطعتان تلتئمان سويا بالضبط .

(راجع L.D. III 284 e ; L.DTI. p. 1; Dows Dunham J.E.A. 15 p. 166)

(٧) وفى بلدة « لتوبوليس » (« أوسيم » الحالية) وجـد له الأثرى « أحمد كمال » قطعة من الجرانيت الرمادى عليها اسمه وهى محفوظة الآن بالمتحف المصرى .

(راجع A.S. 4. p. 92 ; L.R. IV, p. 167 No. 16; P. & M. IV 68)

(٨) وفى سرابيوم « منف » وجدت قطعة حجر عليها اسمه وهى محفوظة الآن بمتحف « اللوفر » .

(راجع Pierret Catalogue p. 165; L.R. IV p. 187; A. 4)

(٩) وعثر له على جزء من تمثال راكع مصنوع من الديوريت وهومحفوظ بمتحف « القاهرة » .

(راجع Borchardt, Cat. Gen. Statuen und Statuetten III p. 25 No. 681 Pl. 124, Bosse Menschl. Figure p. 55. No. 144)

(١٠) قطعة من أسفل الساق لتمثال للملك يخطو الى الأمام وهى مصنوعة من الحجر الجيرى الصلب ومحفوظة بالمتحف المصرى .

(راجع D.E. No. 28026; Borchardt, Cat. Gen. ibid IV p. 48 No. 1080; A.Z. 26. p. 114 § LIV)

(١١) وفى « منف » عثر له على قطعة من خارجة بناء استعملت ثانيـة تابوتا فى العهد القبطى فى دير « الأنباجرمياس » .

(راجع Quibell, Excavations at. Saqqara 1908- 1910 Pl. LXXXV)

(١٢) ويوجد له بمتحف « اللوفر » تمثال « بولهول » (Louvre A 27) وكان قد عثر عليه فى « روما » .

(راجع De Rougé, notice des Monuments, p. 24 ; Bissing, Denkmaler No. 70).

(١٣) وجد له تمثال مجيب وقد أهدى هذا التمثال الى المتحف المصرى حارس الجبانة اللاتينية فى « مصر القديمة » عام ١٩٢٢ وهو بدون رأس ويقول « جوتييه » انه يحتمل أن يكون هذا التمثال مستخرجا من « منف » وذلك لأنه يظهر أن « أوكوريس » قد دفن فى هذه المدينة . وهذا التمثال مكتوب عليه الفصل السادس من كتاب الموتى وكتابة هذا التمثال بها أخطاء. والتمثال محفوظ بالمتحف المصرى (راجع Gauthier, A.S. 22. (922) p. 208)

(١٤) وفى « اهناسيا المدينة » وجد الأثرى «پترى» له قطعة من محراب مصنوع من البازلت الأخضر الضارب الى السواد .

(راجع Petrie, Ehnasia, p. 2, 20, 23 & pl. XI, XXVIII; L.R. IV 166 A. 4; P.M. IV 119)

(١٥) ووجد له الأثرى « أحمد كمال » فى نفس المدينة لوحة من عهده نقش عليها اهداء قطعة أرض للالهة « ازيس » وقد وجدت مبنية فى بيت فى « كفر أبو شهبة » مركز « ببا » مديرية « بنى سويف » وهى محفوظة الآن بالمتحف المصرى . وهذه اللوحة مصنوعة من الحجر الجيرى ويبلغ ارتفاعها ٧٥ سنتيمترا وعرضها ٣٩ سنيتمترا وأعلاها مستدير ورسم عليه قرص الشمس المجنح بصلين ويحلق فوق الملك الذى نقش معه : « الملك الطيب رب الأرضين « هجر » (أوكوريس) » وقد مثل واقفا مرتديا قميصا وعلى رأسه تاج الوجه القبلى ويقدم بيده اليمنى علامة الحقل ورافعا يده اليسرى احتراما للالهة « ازيس » القديمة العظيمة ربة « نويرة » وقد مثلت واقفة لتتقبل هبة الملك التى وصفت بأنها هبة حقل لأمه القوية

« ازيس » العظيمة . والظاهر أن الجزء الأسفل من اللوحة قد ترك خاليـا لأجل أن يثبت فى أحد جدران المعبد لتكون ظاهرة لكل من يزور المكان . و «نويرة»(١) هذه تقع على بعد ٣٥٠٠ مترا من «اهناسيا» وعلى مسافة ٦٥٠ مترا جنوبى « قاى » وقد ذكر كتاب العرب هذا المكان بوصفه مدينة كبيرة بعض الشيء وقد سمى باسمها جسر يسمى جسر « النويرى » وقـد ذكر « بروكش » هذه المدينة ووصفها بأنها بلدة غير معروف موقعها

(راجع Brugsch, Geogr. Inschriften p. 42; A.S. 3, (1902) p. 243-4; L.R. IV 166; P. & M. IV 123)

(١٦) وجد فى مبانى الدير الأبيض القريب من « سوهاج » عدة قطع من الأحجار الأثرية وبخاصة لملوك الأسرة السادسة والعشرين وما بعدها . ومن بين هذه القطع الأثرية ناووس للملك « أوكوريس » الذى نحن بصـدده الآن ، وقد نقش اطاره بنقوش تحدثنا عن ألقاب هذا الفرعون كاملة وهى : « حور » عظيم القلب محبـوب الأرضين ، صـاحب السيدتين (المسمى) الشجاع ، « حور » الذهبى (المسمى) مرضى الآلهة ، ملك الوجه القبلى والوجـه البحرى (المسمى) خنم ماعت ستبن « رع » ، ابن الشمس رب التيجان « هجر » عاش أبديا . لقد عمل ناووسا فاخرا من حجر الجرانيت لوالده ... « حور » قاطن « شنوت » سيد « نشاو » عظيم السحر وكبير الخطا هازم العدو .

(راجع Weill, Rec. Trav. 36 (1914); p. 98-100, Kees, A.Z. 64 (1929) p. 108; L S. IV 166 No. 12; P. & M. V 31)

(١٧) وقد وجد له فى « المدمود » قطعة حجر عليها اسمه

(راجع Bisson de la Reque Fouilles de Medamoud, 1931 & 1932 p. 65-66; P. & M. V p. 144)

---

(١) راجع الخطط الجـديدة « لعلى باشا مبارك » الجزء السابع ص ٥١

(١٨) وقد أتم الفرعون المعبد الصغير الذى كان قد بدأه الملك « بساموتيس » ، وهذا المعبد يقع أمام الجناح الجنوبى للبوابة الأولى وقد كشط فى هذا المعبد اسم « بساموتيس » .

(راجع Maspero, Rec. Trav. 6 p. 20; Daressy A.S. 18 p. 37-48)

(١٩) وفى قرية « النجع الفوقانى » بالكرنك عثر على قطعة حجر عليها اسمه

(راجع L.D. III 284 f,g; L.D.T. III p. 40; Petrie Ibid. 375; L.R. IV p. 166 No. 11; P. & M. II, 89)

(٢٠) وعثر على عارضة باب مبنية فى جدار فندق الأقصر منقوش عليها اسمه

(راجع Wiedemann P.S.B.A. (7 (1885) p. 110; L.R. IV 166 No. 10; P. & M. II, 73).

(٢١) وفى معبد « موت » « بالكرنك » عثر على قطع حجرية فى الجنوب من هذا المعبد عليها اسمه .

(راجع Champ. Not. Descr. II, 264; Petrie Ibid. 375)

(٢٢) وفى « الأقصر » عثر على قطع من الحجر وقوالب أكاليل مبنية فى الجدران ؟؟ . (راجع ما كتبه « دارسى » عن ذلك فى A.S. 19, p. 171-2)

(٢٣) وفى «العساسيف» بجوار الديرالبحرى وجدت صور لهذا الفرعون

(راجع Champ. Mon. II, 194, No. 2; L.R. IV 165 No. 8)

(٢٤) وفى « مدينة هابو » أضاف هذا الفرعون بعض المبانى فى معبد الأسرة الثامنة عشرة الصغير .

(راجع L.D. III 284-h,i; L.D. 301 No. 81, L.D.T. III p. 157 & 164; L.R. IV P. 165 No. 7; P. & M. II p. 168-170; Champ. Mon. II 194 Not. Descr.I, 329 (A.B) 331 A;cf. Daressy, Notice explicative des ruines Medinet Habû p. 22-23)

ويلحظ هنا أنه وجد جزء تمثال ملكى مصنوع من الجرانيت الأســود دون وجود اسم الملك عليه وهو محفوظ بالمتحف المصرى ويحتمل أن يكون للملك « أوكوريس » .

(راجع Wiedemann, Gesch. Eg. p. 276: Ag. Gesch. p. 698, Suppl. p. 76 zu p 698 A. 8, Petrie, Hist. III 375 fig. 155; Gauthier, L.R. V p. 167 No. 3)

(٢٥) وقد قام هذا الفرعون فى « الكاب » باصــلاحات كثيرة فى معبد الأسرة الثامنة عشرة وقد وجدت له هناك طغراءات عدة

(راجع Champ. Not descr. I, 265, Somers Clarke, J.E.A. 8, p. 27 ff; Capart A.S. 39 (1937) p. 8-9; Petrie Ibid. p. 375; L.R 165 No. 6, P. & M. V, p. 173).

(٢٦) وفى قرية « الكاب » نفسها عثر على قطع من عمد عليها اسمه .

(راجع L.D.T. IV, p. 37: Petrie Ibid. 375; L.R. IV 165 No. 4; P. & M.IV p. 173).

(٢٧) وكذلك وجد له فى « الكاب » لوحة من الحجر الرملى يشــاهد فيها الملك يهدى حقولا للالهة « نخبت » وهذه اللوحة موجودة الآن بمتحف « تورين » .

(راجع Maspero, Rec. Trav. 4 (1884) p. 150: Orcurti Catalogo. II. p. 41 No. 61: Fabretti Rossi, Lanzone Regio Museo di Torino I, p. 217 No. 1469: L.R. IV, 165 No. 5; P. & M. V p. 174).

(٢٨) ووجدت كذلك قطع باسم هذا الفرعون فى نفس « الكاب » ومعه آلهة مختلفون .

(راجع Champ. Not. descr. I, 265, 3; P. & M. V p. 174)

(٢٩) كما وجد له هناك لوحة يشــاهد فيها وهو يقــدم القربان للاله

« سبك » وهذه اللوحة محفوظة بمتحف « القاهرة » .

(راجع Wiedemann, Ag. Gesch. 1884 suppl (1886) p. 698; Petrie Ibid 375; L.R. IV 169 A, 1)

(٣٠) هذا وقد قام هذا الفرعون باقامة مبان فى معبد « آ مون » بواحة « سيوة » وهو المعبد رقم ٥ أغورمى .

(راجع A. Z. 69 (1933), p. 19 & 21 ; ders., Durch die Libysche Wuste zur Amonsoase p. 118, Vorläufiger Bericht, Bsgw, 1900 p. 220, Archäol, Reisèzur Ammonsoase Siwa, Petermanns Geogr. Mitteilungen 50 (1904) p. 183) .

(٣١) وفى متحف « الأسكندرية » توجد قاعدة مائدة قربان من الجرانيت (راجع Daressy A.S. 5, p. 119; Petrie Ibid. 375; L R. IV 167 No. 18) ويقال انها وجدت فى « شبين الكوم » ولكن المؤكد أنه عثر عليها فى شرقى الدلتا .

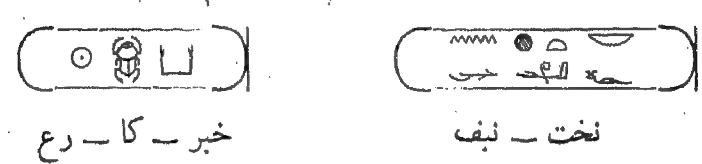
(٣٢) ويوجد لهذا الفرعون الجزء الأسفل من تمثال فى مجموعة « لوفتى Lofti » (راجع Wiedemann Suppl. p. 698. A. 8; L. R. IV 167 A. 3)

(٣٣) وأخيرا يوجد له خاتم فى مجموعة « ينيفرستى كولدچ لندن » .

(راجع Petrie Scarabs etc. p. 33, 40 & pl. LVII, 29,2) .

« مصر » فى عهد « نقطانب » الأول

٣٨٠ – ١/٣٦٢ ق. م.



خبر – كا – رع   نخت – نبف

لم تمكث الاضطرابات التى أعقبت موت « أوكوريس » وتولى ابنه «نفريتيس» الثانى الا بضعة اشهر (راجع Kienitz p. 88) تولى بعدها زمام الحكم « نقطانب » الأول وهو سمنودى المنبت ، وكان والده أميرا يدعى « تاخوس » ، وذلك على حسب ما جاء على نقوش تابوت ابن أخيه (راجع Sethe, Urk. II p. 26) وقد كان زمام الأمور فى يده تماما حوالى نوفمبر ١

---

(١) ومما هو جدير بالملاحظة هنا أن كتابة اسم الملكين « نخت نبف »و «نخت حر – حبت» اللذين وجدا على الآثار المصرية بهذه الصورة قد كتبهما المؤرخ « مانيتون »وغيره من كتاب الاغريق بلفظة « نقطانبيس Nektanibis » أو « نقطانبس » (٣٨٠ – ٣٦٢ ق. م.) وذلك للاسم الاول ، و « نقطانبوس » (٣٦٠ – ٣٤٣ ق. م.) للاسم الثانى . وقد كان تحديد زمن هذين الملكين والتمييز بينهما فى الأزمان السابقة أهم مسألة عند علماء الآثار المصرية بالنسبة للاسرة الثلاثين . وقد وضع فى الأصل « نخت نبف » الملك « نقطانبيس » الأول ، و « نخت – حر – حبت » الملك « نقطانبوس » الثانى . ولكن منذ عهد الأثرى « مريت » قد عكس هذا الترتيب السابق على حسب ما استنبط من الترتيب الذى وجد لعجول «أبيس» ومن ثم أصبح «نخت – حر – حبت» = « نقطانبيس » الأول ، و « نخت نبف » = « نقطانبوس » الثانى . ولكن الأثرى « شبيجلبرج » برهن فيما كتبه عن الحوليات الديموقراطية منذ ١٩١٤ انه لا بد من الرجوع الى الترتيب القديم ومن ثم أصبح « نخت نبف » = « نقطانب » الأول ، و « نخت – حر – حبت » هو « نقطانب » الثانى . والبرهان الذى أوردته الحوليات الديموطيقية عن هذين الملكين كان عن مؤسس الاسرة الثلاثين أى « نخت نبف » . اماعن الثانى أى الذى حكم منذ ٣٤٣–٣٤٢ وهو الملك الذى فر امام الفرس الى بلاد « اثيوبيا » (كوش) فقد ذكر عنه الحاكم الذى اتى به (Spiegelberg Demotiche Chronik p. 6) . وفضلا عن

سنة ٣٨٠ ق.م .

ويدل على ذلك الآثار المؤرخة بحكمه فى « ادفو » و « نقراش » كما سنرى بعد . وتدل الآثار التى عثر عليها فى « نقراش » على أن « سايس » كانت كذلك فى قبضة « نقطانب » . وقد كانت « سمنود » مسقط رأسه بطبيعة الحال تحت سلطانه . يضاف الى ذلك أن « خابرياس » وزير حربية « أوكوريس » قد انضم الى « نقطانب » وساعده على توطيد حكمه فى البلاد (راجع Cornellius Nepos. Chabrias II,1) وهكذا قضى على الاضطرابات الداخلية فى البلاد بسرعة .

ولما تولى « نقطانب » عرش « مصر » لم تكن أحوال السياسة الخارجية تدعو الى التفاؤل كثيرا ، واذا صرفنا النظر عن « جلوس » وخلفه المسمى « تاخوس » اللذين لم تجن منهما « مصر » شيئا ، فان مصر لم تكن على

ذلك نجد أساس معبد « هيبس » الذى أقامه « نخت — حـر حبت » اسم « نخت — نبف » فى ودائع الأساس وهذا يدل على انه أقدم الملكين ، وقد جاء فى قطعة حجر منقوشة بالديموطيقية ومستخرجة من « وادى حمامات » (راجع L.D. XI 69 No. 162) أن موظفا فى عهد الملك « نخت — حر حبت » قد خدم الميديين (اى الفرس) والأونيين (أى المقدونيين) (راجع Spiegelberg Ibid, p. 694/No. 332 أقرن كذلك ما جاء فى « ادورد مير » Ed. Meyer Kl. Schr. II, p. 74f عندما أشار الى هذا الموضوع قائلا أن كتابة اسم « نقطانبيس » تعنى ان الاغريق فى بادىء الامر كانوا يعلمون اسم « نخت نبف » وعلى ذلك فان كتابته « نقطانبيس » موافقة جدا . أما كتابة اسم « نخت — حر — حبت » بكلمة « نقطانيبوس » فان ذلك من باب القياس لكتابة اسم « نقطانيبيس » . أقرن فضلا عن ذلك ما كتبه « أرنست مير » (راجع A. Z. 67 (1931) pp. 68-70) . والخلاصة أن هذه المسألة برمتها قد أصبحت واضحة منذ زمن الأثرى « شبيجلبرج » ، ومع ذلك يجب الاعتناء واليقظة البالغة للذين يشتغلون بالتاريخ المصرى القديم فى القرن الرابع قبل الميلاد اذ قد خلط كثيرا بين اسم « نخت نبف » و « نخت — حر — حبت » . فقد استعمل الأول محل الثانى والعكس بالعكس ، وبخاصة فيما كتبه المؤرخ « شور » فى هذا الصدد عند كلامه عن المملكة البطلمية (راجع Schur, zur Vorgeschichte des Ptolemäerreiches. Klio 20 / 1926, p. 270 - 308)

تحـالف مع اية دولة . اما الفـرس فعلى العـكس من ذلك فانهم بعـد نهاية الحرب مع « افاجوراس » اخـذوا يقومون باسـتعدادات للقيـام بحملة جديدة للاسـتيلاء على « مصر » . ومن أجل ذلك طلب الى اليونان استدعاء « خابرياس » من « مصر » . على أن اسـتدعاءه لم يكن فى تلك اللحظة دليـلا على ان الفرس يريدون إعـلان الحـرب على « مصر » فى الحال ، وذلك لأن الأحوال لم تكن مواتية للفرس وقتئذ ، فقد كان تحرير مدينة « طيبة » اليونانية فى عام ٣٧٩ ق.م. مضافا الى ذلك الاضـطرابات الهيلانية التى أعقبت ذلك ثم النشاط الخارجى الذى أظهرته مملكة « أثينا » وقتئذ وهو ذلك النشاط الذى كانت نتيجته قيام امبراطوريتها البحرية الثانية عام ٣٧٧ق.م. ، كل هذه العـوامل كانت سببا فى تحـويل انظار السياسة الفارسية مؤقتا لمـدة طويلة نسبيا عن « مصر » ؛ وفضـلا عن ذلك فان الاستعدادات الحربية نفسها للقيام بالحملة على « مصر » قـد تطلبت من الفرس وقتا طويلا ، وفوق كل ذلك نجد ان القيادة العامة للجيوش الفارسية قد تغيرت مرتين .

والواقع أن الحملة على « مصر » لم يكن قد تم استعدادها الا فى عام ٣٧٤ ق.م. أى بعد خمس أو ست سنوات من موت الفرعون «أوكوريس» (راجع Diod. xv, 41,1) وكان الجيش الاغريقى الفارسى الذى كان مجهزا للقيام بالحملة تحت قيادة الشطربة « فارنابازوس » وهو الذى كان وحـده المسيطر على كل الجيش ومنه يصدر كل أمر صغير أو كبير خاص بالزحف ؛ وذلك على الرغم من أن القـائد « افيكراتس » الذى كان يقـود الجنود اليونانية المشتركة فى الحملة ، كان ميالا الى الاسراع فى القيام بالحملة ، اذ كان يرى أنها قد تباطأت ، وذلك فى حين أن « فارنا باذوس » القائد الأعلى كان غرضه من هذه الحمـلة أن يثأر لنفسـه مما أحاق به من هزيمة عـام

٣٨٠ ق.م. (راجع Diod. XV,29,1) وقد كان يساعده فى هذه الحملة فضلا عن ذلك القائد الأغريقى «تيتراوستيس Tithraustis » ، وكان من القواد الذين هزموا فى الحرب التى نشبت فى عام ٣٨٩/٣٨٧ ق.م. ، يضاف الى ذلك أن ملك الفرس أعاره القائد « ذاتامس » لمدة قصيرة ، وكان يعتبر من أحسن قواده وقتئذ (راجع Cornelius Nepos, Damates, 4) .

ويذكر لنا « داماتس » ان « فارنا بازوس » قد استدعاه ملك الفرس وحل هو محله فى قيادة الجيش . واذا صدقنا ما قصه « داماتس » عن نفسه فى تاريخ حياته فانه بلا شك كان قد عمل بغيرة وحماسة على تجنيد الجيش واعداده (راجع Cornelius Nepos Damates 5) .

وتدل الأحوال على أنه لم يتقبل بسرور الأمر الذى أرسله اليه الملك «ارتكزركزس» بالزحف على الثائر « أسبيس Aspis » ولكنه على الرغم من ذلك رأى أنه لابد من الطاعة وان كانت المأمورية الأولى المسندة اليه — وهى قيادة الجيش — اكثر اهمية من التى امره الملك العظيم بالقيام به . وفى خلال قيامه بالقضاء على ثورة « أ سبيس » حمل اليه البريد امرا من قبل الملك العظيم بأن يبقى فى معسكر « عكه » . ولما رأى ملك الفرس شـدة بأس « داماتس » وقوة عزيمته فى اخماد هذه الثورة زاد اعجابه به وثبته فى قيادته فى « مصر » ورأى أنه يجب ألا تفلت « مصر » من ضربات هـذا القـائد العظيم . ولكن لما كان « داماتس » محاطا بالدسائس فى البلاط الفارسى فانه ظن انه لو خاب فى حملتـه على « مصر » اصبح معرضـا للاخطار ، ومن أجل ذلك ترك المعسكر فى « عكه » وذهب الى « كابادوشيا » ، ومن أجل ذلك سلم ملك الفرس قيـادة الجيش الى « فارنا بازوس » ، وكان القـائد الاغريقى « افيكراتس » وقتئذ مساعده تحت امرته المباشرة . وكان الأخير

يرأس الجنود المرتزقة من الأغريق ، وهو الذي كان يساعد « فارنابازوس » من قبل . (راجع Diod. XV, 41, 1)

وكان القائد « افيكراتس » مثل القائد « خابرياس » صاحب سمعة كبيرة في فنون الحرب ، فقد اشتهر خلال حروب « كورنته » فى « ترافيا » وهناك تزوج ابنة الملك « كوتيس Cotys » ، وقد انتصر فى مواقع كثيرة مدة سنين عدة (راجع Diod. XV, 41, 2) لدرجة أنه واجه « فارنابازوس » بكل صراحة متهما اياه بأنه كثير الكلام بطيء العمل ، وقد أسرع «فارنابازوس» الى اجابته على ذلك بأن المسئولية فى ذلك تقع على عاتق ملك الفرس نفسه لأنه هو الذى فى يده تحديد الخطط الحربيـة التى يجب العمل بمقتضـاها . وفى استطاعتنا أن نفسر نفاد صبر قائد الجنود المرتزقة الذى كانت تتوق نفسه للحرب . على أنه من جهة أخرى قد تكون هناك أسـباب قوية قاهرة لدى ملك الفرس فى تأخير قرار اعلان الحرب . فقد يكون ذلك مثلا راجعا الى الأحوال السياسية العامة المضطربة فى بلاد اليونان منذ عام ٣٧٩ ق.م. وعلى أية حال لا يجب الاسراع هنا فى اتهام الحكومة الفارسية بالتباطؤ أو اتهام قوادها بالتراخى ، وانا نقـرأ من بين سـطور اتهامـات « افيكراتس » مايوحى بعدم التفاهم التام بينه وبين القائد الفارسى منذ البداية ، وذلك لأن المشاحنات الشديدة التى وقعت بينهما خلال الحمـلة على « مصر » كانت نتيجة لسوء التفاهم الأصلى الذى كان بينهما .

والآن يتسـاءل الانسان ما القـوات التى كانت تحت امـرة كل من « فارنابازوس » ومساعده « أفيكراتيس » ؟ يدل الاحصاء الذى عمل فى معسكر « عكه » على حسب ما ورد فى « ديودور » على النتائج التالية :

٢٠٠ ألف جندى من الفرس و ٢٠ ألفا من الجنود المرتزقة من الاغريق (راجع Diod. XV, 41, 3, 41, 1) .

أما على حسب ما ذكره لنا المؤرخ « كورنيليوس نبوس » (راجع Iphicrates, 2) فانا نفهم أن الملك « اردشير » قد طلب الى الآثنيين أن يرسلوا اليه « أفيكراتيس » ليكون على رأس اثنى عشر ألف مقاتل من الجنود المرتزقة . وهذان الرقمان على اختلافهما من حيث عدد الجنود المرتزقة يمكن التوفيق بينهما ؛ وذلك أن الفرس عندما طلبوا مساعدة « افيكراتس » حوالى عام ٣٨٠ ق.م. لم يكن لديهم الا اثنا عشر ألف مقاتل من الجنود المرتزقين على ما يظهر ، أو بعبارة أخرى لم يكن لديهم على اهبة الاستعداد للحرب الا هذا العدد . ولكن منذ عام ٣٨٠ الى ٣٧٤ ق.م. ازداد عدد الجنود المرتزقين على مايظن . وعلى أية حال فان هؤلاء الجنود الأجانب وكانوا خيرة الجنود المحاربين الذين استحقوا بجدارة عند الاغريق الاسم الفاخر جنود « افيكراتيس » .(راجع Cornèlius Nepos, Iphicrates 2)

كانوا يؤلفون أحسن عنصر فى الجيش الذى أعده الفرس لغزو «مصر» ، اذ الواقع أنهم كانوا أكثر تدريبا وأخف حركة وأشد حماسة من سائر ذلك الجيش الفارسى الجرار . ولا نزاع فى ذلك فقد استعرض أمامنا «ديودور» بدقة (XV-44, 2-3) الاصلاح الذى عمله « أفيكراتس » فى الجيش ونخص بالذكر من ذلك الخفة فى التسليح الدفاعى والعمل على تقوية السيوف والحراب.

هذا وكان تحت يد قائد الفرس المهاجم عتاد وفير وأسطول يبلغ عدد سفنه نحو الثلثمائة . والواقع أن الأهمية فى هذه الحرب كانت تنحصر فى الأسطول الذى كان معارضا لقوات الفرس فى أثناء حرب « قبرص » وهو الأسطول الذى كانت تحت امرة كل من « أفاجوراس » والفرعون (راجع Diod. XV, 2, 1)

هذا ونجد أن « فارنابازوس » قد أغلق بأسطوله فى وجه المصريين كل أمل فى التحول من جهة البحر المتوسط . وعلى أية حال لم نجد أن « نقطانب » قد قام بأية محاولة بحرية ، وعلى ذلك فان النجاح الوحيد الذى كان ممكنا أن يحرزه الفرس هو السيطرة على البحر .

وفى بداية فصل الحرب تحرك الجيش الفارسى بأكمله ورافقه الأسطول على مسافة قريبة من الساحل السورى كما كان يفعل « تحتمس » الثالث فى غزواته المظفرة . (راجع Diod. XI, 41, 4) .

وتدل الأحوال على أن جيش « فارنابازوس » قد أخذ فى الزحف قبل منتصف شهر يونيه وهو التاريخ الذى يبتدىء فيه ظهور بشائر الفيضان . وكل ما يمكن قوله هنا أن رياح الخماسين التى تكون على أشدها فى شهر ابريل قد أجبرت القائد الفارسى أن يؤخر بداية الحملة حتى شهر مايو .

والظاهر أن اختيار مثل هذا الوقت من العام للقيام بحملة على « مصر » قد انتقده بشدة مؤرخون مختلفون ؛ فقد رووا أن المغيريين لم يكن لديهم بلا شك الا مدة قصيرة قبل حلول فصل الفيضان الذى تكون كل بلاد الدلتا فيه مغمورة بالمياه (راجع Rev. Egyptol. II p. 91) وقد لاتكون هناك أية مسئولية فى هذه المسألة على القائد « افيكراتس » اذ من الممكن جدا أنه قد استشير فى التاريخ الذى سوف تقوم فيه الحملة ، وأنه قد أشار على حسب العادات الأغريقية بالدخول فى الحرب فى فصل الربيع . والواقع أننا لم نجد فى كل ما رواه لنا « ديودور » أنه قد أبدى معارضة فى التاريخ الذى اختير لقيام الحملة فيه ، وذلك لأن القرار النهائى فى ذلك لم يكن فى يد « افيكراتس » بل كان فى يد آخرين . ولا أدل على ذلك من أنه كان مضطرا

عدة شهور الى أن يستسلم للاوامر الصادرة اليه بتأخير الحملة التى كان يلح فى انهائها بكل حماس وسرعة . (راجع Diod. 41, 2)

والآن يتساءل المرء هل القائد العام « فارنابازوس » هو الـذى اختاره للقيادة وقت مسير الحملة على « مصر » ؟ والجواب على ذلك أنه ليس لدينا ما يؤكد ذلك . وقد ذكر لنا « افيكراتس » نفسه أن القائد « فارنابازوس » كان يمكنه أن يستشير كما يريد ، الا أنه مع ذلك كان خاضعا لسلطان حكومة ملكية تصدر منها الأوامر الهامة فى مثل هذه المواقف الخطيرة . والواقع أن كل القواد الفرس لم يكن فى استطاعة الواحد منهم أن يفصل بصفة قاطعة فى مثل هذه المسائل الخطيرة ، بل كان عليه أن يضع الأمر بين يدى الملك ليقضى فيه بما يشاء (راجع Diod. 41, 3) وعلى ذلك فانه ليس بالأمر الغريب أن يكون « فارنابازوس » عندما أعطى الأوامر بالزحف فى فصـل الربيع على « مصر » لم يكن الا منفذا لأمر ملـكى صـدر له من « ارتكزركزس » ولكن هل هـذا الأمر جـدير بأن يكون موضـع انتقادات صـارمة ؟ هذا ليس حتميا ! اذ يظهر مما رواه « ديودور » أنه كان من الممكن اتخاذ قرار حربى قبل الوقت الذى يكون فيه الفيضان خطرا على رجال الحملة ، وأن هذا القرار كان قد تأخر واتفق عليه لأسباب خارجة عن تاريخ القيام بالحملة نفسها بعد أن كان قد قطع جيش « فارنابازوس » الصحراء السورية ووصل الى النيل أمام الفرع « البيلوزى » (راجع Diod. XV, 41, 42,2) وعندما وصلت الحملة الى هذا المكان وجد قواد الجيش الفارسى أن المصريين أخـذوا للحرب عدتها لمقابلة الجنـود المهاجمين ، وذلك لأن الاستعدادات الطويلة التى قام بها الفرس قد خدمت المصريين فاستعدوا لمقابلة عدوهم (راجع Diod. XV, 41,4) والواقع أنه كان فى المـدة الطـويلة التى جمع فيها

« فارنابازوس » جيشه الجرار كان « نقطانب » الأول يعرف مدى أهميـة هذا الجيش . (راجع Diod. XV,42,1) .

وتدل شـواهد الأحوال على أن « نقطانب » لم يكن لديه أية جنود مرتزقة لأى قائد أغريقى ؛ ولا أدل على ذلك من أن « ديودور » قد أغفل هذا الموضوع اغفالا تاما ، ومن أجل ذلك نجد أنه فى أثناء أن كانت الحرب دائرة رحاها بين الآثينيين والأسبرتيين حول « كورسير Corcyre » كان على الأسبرتيين أن يرسلوا مددا الى الملك « نقطانب » الذى كان يهاجمه القائد « افيكراتس » الآثينى ، ولكن « افيكراتس » هذا على الرغم من أنه قد أرسلته « أثينا » منذ بضع سنين مضت ليكون قائدا فى الجيش الفارسى لم يكن الا مجرد رئيس جنود مرتزقة ولا يمثل فى الواقع السياسة الأثينية .

ومن جهة أخرى كان « اللاسيديميون » فى مقدورهم كما حدث فى عام ٣٨٧ — ٣٨٦ ق.م. أن يجعلوا الفرس يفرضون على أعدائهم الأثينيين الصلح. (راجع Grote, XIV, pp. 315-316)

ومن ثم نرى أن المصريين قد أصبحوا ولا عون لهم الا جيشهم . وكان أخوف ما يخافه « نقطانب » وقتئذ هو أن تحيق به هزيمة فى الأرض المصرية السهلة المنبسطة . ولا شك فى أن قيمة هذه الحروب وقيادتها كانت تنحصر فى « افيكراتس » الأثينى ، يضاف الى ذلك أن الجيش المصرى على حسب الظواهر كان أقل عددا من الجيش الفارسى . ولم يشر « ديودور » — وهو الذى قدر عدد الجيش الفارسى بقيادة « فارنابازوس » بنحو ٢٠٠ ألف هذا عدا الجنود المرتزقة — الى أهمية جيش « نقطانب » وعدده . (راجع Diod. XV, 41,3)

ويتساءل الانسان هنا هل كان هذا الجيش الذى كان تحت امرة « نقطانب »

الأول أكبر عددا من الجيش الذى كان سيجمعه « نقطانب » الثانى فى عام ٣٤٣ ـــ ٣٤٢ ق.م. فى ساعة مميتة) ويدل مالدينا من معلومات على أن الأخير لم يكن تحت امرته الا ٨٠ ألف مقاتل من الافريقيين أى من المصريين واللوبيين (راجع Diod. XVI 41,7) . ومن جهة أخرى نعرف أن الملك «تاخوس» الذى كان يعد أنشط وأجسر أمير سمنودى كما أنه كان مستعدا لخوض غمار حرب طويلة الأمد ، لم يضع فى ميدان القتال أكثر من ٢٠ ألف مقاتل مصرى (راجع Diod. XV, 92-2) ومن ثم يظهر لنا أن « نقطانب » الأول لم يكن فى مقدوره وقتئذ أن ينزل فى ساحة القتال فى حربه مع الفرس أكثر مما سينزله خلفاه (١) . ومع ذلك فان النقص الذى كان ظاهرا فى جيش «نقطانب» وكذلك قلة النظام قد سدهما « نقطانب » بما كانت تمتاز به مراكزه الدفاعية من متانة وتفوق فى المقاومة . وقد روى لنا « ديودور » أن « نقطانب » الأول وضع كل أمله فى هاتين الميزتين للتغلب على المهاجمين (راجع Diod. xv, 42,1) وكان أول ما أفاد منه « نقطانب » الأول الوقت الذى أخذ فيه الفرس يقومون باستعداداتهم ، فأتم من جانبـــه سلسلة التحصـــينات التى كان قـــد أقامها « خابرياس » واجتهد فى أن يسد فى وجه العدو كل المنافذ المؤدية الى داخل « مصر » ؛ فقد حمى كل فرع من فروع النيل بحصن مجهز بالعدة والعتاد على كل شاطىء النهر وبأبراج مرتفعة مرتبطة بقنطرة من الخشب مغلقة فى وجه كل هجوم نهرى . ولما كان الفرع البيلوزى معرضا لمهاجمـــة العدو اكثر من

---

(١) ولكن بعد سقوط « تاخوس » نرى ان جيشا مؤلفا من مائة الف مقاتل كانوا سائرين لمحاربة « نقطانب » الثانى بقيادة مدع (راجع Diod. XV, 92, 3, Plutarth Agisilas ولكن هؤلاء الجنود لم يكونوا الا جماعة غير منظمة لا جيشا قائما ، هذا فضلا عن ان عددهم كان أقل بكثير من الجيش الذى كان يقوده « فارنا بازوس » فى عام ٣٧٤ ق.م

أية جهة أخرى فانه قوى بالتحصينات العدة اذ حفرت فيه الخنادق وأقيمت الجدران والمستنقعات الصناعية حماية لهم من هجوم الأسطول والفرسان والمشاة من الفرس . (راجع Diod. xv, 42, 2-3)

وحينما وصل « فارنابازوس » الى هذا الاقليم ، ورأى هو وقواده الفرع « البيلوزى » وما عليه من حماية منظمة ، وجنود عديدين ، فانهم تخلوا عن كل فكرة فكروا فيها لاقتحام طريق لهم من هذا المكان للدخول فى « مصر » ؛ وعزموا على أن يدخلوا من فرع آخر من فروع النيل . وقد وطدوا العزم على الدخول من باب الفرع المنديسى الواقع فى الجهة الغربية من الفرع البيلوزى ويقع تقريبا فى الامتداد الجنوبى من الطريق المؤدية الى « منف » وهى الطريق التى ستتلاقى فيها كل قوات « فارنابازوس » ، هذا فضلا عن أن شاطئه العريض كان ملائما بصفة خاصة لرسو السفن ، غير أن الفرس وجدوا أن الفرع المنديسى كان كذلك محصنا على غرار الفروع النيلية الأخرى تحصينا متينا ، ولم يكن هناك أمل فى اقتحامه الا بالهجوم المفاجىء . ولذلك وضع مشروع آخر لهجوم مفاجىء . ويلفت النظر هنا أن « ديودور » لم يخص واحدا من القواد دون الآخرين بتصميم هذا الهجوم . وقد قيل أن « افيكراتس » قد نصح للفرس بتجربة هجوم مفاجىء وهذا ممكن ، ولكن « ديودور » لم يذكر لنا أى اسم ، وكل ما نعرفه على وجه التأكيد هو أن « افيكراتس » و « فارنابازوس » قد رأسا اجتماعا لتنفيذ هجوم مفاجىء على القوات المصرية . ونجد أن القائد الفارسى قد شرع — بدلا من السير بجيشه على طول الساحل الشرقى — أن يسير الى الغرب حتى يصل الى الفرع المنديسى على مرأى من الحرس المصرى ، ثم يجعل فرقة الجنود المخصصة لاقتحام الممر الذى أريد اقتحامه تقوم بعملية التفاف

من جهة البحر (راجع Diod. xv, 42,4)

ولم يلحظ أن السفن الفارسية قد ضايقها أسطول مصرى ما . والظاهر أن مثل « نقطانب » هذا كان كمثل « أوكوريس » بعد هزيمة « أفاجوراس » قد تخلى عن اتباع سياسة بحرية ترمى الى الدفاع عن بلاده ، بل وضع كل همه فى جمع كل ما لديه من قوة برية على أديم « مصر » للدفاع عنها .

ولما كان كل من القائد « فارنابازوس » والقائد « افيكراتس » يريد اقتحام طريقه الى داخل البلاد المصرية بهجوم سريع وحشى ، أو من جهة أخرى اجبار حامية القلعة المصرية المهاجمة بالخروج من معقلها باستعمال قوة صغيرة من جنوده ، فانه كما ستظهره الحوادث بعد لم ينتظر حتى ينزل كل جنوده الى البر بل انقض على رأس قوة قوامها ٣٠٠٠ مقاتل أنزلوا من سفنهم على الحصن الذى كان يحرس الفرع المنديسى ، ولكن المصريين وقفوا فى وجه هذه القوة المؤلفة من فرسان ومشاة بقوة تضارعها فى الأهمية . ومن المحتمل أن مساواة عدد القوتين المتحاربتين هى التى جعلت المصريين ــ على ما يظهر ــ يرتكبون مثل هذا الخطأ الخطير فقد كانت متانة خنادقهم وحصنهم كافية لحمايتهم مدة طويلة . ولكنهم تركوها وتقابلوا مع العدو فى واقعة فى سهل مكشوف (راجع Diod. xv, 42,5) . وقد دارت بين الفريقين معركة حامية الوطيس ، وقد ظلت نتيجتها متأرجحة على ما يظن بسبب ما كان يصل من مدد مستمر من الجنود الفارسية ، وكانت النتيجة أن أحيط الجنود المصريون بالجيش الفارسى ، وقتل خلق كثير منهم وأسر عدد عظيم ، وبذلك كان النصر فى جانب القائد الفارسى « فارنابازوس » . ولا نزاع فى أن كثرة عدد الجيش الفارسى قد مهدت له النصر ، يضاف الى ذلك أن خفة حركة الجنود المرتزقة من الاغريق وسرعة انقضاضهم بقيادة « افيكراتس » قد جعلت نتيجة المعركة

فى جانب الفرس . وقد تلا فى جزء من الحامية المصرية التطويق أو نجح فى فتح طريق الى مكان الواقعة ، ولكن المهاجمين حاصروهم عن كثب . وقد كان الفضل فى متابعة الحرب والقضاء على البقية الباقية من رجال الحامية يرجع الى جنود « افيكراتس » الذين استولوا على القلعة ومسحوها من الوجود مسحا تاما ، وأخذوا ما فيها غنيمة لهم وأسروا ما تبقى من جنودها (راجع Diod, xv, 42, 4-5) .

وبعد هذا النصر العظيم أصبحت الطريق مفتوحة أمام الفرس الى «منف» وقد سارت الأمور دون أى تعقيد أو خلاف بين القائدين « افيكراتس » و « فارنابازوس » على الرغم من سوء التفاهم الذى كان بينهما فى معسكر « عكة » ، وقد حلت المشكلة التى قامت بينهما بسبب « بيلوز » لحسن الحظ وعملا سويا على أحسن ما يكون من الوفاق فى اقليم « منديس » . ولكن هذا الوفاق قد أخذت تنحل عراه عندما أراد كل منهما أن يستغل النصر الأول الذى أحرزه فى « مصر » لنفسه . وقد حدثنا « ديودور » فى هذا الصدد بما يفيد أن « افيكراتس » قد علم من الجنود المصريين أن « منف » كانت غير محصنة وقتئذ بالجنود وعلى ذلك تكون غنيمة سهلة اذا هوجمت ، ومن أجل ذلك اقترح على مجلس القواد أنه باستعمال الطريق النهرى يمكن أن تقلل عقبات الزحف ويصل الجيش على جناح السرعة قبل أن تتجمع القوات المصرية هناك ، ولكن « فارنابازوس » وحاشيته رفضوا هذا الاقتراح قائلين انه لابد لنجاح الحملة من انتظار وصول كل القوات الفارسية (راجع Diod. xv, 43 - 1) ؛ ولكن « افيكراتس » لم يقبل الهزيمة فى الرأى وعمل على مافى جهده على أن يزحف الى « منف » ويهاجم بمن معه من الجنود المرتزقين ، غير أنه لم يكن رئيسا لهؤلاء الجنود المرتزقة وليس بسيدهم ؛ وقد رجا « افيكراتس » القائد «فارنابازوس» أن يسلمه هؤلاء الجنود المرتزقة ، ولكن

الشطربة رفض هذا الطلب كذلك ظنا منه أن « افيكراتس » يريد أن يحتل « مصر » لمصلحته الشخصية ، ولكن هذا القائد الأثينى احتـج بقوة على رفض اقتراحه وأكد أنه اذا تركت مثل هذه الفرصـة دون انتهازها فان كل مجهودات الحملة ستذهب سدى ، ومنذ ذلك الوقت أخذت العـلاقات بين قواد الفرس وزميلهم الأثينى تسوء ، وأصـبح كل من الفريقين يكيـل الذم للآخر (راجع Diod, xv, 43, 2) • هذا هو ملخص ما جاء فى « ديودور » فى هذا الصدد •

واذا استعرضنا ماكان يدور بخلد «فارنابازوس» وقواده من ظنون وأوهام بالنسبة للقائد « افيكراتس » فانها فى مجموعها تكون فى صالح الأخير اذ قد أظهرت جمـود رفاقه ، ومن أجل ذلك فان كل هجـوم عليه من لسان قواد الفرس يصـبح لا قيمـة له . وعلى أية حـال فان من حقنـا أن نتساءل فيما اذا كان « افيكراتس » وأصدقاؤه عنـدما عادوا الى بلاد الاغـريق قد اخترعوا أو بالغوا فى سرد قصته مع القواد الفرس بقصد فائدة شخصية وربما تكون القصة كما يأتى : الظاهر أن رئيس الجنود المرتزقين من الاغريق لم تقع عليه أية مسئولية فى الخيبة النهائية التى لاقتها الحملة ، بل على العكس كان يقع كل اللوم على « فارنابازوس » وأن « افيكراتس » عندما نصح بالاسراع فى القيام بالضربة القاصمة بعد تدهور المقاومة عنـد فم فرع النيـل المنديسى كان فى الواقع يقترح الطريقة الوحيدة لانهاء الحرب بنجاح باهر ولكن لم يؤخذ باقتراحه .

واذا قبلنا كل ما جاء فى هذا الاعتذار من دقة حاذقة ــ وليس فيه ما يدعو الى الشك ــ فان ذلك يكون بعيدا من أن تجعـل كل الأسـباب التى دعت « فارنابازوس » الى الرفض تفقد قيمتها ، كما أنه لا يمحو كل المسئولية عن عاتق « افيكراتس » فى خيبة الحملة ، وذلك أنه عندما اقترح القائد الفارسى أن ينتظر تجمع كل القوات الفارسية للزحف نحو الجنوب فانه كان بوصـفه

القائد الأعلى العام قد أراد بطبيعة الحال أن يفيد من أحد عناصر النصر التى تعد من أهم الأسس لهذا الجيش وأعنى بذلك تفوقه فى عدد جنوده على الجيش المصرى ، وبعد ذلك اذا لم يكن هناك شيء يبرر الشكوك التى كانت تحوم حول مطامح « افيكراتس » الشخصية ، وهى التى نسبها اليه « فارنابازوس » ، فانه يجب علينا أن نوافق على أن مثل هذه الشكوك كانت طبعية فى نظر القائد الفارسى بدرجة لا بأس بها ، وذلك لأن « افيكراتس » لم يكن الا مغامرا ورئيس جنود مرتزقة لا مواطنا أثينيا ، وقد كان كل ما يمتاز به هو أنه قد أصبح فى حروب فى « تراقيا » صهر ملك قوى وسيد ميناء بحرية . حصنها واستعمرها (راجع Grote XIV, pp. 257-8) وقد كان من المحتمل أن « افيكراتس » يحلم بأن تتوج أعماله فى « مصر » بأن يصبح بعد ذلك صاحب مؤسسة غنية بعد انتصاره . وحتى اذا فرضنا أن « افيكراتس » كان يريد أن يقوم بالحرب على المصريين على رأس جنوده المرتزقين فانه كان فى ذلك مخلصا وخاضعا للتعليمات العسكرية . والآن يتساءل المرء هل كان فى مقدور « فارنابازوس » أن يفهم الحاح «افيكراتس» فى ذلك ؟ ولكن اذا عرفنا عادات القواد الفرس وما جبلت عليه نفوسهم وقتئذ من جبن وتردد وكذلك اذا عرفنا انهم كانوا مجبرين على اخفاء مسئولياتهم وراء أوامر عليا تصدر لهم من قبل ملكهم العظيم لفهمنا بدون كبير عناء لماذا كان « فارنابازوس » مندهشا من الحاح « افيكراتس » أو بعبارة أخرى من مرءوس كان يرفض أوامر رئيسه ؛ ومن ثم نجد للقائد الفارسى كل العذر فى أن يشك أو يكون على وشك الشك فى مطامع « افيكراتس » وحبه لنفسه .

وأخيرا لدينا اعتبار آخر عن الغرض الذى كان يرمى اليه «فارنا بازوس» وهذا الغرض قريب من الاعتبار السالف الذكر وذلك انه كان يرى محافظة

على شرف الجيش الفارسى أنه لا ينبغى أن تفتح « مصر » ثانية بما تظهره الجنود الهيلانية من مهارة ونشاط وبخاصة عندما يكون الفضل راجعا الى « افيكراتس » وجنوده المرتزقين فى الاستيلاء على الحصن الذى بفتحه دخلت الجنود الفارسية أرض « مصر » . ومن ثم فكر فيما يحيق بسمعة الفرس اذا استولت الجنود المرتزقة وحدهم على عاصمة الملك ونهبوها ! وعلى أية حال فان مقاومة « فارنا بازوس » للقائد « افيكراتس » مهما كانت خاطئة فى مجموعها فى عدم نيل النجاح النهائى فانه يمكن تفسيرها بأسباب مقبولة . أما عن مسئولية « أفيكراتس » فسنرى أنها لم تسمح كلها بسبب رفض مقترحه فى توجيه الجيش الذى كان يقوده .

والواقع أنه لم يكن قد فقد كل شىء عندما قام الخلاف بين القائدين، وذلك لأن الزحف على « منف » بالسير من طريق البحر واقتحام الفرع المنديسى ثم المناقشات التى تلت ذلك لم تكن تشغل زمنا طويلا ، وأنه قبل حلول الفيضان كان هناك وقت متسع يسمح بالقيام بعمليات حربية طويلة مثمرة ، وهذا هو نفس ما يظهر لنا مما ذكره « ديودور » فى هذا الصدد اذ يقول ان المصريين كان لديهم وقت طويل هام بفضله تهيأت لهم الفرصة أن يضعوا فى « منف » حامية كافية للدفاع عنها (راجع Diod, xv, 43,2) وقد واصل العدو بعد ذلك مجهوداته العظيمة فقام بتدمير الحصن الذى كان على راس الفرع المنديسى ، وقد كان ذلك هو الكسب الوحيد الجبار الذى ظفر به العدو . وقد حدثت هناك بعض مناوشات ، ولكن المصريين فى النهاية تغلبوا على العدو (راجع Ibid xv, 43,3)

وقد مضى وقت طويل بين الاستيلاء على الحصن المنديسى ومجىء الفيضان الذى بحلوله شلت حركة الحملة الفارسية ، وهذا الوقت لم يفد منه الغزاة ،

ومن ثم نفهم أن سبب خيبة الحملة لم يأت من أن الفرس لم يقوموا بهـا الا عند مجىء الفيضان ، بل لانه كان فى مقدور « نقطانب » مدة بضعة الاسابيع التى تقع بين الاستيلاء على حصن « منديس » وحلول الفيضـان أن يجمع جيشه ويهاجم العدو . فهل يا ترى يقع جزء محس من المسئولية فى هذا على « أفيكراتس » ؟ والواقع أن الانسان لا يمكنه بأية حال أن يفصـل بصفـة قاطعة فى مثل هذا السؤال ، ولكن هناك بعض ملحوظات لا بد من ابدائها فى هذا الصدد ، وذلك أن المؤرخ «ديودور» لم يحدثنا فيما كتبه قط عن الجنود المرتزقة ــ وهم الذين تحدثنا بوضوح وجلاء عن الدور الذى لعبوه فى الجزء الاول من الحملة ــ والدور الذى لعبوه فى حصار « منف » الذى سـبق الفيضان . وانه لمما يدهش أن نجد هؤلاء المشاة الخفيفى الحركة والمسلحين بأسلحة دفاع جبارة والمدربين على الهجوم الهائل لم يفلحوا فى هزيمة المصريين وكسر شوكتهم ، ومن جهة أخرى نعلم ان القائد «فارنابازوس» بعد عودته من « آسيا » أخذ حنقه يشتد على « أفيكراتس » ، وأخيرا أخذ يتهمه عند الاثينيين بأنه كان السبب فى خيبة الحملة (راجع Ibid, xv, 43,5 & 6) على أن هـذا التوبيخ لا يمـكن أن يـكون له معنى أو قيمـة الا اذا كان « افيكراتس » قد أظهر بعد الخلاف الذى حدث بينه وبين « فارنابازوس » بعض التراخى فى عزيمته ، أو ما يدل على سوء قصد ، وقد يحتمل أن ذلك قد جاء من نصحه لجنوده بالاضراب عن القتال،أو أنه وافق على ذلك ،ولكن اذا كان هؤلاء الجنود المرتزقون قد أظهروا فى اثناء حصار حصن «منف» نفس النشاط الذى اظهروه فى أول الحملة ، واذا كان رئيسـهم المباشر قـد قادهم الى الواقعة بعزم وحزم ناسيا أو متناسيا الخلافات الحديثة التى وقعت بينه وبين قائده الاعلى فماذا تعنى اذا اتهامات الشطربة «فارنابازوس» لقائده القديم وكذلك التوبيخات التى كالها له بعد العودة من « مصر » بالخيبة ؟

ويلوح انه يجوز للانسان ان يعارض فى ان ذلك كان محاولة من «فارنا بازوس» ان يخلص نفسه من فضيحة الهزيمة أو يلقى تبعتها على فرد آخر . واذا كان هذا الشطربة قد قصد اتهام « افيكراتس » أمام الملك العظيم فان اتهامه لا يمكن أن يحكم عليه الا بأنه زور وبهتان. وقد وجدناه يجرح عدوه مباشرة وبعد ذلك وجه كلامه الى الاثينيين طالبا منهم تعويضا ، وذلك لان « أثينا » قد وعدت بعمل تحقيق فى هذا الصدد ومعاقبة المتهم اذا كان هناك ما يبرر ذلك (راجع Ibid. xv, 43,6) وتدل الظواهر على ان « فارنابازوس » كان يحمل بين جنبيه حقدا دفينا ، وهذا الحقد لا يمكن تفسيره لا بما حدث فى أول الحملة عندما لمع اسم « افيكراتس » فيها بأعماله الحربية الباهرة ولا بالخلاف الذى تولد من رفض « فارنا بازوس » رأى « افيكراتس » وحسب بل زاد الطين بلة على ما يظن أنه فى الوقت الذى مر بين رفض مقترحاته وبين حلول الفيضان نجد أن « افيكراتس » بدلا من أن يساعد رئيسه بكل دقة ونشاط قد عارض مجهوداته أو عضدها بفتور . وهنا على ما يظهر من وجهة مسئوليات القائد الآثينى كانت النقطة الضعيفة حقا التى يؤاخذ عليها فى خلال الحملة ولكن ليس لدينا أى دليل قاطع يمكن أن يثبت عليه ذلك .

ولما كان الفرس قد أوقفوا عند حدهم بهجوم مضاد قام به المصريون ، وأن الجنود المرتزقة قد خذلوهم على ما يحتمل بعدم مد يد المساعدة فانهم كانوا فى طريقهم الى هزيمة فاصلة على يد الطبيعة . وعلى أية حال فانه مما يظهر لدينا مدهشا لاول وهلة أن الفرس قد تركوا أنفسهم يؤخذون على غرة بماء الفيضان وبخاصة عندما نعلم أنهم قبل ذلك كانوا قد سيطروا على « مصر » أكثر من قرن من الزمان . ولكن مما يلفت النظر هنا أن « مصر » كانت منذ ثلاثين سنة ٤٠٥ — ٣٧٤ ق . م . مستقلة عن الملك العظيم ودولته ، وقد كان

هذا الوقت كافيا ليجعل الفرس يفقدون ما كان لديهم من خبرة شخصية تمكنهم من تحديد زمن الفيضان وانتظامه العظيم وتقلباته ومدته وأهميته الدقيقة . ولدينا فقرة فيما كتبه المؤرخ « ديودور » تعضد هذه النظرية ، وذلك أنه فى خلال الثورة التى قام بها أهل مدينة « صيدا » على الفرس عام ٣٥٠ ق . م . عندما كان الملك « تنسى » يتفاوض فى أمر خيانته مع الملك وعرضه عليه الاشتراك معه فى شن حرب على « مصر » ، وقد قدم « تنسى » للملك أكبر خدمة وهى معرفته البالغة الدقة بإقليم نهر النيل (Ibid. xv. 43,2) وعلى ذلك فانه من المحتمل جدا أن أهل الفرس كانوا لا يعرفون الا معلومات مبهمة جدا عن جغرافية « مصر » وبوجه خاص عن مجرى هذا النهر العظيم ونظامه ، ومن ثم يفسر الانسان بيسر وسهولة أن القواد الفرس الذين كانوا قائمين بالحملة على «مصر» فى عام ٣٧٤ ق.م. بدلا من ان يعودوا القهقرى فى أوائل شهر يونية بجيوشهم وهو الشهر الذى يبتدىء فيه الفيضان والذى بحلوله يقطع منه الرجاء من كسب أى انتصار حاسم سريع ، قد فاجأهم الفيضان على غرة وبخاصة بطبيعة ارتفاعه ومدة فيضانه ، ولم يتقهقر الفرس الا عندما بلغت الحال أشدها وكاد الفيضان يقضى عليهم . ويحدثنا « ديودور » عن هذه النقطة بدقة عظيمة كافية لفهم الحالة (Ibid. xv, 43,4) . على ذلك مكث القتال زمنا طويلا حول التحصينات وكانت ريح الشمال قد حلت فعلا وأخذت تشتد وبدأ النيل فى الارتفاع شيئا فشيئا الى أن وصل الى نهاية شاطئيه ، وأخيرا أخذت المياه تغمر الاقليم المجاور ، وكان النهر دائما يحمى « مصر » بدرجة عظيمة بزيادته الغزيرة ، ولكن الفرس لأجل أن يعودوا القهقرى انتظروا حتى منتصف شهر سبتمبر وهو التاريخ الذى يصل فيه النيل الى منتهى زيادته أو على الاقل يصل الى درجة عظيمة فى فيضانه ، والواقع أنهم كانوا قد اضطروا أمام تدفق المياه الجارفة الى الانسحاب .

. وعلى ذلك تقرر التقهقر وقد عاد الجيش الى « آسيا » (راجع .Ibid xv, 43.5) بلا شك فى منتصف شهر أغسطس أو أوائل سبتمبر . على أن فصل الحرب لم يكن قط قد انتهى ، وقد عسكر الجيش بلا شك على مقربة من « عكة » ، وهناك بدأت من جديد المشاحنات بين « فارنابازوس » و « افيكراتس » . وقد كان غضب الاول على الثانى للسبب الذى ذكرناه آنفا شديدا جدا لدرجة أن « افيكراتس » كان يرتعد خوفا على حياته . وبخاصة أنه كان يذكر ما حدث للقائد « كونون » بخوف وفزع ، ومن أجل ذلك ولى هاربا فى الخفاء الى « أثينا » على ظهر سفينة (راجع ,.Diod., xv 43,5) ومع ذلك فان حقد « فارنابازوس » على « افيكراتس » كان لا يزال متقدا ، ولذلك فانه لما كان يعد « افيكراتس » دائما مبعوث «أثينا» لمساعدة الفرس على « مصر » أوفد الى « أتيكا » سفراء مكلفين باتهام هذا القائد بالخطأ الذى ارتكبه وهو كما يقول « أن « مصر » ظلت حرة » . ولما كانت « أثينا » فى تلك الفترة فى حرب مستمرة مع « أسبرتا » ، فانها قد تكون فى حاجة الى وساطة ملك الفرس أو الى مساعدته المالية ، وعلى ذلك فمن المحتمل أن ذلك كان السبب الذى من أجله لم تجسر « أثينا » على أن تغطى بصراحة وبدون تردد منها قائدها العظيم « افيكراتس » أمام الاتهامات الفارسية التى نسبت اليه . وقد أعلن رسميا أن المأمورية التى كان كلف بها « افيكراتس » قد ربطت بلاده بعهود مع ملك الفرس وعلى ذلك فان الوفد الذى أرسله « فارنابازوس » قد أجيب على ما أرسل من أجله بأن الموضوع سيفحص وأنه اذا وجد « افيكراتس » مذنبا فانه سيعاقب . وبهذه الكيفية نجد أن « أثينا » نظريا قد عدت بين اعداء استقلال « مصر » . وتدل جدية بل على العكس نجد أنه فى ربيع عام ٣٧٣ ق.م. قد عين قائدا حربيا شواهد الاحوال على أن «افيكراتس» لم يظهر عليه أنه كان مهموما بصورة

(راجع Ibid. xv, 43,6) وبعد ذلك بعام نراه قد خلف القائد «تيموتيوس Timotheos» رئيسا للاسطول الاثينى العظيم الذى كان يحارب « لاسيدمون » . ولكن « أثينا » بعملها هذا لم تكن تريد قطع علاقتها مع الفرس وكذلك لم تظهر بأنها كانت تعارض « مصر » فى طلب استقلالها .

هذا ونجد أنه بعد المحاكمة التى أكدت طرد القائد « تيموتيوس » من قيادة الاسطول الاثينى واسناده الى « افيكراتس » ، دخل الاول فى خدمة ملك الفرس وذلك أنه كما يقال قد مثل أمام ملك الفرس الذى كان فى حرب مع «مصر» وحصل من أجل ذلك على كل ما كان قد حصل عليه «افيكراتس» من قبله من موافقة شعبه . وقد كانت مغادرته للانضمام الى الجيش الفارسى فى عهد حكومة « استيئوس Asteios » (حوالى مايو ٣٧٢ ق.م.) .
وقد وجدنا أن «تيموتيوس» كان لا يزال فى خدمة الفرس فى عهد حكومة « آكستنيس » فى عام ٣٧٢ — ٣٧١ ق.م. ، وعلى ذلك فان اقامته فى الجيش الفارسى كانت قد أمتد أمدها . ولم يحدثنا « ديودور » ولا الخطب التى ألقيت ضد « تيموتيوس » عن أى تفصيل خاص بهذه الحملة الجديدة التى قام بها الفرس على «نقطانب» الاول . هذا فضلا عن أننا لم نجد أن الجيش الفارسى الاغريقى قد قام فى أية جهة بزحف على « مصر » . والظاهر أن كل ما حدث كان ينحصر فى قيام بعض مناورات واستعدادات ليست هامة فى معسكر «عكة» بقيادة «تيموتيوس» وقواد ملك الفرس بالاشتراك سويا .

وعلى أية حال نجد أن « نقطانب » الاول قد أمضى فى سلام وحرية مدة الثمانى عشرة سنة التى حكمها ٣٧٩ — ٣٦١ ق.م. والواقع أنه قد قضى على آزمة عام ٣٧٤ ق.م. بالفشل من جانب الفرس لاسباب منوعة : اولا طول مدة التعبئة الفارسية التى كان يعرقلها تردد القيادة العليا مما سمح للفرعون أن ينظم على مهل مقاومته للعدو فى الدلتا . وقد كان توقف العمليات

الحربية بعد سقوط قلعة « منديس » يرجع الى قرار « فارنابازوس » ومن ثم هيئت الفرصة للمصريين ان يعاودوا الكرة بالهجوم بقوة وشدة متناهيتين . ومن المحتمل كذلك أن تراخى « افيكراتس » وعدم رغبتـــه فى قيـــادة الجيش بسبب رفض القائد العام الفارسى مقترحاته كان السبب فى فشل الحملة والسبب الحاسم فى نجاة « مصر » هو فيضان النيل الذى جعل اية حركة حربية على « مصر » ضربا من المستحيل . وهذه هى المرة الوحيدة التى نرى فيها فى خلال هذه القصة أن النصر كان فى المعسكر المعادى للاغريق .

ولكن اذا استثنينا ان « مصر » قد نالت سلامتها بسبب النظام الدفاعى الذى سلحها به فيما سبق القائد «خابرياس» الاثينى فان الجنود المرتزقين لم يهزموا فى واقع الامر ، وذلك لان أعمالهم الباهرة فى بداية الحـــرب لم يمحهـــا الا الكبرياء الوطنى والخوف السياسى الـــذى أظهره « فارنابازوس » قائدهم الاعلى ، وكذلك قد يرجع الى حقد رئيسهم المباشر « افيكراتس » على القائد الأعلى « فارنابازوس » .

هذه نظرة عاجلة عن حروب « نقطانب » الاول لصد الفرس عند محاولتهم كرة أخرى احتلال البلاد .

حالة مصر فى عهد نقطانب الأول

ومركز الأمبراطورية الفارسية

لا نزاع فى أن «مصر» قد وصلت الى أعلى ذروة فى عهد «نقطانب» الاول وقد بدأ فى عهده عصر جديد فى تاريخ اقامة المبانى الضخمة وانتاج الفن الرفيع وقد وصلت الينا معلومات مختلفة عما لا يقل عن مائة أثر من عهد هذا الفرعون وسنتحدث عنها فيما بعد . ويلحظ هنا أن العلاقة السياسية بين «مصر» وبين الدويلات الاغريقية لم يعرف عنها شىء يذكر حتى عام ٣٦٦ ق.م. ويبدو أن ذلك يتناقض مع ما كانت عليه «مصر» من علاقات مع هذه الدويلات فى عهد الفرعون « أوكوريس » . ولا يمكن تفسير ذلك بقلة مالدينا من مصادر فقط ، فمنذ صلح الملك الذى عقده فى عام ٣٨٦ ق.م. لم توجد فى بلاد الاغريق أية ولاية على اتصال ببلاد الفرس الا وكانت فى حلف مع «مصر» خوفا من سطوة الاولى وطغيانها .

وقد وجدت بلاد الفرس نفسها فى خلال عشرة السنين التى تلت الكارثة التى أصابتها فى « مصر » فى حالة انحلال وتدهور متزايدين (راجع Judeich, Klein asiat Studien p. 190 ff ; Ed Meyer, Gesch. d. Alt. V § 964-5, p. 454 ff, § 979 ff, p. 485 ff & Beloch Griech.Gesch. III 2, § 105/6 p. 254-7) وقد كان الملك «ارتكزركزس» الثانى فضلا عن ذلك طاعنا فى السن بالاضافة الى أنه لم يكن حاكما قويا ، ومن ثم ترك أحوال امبراطوريته تسيرها الاقدار كما تشاء ، فنرى فوق تركه القيام بحملة جديدة على « مصر » ان كل شطربياته الغربية قد دب فيها روح الانفصال عن الامبراطورية ، وهكذا نرى أن الشطربة « داتامس »

Datames حاكم « كابودوشيا » قد اتخذ لنفسه منذ زمن طويل موقفا مستقلا عن المملكة الفارسية . وفى عام ٣٧٠ ق.م. نجد أنه قد استولى على « سنوب Sinope » من قبضة « بافلاجونيا (١) Paphlagonia » ، وفى كل ذلك قد تحاشى اعلان الثورة على ملك الفرس العظيم . وكذلك نجد الشطرب « هكاتومنوس Hekatomnos » صاحب « كاريا » (٢) (٣٩١ — ٣٧٧ ق.م.) وخليفته « موسوللوس Mausollos » (٣٧٧ — ٣٥٣ ق. م.) كانا فى الواقع مستقلين بملكهما أكثر من تبعيتهما لملك الفرس . وكذلك كانا فى الواقع مستقلين بملكهما أكثر من تبعيتهما لملك الفرس . وكذلك كانت الحال مع الشطربة «اريو بارزانس Ariobarzanes» صاحب «داسكيليون Daskylion » (حوالى ٣٨٨ — ٣٦١ ق.م.) ، يضاف الى ذلك بلاد كثيرة أخرى قد اصبحت شبه مستقلة عن بلاد الفرس . والواقع أنه كان يخشى من وقوع انهيار تام فى الجزء الغربى من الامبراطورية ، وليس لدينا أى مصدر يمكن أن يحدثنا عن مدى نفوذ بلاد الفرس بعد الكارثة التى لحقت بها فى « مصر » ولا عن تأثير هذه الخيبة فى تدهورها . وكل ما نعلمه أنه منذ بداية عام ٣٦٠ ق.م. قد حدث أول انفجار ظاهر فى تصدع تلك الامبراطورية ، وذلك أن « داتامس » حاكم « كابودوشيا » كان أول من بدأ الخطوة الاولى فى هذا الصدد باعلان الثورة . وقدأرسل الملكالعظيم الشطربة « اوتوفراداتس Autophradates » حاكم « ليديا » (٣) لمحاربة « داتامس » . وعلى الرغم من نيله بعض الانتصارات فانه لم يمكنه القضاء عليه .

---

(١) الواقعة جنوب البحر الأسود مباشرة .
(٢) على شاطىء البحر الأبيض فى آسيا الصغرى .
(٣) مجاورة لـ « كاريا »

ومن ثم اخذت الثورات تمتد بصورة ضخمة فقام «اريوبارزانس Ariobarzanes» حاكم « فرجيا »(١) بثورة عام ٣٦٦ ق.م. ومن جهة أخرى نجد كلا من «اثينا» و «أسبرتا» قد لامت الملك العظيم على المساعدة التى قدمها لعدوتيهما « طيبة » فى عامى ٣٦٧ ، ٣٦٦ ق.م. ، هذا وقد كانت « أثينا » — أملا منها فى أن يمدها الفرس بالمال — تفكر بهذه الطريقة لتوسيع تحالفهـا ، وكانت قد لجأت الى مساعدة « اريوبارزانس » فعلا . وقد ارسـلت « اسبرتا » الملك « اجسيلاوس » اليه كما أرسلت « أثينا » « تيموتيوس » اليه أيضا فى عام ٣٦٥ ق.م. ، ويلحظ أنه ما بين عامى ٣٦٣ — ٣٦١ ق.م كان الجزء الغربى من أمبراطورية الملك العظيم قد فقد جميعه ، يضاف الى ذلك ان ربيبه «أورونتيز Orontes » صاحب « أرمينيا » وبلاد «ليكيا» و «بزيديا» و « بامفيليا » و«كليكيا» و«سوريا» و«فنيقيا» وكذلك بلاد «آسيا الصغرى» الاغريقية قد انفصلت كلها عن الامبراطورية الفارسية . هذا ونجد أن « موسوللوس » ملك « كاريا » قد عاضد الثورة ، ولكن نشاهد أن صـديق الملك الحميم « أوتوفراداتس » صاحب « ليديا » كان مضطرا أن يصبح وحيدا وأن يبقى بعيدا على أية حال . وكذلك نجد أن « داتامس » قد وصل فى زحفه مسافة متقدما على نهـر الفرات ، وذلك فى حـين ان « اورونتيز Orontes » الذى كان يقوم على رأس ثورة بوصفه القائد الاعلى لهجوم كبير على الملك العظيم — وقد كان مجهزا بجيش جمعه فى « سوريا » (Diod, xv, 91-1) — قد أخفق مشروعه من كل النواحى فى فكرته وفى قيادته ، ومن جهة أخرى نجد أن « كـورش » الصـغير قام من « سرديس » بعصيـان عـلى أخيـه « ارتكزركزس » الثانى قاصدا بذلك انتزاع ملك الاخمينيسيين ، غير أن

---

(١) فى الجهة اليمنى من « كاريا »

هذا الاتجاه لم يحز قبولا قط من أى من الثوار الذين قاموا بثورات فى عام ٣٦٠ ق.م. ، فقد كان غرض كل شطربة أن يصبح هو قويا ومستقلا بنفسه ولكن لم يكن لديه أى قصد فى الانفصال عن الامبراطورية الفارسية اسما ، اذ لم يكن لاى من المشتركين فى هذه الثورة أية فائدة حقيقية من الانفصال عن ملك « فارس » ، وهذه السياسة قد نفذت تماما فى كل حالة فردية ، فقد كان كل شطربة يظن أن ارتباطه مع الملك الاعظم يحقق فائدته أكثر مما لو انتقض عليه . وعلى ذلك تحطم العصيان وهدأت الثورات التى قام بها شطاربة المملكة الفارسية . وقد كان أول من سلم بالاخلاد الى السكينة واسترضاء الملك الاعظم هو « أورونتيز » وذلك بارسال هدايا له كما وعد الملك العظيم أن يجعل تحت سلطانه كل الشطربيات التى على ساحل « آسيا الصغرى » ، وكذلك سلم له كل الثوار الذين كانوا فى قبضة يده (Diod. xv, 91,1) كما عاد كل من « موسوللوس » و « أوتوفراداتس » الى سياسته القديمة وبذلك قوى مركزهما بالولاء للملك العظيم . هذا وسنجد فيما بعد أن « اريوبازانس Ariobazanes » ثم « داتامس » قد لاقى كل منهما حتفه بالخيانة فقد أخذ الاول أسيرا وقتل الثانى (١) ، وبذلك حفظ كيان الدولة الفارسية دون أن تتكلف الحكومة المركزية أى مجهود حربى .

أما فى « مصر » فانه على ضوء هذه التطورات فى الامبراطورية الفارسية قد ظهرت فى مصر حالة جديدة .

وقبل أن نتحدث عن الاحوال السياسية التى نشأت عن ذلك يجب أن نتحدث هنا عن الآثار التى خلفها لنا الفرعون « نقطانب » الاول فى أنحاء البلاد أولا وذلك لان هذه الاحداث السياسية التى حدثت كانت فى عهد ملك آخر غير « نقطانب » وهو الملك « تاخوس » .

---

(١) راجع Xenophon, Cyrop. VIII, 8,4 , Aristoteles Pol. V, 8,15 (1312a) , Cornelius Nepos, Natames, X, XI; Polyan, VII, 29, 1; Diodor. XV 91, 7.

آثار الملك « نقطانب » الأول (نقطانبيس)

قبل أن نتحدث عن آثار الملك « نقطانب » الاول يجدر بنا أن نلفت النظر الى انه على الرغم من عدم التفرقة بين اسمه واسم « نقطانب » الثانى فى كتب التاريخ الحديثة فانه يوجد فرق بين فى الكتابة المصرية القديمة ، فنجد أن « نقطانب » الأول يسمى «نخت نبف» ويسمى الثانى «نخت‌حر ــ حبت» هذا ونجد أن«مانيتون»قد نطق الاول«نقطانبيس»ونطق الثانى«نقطانبوس» وقد اختلف الاسمان فى بادىء الامر على المؤرخين ولكن فى النهاية أصبح من المؤكد أن « نقطانب » الأول هو « نخت نبف » بالمصرية و « نقطانب » الثانى هو « نخت حرـحبت » .

وسنحاول أن نذكر آثار الفرعون « نقطانب » الاول على حسب ترتيبها التاريخى بقدر المستطاع ، وسيلحظ القارىء فى كتب التاريخ أنه الى عهد حديث جدا كان الاول يحل محل الثانى والعكس بالعكس ومن أجل ذلك نلفت النظر الى هذه الملاحظة الهامة .

(١) ادفو :

يوجد فى معبد « ادفو » نقش مؤرخ بالسنة الأولى من عهد « نقطانب » الاول « نخت نبف » وقد دون فى عهد « بطليموس » الحادى عشر « سوتر الثانى » . وهذا النقش خاص باهداء قطعة أرض للاله « حور » صاحب « ادفو » ، وهو محفور على الجدار الخارجى من السور الشرقى ، وقد جاء فيه ذكر الملوك « نقطانب » الاول والثانى و « دارا » الفارسى . هذا ويوجد حتى الان ناووس من الجرانيت فى معبد ادفو ولا بد أنه كان دون أى شك أهم محراب لعبادة «حور» «ادفو» ، وقد نقش على عارضتى هذا الناووس متن يحدثنا أن الملك « نقطانب » الأول قد أهدى هذا الناووس لمعبد «ادفو» (راجع Dumischen Tempel Inschr. I, Taf. III Al. 1-6)

وقد جاء فى هذا النقش على لسان الاله « حور » ما يأتى : « جميل هذا الأثر الذى أقمته لى وان قلبى لمرتاح لذلك سرمديا » . وبعد ذكر الأسماء الملكية يقول الملك « نقطانب » فى اهدائه : « لقد عمله بمثابة أثره لوالده « جوز بحدتى » الآله العظيم رب السماء، عمل له ناووسا فاخرا من الجرانيت ومضراعا بابه من خشب الصنوبر ومطعم بالنحاس ومغشى بالذهب ونقش عليه الاسم العظيم لجلالته وفى مقابل ذلك وهبه الآله ملايين من الأعياد ومئات الألوف من السنين أبديا » .

(راجع L.D. IV, 43 a, b, 44 a, L.D.T. IV p. 67, Brugsch, Thesaurus, III p. 538 ff, Pl. 1, 9, III, 5, V, 22, VI, 18, VIII, 14, Comp. W. Otto, Priester und Tempel Bd, I, p. 263, Anm. 2, De Rochemonteix - Chassinat, Le Temple d'Edfu VII, p. 189 ff, X, pls. CLXXI - CLXVII, XIV, pls. DCXLVI - DCL IV .

(٢) نقراش (Naukratis) — لوحة من الجرانيت الأسود خاصة بتتويج الملك فى سايس والهبات لمعبد الآلهة « نيت » .

فى السنة الأولى من عهد الفرعون « نقطانب الأول » . (راجع J.E.A. Vol. 29 p. 60 ff.)

وهذه اللوحة تمتاز بجمال كتابتها وغرابة نقشها وذلك لأنها تحتوى على عدد كبير من الكلمات التى نجد فيها أن الهجاء التقليدى بالاشارات المقطعية قد حل محله الأحرف الأبجدية وحدها . وقد عزا الأستاذ « ارمان » هذا الاغراب فى الهجاء الى رغبة الكتاب المتأخرين فى الكتابة بأسلوب قديم بقدر المستطاع . على أنه لا تكاد توجد أية نقوش قديمة تحتوى على كتابات مثل التى نقشت بها اللوحة التى نحن بصددها الآن ، وقد قال « ماسبرو » عند فحص نقوش هذه اللوحة ان هذه الكتابات سببها على ما يظن معرفة الكاتب باغريق « نقراش » واختلاطه بهم ، ويقصد بذلك معرفته

بحروفهم الأبجدية . وهذا الرأى الأخير قد رفضه رفضا باتا الأثرى « پيل » الذى أظهر بحق أن كتابات مثل كتابات لوحة « نقراش » توجد فى نقوش أخرى معاصرة لها أو ترجع الى العصر الساوى ، وقد استخلص من هذه الحقيقة أن هجاء كلمات اللوحة هو مصرى خالص ، والواقع أن استنباطه لا يتمشى مع المنطق وذلك لأن الكتابات التى نحن بصددها قد انحصرت فى فترة قصيرة من التاريخ المصرى نسبيا ، وكل ما دلل عليه هو أن مثل هذه الكتابات كانت منتشرة أكثر مما أراد الادلاء به « ماسبرو » .

وعلى أية حال فان وجود مثل هذا الهجاء لأول مرة لابد لوجوده من معنى فى هذا الوقت الذى كانت فيه « مصر » قد أخذت تتصل بالثقافة الاغريقية ، وبخاصة عندما نعلم أن هذه الثقافة قوبلت بالترحاب فى البلاط الفرعونى ، ولا أدل على ذلك من أن « ديودور » الصقلى قد حدثنا بأن « بسمتيك » الأول كان من كبار المعجبين بالثقافة الهيلانية لدرجة أنه ثقف أولاده بهذه الثقافة الاغريقية .

ويخيل الينا أنه فى العصر الساوى كان يوجد نفر من المصريين قد تأثروا بنوع الكتابة التى كان يدون بها الأجانب الذين أتوا الى بلادهم وبخاصه ما كانت تنطوى عليها من بساطة مدهشة ، ومن ثم اتخذ مبدأ الكتابة الحروف الأبجدية من وقت لآخر فى الكتابات الهيروغليفية فى هذه الفترة وأحيانا فيما بعدها . غير أن هذا المبدأ قد ترك جانبا فى نهاية الأسرة الثلاثين لسبب أو أكثر من الأسباب التالية . أولها حكم التقليد الذى كان المصرى حافظ عليه بكل ما أوتى من قوة ، ثانيا ثورة المصريين على كل ما هو اغريقى بدافع الوطنية المصرية وذلك عندما غزا الاغريق البلاد وتسلطوا عليها ، وثالثا وأخيرا لوحظ أن كتابة اللغة المصرية القديمة بحروف أبجدية فقط مؤلفة من

حروف ساكنة قد تسبب تضحية سهولة القراءة بدلا من البساطة وبذلك كان ضرر هذه الطريقة أكبر من نفعها . وهذا الاعتبار الأخير سواء أكان فعالا أم لا فانه على ما يظن يرتكز على أساس ، وذلك لأن تركيب الكتابة المصرية القديمة العادية بما لها من مخصصات واشارات تدل على كلمات خاصة ، هذا بالاضافة الى الاختلافات التقليدية فى الكتابة لكلمات مختلفة تحتوى على نفس الحروف الساكنة يجعلها أكثر سهولة فى قراءتها من كتابتها بالحروف الأبجدية . وذلك أن مجرد النظر للمعتاد على قراءة اللغة المصرية يكون كافيا للتمييز بين الألفاظ ومعانيها .

وهاك ترجمة لهذه اللوحة على حسب البحوث التى قام بها نخبة من علماء الآثار منذ العثور عليها (راجع Maspero, Comptes rendus de l'Ac. des Inscr. 1899, p. 793 ff.; Erman-Wilcken A.Z. XXXVIII, p. 127 ff.; Maspero, Musée Eg. I, 40 ff.; Sethe, A. Z. 39 (1901) p. 121-123; Piehl Sphinx VI 89 ff; Kuentz. in Bull. Inst. fr. XXVIII, 103 ff.; Posener in A.S. XXXIV, 141-8, J.E.A vol. 29. p. 90 ff).

« السنة الأولى الشهر الثانى عشر اليوم الثالث عشر من عهد جلالة «حور» قوى الساعد ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ، السيدتان (المسمى) مفيد الأرضين ، حور الذهبى (المسمى) الفاعل ما ترغب فيه الآلهة ، «خبر كا رع» بن « رع » « نقطانب » (نخت نبف) العائش أبديا ، محبوب « نيت » الآلهة الطيبة سيدة « سايس » ، رمز « رع » المحسن ، وريث « نيت » ، لقد اختارت جلالته من الشاطئين ونصبته حاكما على الأرضين ، ووضعت صلها على رأسه ، وهى التى تأسر له قلوب العظماء ، وتخضع له قلوب عامة الشعب وتمحو كل أعدائه .

وانه ملك قوى حام لـ « مصر » ، وجدار من البرنز على كلا جانبى « مصر » ، القوى جدا ، والعامل بساعديه ورب السيف الذى ينغمس فى

الجمع ، ومن يهيج عندما يرى أعداءه ، انه واحد يقطع قلوب المتمردين ، ولكن يهب النعم لمن هو موال له ، ومن ثم ينامون (؟) حتى طلوع النهار معتمدين على صفاته الباهرة دون أن يضلوا سبيلهم ، ومن يجعل كل الأراضى يانعة عندما يشرق (مثل الشمس) ، ويحفظ الناس فى عافية بخيره (؟) وكل العيون تنبهر عند النظر اليه مثل « رع » عندما يشرق من الأفق . وحبه يفتح (كالزهر) كل يوم ، لقد أعطى الحياة لأجسام الناس ، وهو الذى تفرح الآلهة عندما تراه ، وانه ليقظ فى البحث عن انعامات لمحاربيها ، ومن يدعو كهانها لأجل أن يشاورهم فى كل مهام المعبد ، ومن يعمل على حسب نطقهم دون أن يكون فى أذنه وقر من كلماتهم ، وهو ذو قلب مستقيم على طريق الآله ، بان مساكنهم (أى الآلهة) ، ومقيم جدرانهم ، وممد بوفرة موائدهم، وصانع أوانيهم المقدسة ، ومنشىء قربانا من كل الأنواع ، وهو الآله الأوحد صاحب المعجزات العدة ، ومن يقدم له نور الشمس ثناء ، ومن تظهر له الجبال ما فى جوفها ، ومن يقدم له المحيط مياهه ، والبلاد الأجنبية تقدم له فيضها ، وانه يشرح صدورهم فى أوديتهم .

لقد طلع جلالته فى قصر « سايس » (يجلس) فى معبد « نيت » . وقد قيد الملك الى مقر « نيت » ، وقد ظهر بالتاج الأحمر بجانب والدته المقدسة عندما قدم قربانا لوالده رب الأبدية فى بيت « نيت » وقال جلالته ليعط :

(١) عشر الذهب والفضة والخشب ، والخشب المشغول ومن كل شىء يأتى من البحر اليونانى ومن كل السلع التى تفد لأملاك الملك فى المدينة المسماة « حنو » (غير معروف موقعها) .

(٢) عشر الذهب والفضة وكل الأشياء التى تنتج فى « بى — امروى » المسماة « نقراش » على شاطىء « عنو » (على الفرع الكانوبى) والتى

تحسب لبيت الملك (أى التى يجبى منها ضرائب الملك) ، لتكون وقفا لمعبد والدتى « نيت » أبديا ، وذلك فضلا عما كان موجودا من قبل ، ودعها تحول الى نصيب (خاص) يساوى ثورا وأوزه (رو) مسمنة وخمسة مكاييل(منو) من النبيذ بمثابة قربان يومى دائم، وتوريدها يكون فىخزانة والدتى «نيت»، وذلك لأنها سيدة المحيط ، وانها هى التى تهب خيره (أى أنها هى التى تهب « مصر » الخير الذى يحضر عبر البحار) .

وقد أمر جلالتى أن تحفظ أوقاف معبد والدتى « نيت » وأن كل شىء قد عملوه فى الأزمان السالفة يستمر حتى يستمر ما عملته لأولئك الذين سيكونون مدة أبدية السنين ، وقد أمر جلالته أن يسجل ذلك على هـذه اللوحة التى يجب أن توضع فى « نقراش » على شاطىء « عنو » وعلى ذلك ستذكر طيبته حتى نهاية الأبدية .

من أجل حيـاة وثبات وعافية ملك الوجـه القبلى والوجـه البحـرى « خبر كارع » بن « رع » « نخت نبف » (نقطانب) العائش أبديا ليته يمنح كل الحياة وكل الثبات وكل السلطان وكل الصحة ، وكل انشراح الصـدر مثل « رع » أبديا .

وقد تحدثنا عن هذه الضرائب فى مكانها . (راجع مقال ارمان — ڤلكن A.Z. XXXVIII, p. 127)

(٣) وادى حمامات (السنة الثالثة)

يوجد نقش على صخور « وادى حمامات » فى مغارة مؤرخ بالسنة الثالثة من فصل الزرع، اليوم الرابع من عهد جلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى، الآله الطيب رب الأرضـين « نقطانب » الأول . ويشـاهد فى المنظر الآله « آمون » جالسا على عرشـه بوجهه نحو اليمين ، وقد نقش على يمينـه : « آمون رع » رب تاج الأرضين ... الخ .

هذا ويشاهد فى هذا المنظر فضلا عن الاله « آمون » الملك « نقطانب » الأول يقدم البخور واناء ماء للالــه « مين » رب « قفط » وكذلك للالــه « حربوخرات » الذى وقف خلفــه والآلهة « ازيس » التى تأتى فى الخلف أخيرا وهؤلاء الآلهة الثلاثة هم ثالوث هذه الجهة . (راجع L.D. III, 287 a) ويشاهد تحت الملك مبنى على قمته هرم ، كما يشاهد خلف هذا الثالوث صورة شخص صــغير الحجم وعلى اليمين يشاهد الاله « بتــاح » مرتين الواحدة فوق الأخرى فى محرابه ، وعلى اليمين من ذلك يشاهد كاهن أمام الاله «مين» (راجــــع L.D. III, 286 h) ويشاهد فى نفس المنظر على ارتفاع بسيط يمين تاج رأس الاله « مين » الاله « آمون رع » جالسا وقد نقش تحته المتن الذى ذكرناه فى أول الكلام عن نقوش هذا الكهف ، ويلحظ أن المنظر كله قد انتشرت فى أنحائه كتابات اغريقية وديموطيقية منقوشــة فى الصــخر . (راجع L.D. VI, p. 100)

انظر كذلك Friedrich Karl Kienitz, Die Politische Geschicte Agyptens von der Zeitwende p. 200; L.D.T. V. p. 353-354; Couyat-Montet, Les inscr. du Ouadi Hammamat, p. 43 No. 26 & pl. VIII) .

(٤) « منف » (السرابيوم — السنة الثالثة)

عثر الأثرى « بركش » على لوحة من اللوحات التى كانت موضوعة فى سرابيوم « منف » ، فى قلعة « القاهرة » ضمن الآثار التى كانت محفوظة فيها ، وقد بدأت بالكلمات التالية : فى السنة الثالثة اليوم الأول من شهر بشنس من عهد الملك « نقطانب » الأول الذى نصبها عن موت العجل « أبيس » الذى ولدته البقرة ! ....) .

(راجع Brugsch, A.Z. 22 (1884) p. 134 No. 23; Revillout, Not. Pap. Dem. Arch. p. 479)

(٥) « منف » (السرابيوم — السنة الثالثة)

يوجد فى متحف « برلين » لوحة منقوشة بالديموطيقية مؤرخة بالسنة الثالثة وكانت موضوعة فى ضريح عجل « أبيس » . (راجع Berlin Mus. No. 2127, Ausfuhrliches Verzeichnis der Agyptischen Altertümer und Gipsabgusse im Konigl. Museum zu Berlin 2 aufgabe Berlin 1899 p. 312)

(٦) « منف » (السرابيوم — السنة الثالثة)

يوجد بمتحف « اللوفر » لوحة منقوشة بالديموطيقيه مستخرجة من السرابيوم ، وقد نبه عنها الأثرى « مريت » . (راجع Le Serapeum Edit., Maspero p. 127; Revillout, Not. Pap. Dem. Arch., p. 479

وقد ترجمها الأثرى « ريفيو » . وهذه اللوحة تذكر لنا موت عجل « أبيس » وتضيف الى ذلك أن العجل « أبيس » هذا كان قد انتخب فى السنة الأولى فى ٢٨ برمودة من عهد الملك « نقطانب » الأول على ما يظن . (راجع L.R. IV, p. 184. Note b) .

(٧) « وادى النخل » (السنة السادسة)

عثر على متن قصير مكتوب بالديموطيقية باسم الملك « نقطانب » الأول ونشر الأثرى « كليدا » متنين بالديموطيقية , أرخ كل منهما بالسنة السادسة ويقعان فى « وادى النخل » بالقرب من « تل العمارنة » وقد نشرهما ثانية الأثرى « شبيجلبرج » (راجع J. Cledat, Bull. Inst. Franc. D'Archeol. Orient. II p. 69, et pl. VII No. 27, 29 et 31; Spiegelberg, Rec. Trav. XXVI (1904) p. 159-61)

جاء فيها : فى السنة السادسة ..... قبل « تحوت » العظيم سيد

« الأشمونين » للاله العظيم بوســاطة « أونوفريس » بن ٠٠٠٠٠ ، . والملك المشــار اليه هنا هو « نقطانب » الأول . وكذلك وجد نقش آخــر فى نفس الجهة مؤرخ بالسنة التاسعة (Ibid. pl. VII No. 27) ، ويحتمل أنه لنفس الملك . (راجع Spiegelberg Ibid. p. 161) .

(٨) « محاجر طرة » (السنة الثالثة)

وعثر الأستاذ « شپيجلبرج » على نقش فى محاجر « طرة » مؤرخ بالسنة الثالثة ؟ الشهر ؟ من عهــد الملك « نقطانب » الأول ، عاش مخلدا (راجــع A.S. VI, 1905 p. 219 ff. No. 5/6, 21,25.

(٩) « السرابيــوم » (لوحة مؤرخةبالسنة الثامنة)

وذكر الأثرى « فيدمان » (راجع Wiedemann, Gesch. p. 718) لوحة لم تنشر محفوظة فى متحف « اللوفر » عثر عليها فى سرابيوم « منف » وقد أرخت بالسنة الثامنة من عهد الفرعون « نقطانب » الأول .

(١٠) « الاشمونين » (السنة الثامنة)

لوحة من الحجر الجيرى

وتحتوى على خمســة وثلاثين سطرا ، وتشتمل على تقــرير يتحدث عن مبان وأوقاف فى ثلاثة مواضــع فى « الأشمونين » من السنة الرابعــة حتى السنة الثامنة ، وهى محفوظة الآن بالمتحف المصرى . (راجع Roeder, Hermopolis (1938) und (1939) Mitteilung D. Inst. 9 (1940) p. 78)

انظر الكلام عنها . ص ٢٠٨ الخ ..

(١١) « اهناسيا المدينة » ؟ (السنة الثامنة)

بردية مكتوبة بالديموطيقية مهشمة تماما ، وهى محفوظة الآن بجامعــة « ليل » من أعمال « فرنسا » ، وقد نشرها الأثرى « سوتاس » ، (راجع Sottas papyrus demotiques de Lille. p 49-51, No. 22-24.)

وقد جاء عليها ذكر « سماتوى تفنخت » وهو أحد أفراد أسرة شهيرة ، وجاء فيها ذكر بلدة «اهناسيا المدينة» (وقد عثر عليها فى مدينة «غراب» بالفيوم).

(١٢) « ادفو » (؟)

وجد فى «ادفو» ورقة بالخط الديموطيقى مؤرخة بالسنة الخامسة عشرة، الشهر الثانى ، وتحتوى على عقد زواج . (راجع Junker. pap. Lonsdorfer I) عثر عليها فى جدار مقام باللبنات فى الركن الشمالى من معبد ازيس الكبير وهى محفوظة الآن بالمتحف المصرى .

(١٣) « قفط »

لوحة مؤرخة بالسنة السادسة عشرة من عهد الملك « نقطانب » الأول ، وهذه اللوحة مصنوعة من الحجر الرملى عثر عليها فى خرائب « قفط » ، وهى الآن محفوظة بالمتحف المصرى ، وارتفاعها ٤٢ سنتيمترا وعرضها ٢٠ سنتيمترا، واعلاها مستدير ويشاهد فيه قرص الشمس المجنح • ويلحظ أن الصلين منفصلان من قرص الشمس ويحيطان بطغراء الملك « نقطانب » الأول ، وعلى اليمين نقش « بحدتى » (أى الاله « حور » المنسوب الى « ادفو ») . ويشاهد كذلك فى الجزء الأعلى المستدير تحت قرص الشمس الاله « مين » واقفا ومعه النقش التالى : « الاله « مين » صاحب « قفط » الاله العظيم رب السماء ورب انشراح الصدر » .

وكذلك يشاهد الاله « حور » بن « ازيس » و « أوزير » واقفا برأس صقر ويتقبل ترحاب الملك «نقطانب» الأول معطى الحياة مثل « رع » أبديا . ويلحظ أن هذا الملك يلبس قبعة الحرب واقفا وهو يقدم لهذين الالهين رمز الحقل ومعه المتن التالى : « يقدم لوالده الحقل الذى عمله له معطى الحياة مثل « رع » . »

وفى الجزء الأسفل من اللوحة نقش مؤلف من ثلاثة أسطر أفقية جاء فيها :

« السنة السادسة عشرة من عهد جلالة « حور » قوى الساعد ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «خپر — كا — رع» ابن الشمس «نخت نبف» معطى الحياة . لقد عمل آثارا لوالده « آمون » صاحب « قفط » فبنى له جدارا عمله بالعبيد ؟ حول معبده ، وقد عمله ليعطى الحياة أبديا » . ويقول « ماسبرو » انه رأى بقايا هذا الجدار المقام باللبنات فى الزاوية الجنوبية لمعبد «ازيس» الكبير الذى نظفه فى « قفط » فى الايام الأولى من عام ١٨٨٣م. (راجع A.Z. 23. p. 4-5)

(١٤) « بلوزيوم » (الفرما)

عثر الأثرى « كليدا » على معيار وزن من الجرانيت الأسود فى «بلوزيوم» وجهه الأعلى مقبب ومسطح من أسفل ويبلغ ارتفاعه ١٧٧ ملليمترا وقطره ٣٢ سنتيمترا وقطره الأسفل ٢٧٥ ملليمترا ووزنه الحالى = ٣٢ كيلوجرام . وقد عثر عليه فى خرائب المدينة على سطح الأرض ، وقد نقش عليه متنان بالمصرية القديمة باسم « نقطانب » الأول ، أولهما جاء فيه : « الملك الكامل » رب الأرضين ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « خپر — كا — رع » .

والثانى جاء فيه : « يعيش « حور » القوى الساعد ، السيدتان (المسمى) مثبت الأرضين ، « حور » قاهر « ست » (المسمى) العامل ما تحبه الآلهة ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (المسمى) «خپر — كا — رع» ابن الشمس (المسمى) « نخت نبف » (المسمى) العامل ٠٠٠٠٠ من الذهب الجميل .

راجع , Rec. Trav, 37 p. 33-34) Fig 2-4 Ancient Egypt, 1915. pl., 84
Porter & Moss IV. p. 1)

حيث يقارن هذا الوزن الرومانى Centumpondium وهو يساوى ٣٢ كيلوجراما .

(١٥) « بتوم » (تل المسخوطة)

وجدت قطعة من لوحةصغيرة من الحجر الجيرى الأبيض فى تل المسخوطة وهى محفوظة الآن بمتحف « الاسماعيلية » تحت رقم ٦٨٦ عليها الاسم الحورى للملك « نقطانب » الأول .

(راجع Rec. Trav. 36 p. 109. Comp. Ancient Egypt 1915 p. 28)

(١٦) « بتوم »

عثر كذلك لهذا الفرعون على صناجة وقد جاء عليها : (١) الاله الكامل رب الأرضين ، « خپر — كا — رع » (لقب « نقطانب ») محبوب « حتحور » صاحبة « عنو »[١] ومفكت ••••• فى بيت «قرحت» . (٢) ابن الشمس رب الأرضين « نخت نبف » محبوب « حتحور » صاحبة « عنوت » ••••••• و « آتوم » صاحب « تكن »[٢] (تل المسخوطة) و « ايزيس » سيدة الآلهة

(راجع Rec. Trav. 36. p. 109. No. IV Comp. Ancient Egypt 1915 p. 28)

(١٧) « المنجات الكبرى » الواقعة غربى « القنطرة »

عثر فيها على قطعة من الحجر الرملى صور عليها الملك « نقطانب » الأول والآلهة « بوتو » . (راجع Griffith in Pertie Tanis II, p. 46 pl. XLII)

(١٨) « قنتير » الواقعة شمال « فاقوس »

يوجد فى متحف « ميونيخ » قطعتان من منظر رسمتا بصورة فنية بديعة مما يقدم لنا فكرة عن تقدم الفن فى هذا العهد باسم الملك « نقطانب » الأول . ومما يؤسف له جد الأسف أن كلا منهما لا تحتوى الا على جزء من اسم الملك، غير أن فيهما كل ما هو كاف للدلالة على أنه « نقطانب » الأول « نخت نبف »

(راجع Spiegelberg. A.Z. Band 65 p. 103-104, pl. VI No. e & f)

---

(١) اسم قطر زراعى فى المقاطعة الثامنة من مقاطعات الوجه البحرى التى عاصمتها « بتوم » (تل المسخوطة) وفيها كانت تعبد الآلهة «حتحور» (راجع Dic. Geogr. I p. 144)

(٢) « تكن » الاسم المدنى لعاصمة المقاطعة الثامنة من مقاطعات الوجه البحرى واسمها المقدس هو « برأتم » = « بتوم » وهى موحدة مع « تكو » أى تل المسخوطة الحالى (راجع Dic. Geogr. VI p. 83)

لوحة الملك نقطانب (نخت نبف) الأول

(راجع A. S. LII, p. 375-442)

عثر على هذه اللوحة خلال أعمال الحفائر التى قامت بها البعثة الالمانية عام ١٩٣٩ م. فى « الاشمونين » وهى مصنوعة من الحجر الجيرى الأصفر المائل الى السمرة ، ويبلغ طولها ٢٦ر٢ مترا وعرضها حوالى ١٥ر١ مترا وسمكها حوالى ٥٢ر٠ مترا .

وصف اللوحة : يشمل الجزء الاعلى من هذه اللوحة صورة سماء منحنية تتفق مع شكل اللوحة المستديرة فى أعلاها ويشاهد على يمين ويسار هذه السماء رمز الصولجان « واس » . ورسم فى الجزء الأعلى من هذه اللوحة منظران يرى فوقهما صورة الشمس ترفرف عليهما بجناحيها ويشاهد على كل من جانب قرص الشمس صل ، ويلحظ أن الذى على اليمين يلبس تاج الوجه القبلى والذى على اليسار يرتدى تاج الوجه البحرى وقد نقش أمام كل من الصلين النقش التالى :

« بحدتى » « الاله العظيم ، المبرقش الريش ، رب السماء » . كما نقشت بينهما العبارة التالية : « ليته يعطى الحياة لكل واحد » .

المنظر الذى على اليمين : يشاهد فى هذا المنظر الملك يقدم صورة آلهة العدل للاله « تحوت » وللآلهة « نحمت ــ عاوى » ويلحظ أن الملك الذى يرى وهو يخطو الى الأمام يرتدى قميصا قصيرا ويتدلى من حزامه الذيل التقليدى ويحلى عنقه عقد بسيط ، وعلى رأسه خوذة الحرب محلاة بالصل ، وقد مثل الملك بيديه مرفوعتين ، فى اليسرى صورة رمز العدالة واليمنى ممتدة الى الأمام

نحو «تحوت» ، ونقش فوقه : «الملك الكامل رب الأرضين «خپر-كا-رع» ورب التيجان « ونخت نبف » الممنوح الحياة والسلطان مثل « رع » . » ويحلق فوق رأس الملك صقر منتشر الجناحين ، والجناح الأيسر منتشر الى الأمام والأيمن الى أسفل ، ونقش أمامه « بحدتى الآله العظيم » ، ونقش خلف الملك : « كل الحماية والحياة والسلطان تكون خلفه كما هى خلف « رع » . « ان الأبدية مع كل انشراح القلب سرمديا ملكك » .

ونقش أمام الملك عموديا : « تقديم العدل لربة العدل ومنها يعيش وانه يعطى الملك الحياة » .

أما الاله « تحوت » الذى يشاهد فى الصورة فقد مثل قابضا بيده الممتدة على صولجان الحكم « واس » ويقبض بيده اليسرى المتدلية على رمز الحياة ويلحظ أنه يرتدى قميصا ضيقا وحزاما أملس وذيل ثور ، وكذلك يحلى رقبته عقد بسيط . وعلى رأسه تاج بقرنين فى وسطهما قرص الشمس .

ونقش فوق « تحوت » سطر عمودى جاء فيه : « (١) أعطيك سنى الحياة الأبدية منضمة مع الحياة والسلطان » . (٢) « تحوت » صاحب العظمة المزدوجة رب « الاشمونين » ابن « رع » سيد العدل . (٣) رئيس الآلهة ومن حقق العدالة لتاسوع الآلهة . (٤) الاله العظيم رب السماء » .

ونقش أمام « تحوت » أفقيا : « أعطيك الملك العظيم فى حياة وثبات وسلطان لأجل أن تقيم العدل على هذه الأرض » .

ويقف خلف الاله «تحوت» الآلهة «نحمت — عاوى » تخطو وثيدا بقدمها اليسرى وقد ارتدت على رأسها غطاء غريبا فى بابه .

وقد نقش فوقها ما يأتى : « (١) امنحك قوة « منتو » . » وقوة مثل تلك

التى لابن « ازيس » (٢) « نحمت ـ عاوى » القاطنة فى « الاشمونين » وعين « رع » التى فى جبهته (٣) ورئيسة البيت الذهبى ، الفاخرة المقر ، سيدة السماء ، وسيدة الأرضين التى تمنح الحياة والثبات والسلطان مثل «رع» .

ونقش امامه : « انى امنحك اشراق « رع » فى السماء دون ان يشرق عدوك أبديا » .

ونقش خلف « نحمت ـ عاوى » فى سطر عمودى (ويحتمل ان يكون ذلك كلام « تحوت ») :

كلام : لقد منحتك أن يغسل قلبك (أن يكون فرحا) فى كل الأراضى وذلك لتعيش وتجدد مثل « رع » .

الصورة التى على اليسار : يشاهد فيها الملك يتسلم أعيادا ثلاثينية من « تحوت » ومن الآلهة « نحمت ـ عاوى » ويلحظ ان الملك « نقطانب » يلبس نفس الملابس التى يلبسها فى الصورة التى على اليمين ويقبض بيده اليسرى المتدلية على علامة الحياة ويرفع يده اليمنى ليتسلم من الآله «تحوت» علامة الأعياد الثلاثينية ونقش فوقه : « الاله الكامل رب الأرضين « خپر ـ كا ـ رع » رب التيجان « نخت ـ نبف » معطى الحياة والسلطان مثل «رع» ونقش خلفه فى سطر عمودى نفس الصيغة التى نقشت فى الصورة التى على اليمين .

ونقش امام الصقر الذى يحلق فوق الملك : « بحدتى » الآله العظيم » ويلبس الملك الذى يرى وهو يخطو الى الأمام نفس الملابس التى يلبسها فى المنظر الذى على اليمين . ويقبض بيده اليسرى على جريدة نخل يكتب عليها بقلم فى يده اليمنى السنين . ويشاهد فى الجزء المنحنى من جريدة النخل شريطان يتدلى منهما الردهتان اللتان يتألف منهما رمز العيد الثلاثينى وقد

نقش فوقه فى سطر أفقى : (١) « انى أعطيك عمر « رع » وسنى « آتوم » (٢) « تحوت » المضاعف العظمة سيد « الاشمونين » ورئيس « حرست ؟ » ورئيس (؟) ٠٠٠٠ (٣) والذى يخلق كل ما هو كائن ، الآله العظيم رب السماء

ونقش أمام « تحوت » عموديا ما يأتى : (١) تسلم الأعياد الثلاثيبية التى أعطاها اياك والدك « تحوت » أبديا . (٢) انى أكتب لك أعيادا ثلاثينية مثل (تلك التى للآله « رع ») يابنى المجبوب ان سنيك ملأى بالحياة والثبات والسلطان لجلالتك مع القوة كلها أبديا أبديا » .

وترى الآلهة « نحمت ـ عاوى » وقد صورت بالصورة نفسها التى على اليمين وقد نقش فوقها ما يأتى : (١) انى أعطيك البطش مثل «تحوت» وعمرك مثل عمر « رع » .

ان « نحمت ـ عاوى » التى فى بيت « رع » قوية فى القصر وهى التى تخلق الكائنين والتى تحمى المدينة (؟) سيدة كل الأرضين وربة كل الآلهة » .

ونقش أمامها : « انى أعطيك ملك والدك « رع » بنصر أبدى » .

ونقش خلفها (ويحتمل أن ذلك كلام « تحوت ») :

بيان : « ان مملكة « آتوم » فى ساعدك وعلى رءوس الأراضى الأجنبية كلها دون أن تمد يدك الى كل الأراضى أبديا » .

متن اللوحة :

أ ـ من سطر ١ ـ ٧ ، أول تاريخ ورد على اللوحة هو السنة الرابعة

ونقش تحت هذين المنظرين السالفى الذكر متن مؤلف من خمسة وثلاثين سطرا .

وهاك ترجمتها :

(١) السنة الرابعة الشهر الثانى من فصل الفيضان فى عهد جلالة « حور »

القوى الساعد ملك الوجه القبلي والوجه البحرى، نبتى (العقاب والثعبان)، (المسمى) الذى يزين الأرضين « حور » المسيطر على نوبتى (أى ست) (المسمى) الذى يعمل ما تحبه الآلهة « خبر ــ كا ــ رع » ،ابن « رع » سيد التيجان (المسمى) « نقطانب » الذى يعيش أبديا مثل « رع » المحبوب من ملك الوجه القبلى أبديا ، وملك الوجه البحرى سرمديا رب أرباب « الأشمونين » والقاضى والوزير ورب العدل ؟ « تحوت » المشرف على القردة . ان الاله الكامل يعيش ، ابن « تحوت » نتاج (٢) سيد «الأشمونين» والذى يرشد الأرضين ومن جماله مثل جمال « شو » ابن «رع» ، وانه صورة « رع » الحية التى على الأرض ، نتاج ثور الآلهة ومن رفعه الآله ومن حمله رئيس الملايين (أى الاله « شو » الذى رفعه « رع » ؟) ومن أعطى ..... (٣) ومن أحضر صور آلهة هذه الأرض بوصفه ملك الأرضين والذى ..... بيوت الآله الذى أعطاه « شو » الملك على عرشه فى الجدار الأبيض (منف) الآله الكامل صورة « رع » والبيضة الممتازة لسيد الحياة ، وانه « تحوت » الذى خرج هو من جسمه واله حامى من يجلس على عرشه وكل حياة بجانب الاله فى ..... وعندما يشرق « رع » تأتى الحياة لكل فرد فى مملكته من على كرسى « رع » والذى يعطى للآله أجسامها والتى صورهاالشئت فيها من أجلك (؟) ومن ثم تتبعها كل الناس ، ومن يأتى اليهم بنيل عظيم فى ميعاده ، ...... من رغب ، أن الحياة ..... فى قلب « رع » (٥) ومن قلبه تعرفه بسبب ذلك الآلهة ، ومن ثم يحبون أولاده ومن أعطوه مملكة الأبدية والحكم السرمدى بوصفه ملك الأرضين حاكم الشواطىء لأنه ابن رب الحياة وأنه « تحوت » الذى يحب الآله الكامل (أو الذى سيجعل الاله الكامل يعيش) ، شديد القوى ..... الأقواس التسعة ...... ومن الفزع منه عظيم فى أجسام الذين يجهلون قوته (؟) الملك القوى الذى يضرب عدوه ، العظيم

الاسم، الفاخر اللقب، وانه امير حلو الحب، ومن بنظرته تنهل كل الناس كأنه « رع » عندما يرى مشرقا ، وهو « رع » القدسى الوجه (؟) للملك بوساطة التضرع ٠٠٠٠ جلالته لأجل (؟) روحه ومن يقلع اليه أهل الوجه القبلى وأهل « مصر » السفلى ينحدرون اليه وعلى رءوسهم أشياؤهم الثمينة فى حين أنهم يرجون منه حياتهم . وكان جلالته فى هم (؟) وكان حول «مصر» بمثابة حائط من النحاس (؟) منذ ٠٠٠٠٠ بفضل قيادة الملك « خپر ــ كا ــ رع » الذى يعيش أبديا مثل « رع » .

تعليق : يحتوى هذا الجزء من المتن فقط على تاريخ وهو السنة الرابعة من حكم الملك « نقطانب » كما يحتوى على نعوت عدة لهذا الفرعون وينتهى هذا الجزء كبقية الأجزاء التى تشملها هذه اللوحة باسم الملك ومن ثم يستنبط ان متن اللوحة قد وضع فى صورة شعرية.واهم مايلحظ فى موضوع هـــذه الفقرة أن الملك قد أعاد تماثيل الآلهة الى ماكانت عليه بعد أن كان الفرس قد اتخذ مكانة بارزة بجوار الآله « تحوت » الذى اقيمت اللوحة فى مقاطعته وكذلك الآله « رع » بوصفه الآله المسيطر ، وقد كان يعبد الاله « شو » فى المقاطعة الثانية عشرة من مقاطعات الوجه البحرى .

ب ــ من سطر ٧ ــ ٩ من هذه اللوحة

زيارة القائد « نخت نبف » لمدينة « الأشمونين »
(قبل توليه الملك)

« اتى جلالته الى مدينة « حرست » (٨) زمن الملك الذى كان قبله عندما كان قائدا ، وقد أراد جلالته أن يكون بمثابة المخلص الذى هزم عدوه وقد أراد أن يكون الحاكم الوحيد ٠٠٠٠٠ تل للأرض الخاصة بسكان المدينة ،

وعندما انتصر على الأعداء خلص عظماء المدينة وأحيا صغارها الذين كانوا فى محنة فى زمن الملك الذى كان قبله .

« ابن رع » سيد التيجان « نقطانب » الذى يعيش مثل « رع » .

يفهم من هذه الفقرة أنها تقريز عادى عن حادثة كانت قد وقعت ولم تحمل تاريخها غير أنها لابد كانت قد حدثت قبل التاريخ الذى ذكر فى صدر اللوحة وفى عهد ملك قد حكم من قبل . وكل ما تدل عليه هذه الفقرة انها تحدثنا عن زمن بؤس تحارب المصريون فيه بعضهم مع البعض الآخر ومن المحتمل ان المتن الذى نحن بصدده كتب تخليدا لحادث وقع ولعب فيه « نقطانب » بوصفه قائدا ، دورا بارزا على اعداء مليكه وكان فيه النصر حليفه ومن ثم اراد ان يظهر ما فعله من خير لأهل « الأشمونين » .

وتدل شواهد الأحوال على أن المقاطعة الخامسة عشرة أو على الأقل عاصمتها كانت فى جانب حزب الملك ، ونعرف أن « نقطانب » الذى كان مسقط رأسه « سمنود » قد حارب فيما سبق بقوة من الجنود المرتزقة ملك الفرس لحساب ملوك الأسرة التاسعة والعشرين التى يرجع اصلها الى بلدة « منديس » الواقعة فى شرقى الدلتا .

ج — من سطر ٩ — ١١

« نقطانب » يتسلم الصل الملكى

لقد طلب الى أمه « وسرت » (نحمت — عاوى) عين « رع » ••••• فى المدينة (يقصد هنا « قفط » !) وعندما أصبح ملك الوجه القبلى والوجه البحرى بسنين عدة بوصفه حاكما طيبا لهذه الأرض سار الى المقر الملكى (١٠) و (الملك الحالى ؟) الذى كان فى القصر ثم أصدر منشورا (؟) عن الذى

حدث فيه ولكن بعد أن سمح له والده « تحوت » المزدوج العظمة ورب « الأشمونين » ووالدته « وسرت » (نحمت ــ عاوى) (أن يكون بمثابة ملك للوجه القبلى أبديا وملكا للوجه البحرى سرمديا) . رغب جلالته فى صل على رأسه ؟ وقد خشى قوته الناس فى كل الأراضى وكذلك أقوام الأقواس التسعة .

الملك « خپر ــ كا ــ رع » الذى يعيش أبديا .

تعليق : فى هذه الفقرة لابد أن نذكر أن الالهة «وسرت» قد قامت بعمل طيب للملك وقد حدث ذلك عندما وضعت الصل على جبينه وذلك على غرار ماعملته مع والده « رع » اله الشمس فيما مضى . وهذا الحادث ليس فيه غرابة وذلك لأن كل ملك بوصفه ابن الشمس كان لابد ان يضع على جبينه الصل ليحميه من الأعداء غير أن هــذا الحادث له مدلول خاص وذلك أن « نقطانب » لم يكن من دم ملكى بل كان مجرد جندى وعلى ذلك فان الالهة « نحمت ــ عاوى » هى التى حصلت له على عرش الملك وذلك بوضع الصل على جبينه ، وقد قامت هذه الآلهة بمنحه فضلا خارقا للمألوف كما سيأتى بعد (سطر ١٧) . ومن معنى هاتين الفقرتين نفهم ان الالهة « نحمت ــ عاوى » ومعها الاله « تحوت » والاله « رع » قد قاموا بتتويج « نقطانب » ملــكا على « مصر » فهــل ينبغى أن يكون اعلانه ملكا قد حــدث فى « مصر » الوسطى بقيادة أو بمساعدة مقاطعة « الأرنب » الواقعة فى « مصر » الوسطى ؟ واذا كان الأمر كذلك فانه يكون من المفهوم السبب الذى جعل « نقطانب » يقوم بأعمال البناء الجديدة التى أقامها فى « الأشمونين » وهكذا نرى أن قوة « مصر » العليا بالموازنة مع « مصر » السفلى والأراضى الأجنبية قد انعكست صورتها فى حادثة تاريخية .

د — من سطر ١١ — ١٥

الملك « نقطانب » يقيم معبدا للآلهة

لقد عمله بمثابة أثره لأمه « وسرت » (نحمت — عاوى) العظيمة فى (الحماية ؟) .... فى .... التى حمايتها ؟ المملـكة الخاص بـ ... فى الآلهة ، عين « رع » سيدة السماء وأميرة كل الآلهة ... لـ « رع » لأجل ... والخوف منه (أى « رع ») قد وضع فى الآلهة والناس وقد اقام له (الملك) بيتا فى وسطه قاعة من حجر « قيس » وعمدها (أى عمد الواجهة) من (الحجر الجيرى الأبيض الجميل) وكل واحد منها مزخرف بأربعـة وجوه « حتحور » (موشاة بالذهب) وسقف جميل المنظر ومطعم بكل حجر ثمين ومزخرف بخشب الصنوبر ومطعم بالذهب وواحد ..... طرقه ؟ حول هذه القاعة مغشاة بالذهب ، ومطعمة بكل الأحجار الفاخرة ، رقعتها (رقعة القاعة) مكسوة بالمرمر كأنها الماء .... يقال لها .. ولمعانها مثل الأشـعة (عندما يراها) كل الناس ؟ وقاعة (قاعة عمد) (؟) سقفها من الحجر الجيرى الأبيض وعمد السماء الأربعة .... كشىء جميل مزين بخشب الصنوبر ومغشى بالذهب ومطعم باللازورد (القاشانى الأزرق) والذهب وحجر (ابخا) ؟... وواحدة ... قاعة محراب (؟) من الحجر الجيرى الأبيض ومصراع الباب من خشب الصنوبر (المغشى بالذهب) وكل هذه ... منقوشة (؟)

ب ..... وعمل جلالته حديقة جميلة فى الردهة الأمامية خارج هـــذا البيت وكل شجرة ونخلة تنبت .... وكل نبات يخرج (فيها ؟) ..... هذا البيت هو أفق ربة (زوجة ؟) حاكم القصر ....

(وقد عمل ذلك) أى ابنه المقدس ؟ ابن «نحوت» رب التيجان «نقطانب» (العائش أبـديا) .

تعليق : هذه الفقرة تبتدىء بالصيغة المعتادة الخاصة بالعمارة وهى التى نقرأ فيها تقديم الملك لاله المعبد ثم يتبع ذلك وصف الأجزاء المختلفة للمبنى وقد استعملت فيها بعض التعبيرات التى عرفناها فى مبانحقيقية.وتدلشواهد الأحوال على أن المبنى الذى وصف هنا هو ردهة أمامية أقامها « نقطانب » وقد اقيمت فيها اللوحة التى نحن بصددها ، والواقع ان ما وصف هنا هو معبد له واجهة فيه ردهة تحيطها طرقة ذات عمد ثم قاعة عمد معروشة وعلى حسب ما جاء فى سطر ٢٦ تحتوى على محراب ، ومساحتها ١٥ × ٣٠ مترا على حسب ما جاء فى سطر ٢٣ ، وعلى مقربة من هذا المبنى حديقة فيها أشجار وأزهار ولدينا بناء مشابه لذلك فى القسم المقدس لم يعثر عليه حتى الآن ، ولابد أنه يوجد على مسافة من مكان اللوحة ويحتمل أنه فى الشارع المؤدى الى معبد « فيليپوس Philippos » .

هـ ـ من سطر ١٥ ـ ١٨

الآلهة ينشرح قلبها للبناء الجديد

(ولم يعمل مثيله) منذ الأزل . وهو (أى البيت ؟) على الأرض مثل افق « آمون ــ رع » فى السماء ، وانه (مثل) ارض « بنت » التابعة لها سيدة « حرست » وأنه أفق صل الجبين الخاص بالاله « رع » الذى فيه « ونو » الوجه القبلى . وقد عمل لها مكاناعظيما (محرابا) ٠٠٠٠ وكان قلب « رع » فى فرح عندما نظر ابنته ولأنه عمل ماترغب فيه فى هذا البيت يوميا ولهذا السبب أعطيت اياه مملكة ملك الوجه القبلى . وهذه الآلهة ، كان « رع » و « تحوت » ٠٠٠٠٠ أمامها على حسب ماعمل لها مايحبه قلبها نهارا وليلا . (كما جاء فى سطر ٢١) ويعمل لها فى هذا البيت مايحبه قلبها ٠٠٠٠ فى « حرست » وكل ماخرج (من المعبد) (كانت الآلهة منشرحة به) وكل

ما دخل فى البيت فان قلب الآلهة لا يكون مكتئبا من اجله ، والقربات المختارة التى احضرت تكون مثل التى من « بنت » (وقد عملها) اى الملك « خبر ــ كا ــ رع » الذى يعيش أبديا مثل « رع » .

تعليق : يلحظ ان هذه الفقرة ابتــدأت بجملة تعتبر انها خاتمــة لوصف ماسبق يضاف الى ذلك أن المؤلف لم يقدم لنا أى بيان ملموس وقد ذكر لنا فقط فى سطر ١٦ المحراب ثم يكرر تلميحات عتيقة ذات صبغة اسطوريةخاصة بالأشمونين ثم يتحدث عن ترتيبات لتزيين المعبد . وفى هذه الفقرة تظهر الالهة « وسرت » بوصفها ابنة « رع » الذى يظهرها بوصفه ملكا قويا ، غير أنه لم يأخذ مكانه فى المقدمة هنا وعلى اية حال فان انشاء هذه الفقرة غامضــة المعنى .

و ــ من سطر ١٨ ــ ٢١

الملك « نقطانب » يحبس قرباناً للآلهة

ولقد (جعل اقامة وتجهيز) هذا البيت بــ ••••• واتى جلالته حول (؟) •••• وجلالة هذه الالهة أدخلت بيتها الذى بناه لها ولم يعمل له مثيل فى الأزل وقد قرب قربانا عظيما من الخبز والجعة والثيران والعجول والأوز والخمر والسدر وكل الأشياء الجميلة ••• (وسكان « الأشمونين » يهللون) ••••• بأزهار السوسن عندما كان الاكليل على رءوسهم ، الرجال مثل النساء ، وصوت تهليل هذه المدينة وصــل الى السماء فى حين أن نســاء « الأشمونين » (؟) كن عطشى الى ••••• الذى خرج من « رع » ••••• آلهة ••••• التى كانت تتعطش الى جمال ••••• (جماع ؟) وقد عظمت ؟ ما كان قد حدث ؟•••• لأجلها رجالا ونساء لتجعل قلبها يتهلل كل يوم وكل ليلة وان « نحمت ــ عاوى » المحبوبة من « تحوت » والالهة « نويت » فى

انشراح من أجل ذلك الذى قد عمل لها وهو الذى عمله ابنها والذى تحبه وهو ابن الاله « تحوت » .

« رب التيجان « نقطانب » العائش معافى وصحيحا مثل « رع » أبديا »

تعليق : تعود بداية هذه الفقرة الى ماجاء فى السطر الحادى عشر بمثابة تكملة ويستمر الكلام على انه تفصيل للقربات التى اهديت للمعبد اماعن المعبد نفسه فلم يذكر لنا عنه أية معلومات اللهم الا عن القربات التى كانت لا بد أن تقدم للالهة وسكان المعبد قد غمرهم السرور من أجل الهدبة الملكية حتى أن أصوات التهليل قد ارتفعت الى عنان السماء وقد عبر الآلهة عن سرورهم وبخاصة الالهة « نحمت — عاوى » بوصفها سيدة المعبد .

ز — الأسطر ٢١ — ٢٢

الآلهة تبرهن للملك على شكرها

لقد نجت جلالته أمام ضربات أعدائه .

ولقد أعطته عمر « رع » فى السماء .

ومملكة « شو » فى مقاطعة « الجدار الأبيض »

وستضع سيدة القوة على جبينه « الصل الملكى »

وترغب فى أن يكون جلالته حيا ثابتا قـويا وسيفه على كل الأراضى الأجنبية أبديا .

ملك الوجه القبلى والوجه البحرى الذى يعيش مثل « رع » .

التعليق : هذه الفقرة تحتوى على أنشودة نطقت بها الالهة « وسرت » وتنتهى برغبة تريد تحقيقها للملك . والواقع أنها فيما سبق قـد نجته من

أعدائه ومن ثم كان عليها أن تحميه بعد ذلك وتمنحه حكما سعيدا وتهبه عمر الاله « رع » أى الخلود . أما منحها اياه مملكة الاله « شو » فان ذلك يشير الى « سمنود » مسقط رأس الملك « تقطانب » وهى فى المقاطعة الثانية عشرة من مقاطعات الوجه البحرى (أنظر كتاب أقسام مصر الجغرافية فى العهد الفرعونى ص ٨٢) . أما « منف » فهى البلدة التى توجفيها ، وأما مافعله الملك للآلهة فى مقابل ذلك فهو ماقدمه لها من إقامة معبد ومده بالقربات

ح — من سطر ٢٢ — ٢٥

كان المعبد مقر راحة المعبود

لقد بنى ما وجده متهدما بالحجر الجيرى الأبيض الجميل .

ومصراعا بابه من خشب الأرز المصفح بالبرنز وطوله ستون ذراعا وعرضه ثلاثون ذراعا .

وهو مكان راحة لأمه « وسرت » « نحمت — عاوى » وقد سمى بيت « الأشمونين » وبيت « الذهبية » .

وثمانى الصناجات الخاصة بالالهة « حتحور » موجودة فيــه وهو محط ثمانية الآلهة الأزلية .

وأنه المكان الذى وجد فيه « رع » عندما صعد فى سلام .

والماء العظيم الخاص بجزيرة اللهيب قد عمل مارغب فيه .

وذلك عندما كان جلالته أى « رع » طفلا جميلا وفى حين أن تاسوعه كان خلفه وآلهة التل الأزلى والالهة « نيت » ، بقرة السماء العظيمة التى حلت فى « رع » وتاسوع الالهه العظيم الذى فى «الأشمونين» يرغبون لابنك الذى

تحبينه أن يمنح الحياة والثبات والقوة وهو ابن « تحوت »

رب التيجان « تقطانب » الذى يعيش أبديا وهو الذى لمع بوصفه ملكا على عرش « حور » وبوصفه أول الأحياء أبديا .

تعليق : تبتدىء هذه الفقرة بوصفها تقريرا حقيقيا يصف البناء ثم ينتقل مباشرة الى تمييز هذا المعبد وعلاقته بالآلهة الأزلية ، وقد وصفه بأنه يكاد يكون فيه التل الأزلى وجزيرة اللهيب فى بحر المدى الذى أشرقت منه الشمس للمرة الأولى ، غير أن هذا المكان المقدس ليس فيه هذه الأشياء بل ماذكره عبارة عن تشبيه ثم يذكر لنا بعد ذلك الاله « رع » فى بادىء أمره عندما كان طفلا وخلفه تاسوعه وذكر التل الأزلى والآلهة «نيت» التى يصفها أنها بقرة السماء التى تحمل فى « رع » كل يوم غير أن كل ذلك لا يتفق مع ماجاء فى ثامون الآلهة « تحوت » فى « الأشمونين » وخلق العالم الذى يتلخص فى أن الشمس فى الأزل قد خرجت من زهرة بشنين من التل الأزلى فى حضرة ثمانية الآلهة الذين يتمثلون فى أربعة ضفادع ذكور وأربع ثعابين أناث .

ط — من سطر ٢٥ — ٢٦

الملك يريد إعلان الانتهاء من بناء هذا المعبد

لقد أتى انسان لجلالته يقول :

« ان بيت والدتك « وسرت » « نحمت — عاوى » قد تم .

وصار ثابتا وقويا مثل السماء .

وأعمدة من الحجر الجيرى الأبيض كانت أمام هذا البيت .

وكل واحد منها له أربعة أوجه مثل « حتحور » ومصفح بالذهب .

رؤيتها جميلة وله سقف (بكل) حجر ثمين (أى مطعم بكل حجر ثمين) .

وفى وسطه مكان عظيم مصفح بالذهب من الداخل ومصراعا بابه (المصفحة أركانه) كانتا من الذهب وقد نقش عليهما اسم جلالته العظيم .

لم يعمل مثله فى الأزمان العتيقة .

وقد مده جلالته (أى المكان) بما يلزم من الذهب والفضة وكل الأحجار الكريمة .

وكل الأشياء الجميلة .

وقد سر جلالته لذلك أكثر مما عمل من قبل .

تعليق : بهذه الفقرة ينتهى تاريخ البناء ولا بد أن نفهم هنا أن ما ذكر من سطر ١١ الى سطر ٢٥ يقص علينا حوادث وقعت فى الماضى وعلى ذلك لاينبغى علينا لهذا السبب أن نعدها شيئا سيقع فى المستقبل .

ى — من سطر ٢٦ — ٢٨

السنة الثامنة — الآلهة تسير إلى المعبد

السنة الثامنة الشهر الثانى من فصل الفيضان . ان جلالة هذه الآلهة دخلت بيتها .

وقد قدم جلالته قربانا كبيرا من كل شىء جميل لروحها .

وجلالتها كانت مشتاقة الى جمال الملك .

وقلبها هلل بما فعله جلالته لها .

وكل رجل فى المدينة « الأشمونين » (احترم) صورة أول سيد (أى « رع ») . وشكر الملك من القلب

حتى أن صوت التهليل وصل الى عنان السماء .

وفرحت كل المدينة لهذا العمل .

الذى عمله جلالته لوالدته « وسرت — نجمت — عاوى » .

وتاسوع الآلهة العظيم الذى فى « ونو » الجنوبية .

قد أقاموا أعيادا ثلاثينية جديدة .

للملك « خپر — كا — رع » الذى يعيش مثل « رع » أبديا

تعليق : يفهم من هذه الفقرة أن البناء أو المعبد قد تم بناؤه فى أربعة أعوام وأخذت الآلهة مكانها فيه فى فرح وسرور وأعياد اشتركت فيها الآلهة وهذا المتن يذكرنا باللوحات التى أقامها الملك « تهرقا » تخليدا لاقامة معبده فى بلاد النوبة للاله « آمون » فقد استمر بناؤها عدة سنين قبل أن يحتله الاله « آمون » وقد أقيم له الاحتفال بافتتاحه بعد اتمامه .

ك — من سطر ٢٨ — ٢٩

الملك نقطانب الأول يحبس أوقافاً على ثمانية الآلهة « ثامون الأشمونين »

لقد أمر جلالته أن يستقر الآلهة الثمانية وهم عظماء الزمن الأزلى الأولى فى بيتهم العتيق حتى يستريحوا فيه وقد جهزه بحاجياته من الذهب والفضة وكل الأحجار الثمينة وقد عمل قربانا عظيما من كل شىء جميل لأجل أن تفرح أرواحهم ، وكل الناس فى المدينة (الأشمونين) كانوا فى اغتباط ورجوا الصحة لجلالته من أرواحهم وطلبوا للملك أن يكافأ بالقوة والنصر لأجل أن يكون جلالته فى حياة وثبات وقوة مثل « رع » أبديا .

تعليق : تتضمن هذه الفقرة أمر الملك بحبس أرزاق على ثامون بلدة « الأشمونين » وهم الآلهة المحليون وعلى رأسهم « آمون » وقد أمر بأن

ببقوا فى معبدهم الأصلى وذلك لأجل أن ينال الملك رضاهم ورضاء أهل « الأشمونين » الذين كانوا يقدسونهم .

ل — من سطر ٢٩ — ٣١

الملك « نقطانب » يضع الحجر الأساسى لمعبد جديد للإله « تحوت »

السنة الثامنة الشهر الثالث من فصل الشتاء (٣٠) لقد أقام جلالته بيت والده « تحوت » المزدوج العظمة رب « الأشمونين » والاله العظيم الخارج من أنف « رع » والواجد جماله ، من الحجر الجيرى الأبيض الجميل ورقعته من حجر « قيس » وطوله ٢٢٠ ذراعا وعرضه ١١٠ ذراعا بصناعة ممتازة أبدية لم يعمل مثيله منذ الأزمان الأزلية وقد بدأ جلالته يعمل فيه ليل نهار وقد أتمه فى انشراح . وعندما رأى والده « تحوت » يستقر فيه فان جلالته كان فى حياة وثبات وقوة سرمديا . ولقد زاد فى قربان الاله أكثر ماكانت عليه من قبل ، وقد منح جلالته هبة للكهنة ، والكهنة المطهرين عند اتمام كل عمل أنجزوه فى « حرست » .

تعليق: تتضمن هذه الفقرة سرد عمل ثالث جديد قام به الملك « نقطانب » من أجل « الأشمونين » وذلك بتاريخ جديد جاء بعد دخول الآلهة « وسرت » معبدها بخمسة أشهر . وهذا آخر تاريخ نقش على اللوحة التى نحن بصددها، ولا بد أنها أقيمت بعد ذلك بمدة قصيرة أى حوالى ٣٧٠ ق.م. ولا نزاع فى أن وضع الحجر الأساسى لهذا المعبد كان موضع القيام باحتفالات عظيمة أقيم مثلها كثيرا منذ الدولة القديمة .

م — من سطر ٣٢ — ٣٣

صلاة من أجل « نقطانب » لآلهة « الأشمونين »

« تحوت » المزدوج العظمة رب « الأشمونين » وسيد كلمة الاله و «رع» الذى خرج من بحر جزيرة اللهيب وثمانية الآلهة عظماء الزمن الأزلى الأول و « نحمت — عاوى » فى المعبد وأقدم من فى البيت العظيم (القصر) .

والآلهة « نيت » البقرة «اهت» العظيمةالتىولدت«رع»، والتاسوع العظيم الذى يسكن فى كل « الأشمونين » ليتهم يهبون أعيادا ثلاثينية عدة والمملكة الأبدية والحكم السرمدى لابنهم الذى يحبونه وهو الملك « نقطانب » الذى يكون مثل « رع » عائشا ومعافى وصحيحا لأجل أن تغنى « مصر » لجلالته ولأجل ان تصبح كل الأراضى الأجنبية تحت قدميه أبد الآبدين .

هذه الفقرة تتضمن دعاء للملك ولبلاده حتى يسود العالم بحكمه السعيد .

ن — من سطر ٣٣ — ٣٤

الملك « نقطانب » يأمر بإقامة هذه اللوحة

وعندئذ قال جلالته ليت هذا يقام بمثابة حجر تذكارى يوضع فى بيت الاله والدى « تحوت » المزدوج العظمة رب «الاشمونين» وليته يذكر اسمى الجميل حتى فى الأبدية .

تعليق : هذه الفقرة تشمل أمرا مباشرا باقامة هذه اللوحة

ص — من سطر ٣٤ — ٣٥

الآله تحوت وآلهة الأشمونين يشكرون الملك

ان كل جماعة آلهة « الأشمونين » قاطبة يقولون لابنهم الذى يحبونه وهو الملك « خبر — كا — رع » العائش مثل « رع » « نقطانب » والمكافأ مثل « رع » أبديا بالحياة والصحة والعافية :

والدك « تحوت » يذكر جمالك فى بيته نهارا وليلا وانه نفســـه ونحن كذلك نصد كل الأعداء عن جلالتك بنصر ، وان « مصر » العليا أقوى من « مصر » السفلى وكل الأراضى الأجنبية قاطبة لاشك تلمع فيها بكل حياة وثبات وقوة وكل صحة وكل فرح بوصفك ملكا على عرش « حور » أول الأحياء مثل « رع » أبديا وسرمديا .

تعليق: فى هذه الفترة تتجمع آلهة « الأشمونين » لتخبر «نقطانب» أنهم قد أتوا لنجدته على أعدائه الأجانب ولا غرابة فى ذلك فان « نقطانب » فى هذه الفترة من حياته كان فى حاجة لنصرة الآلهة له ، وبعبارة أخرى الكهنة والشعب ليصد العدو الأكبر لمصر وهو ملك الفرس .

الحوادث التاريخية التى يمكن استخلاصها من متن هذه اللوحة

لابد لنا للتعرف على الأساس السياسى الذى بنى عليه متن هذه اللوحة التى نحن بصددها أن نصل الى حقيقة الحوادث التى وقعت فى هـــذا العهد والتى لم تذكر فى هذه اللوحة .

والواقع أنه فى ذلك العهد كان الملك العظيم عاهل الفرس يسعى دائما الى مد سلطانه على بلاد « مصر » وذلك على الرغم من أنه كان يوجد أمير مصرى يسيطر على البلاد بوصفه ملك الوجه القبلى والوجه البحرى . وهـــذا الملك كان فى يده قوة فعلية لا فى الدلتا وحسب — وهى مسقط رأسه — بل كان

يمتد سلطانه على الوجه القبلى أيضا . وكانت سنى الحكم فى البلاد تؤرخ باسمه . وتدل شواهد الأحوال على أن كل الحوادث التى ذكرت على اللوحة تقع فى عهد ملك الفرس المسمى «ارتكزركزس» الثالث المسمى « منمون » الذى حكم من عام ٤٠٥ق.م. الى عام ٣٦٢ ق.م ، وفى مدة حكمه ظهر « نقطانب » قائدا فى « الأشمونين » ، ويحتمل أن ذلك كان فى عهد الملك «اوكوريس» الذى حكم فى عهد الأسرة التاسعة والعشرين حوالى ٣٩٣—٣٨٠ ق.م .. ثم حكم بعده « نقطانب » بمفرده البلاد (٣٧٨—٣٦١ق.م.) وذلك بعد حكم ملكين نكرتين .

وقد تحاشى مؤلف هذا المتن أن يشير صراحة الى الحوادث التاريخية العالمية التى وقعت فى زمنه بل على العكس قد سكت سكوتا تاما عن ذكر أى شىء عن الملك العظيم عاهل الفرس ودولته العالمية . أما ما جاء عن ذكر البلاد الأجنبية فى اللوحة فان ذلك لايخرج عن كونه ضربا من التقليد الأدبى المتوارث . يضاف الى ذلك أن المسألة الوطنية الكبرى التى شغلت بال المصريين خلال القرن الرابع واعنى بذلك تحرير « مصر » من ربقة العبودية الفارسية لم يشر اليها الا من بعيد جدا لدرجة أنه لايكاد الانسان يشعر بها الا من بين السطور .

والواقع أننا نجد فى الصورتين اللتين مثلتا فى أعلى هذه اللوحة أن الاله « تحوت » قد وعد الملك أن يجعل قلبه فرحا فى كل الأراضى ، وأن يده لن تصد فى كل الأراضى ؛ ويقصد بذلك بما أن مملكة « آتوم » قد امتدت فوق رءوس كل الأراضى الأجنبية فان الآلهة « نحمت ــ عاوى » ستجعل سيف جلالته أبديا على كل الأراضى الأجنبية ، وان كل آلهة « الأشمونين » ستحميه وأن كل البلاد الأجنبية ستكون تحت قدميه .

وهذه الوعود التى نجدها فى متن هذه اللوحةليست الا من عمل الفرعون الذى لم يكن قد قام بحروب خارجية بعد ، ومن ثم يمكن الانسان أن يشك اذا كانت هناك فى الواقع ثورة داخلية قد حدثت ، وعلى ذلك سنبقى فى شك اذا كان المقصود هنا حربا داخلية أو حربا خارجية على الأعداء عندما أعلنت الالهة « نحمت — عاوى » فى فقرة : « أن أعداءك لن يظهروا عليك أبديا » . وفى مكان آخر تقول (سطر ٢١) « ان جلالتك ستنجو من ضربة أعدائك » . والواقع أن الأعداء الذين فى داخل البلاد كانوا هم المقصودين فى وصف الحرب التى شنها القائد « نقطانب » فى « الأشمونين » . ويفهم هذا كذلك عندما يوصف « نقطانب » بأنه : « الملك القوى الذى يطرح عدوه أرضا » (سطر ١٦) ، ولكن مع ذلك فانا لازلنا فى شك من معنى وعد تاسوع «الأشمونين» للملك، فقد وعدوه بطرد أعدائه .

والبيـــانات الهامة التى نجـدها فى هذه اللوحـة من حيث الحوادث التاريخية هى الآتية :

كان « نقطانب » قبل اعتلائه العرش قائدا أرسل الى بلدة «الأشمونين» ليقضى على ثورة قامت فى عهد الملك الذى كان قبله . ولدينا الحرية أن نضع هذا الحادث فى عهد أى ملك من الأسرة التاسعة والعشرين ، ويجب أن تكون هنا ثورة قامت فى الوجه القبلى على أمراء الدلتا انتهت بتنصيب « نقطانب » ملكا ، وقد كان من جراء ذلك قيام حزب فى « الأشمونين » يحتمل انه كان متصلا بمقاطعات أخرى فى « مصر » الوسطى وكان هواه مع ملوك الدلتا . ويمكن أن نعد من حزب الملك أو الموالين له على الأقل — على حسب ما نشاهد فى انتصار القائد « نقطانب » — كهنة معبد الاله «تحوت» فى « الأشمونين » .

وقد كان « نقطانب » ابن أمير مقاطعة يدعى «زدحور» ويحتمل أن تكون

هذه المقاطعة هى « سمنود » (أى المقاطعة الثانية عشرة) التى تعد مسقط رأس « نقطانب » . ونحن نعلم ذلك من التابوت رقم ٧ الذى ينسب للقائد « نقطانب » ابن ابن أخ للملك ، وهو الذى عين أمير مقاطعة عند حدود الدلتا ويحتمل أن ذلك حدث بعد عام ٣٤٠ ق.م. فى خلال الاحتلال الفارسى الثانى . والربط بين الجمل التى جاءت فى الأسطر ٧ — ٩ مع ما جاء فى السطر العاشر والسطر السابع عشر وأخيرا السطر الخامس والثلاثين تجعل الغرض ظاهرا وهو أن مقاطعة « الأرنب » قد ساعدت فى تنصيب « نقطانب » ملكا . وهذا بلا شك بالتحالف مع المقاطعات الأخرى التابعة لمصر الوسطى . وقد ساعد ذلك على ابعاد الجيش الفارسى الذى كان ينتظر قيام ثورة ناجحة فى داخل البلاد .

وقد عزى تنصيب القائد « نقطانب » ملكا على الوجه البحرى والوجه القبلى كما جاء فى اللوحة (سطر ٩—١١) للالهة « وسرت — نحمت — عاوى » ، فهى التى وضعت الصل على جبينه . وقد حدث التتويج فى عام ٣٧٨ ق.م . بطريقة عادية فى المقاطعة الأولى من مقاطعات الدلتا « منف » (أنظر الأسطر ٣ ، ٢٢) ولكن كان المتوج الحقيقى للملك على مملكته هو الاله «شو» وذلك لأنه اله «سمنود» مسقط رأس «نقطانب» فى المقاطعة الثانية عشرة من مقاطعات الدلتا .

وفى السنة الرابعة (أى حوالى ٣٧٤ ق.م.) فى الشهر الثانى من فصل الفيضان تدل شواهد الأحوال على أن حادثا خارجيا — ويحتمل أن يكون واجبا عليه بسبب ارتقائه العرش — قد حث الفرعون على أن يضع تصميم معبد للاله « وسرت نحمت عاوى » فى « الأشمونين » (السطر ١١ — ١٥) وقد أقيم البناء ، وتم ، وقد ميزه الفرعون بأن حبس عليه الأوقاف من ماله الخاص فى البلاط الملكى (الاسطر ٢٥ — ٦٢) سارت الآلهة الى البناء الجديد

أى أنه رتب رواتب للكهنة (كما جاء فى سطر ١٥ ، سطر ٢٥) .
فى موكب حافل بين تهليل أهالى « الأشمونين » (الأسطر ٢٦ — ٢٨) .

ولم يكن الملك نفسه حاضرا ، غير أنه انتهز سنوح هذه الفرصة والافادة منها بزيادة دخل معبد الثامون الأشمونى (الأسطر ٢٨ — ٢٩) .
وفى السنة الثامنة (حوالى ٣٧٠ق.م.) فى الشهر الثانى من فصل الفيضان أى بعد مضى أربع سنوات بالضبط على التاريخ الأول من اعلان اتمام البناء

وبعد مضى حوالى خمسة أشهر على هذا التاريخ الأخير أى فى الشهر الثالث من فصل الشتاء من نفس السنة وهب الفرعون هبة للأشمونين ، وذلك أنه أمر بعمل توسيع كبير فى معبد الاله « تحوت » (الأسطر ٢٩—٣١) ، وقد كان لابد أن يبدأ فى العمل الذى وضع تصميمه بسرعة كما يحدثنا بذلك المتن .

هذا ولا ينبغى لنا أن نعيد بناء تاريخ هذا العهد من هذه البيانات الضئيلة التى فى هذه اللوحة ، ومع ذلك فانى سأقدم فى القائمة التالية الحوادث التى وصفناها ووضعت فيها عهد حكم الملوك ووضعت فيها عمرا للافراد على فرض أن كل فرد عاش ستين عاما وأن ابنه الذى ولد له كان فى السنة الخامسة والعشرين من سنى حياته. وعلى ذلك فان كل التواريخ المقدرة هنا قد تحتوى على خطأ قد يبلغ عشر سنوات على وجه التقريب .

الفرس الملك العظيم	مصر الفرعون	الكاهن الأكبر للأشمونين عمره	أفراد آخرون غير الكهنة عمر
٤٢٤ - ٤٠٥ ق.م. «دارا» الثانى ناتوى	الأسرة ٢٨ «سايس» (المقاطعة) «آمون» أرداس	٤٢٠ - ٣٦٠ ق.م. «زذتحوتف عنخ» الأول كان فى وظيفته فى عهد «نخت نبف»	٤٤٦—٣٨٦ ق.م. «زد حور» أمير مقاطعة «سمنود»
٤٠٥ – ٣٦٢ ق.م. ارتكزركزس «الثانى» منمون	الأسرة ٢٩ «منديس» (المقاطعة ١٦) ٣٩٨ – ٣٩٣ ق .م. نف — عا — رود «نفريتس» الأول ٣٩٣—٣٨٠ ق.م الملك «هجر» (أوكوريس) ٣٨٠ باسموت (بساموتيس) ٣٧٩ «نف ـ عا ـ رود» «نفريتس» الثانى الأسرة ٣٠ «سمنود» المقاطعة ١٢	٣٩٥—٣٤٥ ق.م. نس — شو مدة عمله فى عهد نخت ـ حور ـ حب	ابنه : القائد «نخت نبف» ولد فى عام ٤٢١ ق.م. فى «سمنود» وتولى الملك فى عام ٣٧٨ ق م ٣٨٠—٣٢٠ ق.م. الحفيد الثانى لزدحر القائد «نخت ـ نبف» أمير مقاطعة «ثارو» (تل أبو ضبعة الحالى) بعد ٣٤٠ تقريباً على حسب ما جاء على التابوت رقم ٧ ببرلين
٣٦٢—٣٣٨ ق.م.	٣٧٨—٣٦١ ق.م.	٣٧٠ – ٣٤٠ ق م.	الحوادث فى «الأشمونين»

الفرس الملك العظيم	مصر الفرعون	الكاهن الأكبر فى الأشمونين عمره	أفراد آخرون غير الكهنة عمر
«ارتكزركزس» الثالث أوكوس	«نخت نبف» «نقطانب الأول ٣٦٠—٣٥٩ ق م. «زد حور» «تيوس تاخوس» ٣٥٩—٣٤١ ق م. نخت حرحبت «نقطانب» الثانى	«زدتحوتفعنخ» الثانى فى عهد «نخت حرحب»	٣٧٤— ٣٧٠ ق م. إقامة اللوحة
٣٤٢ ثم «مصر» تعود إلى الحكم الفارسى ثانية ٣٣٨—٣٣٦ ق.م. المستشار «باغوص» مصرى ٣٣٦—٣٣٠ ق م «دارا» الثالث كوداماتيس	خباباش (نوبى) ؟	٣٤٠ ٢٨٠ ق.م. «زد حور» ٣٣٥—٣٢٠ ق.م. تحوت رخ	حوالى ٣٤٠ — ٣٣٤ ق.م. حياة «بتوزريس»
٣٣٠ (الإسكندر الأكبر) تغلب على الفرس	المقدونيون : ٢٣٢—٣٢٣ ق م. «الاسكندر» الأول ٣٢٣—٣١٧ ق م.		

أفراد آخرون غير كهنة عمره	الكاهن الأكبر في الأشمونين عمره	مصر الفرعون	الفرس الملك العظيم
		«فيليب أرخيدايوس» ٣١٧—٣١١ ق م. «الأسكندر الثانى» ٣١١—٢٨٥ ق.م. «بطليموس الأول» (سوتر) ٢٨٥—٢٤٦ ق م. «بطليموس» الثانى «فيلادلف»	

(١٩) « صفط الحناء »

ناووس من الجرانيت الأسود

من أهم الآثار التى عثر عليها فى «صفط الحناء» ناووس للملك «نقطانب» الأول وقد كتب عنه جمع غفير من الأثريين منذ العثور على قطعه (راجع
Brugsch, A.Z. 19(1881) p. 15-18; Naville, Goscher, p. 2-3, 6-13 pl. 1' VII; Roeder. Cat. Gen. Naos, p. 58-99 & 33 b; Comp. Schott. Mitt. D. Inst. 2/1931, p. 54-56 & pl. X)

عثر بعض الفلاحين فى أثناء أعمال الفلاحة على هذا الأثر الفاخر فى هذه الجهة وقد سمع به أحد الباشوات القاطنين فى هذه المنطقة وأمر على الفور بتسليمه اياه ظنا منه أنه يحتوى فى ثناياه على ذهب . وقد حمل هذا الباشا قطعتين من هذا الأثر الى عزبته، وقد بقيتا هناك حتى حملتا الى متحف «بولاق» وقتئذ . وقد بنيت عدة قطع من هذا الناووس فى القناطر التابعة لصفط الحناء وذلك بعد أن محيت أوجهها المنقوشة ؛ وقد قام الأثرى « نافيل » بجمع هذه القطع بالاضافة الى القطع الأخرى التى عثر عليها فى أثناء الحفائر التى قام بها فى هذه الجهة وركبها على بعضها البعض غير أنه ينقصه قطع عدة .

وكان الناووس يتألف من قطعة واحدة ويبلغ سمكه ست أقدام وثمان بوصات ونصف بوصة وعرضه ست بوصات. أما ارتفاعه فلا يمكن تحديده بالضبط ، غير أنه لا يمكن أن يكون أقل من سبع أقدام وثلاث بوصات على حسب رأى « نافيل » . ولم يبق شىء من سقف هذا الناووس .

وهاك بعض النقوش التى على الجزء الباقى من هذا الناووس :

الواجهة الأمامية : نجد على هـذا الجزء اسم « نقطانب » مكررا ثلاث مرات ومسبوقا بأحد النعوت الثلاثة التى توجد مجتمعة فى لقبه فقد قيل عنه انه يحب الاله المحلى «سبد» رب الغرب ، وروح الشرق ، و «حور» الشرق .

وفوق هذه النعوت الأناشيد التى كان ينشدها الملك متحدثا كالاله «تحوت» للذى تنسب اليه هذه الأناشيد .(راجع Saft El-Hennah etc. p. 6 & pl. 1)

وهاك الترجمة للأسطر الأفقية العليا : « الحمد لسبد من الاله الكامل رب الأرضين « خپر — كا — رع » بن «رع» رب التيجان •••• عمل بوساطة) « تحوت » نفسه فى الزمن الأزلى تعبدا لهذا الاله الفاخر . »

ونقش عموديا تحت ذلك تسعة أسطر منها أربعة أمام الملك ومن سطر ٥ الى سطر ٨ فوقه وسطر ٩ خلفه :

وهاك ترجمة ماتبقى منها :

(١) • • • • • • فى بيته • • • • • • على أعدائه . مرتين . وقد أتى وقتل « أبو فيس » ، وافتتح السنة الجديدة ، والآلهة والآلهات فى فرح وتهليل فى مكانه العظيم (محرابه) لأنه غل العدو بأجنحته .

(٢) • • • • • • والصقر المقدس . وأرض الشرق فى انشراح ، وقد ذبح أعداءه (ربما كان المقصود هنا «رع») والغرب قد أصبح فى سرور ، وعندما صعدت هذه الروح الى أفقها قطعت أعداءها اربا . وقد اخترق السماء فى ريح رخاء ووصل الى الغرب الجميل وفرح أهل الغرب برؤيته .

(٣) وعندما اقترب منهم كانت أجسامهم مبتهجة لرؤيته تأمل ! تأمل ! انه على أفواههم ولم يكن فى مقدور واحد منهم أن يستيقظ ، بل كانت أجسامهم ممتدة أمامه وأنه هو الواحد الأحد الذى سيختار اين سيقترب من جبل «باخو» (الجبل الذى تغرب فيه الشمس فى الصحراء الغربية)

(٤) وعندما يشرق على الجبل تهلل كل ذوات الأربع التى فى البلاد له ، واشعته وبهجته فى وجوههم ، وانه يجلب النهار عندما تمر الساعة الخفية

فى « نوت » (الهة السماء) والنجوم السيارة والنجوم الثابتة (القطبيه) دون أن يحدث له تعب . و «حور» قوى الساعد يحمل فى يده الحربة ويذبح «عبب»(ابو فيس) (٥) أمام قاربه (أى قارب «رع») ويمسك «حور»بالدفة لأجل أن يدير القارب الكبير . والآلهة « سشات » الجبارة ربة الكتابة تنطق صيغها المقدسة فى سفينته المقدسة . ولقد أتى « رع » وضرب أعداءه فى صورته « اختى » (اله فى صورة « بس » بوصفه حاميا للأطفال المولودة حديثا) وانه يجعل جسمه يزيد باسمه « حورسبد » وانه يكمله فى الوقت المعين باسمه « ماحس » (اسم اله) وانه هو نفسه يمده بأعضائه باسمه (٧) « حور الشرق » . وقد ضربهم (أعداءه) بالحرارة التى فى جسمه باسمه « حور » قوى الساعد ؛ وقد اخترقهم بضربة واحدة ؛ (وأجسامهم) القى بها فى الشرق والغرب وقضى عليهم (٨) على جبل الشرق وأعضاؤهم التهمتها النار . ويحس « رع » الريح الطيبة كل يوم باسمه « حور » المنتصر . وانه يكون ممتازا كل يوم باسمه « حورسبد » . مرحبا بك الى حدود السماء يا سيد « حرمخيس » الذى فى . . . . . (٩) . . . . . . والآلهة والآلهات . . . . من الفرح كل يوم قد اجتمع السرور والانشراح ؛ روح الشرق ؛ وصقر الشرق الذى هو « رع » فى الغرب ؛ وانه يخترق السماء هو نفسه . . . . على شرق سفينته كل يوم » .

وهذه الأنشودة كانت أول متن يعترض عين الناظر الى الناووس ، ونجد فيها التكرارات العادية جدا التى نجدها فى المتون الدينية مما يجعلها فى أغلب الأحيان مملة للقارىء ؛ وفيها نجد كثيرا من التورية فى الألفاظ وكانت هذه التورية محببة للمصرى ؛ غير أنه لايمكن اظهارها فى الترجمة .

واهم ميزة للاله « حور سبد » ابرزها مؤلف الأنشودة هى حبه للحرب فهو اله محارب وسنرى ذلك عندما نبحث الأشكال الخاصة التى اتخذها لنفسه . وسننتقل الآن الى بعض المتون التى على الجوانب الأخرى وسنبدأ

بالمتون التى كتبت بحروف كبيرة وهى نقوش الاهداء .

فيشاهد على الجانب الأيسر (راجع The Shrine of Saft El-Hennah and the Land of Goschen, Edward Naville p. 7 & pl. II.) متن ذكر فيه الأحوال التى أقيم فيها هذا الناووس للاله .

(١) الاله الكامل عظيم البطش قوى الساعد ، الذى يصد البلاد الأجنبية ، والبارع فى النصيحة ومن يحارب من أجل « مصر » ، ثور المقاطعات ومن يطأ بقدميه الأسيويين ومن يخلص مأواه من عبثهم ، الثابت الجنان ، ومن يتقدم ولا يتقهقر قط لحظة واحدة . ومن يفوق سهمه فى اللحظة المناسبة ، ومن يمد المعابد بذكائه العظيم والذى يقوله يحدث فى الحال كالذى يخرج من فم « رع » ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « خپر-كا-رع » ابن « رع» « نخت نبف » .

(٢) هذا الاله المبجل « سبد » رب الشرق يذكر نيته الطيبه نحو جلالته، وكل الآلهة عندما يخرج (ابن الملك) أمامهم يحفلون به لأجل أن يعتنى بالأجسام المقدسة (أى تماثيل الآلهة) مدة حياته ولسنين عدة فيما بعد . وعندما أراد الملك أن يقدم انعامات خاصة بهذا الاله (أى سبد) فى محراب خفى لم يكن معروفا لدى الكهنة وحيث كان كل آلهة الاقليم يخفون أجسامهم فان الاله قد وضع فى قلب الملك أن يجعله يرى . . . .

(٣) وبعد سنين عدة دون أن يعرف كيف حدث ذلك ، فانهم رأوا بوضوح كيف أقيم على مقعده ، وبعد ذلك كان هناك سرور قائلين : ان هذا الأمير قد ظهر فى الشرق، وانه قد زين العالم بأشعته وأنك قد رفعت عاليا جدا الى السيد المنتصر . وبعد ذلك فان الاله الكامل قد زين محرابه وعمله ، « امن — خبرو » (= المكان الخلفى) لرب الشرق لجسمه هو ، وكل الآلهة الذين

كانوا فى ركابه على يمينه وكل الآلهة الذين فى مكانه على يسـاره ، وعندما يخرج فان كل آلهته تكون أمامه مثل « رع » عندما يشرق فى أفقه وكذلك تكون الحال عندما يأوى الى محرابه كل يوم » .

ومن ثم نفهم أن سبب اقامة هذا الناووس كان وقوع أعجوبة فى عهده . ومما يؤسف له جد الأسف أن نهاية السطر الثانى وجدت مهشمة ، ولذلك لم نعرف ماذا حـدث . وعلى أية حال يظهـر واضحا أن الكهنـة اما أنهم كانو لا يعرفون أين كان مأوى الاله أو أن هذا المأوى كان مكانا غير مسموح لهم بالدخول فيه . وهذا الرأى الأخير هو المرجح . وقد قرر الملك أن يعمل شيئا لهؤلاء الآلهة بهذا الخصوص ، غير أننا لا نعرف ماهو هذا الشىء وذلك بسبب الكسر الذى فى الناووس . والنتيجة انه بعد مضى سنين عدة ظهر فجاءة اله على مقعده وأظن أنه هو الاله « سبد » . وقد كان هذا الحادث مثار فرح عظيم فى « مصر » ، وقد سمى «نقطانب» هذا المحراب أو الناووس « مكان اختفاء سبد » . وتلك هى الحقائق القليلة التى أمكن جمعها من هذا المتن المتكررة عباراته .

وعلى ظهر الناووس يلحظ أن النقش الذى حفر بحروف كبيرة لا يحتوى على حقائق تاريخية بل كلها عبارات مدح تثنى على الأعمال العظيمة التى قام بها الفرعون كما تذكر لنا صفاته .(راجع Ibid. pl. VI)

(١) . . . . . الخاص بالشرق ، قوى الساعد ، نسل « حور » الشرق ، بكر اله الأفق ، الواحد الأحد وحصن « مصر » ومبيد الآثمـين فى الأرض والثائرين حولها ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « خپر كا رع » بن « رع » « نخت نبف » العائش أبديا .

(٢) . . . . . اله الأفق الذى يشرق فى الأفق وأشعته الصفراء تضىء

.... وكل البشر يعيشون برؤية بهاء « حــور » فى الشرق ، وكل الآلهة يحفلون به عندما يرونه .

(٣) . . . . عرشك بمثابة « سبد » منتصرا وكل القطرين قاطبــة ينظر فرحا عندما تشرق فى أفق « بخو » (المكان الذى تشرق منه الشمس) . . . . . وانه ألقى الجبال فى أوديتها وانه هو الذى يحمى « مصر » ، عين « رع » ، والذى يحرس أجسام الآلهة ، ولقد أغنيت المعابد بكل الأشــياء الطيبة امنحن مكافأة نصر « رع » أبديا » .

والنقش الذى على الجانب الأيسر أكثر أهمية جدا عن السابق (Ibid. Pl. VI) فاستمع لمــا جاء فيه :

(١) ملك الوجه القبلى والوجه البحرى رب الأرضين « خپرــكاــرع » ابن « رع » « نقطانب » . لقد عمله بمثابة أثر لوالده «سبد » رب الشرق، هذا الناووس من حجر الجرانيت الأســود والمصراعان اللذان فى الأمام من البرونز الأسود موشيان بالذهب ، والصور التى عليه من . . . . . وكل الذى دون على اضــمامة من الجلد قد عمل بصــناعة جميلة باقية أبديا ، وقد كوفىء على ذلك حكما طويلا وكل البلاد الأجنبية تحت قــدميه وهو عائش مثل « رع » أبديا .

(٢) الاله الكامل رب الأرضين أمر أن تعمل هذه الأشياء بمحض ارادته لأجل أن يحفظ الجسم الالهى (أى تمثال الاله) فى مسكنه بعــد أن أتى جلالته الى « قيس » ليقرب قربانا لهذا الاله المحترم « سبد » رب الشرق على عرشه بوصفه السيد المنتصر وعلى ذلك فان أحقابا من السنين سترى . . . . . . وقد اختار جلالته مسكنه فى مدة حياة « خپرــكاــرع » ابنه الذى يحبه « نقطانب » العائش أبديا .

(٣) وانه الملك الذى أمر بنفسه باقامة التماثيل لآلهة « قيس » على هذا المحراب فى مدة حياة جلالته وكل الآلهة فى أماكنها ، وانها كما دون على اضمامة الجلد وكذلك كل الاحفال المقدسة دون أى اهمال فيها عندما . . . . « تحوت » مثل كل اتباع رب « حسرت » على حسب الأعياد الثلاثينية العديدة ، عائشا مثل «رع » أبديا .

والواقع أن هذا هو أهم نقش حفر على المحراب ، اذ أنه يخبرنا عن المكان الذى أقام فيه « نقطانب » الأول الناووس وهذا المكان هو بلدة « قيس » .

أما النقوش التى حفرت بأحرف صغيرة فانها اما أن تصف ماحفر تحتها أو تحدثنا ماذا فعل الآلهة ، ليكافئوا الملك لفائدته ، وليس من المستطاع أن تتتبع القاعدة التى اتخذها الحفارون فى اختيارهم الصور التى مثلوها .

ويلحظ ان أهم صورة للاله « سبد » الذى عمل من أجله الناووس هى صورة صقر عارى الرأس (pl. V, 4) أو يلبس ريشتين (pl. II. 5) ويرى جاثما على مضجع (pl. II. 5) أو على قاعدة من الحجر ؛ ومن الجائز أن يكون امامه مثلث يقرأ « سبد » وهو اسمه ، وهذا الشكل نراه فى العلامة الهيروغيلفية التى تسمى بها المقاطعة . والصقر هو الشكل العادى للاله « سبد » ، — غير أنه ليس أقدم صورة له — فى عهد الملك «نقطانب» ، وعلى ذلك فانه يحمل ألقابه كاملة : « سبد » روح الشرق ، والصقر أو « حور » الشرق . (pl. IV. 6)

وقد مثل هذا الآله فى هذا العصر بصورة قزم قبيح المنظر برأس كبير ولحية ويتحلى بريش وبذراعين ممتدتين وجناحين ، وفى كل يد من يديه سكين ، وهو فى هذه الصورة يشبه الاله « بس » ، وهذا الشكل يسمى

« سبد » الذى يضرب الآسيويين (pl. II, 6 & c) وله صورة ثالثة اخرى فى هيئة رجل بجناحى ورأس صقر بدلا من رأس انسان . ويلحظ أن جسمه قد اضطجع على مقعد وذراعه اليسرى مرفوعة مثل ذراع « آمون » ، وفى يده اليمنى قوس وسهام ، ويسمى هذا « سبدشو » بن « رع » (pl. II. 6) وقد سمى على أثر آخر فى متحف « اللوفر » « رب الحرب »

ويلحظ أن « سبد حور » لا يختلف الا قليلا عن « سبدشو » وذلك أن جزءه الاعلى مكون فى صورة صقر على جسم انسان (pl. V. 4)

والمقابل لهذه الصورة هى صورة انسان واقف بذنب وجناحى صقر وبيده اليسرى سكين وفى يده اليمنى علامة الحيـاة وهو يسمى هنـا « سبد سيد الوجوه والمخيف الى أقصى حد » (راجع pl. II 5 & V. 4)

ويمكن أن يمثل الآله « سبد » كذلك فى صورة انسان يلبس ريشتيه وفى احدى يديه صولجان وفى الأخرى رموز أخرى . وهو بهذه الصورة يشبه الاله « أنحور » ، وهذا التنوع قديم جدا ، ولدينا مثال قديم على لوحة عثر عليها فى « وادى جاسوس » على ساحل البحر الأحمر وهى الآن موجودة فى قصر « النويك » Alnwick Castle ويرجع تاريخهـا للملك « سنوسرت » الثانى (A.Z. 1882 p. 204) ولدينا صورة أخرى فى «وادى مغارة» ترجع الى الأسرة الثامنة عشرة (L.D. III p. 204) وثالثة من عهـد « رعمسيس » الثانى (Ibid. III, 144) وتدل شواهد الأحوال على أن هذه الصورة هى أقدم شكل لهذا الاله وهو دائما كان يسمى من أجل ذلك «رب الشرق». ولا نزاع فى انه آله حرب واليه ينسب الشرق (أى مقاطعات شرق الدلتا) حتى تخوم «سوريا» هذا بالاضافة الى الأقليم الواقع بين النيل والبحر الأحمر وهو يشرف على جبال « باخـو » وهى مرادف للشرق ، وأنه هو الذى يحمى « مصر » من

الغزاة الشرقيين وهم « المنتو » أو « الفنخو » كما يسمون هنا ويعنى بذلك الفرس الذين كانو أخطر أعداء الملك « نقطانب » الأول

ويلحظ أن الاله « سبد » تتبعه عدة آلهات تحمل اسم « خونست » (راجع Pl. V, 3&4)

هذا بالاضافة الى أشكال عدة للاله « حور » ((«حورمر» أو «حور سا ازيس »)) كما يتبعه الاله «آمون» ممثلا بأشكال مختلفة ، وغالبا ما يكون فى صورة طائر (pl. II, 5) ومن بين أتباعه الذين نراهم معه كثيرا جدا الأسد « ماحس » الذى يمثل عادة وهو يأكل رأس أسير (راجع pl. III. 3, vI 6, vII, 5) وأحيانا يمثل بصورة انسان برأس أسد (راجع pl. II, 6, III, 4)

هذا ويمكن استخلاص معلومات أسطورية كثيرة من ناووس « صفط الحناء » وغيره من الآثار المنقوشة التى عثر عليها من عهد الأسرة الثلاثين (راجع مثلا عن توحيد الاله « آمون » بالاله « حرمخيس » (pl. II, 1 pl. V. 1,4) والواقع أنه لو فحصت المتون المنسوبة للآله « سبد » فان ذلك يؤدى الى أنه ليس بالشمس المشرقة التى يمثلهـا بل الى أنه أحـد النجوم السيارة ، أو بعبارة أخرى الزهراء بوصفها نجم الصباح .

هذا وقد مثل على الجانب الأيسر للناووس بقدر ما يمكن استخلاصه مما تبقى منه ـــ عدة سفن كانت قد أودعت فى المعبد أمام الآله :

فنرى أولا سفينتى الالهة « باست » والاله « تحوت » (Ibid. pl. II, 4) وقد نقش مع كل سفينة . أنه أمام « سبد » وأسفل من ذلك يحتمل أنه كانت توجد سفينة « آمون » (II. 5)وكذلك سفينة « سبدشو » ثم يأتى فلك « سبد » ضارب الأسيويين . (٦) وفى نفس الصف نجد اشكال « ســبد » الأربعة الرئيسية يقدم لها الملك « نقطانب » القربان وكذلك للالهين حورمر والآلهة « خونست » .

هذا ويلحظ أن النقوش التى على اللوحة (٢) فى السطرين ٤ ، ٥ متشابهة جدا وهى تذكر لنا أن هذه السفن قد نقشت على حسب ارادة « نقطانب » ومعه ألقابه العادية ، وجاء فى السطر السادس : انها عملت بمثابة مكافأة حسب ارادة ابنهم (ابن الآلهة) الذين يحبهم وهو الملك «نقطانب»وقد أعطيت اياه رقعة « رع » •••••• جب وانه شجاع مثل شجاعة الآلهة وكل الأرض تقفز فرحا كما أن القلوب منشرحة لرؤية جماله وان حبه يمتد على كل الدنيا مثل « رع » عندما يشرق فى « باخو » (الشرق) وذلك بسبب صلاحه العظيم نحو كل الأرض .

ويشاهد على ظهر الناووس (pl. III & IV.) مواكب طويلة من الآلهة فنجد هناك الأسماء الأربعة للمكان الذى نصب فيه الناووس وقد كرر بعضها وهى : « سبد » . بيت « سبد » ومأوى الجميزة وبيت الجميزة .

ويشاهد على ظهر الناووس (pl. III, 1-1) مواكب طويلة من الآلهة ، أمم مختلفة ، ان الهمج قد وطأهم تحت قدميه ، وان ساعده قوى بين رؤساء الاغريق .

ونجد فى السطر الثانى من هذه اللوحة ذكر كتاب قد اقتبس فيما بعد وهو الذى أخذت عنه الرسوم التى على الناووس على ما يظهر ا هذه الصور التى عملت على هذا الناووس قد اختيرت من الكتاب ، وقد نقشت بارادة الملك « نقطانب » .

هذا ونجد فى السطر الثالث موضوعا يكاد يكون طبق الأصل فى اللوحة (pl. VI. 1-6)وقد فسر بالطريقة الآتية : هؤلاء الآلهة الذين يأوون فى محراب الآلهة « ونت » (الهة فى صورة ثعبان) ويقفون على يمينها ويسارها فى مساكنهم فى بيت الجميزة ، وقد نقشوا بارادة الملك « نقطانب » العائش أبديا وقد كوفىء على ذلك بمدائح كثيرة العدد ، والجبال والرمل (السهل)

قد نحت أمامه • وناووس الآلهة « ونت » الذى ذكر هنا يحتوى على نفس الالهة يشاهد فى اللوحة (pl. vi, 1-6)وهناك الهتان باسم « ونت » واحـــدة للجنوب وأخرى للشمال .

والسطر الرابع من نفس اللوحة يتحدث بنفس الطريقة عن آلهة ناووس الاله «سبد» ضارب الآسيويين : « ان هؤلاء الآلهة الذين يأوون فى ناووس « سبد » ضارب الآسيويين على يمينه وعلى شماله والذين يقفون فى أماكنهم فى « باسبد » قد نحتوا بارادة الملك ••••• ألخ . وهم نفس الآلهة الذين شاهدناهم (فى اللوحة الثانية السطر السادس) مصاحبين الناووس الذى يأوون اليه .

وفى اللوحة الثالثة السطر الرابع نشاهد الملك « نقطانب » يقدم قربانا لأربعة حيوانات نقش فوقها : « انك شـــجاع وبطل وان ســـاعدك قد نما ليضرب أولئك الذين يعملون المتاعب (?) لمصر » . والظاهر أنه أتى بعـــد ذلك تاريخ قد اختفى .

وفى اللوحة الرابعة (pl. iv. 1-5) نقرأ : « هذه الآلهـــة التى تقف على مساكنها وقد وجد لها مكان آخر سرى فى الساحة المقدسة فى بيت النبقة وقد صدرت على حسب ارادة الملك ، وقد أراد جلالته أن يقدم احتراما خاصـــا لآبائه مقدسا صورهم وكل اله فى مكانه وأشكالها على هذا الناووس أيضا . والسطر السادس يبتدىء بالملك يتعبد لأربعة آلهة : مكان آخر وجـــد فى داخل المعبد اختير لها وقد نحتت . الخ .

ونقرأ بعد ذلك : «منقوش من لفافة جلد خاصة بالمعبد وهى كتاب بالخط المقدس (هيروغليفى) وقد نحتت (الآلهة) على حسب الكتاب بارادة الملك « نقطانب » وقد أراد جلالته عمل هذه الأشياء المقدسة . وقد أقامها فى بيت

والده « سبد » رب الشرق ، وعندما رفع الآلهة فى مأواها حينما اختارت مسكنها فى مدة حياته وقد دعم عرش جلالته بين الأحياء كالسماء كل يوم .

ويلاحظ أنه فى نقوش التقدمة قد جاء ذكر لفافة جلد أخرى وهى الكتاب المقدس الذى يحتوى على القانون الذى على حسبه كانت توضع الأحفال . وعلى الجانب الأيمن (Pl. v. & vI.) نجد الشجرة التى تسمى (نبس) وهى التى منها اشتق الاسم الذى يطلق على « صفط الحناء » وهو « برنبس » كما يقول معظم الأثريين ولكن « جوتييه » يقول : « يخيل الى أنه من المحتمل كثيرا أن اسم « آت نبس » أو « حات نبس » كان محرابا أو حيا خاصا فى هذه المدينة أى « صفط الحناء »

والغريب فى الكلمة « نبس » أنه لم يحقق كنهها بعد فمن قائل انها شجرة الجميزة ومن قائل أنها شجرة النبق ويحتمل أن المعنى الأخير يقرب من الحقيقة لتقاربه من اللفظة العربية (نبق) . وفى السطر الثانى نقرأ من اللوحة رقم .... لآبائه أسياد سكان الجميزة (؟) والجميزة الخضراء وأغصانها تخرج أوراقها الخضراء والأرض مخضرة فى كل امتدادها ومقر هذه لاله مخضر كل يوم وانه ينبثق عن زهوره وكل الأشياء الطيبة ، وان أرض « كس » خضراء لأجل أن تكون لامعة فى مدة حياته .

ويلحظ أنه فى هذا السطر قد مثلت شجرة « نبس » (الجميزة ؟) مع الاله «حور» الذى اعتبر ساكنها ، وكما نجد فى السطر الرابع من نفس اللوحة الاله « شو » والآلهة « تفنت » . وفى السطر الثالث الآلهة « حتحور » قد مثلت بهذه الكيفية ، هذا وتوجد صورة بيت « نبس » فى السطر الثالث من نفس اللوحة فهناك نجد الشجرة مسكونة بالالهين « سبد » و « حرمخيس » وخلفها نشاهد ثلاثة أشكال مختلفة للالهة « خنست » (وهى الهة لم تظهر

الا فى العهد المتأخر) ويشاهد امام الشجرة ثعبانان يلقبان بحارس باب القاعة ويوجد أمام هذه القاعة دهليز آخر يحتله ثعبانان ويلقبان حارس باب الدهليز المؤدى الى بيت الشجرة « نبس » (؟) .

والنقوش التى فوق هذه الأشكال هى :

عندما (اتى) الملك « خپر — كا — رع » صورة « رع » وسليل صقر الشرق و « سبد شو » المعابد والبناء العظيم — فى هذه المقاطعة لأجل أن يقدم قربانا لآبائه أرباب مأوى شجرة « نبس » مكملا « مصر » فى منظرها ومجددا سكن شجرة (نبس) وجاعله كله جديدا ، فان الأرض كلها كانت فى سرور من أجل ذلك ، وكل انسان كان مبتهجا لأنه كان قد عمل على حسب كتب « رع » ، وعندما اختلط « رع » بالشعب فانهم جعلوا بيت شجرة « نبس » يزدهر .

ونجد كذلك فى السطر الرابع من نفس اللوحة أشكالا عدة للاله «سبد» والنقوش التى تتبع ذلك تتضرع للآلهة قائلة : تعالوا وانظروا كل ما قد عمل لكم على يد ابنكم الذى يحبكم الملك « نقطانب » الذى يعيش أبديا ، وكل الالهة والآلهات ++++++ عندما ينضم اليهم « رع » والشعب يشم الأشياء الجميلة التى عملها فى مسكن « باخو » (الشرق) فقد جعل موائد قرابينكم تفيض بكل الأشياء الطيبة وجدد الحدائق ؟ دون انقطاع ، وجعل الحقل ممتازا مزودا موائد قربانك . اعطه مكافأة ليكون ملك الوجهين القبلى والبحرى اللذين يخضعان لارادته مثل « رع » أبديا .

وجاء فى السطر الخامس من نفس اللوحة ما يأتى : ان جلالته قد وجه عزمه على تنفيذ كل هذه الأشياء المقدسة ، والآلهة يرون ما يفعل فى بيوتهم على يد ابنهم الذى على عرشهم الملك « نقطانب » العائش أبديا ، وقد نال

مدائح مثل « تاتنن » مكافأة له على بنـاء معابدهم ، وقد توج ملـكا على الأرضين ، وعلية القوم وعامتهم يحتفلون به ، وكل الأرض قاطبـة منحنية أمام جلالته بسبب سلطانه عليهم ، والماء يعلو فى فصـله وانه ممتاز بسبب فائدته لأنه سر قلوبهم حقا ، والأرض تعيش به (أى الماء كل يوم) .

وجاء فى السطر السادس : تعـالوا وشـاهدوا ما فعل جـلالته نحوكم يا أسياد مأوى « نبس » (شجرة ؟). كافئوه بعزة « آتوم » وبعمر « رع » بوصفه أمير الأحياء . ان كل قلوبهم متعلقة به وكل الأراضى الأجنبية •••• ••••• بحربته وان رؤساءهم حامين « مصر » وحارسين عين « رع » من الذين يجلبون السوء لها .

والملك « خبر ــ كا ــ رع » نفسه طفلها الذى يحرس معابد كل الآلهة أبديا لأنه ابنك الذى يحميك وانه البانى القدير فى بيت « نبس » بن « رع » « نقطانب » العائش أبديا مثل « رع » .

وفى السطر السادس نشاهد الآله « آتوم » فى صورة نمس ونجد نفس هذا الآله ثانية فى اللوحة رقم ٧ (pl, VII, 1) الصف الأول .

ويلحظ أنه يسكن فى (pl. VI,, 1, 6) واحد من سـتة نواويس مختلفـة ويحتمل أنها كانت فى المعبد مع بقيـة المحاريب ، والآلهـة الذين يحيطون « ونت » نجدها كذلك للمرة الثانية . ومما تجدر ملاحظته أنه من أول السطر الثالث وما تحته تذكر النقوش المادة التى صنع منها تمثال الآله أو الرمز كما تذكر ارتفاعه ، فنجد مثلا فى السطر الثالث (١) أن تمثال « سبد » الواقف صنع من الذهب وارتفاعه ذراع فى حين أن « حوز » الواقف خلف « سبد » قد صنع من حجر موشى بالذهب وارتفاعه خمس قبضات أو فى السـطرين

الخامس والسادس نجد أن عددا من الآلهة قد صنعت من حجر الجرانيت .

والجزء الداخلى من الناووس كان قد زين كله بالنقوش ومعظمها تكرار لما نقش خارج الناووس. وأول سطر يذكر اسم المخبأ cf. pl. II, 3 وهو كما رأينا قد أطلق على محراب الملك « نقطانب » بعد أن حدثت المعجزة

ويوجد فى متحف « اللوفر » قطعة من ناووس مثل عليها أسابيع السنة (كان الأسبوع يعد عشرة أيام) وقد عثر على قطعة أخرى من هذا الناووس فى « الاسكندرية » ويقال ان موضعه الأصلى كان فى « صفط الحناء » وقد تحدث مليا عن هذا الناووس الأثرى « لبيب حبشى »

(راجع Journal of Near Eastern Studies vol. XI p. 251-263 (1952))

(٢٠) « صفط الحناء »

جذع تمثال من الجرانيت الرمادى للملك « نخت نبف » اشتراه « ناقيل » من فلاح مصرى وتدل شواهد الأحوال على أن الرأس والقدمين قد كسرت عمدا وقد نقش على العمود الذى يرتكز عليه التمثال صفان من النقوش (راجع Naville, The Shrine of Saft El-Hennah and the Land of Goshen p. 5, I. VIII B; Guide to the Egyptian Galleries Sculpture p. 52)

والصف الذى على اليمين من النقوش جاء فيه أسماء الملك « نقطانب » الأول وألقابه وجاء على السطر الذى على اليسار اسم الاله الذى أهداه « نقطانب » تمثاله هو . ومما يلفت النظر هنا أن لقب « قوى الساعد » كان من الألقاب التى كان يحملها غيره من الملوك القدامى ونخص بالذكر من بينهم « سنوسرت » الثانى ، وذلك عندما نراه يظهر أمام الآله « سبد » فى لوحة فى « وادى جاسوس » (راجع A.Z. 1882 p. 204) وكذلك نجد أن الامبراطور الرومانى « تيبريوس » يحمل هذا اللقب وهاك ترجمة ما جاء

على ظهر هذا التمثال :

فى السطر الأول من اليمين : « حور » صاحب الساعد الجبار ، السيدتان (المسمى) منعش الأرضين ، « حـــور » الذهبى (المسمى) الذى يعمـــل ما تحبه الآلهة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (المسمى) رب الأرضين رب القربان « خپر — كا — رع » .

السطر الذى على الجهة اليسرى : محبوب « سبد حور » رب الشرق ، « حرمخيس » الاله العظيم سيد جبال « باخو » والأمـــير وحاكم التاسوع ليته يعطى الحياة كلها أبديا .

(٢١) « تانيس »

كشف الأثرى « مونتيـــه » عن موقع معبـــد للملك « نقطانب » الأول فى هذه البلدة فى عام ١٩٤٦م . وكتب عنه فى مجلة Illustrated London «news»

(٢٢) « تانيس »

عثر على لوحة صغيرة فى ودائع أساس وجدت فى الزاوية الشمالية الشرقية من الجدار الذى يحيط بالمعبـــد الـــكبير وهذا يبرهن على أنه قد أقام هذا الجدار أو على الأقل قد أصلحه نقطانب الأول وقد كتب على هذه اللوحة الصـــغيرة ما يأتى : ابن الشمس « نخت نبـــف » أى (نقطانب) الأول (راجع Montet, Le Drame d'Avaris p. 204)

(٢٣) بلدة « البقلية » الواقعة فى جنوبى المنصورة

كشف فى غربى المعبد الذى عثر عليه فى هذه المدينـــة على جذع تمثـــال للملك « نقطانب » الأول وهو يمثله ماشيا ومرتديا قميصا ونقش على حزامه النقش التالى :

يعيش رب الأرضين « خپر — كا — رع » محبوب « تحوت » فى بلدة « رحو » (البقلية) .

الاله الكامل رب الأرضين « نخت نبف » «نقطانب» محبوب «نحوت» فى « رحو » .

ونقش على ظهر التمثال : « حور » القوى الساعد ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « خپر — كا رع » ابن الشمس « نخت نبف» » .
(راجع A.S. VII p. 233)

(٢٤) وعثر « ناقيل » على قطعة حجر فى اسكفة باب شيخ فى قرية مجاورة « للبقلية » وقد نقش عليها اسم الملك « نقطانب » الأول ولقبه ، ويدل ما تبقى من النقش الذى لا يزال مدفونا تحت الأرض فى الأسكفة على أن الاله « تحوت » هو معبود بلدة « البقلية » (رحو) كما سبق ذكره .
(راجع Ahnas El Medineh p. 22, pl. III B)

(٢٥) وأخيرا عثر لهذا الفرعون على تمثالين فى صورة أسد رابض يبلغ طول الواحد منهما حوالى ١٫٨٥ مترا وقد وجدا فى معبد « تحوت » صاحب « رحو » ؛ (« رحو » هى عاصمة المقاطعة الخامسة عشرة من مقاطعات الوجه البحرى) . وهما الآن فى « الفاتيكان » وقد عثر عليهما فى « روما » . وليس فى نقوشهما شىء جديد غير ألقاب هذا الفرعون وأسمائه

(راجع Wiedemann, Rec. Trav, 6. p. 118; Marucchi il Museo egizio Vaticano No. 16-18 p. 32, 36-39; Bissing: Denkmalër Pl. 74; Scharff, Bemerkungen zur Kunst der 30 Dynasty, Vatikan Festschrift, 1941, p. 195-203, fig. p. 197)

(٢٦) « منديس »

أهدى الفرعون « نقطانب » ناووسا لكبش « منديس » وهو مصنوع من الجرانيت المبرقش وقد عثر عليه فى بيت من بيوت العصر الرومانى وهو محفوظ الآن بالمتحف المصرى تحت رقم (٧٠٠٢٢) ويبلغ ارتفاعه ١٫٤٧ مترا وصناعته جيدة وكتابته محفورة بعناية ، وقد وجد فى حالة سليمة تقريبا الا بعض قطع صغيرة كسرت منه وهو قطعة واحدة من الحجر كما هى الحال فى معظم نواويس هذا العصر وقد نقش على عارضتيه سطران، فالذى على اليسار جاء فيه : «حور» قوى الساعد ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « خپر — كا رع» بن «رع» (المسمى) «نقطانب» عاش مخلدا . محبوب كبش «منديس» القاطن فى « ايون» الاله العظيم رب « رس خاست » (والاسم الأخير يطلق على حى من أحياء مدينة « منديس » عاصمة المقاطعة السادسة عشرة من مقاطعات الوجه البحرى ويقع فى الجزء الغربى من المدينة وكان يعبد فيه كبش « منديس » والآلهة «حت محيت» ، ويظن الأثرى « دارسى » بشىء من الصواب أن المقصود هنا هو المكان الذى على حسب الأسطورة التى رواها « بلوتارخ » كانت توجد فيه « ازيس » عندما علمت بموت زوجها «أوزير» وحيث قطعت خصل الشعر علامة على الحزن كما هو ممثل فى كتابة الكلمة بالمصرية القديمة . (راجع Gauthier, Dic., Geogr. IV p. 98)

ونقش على العارضة اليمنى ما يأتى :

« حور » القوى الساعد ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « خپر — كا — رع » بن « رع » « نخت نبف » (= « نقطانب » الأول) العائش

مثل « رع » مخبوب كبش « منديس » القـاطن فى « ايون » الاله العظيم خالق نفسه .

ونقش على الواجهة صورة الشمس المجنحة كمـا نقش : رب « مسن » وعلى اليمين وعلى الشمال نقش فى سطر أفقى وآخر عمـودى « بحدتى » الاله العظيم رب السماء ذو الريش المبرقش الخارج من الأفق رب « مسن » (وهو اسم مكان لعبادة « حور » صاحب « ادفو »)
(راجع Roeder, Cat., Gen. Naos p. 99-100 and pl. 65 b, c.)

(٢٧) « أبو ياسين » مركز كفر صقـر شرقية

عثر فى بلدة «أبو ياسين» فى الحفائر التى عملت فى عام ١٩٣٧ ـ ١٩٣٨م على قطعة من تابوت مصنوع من الجرانيت الوردى وقد وجـد عليـه اسم الملك « نقطانب » الأول (راجع A.S. XXXV III, p. 611)

(٢٨) « سمنود »

جذع تمثال من الجرانيت الأسود للملك « نقطانب » الأول وهو محفوظ الآن فى « باريس » (راجع Descr. de l'Egypte Ant. V. pl. 69 [7,8] cf. Texte. x. pp.572-573; Naville, Mound of the Jews p. 27)

(٢٩) « المحلة الكبرى »

رأى الأثرى « ادجار » جذع تمثال لهذا الملك فى « سـمنود » ولكنه يظن أن هذا الأثر قد نقل من « المحلة الكبرى » الى « سمنود »
(راجع A.S. XI, p. 96)

وقد نقش عليه : يعيش بن « رع » رب التيجان « نخت نبف »
يعيش ملك الوجه القبلى والوجه البحـرى « خپر ـ كا ـ رع » (أى

« نقطانب » الأول) . وهذا المتن نقش على حزام هذا التمثال .

(٣٠) « المحلة الكبرى »

استولت مصلحة الآثار على جذع تمثال جميل الصنع من احد اهالى قرية « دقميرة » مركز « كفر الشيخ » مديرية « كفر الشيخ » وكان ذلك فى عام ١٩٢٢ ؛ وقد نقل الى المتحف المصرى وهو محفوظ هناك تحت رقم ٤٧٢٩١ . ومما يؤسف له أن المكان الأصلى الذى كان فيه هذا التمثال لم يعلم بعد وقد قيل على لسان صاحبه أنه عثر عليه أثناء بناء السكة الحديد من « المحلة الكبرى » الى « بلطيم » .

والتمثال مصنوع من الحجر الأسود الصلب ويعتقد انه من البازلت .

وقد نقش على العمود الذى يرتكز عليه التمثال أربعة أسطر عمودية غير أنها وجدت مهشمة ولذلك أصبح من الصعب ترجمة هذا النص ولكن من السهل أن نستخلص من المتن أن الشخص الذى يمثله هذا التمثال كان يشغل وظيفة من الدرجة الأولى فى عهد آخر فراعنة العصر الساوى . واسم هذا الموظف هو « شدسومسو » وتدل شواهد الأحوال على أنه كان من سكان المقاطعة السابعة عشرة من مقاطعات الوجه البحرى التى تقع عاصمتها الآن فى مكان « تل البلمون » الحالية مركز « شربين » وأنه قد عاش فى عهد الملك « نقطانب » الأول . (راجع A.S. XXIII p. 173-5 & Ancient Egypt (1925) p. 124)

(٣١) « سايس » أو « دمنهور »

وجد فيها ناووس من الجرانيت الأسود للآلهة « نيت » وهو محفوظ الآن بالمتحف المصرى (راجع Daressy, Rec. Trav. 11, p. 80-81 No XX11; Maspero-Quibell Guide p. 170, No. 650)

وهذا الناووس المصنوع من الجرانيت الأسود سقفه مقبب ومزين من

الأمام بقرص الشمس المجنح ونقش معــه : « بحدتى » الاله العظــيم رب السماء معطى الحياة . ونقش على عارضتى بابه ما يأتى : من اليمين : « حور رع » قوى الساعد ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « خپر ــ كا ــ رع » بن « رع » « نخت نبف » محبوب الالهة « نيت » العظيمة أم الاله .

ونقش على اليسار : « حور رع » القوى الساعد ملك الوجه القبــلى والوجه البحرى « خپر ــ كا ــ رع » بن « رع » « نخت نبف » محبوب « نيت » ربة « آت خت » .

وبلدة « آت خت » تقع فى الدلتا ومعناها بلدة العزلة فى « دمنهور » كما يقول « دارسى » وهى خاصة بالاله « أوزير » الشمال فاتح الطرق ، غــير أنهــا فى المتن الــذى نحن بصــدده تنسب للآلهــة « نيت » . (راجــع Gauth. Dic, Geogr. Tom. 4. p. 31)

(٣٣) « رشيد »

قطعة حجر منزوعة من بين عمودين مزينــة بكرنيش رسم عليه صف من الصقور وحفر عليها صــورة « نخت نبف » (نقطانب) الأول ، وقد مثل راكعا وهو يقدم قربانا لاله . وقد عثر على هذا الحجر فى خرائب « رشيد » وطوله أربعة أقدام وعرضــه قدمان وست بوصــات . وقد أهــداه الملك « چورج » الثالث للمتحف البريطانى عام ١٧٦٦م .

(راجع A Guide to the Egyptian Galleries (Sculpture) p. 250, Arundale - Bonomi, Gallery of Antiquities pl. 145 fig.165. p. 110-111)

(٣٤) « الاسكندرية »

قطعة أخرى من حجر البــازلت منزوعة من بين عمودين من معبــد أقيم بجوار مدينة « الاسكندرية » الحالية أقامه « نخت نبف » (نقطانب الأول)

وقد بقش على واجهة هذه القطعة الملك راكعا يقدم قربانا لاله ، ونقش فوفه اسمه ، وعلى ظهر الحجر نقش أسماء الملك وألقابه . (راجع Ibid. p. 250)

وكذلك عثر على رأس لهذا الملك فى نفس المكان السابق ذكره

(راجع Guide, British Museum p. 394 fig. 217 & vol. of pls. II of Cambridge Ancient Hist. p. 14 B.)

(٣٥) « الاسكندريه »

قطعة من عمود عليها اسم « نقطانب » الأول : ملك الوجه القبلى والوجه البحرى رب الأرضين « خبر ـ كا ـ رع » (نقطانب الأول) » ، وهـــذه القطعة كتبت من الوجهين ويشاهد فيها « نقطانب » الأول يقدم قربانا

(راجع Porter & Moss IV. p. 5 ; L.D. T.I p. 1)

(٣٦) « كفر مناقر » (راجع A.S. Tom. 19. p. 136-140)

يوجد الآن فى المتحف المصرى جزء من تمثال للملك « نقطانب » الأول . والواقع أنه لم يبق من هذا التمثال الا العمود لذى كان يستند عليه وأجزاء أخرى بسيطة وهو مصنوع من الجرانيت الأسود المبرقش بالأبيض ويبـــلغ طوله ٢٫٢٣ مترا وعرضه ١٣ سنتيمترا . وقد نقش على هذا العمـــود متن فى أعمدة .

والعمود الذى على اليمين جاء فيه أسماء الملك « نقطانب » الأول دون تغير ملحوظ ، والعمود الذى على اليسار أكثر أهمية من سابقه ، فنشاهد أن « حور » نقطانب يواجه « حورا » آخر يعلو رأسه قرص الشمس قابضـــا على رمز مركب من علامة النبات وعلامة الخياة الواحدة فوق الأخرى وهو

يجعل « حور » الذى يقابله يشم رائحتها . وهاك الترجمة :

« حور رع » سـيد « كم تاخنتى خاتى » الصـقر المقدس الذى على قصره ، انه يعطى الحياة والقوة لملك الوجهين القبلى والبحرى «خبر ــ كا ــ رع » والوارث الممتاز للمبعوث السليم (لقب أوزير) على عرشه «نقطانب» معطى الحياة .

أما السطر الذى على اليمين فجاء فيه : « حور » ذو الساعد القوى ملك الوجهين القبلى والبحرى ، السيدتان (المسمى) الذى يثبت الأرضين ، حور الذهبى الذى يعمـل ما تحبـه الآلهـة « خبر ــ كا ــ رع » بن الشمس ومحبوبه « نقطانب » الأول .

(٣٧) « ليتوبوليس » = « أوسيم »

تدل الآثار التى كشف عنها حتى الآن فى بلدة «أوسيم» الواقعة فى مركز « امبابه » مديرية الجيزة على أنها كانت تحتوى على عدة آثار للملك « نخت نبف » أى « نقطانب » الأول . فمنذ عام ١٩٠٤م أشار الأثرى «شپيجلبرج» فى رحلة كشفية مع الأثرى « كويبل » الى وجود أربع قطع من الحجر عليها اسم الملك « نخت نبف » ، وبذلك أضـاف هذه القطع الى ما كشـف عنه الأثريان المصريان « أحمد كمال » و « أحمد نجيب » فى هـذه الجهة باسم هذا الفرعون . (راجع Rec. Trav. XXVI p. 147-48, A. S. XXIII p. 171-3 & XXXII p. 78-80 Comp. Ancient Egypt 1925, p. 124)

هذا وفى عام ١٩٢٣ عثر الأثرى « جوتييه » خلال رحلة تفتيشية فى داخل قرية « أوسيم » نفسها على قطع أخرى من الحجر الأسـود الصلب المائل الى السمرة تدل بدون أى شك على أنها بقايا تمثال أقامه الملك « نقطانب » الأول للاله « حور » رب « أوسيم » وهو الاله المحلى لهذه البـلدة ، وقد

وجد على أحد هذه الأحجار قطعة من موكب مقاطعات . وقد شاءت الصدف أن تستولى مصلحة الآثار على أربع قطع باسم الملك « نقطانب » الأول أصلها من « أوسيم » وذلك أثناء عمل شارع فى حى سوق الصالح « بأوسيم » . وهذه القطع من نفس الجرانيت الرمادى المائل الى السواد الذى منه القطع السابقة التى شوهدت فى « أوسيم » . ويلفت النظر من بين هذه القطع اثنتان وذلك لأنهما من أساس معبد مزين بموكب أشخاص يمثل كل منهم مقاطعة من مقاطعات « مصر » .

ومما هو جدير بالذكر هنا أنه قد ذكر مع كل مقاطعة أجزاؤها الثلاثة (راجع كتاب أقسام مصر الجغرافية فى العهد الفرعونى ص ٢٠ للمؤلف) . وقد وجد على القطعة الأولى اسم المقاطعة الخامسة عشرة من مقاطعات الوجه القبلى ويرمز لها باسم الاله « تحوت » ، هذا ونجد جزءا من الكلام الخاص بالمقاطعة السادسة عشرة التى عاصمتها « منديس » . أما الحجر الثانى من هذه الأحجار فقد ذكر عليه اسم مقاطعة لم يحدد اسمها بعد بالنسبة لما جاء فى القوائم الأخرى بالمقاطعات وأجزائها (راجع Gauthier, A.S. XXXII 78-80)

(٣٨) « عين شمس »

قطعة منقوشة من الحجر الجيرى من معبد هذه البلدة وكذلك قطعة أخرى منقوش عليها لقب « نقطانب » الأول « خبر — كا — رع » ؟ (راجع Naville-Griffith, Mound of the Jews p. 66 & pl. XXI, No. 16)

ومن المحتمل أن يكون هذا النقش للملك « سنوسرت » الأول لأن الملك « نقطانب » الأول و « سنوسرت » الأول يحمل كل منهما هذا اللقب « خبر — كا — رع » . ومما يلحظ هنا أن الفن كان رفيعا فى كل من

العصرين فقد كان عصرسنوسرت يعتبر العصر الذهبى للفن والعلوم كما كان عصر نقطانب يعتبر عصر نهضة جديدة فى الفن .

(٤٠) « القاهرة »

ناووس للالهة « نيت » من الجرانيت الرمادى المنقط
(راجع Roeder, Cat. Gen. Naos p. 57-8 pl. 16 a)
ناووس من الجرانيت الرمادى يبلغ ارتفاعه ٩٣ سنتيمترا وهو قطعة واحدة وقد وجد على عارضتيه المتن التالى :

الجانب الأيمن : « حور » ذو الساعد القوى ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « خپر ـ كا ـ رع » ابن الشمس « نخت نبف » محبوب « نيت » العظيمة الأم الالهية .

ونقش على الجانب الأيسر نفس النقش باضافة محبوب « نيت » ربة « آت خت » (و « آت خت » مكان بالدلتا خاص بالمعبود « أوزير » الشمال فاتح الطرق ، ويحتمل أن يكون هذا الاسم له علاقة بمقر القاضى الجنازى الثامن . هذا وقد نسبت الالهة « نيت » الى هذا المكان على الناووس الذى نحن بصدده) . (راجع Gauth. Dic. Geogr. IV. p. 31)

(٤١) « القاهرة »

وجدت قطعة من تاج عمود عليها صورة « نقطانب » الاول قابضا بيده على صورة « بولهول » وقد عثر عليها فى قلعة « القاهرة » .
(راجع Porter & Moss IV. p. 72)

(٤٢) محاجر « طرة »

وجد نقش على صخور محاجر « طرة » يتحدث عن فتح محاجر جديدة لأجل استخراج أحجار منها لبناء معبد الاله «تحوت» صاحب «هرموبوليس» الكبرى (=البقلية) وقد جاء فيه المتن التالى : لقد فتح هذا المحجر الجميل

فى « طرة » لأجل اقامة البناء فى معبد « تحوت » المزدوج العظمة والذى يفصل بين المتخاصمين ورب الكلام المقدس ومهدى الآلهة والعظيم فى «بعح» (= وهو الاسم المدنى لعاصمة المقاطعة الخامسة عشرة من مقاطعات الوجه البحرى ومن المحتمل أن هذا الاسم هو « تل البقلية » الحالى الواقع فى مديرية الدقهلية مركز « أجا » على مسافة ستة كيلو مترات من الجنوب الغربى من « تل البقلية ») (راجع Gauth. Dic. Geogr. IV p. 16) مع آلهة « بعح » ليته يثبت ويبقى أبديا .

وقد ذكرنا من قبل شيئا عن محاجر « طرة » (انظر الأرقام ٧ ، ٤ ، ٦ ، ٩).

(٤٨) « منف »

ووجدت قطعة منقوشة عليها اسم الملك « نقطانب » الأول ولقبه (راجع Gauth. Dic. Geogr IV p. 87) وقد عثر عليها فى سرابيوم « منف » .

(٤٩) « منف »

قطع من تابوت الملك « نقطانب » المصنوع من حجر البرشيا الأخضر وهى محفوظة الآن بالمتحف المصرى .

من المحتمل أن تابوت الملك « نقطانب » الأول قد جىء به الى «القاهرة» فى عهد الخلفاء . وتدل شواهد الأحوال على أنه كان تابوتا فاخرا مستطيل الشكل مصنوعا من حجر البرشيا الصلب الأخضر ويبلغ طوله ثلاثة أمتار واثنى عشر سنتيمترا . وكان غطاؤه مقببا . غير أنه مما يؤسف له جد الأسف أن هذا التابوت كان قد هشم ، وقد وجدت منه أجزاء مختلفة فى أنحاء « القاهرة » وقد جمع المتحف المصرى منه خمس قطع ، وقد مثل على قاع التابوت الهة بذراعيها ممتدتين لتتسلم جسم المتوفى ، وعلى خارج سطح التابوت مثلت بعض آلهة جنازية كما وجد اسم الفرعون منقوشا مرات عدة .

(٥٥) « منف »

ويوجد بالمتحف البريطانى تمثال باسم « خبر — كا — رع » وهو لقب يطلق على كل من الملكين — كما ذكرنا من قبل — « سنوسرت » الأول و « نقطانب » الأول ، وقد ظن البعض أن هذا التمثال هو للملك « نقطانب » غير أنه بالدرس والمقارنة وجد أنه للملك « سنوسرت » الأول .

(راجع M.A. Murray, AncientEgypt (1928) pp. 105-109)

(٥٨) « الأشمونين »

عثر الأثرى « ريدر » على تمثال أكبر من الحجم الطبعى لهذا الفرعون وقد مثل ماشيا ، وهو مصنوع من الحجر الجيرى .

(راجع Roeder, Hermopolis (1938-1939) Mitteilung D. Inst. p. 77-78)

(٥٩) « الأشمونين »

أقام هذا الملك مبنى مدخل « بولهول » الموجود أمام بوابة «رعمسيس» الثانى بمعبد « الأشمونين » .

(راجع Roeder, Ibid. p. 79 ff. pl. 4 b, 5 a, 12 b)

(٦٠) « الأشمونين »

يوجد فى متحف « جيميه » بباريس تمثال راكع للكاهن الأكبر لمعبد « الأشمونين » ويدعى « شبسس أرداس » وكان ذلك كاهن تماثيل الملك « خبر — كا — رع » (نقطانب الأول) . (راجع Roeder Ibid. p. 78)

(٦١) « الأشمونين »

عثر فى « الأشمونين » على مائدة قربان من الحجر الجيرى يبلغ ارتفاعها ١٫٢٠ مترا وهى مستطيلة الشكل ومتوجة بكرنيش ويشاهد فوقها شكل نصف أسطوانتين ولم يتبق من النقوش التى على قاعدة هذه المائدة الا نقش واحد يمكن قراءته جاء فيه : يعيش الاله الكامل رب الأرضين ، « خبر —

هذا ولم يعثر من غطاء التابوت الا على قطعتين نقش عليهما اسم الملك ولقبه . (راجع A.S. IV p. 105 ff.; Kienitz, Ibid. p. 206)

(٥٠) « منف »

تمثال للملك «نقطانب» عثر عليه فى « منف » وهو مصنوع من الديوريت وقد مثل راكعا . (راجع Ausf. Verz p. 247, Mus. Berlin No. 1205)

(٥١) « منف »

عثر «پترى» على نقش دون عليه لقب هذا الملك وهو «خپر — كا — رع» فى قصر «ابريز» فى «منف» غير أن هذا اللقب كان يحمله كذلك الملك «سنوسرت» الأول ، ولذلك فان الأثر يمكن أن يكون لأحد هذين الفرعونين .
(راجع Petrie. Palace of Apries (Memphis II) p. 13 & Pls XXII & XXV)

(٥٢) « منف »

وفى « سقارة » وجدت قطعة فى مبنى دير « أپاجرمايس » عليها اسم هذا الفرعون . (راجع Quibell, Saqqara (1908-1910) p. 147 & pl LXXXVI (5)

(٥٣) « منف »

قطعة منقوش عليها اسم « نقطانب » الأول (راجع Petrie, Riqqeh and Memphis VI p. 33 & pl. LVII No. 25)

(٥٤) « منف »

وجد لهذا الفرعون تمثال مجيب عثر عليه فى معبد الاله « پتاح » وهو الآن بالمتحف المصرى . وهذا التمثال مصنوع من القاشانى الأخضر ، وقد ظن بعض الأثريين أن وجود مثل هذا التمثال الجنازى الذى لا يوجد الا فى حجرة دفن المتوفى يوحى بأن هذا الملك قد دفن فى « منف » .
(راجع Mariette Mon. div. pl. 32, Texte Maspero p. 8; Loret, Rec. Trav. Tome IV (1882) p. 110; Gauth. L.R. IV p. 191. No. 30)

كا ــ رع » ابن « رع » « نخت نبف » محبوب « آمون » الذى فى الأرض العاليــة ؟ القاطن فى « الأشــمونين » ورئيس أرض جبانة الأشــمونين .
(راجع Rec. Trav. 20. p. 86)

(٦٢) « الأشمونين »

قطعة من تمثال للملك « نقطانب » الأول ، والتمثال مصنوع من الحجر الصلب ومحفوظ بالمتحف المصرى .
(راجع Borchardt, Cat. Gen. Statuen und Satuetten IV No. 1078 p. 47)

وقد مثل هذا التمثال ماشيا ويبلغ ارتفاعه ٥٩ سنتيمترا .

وكل ما تبقى من النقوش على هذه القطعــة هو اسم الملك « نقطانب » عاش أبديا ، « تحوت » رب « الأشمونين » .

(٦٣) « وادى النخلة » (انظر رقم ٨)

وفى كفر أبو (بانوبوليس) توجد على أحد عضادتى باب مقصورة من المقاصير التى أهديت للاله «مين» (فى مركز أخميم) نقوش للملك «بطليموس» الثانى وللملكة بطلميــة ، ويفهم من هذه النقوش أنهما من ســــلالة الملك « خبر ــ كا ــ رع » «نقطانب» الأول . (راجع L.D.T. II p. 164, Sethe, Urk. II p.27. No. 12, Comp. Gauthier L.R. IV p. 191, A. 4; Porter & Moss V p. 17)

(٦٤) « العرابة المدفونة »

معبد الملك «نقطانب» الأول الواقع فى الجنوب الغربى من معبد «أوزير». وقد وجدت فيــه قطعــة من ودائع الأســـاس وبعض قطع أخرى من عهد « نقطانب » الثانى . (راجع Petrie, Abydos. I p. 33 &pl. LXX. No: 11; Vol. II p. 7 & pl. XLIX)

(٦٥) « العرابة »

وجد فى العرابة ناووس من الجرانيت الأحمر المبرقش وهو محفوظ الآن بالمتحف المصرى وقد وجد عليه اسم كل من «نقطانب» الأول والثانى . عثر على هذا الناووس الأثرى « دارسى » فى العرابة المدفـونة » حوالى عـام ١٨٩٦ — ١٨٩٧ م فى المعبد الصغير الواقع غربى «شونة الزبيب» وهو الآن بالمتحف المصرى . وصناعة هذا الناووس دقيقة غير أن النقش الذى فى داخله لم ينل عناية كافية . هذا ويلحظ أن الجزء الأعلى من جانبه الأيمن قد هشم وكذلك الجزء المتصل بالسقف ، هذا بالاضافة الى بعض قطع صـغيرة قد ضاعت منه . والناووس قطعة واحدة وسطحه على هيئة السرج .

وأهم النقوش التى عليه ما يأتى :

(١) يشاهد على جداره الأيمن منظران الأول من جهة اليسار مثل فيه الملك يحضر العدالة أمام الاله « تحوت » وقد نقش فوق الملك : ملك الوجهين القبلى والبحرى رب الأرضين « خپر — كا — رع » بن « رع » رب التيجان « نخت — نيف » ليته يعطى الحياة والثبات والقوة مثل « رع » أبديا .

ونقش خلفه الحماية والحياكة كلها حوله مثل « رع » . ونقش أمامه : « اعطاء العدالة لوالده لأجل أن يجعله يعطيه الحياة » وقد مثل « تحوت » فى هذا المنظر فى هيئة قرد على رأسه قرص القمر وقد نقش معه : «تحوت» مرشد الآلهة والاله العظيم رب السماء » .

المنظر الثانى يشاهد فيه الاله « أنوريس — شو » يحضر العدالة للاله « أوزير » رب جبانة « العرابة » وقد نقش فوقه « أنوريس — شو » ابن « رع » رب السماء ونقش أمامه : « اعطاء العدالة الى أنفك يا رب الحياة (يقصد (أوزير) »)

ويشاهد أمام « آنوريس — شو » الاله « أوزير » واقفـا على هيئـة مومية وقد نقش فوقه : (آوزير) اول اهل الغرب ، « وننفر » الاله العظيم رب الارض المقدسة ونقش أمامه : « انى أعطيك كل الحيـاة والقوة وكل السلامة » .

النقوش التى على الجدار الأيمن فى الحجرة الداخلية للناووس :

يشاهد أولا الملك يقدم العدالة أمام « أوزير » والالهة « حتحور » وقد نقش اسم الملك فوقه غير أنه هنا كتب الملك «نقطانب» الثانى وهاك النص : رب الأرضين «سنزم أب — رع — ستنب — ن — آمون » رب التيجان «نخت حور حبت» محبوب «آمون». ونقش أمامه «اعطاء العدالة لوالده» .

ومن جهة أخرى يشاهد « أوزير » واقفا فى صـورة مومية وقد نقش فوقه « أوزير وننفر » رب الأرض المقدسة (الجبانة) ؛ وكذلك يشاهد خلفه « حور » وقد نقش فوقه : « حور وننفر » رب « رستاو » كمـا نشاهد « ازيس » وقد نقش فوقهـا : « ازيس » (ربة) البيت التى ولدت رب السماء وسيدة الآلهة » . ويشـاهد على الجـدار الأيسر من الداخل الاله « آنوريس » وكذلك نشاهد صورة الملك « نقطانب » الثانى مهشمة وقد بقى من النقوش التى معه مايأتى: «رب الأرضين «سنزم اب —رع— ستنب — — ن — آمون». وتدل شواهد الأحوال على أن الملك « نقطانب » الأول هو الذى أقام هذا الناووس ونقشه من الخارج ثم جاء بعده « نقطانب » الثانى ونقش جدرانه من الداخل .

راجع Mariette, Catalogue Abydos p. 552 No. 1424; Mariette Abydos II pl. 42 c.; Roeder Cat. Gen. Naos pp. 53-5)

(٦٦) « دندرة »

يوجد فى بيت الولادة المبكر فى معبد « دندرة » ثلاثة مناظر ولادة فى

ثلاثة صفوف فى المحراب باسم الملك « نقطانب » الأول وهــذه المناظر لم تنشر بعد (راجع Porter & Moss, VI p. 105) وهذا هو الأثر الوحيد الذى عثر عليه فى « دندرة » من الأسر ٢٨ الى ٣٠ .

(٦٧) « قفط »

ناووس صنعه الملك « نقطانب » الأول للاله « مين » فى « قفط » . صنع هذا الناووس من الاردواز الأخضر ويبلغ ارتفــاعه ١٨ر٢ مترا ، عثر عليــه « كارتر » فى عام ١٩٠٨ فى أكوام السباخ فى خرائب « قفط » وقد نحت فى قطعة واحدة من الحجر وصناعته دقيقة وملساء ونقوشه الهيروغليفيــة نظيفة غير أنها نقشت نقشا سطحيا وقد كسر منه قطعة كبيرة .

(راجع Roeder, C.Gen. pl. 15)

وقد نقش على عضادتيه المتن التالى :

على الجهة اليمنى : « حور » صاحب الساعد القوى ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « خبر — كا — رع » لقد عمله بمثابة أثره لوالده « مين » صاحب « قفط » ورب « أبو » (كفرأبو) ورب « سنوت » ، لقــد عمل ناووسا من صنع ممتاز للأبدية ومصراعاه اللذان عليه من خشب « قــد » (خشب لبنان) مصفح بالذهب ، وقــد عمله لأجــل أن يعطى الحياة أبديا مثل « رع » .

ونقش على المصراع الأيسر : « حور » صاحب الساعد القوى ابن « رع » « نقطانب » الأول صــنعه بمثابة أثره لوالده « مين » « حور » صــاحب الذراع المرفوع (صفة من صفات « مين ») عمل له ناووسا من حجر « بخن » اللامع (مستخرج من الحمامات) عمله ليعطى كل الحيــاة والثبات والقــوة

وكل السلامة وكل الانشراح مثل « رع » أبديا . (راجع Roeder, Cat. Gen., Naos p. 55-57 & Pl. 15 & Pl. 49-a-c ; A. S., 6, p. 122-123)

(٦٨) « قفط »

قطع مختلفة عليها اسم هذا الفرعون قد استعملت فى المبانى
(راجع Champollion Lettres, p. 75-6 ; Wiedemann Gesch. p. 717)

(٦٩) « قفط »

وكذلك وجدت فى « قفط » قطع باسم « خبر — كا — رع » أى بلقب « نقطانب » غير أن هذا اللقب يحمله كذلك « سنوسرت » الأول ولذلك يشك فى أمر نسبتها الى صاحبها الحقيقى . (راجع L.D.T. II, p. 256)

(٧٠) « قفط »

ووجد فى هذه البلدة لوحة وتابوت من الجرانيت الرمادى لكاهن تمثال الملك « نقطانب » الأول وهذا الكاهن يدعى « نس مين » . وتفسير ذلك أنه قد عثر الأهالى على مقبرة فى بلدة « القلعة » وقد فتحها « حسن افندى حسنى » مفتش الآثار وتحتوى هذه المقبرة على حجرة تحت الأرض مساحتها ٢ر٨٠ × ١ر٥٧ × ١ر٧٠ مترا . وهى مبنية من الحجر الجيرى وملونة باللون الأصفر ونقوشها باللون الأحمر . وكانت تحتوى على تابوتين غير أنهما وجدا منهوبين قديما وقد عثر على لوحة موضوعة على التابوتين مصنوعة من الحجر الجيرى كما عثر على جعران قلب خال من النقوش هذا بالاضافة الى لوحة أخرى مكتوبة بالديموطيقية غير أن كتابتها غير واضحة .

والتابوت المنقوش مصنوع من الجرانيت الرمادى وهو على شكل مومية واسم صاحبه « نس مين » ابن « أرت — ثى — ر — ثاى » الكاتب الملكى ،

وقد نقش عليها طغراء الملك « نقطانب » الاول وقد مثل على اللوحة المتوفى يقدم قربانا للآلهة الأربعة التالية :

« ازيس » و « اوزير » و « آتوم » و « حـرمخيس » بالاضـافة الى ستة أسطر أفقية جاء فيها ذكر نفس الاسم كما جاء على التـابوت (راجع A.S., IV, p. 49-50) وهى محفوظة الآن بالمتحف المصرى .

(٧١) « وادى حمامات »

منظر يمثل « آمون رع » جالسا ومعه متن مؤرخ بالسنة الثالثة من عهد « نقطانب » الأول . (راجع Couyat & Montet, pl. VIII, p. 43 ; L.D., III, 286 h)

(٧٢) « وادى حمامات »

نقش على صـخر لمحاربين « مين » و « حاربوخراتس » ومعهما كبش مقدس . وجد هذا النقش فى محاجر الملك « نقطانب » الأول والثانى أيضا . (راجع Couyat & Montet, pl. VII, Porter & Moss, VII., p. 336)

(٧٢) « المدمود »

وجد فى معبد « المدمود » تمثالان لبولهول واحد منها مهشم . (راجع Bisson de la Roque, Rapports sur les fouilles de Medamoud, p. 116 bis 118 No. (2113-16) fig. 66-69) وقد وجد اسم « نقطانب » الأول عليها .

(٧٤) « الكرنك »

وجدت طغراء « نقطانب » الاول على الجانب الشرقى لمعبد « آمون » . (راجع Champ. Not. Descr., II, 256 & P. & M., II P. 71)

(٧٥) « الكرنك »

البوابة الشرقية ــ يشاهد الملك على الجانب الخارجي يقدم صورة الالهة « ماعت » للاله « آمون » والآلهة « موت » . (راجع L.D. III, p. 284 K; L.D.T. III, p. 37-38 ; Champ. Not. descr., II, 261-2, Mon., IV, 309' No. 2.)

(٧٦) « الكرنك »

يشاهد على خارج الجدار الخلفي لمعبد الاله « خنسو » الملك « نقطانب » الأول يتعبد لعدة آلهة . (راجع Champ. Not. Descr. II p.240 : Wiedemann, Gesch. p. 717 ; Kienitz Ibid p. 209)

(٧٧) « الكرنك »

معبد « منتو » وجد اسم الفرعون « نخت نبف » على البوابة التي أقامها « نقطانب » الأول التي توجد داخل السور المحيط .

(راجع Champ. Not. Descr. II 273, L.D.T. III. p. 3)

(٧٨) « الكرنك »

تمثال بولهول جاثم مصنوع من الحجر الرملي قدمه الفرعون للاله « آمون » صاحب الكرنك ومحفوظ الآن بمتحف « برلين » وقد نقش عليه يعيش « حور » صاحب الساعد القوي ، والسيدتان (المسمى) ، مقوى الأرضين « حور » الذهبي العين (المسمى) محبوب الآلهة ملك الوجه القبلي والوجه البحري رب الأرضين « خبر ــ كا ــ رع » بن الشمس رب التيجان « نخت نبف » « نقطانب » الأول .. ألخ

(راجع L.D. III 286 d-g, Ausf Verz., p. 249 : Gauth. L.R. IV p. 189 No. 23)

(٧٩) « الأقصر »

أولا يوجد تماثيل بولهول التي في طريق الكباش بالأقصر وهي التي كشف

عنها حديثا بجوار معبد الأقصر أربعة تماثيل بولهول يبلغ طول كل واحد منها ٢٫٧٥ مترا نقش عليها اسم الملك « نقطانب » الأول (راجع Illustrated London News No. 5736, 26 ; March 1949 p. 417, with three photos)

(٨٠) « مدينة هابو »

فى الردهة الأمامية من معبد الأسرة الثامنة عشرة الذى أقامه « تحتمس الثالث » يشاهد منظر للملك « شبكا » اغتصبه الملك « نقطانب » لنفسه حيث نشاهد فيه هذا الفرعون الأخير يضرب عشرة من الأعداء أمام الاله « آمون » وبجوار هذا المنظر نقرأ أسماء ثلاثة من الأقوام المهزومين ، هذا وقد أقام الفرعون « نقطانب » الأول بوابة فى الردهة الخارجية من معبد « مدينة هابو » الواقعة بين الكشك والمعبد الرئيسى .(راجع L.D.T. III, p. 151-3 ; Daressy Notice explicative des ruines de Medinet Habu p. 5-8 , Champolion Notice descr. I, 319-321 ; Mon. II 197, I (196, 1 ?). Rosellini Mon, stor. I, 154, 2)

وقد مثل الفرعون على جانب بوابته امام الاله « آمون » وهو يقدم ثلاثة من الأسرى فى كلا المنظرين .

(٨١) « طود »

معبد الاله منتو — وجد اسم ملك يلقب « خبر كارع » وهذا الاسم يطلق على « سنوسرت » الأول وعلى الملك « نقطانب » الأول — كما ذكرنا من قبل — وقد نقش الاسم على ناووس وعلى ذلك يمكن أن يكون لأحد الملكين (راجع Champ. Not. descr. I 292., 6 & 7. ; Legrain B.I.F.A.O. 12 (1916) p. 104 No. 6) هذا ويعتقد «لجران» ان هذه الطغراء هى للملك « سنوسرت » الأول .

(٨٢) « الكاب »

عثر الأثرى « كابار » على قطع من الحجر متفرقـة عليهـا اسم الملك « نقطانب » ولقبه « خپر ــ كا ــ رع » « نخت نبف » وهو يتعبـد للالهة « نخبت » وذلك فى معبد « الكاب » الذى قام بأعمال الحفر فيه . وهـذا يدل على أن هذا الفرعون قد قام بانشاء مبان فى هذا المعبد أو أضاف اسمه على جدرانه . (راجع A.S. 37 (1937) p. 6, & p. 12)

(٨٣) « ادفو »

أنظر رقم ١ ، ١٢ فى قائمة آثار هذا الملك الذى نحن بصددها الآن

(٨٤) « الفيـــلة »

معبد « ازيس » ــ أقام الملك « نقطانب » الأول لنفسه ايوانا عند قاعة الدخول للمعبد أهداه لوالدته «ازيس» المبجلة فى «أباتون» (جزيرةسهيل) وسيدة الفيلة والى الآلهة « حتحور » صاحبة « سنموت » . وتدل شواهد الأحوال على أنهذا المعبد كانقد اكتسحه ماء النيلبعد اتمامه بمدة قصيرة ، ولكن «بطليموس» الثانى (فيلادلف) أصلح الايوان ثانية . وهذا الايوان الصغير الأنيق المنظر كان مقاما على أربعة عشر عمودا ذات تيجان مختلفة من النباتات وفوق كل عمود تاج على هيئة صناجة ، ولم يبق قائما من هذهالعمد الا ستة ، وقد اختفى السقف . وكان يوجد بين العمد ستائر من الحجر يبلغ ارتفاع كل منها أكثر من ستة أقدام ومزينة بكرانيش مفرغة وصـفوف من الأصلال . وقد اعترض هذه الستائر على الجانبين الشرقى والغربى وكذلك على الجانب الشمالى أبواب الخروج . وهذه الستائر قد مثلعليها مناظر يظهر فيها الملك « نقطانب » الأول يقدم قربانا للآلهة .

ويوجد فى متحف « برلين » الآن قطعة منقوشة من هذا الايوان عليها اسم هذا الفرعون . (راجع: L.D. III, 285 a-c, L. D. T. IV, p. 130-135; Ausf. Verz. p. 246.)

(٨٦) « الفيسلة »

أقام كذلك « نقطانب » الأول مدخلا فى البوابة الكبرى لمعبد « ازيس » الكبير وقد ظهر فيه هذا الملك يتعبد لآلهة مختلفة ويقدم لهم القربان ويتقبل منهم الحياة والأعياد الثلاثينية ونخص بالذكر من بين هؤلاء الآلهة « ازيس » و « أوزير » و « وننفر » و « آمون رع » و « ددون » (اله النوبة) و « رع حور أختى » و « خنوم » و « ساتيس » و « حتحور » ... ألخ (راجع Weigall, Report on Lower Nubia, P. 37-55)

(٨٧) « الواحة الخارجة »

تدل النقوش التى وجدت فى معبد « آمون » صاحب « هيبيس » (هبت) على أن الملك « نقطانب » الأول قد أقام فى هذا المعبد ايوانا ثم جاء بعده الملك « نقطانب » الثانى وأضاف اليه أجزاء . هذا وقد وجدت قطع أساس للملك « نقطانب » الأول فى هذا المعبد (راجع Winlock, The Temple of Hebis in Kharga pl. III & pl. 69 left) وفى داخل هذا الايوان يشاهد « نقطانب » الأول بالأعلام وهو يغادر القصر (ibid. pl. 70 middle)

(٨٧) « الواحة الخارجة »

تمثال للملك « نقطانب » الأول بالفاتيكان — يوجد بمتحف الفاتيكان جزء تمثال من الجرانيت جميل الصنع وقد نقش على حزامه اسم الملك

« نقطانب » الأول كما وجد على ظهر هذا التمثال اسم هذا الفرعون وألقابه :
« حور » قوى الساعد ، السيدتان (المسمى) منظم الأرضين ، « حــور »
الذهبى (المسمى) صانع حب الآلهة ملك الوجهين القبلى والبحرى « خپر
ـ كا ـ رع » ابن الشمس « نخت نبف » (راجع Rec. Trav. 6 (1884),
P. 118. Marucchi II, Museo egizio Vaticano No. 25 p. 48-49)
هذا ويوجد الجزء الأعلى من تمثال مصــنوع من الجرانيت القــائم للملك
« نقطانب » الأول محفوظ الآن بالمتحف البريطانى (راجع Guide British
Museum 1909 Sculptures p. 249 No. 924) كما يوجد تمثال آخر فى مجموعة
« مندوى Manduit » فى مدينة « نانت » من أعمال « فرنسا » . (راجع
Wiedemann, Gesch. p. 718)

وفى « برلين » يوجد تمثال راكع لهذا الفرعون أصله من « منف » .
(راجع Ausfuhrliches Verzeichniss 1899 p. 247.)

وأخيرا يوجد الجزء الأعلى من تمثال ضمن مجموعة مهندس عمارة فرنسى
يدعى « فلاندران » (راجع Gauthier L.R. IV p. 189. Note 2 b)
نقش عليه اسم هذا الفرعون .

(٨٩) « تمثال بواهول »

من الحجر الرملى وهو محفوظ الآن بمتحف « اللوفر » (راجع Louvre
A. 29) وهو تمثال جميل برأس انسان . (راجع De Rougé, Notice des
Monuments p. 25 No. 29)

(٩٠) « بومبى ـ تمثال مجيب »

وجد للملك « نقطانب » الأول تمثال مجيب فى مدينة « بومبى » وهــو

محفوظ الآن بمدينة « نابولى » . (راجع Champollion, Figeac, Egypte Ancienne p. 385)

٩٠ب. رومه

تمثالان من الجرانيت يمثلان أسدين فى « رومه » نقش عليهما اسم « نقطانب » الأول ، ومن المحتمل أنه جىء بهما من « عين شمس » وقدنصبا فى « ازيوم Iseum » وقد عثر على واحد منهما « يوجين » الرابع بالقرب من « بانتيون Pantheon » وقد كشف عنه ثانية مع التمثال الثانى البابا « كلمنت » السابع ثم نقلها « سكستس » الخامس الى « فسقبة » بالقرب من حمامات الأمبراطور « دقلديانوس » ثم نقلها « جريجورى » السادس عشر الى « الفاتيكان » وهى الآن بمتحف « الفاتيكان » (راجع Porter & Moss VII p. 414)

(٩١) جعارين (نقطانب) الأول :

يوجد فى متحف « اللوفر » جعرانان باسم «نقطانب» الأول، كما يوجد جعرانان باسمه فى مجموعة « فريزر » (راجع Petrie Scarabs No. 2005/6; Fraser Scarabs p. 50, No. 422-3 & pl. XV)

ومما تطيب الاشارة اليه هنا أن « نقطانب » الأول قد جمع فى لقبه فى نقوش جعران بين لقب « سنوسرت » الأول و « تحتمس » الثالث .
(راجع L.R. IV p. 190 No. 27)

ولا شك انه كان يرمى بذلك الى أنه اراد الجمع بين عظمتى هذين الفرعونين اللذين يعدان من أعظم فراعنة مصر من حيث السلطان

(٩٢)ـ اللوحات الصغيرة التى باسم « نقطانب » الأول

توجد لوحة صغيرة مصنوعة من الخزف المطلى فى مجموعة « لوفتى » باسم « نقطانب » الأول وهى محفوظة الآن بالمتحف البريطانى . (راجع Hall, Catalogue of Egyptian Scarabs etc. in the British Museum vol. I p, 296. No. 2815)

وقد نقش عليها رب الأرضين « خپرـ كا ـ رع » رب التيجان «نقطانب» الأول .

(٩٣)ـ هذا وقد وجدت لوحة مشابهة للسابقة ولكن باسم الملك « نقطانب » الأول فقط وهى محفوظة فى مجموعة « هلتون بريس » . (راجع Hilton Price, Catalogue p. 46 No. 366 et Planche entre les pages 24-25)

(٩٤)ـ لوحة أساس صغيرة :

فى هيئة خاتم عليها اسم الملك « نقطانب » الأول . (راجع Berlin, Ausfuhrliches Verzeichniss 1899 p, 453 No. 1966)

(٩٥)ـ قبضة صناجة :

توجد فى مجموعة « پترى » قبضة صناجة عليها اسم الفرعون «نقطانب» الأول محفوظة فى مجموعة « فلندرز پترى » . (راجع Petrie History III, p. 386)

(٩٦)ـ قطعة من قبضة صناجة :

محفوظة فى مجموعة « ناش » عليها اسم « نقطانب » الأول .

(راجع Nash PSBA. 30 (1908), p. 293 No. 26, PL. II)

وقد نقش عليها « خبر ـ كا ـ رع » محبوب الاله «أنوريس» و«نقطانب» محبوب الآلهة « حقات » .

(٩٧) ـ ثقالة عقد « منات » :

باسم هذا الملك موجودة فى مجموعة « پترى » . (راجع Petrie, Hist. III, p. 386)

(٩٨) ـ ختم من الخزف الأخضر :

عليه اسـم « نقطانب » الأول (Ibid) (انظر كذلك كتاب پترى عن الجعارين والأسطوانات حيث تجد فيها قطعا صغيرة باسم هذا الفرعون) . (راجع Petrie, Scarabs and Cylinders, p. 33,40 & Pl. LVII, 30, 1 (1-5)) يبلغ عددها اثنتى عشرة قطعة باسم هذا الفرعون موجودة فى متاحف مختلفة خمسة منها فى ينيفرستى كولدج بلندن وواحدة فى المتحف البريطانى واثنتان بمتحف القاهرة وواحدة بمتحف ميونيخ .

(٩٩) ـ نموذج باب من الخشب :

سفح بالسـام على هيئة ناووس محفـوظ الآن بالمتحف البريطانى . (راجع B. Mus. Guide (1909) p. 266 No. 38255) .

(١٠٠) ـ افريز جميل من البازلت :

مثل عليه الفرعون « نقطانب » الأول وهو يقدم القربان لآلهة مختلفـة ونقش عليه اسم الملك ولقبه . عثر على هذا الافريز فى « روما » عام ١٧٠٩ م. فى خرائب « مونت افنتن Mont Aventin » وهو محفوظ الآن فى متحف « شيفيكو Civico » بمدينة « بولونيا Polonga » . (راجع Young, Hieroglipbic, pl. IX ; Lucas Alan Rowe, A. S. 1938 p. 139 & Porter & Moss VII p. 415.)

(١٠١) ـ افريز من البازلت محفوظ بالمتحف البريطانى .(راجع Petrie Hist. III, p. 286)

(١٠٢) ـ لوحة صغيرة مكتوبة بالخط الديموطيقى محفوظة بمتحف « برلين » وقد نقش عليها اسم الملك « نقطانب » الأول . (راجع Wiedemann Agyptische Geschichte p. 718)

(١٠٣) ـ قطعة منقوشة من بوابة معبد بالمتحف البريطانى نقش عليها اسم « جاديانو Gaddiano » بمدينة « فلورنسا » وقد نقش عليهـا اسم الملك « نقطانب » الأول . (راجع Kirscher Oedipus III, p. 385; Gauthier L. R. IV, p. 190 A. 2)

(١٠٤) ـ قطعة منقوشة من بوابة معبد بالمتحف البريطانى نقش عليها اسـم « نقطانب » الأول . (راجع Arundale-Bonomi, Gallery of Antiquities Pl. 45 fig. 167 above)

(١٠٥) ـ تمثال القاضى الأعلى «حورسا ازيس» وكاهن تمثال الملك «نقطانب» الأول . هذا التمثال يوجد بمتحف «برلين» Berlin Museum No. 21596 وقد كتب عنه الأثرى «مولر» بمناسبة علامة العدالة عند المصرى القديم (راجع Möller A. Z., 56 (1920) p. 67, Bosse, Menschliche figur p. 40 No. 92 & Pl. Vc)

(١٠٦) ـ جذع تمثال من البازلت لفرد يدعى « حورسا ازيس » الذى عاصر الملك « نقطانب » الاول وهذا الأثر موجود الآن بمتحف «موسكو» (راجع Turajeff University of Moskau, Egypt. Coll. 1 ; Ancient Egypt, 1920 p. 125 .)
وقد مثل هذا الرجل بصفته القائد الأعلى ويحمل حول رقبته صورة العدالة (راجع ما كتب عن ذلك فى الجزء التاسع مصر القديمة ص ٣٥٩ — ٣٧٠)

هذه هى بعض آثار الملك « نقطانب » الأول التى كشف عنها حتى الآن، وفى اعتقادنا ان الجم الغفير من آثار هذا الفرعون لا يزال مختبئا تحت تربة

أرض الكنانة كآثار غيره من عظماء ملوك « مصر » الذين بنوا مجدها الغابر، ومهما يكن من أمر فان ما استعرضناه من آثار هذا الفرعون يدل دلالة واضحة على أنه قد قام بنهضة جديدة فى البلاد بعد النكسة التى انتكستها على أثر دخول الفرس فيها . ولا غرابة فى ذلك فان ما لدينا من معلومات وصلت الينا عن طريق الكتاب الاغريق وما لدينا من الآثار المكتشفة له يدل دلالة واضحة على أنه قام بنهضة جديدة فى كل نواحى العمران وبخاصة فى العمارة والفن واحياء معالم الدين بعد أن كان قد أصابها الأهمال والعبث . ومن الآثار التى تركها لنا نفهم أنه وثب بالفن وثبة واسعة وضرب بسهم صائب فى العمارة وبخاصة اقامة المعابد التى عفا عليها الزمن . وتدل شواهد الأحوال بما تركه لنا من آثار على انه كان يريد مجاراة عظماء ملوك « مصر » الذين سبقوه وبخاصة أولئك الذين وضعوا الأسس لاحياء مجد « مصر » والسير بها فى طريق بناء الأمبراطورية المصرية واكبر دليل على ذلك أنه تلقب بلقب « سنوسرت » الأول واضع أسس الامبراطورية المصرية فى عهد الأسرة الثانية عشرة كما ضم الى لقبه « تحتمس » الثالث الذى وصلت فى عهده الدولة المصرية الى أوج عظمتها وسؤددها والواقع أن « نقطانب » الأول قد جمع فى صفاته وأخلاقه ما يجعله يتمثل بهذين الملكين العظيمين وينحو نحوهما فى احياء مجد « مصر » واقالتها من عثرتها غير أنه كان كالقلب السليم فى الجسم العليل الذى أضعفته الأمراض وقد أراد بث الحياة فى هذا الجسم المتداعى فلم يكن له قبل بذلك الا مدة قصيرة لم يلبث بعدها الجسم أن مات ومعه مات القلب الفتى وذلك على الرغم من محاولة خليقة بالسير فى الطريق الذى رسمه لمجد بلاده فقد كانت دولة الفرس لا تزال قوية وكانت دولة اليونان آخذة فى الظهور بما لديه من قوة فنية وبخاصة عندما أخذ بنظامها اسكندر الأكبر الذى قضى على كل الممالك العظيمة فى عهده واسس أعظم امبراطورية فى العالم القديم .

أسرة « نقطانب » الأول

ان كل ما نعلمـه عن أسرة الملك « نقطانب » الأول « نخت نبف » هو ما وصل الينا من النقوش التى دونت على التابوت رقم ٧ بمتحف « برلين » وهو لقائد أعلى يدعى « نخت نبف » (نقطانب) عاش فى عهد البطالمة الأول وكان جده لأمه قد تزوج احدى أخوات الملك « نقطانب » الأول . (راجع Ausfuhrliches Verzeichniss 1899 p. 272; Sethe, Hieroglyphische Urkunden der Griechesch Romischen Zeit, p. 24-26)

والده : وقد جاء على هذا التابوت اسم الملك « نقطانب » الأول كما يأتى:

« ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « خپر — كا — رع » بن الشمس « نخت نبف » » وقد جاء اسم والد « نقطانب » الأول على هـذا التابوت وهو « نخت‌حور » فى المتن التالى :

« الأمير الوراثى والحاكم الملكى والد ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « خبر — كا — رع » ابن الشمس « نخت نبف » المرحوم واسمه الكبير = « تحوت حور » ؟. وقد اراد الأثرى « بركش » أن يرى فى اسم والد الملك « نقطانب » الثانى وهو « تحت حرر » أنه هو الملك « زحر » بوصفه أنه هو ابن الملك « نقطانب » الأول غير أن الكشوف الحديثة قد قلبت الأوضاع كما ذكرنا من قبل فقد أصبح « نقطانب » الأول هو « نقطانب » الثانى والأخير هو « نقطانب » الأول .

أخته : وجاء اسم أخت الملك « نقطانب » الأول على هذا التابوت وهى « مريت حابى » .

زوج أخته: وهو الأمير الوراثى والحاكم فى المقاطعة ــ واسمه «نس بادد».

بنت أخته : تدعى « تيخابس » .

حمو أخته : يدعى الأمير الوراثى والحاكم ٠٠٠٠٠ «بدى آمون» المرحوم.

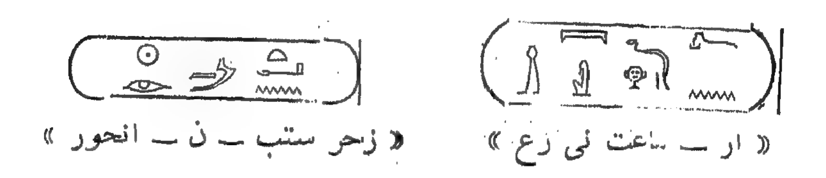
حفيد أخته : وهو صاحب التابوت فكان يدعى « نخت نبف » كما جاء فى المتن التالى :

« الأمير الوراثى وحاكم « ثارو » (« تل أبوصيفة » الحالى) والقائد الأعلى لجيش جلالته وكاهن الاله « بتــاح » القاطن فى « بنت » المســمى « نخت نبف » المبرأ لدى ٠٠٠٠٠٠ » .

وكان حاكم « ثارو » هذا هو القائد الأعلى وكاهن « بتاح » ويحمــل اسم خاله الثانى وهو الملك « نقطانب » الأول . والواقع أنه كان يشغل مكانة عظيمة فى بلاط البطالمة الأول . (راجع Gauthier, L. R. IV p. 192; Ausf. verz - p. 272 ; Sethe, Urkunden p. 24-26)

الفرعون « تاخوس » « تيوس » أو « تاوس » باليونانية

و « زحر » بالمصرية



أطلق الأغريق فى معظم كتاباتهم على اسم « زحر » لفظة « تيوس » أو تاخوس (راجع Diod. XV 90 ff.; Plutarch, Life of Agesilas Chap, 36 ff.)

وقد ظن الأثرى « بركش » (راجع Histoire d'Egypte. p.283) أن « تيوس » على حسب ما جاء على التابوت رقم ٧ السالف الذكر هو ابن « نقطانب » الثانى ولكن ذلك رأى خاطىء . على أن الحوليات الديموطيقيـــة تقول ان « تيوس » هو أحـــد أبناء « نقطانب » الأول على حســب الرأى القـــديم و « نقطانب » الثانى على حسب الرأى الجديد . والواقع أن الكتاب الاغريق لم يقدموا لنا أية معلومات عن علاقته بالنسبة لسلفه ، ولكن تقول آنه ابن أخيه ، أما الآثار المصرية وهى نادرة جدا فلم تحدثنا قط عن العلاقات الأسرية التى كانت بين هؤلاء الملوك المختلفين فى هذه الأسرة .

وقد حكم « تاخوس » مدة عامين من ٣٦١ ـــ ٣٥٩ ق .م. (راجع Unger, Chron., des Manetho p. 3 09)

وتدل ما لدينا من معلومات على ان الملك « نقطانب » الاول لم يهاجمـــه ملك الفرس « منمون » بعد عام ٣٧٤ ـــ ٣٧٣ ق. م. والواقع أننا لم نجد من جهة اخرى اى أثر يحدثنا انه فكر حتى فى القيام بالهجوم على قواد ملوك

« مصر » ، ولكن الملك « زحر » أو « تاخوس » الذى تولى عرش البلاد بعد « نقطانب » الأول قد اتخذ لنفسه سياسة جديدة مع عاهل الفرس فنجد أنه لم يتبع سياسة الدفاع عن نفسه وحسب بل أخذ فى مهاجمة الفرس ، واشترك معه فى ذلك قائد أثينى ، كما طوى تحت لوائه ملك «أسبرتا» وجلب الى « مصر » عددا عظيما من جنود الاغريق المرتزقين المشهورين بشجاعتهم ، ولذلك نجد أن « مصر » فى عهد هذا الفرعون الجديدخلافا لما سارت عليه فى الماضى فى عهود الملوك « نفريتس » و « أوكوديس » و « نقطانب » الأول وحتى فيما بعد فى عهد « نقطانب » الثانى ، كانت هى البادية بالهجوم على أملاك الفرس ، وقد ذكر لنا « ديودور » ذلك بوضوح وجلاء (XV 90,2) ،يضاف الى ذلك أن هذا الاتجاه المصرى قد جاء ذكره فى حياة « أجيسيلاس » (راجع Ps. Xen, Ages, II, 28) ولا نزاع فى أن هذا الموقف الذى اتخذه «تاخوس» ازاء الفرس كان أول دليل على قوة شخصيته . فقد كان فى الحق ملكا لم تقف أطماعه وآماله عند أفق « مصر » الضيق . ويلحظ أنه فى بحثه للوصول الى الطرق والوسائل لنيل مآربه لم يتردد بوحى من مستشاريه الأجانب فى تحطيم بعض التقاليد الوطنية .

والآن يتساءل المرء عن الموارد التى ذهب « تاخوس » ليحصل عليها من بلاد الأغريق ، والجواب على ذلك سهل بسيط ، اذ نجد أنه نال أولا معاضدة غير مباشرة من جزء من سكان « آسيا » من الأغريق القاطنين هناك . والظاهر أن كلا من الطرفين كان على استعداد للاتحاد معا لمحاربة عاهل الفرس الجبار، ولكن مما يؤسف له جد الأسف أنه ليس لدينا أية معلومات محددة عن هذا الموضوع . وينحصر ما قاله « ديودور » فى هذا الصدد فى أن هذه المدن لم

تقم بشيء الا التحريض الذى حثها عليه شطاربة الفرس فى « آسيا الصغرى ».
وسنرى أن هذه المدن على العكس قد ساعدت الحملة التى قام بها «أوكوريس»
عاهـــل الفرس على « مصر » فى عهـــد الملك « نقطانب » الثانى حوالى عام
٣٤٣ — ٣٤٢ ق. م.

وقد كان أول ما عمله « تاخوس » هو أنه ولى وجهه شطر «أوربا» باحثا
عن حلفاء له ، فأرسل حوالى شتاء عام ٣٦٠/٣٥٩ ق. م. الى « أثينا » بعثة
من أجـــل ذلك ، وقد بقى لنا جـــزء من نقش يدل على ذلك (Ig. II, 60)
وقد عرفنا منه اسم السكرتير السنوى وأسماء السفراء ، وقد كان من بينهم
اغريقى يدعى « أبولودوروس » ، وهذا دليل على أن « تاخوس » الـــذى
عاش فى القرن الرابع قبل الميلاد ، كان له مستشارون اغريق ، وكذلك كان له
سفراء وقواد من الأغريق . هذا ولم يصل الينا شيء عن الأسباب التى قدمتها
هذه البعثة المصرية ، كما لم يصل الينا الخطب التى كان من الممكن ان تلقى
فى الجمعية الشعبية فى « أثينا » وهى التى تسمى « اكليزيا Ecclesia » :
وكذلك لم تقع فى أيدينا النقوش أو ما قاله المؤرخـــون والخطباء الأثينيون
ولكن يحدثنا كل من المؤرخـــين « ديودور » و « بلوتارخ » عن النتائج
الأساسية التى حصلت عليها هذه البعثة . وتدل الظواهر على ان « أثينـــا »
كادت أن تتخذ موقف الحياد فى هذا الموضوع ، فلم ترسل جنودا أو بحارة
أو قوادا بصورة رســـمية الى « مصر » ، غير أنها لم تحـــرم على المتطوعين
الذهاب الى « مصر » ، وكذلك سمحت للقائد « خابرياس » أن يسافر الى
« مصر » وذلك بعـــد أن عرف الفرعون كيف يمكنه أن يقربه اليه ويجعـــله
يخدم فى جيشه . (راجع Diod. XV, 92, 3; Plutarch, Xgesilas 37-40)
ومن ثم نرى أن «أثينا» بهذه الكيفية لم تقطع علاقتها صراحة مع عاهل الفرس ،

ولكنها فى الوقت نفسه جندت بطريقة غير مباشرة جنودا مرتزقين حاربوا فى صف فرعون « مصر » . وقد ظل موقف « أثينا » هكذا الى حد يتفق مع موقف « لاسيدمون » التى كانت وقتئذ مناهضة لسياسة ولاية «طيبة». والواقع أن أهالى«أسبرتا»قد انحازوا الىجانب الفرعون«تاخوس» وكان قد طلب اليهم مساعدته على الفرس (Diod., XV, 90, 3) ويرجع سبب انضمام « أسبرتا » الى « مصر » الى عدة أسباب ، والسبب الأول على حسبمارواه «ديودور»(Diod., XV 90, 2)هو ماأظهرهملك الفرسمنقبل لأهل « مسينى » بعد موقعة « مانتينى » ، وقد كان ذلك صدمة لأهل «اسبرتا» (Diod., XV, 89, 1-2). ولكن قبل ذلك ببضع سنين أى فى عام ٣٦٨/٣٦٧ ق. م. كان وفد « طيبة » الاغريقية الذى ذهب الى « سوسا » طالبا المساعدة الفارسية على الأسبرتيين قد لاقى نجاحا عظيما . ولما كانت « اسبرتا » قد فقدت صداقة ملكالفرس فانها انتهزت الفرصة السانحة بسرور بالغ عام ٣٦٠/٣٥٩ ق.م. لتنتقم لنفسها بمساعدة فرعون «مصر» «تاخوس» على الفرس ، هذا فضلا عن أنها لم تكن غافلة عن الفوائد المالية التى كانت ستجنيها من محالفتها مع فرعون « مصر » (راجع Plutarch, Ages. 34-40) وقد حققت الأيام فعلا أمل ملك «اسبرتا» المسمى «أجيسيلاس» ، اذ قد قدمت له « مصر » مساعدة مالية وفيرة ، ومن ثم قررت « اسبرتا » أن ترسل ألمع قائد حربى لديها وهو ملكها «أجيسيلاس» ، وقد سافر يصحبه مجلس مؤلف من ثلاثين أسبرتيا وجيشا صغيرا (راجع Diod. XV, 92, 2; Plut. Ages, 36) ويروى لنا « ديودور » أن تدخل « أجيسيلاس» هذا بهذه الصورة قد سبب قيام عاصفة عاتية من الشعب الاغريقى ، فقد قالوا ان مثل هذا التصرف يعد أمرا لا يليق بمكانة أحسن قواد الاغريق ، فقد كانوا يرون أن ذهابه ليحارب كجندى مرتزق تحت راية ملك أجنبى همجى خارج على سيده ملك الفرس أمرا مزريا بكرامتهم . والواقع أن هذه الضجة لم تكن صادرة عن

اخلاص بل كان المقصود منها أن اسبرتا كانت وقتئذ مكروهة كرها شنيعا من كثير من الاغريق وبخاصة من أهل « طيبة » وحلفائها . واذا فحصنا تهمة ذهاب « أجيسيلاس » لمعاضدة همجى ثائر على مليكه ، فلا يشك الانسان فى أن يد الفرس كانت تلعب من وراء الستار ، وبخاصة عندما نعلم أن هذه التهمة كان مصدرها « طيبة » حليفة الفرس وقتئذ المتحمسة لمصالحها ، وتحالف عليها مع الفرعون « تاخوس » وأنصاره . وفضلا عن المحالفة التى عقدت بين « اسبرتا » و « مصر » وما جنته «مصر» من انضمام « خابرياس » لها فان الأخير قد جند لفرعون « مصر » « تاخوس » جيشا عظيما من الجنود الأغريق المرتزقين (راجع Diod. XV, 90, 2) . هذا ويقول « بلوتارخ » ان « أجيسيلاس » قد جمع فى بلاد الاغريق نفسها جنودا لمساعدة « مصر » ، وذلك بفضل المدد المالى الذى أرسله اليه الفرعون .(Ages. p. 36) . هذا ويحدثنا « ديودور » أن « أجيسيلاس » قد أرسل من قبل «اسبرتا» مزودا بألف مقاتل كلهم من أهل « لاسيدمونيا » التى كانت تعد منبع الجنود المرتزقين الابطال . ومما يؤسف له أن « ديودور » لم يقدم لنا معلومات محددة عن هذا الموضوع ، ومن المحتمل أن « اسبرتا » لم توفد من قبلها الا « أجيسيلاس » ، ويجوز كذلك أنها كانت قد أرادت ان تقوى تحالفها مع « تاخوس » فرعون « مصر » بارسال جيش صغير وطنى يمثلها . وعلى أية حال فان ألف المقاتل الذين كانوا مع « أجيسيلاس » لم يكونوا يؤلفون الا جزءاً من عشرة أو من أحد عشر من الجيش الاغريقى الذى كان قد جمعه ملك « مصر » (راجع Diod. XV, 92, 2) . أما الجيش المصرى الذى أعده الفرعون « تاخوس » من المصريين ليحارب جنبا الى جنب مع الجنود المرتزقين فكان يبلغ ثمانين ألف مقاتل من المشاة (XV, 92, 2) . واذا قرن هذا الجيش بالذى جمعه فيما بعد خلفه الملك « نقطانب » الثانى وهو مائة الف محارب من بينهم عشرون ألفا من المرتزقين وعشرون ألفا من اللوبيين

وستون ألفا من المصريين (Diod. XVI, 47, 6) فان الانسان يلحظ فى الحال أن العنصر الاغريقى فى جيش « تاخوس » كان قليلا نسبيا . ويتساءل المرء الآن هل كان « تاخوس » يريد أن يؤلف لنفسه سلطانا أكثر استقلالا وأشد قوة ؟ وهذا أمر جائز ، ولكن لا يغيب عن الذهن أن الجنود المرتزقين كانوا يكلفونه مبالغ باهظة من المال والعتاد . والظاهر أن « تاخوس » قد صرف على ما يظهر أموالا أكثر من التى صرفها سلفه ، اذ كان لزاما عليه أن يمون الحلف الذى كان معاديا لملك الفرس . والظاهر أنه قد أعطاه مبلغ خمسمائة تلنت من الذهب دون نتيجة (Diod., XV, 92, 1) . يضاف الى ذلك أن ما صرفه على أسطوله كان أكثر جدا من المبالغ التى صرفها « نقطانب » الثانى أو التى صرفها أى فرعون ممن سبقوه من أسرته ، اذ قد أرسل الى حلفائه خمسين سفينة حربية طويلة ،هذا الى أنه أنزل بوجه خاص فى البحر مايتى سفينة حربية (Diod. XV, 92, 1-2) والواقع أن مثل هذا المجهود الذى بذله « تاخوس » لم يكن مبالغا فى تقديره لأنه كان قد أراد أن يضمن لبلاده مواصلات حرة مع « فنيقيا » و « سوريا » وينتزع السيادة البحرية من عدوه ملك الفرس الذى كان فى استطاعته أن يعبىء ثلاثمائة سفينة حربية . والظاهر على ما يحتمل أن الأهمية العددية فى الجنود المرتزقين فى الجيش المصرى قد تأثرت بعض الشىء .

ولا يخامر المرء أى شك فى أن جيشا قويا وأسطولا عظيما يقود كلا منهما قائد من أحسن قواد هذا العصر كان فى استطاعتهما أن يهددا السيادة الفارسية فى آسيا الغربية ، فقد كان الفرعون « تاخوس » يسانده القائد « خابرياس » بقوة بأسه كما كان « اجيسيلاس » ملك « اسبرتا » ورعاياه يعاضدونه بكل قوة وحماس لتنفيذ مأربه ونيل أطماعه .

وقد كان نفوذ القائد « خابرياس » ذا حدين فقد نصب أولا على رأس الأسطول المصرى . (راجع Diod. XV, 92, 36 ; Plut. Ages. 37 ; Neos, Chabrias, 2)

وكذلك نجد أنه قد أدخل تحسينات جيدة فى تسليح الجيش كما مرن بمهارة البحارة المصريين (Polyen. Strat. III, 7, 13, 14) . وثانيا نجد أن « تاخوس » قداتخذه مستشاره المالى فكانت سياسة البلاد المصرية المالية على حسب توجيهاته . والواقع أنها كانت شديدة الوطأة على المصريين اذ كانت تعتبر نسبيا جديدة فى بابها ولكن بواسطتها فقط أمكن الفرعون أن يمون مشروعه الضخم لمناهضة الفرس . Ps. Aristoteles, Economique II, 25, 37, Polyen. Strat. III, 115 ; Maspero Hist. pp. 759-760 ; Baillet, Le Regime Pharaon. dans ces Rapports avec l'evolution de la Morale en Egypte pp. 76, 280 ; Cavaignac, p. 321 , Judeich p. 165).

وقد كان أول ما فعله « خابرياس » أنه فرض الضرائب على الكهنة وكان فى بادىء الأمر قد اقترح الغاء وظائف الكهنة حتى تضع الحكومة يدها على المبالغ التى كانت تصرف على القربان وعلى تموين المعابد ، لكن لم يجسر أحد على السير قدما لاتخاذ مثل هذه الاجراءات لتغطية الموقف ، ولكن فضل على هذا المشروع الاستيلاء على تسعة أعشار الدخل المقدس خلال مدة الحرب . وفضلا عن ذلك نصح « خابرياس » الفرعون بأن يزيد من الضرائب التى كانت تجبى من البيوت ، ومن المصانع ومن بيع الغلال والحرف والتجارة النهرية ، هذا الى زيادة فى جزية الرءوس . وأخيرا أجبر الشعب المصرى ، ليضمن دفع أجور الجنود المرتزقين ، على أن يورد للخزانة كل ما يملكه من ذهب وفضة على أن تدفع لهم هذه الأموال تدريجا ، وذلك بشروط خاصة . وبالاختصار فان أملاك المعابد ورءوس المال ودخل الصناعة والأرض والتجارة

وبوجه عام كل المصادر الرئيسية للثروة المصرية كان لا بد أن تمد بسخاء الجيش والاسطول ليقوما بأعبائهما .

ولا نزاع فى أن هذه الظاهرة كانت أهم الاحداث التى وقعت فى عهد الملك « تاخوس » . وهذا الاجراء المالى القاسى الذى اتخذ فى عهد «تاخوس» كان يعد من بعض الوجوه ثورة فى اقتصاد البلاد . ومع ذلك يجدر بنا ألا فبالغ فى شىء بالنسبة لهذا الموضوع فقد أظهر الأثرى « بيبيه » (Baillet, Ibid., p. 280) ما فى تأكيدات « ديودور » فى هذا الصدد من مبالغة . والواقع أن الملوك كانوا يأخذون من دخل ضياعهم المال الذى كان يستعمل فى حروبهم ، ولامداد قصورهم وبذخهم ، وللهدايا التى كانوا يغدقونها على عظماء الرجال الذين كانوا يشرفون بلادهم بأعمالهم العظيمة . هذا بالاضافة الى ما كان للملوك من دخل غزير خاص ، ومن ثم كانوا لا يثقلون عبء الأفراد بالضرائب (Diod. I, 73, 6) . ولا نزاع فى أنه كانت توجد فعلا أمثلة عن أملاك خاصة موقوفة على تموين المعابد ، وكان عليها بوجه خاص أن تقدم لفراعنة مختلفين ضرائب نوعية وأموالا (Baillet, Ibid. 76) ومن ثم استخلص « بيبيه » (p. 28) السياسة التى نصح بالسير على مقتضاها « خابرياس » واتبعها الفرعون « تاخوس » ، وهى التى كانت تعد تجديدا وهذا أمر مبالغ فيه اذ لم تكن أكثر من وضع أساسى للضرائب ، ولكن لا نزاع فى أنه كان يوجد تجديد عظيم على الأقل بالنسبة للكمية التى كانت تجبى وكذلك فى تنوع الدخل المفروض أو فى زيادة الضرائب . وفى الحق نجد أن الملك « تاخوس » قد نشر ونظم سياسة مالية كانت حتى زمنه غاية فى التردد وعدم التماسك ، هذا فضلا عن أنها كانت محدودة . ومما يدل تماما على أية حال على الصبغة الثورية للقوانين التى أصدرها « تاخوس » هو أنها

كانت من صنع وبايعاز مواطن أثينى غريب عن « مصر » لا يربطه بهـا أى تقليد محلى . حقا كان لذلك التقليد سوابق ولكنها كانت متواضعة جدا . والسوابق على أية حال ليست بتقليد .

ويلحظ هنا أن المقاومة التى أبداها أصحاب الشأن ، ويحتمل كذلك التى أظهرتها الادارة المصرية لم تكن عديمة المفعول بل كان أثرها ظاهرا واضحا ، فمن ذلك ايقاف المنهج المجحف الذى قدمه « خابرياس » وكان يقضى بمحو كل طوائف الكهنة تقريبا والاستيلاء على كل أملاكهم . وعلى أية حال فان النظام الذى أتبع بفضل ما أظهره « تاخوس » من صلابة كان يقرب كثيرا من هذا المنهج ويبعد عن الامتيازات التى كانت قائمة وقتئذ . وأخيرا نجد أنه فى حين كان بعض اسلاف « تاخوس » مثل « أماسيس » يستعينون على دفـع أجور جنودهم المرتزقين الكثيرين بالاخـذ من دخل المعابد الرئيسـية فقط (Baillet p. 76) فان « تاخوس » قد استعان فى ذلك بما فى أيدى الأفراد من ذهب ، ومن ثم نرى أن الخزانة العامة كانت تستمد مواردها من مصادر أكثر تنوعا واكثر عددا مما كانت عليه فى عهد الفراعنـة القدامى . على أن سياسة « تاخوس » المالية كانت فى ذلك الوقت محدودة بدرجة عظيمـة . ومما يجدر الاشارة اليه هنا أن سياسة « تاوس » مع القائد « خابرياس » كانت ودية فى حين أنها كانت مع « اجيسيلاس » أقل مودة . ويدل ما رواه لنا « بلوتارخ » (Ages. p. 36) مما جمعه من الروايات التى تصف الاستقبال الذى أعده الملك « تاخوس » للملك « أجيسيلاس » المسن ، على انه كان استقبالا رائعا : فقـد كان فى استقباله عظماء رجال البـلاط الذين أوفدوا خصيصا لتشريف مقدمه وكذلك حملة الهدايا الكثيرة القيمة ، والجماهير العديدة الذين كانوا ينتظرون مقدمه بشغف بالغ . على أننا لم نلبث أن رأينا

القوم قد ظهرت عليهم أمارات دهشة ممزوجة باحتقار ، وذلك لأن المصريين كانوا متعودين على أبهة الملك الفرعونى وجلاله ، فقد استولى عليهم الذهول عندما رأوا ملكا حقيرا رث الملبس غاية فى البساطة وليس فى منظره ما يدل على أبهة الملك وعظمته . ومن الجائز أن التناقض الذى تجلى بين الترف المصرى والبساطة الساذجة الاغريقية الصامتة قد أثار غضب « أجيسيلاس ».

والواقع أن اتصال « أجيسيلاس » المباشر مع الفرعون « تاخوس » كان أعمق من مظاهر الأبهة والفخفخة ، فقد كان مجيئه لأرض الكنانة ليبحث فى موضوعات أكثر خطورة من اذكاء غضبه وحنقه . ويحدثنا فى ذلك « بلوتارخ » فيقول انه لما كان « اجيسيلاس » معتزا بماضيه الفاخر وشاعرا بقيمته الحربية العالية فانه كان يأمل أن يقود العمليات الحربية على الفرس بوصفه السيد المسيطر عليها ، غير أن « تاخوس » لم يمكنه من ذلك فكان مثله فى هذا كمثل القائد الفارسى « فارنا بازوس » اذ لم يرد أن ينزل عن سلطانه الفرعونى ليضعه فى يد رئيس جنود مرتزقين . وهذا القرار الذى اتخذه « تاخوس » بالنسبة لقيادة الجيش وهو قرار يمكن مناقشته من الوجهة الحربية ويمكن تفسيره الى حد ما من الوجهة السياسية ، فنجد انه بينما كان القائد « خابرياس » على رأس الأسطول الذى درب جنوده على فنون الحرب كان « أجيسيلاس » قد رأى أن وظيفته تنحصر فى قيادة الجنود المرتزقين . أما « تاخوس » الفرعون فكان قد حفظ لنفسه القيادة الخاصة لجنوده الوطنيين . هذا بالاضافة الى الادارة العامة للحرب كلها (راجع Diod. XV, 92, 3 cf; Plut. Ages. 37)

ومن ثم كانت المرارة التى أحس بها ملك « اسبرتا » « اجيسيلاس »

وقد حاول أن يمحو تأثير القرار الذى اتخذه « تاخوس » وذلك بأنه نصح بأن ينظم العمليات الحربية كما يأتى :

لما كان الغرض الأول هو القيام بحرب هجومية فانه كان على الفرعون أن يبقى فى « مصر » وأن يدير قواده الحرب ، ولكن هذا الاقتراح لم يلق أى نجاح فى نظر «تاخوس» (Diod., XV, 92-3) والواقع أن الفرعون «تاخوس» كان يقصد أن يكون مثله كمثل الملك « أوكوس » فيما بعد أى يكون القائد والملك فى آن واحد . ولما شعر « أجيسيلاس » بأنه قد خدع لم ير بدا من الخضوع أمام ارادة الفرعون . وعلى أية حال لم يكن هو البادىء بالثورة التى قامت فيما بعد ، وفى ربيع عام ٣٥٣ق.م. بدأت الحرب بين « مصر » و « فارس » وقد ابتعد الجيش الاغريقى المصرى مسافة كبيرة عن الحدود المصرية ووصل الأسطول الى « فنيقيا » عن طريق البحر (Diod. XV, 92,3) وبهذه الحركة قطعت الطريق البحرية عن الجيش الفارسى ، غير أن العمليات الحربية لم تقتصر على دائرة الشاطىء اذ كان «تاخوس» قد أرسل بن أخيه « نقطانب » على رأس جيش مصرى . وقد بدأ هذا الجيش يحاصر مدن هذا الاقليم (Diod. XV, 92,4) وقد امتدت الفتوح المصرية نحو الشرق وكانت هذه المرحلة من الحروب التى نشبت بين « مصر » المستقلة ألمع مرحلة فى حروبها التى شنتها على ملك الفرس العظيم . وفى غمرة هذا النصر انفجرت ثورة على الملك « تاخوس » وذلك أن « نقطانب » ابن أخيه قد استمال اليه ضباط الجيش بما قدمه لهم من هدايا كما أغرى الجنود بالوعود الخلابة وبذا كسب كل الجيش الى جانبه بغية أن يساعده على تولى عرش ملك « مصر » وطرد « تاخوس » (Diod. XV, 92-4; Plut, Ages. 37) غير أن « نقطانب » فى واقع الأمر لم يكن هو البادىء بالثورة بل يرجع

أصلها الى مصر نفسها . وتفسير ذلك ان والد القائد نقطانب الذى كان يقوم بادارة البلاد باسم « تاخوس » فى « مصر » قد نصح لابنه أن يثير جيش « سوريا » على الفرعون وينتزع منه عرش مصر (Diod. XV, 93,3) ومن ثم نفهم أن الثورة على « تاخوس » يرجع منبعها الى « مصر » نفسها ولا غرابة فى ذلك اذ لابد أن الموقف العام فى داخل البلاد المصرية عام ٣٥٩ق.م. كان متأزما بسبب ما أدت اليه الاجراءات المالية التى فرضها « تاخوس » على الأهلين مما أدى الى سخط كثير من طبقات الشعب عليه وغضبها ، ونخص بالذكر هنا طبقة الكهنة والتجار والصناع وذوى اليسار والأغنياء ، هذا ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن غياب ملك مكروه من شعب لا بد كان قد أيقظ نار الانتقام فى قلوب الشعب المثقل بالضرائب، يضاف الى ذلك أن « نقطانب » الذى قام بالثورة كان من دم ملكى ، وكان فى الوقت نفسه هو الخلف المعروف لوراثة الملك بعد موت « تاخوس » ، ومن ثم نرى أن ثورة قام بها الشعب قد وضعت « نقطانب » على العرش بيد المصريين أنفسهم (Plut. Ages, 37) وتدل الدسائس التى كانت تتفشى فى الجنود المرتزقين على أنها برهان غاية فى الأهمية للدور الذى لعبوه فى هذه الفتن المصرية فقد بقى القائد « خابرياس » مخلصا للملك «تاخوس» ، بل والظاهر أنه دافع عنه امام « اجيسيلاس » بحماس وحرارة (Ages. 37) ويدل ماكتبه لنا واضع حياة « اجيسيلاس » ملك «اسبرتا» على أن الثورة التى قامت على « تاخوس » كانت مصرية فى أصولها فقد ذكر لنا « اجيسسلاس » أن بلاده قد أوفدته لخدمة المصريين ، غير أنه لم يدنس نفسه باعلان الحرب على أولئك الذين أتى لمساعدتهم اللهم الا اذا كان أولئك الذين أرسلوه يعطونه أمرا مخالفا لذلك (Ages. 37) وقد أرسل « اجيسيلاس » الى بلاده « اسبرتا » بعض مستشاريه وكلفهم كما يقول المؤرخ « بلوتارخ » أن يحقروا من شأن

« تاخوس » ويمجدوا « نقطانب » هذا وقد أرسل كل من الملكين «ناخوس» و « نقطانب » رسلا الى « اسبرتا » فكان على رسل « تاخوس » أن يتباهوا بالاخلاص القديم الذى أظهره لمملكة « اسبرتا » وكان على رسل « نقطانب » أن يقدموا أحسن العون من جانب مليكهم . غير أن اهل « اسبرتا » لبعدهم عن الموقف وعدم معرفة حقيقة الحالة وكلوا أمر الفصل فى هذا الموضوع لملكهم العظيم المسن « اجيسيلاس » ، وعلى ذلك لم تحر « اسبرتا » جوابا لأحد الفريقين ، وقد أرسلت فعلا « اسبرتا » سرا للملك « اجيسيلاس » بأن ينضم الى الفريق الذى يكون الانضمام اليه أوفق لوطنه (Ages, 37) ومن ثم نرى أن « اسبرتا » لم تكن تبحث الا عن فائدتها فقط . وقد رأت الانحياز فعلا الى جانب « نقطانب » الذى كانت له الغلبة ، والواقع أن « اجيسيلاس » لم يتردد فى الانضمام الى « نقطانب » وذلك لأنه أولا كان يحمل بين جنبيه حقدا دفينا للملك « تاخوس » وثانيا لأنه كان يطلب المزيد من المال لاشباع نهمه وكانت الخزانة وقتئذ فى يد الملك الجديد « نقطانب ».

ولما رأى « تاخوس » أنه قد أصبح وليس لديه جيش وطنى ينصره ولا شعب يعطف عليه ولا جنود مرتزقة يستنجد بهم فر هاربا موليا وجهه شطر ملك الفرس العظيم ليستجدى منه العفو . (Diod. XV, 92-5. Plut. Ages, 38)

وهكذا تداعى أضخم مشروع قامت به « مصر » منذ استقلالها عن « فارس » للقضاء على عدوها ملك الفرس ودولته ، وهذا المشروع على ضخامته وبعد مراميه وتزويده بالطرق الدبلوماسية والحربية فى البر والبحر وما انفق عليه من أموال وفيرة قد قضى عليه بالفشل ، وذلك لأسباب مختلفة فنرى أولا ان ما نسميه بالرأى العام المصرى لم يكن وقتئذ قد ارتفع الى

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

مستوى الأحوال التى كانت جارية فى هذه الفترة اذ لم يكن الشعب وقتئذ يظهر اهتماما خاصا الا بأموره الاقتصادية والمالية ، وقد فهم ذلك بصورة ضيقة جدا ولا أدل على ذلك من مقاومة الكهنة لما فرضه الفرعون «تاخوس» عليهم من الضرائب . وتدل شواهد الأحوال على أن « تاخوس » قد اعتقد أنه قد عالج أمر ارضاء الرأى العام من هذه الناحية برفض اتباع كل نصائح « خابرياس » المتطرفة فى مجموعها ، ولكن الواقع أنه لم يعالج الموضوع بصورة تضمن له استمرار الأمن من هذه الناحية ، يضاف الى ذلك ما أظهره الجيش المصرى من انحطاط وتفاهة اذ انقلب على مليكه الشرعى «تاخوس» بسبب بعض هدايا قدمت لقواده وبعض وعود خلابة لأفراد الجيش، ولذلك ولى الجيش وجهه من ميدان القتال فى « سوريا » الى الدلتا . وعلى أية حال كانت الكلمة الحاسمة هى التى سيدلى بها رئيس الجيش الاغريقى ، ولكن مما يؤسف له أن نجد أن نفس عدم الوفاق الذى حدث بين الفرس والأثينيين وهو الذى كان من نتائجه شل حركة استعمال الجنود المرتزقة ونجاة «مصر» فى عهد « نقطانب » الأول هو نفس ما حدث فى عام ٣٥٩ ق. م. اذ أن عدم التفاهم بين الفرعون « تاخوس » وملك « اسبرتا » المسن « اجيسيلاس » لم يكن أقل من الذى حدث بين « افيكراتس » وبين « فارنابازوس » مما أدى الى عودة الجنود المرتزقين من « فنيقيا » الى « مصر » ، وقد كان ذلك بمثابة اجهاض مشروع فتح عظيم لمصر وغلبتها على الفرس وكان قد بدأ هذا المشروع بصورة لامعة تبشر بنجاح عظيم ونصر مبين .

الآثار التي خلفها « تاخوس » في « مصر »

(راجع Friedrich, Karl Kienitz, p. 212-214)

على الرغم من قصر حكم هذا الفرعون فانه قد ترك لنا بعض آثار تدل على نشاطه العظيم في جميع أنحاء البلاد وخارجها ونخص بالذكر منها ما يأتي:

١ ــ فنيقيا :

جاء في تاريخ الأثرى « ڤيدمان » (Gesch. Agypt. p 290) أن اسم « تيوس » « تاخوس » كان قد وجد على على قطعة أثرية منقوشة عثر عليها في «فنيقيا» عليها اسمه وقد ذكر بعد الاسم بعض كلمات لم يفهم لها معنى . (كذلك راجع L.R. IV. 181, A. I)

٢ ــ بلدة « فنتير » شمالي « فاقوس »

وجدت قطعتان من الحجر عليهما اسم الملك محفوظتان الآن بمتحف « ميونيخ » للفن . (راجع Porter & Moss IV, p. 10; Spiegelberg, A.Z. 65 p. 103-4 & pl. VI No. c-d)

وقد نقش على القطعة الأولى : ملك الوجه القبلي والوجه البحري « ارماعت نى رع » ابن الشمس « زحر ستب ــ ن ــ أنحور » .

ونقش على القطعة الثانية : « زحر ستب ــ ن » . ومن ذلك يتضح أن القطعة الثانية لم يذكر عليها الا جزء من اسم الملك أما الأولى فقد نقش عليها اسمه ولقبه .

٣ ــ المطرية :

الواقعة بالقرب من بحيرة المنزلة .

وجد الأثرى « ادجار » قطعة حجر مبنية فى مدخل باب بقرية « المطرية » الواقعة على بحيرة المنزلة وقد نقش عليها طغراء الملك « زحر » (زحر ستنب ــ ن ــ أنحور) ؟ . (راجع A.S. 13 p. 277) .

٤ ــ هذا ويقول الأثرى « بركش » أن اسم هذا الملك وجد فى محاجر المقطم فى « طرة » . (راجع L.R. IV p. 183, IV Note 1)

٥ ــ أتريب (بنها) الحالية

وجدت قطعة حجر ظهر عليها اسم الملك « تيوس » كتب عنها الأثرى « شارب » (Sharpe Egyptian Inscripions Pl. 43). غير أن ناقلها وهو « هاريس » قد أخطأ فى رسم اشاراتها وهاك المتن كما نقله «دارسى» : يظهر مثل « ماعت » مرشد الأرضين (ار ماعت ــ نى ــ رع) .

(زحر ستنب ــ ن ــ أنحور) كل الحياة والقوة .
(راجع A.S. 17, p. 42)

٦ ــ منف :

عثر على طبق من الخزف الأخضر الغامق محفوظ الآن بمتحف «ينفرستى كولدج» بلندن . ويقول « پترى » عن هذه القطعة من الطبق ما يأتى : ان قطعة الطبق ذات اللون الأزرق القاتم قد عثر عليها فى الحفرة المقابلة للطريق القديمة العريضة ، وهى للملك « زحر » واسمه بالاغريقية « تيوس » الذى لم يعرف له من الآثار المنقوشة الا نقشين ، والنقش الذى على هذه القطعة

جاء فيه : « ابن الشمس رب التيجان « زحر ستب ـ ن ـ أنحور » ملك الوجه القبلى والوجه البحرى رب الشاطئين « ار ماعت ـ ن ـ رع » معطى الحياة مثل الشمس المشرقة فى السماء (محبوب ؟) الآلهة . (راجع The Palace of Apries, (Memphis II) p. 11, 12; Petrie, Scarabs and Cylinders. p. 33, 40, & Pl LVII, 30,2)

ويقول « پترى » فى هذا الصدد ان وجود هذا الطبق فى « منف » يدل على أن مقر الملك كان فى هذه المدينة حتى نهاية الأسرة . ومما يجدرملاحظته هنا أن نسبة قطعة الاستراكا التى عثر عليها الأثرى « اميلينو » فى العرابة المدفونة . (راجع Amèlineau, Les Nouvelles Fouilles d'Abydos p. 241 Nr. 7, & p.277; Comp., Gauthier L.R. IV p, 182 Nr, 3 & A. 5; Porter& Moss. V p. 81) للملك تاخوس فيها شك كبير جدا .

٧ ـ الكرنك :

ومن أهم النقوش التى عثر عليها لهذا الفرعون نقش خاص بالأصلاح الذى قام به فى معبد « خنسو » بالكرنك . (راجع Bouriant, Rec. Trav. 11, p.153-4 ; Comp. L.D.T. III p, 70 ; L.R. IV p. 182 Nr 1)

ويقع هذا المتن على الوجه الخارجى للجدار الشرقى تحت قاعدة ممحوة جدا ، وهى عبارة عن نقش أفقى دون فىسطر واحد بحروف يبلغ طول الواحد منها حوالى نصف قدم ، وهو يقص علينا اصلاحات وتحسينات عملت فى معبد « خنسو » ، والمهم فى هذا المتن هو اسم الملك الذى نفذ الأعمال التى ذكرت فى صلب المتن وهو « زحر » المعروف عند الاغريق باسم « تيوس » . والواقع أننا لم نعثر على اسم هذا الملك بصورة رسمية فى المتون المصرية القديمة كثيرا . هذا وقد أشار «ليبسيوس» الى وجود اسم هذا الملك كذلك على الجزء الخلفى من هذا المعبد وهاك النص :

يعيش « حور » بوصفه مظهرا للعدالة قائد الأرضين والممثل للسيدتين (المسمى) محبوب العدالة ومفخم بيوت الآلهة « حور » الذهبى (المسمى) حامى « مصر » وهازم البلاد الأجنبية ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (المسمى) رب الأرضين « ار ماعت — نى — رع » ابن رع رب التيجان « زحر ستب — ن — أنحور » . لقد عمله بمثابة أثره لوالده « خنسو — م — واست نفر حتب » لقد جدد معبد والده بشكل ممتاز للأبدية من الحجر الأبيض الجميل الصنع ..... على حسب ... الخ .

٨ — الكرنك :

جذع تمثال صغير للملك يدعى « أوزير زحر » (أوزير — تاخوس) وهو ابن ملك يدعى « حورسا ازيس » عثر عليه « لجران » فى الكرنك .

(راجع Rec. Trav. 28 (1906) p. 160 ; Archäol. Report for 1904-5,P24; Comp. Gauthier, L.R IV p. 182 Nr. 2 & A.4) .

وتدل شواهد الأحوال على أنه ليس للملك « تاخوس » بل فيه شك كبير ومن المحتمل أنه كما يقول « جوتييه » لملك صغير من الملوك المتأخرين غير الملك الذى نحن بصدده .

٩ — الكرنك :

قطعة من ناووس بالمتحف المصرى . لم يكن طغراء الملك «تيوس» معروفا لدينا الا بالنقش الذى حفر على خارج معبد « خنسو » بالكرنك وهو الذى أشار اليه الأثرى « بوريان Bouriant » وقد حصل متحف الجيزة (متحف القاهرة الآن) على حجر مستخرج من أثر كبير وهو بلا نزاع من ناووس نقش عليها اسم هذا الفرعون هو : « سيد المملكة .... الذى يشرق بالعدل

وقائد الأرضين ، ورب الأرضـين « ارماعت ــ نى ــ رع » رب التيجان « زحر ستب ــ ن ــ أنحور » .

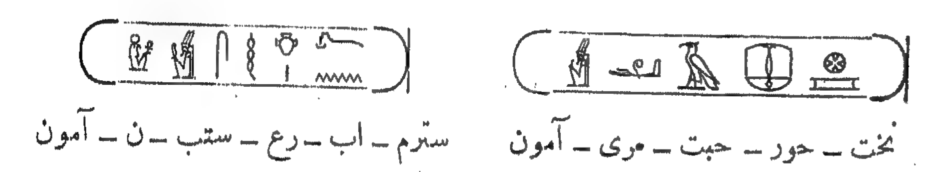
١٠ ــ اثينا :

عملة من الذهب الخالص باسم هذا الملك ووزنها وزن العملة التى ضربها الملك « دارا » الفارسى وقد صور عليها الآلهة «أثينا» بقبعتها وصورة بومة وكتب عليها « تاو » وهى محفوظة بالمتحف البريطانى . (راجع Hill. Num. Chron. (1926,) p. 130-131 ; Tarn. C. A. H. VI p. 21, A.1 ; fig in plate vol. II of C.A.H. p. 4h.)

١١ ــ أثينــا :

نقش تذكارى خاص بسفير لشخص يدعى « تاخوس » والظاهر أنه هو الفرعون « تاخوس » نفسه . (راجع Inscripriones Graecae II² 1,119)

بداية عهد « نقطانب » الثانى (٣٦٠ – ٣٤٣ ق. م.



نخت – حور – حبت – مرى – آمون ستزم – اب – رع – ستب – ن – آمون

حكم نقطانب الثانى ثمانى عشرة سنة (راجع Unger Chronologic des Manetho على حسب ما ذكره مانيتون . وهذا يتفق تماما مع ما جاء على الآثار فى نقش فى معبد أدفو .

لا نزاع فى أن هرب الملك « تاخوس » الى بلاط ملك الفرس كان خدمة جليلة لتوطيد عرش « نقطانب » ، ومن ثم أخذ موقفه باطراد يظهر العداء لملك الفرس وذلك على حسب التقاليد الموروثة فى هذه الفترة من تاريخ « مصر » ونضالها مع الفرس . والواقع أن وقوف الهجوم الذى قام به المصريون فى عهد « تاخوس » على الملك العظيم « منمون » الفارسى لم يكن معناه بأية حال عقد اتفاق صامت مع الفرس ، بل كان يرجع سببه الى ماحدث فى « مصر » من فتن ومشاغبات جديدة من جهة وبسبب السياسة المالية القاسية التى كان قد أتبعها الملك « تاخوس » . هذا ولم تفقد مصر شيئا من استقلالها ، غير انها انطوت على نفسها كما كانت فى عهد « نقطانب » الأول . وعلى أية حال نلحظ أن فرار « تاخوس » لم يقض على كل خطر كان يهدد سيادة « نقطانب » الثانى ، وذلك أنه على أثر فرار « تاخوس » قام مدع جديد لملك الكنانة فى « منديس » وأعلن الحرب الأهلية على الملك الجديد « نقطانب » الثانى (Plut. Ages. 38)

ويتساءل الانسان الآن هل قام هذا المدعى بهذه الثورة لأطماع شخصية أو أنه عاد يطالب بعرش الأسرة المنديسية الثانية ، وهى الأسرة التى طردت من الملك عام ٣٧٩ ق.م. ؟ والواقع أن هذا الادعاء كان جائزا . وتدل شواهد الأحوال على أن هذا المدعى قد أراد أن يفيد من التغير الذى وقع حديثا فى عرش « مصر » . وقد أفلح فعلا فى جمع جيش قوامه ماية ألف مقاتل (راجع Plut. Ages. 38; Diod XV,93,2) . ثم زحف على جنود « اجيسيلاس » و « نقطانب » الثانى . ولدينا روايتان عن موقف هذين الملكين وما أحسا به عند اقتراب جيش الثائر المنديسى المدعى للملك ، والأسباب التى دعتهما الى عدم منازلته فى العراء ، فالرواية الأولى هى ما ذكره لنا « ديودور » (وقد اخطأ فى قوله أنه الملك «تاخوس») وقد قال لنا أن الفرعون قد فزع وتحاشى فكرة الالتجاء الى السلاح ، ولكن « أجيسيلاس » نصحه بأن يثق بنفسه وألا يجزع . ولكن « نقطانب » حين وجد نفسه غير قادر على التغلب على ما أصابه من فزع وذعر تقهقر بجيشه وتبعه « اجيسيلاس » الى داخل موقع هام وهناك حاصره العدو . (Diod. XV, 93,2)

والرواية الثانية ما قصه علينا « بلوتارخ » فيقول على عكس ما قاله « ديودور » أن « نقطانب » كان مملوءا ثقة ، وقد أظهر كل احتقار لجيش المدعى الذى كان فى الواقع عديدا ، غير أنه كان قد جند بمحض الصدفة ويتألف من صناع ليس لهم خبرة بالحرب وفنونها . وكان « اجيسيلاس » خائفا من أن عدم الدراية قد تربك العدو ولا تجعل الانسان يعرف حيلة يقض بها عليه . (راجع Plut. Ages, 38) . وفى نهاية الأمر نجد أن «اجيسيلاس» هو الذى ينصح « نقطانب » بالمجازفة بالحرب ، وأن « نقطانب » يتنصل من الدخول بنفسه فى واقعة للأسباب التالية : وهى أن هذا الثائر المنديسى لم

يجسر على المجازفة بجيشه غير المدرب فى واقعة فاصلة ومن جهة أخرى نرى من جديد أن الدسائس بدأت تحاك كما كانت الحال صباح سقوط الملك « تاخوس » حول قوات الجنود المرتزقة الجبارة ، وذلك لأن المدعى بالعرش الجديد قد أخذ فى فتح مفاوضات . وقد كان من جراء مناورته هذه أن أخذ « نقطانب » الثانى على الأقل يظن الظنون فى « اجيسيلاس » ويشك فى اخلاصه ، وقد بدأ الفرعون يظهر فعلا عدم ثقته وضعفه عندما خاطبه « انجيسيلاس » ناصحا اياه : بأن لا يرجىء الفرصة ، تذهب صراحة فى حرب مع الأعداء الذين يجهلون بلا شك فن الحرب ولكنهم سيصلون اذا تركنا لهم الوقت للاحاطة بجيش « نقطانب » واغراقه بعددهم الهائل . وعند ما سمع الفرعون هذه الكلمات ظن أنه قد نصب له فخا وبذلك تنحى عن الدخول فى معركة وتقهقر بجيشه الى داخل مدينة عظيمة محاطة بجدران جميلة متينة الأركان. وقد كان من جراء ذلك أن هاج «أجيسيلاس» هياجا عظيما بسبب عدم الثقة فيه من جانب حليفه « نقطانب » ولكن حدثت خيانة أخرى غمرته بالعار والخزى ، ولم يكن فى مقدوره وقتئذ أن يغادر البلاد المصرية دون أن يقوم بعمل حاسم تاركا « نقطانب » والمدعى الجديد للملك وجها لوجه ، وعلى ذلك اضطر أن يتبع الفرعون الى المكان الذى كان فيه وحيث جاء المنديسيون فى الحال لمحاصرته . (راجع Plut. Ages. 38)

واذا فحصنا هاتين الروايتين بدقة نجد أنهما تتحدثان بصراحة عن الأمور الأساسية التالية : كان هناك اختلاف فى الرأى بين ملك « اسبرتا » والفرعون « نقطانب » فيما اذا كان يمكن الصمود للعدو فى العراء ومنازلته ولكن على الرغم من نصائح ملك « اسبرتا » كان الفرعون خائفا فزعا ، ومن ثم أخذ يبحث عن حماية له وراء جدران مدينة كبيرة وعلى ذلك لا يوجد صراحة

تضارب بين رواية « بلوتارخ » ورواية « ديودور » غير أننا نجد أن الرواية الأولى وهى أتم وأدق تدل على طابع خاص وتحمل الينا مجموعة حقائق لا نجدها فى رواية « ديودور » مما يجعلها أكثر فهما وبذلك يمكن الأخذ بما جاء فيها بوجه عام . واذا سلمنا بذلك فان الفزع الذى استولى على « نقطانب » بسبب اقتراب جيش مناهضه الجبار قد تضاعف بما كان يشعر به من شكوك فى اخلاص « اجيسيلاس » ، وكان خوفا لا يكاد يظهره ، ولذلك لم نجده مذكورا فى رواية « ديودور » .

وعلى ذلك فان ما رواه « بلوتارخ » عن الدسائس التى حاكها المدعى المنديسى وما نتج عن ذلك من مخاوف « نقطانب » وشكوكه يمكن قبولها . وعلى أية حال فانه ليس لدينا أى برهان يعين على رفضها ، وذلك لأن الدسيسة التى دبرها المنديسيون لجلب « اجيسيلاس » الى جانبهم كانت امرا عاديا جدا ، لأنه لو كان « اجيسيلاس » قد انحاز بجنوده الى المدعى للعرش لكانت آماله تزداد فى تولى عرش ملك « مصر » . واذا فرضنا أن هذا المدعى لم يكن فى مقدوره اغراء « اجيسيلاس » بارتكاب خيانة جديدة فان مجرد اشاعة هذا النبأ كان يزعزع ثقة « نقطانب » وينشر الخلاف فى معسكر العدو . هذا الى ان الشكوك كانت قد أدخلت فى روع الفرعون عدم اخلاص الملك « اجيسيلاس » وانه كان قد نال أخيرا مساعدته بخيانة ، ومن الجائز أن نعترض على هذه القصة بأنه يظهر فيها شىء من التفكك حقا كان « اجيسيلاس » رافضا تماما العروض التى قدمها له المدعى للملك ، ولا أدل على ذلك من أنه قد سار فى ركاب « نقطانب » ، وعلى الرغم من كل أعماله السيئة منحه النصر فى النهاية ، وعلى الرغم من ان شكوك الفرعون كانت معقولة جدا فانها لم تحقق. ولكن كيف يمكن أن نفسر أن «اجيسيلاس»

الذى كان قد ظهر بأنه يخشى العــدو وأنه قد أجبر « نقطانب » على ثقتــه المتناهية بنفسه قد أتى ليقدم له النصيحة بهجوم جرىء وذلك على مايظهر خلاف رأيه الأول ؟ والواقع أنه لا يوجد هنا الا تناقض ظاهرى اذ قد أعلن « اجيسيلاس » أولا أن عدوا غير مدرب كان من الصعب اساءة استعماله لأنه يكون محصنا تماما بعدم تجاربه حتى أمام خدع العدو فهل غير «اجيسيلاس» رأيه ؟ والجواب على ذلك بالنفى لأنه كان دائما يأبى استعمال الخدع التى لا تفيد ، ويجنح الى نظام منازلة العدو وجها لوجه بكل وحشية وشجاعة ، وفضلا عن ذلك فانه يلحظ أن بين مقترحاته الأولى وبين نصيحته بالدخول فى معركة مع العدو قد حدثت محاولة المدعى للعرش لاستمالته الى جانبه ، وهذه المحاولة تكشف من جانب صاحبها على أنه كان مزعزع الثقة بالنسبة لما فى يديه من مادة يعتمد عليها أو مهارة يتمتــع بها . وقد كان فى ذلك ما يكفى لتشجيع « اجيسيلاس » ويحدو به الى اتخاذ قرارات صارمة وعلى أية حال فان هذه كانت دائما خطتــه (وعلى أية حال فانــه اذا كان « اجيسيلاس » مخلصا واذا كانت خطته ليس فيها التواء أو تناقض فان عدم ثقة « نقطانب » وشكه فيه كانت مفهومة تماما ، وذلك بالنسبة لما كان يعلمــه من الدسائس المنديسية التى كان يدبرها المدعى للملك وذلك على أثر الخيانة التى كانت قد حدثت بالأمس ، وكان هو شاهدها والمستفيد منها ، وقد نصح له «اجيسيلاس» أن يتحصن خلف الجدران وأنه هو الذى على ما يظن قد قرر ملاقاة العدو فى السهل فى معركة فاصلة) .

ومن ثم نرى أن قصة «بلوتارخ» ليست الا رواية متماسكة جدا لماحدث وأن الرواية التى ســار على نهجها « ديودور » لم تحفــظ لنا الا الحقائق الأخيرة ــ وكانت هى عمليا الأهم والفاصلة ــ وهى الخلاف الذى قام بين

« اجيسيلاس » والفرعون عن موضوع الخطة التى تتبع والتقهقر المشترك نحو المكان المحصن .

ومن ثم نرى أن « نقطانب » قد أخلى للعدو الاقليم المكشوف وتبعه « اجيسيلاس » على الرغم منه ، ولم يكن وقتئذ بأية حال من الأحوال هو المسيطر على سير الأعمال الحربية، وذلك لأنه كان متهما ويخشى جانبه، ولكنه بحكم وظيفته كان مفوضا على قيادة الجيش المصرى .

وقد زحف جيش المدعى للعرش لمحاصرة المدينة التى كان الفرعون مختبئا وراء أسوارها ، ونجد فى هذه المرحلة أنه قد وجد خلاف جديد بين الرواية التى قدمها لنا « بلوتارخ » وتلك التى ذكرها « ديودور » وقد ذكر الأول (Ages 39) أن الحصار قد بدأ دون تأخير ، وعلى حسب ما جاء فى « ديودور » أن الحصار قد بدأ على أثر هجمات دامية ، وذلك بأن أخذ المحاصرون فى حفر خنادق (Diod, XV, 93,3) وقد كان العمل الذى أنجزه العمال العديدون سريعا ، وبعد أيام قلائل بدأت المواد الغذائية تنفد عند المحاصرين اذ لم يكن لديهم من الغلال الا كمية قليلة داخل المدينة وعندئذ اخذ الخوف والهلع يستوليان على « نقطانب » خشية أن يحاصره العدو حصارا تاما ، ومن أجل ذلك فكر فى الخروج ومقابلة العدو وجها لوجه ، وقد كان هذا هو رأى الجنود المرتزقين الذين خافوا على أنفسهم من الموت جوعا (Ages. 39) واذا كان لزاما علينا ان نصدق ما رواه « اجيسيلاس » عن نفسه فى تاريخ حياته فانه كان هو الذى وضع هذه الخطة على حسب الموقف للخلاص من براثين العدو وهى خطة كان قد حفظها فى طى الكتمان حتى يضمن لها النجاح ، وقد كان من الضرورى نجاح خطة الهجوم الذى أرادها الفرعون وهى استعمال الجنود المرتزقين الذين كانوا وحدهم القادرين

على ذلك ، غير أن « اجيسيلاس » رفض ذلك . ولا بد أن مثل هذا الرفض قد أثار غضب « نقطانب » وحاشيته ، وقد كان فى وسعهم بطبيعة الحال أن يفكروا أن «اجيسيلاس» بعد أن يغرى حلفاءه بالنزول فى ساحة قتال معدة قد عمل على خسارة الموقعة بعدم الاشتراك فيها ، مضافا الى ذلك القحط الذى كان قد بدأ يعمل فى صفوف « نقطانب » ، وقد بدأت الشائعات المشينة تنتشر عن « اجيسيلاس » كما كان يتهم بأشنع التهم . والواقع أن مثله فى هذا الموقف كان كمثل موقف القائد « افيكراتس » عام ٣٧٤ ق. م. غير أنه سواء أكان أعظم سعادة أو أكثر أمانة من « افيكراتس » فانه كان عليه أن يخرج لساحة القتال للمغامرة فى هذه المخاطرة .

وقد كانت أعمال التحصيين التى يقوم بها « نقطانب » تسير بسرعة فقد حفرت خنادق حول كل المدينة المحاصرة وعندئذ أمر « اجيسيلاس » جنوده المرتزقين بحمل السلاح عند دخول الظلام وقد كان مخفيا تصميمه عن « نقطانب » . وكانت الخنادق وقتئذ قد بلغت تقريبا منتهى طولها البعيد جدا، هذا وكان على معظم الجنود المحاصرين أن يحتلوا هذه الخنادق على طول امتدادها ، ومن ثم أصبح التفوق العددى للمحاصرين ، وذلك لأن ما كان قد تم حفره من الخنادق يمنعهم من ان يفيدوا من كثرة عددهم وعلى ذلك اذا حاول الانسان الاندفاع للهجوم من المكان الخالى من الخنادق فانه لا يجد أمامه الا عددا محدودا جدا من جيش العدو ، وقد كان فى مقدور الجنود المرتزقين بما فطروا عليه من شجاعة أن يقضوا عليه بسرعة خاطفة . وقد اقتنع الملك « نقطانب » هذه المرة بتلك الخطة البارعة . ويتساءل الانسان كما يقول « بلوتارخ » هل كان « نقطانب » حقيقة مقتنعا ؟ وعلى أية حال فانه لم يكن لدى الفرعون خيار وذلك لأن المدينة كانت محاصرة تماما ، وأن خرابها كان محققا اذا أبدى أى تردد . ومن أجل ذلك جند نفسه فى وسط الجنود

الأغريق وبدأ الهجوم وعندئذ أخذ جزء من جنود العدو الـذين كانوا على الطريق يفرون أمام الهجوم المفاجىء وأمام حماس المهاجمين أما الفئة القليلة التى وقفت فى وجه المهاجمين فقد مزقوها شر ممزق .

ويلحظ هنا أن « ديودور » لم ينسب الى « اجيسيلاس » تنظيما طويلا مبينا بل اقتصر على الاشارة الى أن ملك « اسبرتا » قد هاجم العدو ليـلا ونجح فى خلاص الجنود المحاصرين ، على الرغم من فقدان كل أمل فى خلاصهم. ويجوز لنا أن نتساءل فيما اذا كان « اجيسيلاس » قد دبر فعـلا منذ زمن طويل تصميم هذه الخطة الناجحة كما أبداها للملك « نقطانب » أو اذا كانت هذه الخطة قد اتخذت فى آخر لحظة أى فى اليوم نفسه الذى نفذت فيـه عند ما رأى انه لم يكن أمامه طريقة أخرى للافلات من قبضة المحاصرين له . والواقع أن الميزة الحربية فى هذه الموقعة لم تكن تعد شيئا باهرا وذلك لأن كلا من الملك « نقطانب » والملك « اجيسيلاس » لم يقم الا بملاحظة توزيع الجنود فى ساحة القتال توزيعا عاديا . أما الفضل فى كسب المعركة التى جاءت على أثر ذلك فقد رجع الى الهجوم الليلى المفاجىء ، غير أن هذا النصر كان من الوجهة الأدبية والسياسية قد عُد بالنسبة لاجيسيلاس أمرا هائلا وذلك لأنه كان قد اتهم فى اخلاصه وولائه للملك « نقطانب » ولكننا الآن نجده قد قدم برهانا على ولائه الذى كان لا يقل عن ذكائه الحربى . ومنذ تلك اللحظة أصبحت ثقة « نقطانب » فيه لا حد لها ومن ثم تابـع « اجيسيلاس » ادارة الحرب على حسب خططه ومشيئته فى العراء (Diod. XV, 93,4) وقد عوض قلة عدد جيشه ما كان عليه جنوده من مرونة وخفة حركة وتنفيذه لخططه على حسب مقتضيات الأحوال ، فنجده أحيانا يتصنع الفرار أمام العـدو فيغريه على متابعته ، وأحيانا ينتقل من مكان الى مكان وبهذه المحاولات (المناورات)

كان فى مقدور « اجيسيلاس » أن يبدد قوة العدو ويستنفدها .

وأخيرا نجح فى سحب الجيش المعادى الى المكان الذى اختاره للقضاء عليه وهو اقليم ضيق يقع بين ترعة عميقة واسعة(Diod. XV, 93,4; Ages 39) ومنذ أن نجحت تلك الخطة البارعة أصبح تفوق جيش المدعى المنديسى فى العدد لا يجدى فتيلا ، وقد مهد « اجيسيلاس » لجيشه رقعة شاسعة من الأرض تضارع الطوار الذى كان يسير عليه العدو . هذا وجعل كل محاولة يقوم بها العدو لتطويق جيشه من الجناحين أو من الخلف امرا مستحيلا ، وقد ظلت الغلبة فى القتال الذى وقع فى مقدمة الجيش فى جانب المشاة الاغريق الشجعان (Diod. XV, 93,5) وقد سقط عدد كبير من القتلى فى جيش المدعى على أثر اختراق صفوفه وبذلك وقعت الكارثة وقضى على كل آمال المدعى المنديسى .

بعد أن أصبح الملك « نقطانب » موحد الأركان بالقضاء على عدوه أخذ فى اغداق الأنعامات وكيل الثناء على مخلصه ملك « اسبرتا » واستبقاه فى خدمته ورجاه أن يمض الشتاء معه ولكن « اجيسيلاس » بعد أن أحرز هذا النصر المبين الذى طالما عمل من أجله، اذ أعاد للجيش اللاسيدمونى مكانته بعد أن كان غير معترف به — لم يبد أى أسف بلا شك على ترك « مصر » — وهو مكلل بهذا الفوز العظيم ، يضاف الى ذلك أن « اسبرتا » كانت وقتئذ فى حاجة اليه والى المال الذى كان قد جمعه وهو فى خدمة الفرعون وقد أقلع الى بلاده فى خلال شتاء عام ٣٥٨/٣٥٧ ق. م. حاملا معه غير هداياه الشخصية مبلغ ٢٣٠ تلنتا من الفضة (راجع Diod. XV,12,1) وقد كان البحر هائجا فى خلال رحلته مما اضطر سفينته الى أن ترسو فى « سيرينى » حيث أدركه الموت هناك ، وبذلك أنزل الستار على مجال حياة «اجيسيلاس»

اللامعة بعد أن بلغ من العمر الرابعة والثمانين ، وقد حفظت جثته فى الشهد . وحملت الى « لاسيدمون » وهناك احتفل بها على حسب التقاليد المرعية (Ages. 40; Diod. XV, 93, 6) . وهكذا نشاهد من عام ٣٦٠/٣٥٩ ق.م أن الجنود الاغريق قد أثبتوا مهارتهم وشجاعتهم فى المعارك المصرية التى كانت تدور رحاها تارة فى جانب « مصر » وتارة أخرى عليها ، وذلك بقوة لا تعرف الهزيمة ، ونجد أن النصائح الجريئة والتجارب الحربية التى قدمها « خابرياس » قد حققت الحصول على مبالغ طائلة من المال ، وكذلك حرية التجارة البحرية والاستيلاء على قاعدة بحرية حسنة لاعمال البحرية فى « فنيقيا » ولسنا فى حاجة الى القول من جهة أخرى بأن سفر « اجيسيلاس » ومعه جيشه من المشاة المرتزقين كان الضربة القاضية على عرش « تاخوس » الذى كانت قد قوضته ثورة وطنية ، وأخيرا نلحظ أن قوة ارادة « اجيسيلاس » وفكره وجرأته فى وقت واحد مضافا الى ذلك قوة هجوم مشاته من الاغريق وسلاحهم الجبار قد تغلب على سوء ظن « نقطانب » وخلصت حياته وحريته وثبتت له تاجه مدة طويلة قام خلالها باعمال عظيمة فى داخل البلاد كما سنشرح ذلك بعد .

سياسة نقطانب الثانى الداخلية والخارجية

يدل تاريخ « نقطانب » الثانى الذى بلغ نحو الثمانية عشرة سنة أنه كان متبعا سياسة الدفاع المحض بوجه عام ، ولذلك كان يعتبر سائرا على خطة مؤسس الدولة السمنودية وتقاليده وهذه السياسة كانت اذا قورنت بسياسة « تاخوس » أقل لمعانا وأقل قوة ، غير أنها كانت على أية حال على ما يظهر تتفق مع مزاج المصريين ، ولم نر قط أى ثورة قامت فى البلاد لتعكر صفو حكم هذا الفرعون الذى كانت ماليته أقل بكثير عن مالية سلفه صاحب الأطماع البعيدة اذ الواقع أن « نقطانب » الثانى قد عامل بحذق أو حابى بمهارة طبقة الكهنة الذين كانوا معارضين لمشاريع « تاخوس » معارضة صارمة . وقد ربط مشاريعه العامة بما كان يدخل للبلاد من فوائد من التجارة الخارجية والخزانة . واذا كنا نراه قد حفظ لنفسه تسع أعشار دخل الضريبة التى كانت تجبى من بلدة « نقراتيس » فانه قد منح العشر المتبقى لمعبد « سايس » وقد كان هذا يعد هدية محضة (راجع Baillet. p. 77) واذا كنا سنرى فى عام ٣٤٢ — ٣٤١ ق. م. أن سلطانه قد تداعى وفى الوقت نفسه كذلك ضاع استقلال وطنه فان ذلك كان قد أتى بوجه خاص من ضربة صوبها جيش اغريقى كان فى خدمة العاهل « اوكوس » الفارسى . ولا بد ان نذكر هنا أن « اوكوس » قد بدأ فى القيام بأول محاولة قوية لأجل أن يعيد « مصر » تحت النير الفارسى حوالى ٣٥١ ق. م ويقال ان التعبئة للقيام بهذه الحملة على « مصر » كانت طويلة الأمد اذ يقال أنها امتدت عدة سنين وهذه النظرية ان صحت فانها لا تخرج عن كونها كسابقتها التى قام بها الفرس منذ عام ٣٨٠ — ٣٧٤ق.م. فى عهد الفرعون « نقطانب » الأول ، ومن ثم يكون

من الجائز أن الاستعدادات والتجهيزات الحربية والمالية العظيمة التى بدأت حوالى ٣٥٤ — ٣٥٣ ق٠م٠ فى البلاد الفارسية كان المقصود منها على مايظن غزو البلاد المصرية . وقد يكون المقصود بها غزو « مصر » وغيرها . وقد بدأ ملك الفرس هجومه على « مصر » فى عام ٣٥١ ق. م. وقد استنبط ذلك من الخطبة التى ألقيت عن حرية أهل « رودس » . وقد كان ملك الفرس نفسه هو الذى يدير العمليات الحربية (راجع Isocrate Phil. 101) واذا صدقنا ما حدثنا به « اسوقراط » فان الملك « أوكوس » كان تحت تصرفه أقــوى جيش يمكن جمعه . غير أن ما ذكره هذا الخطيب لا يمكن الاعتمــاد عليه بصفة جدية اذ كان متهما بتحقير هذا العاهل على طول الخط وبخاصة عندما نعلم أنه قد حاول عام ٣٤٦ تحريض الاغريق على الدخــول معه فى حرب .

أما « ديودور » فنجده قد حقر قوله فى هذا الصدد فى وجود جيش كثير العدد جدا . هذا ويمكن لنفس السبب كذلك أن ملك الفرس لم يكن هو القائد المقصود الذى أظهره أمامنا «اسوقراط» فى هذه الصورة الحقيرة — ولا نزاع فى أن ما أجمع عليه القول فى هذا الصدد هو أن هذه الحملة قد لحق بها هزيمة منكرة (راجــع ; Isocrate Phil. 101, Demosth., XV, 12 Diod. XVI, 40,3 ; 44,1 ; 48—1-2).

أما عن تطورات هذه الحملة وسبب هزيمة ملك الفرس فيها فان مالدينا من متون لا يوجد فيها بكل أسف الا اشارات ضئيلة لا تشفى غلة ، ومع ذلك فان بعض الحقائق الهامة تبدو لنا من بين السطور فنستنبط أولا ما يظهر من متن « اسوقراط » أن المصريين كان لديهم الوقت الكافى كما كانت الحال قبل عام ٣٧٤ ق. م. لاتخاذ العدة أو لتقــوية الدفاع عن شرق الدلتا (ومن المؤكد أن الحصــون الدفاعية التى كان قد أقامها « خابرياس » فيما مضى لم

تكن قد هدمت تماما وكانوا يخافون كثيرا كما يقول « اسوقراط » الخطيب راجين ألا يستولى الملك على معابر النيل ، وعلى كل الترتيبات الأخرى للدفاع . ويقول « اسوقراط » آن هذه المخاوف لم تحقق . ومن ثم نفهم أن الفرس قد رأوا أن هجومهم قد أخفق عند سفوح المعاقل التى كانت تعوقهم عبر النيل .

وبعد ذلك — وهذا هو الامر الرئيسى — نشاهد أن « نقطانب » الثانى لم يكن يحارب وحده بل كان الى جانبه يعاضده قائدان من ألمع قواد العصر لما امتازا به من شجاعة وذكاء فائقين أولهما القائد الأثينى « ديوفانتوس Diophantos » والآخر هو القائد الأسبرتى « لامياس Lamias » وقد كان وجودهما على ما يظهر الى جانب « نقطانب » مصدر سرور عظيم ، اذ كان كما يقول « ديودور » بصورة مؤكدة من الوجهة الحربية لا كفاية له (Diod. XVI, 48-1) كما شاهدنا ذلك فى حربه مع المدعى المنديسى .

والآن يتساءل الانسان هل كان وجود هذين القائدين فى جيش الفرعون يتفق مع بعض جفوة أو تحرج سياسى بين بلاد الفرس وبين وطنيهما بالتوالى ؟ والغرض التالى الذى يرد على الخاطر هو أنه فى عام ٣٥١ — ٣٥٠ ق.م. قد قامت الحرب المقدسة فى بلاد الاغريق . هذا ونعلم منذ ٣٤٦ ق.م. أن «أثينا» و « اسبرتا » قد تحالفتا مع الفوسيديين (Phocidians) وكانوا أعداء ألداء لطيبة اليونانية منذ عام ٣٦٢ ق. م. والواقع أن كلا من « أثينا » و « اسبرتا » بعد قيام عداوة بينهما وبين ملك الفرس مدة لم يطل أمدها (وكان سببها ارسال « پامنيس » وبرفقته خمسة آلاف من المشاة الاغريق الى الشطربة « أرتابازوس » لمساعدته على ملك الفرس العظيم فى عام ٣٥٢ ق.م.) قد أحكما أواصر الألفة القديمة التى كانت بينهما وبين ملك الفرس فى عام

٣٥١ — ٣٥٠ ق. م. . راجع Diod. XVI 40,1-2) ولما كانت الحرب القوسية قد أنهكتهما فانهما طلبتا العفو من الملك « أوكوس » الذى لم يتوان فى منحه لهما ، وقد أرسل مع عفوه هذا هدية قدرها ثلثماية تلنت من الذهب . ومن ثم يتساءل الانسان فيما اذا كانت كل من « اثينا » و « اسبرتا » بارسالهما أو بالسماح لقائديهما « ديوفانتوس » و « لامباس » لمساعدة المصريين بنجاح لم يكونا قد سرا سرورا عظيما بانزال هزيمة قاسية بالملك العظيم الذى كان متحالفا مع أعدائهم أهل « بوشيا » . غير أن مثل هذا الغرض تعترضه عدة عقبات ، ولا بد أن نحترس بوجه خاص من الاعتقاد فى وجود قطع علاقات عالمية بين الفرس والاثينيين أو نستنتج وجود محالفة بين هاتين البلدين وبين « نقطانب » فأولا نجد أن الموقف الذى سلكه «خابرياس» فى عام ٣٥٩ ق.م. يبرهن لنا على أن حكومة اغريقية يمكن أن تكون ذات علاقة طيبة جدا دون أن تقطع علاقتها تماما مع ملك الفرس وبدون أن تتحالف مع «مصر» وتسمح لأحد مواطنيها ان يخدم بقوة ولمدة طويلة دون الموافقة الرسمية من مجلس الامة (Demos) وكذلك على حسب ما ذكره « ديمونستين » وهو شاهد معاصر أنه حدث فى عام ٣٥١ ق. م. أن الشعب الأثينى فى مجموعه أو أغلبيته قد رفض فى صمت كل فكرة ترمى الى قطع العلاقات بين « اثينا » وبين ملك الفرس لمصلحة الفرعون . ويقول « ديموستين » (Diod. XV,5) « انى لفى دهشة أن أرى نفس الخطباء الذين كانوا قد حاولوا اغراء مدينتنا أن تدخل فى حرب مع الملك من أجل معاضدة مصالح المصريين ». وعلى ذلك كان يوجد فى غضون هذا العهد (حزب مصرى) بصورة ما وانه لمن المحتمل اذا كان قد ذهب « ديوفانتوس » بتحريض منه أو بموافقته ليصد التعدى الفارسى على « مصر » . غير أن المشاريع الرامية الى عقد معاهدة مع « مصر » وهى

التى قدمها هذا الحزب الى « التربيون » (مجلس النواب) لم تلق نجاحا من الشعب الاثينى ، على أن ذلك لم يكن يعنى أن أهل «أثينا» كانوا فى أغلبيتهم يميلون الى الفرس ، ولكن كان من الممكن أن كثيرا من المواطنين الآثينيين كانوا يخشون وقوع ارتباكات مع الفرس كما حدث فى عام ٣٥٤ — ٣٥٣ ق.م. ومن الممكن كذلك أن « اثينا » مع المحافظة بكل أنفة على كل حقوق الاغريق لحريتهم بالنسبة للملك العظيم كانت تنشد الموافقة على بقاء الحالة كما هى فى داخل الامبراطورية الفارسية ، ولذلك قد خطأت كل اضطراب من شأنه تمزيق أواصر هذه الامبراطورية ، وقد كان « ديموستين » من أجل ذلك يرى أن « مصر » كانت تؤلف جزءا من الامبراطورية الفارسية ، ويلحظ ذلك من قوله : عند ما كان يجيب أولئك الذين يميلون الى « مصر » لا يجهل انسان أن هؤلاء (يقصد أهل « رودس » الذين كان يبحث على تأمين حريتهم بتدخل الاثينيين) اغريق فى حين أن الآخرين (أى المصريين) يؤلفون جزءا من الامبراطورية (Demos., XV, 5). ومن ثم هل نفهم من عبارة «ديموستين» هذه أنه كان لا يعترف باستقلال « مصر » ؟ وبعد هذه العبارة بقليل يضيف قائلا اذا كان الملك قد سمح له بأن يكون فى مجلسه فاله كان يحرضه على المحاربة من أجل ممتلكاته اذ كانت تهاجمها اغريق (Diod. Ibid, XV-7) وبعبارة أخرى فان مهاجمة الملك العظيم أو المساعدة على مهاجمته كما فعل القائد « ديوفانتوس » بالمحافظة على حرية « مصر » التى كانت فيما سبق ضمن أملاك «فارس» يعد شيئا واحدا. ومن ثم يظهر أن القائد «ديوفانتوس» لم يكن بأية حال من الأحوال مبعوث أهل « أثينا » فى « مصر » حتى ولو بصفة ودية بل قد يكون ممثلا للحزب المصرى اليونانى فى « اثينا » هذا بالاضافة الى أن عمله هذا قد استنكر رسميا بجزء كبير من الرأى العام

الأثينى ، هذا ولدينا ما قد يؤكد هذا الاستنباط : ففى الربيع التالى عام ٣٥٠ ق.م. تدخل « فوسيون Phocion » الاثينى لمصلحة ملك الفرس على أهل « قبرص » على رأس جيش قوامه ثمانية آلاف من المرتزقين (Diod, XVI, 42,7-9) ومثل هذا التدخل لا يقل عن تدخل « ديوفانتوس » .

وعلى أية حال فان مهارة « ديوفانتوس » هذا مضافة الى مهارة القائد « لامياس » قد ثبتت أحوال الفرعون « نقطانب » تثبيتا باهرا . واذا كانت الجائحة التى حلت بالملك « نقطانب » الثانى فيما بعد فى عام ٣٤٢ ق. م. — وهى التى على أثرها قد فر الى بلاد « كوش » وقد كان من جرائها فى المستقبل البعيد أن ألفت رواية خاصة تحط من قدره قاضية بالحق وبالباطل على كبرياء هذا الأمير المهزوم وما فطر عليه من جبن (راجع Revillout, Revue Egyptol. p. 61-2) — فانه مع ذلك يظهر بعد الانتصارات التى أحرزها قواده الاغريق يستحق بحق المدائح التى أغدقها عليه كهنة «سايس» وهم الذين بطبيعة الحال كان قد خصص لهم عشر الضرائب التى كانت تجبى من « نقراش » . وعلى ذلك كان يمكنه أن يظهر كما لم يحدث من قبل بانه « الملك القوى الذى يمنح « مصر » السلام والجدار البرنزى الذى يحمى بلاد « كمى » والعظيم الشجاعة ..... ورب السيف الذى يدخل الرعب فى النفوس عندما يصوب نظره نحو الأعداء ». (راجع Stele de Naucratis, p. I, 2-3; Baillet, 128, Maspero.. etc.)

ولكن هذا الجدار البرنزى كان لا بد له أن يهزم يوما ما . ومنذ السنة التالية لهذا النصر بدأ الحظ يقلب له ظهر المجن . وقد كان للاغريق الذين ساعدوه بنصيب فى ذلك أثر واضح . وذلك أن الصدمة التى صدم بها « أوكوس » على يد المصريين فى عام ٣٥١ ق.م. قد شجعت قيام العصيان فى

« فنيقيا » وفى الدويلات الصغيرة فى « قبرص » (Diod. XVI, 40,5 ; 41 etc.)

وقد ولى العصاة وجههم شطر الفرعون سواء أكان قد أراد أم لم يرد أن يمد نفوذه خارج حدود « مصر » ، وعلى ذلك أرسلوا رسولا الى « نقطانب » لمساعدتهم على الخلاص من يد الفرس وأن يكون حليفا لهم . وعلى أثر قبوله أخذ فى الاستعداد للحرب (Diod. 41,3) . ولم يمض طويل زمن حتى غادر الديار المصرية أربعة آلاف جندى من الاغريق المرتزقين وعلى رأسهم «منتور» القائد الروديسى ، وذلك لمساعدة ملك «صيدا» المسمى« تنس(Ten nes)» على طرد شطربة الفرس من « فنيقيا » (Diod. 42, 2) . والآن يتساءل المرء هل كان يجد فى هذا العمل الأخير أنه كان رجلا محبا للفتح وبخاصة بعد أن سكر بخمرة النصر الذى ناله على الفرس وان كان ذلك عودة الى سياسة « تاخوس » الذى كان يرمى الى توسيع رقعة بلاده ؟ ولا شك أن هذا لم يكن الواقع وذلك لأن المبادرة فى هذه الحرب الجديدة لم تكن من جانبه بل جاءت من جانب الفنيقيين فهم الذين طلبوا ابرام معاهدة بينهم وبين« نقطانب»، وفضلا عن ذلك لم نر فى مجرى الأمور أن « نقطانب » قد فكر فى الافادة لمطامعه الشخصية من هذا النصر المشترك ، اذ نلحظ أنه لم يغادر «مصر» الى « فنيقيا » بل ترك لقائده الروديسى قيادة الجيش الذى أرسله للمساعدة على هزيمة الفرس ، يضاف الى ذلك ان النجدة التى أرسلها كانت ضئيلة ، اذا ما قرنت بالجيش الذى أرسله « تاخوس » عند غزوة « فنيقيا » و « سوريا » على رأس جيش قوامه ٩٠ ألف مقاتل منهم عشرة آلاف من الاغريق وثمانون الفا من المصريين ، فى حين أن خلفه لم يرسل الا أربعة آلاف من المرتزقين ، وعلى ذلك فانه من الطبعى أن ما فعله « نقطانب » الثانى فى هذه الحالة لم يكن فى الواقع للدفاع وحسب . وذلك أن تحرير « فنيقيا » يبعد عن البحر

المتوسط وعن « مصر » تهديد الفرس، ومن ثم تكون انتصارات « منتور » ، الروديسى تتويجا للانتصارات التى أحرزها القائدان «لامياس» و «ديوفانتوس». ومما يؤسف له جد الاسف أن « نقطانب » بدلا من أن يحاول بعمله هذا فتحا جديدا لمصر فانه قد ذهب لخلق تهديد جديد لبلاده على يد حليفه ملك «صيدا» ،فقد خانه كما سقط كذلك حربيا فى أعين الجنود المرتزقين الذين أرسلهم الى « فنيقيا » . ولما رأى ملك « صيدا » ما سيحيق به من جيش الفرس الجبار تفاوض سرا مع الملك العظيم . وقد عرض عليه أن يسلمه « صيدا » ويساعده على هزيمة « مصر » واخضاعها للحكم الفارسى ، وذلك لما لديه من معلومات دقيقة عن نهر النيل والاقليم الذى يحيط به . وقد قبل ملك الفرس ذلك على الفور بالفرح والسرور . وقد رأى « تنس » قبل أن يقع فريسة فى يد « اوكوس» أن يكاشف القائد « منتور » الروديسى رئيس الجنود الاغريق المرتزقين الذين أرسلتهم « مصر » بالمؤامرة التى دبرها وقد انضم اليه الأخير ، وبفضل « منتور » هذا الذى كان يشرف على حراسة جزء من المدينة وكذلك بفضل جنوده المرتزقين دخل الملك العظيم مدينة «صيدا» يرافقه « تنس » . وعلى أثر ذلك انتشر الرعب فى المدن الأخرى ووضعت سلاحها أمام قوة الفرس (Diod. XVI, 45,1-6) ، ومن ثم نرى أن تدخل « نقطانب » للمساعدة قد انقلب عليه فحرمه من أربعة آلاف من خيرة الجنود المرتزقين ، وكذلك من مستشار حربى وسياسى محنك هو « منتور » الذى بخيانته هذه قد فتح للفرس طريقا الى «مصر» . أما الطريق الأخرى المؤدية الى «مصر» فهى جزيرة «قبرص» فقد سقطت تقريبا فى نفس الوقت (٣٥٠ ق . م) وذلك بفضل مجهودات اغريقى آخر هو « فوسيون »

(Diod., XVI, 42,7-9) وهكذا نجد فى مدة سنة واحدة أن شجاعة الجنود والقواد الاغريق وخيانتهم قد قلبت ظهر المجن لمصر ولعبت دورها فى تقويض سلطان الفرعون . وتدل الأحوال على أن اخضاع « فنيقيا » وجزيرة « قبرص » قد مهد الطريق الى الحملة الفارسية الفاصلة على « مصر » . وقد اتخذت أولا العمليات السياسية التى سبقت الحملة ومهدت لها . وقد ارسل عاهل الفرس « اوكوس » يطلب مساعدة أهم البلاد الاغريقية على « مصر » ، وقد لبى الدعوة بعض هذه المدن مثل « طيبة » و « أرجوس » ووعدتا بارسال المدد العسكرى الذى طلب اليهما (راجع Diod. XVI, 44-1-2) فى حين أن بعض المدن الأخرى وبخاصة « أثينا » و « أسبرتا » قد وعدت باتخاذ خطة الحياد (XVI, 44-1) . ويتساءل الانسان هل طلب مبعوث ملك الفرس من « أثينا » و « اسبرتا » نفس المساعدة التى طلبها الى « طيبة » و « أرجوس » أم كان يرى أن مثل هذا الطلب لا يمكن أن يحوز أى قبول ، ولذلك طلب الى كل منهما أن تحافظ على التقاليد كما أكد لنا ذلك ما ذكره « ديديموس » ؟ والواقع أنه ليس لدينا أى سبب يحملنا على الميل لأى من هاتين النظريتين بل ينبغى علينا أن نقتصر على الملاحظة التالية وهى أن المملكتين القويتين اللتين قد اتخذتا هكذا خطة الحياد بين « مصر » وبلاد الفرس ويحافظان فى «أوربا» على قوتيهما البحرية والبرية هما بالضبط هاتان المملكتان اللتان كان التهديد من جانب « مقدونيا » قد ضغط عليهما بخطورة بالغة ، فقد برهن لنا « ديموستين »(Diod. VI, 9,15-19)انه بالضبط فى عام ٣٤٤ — ٣٤٣ ق. م. كان الملك « فيليب » المقدونى والد الاسكندر الأكبر يتبع نحو « أثينا » خطة عداء خطيرة وذلك فى الوقت نفسه الذى

كان يساعد فيه «مسينا» على «لاسيدمون» . هذا وتقرأ فى نفس الخطبة التى القاها « ديموستين » أن « فيليب » كان على ود ومصادقة مع « ارجوس » و «طيبة» وقدأظهرذلك لهمافىخلال الحرب المقدسة (Diod. VI, 7,9,11,15,18,19) وعلى ذلك كان فى مقدور هذين البلدين أن يتصرفا فيما لديهما من جنود بارسالهم الى ساحة القتال الآسيوية والافريقية وبذلك تمتد المحالفة التى جمعت بينهما فى مناسبات مختلفة على « لاسيدمون » والفوسيين وبخاصة فى عامى ٣٥٣ — ٣٤٦ ق. م.

وقد وضع الطيبيون تحت تصرف الملك « اوكوس » الف مقاتل من المشاة وعلى رأسها القائد « لاكراتس » وأرسلت « أرجوس » ثلاثة آلاف جندى وقد تركت لملك الفرس تعيين القائد عليهم بنفسه ، فنصب عليهم قائدا يدعى « نيكوستراتوس Nicostratos » وهو شخصية غريبة فى منظرها فقد كان معجبا بطول قامته الهركولية ، وكان يرتدى جلد أسد ويتسلح بمقمعة فى ساحة القتال ، ومع ذلك فان « ديودور » يعلن عنه فى صراحة تامة «أنه كانت له قيمة محترمة فى ساحة القتال وفى المشورة» ، وأخيرا نجد أن اغريق آسيا الصغرى الذين كانوا حلفاء الفرعون « تاخوس » قد أرسلوا ستة آلاف جندى من المرتزقين الى جيش الملك العظيم (Diod. XVI, 44,2-4) . على أن جيش الفرس نفسه كان عرمرما ، فقد كان يحتوى على ثلاثين ألف مقاتل من المشاة وثلاثين الف مقاتل من الفرسان وثلاثماية سفينة حربية وخمسماية سفينة من ناقلات الجنود (Diod. XVI, 40-6) . واذا كنا نجد أنه منذ الحملة العظيمة التى أرسلها ملك الفرس على «مصر» عام ٣٧٤ ق. م. وهى التى جهزها فى عدة سنين لم يزد عدد السفن البحرية فاننا من جهة أخرى نجد أن عدد الجنود المشاة قد زاد على ثلاثة اضعاف ما كان عليه . والآن

يتساءل المرء ما هى القوة التى أعدها « نقطانب » لمحاربة القوة الفارسية الاغريقية ؟ لقد وضع « نقطانب » فى ساحة القتال عشرين ألف مقاتل من الجنود الاغريق المرتزقين ، ومن المحتمل أن القائد الذى كان على رأسهم هو « كلينياس » صاحب « كوس » ، هذا الى عشرين الفا من الجنود اللوبيين ، وستين ألفا من المصريين . وهذا الاحصاء يدل على أن الجنود المصريين كانوا أقل بكثير مما كانوا عليه فى عهد الملك « تاخوس » ، وهؤلاء الستون الفا من الوطنيين كان يظهر عليهم أنهم كانوا قد دربوا على فنون الحرب أكثر من الغوغاء الذين كان قد جمعهم المدعى المنديسى .

وأخيرا لم يظهر أن « نقطانب » قد حاول أن يحافظ على قوته البحرية أو يجعلها متفوقة . ولم يشر المؤرخ « ديودور » الى أن « نقطانب » قد بنى سفنا حربية . حقا ان ثلثماية السفينة الحربية التى كان يملكها عاهل الفرس لم يكن يضارعها أسطول « تاخوس » البحرى الذى كان يبلغ مايتى سفينة ولم يكن قد بلغ هذا العدد فى عصر أى فرعون من فراعنة هذا العصر ، ومع ذلك لم يكن فى مقدوره أن يغلق الطريق فى وجه الأسطول الفارسى الا بكل صعوبة ، ومن ثم نفهم أن السيادة البحرية كانت فى يد الفرس كما كانت الحال فى عهد « نقطانب » الأول (٣٧٢ ق. م.) . ويلحظ أن « نقطانب » الثانى قد رفض أى سياسة أو خطة هجومية ، ولذلك كان عليه أن يقوم ببناء أسطول نهرى ليحارب العدو على النيل ، ويقول «ديودور» ان هذا الأسطول كان يحتوى على عدد من الوحدات لا يمكن تصديقه . وأخيرا نجد أنه قد ضاعف عدد التحصينات ، هذا بالاضافة الى تحصين كل فروع النيل للدفاع وبخاصة الفرع البلوزى الذى كان معرضا لأول هجوم وقد أقيمت فيه عدة حصون وحواجز وخنادق (راجع Diod., XVI, 46-7, 47. 6-7). وقد كان كل

شيء قد نظم لمجرد الدفاع عن الحدود وحتى فى داخل الدلتا . وعلى أية حال لم تتركز كل قوة « نقطانب » البالغـة مائة الف مقاتل فى كتلة واحدة ، بل نجدأن مصبات النيل قد مدت بحاميات قوية وقد قاد الفرعون نفسه ثلاثين الف مقاتل من المصريين وخمسـة آلاف من الأغـريق وألفين وخمسماية من اللوبيين لحراسـة الأماكن التى كانت هدفا صالحا للغـزو (Diod. XVI, 48.3) . وتدل شواهد الأحوال على أنه من المحتمل أن جيش « نقطانب » الذى كان أمامه جيش من الفرس يزيد على ثلاثة أضعافه ، كان مبعثرا بعض الشيء. واذا كانت قد ارتكبت أخطاء فى هذا الصدد الآن وفى العمليات السابقة فمن كان المسئول عن ذلك ؟ والواقع أن ما ذكره «ديودور» يدل على اتهام «نقطانب» فى ارتكاب هذه الأخطاء بشدة فيقول لنا « ديودور » انه فى عام ٣٥١ ق. م. كان الفرعون قد ترك لقائديه الاغريقيين « لامياس » و «ديوفانتوس» الحرية التامة ، لكن فى عام ٣٤٢ ق. م. نجد أنه قد ظن فى نفسه أنه قائد ممتـاز ، ولذلك لم يشرك أى فرد معـه فى ادارة الأعمال الحربية ، وذلك لأنـه كان لا يزال سكرانا بانتصاراته السابقة . وقد كان من جراء ذلك أن عدم قدرته الحربية قد عاقته عن اتخاذ أية اجراءات صالحة لقيادة الحرب (Diod. XVI, 48, 1-2) وهذا الحكم قد يمكن أن يكون سببه الكارثة التى حلت بالملك « نقطانب » ، اذ الواقع أن التقاليد تميل بسهولة الى نسبة اللوم الى المهزومين، وقد يكون من الممكن جدا وبدون أى شك أن « نقطانب » بسـبب كبرياء نفسه أو لأنه كان يخاف خيانة كالتى حدثت فى عامى ٣٥٩ ، ٣٥٠ ق. م. قد وضع تحت تصرفه العمليات الحربية التى كان يقوم بها قواده الاغريق، وبذلك يكون قد ارتكب أخطاء . وهذا جائز جدا والظاهر انه كان قائدا عاديا جدا فى الخطط الحربية ، وهذا ما يميل المؤرخ « بلوتارخ » الى اظهاره فى قصته

فى الخطط الحربية وهذا ما يميـل المؤرخ بلوتارخ الى اظهاره فى قصته المفصلة التى رواها عن الحرب التى وقعت فى عام ٣٥٩ ـ ٣٥٨ ق.م. ولكن من المبالغة أن تتهمه بأنه لم يتخذ أى اجراء مفيد فى الحرب . ولا نزاع فى أن الوصف الذى تركه لنا « ديودور » نفسـه عن الاستعدادات التى قام بهـا للدفاع عن البلاد تكفى لبراءته من مثل هذا الاتهام .

كانت الفترة الأولى من عام ٣٤٣ ق. م. هى الوقت الذى زار فيه سفراء الملك « اوكوس » البلاد الاغريقية وقد كانت مخصصة للاستعدادات النهائية لاعلان الحرب . وعندما جمع ملك الفرس كل قواه الاسيوية والاوربية زحف على «مصر» بطريق بادية الشام عام ٣٤٣ـ٣٤٢ ق.م. وقبل أن تصل الحملة الى النيل الشرقى اعترضتها مستنقعات « سربونيس Serbonis »التى كانت مياهها البعيدة الغور تظهر فى صـورة أرض صلبة وذلك بسبب الموجـات الرملية التى نشرها الهواء على سطحها (Diod., I, 30,4-6) . وفى هذه الرمال المشبعة بالمياه قد ترك جزء من جيش « اوكوس » . وبعد ذلك زحف حتى وصل الى أمام « بلوز » الواقعة عند نهاية فم النيل الذى كان محصنا تحصينا مكينا. وقدعسكر الفرس على مسافة أربعين استادا من هذا المكان وعسكر الجنود المرتزقة بجانب القناة التى كانت تحمى أطراف «بلوز». (Diod., XVI, 46,6) .

وكانت قلعة « بلوز » تحتوى على حامية مؤلفـة من خمسة آلاف رجل يقودهم « فيلوفرون Philophron » . وقد قال « ماسبرو » انهم خمسـة آلاف اغريقى ، وهذا ممكن، غير أن متن «ديودور» لم يذكر شيئا عن ذلك . ومما لا شك فيه انه كان يوجد اغريق فى « بلوز » (Diod., XVI, 49-2) ولكن التعبير الذى يعبر به عن جيش « فيلوفرون » الصغير (Diod. 46,8) ليس من الضرورى أن ينطبق على الجنود المرتزقة وحسب فقد أطلقه «ديودور» على مشاة الفرعون « تاخوس » مثلا . (Diod. XV, 92,2)

وعندما أقام جيش « أوكوس » معسكره على مقربة من « بلوز » لم يكن قد قرر شيئا على حسب رواية «ديودور»ولم تكن قد اتخذت أى استعدادات للهجوم واقتحام مصبات النيل ، وفى صبيحة اليوم الذى كان قد نظمت فيه فرق الجيش ووزعت ، حدث أول تصادم بين حامية «بلوز»والجنود المرتزقين الطيبيين ، وهؤلاء كانوا يتحرقون شوقا لاظهار أنفسهم بأنهم أشجع جنود اغريق . وهكذا نجدهم وحدهم دون معين يقتحمون الخنادق العميقة التى تفصل معسكرهم عن أطراف المكان وانبطحوا أمام الجدران . وقد خرج عليهم رجال الحامية ونشبت بينهم موقعة حامية الوطيس استمرت طول اليوم ولم تسفر عن نتيجة حاسمة ، وقد فصل الظلام المتحاربين (Diod. 46,9) وفى اليوم التالى فقط(Diod. 47,1 etc.) نظم جيش الملك « أوكوس » نفسه للهجوم وقسم جيشه ثلاث فر ق. ويجوز لنا أن نتساءل فيما اذا كانت هذه العملية الحربية لم تكن قد سبقت وصول الجيش الفارسى أمام « بلوز » . وسبقت الواقعة الأولى؟ والواقع أن هذه الواقعة قد دارت رحاها فى سفح جدران « بلوز » بجنود الفرقة الطيبية التى يظهر أنها كانت منهمكة تماما فى عمليات الحصار التى كانت قائمة أمام هذا المكان بجنود الفرقة الأولى التى كانت تحتوى بالضبط على الجنود الطيبيين الذين كان يقودهم القائد «لاكراتس»، وهذه العمليات الحربية لم يأت ذكرها فيما رواه لنا « ديودور » الا بعد ذلك بكثير جدا (Diod, XVI, 49-7 etc.) .

وهاك ترتيب ما ذكره : هجوم منفرد قام به الطيبيون على « بلوز » (Diod. 46, 8-9) ، تقسيم الجيش الاغريقى الفارسى (Diod. 47, 1-5) ، تعداد قوات « نقطانب » الثانى وتقدير خططه وتنظيم دفاعه (Diod. 47, 5-7; 48, 1-3)، العمليات الحربية الناجحة التى قامت بها الفرقة الثانية ، وهرب « نقطانب » الى « منف » (Diod. 48, 3-7)، والأعمال الحربية التى قامت

بها الفرقة الأولى — وهى الفرقة الطيبية — التى نصبت الحصار أمام « بلوز » (Diod., 49, etc.). ومن ثم نفهم أن الحوادث كما وصفها «ديودور» لم يجعل فيها فاصل بين سلسلتى الأعمال الحربية التى قام بها الطيبيون أمام المكان (وهو أول تصادم حدث وجها لوجه وأعمال الحصار) . غير أن هذه نظرية يصعب فهمها .

أما بقية قصة هذه الحملة فمفهومة تماما . فبعد اجتياز الصحراء وصل جيش الملك العظيم « أوكوس » الى أمام « بلوز » ونصب معسكره . وقبل أن تعمل أية تنظيمات قام جنود « طيبة » مدفوعين بالمحافظة على شهرتهم التقليدية ، ويحتمل كذلك رغبتهم فى التأكد من اجتياز القناة بسرعة ، فعبروها واقتربوا من الجدران ، وقد دارت بينهم وبين المصريين فى خلال ذلك معركة كان لهم الفوز فيها فقد ثبتوا أقدامهم بصعوبة على الشاطئ الآخر للقناة وحاصروا القلعة عن كثب جدا ، وفى اليوم التالى قسم قواد الجيش الاغريقى الفارسى جنودهم ثلاثة أقسام مؤلفين ثلاث جماعات . وقد ترك الطيبيون بطبيعة الحال فى مكانهم مواجهين « بلوز » فى ساحة القتال التى اختاروها لأنفسهم وهناك سنجدهم فيما بعد . (راجع Diod. XVI, 49-1) .

وقد قسمت القوات الاغريقية على حسب المبدأ الآتى : كانت كل فرقة من الفرق الثلاث الاغريقية يقودها قائد اغريقى ومعه قائد فارسى (Diod. XVI, 47-1) والواقع أن القواد الاغريق هم الذين قاموا بالدور الهام ولكن ملك الفرس لم يكن يقصد بطبيعة الحال أن يترك قيادة هذه الفرق المرتزقة كلية فى يد هؤلاء القواد بل كان يراقبهم عن كثب وبخاصة الأفراد الذين لم يكن يطمئن اليهم «منتور» الروديسى الذى خان الفرعون عام ٣٥٠ ق.م. كما رأينا من قبل .

وكانت الفرقة الاولى وهى التى نصبت الحصار أمام « بلوز » تحتوى أولا على الفرقة الطيبيــة وعلى رأســها القائد « لاكراتس » الاغــريقى والقــائد « روزاكس » الفــارسى الذى قيــل عنه انه من نســل أحــد الســبعة الذين كانوا قد قلبوا حكومــة « ماچى » وشــطربة « أيونيا » وبلاد « ليديا » (Diod. XVI, 47,2) وكانت هذه الفرقة تحتوى كذلك تحت قيادة «روزاكس» على مجموعة من الخيالة وعدد عظيم من المشاة الاسيويين. أما الفرقة الثانية فكانت مؤلفة أولا من الجنود المرتزقين الأرجيين يقودهم « نيكوستراتوس » الاغريقى والقائد الفارسى « أرستازانس » وكان أقرب الناس ثقة الى ملك الفرس بعــد « باجواس Bigoas » ، وكانت هذه الفرقة تحتوى خلافا لثلاثة الآلاف أرجينى على خمسة آلاف من خيرة الجنودبقيادة «ارستازانس» أيضا. وقد كان تحت تصرفهم ثمانون سفينة (Diod. XVI, 47,3). وأخيرا كان يرأس الفرقة الثالثة « منتور » الروديسى الاغريقى الأصل وهو الرجل الذى سلم «صيدا» خيانة وكان يقود فى ساحة القتال جنوده المرتزقين الذين كان على رأسهم فى عام ٣٥٠ ق.م. وهؤلاء كان الفرعون « نقطانب» الثانى قد اشتراهم ، وقد أصبحوا الآن يعملون على خرابه ، وقد انتخب على رأس هؤلاء المرتزقين كذلك « باجواس » الذى كان يعد أقرب الناس للملك « أوكوس » . وكان رجلا جريئــا لا يرعى إلاّ ولا ذمة وسيجد ســيده فى شخص « منتور » . وقد كان يسير بأوامر خاصة من « باجواس » الرعايا الاغريق الذين فى حوزة الملك . هذا بالاضــافة الى عدد عظيم من البربر ؛ وكان يقود فضلا عن ذلك عددا عظيما من السفن . وبالاختصــار نلحظ أن القواد الاغريق لم يكن فى أيديهم أية قيادة على الأقل رسمية أو ظاهرية على الرعايا الاغريق أو البربر التابعين للملك العظيم . أما القواد الفرس فكان فى يدهم جزء من السلطة على الأقل رسميا فى قيادة الفرق الهيلانية .

هذا ونجد فى النهاية خلف فرق الهجوم هذه احتياطيا عظيما من الجيش الفارسى مع الملك نفســه الذى على ما يظهر لم يشــترك فعلا فى العمليات الحربية . والدور الذى كان قد لعبه هذا الملك فى حروب عام ٣٥١ق.م قد بولغ فيه كما يدل على ذلك تهكم الكاتب « اسوكراتس » (Phil. 101) . وعلى أية حال نجد أن ما قام به فى عام ٣٤٢ق.م. كان دورا فعــالا محسا . وبعد تقسيم الجيش على هذه الصورة بدأت الأعمال الحربية ، وقد وضح لنا « ديودور » أولا ما قامت به الفرقة الثانية (Diod. XVI, 48,3 etc.) وذلك أن القائد « نيكوستراتوس » كان يرشده فى سيره أفراد من الشعب المصرى ، كان قد أخذ الفرس أطفالهم ونساءهم رهينة ان هم خانوه ؛ وقد أفلح بأسطوله فى الاستيلاء على جزء من التحصينات المصرية وبهذه الطريقة أمكنه أن يعسكر فى اقليم بعيد عن أنظار العدو . وقد كان لديه كل الوقت الكافى ليتحصن فيه (Diod. XVI 48,3) فهل كان يا ترى يريد أن يهــاجم المصريين بعد مدة ؟ أو كان يريد أن يسحب الحاميات المجاورة التى كانت فى أماكن قوية ثم يسحقها سحقا أو كان يرمى الى بث الذعر بتهديد قلب جيش العدو وجعله يتقهقر ؟. والمؤكد فى كل ذلك أن هذا القــائد لم يكن المبادر فى الدخول فى موقعة ، وذلك أنه عندما علم الجنود المرتزقة الذين كانوا يحرسون الاقليم المجاور بوجود العدو أسرعوا بقيــادة « كلينياس » صاحب « كوسى » ، وكان عددهم سبعة آلاف مقاتل ، وقدنشبت موقعــة حامية الوطيس ، وقد كانت هناك كذلك شجاعة الاغريق فاصــلة اذ يقول لنا « ديودور » أن شــجاعة الأرجيين قد منحتهم النصر ، ولــكن لابد أن نضيف أسبابا أخرى للحصول على هذا النصر ، وذلك أن متانة الموقع الذى اختاره وحصنه القائد « نيكوستراتوس » ، ويحتمل كذلك بعض التفوق فى عدد الجنود الاغريقية الفارسية قد ساعد على هذا النصر . وعلى أية حال

فان الفرقة التى كان يقودها « نيكوستراتوس » بالاضافة الى ثلاثة آلاف من الأرچيين ، قد احتوت خمسة آلاف من خيرة البربر ، وقد خرصريعا من جيش « كلينياس » أكثر من خمسة آلاف رجل فى هذه المعركة . وعند ما أخبر « نقطانب » بهذه الهزيمة ووجد نفسه قد كشف خارت عزيمته وخيل اليه وقتئذ أن سائر جنود العدو سيذهبون بدون أية صعوبة لاقتحام النهر ويحملون حملة واحدة على « منف » ، وهذا هو نفس التهديد الذى كان قد حدث فى عام ٣٧٤ ق. م. وقد جدد الآن ، ولكن فى هذه المرة لم يقاوم المصريون اذ فى عام ٣٧٤ق.م. قد امتد أمد الغزو بعد الاستيلاء على الحصن مما سمح للملك « نقطانب » الأول أن يحصن « منف » وأن يقوم بهجوم معاكس باهر ، ولكن فى عام ٣٤٢ق.م. نجد أن « نيكوستراتوس » على الرغم من أنه قد نال النصر لم نشاهده على ما يظهر قد أبدى جرأة أكثر من التى أظهرها « فارنابازوس » بالتقدم الى الأمام . وفى هذا الموقف نجد أن « نقطانب » بدلا من أن يقوم بهجوم للانتقام عاد الى «منف» مع جنوده الذين كانوا تحت امرته مباشرة وتحصن هناك ولم يتحرك منها (Diod. XVI, 48, 6-7) .

وهذا التقهقر السريع الحاسم لم يحرم أرض الدلتا من جيش هام وحسب، بل كان من جرائه انهيار ركن من أقوى الأركان للدفاع عن « مصر » ، وفى أثناء قيام القائد بتنفيذ حركة التفاف لم يكن القائد « لاكراتس » خاملا أمام حصون « بلوز » وقد كان فى مقدوره أن يتحرك بحرية فى القناة كما كان مسيطرا على الأطراف القريبة من المكان ، غير أنه مع ذلك كان عاجزا عن القيام بهجوم جبار لكسر قوة الحامية ، ولذلك نجد أنه صمم على محاصرة القلعة حصارا منظما (Diod. XVI, 49,1) ومن أجل ذلك حول جزءا من

مياه القناة وعمل سدا فى عرضه ونقل بواسطته الآلات التى كانت لازمة لتحطيم جدران الحصن . وقد هدمت هذه الجدران الى مسافة طويلة ، غير أن المحاصرين قد تمكنوا من عمل غيرها بسرعة عظيمة وبنوا برجا هاما من الخشب (Diod. XVII, 49,1) . وقد استمرت المعركة حول جدران الحصن وشرفاته لمدة من الزمن ، وقد كانت الحامية تحتوى فى مجموعها أو بالأحرى فى جزء منها على جنود مرتزقين من الاغريق وهم الذين صدوا هجمات « لاكراتس » ؛ غير أن هرب الفرعون الى « منف » قد كشف الجزء الخلفى من الحصن ، وهنا نجد أن الرعب قد استولى على المحاصرين ولذا فانهم طلبوا المفاوضة مع العدو للتسليم (Diod. XVI, 49-2) ، وعلى ذلك يجوز لنا أن نظن أن مبادرة « نيكوستراتوس » وانتصاره كانا أهم بكثير من مهارة « لاكراتس » ونشاطه ، وبذلك سقطت « بلوز » . وفى هذه الحالة على الأقل كما قيل قد أدى اندفاع «نيكوستراتوس» الموفق الى انزال ضربة قاسية غير مباشرة بالفرعون .

وقد قابل « لاكراتس » بالترحاب مفاوضات المحاصرين ووعد الاغريق بالايمان انه عند تسليم القلعة يكون فى امكانهم كلهم العودة الى بلاد الاغريق حاملين معهم أمتعتهم . وبعد ذلك دخل « بلوز » ولكن كان فتح الاغريق للمدينة لتصير فى قبضة الملك العظيم . وعلى ذلك أرسل «أوكوس» الى « بلوز » « باجواس » الذى كان موضع ثقته يصحبه عدد عظيم من البرابرة ليستولوا على المدينة . وقد وصل « باجواس » فى الوقت المناسب ليسهم فى رحيل اغريق الحامية ، وقد سلب منهم الفرس عددا عظيما من أشيائهم التى حملوها معهم . ولم يسع « لاكراتس » أمام احتجاجات الاغريق الا أن يتدخل وأجبر البرابرة على الفرار ، بعد أن قتل منهم بعض الجنود ، وقد عرض « باجواس » هذا الأمر على « أوكوس » متهما

« لاكراتس » رسميا ، غير أن الملك « أوكوس » لم يوافق على العقاب الذى أنزل بجنود « باجواس » وحسب بل أمر بقتل السارقين (Diod. XVII, 49, 4-6) والآن يتساءل المرء هل هذا الحكم الذى أصدره أمير كان معروفا عادة بالقسوة والخيانة قد صدر عن شعور خالص بالعدالة ؟ وعلى أية حال نعلم أن غرضه كان عدم الرغبة فى صدم شعور «لاكراتس» . والمهم فى كل ذلك كان الاستيلاء على « بلوز » التى عدها الملك منذ ذلك الوقت أحد مفاتيح القلعة المصرية . ولكن هناك قد انتهت حدود نتائج النصر الذى ناله « نيكوستراتوس » فى « مصر » فقد كانت هناك نتائج ضخمة وفاصلة فى هذه الحملة نال شرفها رجل آخر وأعنى به « منتور » الروديسى الذى قاد بصحبة « باجواس » الفرقة الثالثة من الجيش الاغريقى الفارسى ، فاليه يرجع الفضل بما أبداه من سياسة ملتوية أكثر مما أظهر من مهارة أو أعمال حربية قوية، فقد عرف كيف يجمع عددا عظيما من المدن تحت لواء الملك وفى طاعته ونال فخار هذا النصر العظيم . وقد حصن مركزه الشخصى بنيل ثقة الملك « أوكوس » . ولما كان يعرف أكثر من القواد الآخرين بما له من تجارب بخدمته تحت امرة « نقطانب » أنه لن يكون هناك اتحاد تام بين العنصرين اللذين يتألف منهما الجيش المصرى وهما الشعبان اللذان يتألف منهما حاميات المدن المصرية ، أى الجنود المرتزقة الاغريق والجنود الوطنيين (Diod. XVII, 49-6) ؛ فقد أخذ فى العمل على بث الأحقاد واثارة الفتن بينهما بغية أن ينال فائدة من ذلك ، وهكذا نجد أنه بوحى منه أخذت تنتشر شيئا فشيئا الشائعات التالية : ان اولئك الذين يسلمون أماكنهم عن طيب خاطر سيعاملهم الملك معاملة سخية . أما أولئك الذين سيلجأون الى القوة فسيصيبهم ما أصاب صاحب « صيدا » (Diod. XVI, 49, 7-8) . والواقع أن هذا التهديد كان جد حاذق فقد أزعج

بطبيعة الحال على الأقل جزءا محسا من المحاصرين وأصبحوا يرغبون بشدة فى التسليم ، وقد كان المصريون بوجه خاص أكثر تعرضا وأكثر اجراما فى عينى ملك الفرس من الأجانب الذين كانوا فى خدمة الأمير العاصى ، وعلى ذلك كان لزاما عليهم أن يخضعوا مسلمين مدنهم . وسنرى أن هؤلاء هم الذين طلبوا المفاوضات الأولى ؛ أما الاغريق فانهم على العكس كان فى مقدورهم أن ينقذوا وظيفتهم بشدة بوصفهم جنودا مرتزقين ، ومن هنا بطبيعة الحال نشأ عدم الثقة والخلافات بين الفريقين مما سبب شل حركة المقاومة ، والواقع أنه يفهم مما جاء فى « ديودور » أن الاغريق قد قاموا من جانبهم بالمفاوضة لصالحهم (Diod. XVI, 49-6) ؛ ومن ثم قامت اضطرابات وخلافات فى صالح المحاصر . ولقد كان من جراء انتشار الشائعة التى قذف بها « منتور » أن ثبتت فى وقت قصير الفرقة بين العنصرين وزادت شقة الخلاف بينهما (Diod. 49,8) وقد أعطت « بوبسطة » المثل فى الخروج من الحرب ، وذلك أنه عندما كان معسكر كل من القائدين « منتور » و « باجواس » قد نصب أمام تحصينات هذه المدينة بدأت مفاوضات التسليم ، وقد كانت المبادرة من جانب المصريين وذلك على حساب الجنود المرتزقين . وكان مايخشونه من الملك هو انتقامه وما يرجونههو تسامحه . وقد خاطبوا ثقته « باجواس » فى أمر المفاوضة (Diod. XVI, 50,1)، غير أن الاغريق كانوا يشكون فى أمره ، وقد أفلحوا فى القبض على الرسول وانتزعوا منه الاعتراف بالحقيقة ، وعندئذ ثار غضبهم وانقضوا على المصريين فجرحوا منهم بعض الأفراد وقتلوا آخرين ، ثم قذفوا بالباقين فى ناحية من المدينة . وعلى أية حال لم يكن فى مقدورهم أن يمنعوا أعداءهم من اخبار « باجواس » بالحادث ودعوته للحضور والاستيلاء على المدينة بأسرع ما يمكن (Diod. XVI, 50, 2-3) ؛ ولكن الاغريق فى قرارة أنفسهم كما

يفهم ممارواه لنا «ديودور» منذ بداية قصته عن ذلك (Diod. XVI, 49,8) لم يكونوا مدفوعين بعزيمة قوية للمقاومة . وسواء أكانوا يأملون فى مفاوضة حاسمة لمصلحتهم الشخصية أم كانت حالة المصريين قد نزعت من نفوسهم كل أمل فى الخلاص وأنهم كانوا يخافون عدم قدرتهم على منع وقوع خيانة فانهم قد قرروا من جانبهم فتح مفاوضة بوساطة « منتور » (Diod. XVI, 50,3) وقد كان جل ما يرغب فيه « منتور » هو تسليم « بوبسطه » دون حرب ، غير أن مفاوضات المصريين مع « باجواس » قد هددت مطامع «منتور» الذى خاف أن تسلم المدينة رسميا الى «باجواس» . وقد كان هذا الروديسى يريد أن يجنى لنفسه شرف هذا الفتح ، ولكن بمهارة فائقة عرف كيف يتحاشى هذا الخطر . وفى الوقت نفسه نجد أن هذا الخطر بعينه قد جلب عليه فائدة لا تقدر ، وهى الاعتراف بالجميل والمحبة له من جانب أكبر ثقة عند « أوكوس » ، فقد دعى « منتور » فى سرية تامة الاغريق الذين فى « بوبسطه » ليتفاوضوا معه ، وقد أشار عليهم أن يتركوا «باجواس» يدخل المدينة ثم ينقضون على البربر الذين بصحبته . وقد دخل جزء من جنوده فى داخل جدران المدينة أغلق الاغريق الأبواب وذبحوا كل الفرس الذين دخلوا واستولوا على « باجواس » (Diod. XVI, 50, 3-4) وعلى ذلك لم يكن لدى « باجواس » الذى فاوض المصريين أى أمل الا أمل واحد وهو استعمال « منتور » كل ما لديه من نفوذ على الاغريق الآخرين وعندئذ أذل نفسه معترفا بالخطأ الذى ارتكبه وهو المفاوضة منفردا مع المصريين دون أخذ رأى « منتور » ووعد أن يستشيره دائما فى المستقبل ورجاه أن يخلصه من هذه المصيبة وعلى أثر ذلك أطلق الاغريق سراح صديق الملك بوحى من « منتور » ، وكذلك كان بفضل « منتور » أن سلم

الاغريق « بوبسطه » . وهكذا نرى أن كل فخار تلك العملية قد عاد على الروديسى الماكر ، وقد كسب بذلك لب « باجواس » أبديا . ويقول « ديودور » أنه قد نشأ بين الرجلين محبة وثيقة العرى أكدتها أيمان متبادلة بينهما (Diod. XVI, 50, 5-8) وقد كان من جراء خضوع « بوبسطه » أن سلمت مدن أخرى استولى عليها الفزع والهلع . ولما رأى « نقطانب » ما صارت اليه حال المدن المصرية ، وقد كان يعمل من « منف » على غزو الدلتا فانه لم يجسر أن يخاطر بكل شيء بالدخول فى موقعة فى العراء ، ومن أجل ذلك فضل النزول عن الملك ووصل الى بلاد النوبة حيث حمل معه الى هناك الجزء الأعظم من كنوزه (Diod. XVI, 51,1) . وبعد ذلك اجتاح الفاتحون الفرس « مصر » فهدمت تحصينات المدن وانتزع كل ما فى المعابد من ذهب وفضة وكذلك سلبت سجلاتها التى كان « باجواس » يأمل أن يجبر الكهنة يوما على شرائها مرة أخرى بمبالغ باهظة . وقد ولى أمر الحكم فى « مصر » فراندانس (Phrandates) ووضع بذلك « مصر » تحت النير الفارسى فى حين أن الجنود المرتزقين قد عادوا الى أوطانهم محملين هم وقوادهم بالهدايا ، وهؤلاء كانوا أحسن صناع للنصر الذى ناله «أوكوس» (Diod. XVI, 51,2) .

وهكذا قضى على استقلال المملكة الفرعونية بعد أن تمتعت به أكثر من ستين عاما بعد طرد الفرس أول مرة . وفى خلال تلك المدة الطويلة كان تأثير بلاد الاغريق يتمثل فى صور متعددة ومتغيرة وقد كانت فى ذلك خاضعة الى الهامات متنوعة جدا انتهت بنتائج غاية فى التنوع ، وعلى الرغم من هذا التنوع البالغ فانه يجوز لنا أن نضع عن العلاقات الاغريقية المصرية منذ ٤٠٥ق.م. الى ٣٤١ ق.م بعض نتائج عامة سنتحدث عنها فيما يلى :

تدل شواهد الأحوال على أن القصد من هرب «نقطانب»أنه ربما أتيحت له

الفرصة بعد مدة أن يعـود الى « مصر » غـير أن الملك « أوكوس » قد اخترق كل بلاد « مصر » الوسطى والوجه القبلى بعد أن استولى على كل الدلتا دون أن يصادف مقاومة تذكر .

وقد قبض الغزاة على « مصر » بيد حـديدية بعد أن تمتعت باستقلالها مدة تربى على الستين عاما وقد كانت « مصر » فى تلك الفترة أخطـر عدو على بلاد الفرس كما كانت فى الوقت نفسه أعظم مناهض نجح فى التغلب على أسرة الاخمينيسيين ، ولـكن الفرس فى آخر المطاف تغلبوا عليهـا وسلبوها كل ما تملك من استقلال ومال ، وقد وصف لنا واضع الحوليات المصرية حالة البلاد بعد الفتح الفارسى الأخير بقوله : لقد كان بحرنا وجزرنا مملوءة بالنبيذ أى أن بيوت المصريين كانت لا تحتوى على أناس سكنوها . ويمكن للانسان أن يقول عن تلك الفترة بوجه خاص ان الميديين قد جلبوا اليهم التعاسة فقد استولوا على بيوتهم وسكنوا فيها راجع Demotische Chronik Col. IV, 22.23; Comp., Ed. Meyer Kl. Schr. II 86,87).

والواقع أن كل الاجراءات التى اتخذها الفرس بعد الفتح كانت شديدة ولكنها كانت لأغراض معينة . وقد كان كل عصيان جديد لابد من اخماده بطريقة واضحة سريعة ، وعندما نرى فيما بعد أن الكتاب الاغريق يؤكدون أن الملك « أوكوس » قد ذبح العجل « أبيس » — ويضـيف الى ذلك الـكاتب « سـويداس » أنه ذبح كذلك العجل « منفيس » وكبش « منديس » — وأن هذه الجريمة الشنعاء تعد من أفظع الجرائم الوحشية فى التاريخ فان ذلك يضع أمامنـا السؤال فيما اذا كان ذلك يضع أمامنـا صورة مشابهة للتى رويت عن « قمبيز » ، وقد تحدثنا عنها طويلا، أو اذا كان لدينا هنا قصة تعسة من القصص التى ترجع الى أصل مصرى ، وهذا ماليس له أساس قط فى النقوش المصرية ؟ (راجع Keinitz, p. 108 Note 4)

حالة الدولة الفارسية فى تلك الفترة

كانت الحالة فى الدولة الفارسية فى تلك الفترة قد عادت الى ما كانت عليه فى أبهى عصورها اذ قد أصبحت أقوى مما كانت عليه منذ مائة وخمسين سنة مضت، فقد كانت أحوالها فى الداخل ثابتة الأركان قوية الدعائم . وعلى أثر انتهاء الحملة على « مصر » قضى القائد « منتور » على كل العناصر الثائرة فى آسيا الصغرى وبخاصة الأمير « هرمياس » صاحب « أتارنوس » (Diod. XVI, 52-5-8) وكان قد أظهر « أوكوس » هو وجيشه من الوجهة الحربية فى أشد المواقف فى ساحة القتال مع الجيش المصرى تفوقا عظيما ، فقد كانت خططه الحربية تدل على مهارة فى وضع الخطط الممتازة كما كان تنفيذ خططه يتم دون احتكاك . وقد كان « منتور » الروديسى وأخاه « ممنون » فى المملكة الفارسية يعدان القائدان الاغريقيان اللذان يقومان بتنفيذ الخطط الحربية بمهارة على أى عدو . وكان « منتور » قد هرب مع « أرتابازوس » الى « مقدونيا » وها نحن أولاء نرى الآن « منتور » قد رد اعتباره واعتبار زميله بما قام به من عظيم الأعمال ، وكان « منتور » بوجه خاص على أحسن ما يكون من الود مع الملك العظيم (Diod. XVI, 52-1-4, 50,8)

أما فى السياسة الخارجية فكانت « فارس » بوجه عام أعظم دولة فى ذلك الوقت ، ولم تكن مملكة « مقدونيا » فى تلك الفترة فى عهد ملكها « فيليب » الثانى الذى كان يسير بها نحو المجد قد بلغت المرتبة الأولى ، وقد كانت كل أعمال الملك العظيم « ارتكزركزس » (أوكوس) تدل على أنه كان يفوق كل حكام الشرق فى تاريخ الشرق . على أن شخصية « أوكوس » غالبا

لم تقدر حق قدرها كما انها كانت مجهولة . حقــا انه كان رجلا شــديدا كما كان من وقت لآخر متوحشا وقاســيا ولــكنه كان ســياسيا موهوبا واستراتيجيا وصاحب نشاط ومثابرة وذكاء كما كان عادلا . ولا نزاع فى أنه كان الرجل الذى تحتاج اليه دولة الأخمينيسيين فى ذلك الوقت اذ كانت تصرفاته غاية فى الجرأة والأهمية وذلك لأنه بعد عهده بســنوات قلائل كان ناقوس سقوط بلاده قد دق . وفى صيف عام ٣٣٨ق.م. قضى بصورة خاطفة على ذلك الفلاح الجديد الذى نالته الدولة الفارسية بعد خروجهــا من حرب « مصر » وقهرها اياها ، فقد دس السم « باجواس » لصديقه الحميم « ارتكزركزس الثالث » (أوكوس) ملك الفــرس كما قتــل كل أسرته تقريبا . وبعد ذلك ولى أصغر أولاد « أوكوس » المسمى « ارسس » عرش الملك (Diod. XVII, 5,3-4) غيرأن نتيجة ذلك لم تلبث أن ظهرت فى الحال وذلك أنه بعد مرور بضعة أسابيع على هذه الحوادث نجد أن « فيليب » الثانى المقدونى قد انتصر فى موقعة « كايرونيا » (Chaironeia) وأصبح سيد بلاد الاغريق ولم تكن بلاد الفــرس فى مركز بعــد هــذا التغير الأساسى يربطها ببلاد الاغريق ، وفى نهاية عام ٣٣٨ ق.م. كان لابد من ضياع مصر مرة أخرى من يد الفرس ، غير أن الثــورة لم ينــدلع لهيبها فى « مصر » نفسها ، والظاهر أن أميرا من بلاد النوبة السفلى قد أعلن نفسه ملكا على البلاد وهو الفرعون «خباباشا»(١) الذى يجب أن توضع آثاره فى هذه السنة . ومن المحتمل أن الملك « نقطانب » الثانى الذى فر الى بلاد النوبة قد أوعز الى « خباباشا » غزو بلاد « مصر » . وقد كان هذا الفرعون الجديد يحمل اسم التتويج : صورة الاله «تنن» المختار من «بتاح» . ومن الممكن اذا أن ذلك يدل على أنه كان قد توج فى عاصمة الملك القديمة « منف » ، أنه قد

---

(١) انظر صفحة ١٠٢ الخ ...

اتخذها حاضرة لملكه . ولما كان قد مات فى السنة الثانية من حكمه عجل « آبيس » فان هذا الفرعون قد دفنه فى تابوت فاخر . هذا وتحدثنا الآثار على أن الفرعون « خباباشا » قد أعاد الأرض التى اغتصبها الفرس من آلهة «بوتو» ، وهذا ما نجده مذكورا على الآثار البطلمية بعد مرور خمس وعشرين سنة على طرد الفرس من « مصر » . وفضلا عن ذلك عمل هذا الفرعون على أن يحصن بلاد الدلتا ثانية خوفا من غزو جديد يقوم به الفرس . وعلى أية حال لم ينل أى نجاح فى ذلك ، ومن المحتمل جدا أن الفرس فى شتاء ٣٣٦ — ٣٣٥ق.م. قد نجحوا فى استرداد « مصر » ثانية تحت سلطانهم ، هذا ولا نعلم بعد ذلك ماذا صار اليه أمر هذا الفرعون . ومما يؤسف له جد الأسف أن المصادر التى وصلت الينا حتى الآن لم تحدثنا بشىء عما حدث ما بين الاضطرابات التى وقعت فى البلاط الفارسى ، وكذلك فقدان « مصر » كرة أخرى أثناء عام ٣٣٨ق.م. حتى ٣٣٦ ، اذ نجد انه فى هذه الفترة كان تاريخ الفرس مبتورا ، وقد كان آخر ملوك الأخمينيسيين الذين حكموا مصر هو « دارا » الثالث (كودومانوس) الذى تولى الملك على أكثر تقدير فى يناير — فبراير ٣٣٦ق.م. وذلك بعد أن قتل « باجواس » الملك « ارسس » ، وعندما نعلم أن الأثر الوحيد الذى جاء ذكر اسمه عليه بالهيروغليفية هو لوحة العجل « بوخيس » مؤرخة بالسنة الرابعة من حكم « الاسكندر الأكبر » ٣٢٩ ق.م. — اذ جاء عليها مهشما بعض الشىء ما يأتى : « ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « دارا » عاش مخلدا » — فان ذلك ليس الا مجرد بيان تاريخى ولا يمكن استنباط شىء من ذلك له قيمة تاريخية . ولم يكن لدى المصريين أية وسيلة يؤرخون بها السنين التى ما بين ٣٣٥ الى ٣٣٣ ق.م. الا الملك الفرعون « دارا » الثالث . ولدينا

مصدر آخر نقش بالهيروغليفية يلقى بعض الضوء على السياسة المصرية التي اتبعها الفرس فى السنين الأخيرة من حكمهم ، وهذا المصدر هو لوحة لأمير من بلدة «هيراكيوبوليس» (اهناسيا المدينة) يدعى «سماتوى تفنخت» وهو رجل من علية القوم تقلب فى عدة مناصب ادارية وكهنوتية (Stele von Neapel L. Reinisch. Ag. Chrestomathie I, 16; راجع Brugsch Thesaurus. p. 632; Sethe Urk. II, 1-6 ; P. Tresson B. I.F.O, 30 (1931) p. 369-91) والنقش يحتوى على شكر للاله المحلى « حرشفى » الذى حفظه ورعاه مدة حياته . ومن هذا النقش نعلم بعض البيانات عن حياة «سماتوى تفنخت» راجع Sethe, Urk. II, 3, L. 11 ff 4, L. 1 ff.)

وهاك المتن : أنت «حرسفيس» تعمل الطيبات غالبا باستمرار ؟ وأنت تجعل مدخلى واسعا الى بيت الملك ، وكان قلب هذا الاله الكامل (الفرعون) فرحا بذلك بما قلته . وانك ترفعنى أمام الجماهير عندما تدير ظهرك نحو « مصر » وانك تضع حبى فى قلب حاكم « آسيا » وعظماء رجاله يحترموننى وقد منحنى وظيفة الكاهن الأكبر للالهة « سخمت » بدلا من أخ أمى (خالى) الكاهن الأكبر لـ«سخمت» فى الوجه القبلى والوجه البحرى المسمى «نخت حنب» . وانك قد حفظتنى فى الحرب الاغريقية وذلك عندما قهرت « آسيا » وقد قتل كثير من حولى ولكنه لم يرفع واحد يده على . وقد رأيتك فيما بعد فى المنام عندما قال جلالتك لى أسرع الى «اهناسيا» . تأمل انى معك — ولقد اخترقت وحيدا الأراضى الأجنبية وعبرت البحر ولم يعترنى خوف ، وانى لم اتعد امرك . لقد أتيت الى « اهناسيا » ولم تنتن شعرة واحدة من رأسى .... » .

ومن ثم نرى — أن الأمير « سماتوى تفنخت » قد تمتع أولا بحظوة فرعون وطنى ثم وضع فى مكانة رفيعة فى عهد الملك العظيم عاهل الفرس .

وبعد هزيمة الفرس هزيمة منكرة وهو يحارب فى صفهم على يد الاغريق هـرب على أية حال الى بلاد أجنبية بحـرا حتى وصـل الى « مصر » . وكذلك نجد أنه فى عهد الملك الذى تولى عرش « مصر » بعد ذلك قد حافظ على منصبه وعلى ذلك أمكنه أن ينقش الأثر الذى تركه لنا متحدثا فيه عن حياته . غير أن الوقت الذى بدأت فيه حوادث هذه اللوحة على حسب ماجاء فيها لايمكن تحديده بوجه التأكيد ، وقـد وضع الأثرى « بركش » (راجع H. Brugsch Gesch. Egyp. 762-4) الأمـير « سـماتوى تفنخت » فى عهد تغلب « الاسكندر الاكبر » على «مصر» . وقد ظن الأثرى «كرال» (راجع A.Z. 16, p. 6-9) أنه عاش فى عهـد « اناروس » وقـد ظن « فيدمان » أنه عاش ما بين الثورة التى قام بها « اناروس » والثورة التى قامت فى ٤٨٦ق.م. أما الأثرى «ارمن» (راجع A.Z. 31, p. 91) فقد أظهر أن اللـوحة لما جاء فيها من ذكر هزيمـة الفرس والملك العظيم دون ذكـر الألقاب الفرعونية لا يمكن أن تكون قد وصلت الى عهد تسلط الفرس على « مصر » ، وعلى ذلك جعل « سـماتوى تفنخت » يعيش فى عهد الملك « أحمس » الثانى و « قمبيز » و « دارا » الأول وأنه قد هرب من موقعة « ماراتون » ووضع لوحته فى خلال الثورة التى قامت ٤٨٦ق.م. ومن جهة أخرى نرى أن الأثرى « شيفر » يقول :

(راجع Agyptiaka Festschr. für Georg. Ebers 1897 p. 92 ff)

ان هذه اللوحة يمتد عهدها من ٥٢٥ ق.م. حتى ٣٨٦ ق.م . وكذلك يمكن أن تكون من ٣٤٣ الى ٣٣٢ ق.م. وذلك لأن الكتابة الرمزية التى يحتوى عليها متن اللوحة كانت أقرب الى العهد البطلمى وليس من العهـد الساوى ، وذلك يقرر أنها كانت من عهد «الاسكندر» . وعلى ذلك تكون الهزيمة التى

لحقت بالفرس وهى التى جاء ذكرها فى اللوحة هى واقعة « آسوس ».ويقول الأثرى « ترسون » (Tresson B.I.F.A.O, 30, 1931 p. 387-391) أن هذه الواقعة هى واقعة « جاو جاملا » وبدلا من « آسوس » ، على أنه يعارض ذلك سياحة « سماتوى تفنخت » بحرا . ولابد أن يلحظ الانسان أنه بالنسبة لسماتوى تفنخت لا يوجد أى سبب — بعد عام ٣٣٢ ق.م. وهو العام الذى أقام فيه لوحته — ليتملق الفرس . واذا فرضنا أنه عاش فى عهد آخر ملوك الفرس فاننا نرى أنه حافظ على منصبه العالى وأنه حارب فى جانب الفرس ضد « الاسكندر » . ومن ثم نجد أن « سماتوى تفنخت » لم يكن صنيعة الفرس ، اذ انه لم يذكر لنا فقط بنفسه أنه كان قبل ذلك فى حظوة حاكم مصرى بل كان أميرا فى « اهناسيا المدينة » ، ومن المحتمل اذا أن جده البعيد كان من أول الرجال الذين عاشوا فى عهد « بسمتيك » الأول كما سبقت الاشارة الى ذلك . ومن المحتمل أنه أحد أفراد سلالة الملك «بفنفدوباست» الأهناسى من عهد الملك « بيعنخى » . ولدينا أمير آخر يدعى « سماتوى تفنخت » من « اهناسيا » محفوظ الى الآن تمثاله ويحتمل أنه من عهد الأسرة الثلاثين وقد يجوز أنه كان الأمير « سماتوى تفنخت » الذى من عهد « الاسكندر الأكبر » (راجع Daressy, A.S, 21 ,141) وقد كان جد الأمير يدعى « زدسماتوى أوف عنخ » (راجع Sethe, Urk. II, 2 L. 10) ولدينا قطعة بردى مؤرخة بالسنة الثامنة من عهد « نقطانب » الأول ٣٧٣ق.م. عثر عليها فى « اهناسيا » وقد جاء عليها ذكر اسم فرد يدعى « هرماكوروس » بن « سماتوى تفنخت » وبعد كسر فى الورقة نجد كلمة « اهناسيا » و « سماتوى تفنخت » ، وهذا يمكن أن يكون موحدا مع الذى تحدث عن تمثاله « دارسى » وهو الذى سبقت الاشارة اليه . وعلى

ذلك يمكننا أن تتتبع كيف أن تاريخ هذه الأسرة قد بقى ممتدا على الرغم من كل التقلبات التاريخية مما يدل على أن الارستقراطية فى هذه الأسر كانت قوية الأركان تتنقل من نسل الى نسل . وفى باكورة عام ٣٣٤ق.م. عبر الاسكندر المقدونى البوسفور ، وفى شهر مايو نال أول انتصار عظيم على شطاربة الفرس فى « جرانيكوس » (Granicos). وفى خريف ٣٣٣ق.م. بعد انتصاره على الملك العظيم فى « آسوس » انتزع الاسكندر كل غربى آسيا من الدولة الفارسية .

وفى تلك الأثناء كانت « مصر » هادئة لم تبد حراكا ، وكذلك نلحظ أنه لما سقط الشطربة « سباكس » فى موقعة « آسوس » مع الجزء الأعظم من الحصون الفارسية بقى كل شىء هادئا ساكنا . ولم يحدث بعد استيلاء الاسكندر على « صور » و «غزة» أى حركة تدل على العصيان فى « مصر » من جانب المصريين فى بقية الحاميات التى كانت تحت امرة القائد (مازاكس) (راجع Arrian, Anabasis III, 1,2). وهكذا نرى مرة أخرى أن كل الثورات التى قامت على الفرس فى خلال المائة والخمسين سنة المنصرمة لم يكن مصدرها مصريون ، وفى هذه المرة لم يكن هناك أمير لوبى أو نوبى لينتهز هذا الموقف ويفيد منه ويعتلى عرش «مصر» . وبعد موقعة «آسوس» زحف «أمينتاس» المنفى على رأس بضعة آلاف من الجنود من «آسوس» عابرا « فنيقيا » و « قبرص » وموليا وجهه شطر «بلوز» مؤكدا ان الملك «دارا» قد عهد اليه أمر «مصر» وقد اخترق بلاد الدلتا مشيعا فيها على يد جنوده السلب والنهب، وعندئذ خرج «مزاكس» بجيشه الفارسى والمسلحين من المصريين وهزم «أمينتاس» وشركاءه فى الجريمة بعد أن أشاعوا الموت فى جماعات منوعة .

راجع (Arrian, Anabasis II, 13, 2-3 ; Diod. XVII 48, 2-5 ; Curtius Rufus IV, 1, 27-33 ; Comp. Alexandarreich Bd. II No. 485, p. 245-6 (Mazakes & No. 58, p. 28,29, Amyntas, bis p. 29, A. 1).

وعندما ظهر الاسكندر فى نهاية عام ٣٣٢ق.م. فى « مصر » سلم له « مازاكس » البلاد دون قتال .

(راجع Arrian, Anabasis III, 1,2 ; Curtius Rufus IV, 7,3-4)

وهكذا انتقل ملك « مصر » من يد دولة الفرس الغاربة الى يد دولة الاسكندر العالمية المشرقة .

أهم الآثار التى خلفها نقطانب الثانى

(١) لوحة من الحجر الرملى :

المائل الى الأصفرار مؤرخة بالسنة الثانية الشهر الرابع اليوم التاسع عشر من حكم الملك « نقطانب » الثانى . وجدت فى دير القديس « ارميا » بمنف مستعملة عتب باب .

وصف اللوحة : يبلغ ارتفاع هذه اللوحة ١٫٦٢ مترا وعرضها ٠٫٩٢ مترا وسمكها ٠٫٤٠ مترا ، وهى من الحجر الرملى من الجبل الأحمر الواقع بجوار « القاهرة » . وجزؤها الأعلى على هيئة نصف دائرة فى حافتها صورة السماء منحنية حسب تقويسة اللوحة وتحت نهاية صورة السماء من الطرفين صولجان ، وتحت صورة السماء والشمس المجنحة يحيط بها صلان ، وتحت الجناحين المتن التالى : « بحدتى » الآله العظيم ، رب السماء . وتحت كل هذا نجد صورة العجل « أبيس » يتعبد له الفرعون وهو راكع أمامه . ويوجد خلف الملك صورة روحه : روح الملك التى تعيش فى « بيت الصباح » وفى «چبات» ويشاهد أسم روح الملك تخرج من ساق تقبض عليه ذراعان ، ونقش فى المربع الذى يحمله الساق : « حور » محبوب الأرضين .

ويشاهد أمام الملك مائدة قربان نقرأ عليها « قربان من خبز وجعة للعجل « أبيس » المتوفى وهاك النص : « حابى » العائش وقرناه على رأسه .

المتن الهيروغليفى : (١) فى السنة الثانية من عهد جلالة الملك « حور » محبوب الأرضين ممثل السيدتين (المسمى) مهدىء قلب الألهة « حور » الذهبى (المسمى) مثبت القوانين ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى

(المسمى) « سنزم — اب — رع ستب — ن — آمون » بن رع (المسمى) « نخت حور حبت نقطانب » الثانى العائش أبديا ، المحبوب من « أبيس » حياة « بتاح » المتكررة ومعطى الحياة (٢) والاله الكامل الحى ابن «أوزير» والذى ولدته «أزيس» ليعمل الشعائر لمعابد الآلهة، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « سنزم — اب — رع ستب — ن — آمون » بن رع « نخت حور حبت » العائش أبديا . عندما كان جلالته فى قصره يحكم فى حياة وقوة فى الجدار الأبيض « منف » وعندما أراد أن يتمم أعمالا فاخرة (٣) لآلهة « مصر » (؟) أمر جلالته باقامة مكان « أبيس » بناءا فاخرا للابدية ، وبعد وقت محدد أتى انسان ليقول لجلالته ان مكان « أبيس » الحى قد بنى . (٤) وعلى حسب أمر جلالتك فان أبوابه صفحت بالذهب (؟) ومصراعاه وشيا ••••• بالفضة ، ووشيت (•••••) وكل شيء جميل مشاهدته . وبعد أن سمع جلالته هذا ذهب جلالته الى معبد « بتاح » وعمل (٥) (••••••••) الذى عمله جلالته وبعد ذلك أقام جلالته مكانا لهذا الاله لأجل أن يرتاح فيه (يموت) بشغل فاخر من (٦) ••••• عمل ذلك فى المكان الجميل الذى أقامه جلالته . كل شيء فى مكان التحنيط من هذا اليوم الجميل حتى يوم الدفن . قائمة بالأشياء التى أمر جلالته باحضارها الى حجرة التحنيط .

ذهب : ٤٧٦ دبنا وثلاث قدات من الذهب .

فضة : ٥٦٩٨ دبنا وثلاث قدات من الفضة .

(٧) •••• قربان للاله فى حجرة التحنيط هذه ١٢٦٦ دبنا من الماشية (؟) ٣٣٢٦ بخور؟، ١٠٠ دبنا من المعدن مما يورد البيت الملك من نسيج(؟) ١١٤٠٠ دبنا من قار بلاد «فنيقيا» وقار من (••••) س دبنا ، ومر ٣٠٫٠٠٠ دبنا

٠٠٠٠ «قبرص» ١٠٠ دبنا ، راتنج جديد ١٥٠٠٠ دبنا وراتنج من الواحه ٢٠٠ دبنا ، وراتنج مصرى ١٠ دبنات ، ومحصول راتنج (؟) ٢٥ دبنا ، وزفت (٩) س دبنا ، نطرون من « وادى النطرون » ٥٩ دبنا ، ونطرون من الواحة ٢٠٠ دبنا ونطرون من الكاب ١٥٠٠ (؟) دبنا مع كل (٠٠٠٠٠) كما هو مبين كتابة ؟ ودنى ٢٠٠٠ دبنا ، وشهد ٢٠٠٠ هنا ، وزيت واحات ٢٠ اناء « هنو » زيت الوجه القبلى (١٠) س + ٣٠٩٠ (مكيالا) وزيت الراتنج ١٢٠٠٠ + س هنـــا (مكيال) (٠٠٠٠) + ١٠٠٠ ، ٣٩٤ ثورا ، و ٢٩ فحـــلا ، ٧٧٣ أوزة ، ٢٨٥ حمامة .

(١١) (٠٠٠٠٠٠٠٠) نبيذ من الواحات ٢٢ هنا ، نبيذ جديد من الواحة ٥ (؟) هنات، وتبى ٣٥٠٠٠ دبنا، ١٠٠ مكى من «قبرص» وسلات مفعمة(؟)

(١٢) (٠٠٠٠) وأشياء كثيرة جميلة وحلوة ٢٠ اردبا (؟) ٠٠ وكحل من «قفط» ١٠٠ دبنا ، كحل من « ببلوص » (جبيل) ؟ ١٠٠ دبنا وثلاث قدات، وما هو أحسن من ؟ ٠٠٠ ، ١٠ دبنات ، ومعدن حتم ٥٠ دبنا ومعدن (خنتى) (١٣) س دبنا (٠٠٠٠) ٢٥٠ (؟) دبـــنا ٥٠٠٠ دبـــنا ٠٠ (؟) ٠٠٠ ٣٠٠٠٠ دبنا ، ٢٠٠٠٠ من خشب السنط ، و ١٥٠٠ أردب فحم بلدى (؟) ، ٢٠٠٠٠ حزمة من البردى ، ٥٠٠ حصيرة من بوص البردى س حزمـــة من البردى اليـــانع (١٤) (٠٠٠٠) ٠٠٠ (؟) ٠٠٠ (؟) ٠٠٠ نسـيج من عمـــل الكهنـــة (؟) والكهنـــة المرتلين والعمـــال (؟) الـــذين يقومون بالتطهير فى حجرة التحنيط (؟) وعمل جلالته (قربانا عظيما) ٠٠٠ بكل شيء (٠٠٠٠) فى حجرة التحنيط ٠٠٠٠؟ وأمر جلالته بتنظيم قربان عظيم لمدة ٤٥ يوما وأمر جلالته أن تعمل تعاويذ جميلة من الذهب ومن كل الأحجار الكريمة التى لم يكن قد عمل مثلها من قبل وكذلك ملابس . (١٦)

. . . . ، وعمل جلالته التحنيط فعطر أعضاء الاله بالزيت وأمر جلالته باحضار نسيج من نوع نسيج الآلهة كلهم وكذلك نسيج من الحجرة الجنوبية والحجرة الشمالية من نسيج الالهة « تيت » (آلهة النسيج) فى ١٩ كيهك (أى الشهر الرابع من فصل الزرع اليوم ١٩) (١٧) .... وقدم جلالته قربانا عظيما من ثيران وأوز ونبيذ وكل شىء جميل فى قاعة القربان العظيمة الخاصة بحجرة التحنيط ..؟ .. وأمر جلالته باحضار ست آلاف لفافة تعادل ست آلاف دبنا (؟) الى السرابيوم (١٨) وجلالته ... دفنه فى السرابيوم بجانب جبانة « منف » . وبعد ذلك فان قداسته (؟) (أى العجل « أبيس ») مر فى وسط الباب العظيم وجد جلالته واقفا هناك مع أتباعه مثل ما يقف الصقر على بيرقه .

مضمون اللوحة :

لقدأقام الملك « نقطانب » الثانى فى السنة الثانية من حكمه الذى بدأ حوالى ٣٦٠ ق.م. مأوى العجل « أبيس » الحى . ومن المحتمل أن هذا المبنى موحد مع المعبد الذى أقامه « نقطانب » فى هذه البقعة وهو المعبد الذى قام بحفره فى جنوبى السرابيوم ويسمى معبد «نقطانب» الثانى وهو معبد لأبيس الحى (راجع Le Serapeum de Memphis (Ed.) Maspero p. 76) ومن ثم نعلم أن هذا المأوى كان للعجل «أبيس» الحى ، اذ هناك كانت حظيرته وحجرة عبادته وذلك بعد موت سلفه غير أن الجزء الأكبر من هذا المتن أى من سطر ٥ الى سطر ١٨ قد خصص لمراسيم دفن هذا العجل «أبيس » ، فقد أمر الملك باقامة حجرة دفنه فى السرابيوم وعنى بتحنيط هذا الحيوان فى حجرة الطهور (أى حجرة التحنيط) ، وهذا ما تحدثنا عنه الكثير من اللوحات العدة التى وجدناها فى السرابيوم وهى الحجرة التى يجرى فيها تحنيط عجل « أبيس » ، وقد وصفها لنا « ديودور » الصقلى (راجع

(Diod. I, 83-5 (١) . وقد خصص لهذا الغرض الملك « نقطاب » وفقا

---

(١) وعند ما يموت واحد من هذه الحيوانات فانهم يلفونه فى كتان جميل ثم ينوحون عليه ، ويضربون صدورهم من اجله ويحملونه الى حيث يحنط ، وبعد ان يعالجونه بزيت الأرز والأفاوية التى تنقل الرائحة العطرية وتحفظ الجسم لمدة طويلة ، يضعونها فى قبر مقدس ، وان كل من يقتل واحدا من هذه الحيوانات عمدا فانه كان يعدم ، الا اذا كان المقتول قطة او طائر ابو منجل (ابيس) ، أما اذا قتل احد هذه الحيوانات سواء اكان ذلك قصدا او عن غير قصد فان القاتل بالتاكيد يعدم ، وذلك لأن عامة الشعب يجتمعون زمرات ويعاملون المعتدى بمنتهى القسوة ، وكانوا احيانا يفعلون ذلك دون انتظار لمحاكمة . وخوفا من عقاب كهذا فان اى واحد يقع نظره على احد هذه الحيوانات ميتا فانه كان يبتعد الى مسافة بعيدة ، فاذا ما رآه القوم بعد ذلك صاحوا بحزن واحتجاج لأنهم وجدوا الحيوان ميتا فعلا . ولذلك كانت متاصلة فى نفوس الشعب نظرتهم الخرافية الى الحيوانات . ولقد كان الاحترام الخرافى الذى غرس فى نفوس عامة الشعب عميقا بالنسبة لهذه الحيوانات كما كانت العواطف التى يكنها كل انسان بالنسبة للاحترام الواجب نحوها فى الوقت الذى لم يكن ملكهم بطليموس قد اعطى من قبل الرومان اسم « صاحب » وكان القوم وقتئذ يظهرون كل حماس الحصول على كسب حظوة البعث الايطالى الذى كان يزور مصر وقتئذ ، وخوفا منهم كانوا عازمين على عدم ايجاد اى سبب للشكوى او الحرب وذلك عند ما قتل احد الرومان قطة وهجم الشعب فى جمع على بيته ، ولم يكن فى مقدور الموظفين الذين ارسلهم الملك رجاء اخلاء سبيل الرجل ولا الخوف الذى كان يشعر به كل الناس من رومة كافيا لخلاص الرجل من العقاب ، وذلك على الرغم من ان عمله كان بطريق الصدفة . ونحن نقص هذا الحادث لا على انه مجرد شائعة ولكنا رايناه راى العين عند زيارتنا لمصر . (٨٤) ولكن اذا كان ما قيل يظهر الكثير غير مصدق وانه يشبه حكاية خيالية فان ما ياتى هنا سيظهر أكثر غرابة . فقد قالوا انه ذات مرة عند ما كانت مصر تئن تحت عبء القحط ، قبض الكثيرون ايديهم فى وقت الضيق على زملائهم ، ومع ذلك فانه لم يتهم واحد بانه اشترك فى القبض على الحيوانات المقدسة (لاكلها) وفضلا عن ذلك فانه عند ما يوجد كلب ميت فى اى بيت فان كل رفيق فيه يحلق كل جسمه وياخذ فى الحزن . واغرب من كل هذا انه اذا حدث ان اى نبيذ او حب او اى شىء آخر قد خزن فى المبنى الذى مات فيه أحد هذه الحيوانات فانه لا يخطر على بال القوم قط ان يستعملوه بعد ذلك لأى غرض ، واذا اتفق أن القوم يقومون بحملة حربية فى مملكة اخرى فانهم كانوا يدفعون دية القطط والصقور المأسورة ويحملونها ثانية الى مصر ويفعلون مثل هذا احيانا عندما تكون مئونتهم من المال لأجل الرحلة قد اخذت فى النقصان . أما عن الاحفال الخاصة بعجل ابيس المنفى وعجل منفيس الهليوبوليتى وتيس منديس وكذلك تمساح بحيرة موريس والسبع الذى حفظ فى مدينة السباع (تل المقدام الحالية) كما تسمى ، هذا بالاضافة الى احفال اخرى كثيرة مثلها

عظيما عدد فى صلب المتن(١) وهذه هى الأشياء التى كانت ضرورية للتحنيط ، هذا فضلا عما يحتاج اليه من قربان يتطلبها العجل « أبيس » ، وبعد ذلك أمر الملك بدفن العجل المحنط فى «السرابيوم» ، وقد اشترك جلالته شخصيا فى الدفن ، فقد سار فى ركاب الموكب الجنازى حتى ثوى «أبيس» فى مأواه الأبدى (راجع S. 9, 1908 – p.A. 154-7; Spiegelberg in Quibell Saqqara III, 1907-18 – p. 89-9903 and Pl. LII , Comp. p. 10)

= فانه يمكن وصفها بسهولة ، غير ان الكاتب هنا لايمكن ان يصدق بسهولة اى انسان لم يكن قد رآها فعلا . وذلك لان هذه الحيوانات قد حفظت فى حظائر مقدسة ويعنى بها رجال عدة ذوو مكانة يقدمون لها اغلى الطعام ، لانهم يقدمون بنظام لاينقطع أجمل دقيق قمح اوجريش قمح مذاب فى اللبن وكل انواع الحلوى المصنوعة من الشهد ولحم الأوز المسلوق والمشوى فى حين ان الحيوانات التى تعيش على اللحوم كانت تصاد لها الطيور وتلقى أمامها بكثرة . وفى العادة كانت تبذل عناية كبيرة ليقدم لها طعام غال ، وكانوا يحممون باستمرار الحيوانات بالماء الساخن ويدلكونها باحسن العطور ويحرقون امامها كل نوع من البخور العطر ويمدونها باغلى الأغطية وبالمجوهرات الفاخرة ويقومون بعناية عظيمة لأجل ان يتمتعوا بالوظيفة الجنسية على حسب مطالب ، وكانوا يسمونها محاظيه وكانوا ينفقون مع كل حيوان أجمل انثيات من نوعه ، وكانوا يسمونها محاظيه وكانوا ينفقون عليها مصاريف باهظة ويخدمونها بعناية ، وعندما كان يموت اى حيوان فانه كان يحزن عليه حزنا عميقا كما كان يحزن اولئك الذين قد فقدوا طفلا عزيزا ، وكانوا يدفنونه بصورة لا تتفق مع مقدرتهم المادية بل كانوا يتجاوزون ثمن ضياعهم ، فمثلا نجد انه بعد موت الاسكندر وعلى اثر تولى بطليموس بن لاجوس عرش مصر حدث ان عجل ابيس فى منف مات بالشيخوخة ، فصرف الرجل المكلف برعايته على دفنه فضلا عن كل المبلغ العظيم الذى كان مخصصا لرعايته مبلغ خمسين تلنتا من الفضة استلفها من بطليموس ، وحتى فى أيامنا نجد أن بعض حراس هذه الحيوانات قد صرفوا على دفنها ما لايقل عن مائة تلنت » .

ومما سبق يتضح ان ماجاء فى لوحة نقطانب يتفق فى معظمه مع ماجاء فيما أورده «ديودور» هنا ، ولا غرابة فى ذلك فانهما كانا متقاربين فى الزمن .

(١) ومما هو جدير بالذكر هنا ان مثل هذه المبالغ التى خصصت لدفن العجل ابيس نجد انها كانت تصرف مثلها فى العهد البطلمى وما بعده كما ذكر لنا « ديودور » ذلك (راجع Diod. I, 84)

(٢) لوحتان بالديمقوطيقية : محفوظتان فى متحف « اللوفر » مؤرختان بالسنة الثانية من عهد الملك « نقطانب » الثانى وقد عثر عليهما فى سرابيوم « منف » (راجع Mariette No. 3372 et 199) وقد ترجمهما الأثرى « ريفييو » (راجع Notice des paPyrus demotiques p. 478 et 479) وقد أرخ احداهما بالثامن والعشرين من شهر بابه والثانية بشهر « مسرى »

(٣) لوحة العجل بوخيس : المؤرخة بالسنة الثالثة ؟ السادس عشر من شهر « توت » من عهد الملك « نقطانب » الثانى (حوالى٣٥٧ ق.م.) وهوالتاريخ الذى ولد فيه العجل « بوخيس » وقد نصب فى السنة الثالثة فى ١٣ أمشير من نفس السنة ومات فى السنة الرابعة عشرة ٣٠ كيهك عام ٣٤٦ ق.م. وقد عثر على هذه اللوحة فى « أرمنت » راجع Mond, Meyers Bucheum) Vol. II p. 28 Pl. in Vol. III=XXX VII, 1) .

(٤) منشور حظر مؤرخ بالسنة الخامسة الشهر الثانى عشر من عهد الملك « نقطانب » الثانى . وفى عام ١٨٩٤ نقل الأثرى « دارسى » نقشا محفورا على صخرة فى الجبل الواقع جنوبى « العرابة المدفونة » فى مواجهة قـرية « غابات » وهذا النقش كان محفورا على مايظهر فى محجر قديم مكشوف (راجع Rec. Trav. 16, p. 126-127) . غير أن تجار الآثار قطعوا هـذا النقش وباعوه لمتحف « برلين » ولكن مما يؤسف له أنه أصابه أضرار عند القطع وضاع منه جزء .

وقد تنـاول الأثرى « بورخاردت » هذا المنشـور بالبحث (راجع A.Z. , 44 (1907-8) p. 55-58) كما نشر صورة الحجر المنشور بعـد قطعـه من الجبـل .

وصف الحجر : يبلغ ارتفاعه ٧٣ سنتيمترا وعرضه من٤٨ الى٥٠سنتيمترا. وقد ضاع منه بعض أجزائه وكتابة النقش على وجه عام خشنة .

يشاهد فى أعلى اللوحة أمام الآلهة « اوزير » و « حور » و « ازيس » و « نفتيس » الملك « نقطانب » الثانى ومعه النقش التالى :

(١) « رب الأرضين سنزم — اب — رع ستنب — ن — أنحور »

(٢) رب التيجان « نخت حور حبت »

(٣) معطى كل الحياة والثبات والقوة مثل « رع » .

وينحصر نشاط الملك فى كونه فى هذا المنظر يقوم بتقديم البخور والماء البارد لوالده . ويشاهد خلف الملك الصيغة العادية التالية : « كل الحماية والحياة خلفه مثل « رع » . ويقول « أوزير » سيد أهل الغرب والاله العظيم رب « العرابة » للملك : « انى أعطيك كل الحياة والقوة » . ويقول « أوزير » حامىوالده للملك : «انى أعطيك كل القوة» ،وتقف خلف «حور» الالهة « ازيس » العظيمة المقدسة ربة السماء ، ونقش أمام « نفتيس » اسمها « نب حت »،

وفى الجزء الأسفل من اللوحة يأتى متن المنشور الذى يتألف من ثلاثة عشر سطرا . ويلاحظ أن أحد عشر منها سليمة . أما السطران الباقيان فقد ضاعا عند نشر الحجر من مكانه الأصلى ، ولكن حفظا لنا فى المتن الذى نقله « دارسى » عن الأصل قبل ازالته من مكانه . وهاك الترجمة : (١) السنة الخامسة الشهر الرابع من فصل الصيف فى عهد جلالة الملك « حور » (٢) محبوب الأرضين ملك الوجه القبلى ، الوجه البحرى رب الأرضين «سنزم —

اب — رع ستب — ن — أنحور » بن رع رب التيجان « نخت حور حبت » عاش أبديا . (٣) المحبوب من « أوزير » أول أهل الغرب والاله العظيم رب «العرابة» . لقد أتى انسان ليقول لجلالة «حور»الملك ان جبل « العرابة » المقدس الذى يقطع منه الحجر هو الذى يوجد بين الصقرين اللذين يحملان هذا الجبل المقدس ، وذلك لم يحدث قط من قبل . وعلى ذلك أمر جلالة « حور » بأن لايقطع أى حجر من هذا الجبل المقدس الذى بالمكان المسمى « حامى سيده » ، وأن أى انسان سيوجد فيه (أى فى مكان « قطع الأحجار ») يقوم بقطع حجر من هذا الجبل فلابد أن ينفذ فيه العقاب بسبب ذلك وهو بتر عضو منه كما يحدث (مع كل من يرتكب جريمة ضد مكان مقدس (٠٠٠٠) الملك المكافأ بكل (العافية) والصحة ٠٠٠ » .

تعليق : هذا المنشور كما يظهر صدر فى السنة الخامسة والخمسين بعد الثلثماية قبل الميلاد والذى أصدره هو الملك « نقطانب » الثانى ، ويلاحظ هنا أن « بورخاردت » عندما كتب عن هذا المتن كان المؤرخون والأثريون يعدون الملك « نخت حور حبت » « نقطانب » الأول ولكن الكشوف الحديثة أظهرت انه « نقطانب » الثانى ،ومن ثم قلبت الأوضاع والتواريخ فى كل الكتب التى كتبت عن هذين الملكين . ومما هو جدير بالذكر هنا أن الملك « نقطانب » الثانى قد اتخذ لقبه بوصفه « حلو قلب رع » والمختار من الاله « أنحور » . وهذا الاله الأخير كان آله حرب ، وقد اتخذه ملوك الأسرة الخامسة والعشرين اله حرب وتعبدوا اليه كثيرا (راجع مصر القديمة الجزء الحادى عشر ص ٤١٠) ولاغرابة أن يتخذه هنا « نقطانب » الثانى الها له ويضعه فى لقبه ، فقد كان ملكا حربيا قام بحروب طاحنة مع الفرس .

أما موضوع المنشور الذى أصدره « نقطانب » فى هذا المتن فهو عبارة عن ظلامة خاصة بقطع احجار من مكان مقدس فى غرب « العرابة المدفونة ». وهذا المكان يقع بين « الصقرين » ، ولابد أن هذا مكان يقع بجوار المكان الذى وجدت فيه هذه اللوحة أى فى الجبل الواقع جنوبى « العرابةالمدفونة» فى مواجهة قرية « غابات » ولابد أن يتصور الانسان تحت الصقرين خارجتين لجبلين ، ولاشك ان هذه التسمية قديرجع اشتقاقها الى شكل المكان أو أنها ترجع الى خرافة قديمة .

ومما يلفت النظر هنا أنه لم يذكر اسم صاحب الشكوى غير أنه لابد أن نفهم أن الظلامة قد أتت من جانب كهنة « العرابة » الذين يسكنون بجوار هذا المحجر ، وقد كانوا على يقين من اجابة طلبهم لأن « العرابة » كانت الموطن الأول الذى عبد فيه الاله « أنحور » (أنوريس) الذى اختار « نقطانب » ليكون ملكا على البلاد فى تلك الفترة العصيبة من تاريخها .

وأخيرا يلحظ أنه لم يذكر العضو الذى كان لابد أن يبتر كما هى العادة فى المتون الأخرى ، ومن ثم نفهم أن أقل حد للعقاب قد ذكر وأن شدة العقوبة قد تركت لتقدير القاضى الذى كان سيفصل فى أى تعد على هذا المحجر . ومتن اللوحة يدل على مقدار نفوذ الكهنة فى هذا العهد .

(٥) لوحة مكتوبة بالخط الديموطيقى : فى السنة الثامنة الشهر الثامن من حكم الملك « نقطانب » الثانى عثر عليها فى سرابيوم « منف » (راجع Revillout, Notices des Papyrus Demotiques archaiques, p. 479; Rev. Egypt. 6, (1891), p. 139-140).

ويلحظ فى متن هذه اللوحة أن العادة كانت وقتئذ أن يذكر أولئك الذين

خدموا « أوزير ــ أبيس » فى وقت حادث ما خاص بهذا الاله ، والواقع أنه قد جاء ذكر الأعمال التى تمت فى مقصورة « أبيس » كما ذكر كذلك أولئك الذين خدموا « أبيس » وقتئذ .

وقد جاء فيها السنة الثامنة شهر برموده من عهد الملك « نخت حورحبت» وهو الوقت الذى بنيت فيه مقصورة « أبيس » التى قد أقيمت واسم الرجال الذين خدموا أمام « أوزير ــ حابى » : « بى أوزير ــ حابى » ، حا ... ابن « عنخ حابى » ، وأمه هى شماتى ، و « بى (روح) الخاص بأبيس أوزير ... ابن عنخ حابى وأمه هى شماتى ، « بى » الخاص بأبيس أوزير « بتوزور ــ حابى » ابن عنخ حابى وأمه هى شماتى ، بى أبيس أوزير بخنى حابى ابن عنخحابى وأمه هى سيننح (Seanx) . كتبه بى أبيس أوزير ، « بتورسور ــ حابى » بن « عنخ ــ حابى »

(٦) لوحة مؤرخة بالسنة الثالثةعشرة من عهدالملك«نقطانب» الثانى :

وهى محفوظة الآن فى « روما » وقد أشار اليها « شمبليون » فى تاريخ « مصر » القديمة (Egypte Ancienne, p. 385) غير أن الأثرى «كارل كينتز» يشك فى أنها لهذا الملك بل هى للملك « نقطانــب » الأول . (راجـــع Kienitz Ibid. p. 215)

(٧) السنة الخامسة عشرة من عهد الملك « نقطانب »الثانى الشهر الثالث :

يوجد بالمتحف المصرى تابوت لموظف كبير يدعى « ثاى حور بتا » ويرجع تاريخه الى عهد الملك « نقطانب » الثانى(راجع Cairo Museum No. 29306) وقد تناول الكلام عن هذا التابوت ونقوشه عدة علماء راجع (Maspero, Cat. Gen. Sarcophages des Epoches Persane et Ptolemaiques I, p. 218-315 et Pl. XIX-XXI; Quibell Excavations at Saqqara 1912-1914. vol. VI p. 13 & Pl. XXXIV; Spiegelberg A.Z. 64, 1929, p. 76-83). وسنتحدث عن صاحب هذا التابوت فيما يلى :

مقبرة العظيم « ثاى ـ حور ـ بتا » وقزمه

فى عام ١٩١١ عندما كان الأثرى « كويبل » يقوم بأعمال الحفر فى«سقارة» بجوار منطقة هرم « تيتى » صادفه أثناء الحفر مكان مقبرة يرجع عهدها الى الأسرة الثلاثين وجد فيها ما لايقل عن تسعة توابيت من بينهما اثنان من الجرانيت القاتم وهما الآن بالمتحف المصرى .

ويلفت النظر أن التابوتين غير متكافئين من حيث الحجم والمنظر اذ أن واحدا منهما كبير وفخم والثانى صغيرويظهر عليه أنهتابوت طفل ،والواقع ان الفحص دل على أن واحدا منهما كان لموظف عظيم يشغل مكانة عظيمة فى الدولة والآخر كان لرجل قصير القامة جدا وبعبارة أخرى قزم . وسنرى السر فى وجودهما معا من النقوش التى وجدت على تابوت القزم الذى يحمل رقم ٢٩٣٠٧ وهو الذى سنتحدث عنه هنا . والواقع أنه لم ينشر بعد ولم يتعرض له «ماسبرو» فى كتابه عن توابيت العهد الفارسى حتى العصر البطلمى ولكنه نشر نقوش التابوت الكبير رقم ٢٩٣٠٦ راجع (Maspero, Cat. Gen. d'Ant. Eg. d. Musée du Caire No. 29303-29306).

وهذا التابوت الأخير قد عرف منه بعض المتون منذ زمن طويل ومن بين هذه المتون المتن الصعب الذى يشتمل على تاريخ ، غير ان معناه الصحيح لم يعرف بعد وهاك الترجمة الصحيحة بقدر المستطاع :

السنة الخامسة عشرة (حوالى ٣٤٤ ق.م.) الشهر الثالث من فصل الفيضان (هاتور) فى عهد جلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «نخت ـ حور ـ حبت» ابن « رع » محبوب « أنحور » « نقطانب » الثانى العائش أبديا .

لقد أخبر كتابة كاتب بيت الغرب بالقائد فى حامية « سيله » (تل أبو صيفه الحالى) والكاهن « خبر » (؟) لمقاطعة « حور » الغربية والكاهن « ورتخنو » الخاص بمقاطعة « حور » الغربية ، وكاتب كتاب الأله « حور خب » المعظمين ليكلفوا بحفظ جثة « أوزير » — « ثاى حوربتا » وهو الأمير المشرف على الوجه القبلى ومفتش الأراضى ، والمشرف على الحقول المقرب ليجعلوها قدسية فى عالم الآخرة حتى يمكنه أن يتقمص أى شكل يريده فى كل الأبدية .

ومن الألقاب التى يحملها « ثاى — حور — بتا » فى هذا المتن وبخاصة أن المكلف بعمل الرسميات بدفنه كان قائد حامية « سيله » ، نعلم أنه كان يشغل مكانة عظيمة فى مناصب الدولة وهذا بغض النظر عن الألقاب التى كان يحملها فى كتابات تابوته فانها لاتحصى ، وكذلك بغض الطرف عن ألقابه الكهنوتية التى كان يحملها ،فانا نذكر هنا فقط الألقاب الدنيوية التى كان يتمتع بها . والواقع أن أهم لقب كان يحمله هو المشرف على الحقول وهى وظيفة يحتمل أنها تقابل وظيفة وزير الزراعة فى أيامنا هذه .

هذا ولدينا متن على تابوته يدل دلالة واضحة على أنه كان مقربا من الفرعون « نقطانب » الثانى (راجع Maspero Ibid. p. 223)وهاك النص :

« الأمير الوراثى والحاكم والسمير الوحيد المحبوب والذى جعله ملك الوجه القبلى والوجه البحرى عظيما بمعرفته ،والذى رقاه ملك الوجه البحرى لفطنته والذى جعله سيد الأرضين (واسع النعمة) بما خرج من فمه والذى ميزه الملك « نقطانب » بجعله أميرا ومشرفا على « جبعت » (مدينة فى الدلتا ، .... والذى رفعه ملك الوجه القبلى والوجه البحرى » نخت حور « محبوب » « حور » و « آمون » الى وظيفة الكاتب الأعلى والذى يحسب كل شىء فى الديوان فى حين أنه كان يملأ أذنى « حور » (أى الملك) بالعدل

ومن ميزاته أمام الآله الكامل قد أعلنت بوصفه مفتش الأراضى والمشرف على الحقول وذلك لنصائحه الممتازة . »

هذا ونقرأ فى فقرة أخرى (راجع Maspero. Ibid. p. 240) « الأمير الوراثى والحاكم والسمير الوحيد المحبوب والذى رفعه رب الأرضين بسبب علمه والذى ميزه « حور رع » حامى المدينة محبوب الأرضين بوصفه أميرا وراثيا وحاكما مشرفا على الوجه البحرى لأنه يملأ قلبه بسبب فطنته والذى رفعه الملك «نقطانب» الثانى الى وظيفة كاتب الديوان بسبب فوقان اداراته». واذا كانت هذه الوظائف فى نظر البعض ليست الا عبارات محفوظة ثابتة تكرر فاننا من جهة أخرى نرى انها فى هذه الحالة ليست بالجمل العادية وذلك لأن هذا الرجل لم يرثها عن أب أو أم ولكن ورثها بما أوتيه من ذكاء وفطنة ؛ فقد كان والده يدعى « عنخ حابى » وأمه تدعى « تفنت » وقد ذكر كلا منهما بدون ان يصحبه لقب ، ومن ثم نعلم انه لم يكن من علية القوم أى لم يكن من الطبقة الأرستقراطية ، ومن أجل ذلك قد نال هذه المكانة وهذه الألقاب بما أوتيه من علم وفطنة .

ومما سبق نعلم أن هذا الرجل قد نشأ من وسط متواضع ثم نال مكانته العظيمة فى عهد « نقطانب » الذى لمح فيه الذكاء والفطنة فقربه اليه وأعلى شأنه .

غير أنه مع أصله المتواضع أخذ يتمثل بعد وصوله بعظماء القوم بسرعة ، وقد اتخذ لنفسه هواية اقتناء قزم للتسلية ؛ والواقع أنه قد وجد تابوت قزم فى قبر « ثاى — حوربتا» (راجع Cairo 2930) ومن نقوش هذا التابوت نفهم أنه لم يوجد فى قبر « ثاى — حور — بتا » بطريق الصدفة ولا أدل على ذلك من النقش الذى جاء على تابوت هذا القزم حيث يقول :

« بيان : « اوزير » القزم «زحر» (تيوس ؟) سيد الاحترام ابن المرحوم « بدى خنسو » (بتيخونسيس) الذى وضعته « تارنش » والتى تنادى باسم «تاحابى» المرحومة ، ياسيد الأسياد يا « أبيس — أوزير » أول الغربيين ورب الأبدية وملك الآلهة . انى قزم قد رقصت فى قم (السرابيوم) حيث كان يدفن العجل « أبيس » وفى « ش — كبحو » (فى هليوبوليس حيث كان يدفن العجل « منفيس ») فى يوم عيد الأبدية ، فكل رجاء اليك نفذه لى . ليت روحك تميز الأمير الوراثى والحاكم والمشرف على الوجه القبلى ، العظيم الخلق ، الحسن الطبع الفهيم اللب ، الحلو اللسان ؟ ..... ومن يدخل فى الأعماق وانه ممتاز فى الحب ، منبسط الكف نحو كل انسان ومحبوب من الملك المفضل عند الآله والذى يعمل ما تحبه الناس ومن دفن والده فى قبره (فى جبانته) ومن دفن أمه فى مثواها والمشرف على الحقول (وزير الزراعة) « ثاى — حور — بتا » صاحب الاحترام ابن « عنخ حبو » المرحوم والذى ولدته ربة البيت « تفنوت المرحومة ، ليت جسمى يكون بجواره فى مبنى قبره لأن رهبتك (أى رهبة العجل « أبيس ») عظيمة فى قلبه ، امنحه حياة طويلة وهى ملكك وسنوات مديدة بصحة بجوارك ، وليتك تساعد روحه بين الأرواح العائشة على ان تحترم وأن يصل الى (سن) الاحترام فى سرور عندما يكون ممتازا لدى الملك ، انه يرغب أن يدفن بالقربات الملكية وانه يرغب فى دفنه فى جبانة « منف » قبالة رب الآلهة وليته يدخل ويخرج فى حين يخدم روحه وليته يتسلم قربانا من مائدة القربان يوميا وليت اسمه يذكر فى معبدك أبديا . وليتك تجعلنى أمكث بجواره حينما أكون فى مبنى قبره ، وحينما أخدم روحك يوميا جزاء لما قد فعله لى . »

هذا وقد نقش فوق صورة القزم التى على غطاء تابوته سطران أفقيان جاء

فيهما : « المقرب لدى «أوزير» ، أول أهل الغرب الاله العظيم رب«روستاو» القزم الذى يرقص فى « قم » فى يوم دفن العجل « أبيس — أوزير » الاله العظيم ملك الآلهة الذى يرقص فى « ش—كبح » (جبانةالعجل «منفيس») فى يوم عيد الأبدية «لأوزير منفيس» الالهالعظيم «ب—ون—حتف» واسمه الجميل (أى الاسم الذى ينادى به) وهو « زحر » (« تيوس ») ابن «بدى خنسو » والذى وضعته المرحومة « تا أبيس » .

هذا ويلاحظ وجود صورة قزم على سطح غطاء التابوت الذى عليه هـذا النقش السالف الذكر مصورا بصورة غريبة والواقع أنه يمثل صاحبالتابوت المسمى « ب — ون — حتف » واسمه الذى ينادى به هو «زحر» («تيوس») ابن « بدى خنسو » وأمه تدعى « تاونش » (الذئبة) واسمها الذى تنادى به هو « تاجى » . وعلى الرغم من ان اسمى والديه لم يوجدا كثيرا فى المتون المصرية فانه بكل تأكيد ليس بالقزم الذى يرجع الى سلالة الأقزام فى أواسط افريقيا بل ولد قزما من والدين مصريين ، ومع ذلك فانه قد أسهم فى الدور الذى كان يقوم به الاقزام فى رقص القبور ، وقد رأينا انه قام بأدوار الرقص فى الشعائر الجنازية الخاصة بالعجل « أبيس » فى مدفن السرابيوم فى «منف» كما قام بالرقص الجنازى الخاص بالعجل « منفيس » فى المكان المسمى « ش — كبح » التابع لمدينة هليوبوليس ، وكذلك نعلم بأن هـذا القزم كالكثير من أمثاله كان ملكا لأحد أصحاب البيوتات التى تنتمى الى رجال البلاط وكان هو بمثابة مضحك أو مسل لصاحبه . وقد كان « ثاى — حور — بتا » صاحبه يحتل مكانة عالية فى بلاط الملك «نقطانب» الثانى ، ومن ثم وجدنا هذا القزم مدفونا معه فى قبره ومن النقوش التى وجدت على تابوت القزم نعلم أن أكبر أمنية له كانت أن يدفن بجوار سيده الذى كان يحبه حبا جما

ومن ثم نراه يوجه دعاءه لأوزير أبيس ويرجوه أن يمنح سيده رضاه وعطفه وأن يقدر له عمرا طويلا فى شرف ، وأن يضمن له قبرا جميلا بجوار السرابيوم، وقد أراد هذا القزم أن يدفن هناك بجوار سيده لأجل أن يقوم بخدمته وذلك اظهارا واعترافا بكل الطيبات التى عملها له ونجد انه قد نال بغيته تماما كما جاء على تابوته من نقوش تحدثنا بذلك صراحة .

(٨) قطع بردى بالديموطيقة :

مؤرخة بالسنة السادسة عشرة ، العشرون من الشهر السابع من حكم الملك « نقطانب » الثانى والخامس والعشرون من نفس الشهر (؟) .

عثر فى « منف » (سقارة) على قطع من البردى مكتوبة بالخط الديموطيقى تحتوى على حسابات مؤرخة بالسنة السادسة عشرة وهـــذه القطع محفوظة بالمتحف المصرى (رقم No. 30871-3) (راجع Spiegelberg Cat. Gen., Demot. Pap. p. 191-2 & Pl. LXVI & Pl. LXV.: L.R. 173 No. 4 & A.1).

(٩) نقوش من عهد « بطلميوس » التاسع :

مؤرخة بالسنة الثامنة عشر من عهد الملك « نقطانب » الثانى .

توجد نقوش من عهد الملك بطليموس التاسع على الجهة الخارجية شرقى جدار سور معبد « ادفو » تحدثنا عن هبات مختلفة اهداها ملوك مختلفون قبل عهد هذا الفرعون . وهذه النقوش تتحدث عن زيادة أملاك معبد « ادفو » باهداء أراض وقد ذكر فى هذه النقوش الملوك « نقطانب » الأول والثانى والملك « دارا » الفارسى بأنهم قد أهدوا أراضى لمعبد « حور » فى « ادفو » (راجع L.D. IV, 43 a, b, 44 a ;L.D.T. IV p. 67; Brugsch Thesaurus III p. 538 ff Pl. 1, 3, 18; 11, 7, 8; III 19; IV 18; VIII 19. Comp. Otto, Priester und Tempel, Bd I, p. 263 Anm. 2; De Rochemonteix-Chassiant, Le Temple d'Edfu VII p. 189 ff; X, Pl. CLXXI-CLXXVII, XIV, Pl. DCXLVI-DCLIV; Porter & Moss, VI p. 167) .

(١٠) بتوم (تل المسخوطة) :

وجدت فى الحفائر التى قام بها « كليدا » قطعتان من الحجر الجيرى الأبيض، ونقش على احداهما جزء من طغراء الملك « نقطانب » الثانى وعلى الأخرى نقش أول متن معه لقب هذا الفرعون . راجع (Rec. Trav. 36 p. 111 No. XI, 1,2) .

وهاتان القطعتان محفوظتان بمتحف « الاسماعيلية » الآن (Comp. Ancient Egypt, 1915 p. 28.)

(١١) بتوم :

عثر الأثرى « ناڤيل » على قطعة من عمود مذهبة عليها اسم الملك «نقطانب» الثانى فى بلدة « بتوم » (تل المسخوطة ؟ راجع ; Naville, A.Z. 21. p. 43 Naville Pithom. p. 11) .

(١٢) بتوم :

وكذلك عثر « ناڤيل » على قطع كثيرة من الحجر الجيرى الأبيض يشاهد عليها الملك « نقطانب » الثانى يقدم قربانا للاله « آتوم » ، وهــذه القطع وجدت عند الجدار الشرقى وعند مدخل معبد « آتوم » وهى الآن بمتحف « الاسماعيلية » راجع (Naville, Pithom. p. 12; Petrie, Tanis, I. p. 28 & Pl. XII, 7; Neuffer, Bittel, Schott. Mitt. D. Inst. II (1931). p. 58 & Pl. XI d) .

(١٣) قنتير :

عثر فى « قنتير » على قطع من مناظر عليها اسم الفرعون « نقطانب » الثانى. وهى آية فى جمال الصنع ومحفوظة فى متحف الفن الصغير فى مدينة « ميونيخ » (Spiegelberg A.Z. 65. p. 103-4 & Pl. VI No. a & b) .

(١٤) الطويلة :

وجدت قطعة من الجرانيت الأحمر من عمود عليها اسم الملك « نقطانب » الثانى وقد عثر عليها مبنية فى جدار منزل . ويحتمل أن هذه القطعة أتى بها من الكوم الأحمر الذى يبعد حوالى أربعة أميال غربى « الطويلة » (راجع Naville Goshen p. 4 & Pl. IX h) .

(١٥) صفط الحناء :

وجد فى هذه المدينـــة قطعة من الجرانيت الأحمر منقوشـــة باسم الملك « نقطانب » الثانى وهذه القطعة كانت مستعملة عند العثور عليها بمثـــابة حجر زاوية (راجع Naville Goshen p. 1,5 Pl. VIII C 1,2) .

(١٦) تل بسطة :

تعد القاعة التى بناها « نقطانب » الثانى فى « بوبسطة » من أهم المبانى التى أقامها الفراعنة الأواخر فى « مصر » ، وتدل شواهد الأحوال على أنه قد عنى عناية خاصة بمبانيها فى « تل بسطة » وذلك لأن العمارة التى أقامها فى هذه الجهة تعد من أكبر العمائر التى أقامها ومن أعظم الآثار التى تركها لنا . وخرائب هذا المبنى تمتد نحو ٥٠ مترا من جانب واحد ، والظاهر أن المبنى الأصلى لم يكن اقل من ذلك بكثير ، ولا تزال توجد قطع كثيرة ملقاة على الأرض هناك ولكن لأجل ان نتصور المنظر الأصلى لهذا المبنى لابد لنا أن نفهم أن عشرات القطع الكبيرة من هذا المبنى قد نقلت الى أماكن أخرى والى متاحف عدة . هذا فضلا عن أنه توجد قطع صغيرة حول الخرائب هناك وهى من أنواع عدة من الأحجار المختلفة وبخاصة الحجر الجيرى وحجر الكوارتز ، وهذا يدل على ان المكان قد استعمل يوما ما محجرا بعد أن هجر المعبد .

وقد تكلم « ناڤيل » عن هذا المعبد ثم تناول من بعده الكلام عليه الأثرى « لبيب حبشى » وأضاف بعض الآراء والنقوش التى غابت عن « ناڤيل » كما وصف المبنى وحدده بقدر المستطاع على حسب رأيه .

وهاك وصف هذا المبنى مبتدئا من الجهة الشرقية ، ففى هذه الجهة لا تزال توجد أجزاء من عتبتى بابين وجدهما « ناڤيل » ، ولعتب من هذين العتبين افريز محلى بعلامة «خكر» (=زينة) فوق قرص شمس مجنح له ذراعان ممتدتان الى أسفل ويوجد بين الذارعين نقش يذكر « حور » رب الحماية ، ويشاهد خارج الذراعين صقور بتيجان مختلفة وصلان يسمى الأول «نخبيت حزيت» والثانى يسمى « اچو » صاحبة « دب » وعلى اليسار بقايا نقش مهشم .

وهذه القطعة يظهر أنها تلتئم مع أخرى مثل عليها الملك راكعا امام مائدة قربان وباحدى يديه صولجان وبالأخرى قدح بخور وقد نقش امام الملك وفوقه اسمه ولقبه ، وسطر عمودى جاء فيه : « كلام « حور » رب الحماية » وفى أعلى خط عمودى جاء فيه : « بحدتى الاله العظيم رب السماء صاحب الريش الملون والذى أتى من الأفق » . وهذا المتن الأخير يتلاءم مع المتن الذى مع قرص الشمس المجنح الذى على القطعة السالفة الذكر . وهناك قطعة أخرى قريبة من السابقة عليها رسم مائدة قربان وقطعة من صورة الملك ، وعلى ذلك فان هذه القطع الثلاث تكون وحدة منسجمة مثل عليها الملك مع موائد قربان تواجه صور صقور بينها .

ويوجد عتب آخر لم ينشر بعد عثر عليه فى الجزء الجنوبى الشرقى من خرائب المعبد على مقربة من الأجزاء الأخرى من العتب . ويوجد فى وسطه افريز مؤلف من حلية « خكر » رسم تحته شمس مجنحة بذراعين يقبض كل منهما على ريشة ونقش مع القرص : « بحدتى » الاله العظيم رب السماء .

وأسفل من ذلك نسر يلبس تاج « اتف » ويلحظ أن النسر يقدم رمز السلطة الى صقر يلبس تاجا مزدوجا (الملك) وخلف النسر النقش التالى : «نخبيت» (البيضاء) صاحبة « نخن » ، صاحبة الذراع الطويلة (سيدة قصر الوجه البحرى) » . ويأتى بعد ذلك النقش : بيان « باستت » سيدة « بوبسطة » سيدة « برنسرت » (= بيت النار) .

ويقابل النقش الأخير هذا صورة آله النيل وعلى رأسه حزمة من البردى وبين يديه مائدة قربان عليها فطائر وأزهار . ويشاهد عند قدمى « حعبى » عجل محلى بالزهور وكتب فوق صورة «حعبى» (النيل) كلام «حعبى» ، وأمامه صقر يقف على محراب وبجانبه قرص شمس بجناح واحد وهذا المنظر يكاد يكون أقل من نصفه محفوظا ؛ ومن ثم يمكن أن يكون طوله فى الأصل لا يقل عن ثلاثة أمتار . ويشاهد على وجه قطعة مجاورة جزء من منظر كان يزين سقف المدخل ، ومن هذا الجزء من السقف ومن الأجزاء الأخرى المماثلة على العتبات الأخرى يفهم أن السقف كان على جوانبه عمود من النقوش جاء فى بدايته : الاله الكامل رب الأرضين « سنزم اب — رع ستب ن انحر » (لقب «نقطانب» الثانى) . وقد مثل بين هذين السطرين على التوالى نسر الوجه القبلى وصل الوجه البحرى ، وقد نقش فوق النسر : « نخبيت (البيضاء) صاحبة « نخن » ، صاحبة الذراع الطويلة سيدة قصر الوجه القبلى ، ليتها تعطى الحياة والثبات والسلطان لملك الوجه القبلى والوجه البحرى « سنزم — اب — رع ستب — ن — انحر » بن « رع » نخت حور حبت (« نقطانب » الثانى) بن « باستت » محبوب — « الحر » ، ونقش فوق الصل « اجو » صاحبة « بى — دبت » سيدة « بوتو » وربة «برنسرت» ليتها تعطى الحياة والثبات والسلطان لابن «رع» « نخت — حور — حبت —

ـ سا ـ باستت مرى ـ انحر » ، « نقطانب » الثانى .

والواقع أنه كان يوجد على الأقل مدخلان لهذا المبنى فى الجهة الشرقية يؤديان الى هذه القاعة وكان لكل واحد منهما عتب ، وكان يلاصق هذين العتبين قطعتان من الحجر يجوز انهما كانتا تحليان الواجهة وقد رسم على احداهما صل على سلة فوق حزمة من البردى . ونقش فى الخلف الآلهة «اجو» صاحبة « بى ـ دبت » صاحبة « برنو » القاطنة فى «برنسرت » (= بيت النار) ليتها تعطى الحياة والسلطة مثل « رع » أبديا .

أما القطعة الأخرى فقد رسم عليها الجزء الأعلى من الالهة « باستت » ومعها النقش التالى : انى أعطيك الحياة كلها والثبات والسلطان مثل « رع .» (؟) : بيان « باستت » العظيمة سيدة « بوبسطة » التى تخلق التحول فى حقل الآله ، والواحدة التى على أسرار « آمون » . هذا وتوجد بجوار هذه القطعة قطعة أخرى يحتمل أنها كانت فى أعلى الواجهة .

الجزء الأوسط من الخرائب : اعتقد الأستاذ « نافيل » الذى كشف عن خرائب معبد « تل بسطة » ان القاعة التى أقامها « نقطانب الثانى لم تكن قد تمت بعد عند وفاة « نقطانب » ، ولكن البحث الذى قام به الأثرى « لبيب حبشى » يدل على أن هذه القاعة قد تمت على حسب رأيه ، والواقع أنه قد وجدت أجزاء كثيرة فى الجزء الأوسط من هذه القاعة قد تم نقشها مما يدل على أن القاعة كانت كاملة عند موت «نقطانب» ، وهذا فضلا عن أنه نقل عدد كبير من أجزاء هذه القاعة الى جهات أخرى خارج «تل بسطة» وهذه الأجزاء الباقية يمكن أن تقدم لنا فكرة لا بأس بها عن هذا الجزء من المعبد ، وذلك لأن من الواضح أن هذه الجدران كانت محلاة بصفوف عدة فصل بعضها عن البعض الآخر بعلامات السماء المزينة بالنجوم وكان كل صف يحتوى

على صور للملك يؤدى شعائر أمام آلهة «بوبسطة» الذين كانوا يعدونه بالانعامات مقابل صنع يده لهم . ولم يوجد فى هذا الجزء من المعبد الا أجزاء صغيرة من العمد ، كانت صالحة لعمل الطواحين ، ولذلك فانها كانت تحمل الى جهات نائية لهذا الغرض ، وقد وجدت قطع من هذا النوع على مقربة من المعبد نقش عليها بعض النقوش التى تحتوى على لقب « نقطانب » الثانى . وفى نهاية هذا الجزء من المعبد عثر « ناقيل » على قطعتين كبيرتين مع افريز طويل مزين بعلامات « خكر » (زينة) وفى أسفلها جزء من سطرين أفقيين بحروف كبيرة اولهما يتحدث عن اهداء المعبد للالهة « باستت » والثانى عليه نقش جاء فيه : أن « باستت » قد طهرت « رع » فى الأزل وانها ترضع « ازيس » فى « تترت » ...... المحارب » . وقد عثر الأثرى « لبيب حبشى » على قطعة ثالثة عليها نقش يتحدث كذلك عن اهداء المعبد مثل القطعة الأولى : « .... محبوب « باستت » سيدة « بوبسطة » الواحدة التى على أسرار « آتوم » وانه (أى الملك) قد عمله بمثابة أثره (٢) ..... سأعمل للمعبد « باستت » كما عمل ...... » .

الجزء الغربى من الخرائب : كشف « ناقيل » فى خرائب المعبد ناووسين من الجرانيت الأحمر أرسل أحدهما الى متحف « القاهرة » والثانى الى المتحف البريطانى ، فالناووس الأول يحتوى على الجزء الأسفل وقد ظهر على جدرانه صورة الملك مرتين راكعا وهو يقدم رمز العدالة . وقد نعت على أحد جوانبه بأنه محبوب « اجو » سيدة « نبت » القاطنة فى « بوبسطة » وأنها تعطى كل الحياة . اما جزء الناووس الذى فى المتحف البريطانى فقد مثل عليه الملك مرتين أمام الالهة « باستت » التى تسمى « باستت سيدة

الناووس » وعين « حور » البارزة فى حقل الآلهة ، ربة السماء ، وسيدة كل الآلهة ، وفوق ذلك بعض صقور ناشرة أجنحتها حامية طغراء الملك . وفى أسفل ثلاث صور للملك وهو يرفع السماء المحلاة بالنجوم .

وهناك ناووس آخر وجد فى « القاهرة » مستعمل فى بناء حديث ، وعلى حسب نقوشه لابد أن يكون قد أقيم فى معبد « تل بسطة » وقد نعت — على جانبه الأيسر — الملك بأنه محبوب « باستت » العظيمة سيدة « تل بسطة » و « عين رع » سيدة السماء وربة كل الآلهة ، ونعت على الجانب الأيمن بأنه محبوب « حرسفيس » ملك الأرضين الذى يسكن فى « بوبسطة » (راجع Roeder, Cat. Gen. p. 44-5) .

ولابد أن نضيف الى هذه النواويس الثلاثة أربعة أخرى وجدت أجزاؤها فى مكان آخر ، وعلى ذلك كانت توجد على أقل تقدير سبعة نواويس فى البناء الذى أقامه « نقطانب » الثانى فى « تل بسطة » . ومما لا شك فيه أن ملوك الأسرة الثلاثين كانوا مغرمين باقامة النواويس ونحن نعلم ان من بين النواويس التى فى المتحف المصرى احد عشر من أعمال ملوك هذه الأسرة . وقد تحدث « ناقيل » عن البناء الذى اقامه « نقطانب » الثانى فى « تل بسطة » على أنه قاعة ، وقد عارضه الأثرى « لبيب حبشى » الذى فحص المعبد من جديد وأورد حججا على انه معبد قائم بذاته (راجع A. S., Cahier No. 22, p. 85 etc.) .

ومما هو جدير بالذكر هنا ان الملك « نقطانب » الثانى قد وجه عناية خاصة لعبادة الآلهة « باستت » ولا أدل على ذلك من أنه اتخذ نعت « ابن باستت » بدلا من « ابن ازيس » فى طغرائه .

هذا فضلا عن أنه قد أراد على ما يظن أن يقوى مكانته فى الجزء الغربى من الدلتا حيث كان يوجدبعض الخطر من غزو جديد للبلاد ومع ذلك فان هذا مجرد زعم قد يصيب أو يخطىء .

تل بسطة :

(١٧) وفى نهاية القاعة وجد ناووس من الجرانيت الأحمر أقامه « نقطانب » الثانى للالهـة «باستت» وكان ارتفاعـه فى الأصل ١٫٥٣ مترا (راجع Roeder, Cat. Gen. Näos p. 49.) ولم يبق منه الا الجزء الأمامى من القاعدة وكذلك بقى جزء من الزاوية الأمامية . وقد مثل على هذا الجزء الأمامى من الجهةالشمالية الملك يقدم العدالة لآلهة لم تمثل وقد ركع على طوار. ويرفع الملك فى يده اليسرى الهة العدالة ويده اليمنى الى الأمام ، وقد نقش معه المتن التالى : « ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « سنزم اب — رع ستب — ن — انحور » (٢) ابن رع من جسده على عرشه رب التيجان « نخت حور حبت » ابن « باستت » محبوب « انحور » ؟. محبوب « وازيت » ربة القوة نزيلة « باست » ، ليتها تعطى كل الحياة » .

ونقش أمام الملك : « يعطى العدالة أمه وتعطيه الحياة » .

ونقش على الجزء الأيمن متن مهشم بعض الشىء ويحتوى على علامات غامضة (راجع Ausf. Verz. p. 246.)

(١٨) ويوجد فى المتحف البريطانى قطعة من ناووس نقش عليها « حور » الذهبى وطغراءاه تشملان لقب الفرعون « نقطانب » الثانى واسمه . ويشاهد صورة الملك يتعبد للالهة « باستت » واسمه وألقابه ، كما تشاهدصورةالملك

يؤدى حفلا دينيا . وهذا الأثر عثر عليه فى «تل بسطة» ويبلغ ارتفاعه خمسة أقدام وست بوصات (راجع Egyptian Galleries Sculprure p. 248)

ويقال ان هذا الجزء من الناووس والجزء السابق له من ناووس واحد وقيل من ناووسين (راجع L.R., IV p. 176; Kienitz Ibid. p. 217)

(١٩) بوبسطة :

جزء من تمثال للملك « نقطانب » الثانى ومن المحتمل ان هذا التمثال كان يمثل الفرعون جالسا ، وبالقرب منه شخص آخر صغير الحجم ، وقد نقش على جانبى التمثال وعلى ظهر العرش موكب من الصور ونقش يشير الى أعياد ، وتواريخها . (راجع Naville, Bubastis, p. 58 & Pl. XLIII. F. F, F** (١ر٣ تجاه تماثيل معبد أمه « وسرت » (القوية) « باستت » .

(****) ١ر٤ رب التيجان فى عيد أول يوم فى الشهر وفى عيد نصف الشهر .

(****) ١ر٥ فى الخامس من شهر طوبة وهو اليوم الذى نحت فيه التمثال .

(٢٠) تل بسطة :

وجد فى « تل بسطة » قطعة من تمثال مصنوع من الجرانيت القاتم محفوظة الان بالمتحف المصري ، وهذه القطعة هى عبارة عن القدم اليمنى للملك « نقطانب » الثانى وقد نقش عليها جزء من اسمه . (راجع Kienitz, Ibid. p. 217) .

(٢١) بوبسطة :

وجد فى « بوبسطة » ناووس من الجرانيت القاتم المبرقش ويبلغ ارتفاعه ١٫٩٥ مترا وجد فى « القاهرة » ولكنه على حسب نقوشه لابد كان قد أتى به

من « بوبسطة » وقد نقش على عضادتى بابه المتن التالى :

على المصراع الأيمن : حور « محبوب » الأرضين ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « سنزم اب ــ رع ستب ــ ن ــ أنحور » ابن رع رب التيجان « نخت حور حبت » ابن « باستت « محبوب » انحور » ومحبوب «حرشف» ملك الأرضين القاطن « باست » ، ليته يعطى الحياة مثل « رع » أبديا .

ونقش على المصراع الأيسر : « حور » محبوب الأرضين ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ، رب الأرضين « سنزم اب ــ رع ستب ــ ن ــ انحور » ابن « رع » رب التيجان « نخت ــ حور ــ حبت » ابن « باستت » محبوب « انحور » محبوب « باستت » العظيمة زبة « بوبسطة » وعين « رع » رب السماء وسيدة الآلهة « ليته يعطى كل الحياة مثل « رع » أبديا . (راجع
Roeder, Cat. Gen. p. 44-45; Maspero Guide (1914) p. 194, No. 820
Daressy, Rec. Trav. 14 (1893) p. 29 No. XLIII) .

(٢٢) تل بسطة :

يوجد بالمتحف المصرى منظر نحت فى الجرانيت الأحمر مستخرج من « تل بسطه » ويرجع الى عهد الملك « نقطانب » الثانى (راجع —Maspero
Quibell, Guide p. 169-170. No. 646; G. L. R. IV, p.176 No. 3)

(٢٣) تل بسطة :

وعثر فى « تل بسطة » على الجزء الأسفل من مسلة من الجرانيت محفوظة بالمتحف المصرى (f 17031)(راجع; Kuentz, Cat. Gen. Obelisques, p. 62-63
Maspero — Quibell, Guide, p. 197 No. 751)
وقد نقش عليها اسم الملك «نقطانب» ويحتمل أنها من « هربيط » (؟)

(٢٤) تل بسطة :

عثر فى « تل بسطة » على جذع تمثال صغير لحامل خاتم الوجه البحرى المسمى « عنخ حاب » وهو مصنوع من الشست الأسود (راجع J. D. E. 41677) وقد عاش هذا العظيم فى عهد الملك « نقطانب » الثانى ، والمتن الذى على هذا التمثال يشبه المتن الذى على لوحة « مترنيخ » التى سنتكلم عنها باسهاب فيما بعد . والواقع ان الحالة التى وجد عليها هذا التمثال تجعل من الصعب ترتيب متونه وأشكاله ، وقد حاول نقلها الأثرى « دارسى » دون التعرض لحلها (راجع A. S., 11 p. 187-191) .
وعلى أية حال فان المتن كله عبارة عن تعاويذ سحرية تتفق مع ما كان شائعا فى ذلك العصر . ويلاحظ أن صاحب التمثال قد مثل قابضا على ناووس عليه نقوش سحرية .

(٢٥) تل بسطة :

وجد فى بلدة « دنديط » مركز ميت غمر قطعة من حجر الكوارتزيت عليها اسم الفرعون « نقطانب » الثانى ويقال ان هذه القطعة قد جىء بها الى « دنديط » من « تل بسطه » التى لا تبعد كثيرا عنها وهذه القطعة كان قد استعملها أهالى « دنديط » بمثابة حجر طاحون . (راجع A. S. XIII p. 123)

(٢٦) هربيط :

وجد فى معبد « هربيط » قطع كبيرة مبنية فيه عليها اسم الملك « نقطانب » (راجع Naville, Goshen p. 4) .

(٢٧) بلبيس :

عثر كل من الأثريين « ناقيل » (Mound of the Jews p. 22 Pl. 11, a, b, c) « وادجار » على عدة قطع منقوش عليها اسم الملك «نقطانب» الثانى وهى من حجر الجبل الأحمر ويلحظ هنا ان الآلهة «باستت» كانت الالهة الرئيسية التى كان يقدم لها القربان .

هــذا وقد رأى الأثرى « ادجار » فى بيت فى وسط المدينــة قطعتين من الجرانيت الأسود لنفس الملك وهما من ناووس للملك « نقطانب » الثانى . ويلاحظ هنا أن النقوش الهيروغليفية قد نحتت بدقة ولونت باللون الأحمر وجاء عليها :

(١) محبوب الأرضين ممثل السيدتين (المسمى) المفرح قلب الآلهــة ، « حور » الذهبى (المسمى) المثبت .....

(٢) «محبوب» الأرضين ملك الوجه القبلى والوجه البحرى رب الأرضين « سنزم ــ اب ــ رع » الذى اختاره « أنحور » بن « رع » رب التيجان « نخت حور حبت » ابن « باستت » محبوب « أنحور » .

هذا وقد وجدت قطعتان منقوشتان فى منازل الأهالى ، الأولى قطعة من الجرانيت يظهر أنها من ناووس أو باب وهى من الجرانيت الأسود ، وهى بلا نزاع موحدة بالقطعة التى وجدها « ناقيل » فى « تل اليهودية » (راجع Mound of the Jews Pl. 11-a)

والقطعة الثانية من الحجر الأحمر ، وكلاهما قد نقش عموديا ، والاله «منتور»

الذى ذكر هنا معروف من النقوش انه كان يعبد فى « بوبسطة » مع الالهة « باستت » (راجع Naville, Bubastis p. 24 ; A. S. XIII p. 124 No. 1)

والنقش الذى على القطعة الأولى هو : « حور » محبوب الأرضين ممثل السيدتين (المسمى) المفرح قلب الالهة « حور » الذهبى . »

(٢) وجاء على القطعة الأخرى: محبوب «منتو» عظيم القوة القاطن فى «بوبسطة»، ليته يعطى كل الحياة وكل الثبات وكل القوة وكل السلامة مثل « رع » أبديا (راجع Naville, Mound of the Jews p. 22 & Pl. 11-a. b, c ; Edgar, A. S. 13 p. 279-280 ; Junker, Mitt. D. Inst. I, (1930) p. 30-32, p. 3 Abb. 3-a, b, d.)

وقد شرح الأثرى « ينكر » كل الكتابات التى على هذه الأحجار التى وجدت فى « بلبيس » شرحا وافيا ، وتناول الأثرى « لبيب حبشى » كل القطع التى عثر عليها فى « بلبيس » واورد حججا على انها كلها كانت فى الأصل فى «تل بسطة» ثم نقلت الى « بلبيس » لأغراض أخرى (راجع A. S. Cahier 22, p. 123-140)

(٢٨) البقلية

يوجد بالمتحف البريطانى الان مسلتان من البازلت الأسود ضاع الجزء الهرمى منهما وقد اهديا للاله « تحوت » المضاعف العظمة ، وقد أهداهما الملك « نقطانب » الثانى ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « سنزم — اب — رع » المختار من « آمون » بن رع « نخت حور حبت » محبوب « آمون » .

وقد أخذت هاتان المسلتان من بلدة فى الدلتا ويحتمل كثيرا أنها بلدة

« البقلية » الحالية خلال القرن الثامن عشر لتقام أمام أحد جوامع « القاهرة » وقد أخذتا فيما بعد الى المتحف البريطانى عام ١٨٠٢ م .

وتحدثنا النقوش التى عليهما أنهما كانتا قد أقيمتا عند باب محراب حجرة من معبد « تحوت » (راجع Descr. de l'Egypte, V, Pl. 21-22; X. p. 486-7 Guide Brit. Mus. p. 395, fig. 218; Guide Brit. Mus. Sculptures. p. 247 No. 919-20; G. L. R. IV p. 178 No. 30; Porter & Moss. IV 72-3 p. 168.)

(٢٩) سمنود :

معبد « أنوريس — شو » فى « سمنود » جدده « نقطانب » الثانى . احتفظت بلدة « سمنود » باسمها القديم فهو محرف عن المصرية القديمة « ثاب نتر » أى « بلدة العجل المقدس » ومن ثم اشتق الاسم الحالى من «سابنوتى» البابلى والقبطى « تمنوتى » والعربى «سمنود» . و «سمنود» عاصمة المقاطعة الثانية عشرة من مقاطعات الوجه البحرى وكان معبودها هو الاله « أنحور = أنوريس » وكان فى المدينة معبد لعبادة الاله « أنحور » هذا ، وكانت تعبد فيه كذلك الالهة «حنحور» باسم «حوريت» محبوبة «أنحور» ، وكانت أم « أنحور » هى الالهة « تفنت» ، وهو نفسه ابن الاله « شو » . وتدل شواهد الأحوال على أنه فى هذه المدينة قد أقام الملك « نقطانب » الثانى معبدا لهذا الاله ، فقد وجد فيه « ناڤيل » (راجع Naville, Mound of the Jews Pl. VI) قطعا من الجرانيت باسم نقطانب الثانى واحدة منها عليها صورة اله النيل ، ووجدت قطعة باسم هذا الملك وعليها حامل قربان بنيت فى جامع

(راجع Porter & Moss IV. p. 43) . أما الأثرى أحمد كمال فقد عثر على قطعتين من الجرانيت الرمادى عرض الأولى ١ر٢٠ مترا وطولها ٠ر٨٠ مترا وسمكها ٠ر٦٠ مترا ؛ وقد مثل عليها الملك واقفا يقدم قربانا ونقش لقبه «سنزم — اب — رع» المختار من «أنحور» ، ثم مثل الملك ماشيا أمامه الحياة والثبات والعافية ، ثم بقية ثلاثة أسطر جاء فيها : (١) ...... «شو» ابن « رع » رب « سمنود » أنه يحفر لك ....

(٢) ....

(٣) كل .... وكل السلامة وكل فرح القلب مثل « رع » أبديا .

والقطعة الثانية من الجرانيت الرمادى عرضها ١ر٢٥ مترا وطولها ٠ر٨٠ مترا باسم « نقطانب » الثانى ، وقد نقش عليها لقب هذا الفرعون ، ثم قربان يقدمه الملك ، ولدينا بعد ذلك ثلاثة أسطر جاء فيها :

(١) نخت حور حبت « محبوب » «أنحور» . انك تعطيه حماية الأراضى عندما يظهر على عرش « رع » عائشا مثل « رع » أبديا .

(٢) « حور » قوى الوجه والساعدين القاطن فى « نبو » (تل أدفينا) . انه يمنحك كل شىء طيب يخرج من الأرض .

(٣) « سنزم — اب — رع » المختار من « أنحور » لقد أحضر اليك بيت « شو » ابن « رع » رب « سمنود » ....

هذا وقد ذكر « نافيل » (راجع Rec. Trav. X p. 57) أنه من بين قطع هذا المعبد يوجد بقايا قائمة بأسماء المقاطعات من عهد الملك « نقطانب » الثـــانى .

والظاهر من النقوش السالفة الذكر هنا أن المحراب الجديد الذى اقامه هذا الفرعون كان يسمى بيت « شــو » وهو بالاغريقية (Pherso) وفى عهد الملك « نقطانب » الثانى قد عملت اصلاحات فى المعبــد القديم وأضيف اليه جزء جديد . والظاهر أنه كان قد تم الاصلاح والاضــافة فى السنة السادسة عشرة من حكم هذا الفرعون ، ولكن قد بقى نقش الرموز الهيروغليفية الخاصة بالمحراب .

والظاهر على حسب القصة الأغريقية أن الموظف الذى كان مكلفا بهــذه الأعمال قد توانى كثيرا فى انجازها وعلى أثر هذا الاهمــــال ظهر الاله « أنوريس »(Ares)، وهو اله الأغريق ، فى المنــام للفرعــون وخاطب « ازيس » شاكيا « ساموس » (Samous) الذى كان قد وكل اليــه أعمال المعبد ، وقال الاله ان الحاكم قد أهمل معبدى ، وان أعمال المحراب قد بقيت لهذا السبب لم يتم غير نصفها . وعندئذ استيقظ الملك من نومه وأمر بأن يرسل على وجه السرعة الى « سمنود » فى أعماق الاقليم فى طلب الكاهن الأعظم وكاهن «أنوريس» . وعند وصولهما الى القصر سأله الملك ما هى الأعمال الباقية التىلم تتم فى معبد «فرسو» (معبد شو) ؟ فأجابه انكل شىء قد تم الا حفر الهيروغليفى على الجدران المصنوعة من الحجر ، وباذن من الملك كلف مهندس العمارة « بتيزيس » أحد مواطنى بلدة « أفروديت » بانهاء هذه الأعمال فى ماية يوم (راجع Naville, Mound of the Jews p. 25-26, Pl. VI A; Ahmed Kamal A.S. 7 (1906) p. 88-89)

(٣٠) سمنود :

الجزء الأعلى من ناووس من حجر الديوريت الأخضر مثل عليه قربان من

النبيذ للالهة « شو » و « باستت » و « أنوريس » محفوظ بالمتحف المصرى (راجع Cairo Museum No. 70015) ونقش فوق صورة الملك اسمه ولقبه ونصبت أمامه مائدة قربان عليها آنية خمر ..

ونقش أمام الاله «شو» : «بيان : انى أعطيك المملكة العظيمة بقلب فرح».

ونقش أمام الالهة «باستت» : «بيان : لقد منحتك كل القوة وكل النصر ، الالهة « باستت » ربة « بوبسطة » وعين رع ربة السماء » .

ونقش أمام «أنوريس» : «بيان : لقد منحك كل الحياة وكل الثبات وكل القوة وكل السلامة «أنحور» قوى الساعد الاله العظيم ورب السماء» .

راجع Rœder, Cat. Gen. Naos, p. 47-48 & Pl. 63 c, d; Naville, Details Relevés dans les ruines de quelque temples Egyptiens Pl. 17, A 1, 2)

(٣١) سمنود :

ناووس الاله « أنوريس » من الشست الأخضر محفوظ بالمتحف المصرى ولم يتم صنعه (راجع Cairo Museum No. 70012)

وجد فى مستشفى بالقاهرة ويبلغ ارتفاع هذا الناووس ٢٫٠٣ مترا ، ورسم فوق فتحة الباب قرص الشمس المجنح يكنفه صلان . والمتن الذى على مصراع الباب الأيمن هو الذى نقش وهو : « حور » محبوب الأرضين ... ممثل السيدتين « المسمى » مهدىء قلوب الآلهة ، والذى يضرب البلاد الأجنبية . ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (المسمى) «سنزم اب — رع» المختار من « أنحور » ابن رع (المسمى) «نقطانب» محبوب « أنحور »

و « ازيس » معطى الحياة مثل « رع » محبوب « أنحور ـ شو » بن رب « سمنود » و « محيت » بوبسطة . (وجه الهة فى صورة لبؤة) ....
(راجع Rœder Ibid. p. 42-43, 14; Porter aud Moss, II p. 44.)

(٣٢) بهبيت الحجر : معبد الالهة « ازيس » (ازيوم) .

تدل شواهد الأحوال على أنه قد أقيم للالهة « ازيس » معبد يرجع تاريخه للملك « نقطانب » الأول (نخت نبف) وقد يجوز أنه يرجع الى ما قبل ذلك ، غير أننا لم نعثر على ما يثبت ذلك .

ولكن من المؤكد أن الملك « نقطانب » الثانى قد أقام محرابا لهذه الالهة وجاء بعده ملوك البطالمة وزادوا فيه وبخاصة « بطليموس » الثانى والثالث.

وقد أشار الجغرافى الفرنسى « انفيل[1] » منذ زمن بعيد الى معبد « بهبيت الحجر » «بالدلتا ووحده بالمعبد الذى جاء ذكره فى «بلينى» المسمى «Isides Appidum»
(راجع Hist. Natur. ed. Ludov. Janus pp. 5. kap. 11)
كما أشار اليه « ستيفان » البيزنطى باسم « Iseum » هذا وقد أشار اليه الانجليزى Recard Pococke فى كتابه « وصف الشرق » (راجع A Descripition of the East and some other countries (London 1743) Vol. I, 21)
هذا وقد وصف هذا المعبد للمرة الأولى فى كتب الآثار فى مجموعة وصف « مصر » التى يرجع عهدها الى حملة « نابليون » (راجع Description de l'Egypte Tome. 5 (Paris 1826) 160-166 et Tome 15 (Paris 1826) p. p. 202-205.)

---

(١) راجع Memoire sur l'Egypte Ancienne et Moderne, Paris 1766. p. 86

وقد تكلم طويلا « السير جاردنر ولكنسن » عن « بهبيت الحجر » .

(راجع Wilkenson Modern Egypt and Thebes (London 1843) Vol. I, 434-37)

وقد أحضر « لبسيوس » من « بهبيت » رسوما من مناظر ودون بعض الملاحظات (راجع L. D. III 287 b; L. D. T. I p. 5 & 220; L. D. III, 301 No. 83, 84; Piehl, A. Z. 26 (1888) p 109-111)

وقد بقى فى أنقاض المعبد بقايا منظر للملك « نقطانب » الأول وهو يقرب كتانا . هذا بالاضافة الى صورة اله من منظر آخر .

(راجع Naville, Details relevés dans les ruinesde quelques Temples Egyptiens, p. 6 A, 7 A, B. C. ; Comp. Röeder, A. Z, 46. p. 62 ff.)

هذا وقد نقل جزءاً كبيراً من نقوش هذا المعبد الأثرى «رويدر» والأثرى « ادجار » ومعظمها من آثار الملكين « بطليموس » الثانى والثالث . أما عن آثار « نقطانب » الثانى . فقد نقل « رويدر » نقوش حوالى ١٤ قطعة قد ترجم معظمها وكل ما جاء فيها لا يخرج عن كونه صيغا عادية مما ينقش على المعـــابد .

ويعتقد الأثرى « ادجار » أنه من الممكن انقاذ جزء كبير منه ووضـــع الأحجار فى اماكنها الأصلية ، والظاهر على حسب رأيه ان المعبد كان يواجه الغرب . وقد وجدت النقوش القديمة فى النهاية الشرقية، أما النقوش الحديثة أى التى من عهد البطالمة فقد وجدت فى النهاية الغربية من التل. هذا ويكتفى « ادجار » بالقول ان فى الشمال الشرقى توجد عدة قطع مبعثرة يحتوى

الكثير منها على اسم الملك « نقطانب » الثانى . أماعلى الحافة الشرقية من المعبد فنجد صفا من الأحجار عليها طغراءات « بطليموس » الثانى . أما طغراءات « بطليموس » الثالث فتوجد عند النهاية الغربية من الخرائب .

هذا وقد عثر على بعض قطع فى قرية « بانوب » القريبة من « بهبيت » جاء عليها اسم « نقطانب » الثانى .

وقد ذكر على أحجار هذا المعبد آلهة عدة نخص بالذكر منها « ازيس » و « أوزير » و « رع حور آختى » و « آتوم » و « آمون » و « سبك » و « تانن » و « آمست » و « حعبى » و «نفتيس» و « نيت » و «محيت» و « ورت حكاو » و « وازيت » و « نخبيت » وغيرها ، كما هى العادة فى نقوش المعابد اذ يذكر عليها معظم الآلهة المصريين وبخاصة فى العهد المتأخر .
(راجع Rec. Trav., 35 (1913) p 89 ff; A.Z., 46 - p. 62 ff.)

(٣٣) بهبيت الحجر :

يوجد فى « روما » صور أربعة آلهة من عهد الملك « نقطانب » الثانى « يقال أنها من بهبيت غير أن ذلك فيه بعض الشك . (راجع Porter & Moss; IV. p. 40; Sphinx 18, p. 67-9)

(٣٤) بهبيت الحجر :

قطعة نحاس متداخلة (عاشق ومعشوق) عليها طغراء « نقطانب » الثانى اشتريت من « بهبيت الحجر » فى عام ١٨٠٢ م ، وهى موجودة فى ڤالنتيا Valentia (جزيرة صغيرة وقرية فى غرب ارلندا) (راجع Voyages and Travels (1809) II. Pl. 23, 2; III p. 438.)

(٣٥) بهبيت الحجر :

قطعة من تابوت مصنوع من البازلت لصاحبه « حور سا أزيس » وزير الملك «نقطانب» الثانى ، وذكر عليها كذلك اسم «نقطانب» الأول . (راجع Spiegelberg, A. Z. 64 (1929) p. 88 89; P. & M. IV, p. 42.)

ومما هو جدير بالذكر هنا أن الأثرى « آرثرڤيل » فى قائمته عن وزراء العصر المتأخر قد ذكر وزراء كثيرين بهذا الاسم، غير أنه لم يمكن تحديد عهد كل واحد منهم بصفة قاطعة ، ومن أجل ذلك فان وجود النقش الذى نحن بصدده الآن مؤرخا بعهـــد الملك « نقطانب » الثـــانى وباســم وزيره « حورسا أزيس » قد جعل له قيمة عظيمة .

وهذا الأثر الذى عليه هذا النقش يحتمل أنه قطعة من البازلت الأســود مساحتها (٤٥ × ٦٢) سنتيمترا وهى محفوظة الآن فى متحف «القاهرة» .

(٣٦) المحلة الكبرى :

وعثر فى « المحلة الكبرى » على قطعة من تمثال صقر ضخم مصنوع من الجرانيت الأسود نقش عليه اسم الملك « نقطانب » الثانى « نخت حور حبت » (راجع Porter & Moss IV p. 42)

(٣٧) الاسكندرية :

تابوت الفرعون « نقطانب » الثـــانى . عثر على هـــذا التابوت فى « الاسكندرية » وهو محفوظ الآن بالمتحف البريطانى . وهو مصنوع من حجر البرشـــيا ومزين من الداخل بصـــور آلهة الموتى ومعظمهــا الآن

قد محى ، ومن بين هؤلاء الآلهة أولاد « حور » الأربعة وهم « أمستى » و « حابى » و « دواموتف » و « قبح سنوف » ، هذا بالاضافة الى « أنوبيس » اله الموتى والتحنيط . كما يشاهد على التابوت عند رأس المتوفى وقدميه صورتا الالهتين « أزيس » و « نفتيس » ناشرتين أجنحتهما وكل منهما راكعة على رمز الذهب ، ويشاهد حول حافة التابوت من أعلى شريط مؤلف من رموز الثبات والحماية ، وخارج التابوت مغطى بسلسلة متون ورسوممنقوشة من الفصول: الأول والثانى والثالثوالسادس والثامن والتاسع ، من الكتاب الذى يحمل عنوان « ما يوجد فى العالم السفلى » . وهذا الكتاب يفسر لنا سير الشمس ليلا فى أقسام العالم السفلى الاثنى عشر . وقد كان المقصود منها أن تكون بمثابة مرشد فى هذا العالم الآخر وتساعد أرواح الموتى لتمر من هذا العالم الى العالم الآخر .

والقسم الأول قد حفر فى رأس التابوت المستدير وهو يصف عالم الآخرة الذى مر فيه اله الشمس فى أول ساعة من ساعات الليل . وهذا الاقليم يسمى « نت رع » . ويشاهد فى الصفين اللذين فى الوسط سفينة « رع » ومعه أتباعه من الآلهة ، وكذلك سفينة « أوزير » ومعه أتباعه من الالهة ، وفوق هذا المنظر واسفله نشاهد آلهة تغنى أناشيد المديح للاله « رع » وهو فى رحلته السفلية .

القسم الثانى : ويمثل اقليما فى العالى السفلى وهو محفور فى الجانب الأيمن من التابوت ويحتوى على السفن السحرية التى يسبح بها « رع » . وهى تحتوى على القمر ورمز « حتحور » والاله الذى فى صورة « ورل » والهة الحبوب ، وفوق هذا المنظر وأسفله يوجد آلهة مختلفة يشرفون على

فصول السنة والحصاد ... ألخ . وكذلك الذين يقومون بأداء حاجات اله الشمس وينيرون طريقه ويهلكون أعداءه .

والقسم الثالث يمثل اقليما يدعى « نت لب رع خبر أوت » حفر فى الجانب الأيسر للتابوت ويحتوى على ثلاثة سفن يوجد فيها آلهة ساعدوا اله الشمس . وفوق هذه السفن وأسفلها يوجد الآلهة الذين أهلكوا العدو «سبا» وأتباعه وحرقوا بالنار الخارجة من أجسامهم كل أولئك الذين حالوا دون طريق اله الشمس . وهذه الآلهة جعلت النيل يجرى .

القسم السادس : ويمثل الاقليم الذى يسمى «مجت — مو — نبت — دوات» وقد حفر فى الجانب الأيمن للتابوت بالقرب من موضع القدمين ويحتوى على مسكن الملوك وأرواح العظماء وحجرات « رع » . والكائنات التى فى هذا الاقليم قد عادت الى الحياة عندما سمعت كلمات اله الشمس وقامت له بخدمة .

والقسم الثامن : هو الذى يمثل الاقليم « تبات — ترو — س »

حفر على الجانب الأيسر للتابوت بالقرب من القدمين ويحتوى على عدة دوائر أو مساكن للآلهة الذين عادوا الى الحياة عندما ظهر اله الشمس ، وأدوا خدماتهم وناحوا عاليا عندما غادرهم .

القسم التاسع : ويمثل الاقليم الذى يسمى « بست — عارو — عنخت — خبرو » وقد حفر على قدم التابوت ، وفيه سكن الآلهة الذين كانوا يقدمون نورا جديدا ونارا لاله الشمس وجهزوا صورته المادية لولادة جديدة .

والفصول الستة الباقية من كتاب ما يوجد فى عالم الآخرة (« دوات ») يحتمل أنها كانت قد نقشت على غطاء التابوت الذى هشم فى الأزمان القديمة . هذا ويحتوى الجزء الأسفل من كل جانب من جوانب التابوت — وكذلك عند الرأس والقدم — على منتخب من كتاب المدائح الخاص بأشـــكال اله الشمس « رع » الخمسة والســـبعين وبه سبع وثلاثون صورة من هـــذه الأشـــكال .

وهذا التابوت كان قد عثر عليه فى ردهة عمارة بالاسكندرية ، وكان قد أهدى الى « سنت اثناسيوس St. Athanasius » حيث كان يســـتعمل بمثابة حمام منذماية سنة مضت قبـــل نقله الى المتحف البريطانى وقـــد عمل فيه اثنى عشر ثقبا فى جانبيه وطرفيه ليتسرب الطين الذى كان يتخلف من مياه النيل فىقاعه من الداخل . ويزن هذا التابوت الضخم ستة أطنان وحوالى ثلاثة أرباع الطن وطوله ١٠ أقدام وثلاثبوصات ونصف، وعرضه خمس اقدام وثلاث بوصات وثلاثة ارباع البوصة وارتفاعه ثلاث أقـــدام وعشر بوصات وثلاثة أرباع البوصة :

(راجع Description de l'Egypte V. Pl. 40-41, X, p. 525-9; Guide Brit. Mus. p. 396, Fig. 219, p. 87 Fig. 33 p. 215 Fig. 115; Guide Brit. Mus. Sculptures, p. 248-9 No. 923 & Pl. XXXII, XXXII; Budge, Egypt. Sculptures in the Brit. Mus. p. 20-21, Pl. XLIV.)

لوحة « مترنيخ » السحرية

هذه اللوحة التى ترجع نقوشها الى عهد الملك « نقطانب » الثانى ، عثر عليها فى مدينة « الاسكندرية » فى أوائل القرن التاسع عشر وكان قــد أهداها « محمد على » والى « مصر » للأمير « مترنيخ » النمسوى الذى بدوره حافظ عليها فى قصر « كينجز وارت » فى « بوهيميا »ولم ينشر متن هذه اللوحة الا فى عام ١٨٧٧ م . وقد قام بذلك الأثرى العظيم « جولنشيف » (راجــــع Mettiernicshtele in folio Texte et 9 Planches) .

ويبلغ ارتفاع هذه اللوحة ٨٢ سنتيمترا وعرضها ٢٦ سنتيمترا وسمكها ٨ سنتيمترات وهى مصنوعة من حجر الثعبان . وقد حفرت نقوشها حفرا بديعا كما كانت العادة فى هذا العصر الذى أحيى فيه الفن .

موضوع المتن :

دل الفحص اللغوى على أن متن هذه اللوحة هو عبارة عن تعاويذ سحرية كان المصريون يضعونها فى منازلهم أو يحملونها معهم ليــــكونوا فى مأمن من الحيوانات والحشرات الضارة بوجه عام ، وقد أطلقوا على مثل هذه اللوحات اسما أصبح اتباعيا وهو « لوحات حور على التماسيح » . وهذه التسمية تمتاز بأنها مختصرة مفيدة ، غير أنه يجب علينا ان نلحظ ان المتون التى على هذه اللوحات خاصة بالثعابين والعقارب أكثر منها بالتماسيح . وعلى أية حال فان أهمية هذه اللوحات الأسطورية يتخطى كثيرا حدود الحماية السحرية من الحيوانات المؤذية .

وتوجد أمثلة كثيرة من هذه الآثار الصغيرة الحجم ، والواقع أنها كلها تكاد

تكون من العصر المصرى المتأخر الذى يقع بعد الأسرة السادسة والعشرين (٦٦٣ — ٥٢٥ ق.م.) وأقدم مثال لدينا من هذه المتون يرجع الى عهد الأسرة التاسعة عشرة (١٣٢٠ — ١٢٠٠ ق.م.) . وتدل محتويات الأوراق البردية والتماثيل الصغيرة التى تقدم لنا أحيانا نفس المتون التى على هذه اللوحات أنها من عصر بعد العهد الطيبى . هذا ولدينا من جهة أخرى لوحات من هذا النوع تؤرخ بالعهد الرومانى .

(راجع Daressy, Textes et Dessins Magiques Catalogue du Caire No. 9403-9413) .

وعلى الرغم من أن البلاد المصرية كانت مملوءة بأنواع من الحشرات السامة او الخطرة فى بداية تاريخها أكثر منها فى نهايته ، فان هذه المتون انتشرت فى العهد المتأخر . والواقع أن المكان العظيم الذى تأخذه التماسيح والعقارب وبنوع خاص الثعابين فى الأساطير المصرية يشهد بما كانت تحدثه هذه الحشرات من خوف وفزع فى نفوس المصريين الأول . وتدل الوثائق التى فى متناولنا على أن السحرة فى عهد الدولة القديمة كانوا يهتمون اهتماما بالغا بمحاربة هذه الزواحف ، ولا غرابة فى ذلك فان اكثر من ربع «متون الأهرام» وعدد كبير من « متون التوابيت » فى الدولة الوسطى وطائفة عظيمة من فصول « كتاب الموتى » قد خصصت لمحاربة هذه الحشرات الضارة لابعادها عن « أوزير » وعن المتوفين عامة . كل ذلك بتعاويذ سحرية ، ومن ثم نفهم ان ظهور لوحات « حور » على التماسيح » فى العهود المتأخرة لم يكن سببه كثرة الحشرات فى هذا العهد بل كان لأسباب أخرى سنذكرها فيما بعد .

مصادر دراسة اللوحة

ولوحة « مترنيخ » التى نحن بصددها تعد طرازا وافيا للصيغ التى كانت

تتلى لابعاد الحشرات المؤذية ، والواقع أنها تعد مثلا من حجم خارق للمألوف كما أنها تعد أكثرها تطورا من حيث الصور التى رسمت عليها ومن حيث المتن الذى تحتويه . وأخيرا تعتبر أحسن لوحة محفوظة لدينا حفظا تاما وأقلها من حيث الأخطاء التى تعتور مثل هذه المتون المتأخرة .

وقد تناول هذه اللوحة بالبحث أثريون عظماء نذكر منهم :

١ ــ جولنشيف (راجع W. Golenischeff, Die Metternichestele Leipzig 1877,) .

٢ ــ موريه (راجع Moret, Revue de l'Histoire des religions 36) وقد نقل اللوحات التى رسمها « جولنشيف » وهى الخاصة بمتن لوحة « مترنيخ » .

٣ ــ نورا سكوت (راجع Nora E. Scott in the Metropolitan Museum of Art Bulletin, April 1951, p. 201 ff) .

ولم تترجم « سكوت » من هذه اللوحة الا بعض فقرات .

هذا وقد قام الآتى ذكرهم بترجمة نصوص هذه اللوحة :

١ ــ بركش (راجع A. Z. 17 (1969), p. 1 ff.)

٢ ــ ريدر (راجع G. Rœder, Urkunden zur Religion des Alten Agypten Jena 1915 (ubersetzung))

٣ ــ فرنسوا لكسا (راجع François, Lexa, La Magie dans l'Egypte Antique (1925))

٤ ــ كلاسنز (راجع Klasens, A Magical Statue,base Leiden 1952) حيث نجد بعض مقتطفات مترجمة .

٥ ــ ساندر هانسن (راجع Analecta Aegyptiaca, Vol VII, Die Texte Der Metternichstele (Sander-Hansen.)

عصر اللوحة : نقشت هذه اللوحة فى عصر الملك « نقطانب » الثانى وذلك لحساب كاهن يدعى « نستوم » الذى قال انه أخذ صورة منها من نسخة محفوظة فى معبد جبانة ثيران « منفيس » بمدينة « عين شمس » كما جاء فى السطر ٨٧ وما بعده من المتن . ومن ثم نفهم أن هذه الوثيقة خارجة من مدارس لاهوت « عين شمس » ، او على الاقل منسوبة الى الوجه البحرى ، وهذا ما يؤكد الأهمية التى يشير اليها المتن للآلهة الذين من أصل دلتوى مثل « رع » و « أوزير » و « ازيس » و « حور » وغيرهم من الذين جاء ذكرهم فى سياق الكلام .

الفكرة العامة عن المتن : والفكرة العامة عن متن هذه اللوحة هى أن كل رجل قد هاجمته أو لدغته حشرة فانه فى هذه الحالة كان يوحد نفسه باله مثل « رع » أو « أوزير » أو « حور » أو « مين » أو بالهة مثل « ازيس » أو « باستت » او « سلكت » وذلك لأن هذا الاله أو هذه الالهة كان يزعم فى سالف الزمان أنه قد هوجم أو لدغ بنفس الطريقة ، ولكنه كان قد أسعف بسحر « رع » أو أى اله آخر ، وعلى ذلك فان الرجل المصاب الذى تقرأ عليه نفس التعويذة السحرية التى قرئت على الاله كان يشفى فى الحال مثله .

ويلحظ ان المتون وصور الالهة التى مثلت على اللوحة قد وزعت بطريقة منظمة .

وصف اللوحة

الوجه الأمامى (Pl. 1-11)

١ — تعبد للاله « رع » (cf, Pl. 1)

يشاهد فى وسط الجزء الأعلى المقوس من اللوحة قرص الشمس يرتفع فى السماء وقد مثل الانحناء برمز السماء المقوسة ، ويشاهد فى القرص اله عارى الجسد وقاعدا القرفصاء بجسم انسان ويقبض بيده على عصا الحكم والدرة . وقد ثبت فى رقبة هذا الاله اربعة رءوس لكبش ، اثنان يتجهان شمالا واثنان يتجهان يمينا ، أو بعبارة أصح تتجه هذه الرءوس نحو الجهات الأربع الأصلية أو على حسب ما جاء فى الصيغة السحرية نحو أربعة (بيوت العالم) . وهذه الرءوس مغطاة بأصلال وتيجان شمسية . ويوجد قرص الشمس فى اطار كأنه محمول فى الهواء بذراعين ترتكزان على قاعدة مؤلفة من العلامة الدالة على الأرض والعلامة الدالة على الماء ، ويشاهد على يمين هذا القرص وشماله أربعة قردة فى صفين واحد منهما فوق الآخر (ويلحظ أن القردين الأولين لكل منهما عضو تذكير منتشر) واقفة تتعبد للشمس . هذا ويشاهد الملك « نقطانب » على اليسار يقوم بنفس التعبد راكعا للاله « تحوت » الذى يشاهد واقفا فى الجهة اليسرى من اللوحة . ويوجد متن يشرح هذا المنظر فنشاهد فوق قرص الشمس متنا جزء منه فى الجهة اليمنى والاخر فى الجهة اليسرى ويحتوى كل منهما على نفس الألقاب فى كلتا الحالتين وهو :

« التعبد لرع « حرمخيس » الاله العظيم رب السماء « الصقر » ذى الريش المختلف الألوان خارجا من الأفق . »

ونشاهد أمام الاله « تحوت » الذى مثل برأس « أبى منجل » وجسم انسان رمز الاله « نفرتم » وهو زهرة لوتس مفتحة وتخرج منها ريشتان

وكذلك يتدلى منها ثقالتا عقد «منات» [1]وساق اللوتس يرتكز على خاتم ومعه المتن التالى :

« بيان يقوله رب الأرضين « سنزم — اب — رع ستب — ن — آمون » (لقب « نقطانب » الثانى) : يا سيد اللهيب والموقد والنار ! دع لهيبك يذهب حتى حدود العالم ولكن لاتحرقنى ! »

والمنظر غاية فى الوضوح وذلك أن الاله « رع حور أختى » ليس الا اله مركب يجمع فى شخصه قوة الشمس و« حور الكبير » يرتفع فى الأفق ، وهذا الاله يمثل النور والنار وكانت أعداؤه التقليدية عند كل الأقوام هى المردة والحيوانات المؤذية ، غير أنه كان يرسل عليها لهيبا يمثل فى صورة الصل « نسرت » (النار) فيقضى عليها . وسنرى فيما بعد ما هو الدور الذى يلعبه هذا الصل . غير أنه يطلب الى « رع » ألا يرسل هذا الصل دون ترو ، وذلك لأنه من الممكن ان قوة طبيعية أو سحرية قد تكون ضارة للمحسن وللمسىء . وتذكر الصيغة التى جاءت مع « تحوت » الاله « رع » انه من فائدته أن يمد يد المساعدة للملدوغ على الأرض ، وذلك لأن نفس هؤلاء الأعداء يهاجمون سفينة الشمس فى دورتها اليومية وعلى ذلك فانه اذا حارب من أجل البشر فانه يحارب من أجل نفسه .

نعود الآن الى وصف الصورة التى تتوسط اللوحة فنشاهد صورة هذا الاله له اربعة رءوس كباش ، قاعدا فى الشمس ، وهو الذى تمثله الآثار فى صورة « رع » أو « آمون » . ففى ورقة « هاريس » السحرية نقرأ فى الفصل الخاص بمحاربة التمساح : تتلى على صورة لامون له اربعة رءوس

(١) عقد « منات » تلبسه الراقصة فى الاحفال الدينية وبخاصة فى احفال الآلهة « حتحور » وله تاثير سحرى .

كباش ، برقبة واحدة ، ويدوس تحت قدميه تمساحا ، وعلى شماله ويمينه آلهة الأشمونين (وهم القردة الثمانية) تقوم له بالتعبد ! راجع Chabas, Le Papyrus Magiques , Harris p. 90, IV, 6.)

وتوجد آثار كثيرة تؤكد هذا التفسير ولكن تعزو الى اربعة رءوس الكباش اسماء الالهة الخاصة بالعناصر الأربعة وهى النار (= رع) والأرض (= جب) والماء (حعبى = النيل) والهواء (= شو) (راجع عن هذا الموضوع Brugsch, Thesaurus p. 735 ff.)

هذا ويلحظ فى الصورة أن التعبد قد قام به القردة الثمانية وهى أربعة من الذكور وأربع من الأناث وهذه تمثل أربعة الأرواح من الآلهة الأزلية ، وبذلك يكمل معنى اللوحة الدنيوى .

ولكن ما معنى وجودها فى بداية متن سحرى ؟ وتفسير ذلك أن الدنيا جميعها بعناصرها الأربعة لها منفعة فى شجار الساحر مع الحشرات المؤذية . وذلك أن السحر أو الساحر يظن أنه فى مقدوره أن ينجى الانسان بأن يجعل هناك صلة بين بقاء الانسان غير الثابت وحياة العالم الأبدية ، والساحر يربط كل العالم بأعماله (راجع Hubert, p. 1510.) ؛ ولذلك فان حالة أى انسان آذاه حيوان مضر تكبر بصورة غير عادية حتى انها تتطلب محاربة اله النور وخالق العالم للقوى المخربة ومردة الظلم كما سنرى فى سياق المتن . وهذا هو السبب فى أنه منذ البداية نجد أن الساحر المصرى يحث الشمس « رع » التى تعد الاله الأزلى رب العناصر الأربعة أو أجزاء العالم لأجل أن تقتنع بالأهمية البالغة للحالة الراهنة وبالقوة التى لا تقهر للصيغ الشافية . وهذا ما يدل عليه كذلك وجود رمز الأرض ورمز الماء وهما اللذان ترتكز عليهما صورة الكا (القرين) التى تحمل الشمس فى

الفضاء وهى تدل على الحماية . ومن ثم نفهم أن الطبيعة تعبد وتحمى خالقها وتنتظر منه بدورها سلامتها ، وذلك لأن القوة السحرية (حكا) هى مادة روح « رع » .

أما عن الشخصين الآخرين اللذين نجدهما هنا فى هذه الصورة فهما « تحوت » رسول « رع » ورب « السحر » بين الآلهة ، ثم الملك الذى يعد وسيطا بين الناس والآلهة كما يعد ساحرا عظيما على الأرض (راجع (Moret, au Temps des Pharaons. p. 276; et Mysteres Egyptiens p. 217)

واللوحات التى تحت هذا المنظر تمثل صورا الهية مستعملة تعاويذ .

ونشاهد فى وسط هذه اللوحة ما يشبه الناووس مثل اطارد الخارجى ، ويشاهد فيه « حور » عاريا تماما وعلى جبينه الصل وخصلة الشعر المتدلية التى تدل على الطفولة ويدوس بقدميه تمساحين يلتفتان برأسيهما ويقبض بيده اليمنى على ثعبان وعقرب وغزال، وفى يده اليسرى سبع وعقرب وثعبان، وفوقه يشاهد رأس عظيم للاله « بس » مبتسما وقد رسم هذا الرأس بصورة يظهر أنه عبارة عن غطاء وجه قد أعد ليوضع على رأس «حور» . ويلحظ أنه على الوجه الخلفى للوحة نجد صورة الآله « شو » وهو ابن الاله « رع » وغالبا ما يقرن بحور ابن « أوزير » ، ويظهر هناك «شو» برأسه مغطى بغطاء الرأس هذا الذى يمثل « بس » وهو الذى يظهر أن « حور » هنا مستعد" لاستعماله . وليس من من شك فى ان صورة الاله « بس » لابد من وجودها وذلك لأنه تكاد تكون كل اللوحات التى من هذا الطراز التى فيها وجه « حور » الطفل يكون مركبا عليها قناع ممثلا بوجه «بس» . وهاك السبب فى وجود «بس» هنا : ذلك أن حور الممثل هنا قد ولد فى بطاح غاب «بوتو» والاله « بس » كان قريبا منه فى دوره الذى يقوم فيه بوصفه حامى الولادة وهذا

كما يظهر لنا فى معبد الولادة « مميزى » حيث تضع الملكة الفرعون الطفل ، وحيث وضعت « ازيس » «حور» . ونجد أنه فى هذا المكان تصاحب «بس» الآلهة « تواريت » التى فى صورة فرس البحر وتحمى الطفل من شر الشياطين الضارة . والواقع اننا نجد أن « بس » ترافقه فرس البحر اما واقفا واما قاعدا القرفصاء فى هيئته الخاصة على الصفين الأفقيين اللذين يكتنفان اللوحة التى نحن بصددها (راجع Ibid. Pl I Reg. VI, VIII) وعلى ذلك فان لدينا تحت بصرنا اذا ولادة لحور مساوية للتى مثلت فى « مميزى Mamise » (= بيت الولادة) . ووجود الاله « بس » والآلهة « تواريت » يمثل بنفس الطريقة . ومن جهة أخرى يلحظ أن « بس » هو آله اللهيب ، ولذلك نجد فى حجرة الولادة أنه قد وضع حول الطفل آله اللهيب الذى يبعد عنه الاله « ست » والأرواح الشريرة . ولا شك أن لوحتنا توضح أن لهب الشمس يعد من أحسن الأسلحة ضد الشياطين والحشرات المؤذية . وأخيرا نجد ان الاله « شو » فى الصور السحرية يقوم بدور خاص له صبغة تتسم فى الوقت نفسه بالبهجة والتهديد . وبالاختصار نجد أن « بس » هنا هو حامى الطفل « حور » واللهيب الذى يؤكد الحماية والمخلوق المكشر عن انيابه أو المنشرح الذى يبعد عدو الاله والناس .

ويوجد خلف « حور » فى الصورة الاله « رع حر مخيس » فى صورة انسان برأس صقر مزمل بعباءة « أوزير » وعلى رأسه قرص الشمس ويدوس بقدمه ثعبانا مطويا مثل المصارين وهو خلفه « حور » لحمايته . ويوجد رمزان لحور المولود ، فعلى اليسار نشاهد الصقر خارجا من زهرة اللوتس ، وعلى اليمين رمز الاله « نفرتم » . ويلحظ هنا ان ريشتى تاج الشمس خارجتان من

زهرة اللوتس . هذا بالاضافة الى ثقالتى العقد منات اللتان تكنفان الصورة المتوسطة ، ويشاهد خارج الناووس آلهة أخرى تؤكد حماية « حــور » .
فنجد أولا العينين المقدستين مجهزتين بذراعين تتعبدان ثم نشاهد على يمين « حور » « ازيس » تدوس بقدميها ثعبانا مطويا ومطعونا فى رأسه بسكين ويلحظ أن الآلهة التى تلبس على رأسها قرص الشمس بين قرنين تحمى بيديها ناووس « حور » . ويشاهد خلفها ساق زهرة اللوتس مزهرة عليها الهة الجنوب فى صورة رخمة (نخبيت) وقد نقش سطر عمودى خلفها جاء فيه : « بيان لازيس العظيمة أم الاله : لا تخف ! لا تخف ! يابنى « حور » لانى خلفك بحمايتى مخضعة كل البلاد الأجنبية لوجهك ولكل رجل قد جرح بالمثل »
وعلى الجهة اليمنى من اللوحة خارج الاطار نشاهد على يســار « حــور » صورة الاله « تحوت » برأس الطائر « أبو منجل » وجســم انسان وهو يدوس بقدمه ثعبانا فى رأسه سكين وخلفه نشاهد على ســاق من البردى الآلهة صل الشمال أى « وازيت » وقد نقش خلفها «تحوت» . بيان لتحوت رب « الاشمونين » : « لقد اتيت من السماء بأمر من «رع» لأجل أن أقــوم بالحماية بالقرب من سريرك كل يوم ولحماية كل رجل قد جرح بالمثل » .

الوجه الخلفى للوحة :

يوجد فى أعلى اللوحة منظر ومتون تابعة للمنظر الذى يمثل « رع » على الوجه الأمامى للوحة ، ونرى فى هذا الوجه من اللوحة صورا مركبة لها جسم انســان واقفا يرتدى قميصــا قصيرا ويحتــذى نعلين والذراعان تقبضان على صــولجان الملك ورمز الحياة . ويتــدلى من رقبته تعــويذة فى صورة القلب . وقد وضع على وجهه قناع فى صورة الاله « بس » ولباس الرأس معقد جدا وقدمثل فى هيئة ناووس يعلوه قرنا كبش وصورة تمثل اله

ملايين السنين فى وسط مجموعة من المدى ، وتخـرج من الناووس بنصف جسمها بقرة وغزالة تهددها من جهة اليسار سكين الضحية . هذا ويلحظ أنه فى ظهر الاله ريش طائر (= با) وهى أربعة أجنحة منتشرة وذراعـان اضافيتان منبسطتان ايضا ومجموعة فى حزمة واحدة سـيوف « حـور » وسكاكين وعلامات الحياة والثبات والقوة ، وكل يكنفها ثعبانان ، ويلحظ ان هذا الاله يدوس بقدمه نوعا من الوكر مغلقا حبس فيه سـبعة أنواع من الحيوانات الخطرة وهى أسـد وثعبانان وذئب وتمسـاح وعقرب وخنزير وسلحفاة . ويرتفع وينخفض حول الالهة لهيب ، كما نشاهد العينين المقدستين على يمين الالهة وعلى يسارها وكل منهما مجهزة بذراعين تتعبدان . ويوجد متن خلف كل عين .

فعلى اليمين نقرأ : ان العين اليمنى مليئة بذخائرها وبمؤنها وكذلك تمثال الاله قد ثبت باحكام على مقعده ، وصلال التاج تضىء الأفق الغربى للسماء متعبـدة لمن فى السماء وهم الآلهـة الذين رفعوا وجههم بالتـاج الابيض والتاج الأحمر .

يا أيها الروح الحية اذا عاش « رع » فان ملك الوجه القبلى والوجـه البحرى « سنزم ــ اب ــ رع ــ ستب ــ ن ــ آمون » سيحيا ايضـا والعكس بالعكس .

وعلى الجهةاليسرى نقرأ : ان العين اليسرى مجهزةبجمالهاوانهاتولد ثانيـة كل شهر وكل نصف شهر ، وان الذى يضم ذراعه خلف نفسه فان الاله «شو» يحمله فى الهواء على سفينة العين المقدسة ، والالهة فى أسفارهم ، واذا كانت العين سليمة فان ابن « رع » لقطانب الثانى يكون سليما والعكس بالعكس.

ويلحظ هنا أن العين اليمنى هى الشمس والعين اليسرى هى القمر .

وقبل أن نبدأ ترجمة النصوص نجد أنه من الصواب أن نضع ملخصا للمتن بأكمله تسهيلا لفهم الترجمة المفصلة .

يحتوى متن هذه اللوحة على اربع عشرة تعويذة أو تعزيمة أو رقية .

التعويذة الأولى :

لابعاد اله الشر « أبو فيس » .

التعويذة الثانية :

خاصة بالتعزيم على السم بوساطة الاله « حور » .

التعويذة الثالثة :

خاصة بشفاء قطة لدغت ، وفى هذه التعويذة يلحظ ان السم قد سرى تماما فى جسمها فيتدخل الساحر بأن يوحد كل عضو من أعضائها بكل عضو يقابله من أعضاء اله كما يحدث فى متون الحماية المشابهة . وقد حدث له ذلك وشفى ، هذا ويختار فى كل حالة الاله الخاص بها .

التعويذة الرابعة :

هذه التعويذة خاصة بنفس الغرض الذى ذكر فى التعويذة السابقة أى حماية القطة التى وحدت بالالهة « باستت » ونجد انها قد نجت بوساطة الاله « رع » والاله « شو » والالهة « ازيس » .

التعويذة الخامسة :

خاصة بنداء اله الشمس للتعزيم على حيوانات الماء . والأسطورة التى بنيت عليها هذه التعزيمة هى موت أوزير وغرقه فى الماء . وقد نجى من الغرق

بعين « حور » والجعران الذى يمثل الشمس وذلك حينما كان فى طريقه الى « بوصير » . ومن جهة أخرى يلحظ فى هذا الفصل توحيد بعيد المدى فعين « حور » تعتبر بداهة بمثابة العين الوحيدة للشمس التى بكت على أوزير والسمكة «ابدا» ،وهى التى كانت تعتبر مرشدة سفينة الشمس وحاميتها ، قد وحدت احيانا بالشمس،وفى هذا المتن تعنى ولادتها فى شروق الشمس . وقد ربط مصيرها بالاله « أوزير » فى أحوال معقـدة ، وقد ألحق بكل منهما الاله « ست » أضرارا وكان يهددهما دائما فى الماء .

التعويذة السادسة :

خاصة بفرد لدغة عقرب ، والسابقة الأسطورية لذلك مأخوذة عن قصـة « أوزير » ، وكانت « ازيس » قبل أن تهرب من السجن الذى وضعها فيـه « ست » قد وضعت ابنها « حور » وقد ظهر لها الاله «رع»ونصحها بكلمات حكيمة وأشار عليها أن تبحث لنفسها عن مخبأ تأوى اليه الى أن يشتد عضد صغيرها ويصبح قادرا على أن يقبض على زمام الحكم فى البلاد ، وعلى ذلك ولت وجهها شطر « بوتو » يرافقها سبع عقارب لحراستها ، وفى أثناء سيرها على الطريق فرضت سيدة عليها أن تدخلها بيتها ، وقد أهاج ذلك العمـل غضب العقارب التى فى حراستها وانتقمت احداها لها بان لدغت ابن هـذه السيدة . وهذا الحادث قد تبعه ثورة فى الطبيعة ، وخرجت هذه السيدة هائمة على وجهها ، غير أن « ازيس » أو الأم الالهية قد أخذتها الشفقة على الطفل المتألم الملدوغ فرقته بسحرها وأعادته الى الحياة ، ومنذ تلك اللحظة طلبت « ازيس » الى حراسها من العقارب بألا يقوموا بعمل أى سوء خلال هربها . وبعد ذلك ذهب الخطر وذهب غضب الطبيعة وهدأ ، وعادت السيدة الى بيتها وقدمت للآلهة كل ما تملك هدية ، فى حين أن الخادمـة قد كوفئت بسخاء ، ثم يختم المتن بتعليمات طبية . ومن ثم نجد ان العلاج كان يجمع

بين الطب والسحر كما يشاهد ذلك فى معظم الكتب الطبية المصرية القديمة ، ولهذا السبب فانه لا يمكن ان يعتبر هـذا المتن خياليا تمثيليـا كما ادعى « دريتون » فى مقاله عن المسرح المصرى (راجع Drioton, Le Theatre Egyptien, Le Caire (1942) p. 82 ff.)

ومن ثم فان الموضوع فى هذا الفصل لا يدور حول « حور » الطفل ، وان الملاحظات التى نجدها فى الرقى الخاصة بشفاء « حور » ليست سؤالا وجوابا . ومما هو جدير بالملاحظة أنه ليس فى المتن ما يدل على أن «ازيس» هنا هى زوج « أوزير » بل على العكس نجد أنها قد ذكرت بوصفها محبوبة « رع » مما يزيد فى الرأى القائل أنها هنا تمثل « حتحور » بوصفها عين الشمس وتقدم لنا مثلا من أمثلة توحيد الآلهة الواحد بالآخر .

التعويذة السابعة :

هذه التعويذة عبارة عن سحر للحماية من السم ونجد فيه أن « ازيس » يلجأ اليها لشفاء كل من « حور » والمريض وهنا يلحظ التوحيد القوى الذى نجده بين « حور » ابن « ازيس » و « حور » الكبير ابن اله الشمس . هذا فضلا عن أننا نجده قد دعى « حور » ابن الاله « جب » .

التعويذة الثامنة :

وهى عبارة عن تعويذة للحماية من سم الثعبـان والحامى هنا هـو اله الشمس « رع » الذى استغاثت به « ازيس » ، أما المحمى هنا فقد مثـل بحور بن « ازيس » ، وقد ظهر ثانية بوصفه « مين ــ حور » ، وقد قام بدور المنقذ للاتقاء من لدغة الثعبان وسمه الاله « تحوت » .

وفى هذه التعويذة نجد اسم الكاهن الذى نقل هذا الكتاب من جديد بعد ان كان فى بيت العجل « منقيس » فى « عين شمس » .

التعويذة التاسعة :

هذه التعويذة عملت لحماية « حور » والمريض الذى كان يلدغ . والسابقة الأسطورية لذلك هى أن « حور » فى غياب والدته كان قد لدغ وكان قد وقع هذا الحادث بجوار مدينة « عين شمس » وقد أمر اله الشمس الاله «أوزير» رب النوم أن يرسل دواء شافيا للملدوغ .

التعويذة العاشرة :

تحتوى هذه التعويذة على تعبد للاله « حور » لأجل أن يحمى الناس من شر الحيوانات المؤذية برا وبحرا مثل الأسود والثعابين والتماسيح. ويلحظ فى هذا الفصل أن « حور » يظهر هنا من جهة بوصفه ابن « أوزير وازيس » (سطر ١٠٦) ومن جهة أخرى (سطر ١١٠ — ١١١) يظهر بوصفه ابن الاله « نون » والالهة « نوت » وأخو اله بلدة « ليتوبوليس » (= أوسيم الحالية) ومن ثم نفهم أن « حور » ابن « ازيس » و « حور » الأكبر لا فرق بينهما من جديد فى هذا المتن .

التعويذة الحادية عشرة :

١٢٦ — ١٣٧ . هذه التعويذة تشتمل على رقية ضد الثعابين فى أجحارها وعلى الطريق ، ويوحد هنا المحمى بالعجل « ممفيس » والاله « سبا » وبثعبان ذكر لم يعرف من قبل وبالاله « رع » والاله « تحوت » والاله « نفرتم » وأخيرا يوحد بابن « أوزير » .

التعويذة الثانية عشرة :

تحتوى هذه التعويذة على رقية لطرد سم العقرب من جسم « حور » ومن جسم المريض بوساطة الاله « تحوت » الذى نزل من السماء لهذا

الغرض ، وهذه التعويذة تختلف عن السحر الخاص بحماية المريض الذى ورد فى التعويذة الثالثة وهو الذى كان الغرض منه أن يصل بوساطة الموازنة بين كل عضو من أعضاء كل اله بكل عضو من أعضاء المصاب ، الى ان أعضاء « حور » هنا فى هذه التعويذة جميعها ملكه واله مسيطر عليها يستعمل كل واحد منها فيما خصص له . وهنا نلحظ أن صورة « حور » بهذا الوصف ليست متجانسة قط فهو الاله والملك على الوجه القبلى . (سطر ١٤١) بوصفه ابن « جب » أى « حور » الكبير اله الشمس ، ثم نراه بوصفه ابن « أوزير » (أسطر ١٤٤ — ١٤٨) وقد نصبه « بتاح » ، وكذلك نشاهده « حور » الكبير بوصفه ابن الاله « رع » (سطر ١٤٣ — ١٤٤) . وقد وحد كذلك باله الشمس كما سمى بوالد أولاد « حور » . واخيرا نسبت اليه صفات « حور » ابن « ازيس » ، ولكن على غير العادة (أسطر ١٥٨—١٥٩).

التعويذة الثالثة عشرة :

تحتوى على رقية لحماية قطة ملدوغة . وقد وحدت بالالهة « باستت » وهذه الرقية متصلة بالرقية رقم ٤ فى التعويذة الرابعة ويجب أن تقرأ معها .

التعويذة الرابعة عشرة :

(١٦٨ — ٢٥١) . وهى رقية للحماية من لدغة العقرب وترتكز السابقة الأسطورية لهذه الرقية على أسطورة « ازيس » وقصة « حور » .

وذلك أن « ازيس » قد وضعت ابنها « حور » فى خبيئة خوفا من أخيها « ست » ، وقد طافت به فى صورة متسولة طالبة النجدة لها ولابنها فى كل

مكان . وعندما عادت الى بيتها وجدت ابنها مريضا وفاقد النطق ، فكان لا يجيب وليست له شهية للاكل . وقد كان فزع الأم عظيما اذ كان أهلها وزوجها قد ماتوا ، وأخذتها الحيرة فى أن تجد من يساعدها فى موقفها هذا ؛ وقد كان سكان الدلتا الذين أسرعوا لنجدتها لا يعرفون الرقى السحرية،ولكن امرأة ذكية الفؤاد واستها وعرضت عليها أن تفحص طفلها بدقة اذ من الجائز أن ثعبانا قد لدغه ، وقد اتضح لها فعلا حقيقةذلك ، وقد حركت الالهة الطفل وهزته ثم صرخت صرخة مدوية نحو اله الشمس وعلى ذلك حضرت الآلهتان الحارستان «نفتيس» و «سلكت» وقد أخذت الأولى فى النحيب ، أما الأخرى فقد أتت بنصيحة طيبة وهىأن تجبر سفينة الشمسعلى الوقوف، وكذلك تخضع الاله الذى فيها ، وقد وقع ذلك فعلا اذ ان السفينةقدأصبحت غير قادرة على الابحار . وقد وصل الاله « تحوت » ليضع الأمور فى نصابها بما له من قوة جبارة . وبعد تبادل ايضاحات منوعة أصبح بها محميا مثل اله الشمس نفسه .

وحدث أن الطفل انتعش وذهبت حدة السم الذى كان فى جسمه تماما لدرجة أنه أصبح لا ينتظر أى اضطراب فى الطبيعة .

وعلى ذلك اختفى المرض وطلب « تحوت » الى المجتمعين أن ينصرفوا ، غير أن « أزيس » لم تكن بعد سعيدة وطلبت أمانا مستديما لهذا الطفل الى أن يمكنه من اعتلاء عرش الملك ، وقدمنحت كلما أرادت،وبذلكأمكن « تحوت » أن يرجع حاملا لسيده الأخبار السارة ، وعلى ذلك أمكن لسفينة الشمس أن تبحر مرة ثانية .

ويلحظ فى هذا المتن أن « حور » هو «حور بن ازيس» والمنتقم لوالده. وقد جاء ذكره مرة واحدة بوصفه «حور» بن «رع» وأن «ست» أخاه . وهذا خلط لا يتفق مع الحقيقة .

متن لوحة مترنيخ

الفصل الأول

(١) تقهقر يا « أبو فيس » أنت ياعدو «رع»، يالفافة الأمعاء تلك، والذى لا ذراعان له ، ولا رجلان له ، انت ليس لك جسم وجدت فيه ، ومن ذيله طويل فى جحره . أنت أيها العدو هناك اخضع لرع ، ليت رأسك يقطع عندما ينفذ اعدامك . يجب ألا ترفع رأسك ، واذا يكون لهيبه فى روحك ورائحة مكان اعدامه فى جسمك .

ليت صورتك تقطع بسكين الاله العظيم . ليت « سلكت » تسحرك وتحول قوتك . ابق واقفا ! ابق واقفا ! بعد أن سلمت أمام سحرها .

الفصل الثانى ـ ا

تدفق انت ياسم ! تعال اخرج على الأرض ، ليت « حور » يسحرك ، ليته يعاقبك بعد أن يكون قد بصقك . يجب عليك ألا ترفع الى أعلى ، بل يجب أن تسقط الى اسفل ، يجب أن تصير ضعيفا ، ويجب ألا تكون قويا ، يجب ان تصير جبانا ، ويجب ألا تحارب ، يجب أن تصير أعمى، ويجب ألا تبصر ، يجب أن تقف رأسا على عقب ، ويجب ألا ترفع رأسك ، ويجب أن تضل ، ويجب ألا تجد الطريق ، يجب أن تحزن ، ويجب ألا تفرح ، يجب أن تخطئ، ويجب ألا ترشد . وان ما قاله « حور » الفاخر فى السحر عال .

الفصل الثانى ــ ب

ان السم الذى كان فى فرح ، والــذى حزنت به (٦) كثير من القلوب يجب أن يقتله « حور » بقوته وبذلك يصبح الحزن فرحا . قف أنت يا من كنت فى حزن بعد تقلك « حور » الى الحياة (٧) تعال يامن تصير محملا، اخرج من تلقاء نفسك واسقط العدو العاصى (٨) ان جميع من يتهمهم «رع» ليتهم يمدحون ابن « أوزير » . تحول أنت أيها الثعبان واسحب سمك الذى فى أعضاء كل مريض . تأمل أن قوة سحر « حور » منتصرة عليك .

ليتك تسيل الى الخارج أيها العدو .

تحول أنت أيها السم .

الفصل الثالث ــ ا

(٩) فصل فى رقى القطة .

بيان : يا « رع » تعال لابنتك .

بعد ان لدغها عقرب على طريق منفردة . ليت صراخها يصل الى السماء ، وعلى ذلك تسمع على طريقك وعندما يسرى السم فى أعضائها ويتغلغل فى لحمها وتفغرفاها عليه (لتخرجه) . (١٢) تأمل ان السم كان فى جســمها . تعال . اذا بقوتك وبغضبك وفى حمرتك . (١٣) تأمل انه أمامك مختبىء ، ومع ذلك فانه قد سرى فى كل أعضاء هذه القطة تحت أصابعى (١٤) لاتخافى . لا تخافى يابنتى الفاخرة . تأملى انى خلفك (لحمايتك) . لقد هزمت الســم (١٥) الذى كان فى كل عضو لهذه القطة . انت أيتها القطة ان رأسك رأس « رع » سيد الأرضين الذى يضرب كل الناس الثائرين .

ولذلك فان خوفه فى كل البلاد وفى كل الأحياء أبديا .

أنت أيتها القطة ان عينيك عين رب العين الفاخرة .

الذى يضىء الأرضين بعينه . والذى يضىء الوجه على الطريق المظلمة .
(١٨) أنت يا هذه القطة ، ان أنفك هو أنف « تحوت » .

صاحب العظمة المزدوجة ورب الأشمونين والرئيس الأعلى لأرض «رع»
والذى يمنح النفس لأنف كل رجل .

(١٩) أنت يا هذه القطة ان أذنيك أذنا رب الكل .

ويسمع بهما صوت كل انسان عندما يناديه ، ويفصل فى الأرض قاطبة .

أنت يا هذه القطة : ان فمك فم « آتوم » رب الحياة الذى يوحد الأشياء
(٢١) وهو الذى جعل توحيد الأشياء ، والذى خلا من كل سم .
أنت يا هذه القطة ان رقبتك هى رقبة الاله « نحبكاو » الذى قرب
فى البيت العظيم .

(٢٢) والذى تحيا الناس بقوة ساعديه .

أنت يا هذه القطة ان قلبك هو قلب تحوت رب العدل .

(٢٣) لقد أعطاك هواء وجعل زورك يتنفس .

ومنح دخله هواء .

انت يا هذه القطة ان قلبك هو قلب « بتاح »

(٢٤) لقد اشفى قلبك من السم الخبيث الذى فى كل عضو من أعضائك .

(٢٥) أنت أيتها القطة هذه ، ان يديك يدا التاسوع الكبير والصغير ، لقد خلصت يدك من سم الثعبان كله .

(٢٦) انت ايتها القطة هنا ، ان بطنك بطن «أوزير» رب«بوصير» ، انه لم يسمح أن يعمل هذا السم كل ما يريد فى بطنك .

(٢٧) أنت أيتها القطة هنا : ان فخذيك فخذا « منتو » (اله الحرب) انه أوقف فخذيك .

(٢٨) وأحضر هذا السم الى الأرض .

أنت أيتها القطة هنا ان ركبتيك ركبتا خنسو (اله القمر) .

(٢٩) الذى يخترق الأرضين ليل نهار .

لقد جعل هذا السم يقفز على الأرض .

(٣٠) أنت أيتها القطة هنا ان قدميك قدما آمون العظيم رب طيبة . واله يثبت قدميك على الأرض .

وجعل هذا السم يسقط .

(٣١) أنت أيتها القطة هنا ان فخذيك فخذا « حور » الذى انتقم لوالده « أوزير » .

وعلى ذلك فان « ست » تنحى عن الشر الذى عمله .

أنت أيتها القطة هنا ان نعليك نعلا « رع » .

انه كنس هذا السم الذى على الأرض .

(٣٢) أنت أيتها القطة ان أمعاءك هى امعاء « محيت ورت » .

ليت هذا السم الذى فى أحشائك يسقط ويمزق اربا اربا من كل أعضائك ومن كل أعضاء الآلهة الذين فى السماء ، ومن كل أعضاء الآلهة الذين على الأرض .

(٣٣) ليته يسقط كل سم فيك .

ليس فيك عضو خال من الاله .

(٣٤) ليتهم يهزمون وليتهم يمزقون سم كل ثعبان ذكرا كان أم أنثى وكل عقرب وكل دودة تكون فى كل عضو لهذه القطة أصابه المرض .

تأمل أن ما نسجت « ازيس » وما غزلت « نفتيس »

ضد السم .

(٣٥) ليت هذا الرباط الفاخر وهذا السحر يطرده بما قاله « رع حور آختى » الاله الرفيع الذى يسيطر على الشاطئين .

أنت أيها السم الخبيث الذى توجد فى كل عضو من أعضاء هذه القطة المريضة ، تعال اخرج على الأرض .

الفصل الرابع

فصل آخر (تعويذة) بيان :

(٣٦) يا « رع » تعال لابنتك .

يا « شو » تعال لزوجتك .

يا « ازيس » تعال لاختك .

نجها من هذا السم الخبيث

الذى فى كل عضو فيها .

(٣٧) أنتم أيها الآلهة تعالوا هنا .

وبذلك تهزمون هذا السم الخبيث

الذى فى كل عضو من أعضاء هذه القطة المريضة .

الفصل الخامس

(٣٨) يأيها الشيخ الذى تصبى فى زمنه ،

والمسن الذى عاد شابا .

ليتك تجعل تحوت يأتى على صوتى .

وبذلك يرتد عنى « نحا ــ حر » .

(٣٩) ان أوزير على الماء فى حين أن عين « حور » معه .

وجعران الشمس الكبير ناشرا جناحيه فوقه (حماية له)

انت يامن قبضته عظيمة .

أنت يامن خلقت الآلهة وأنت صغير .

ليت الذى فى الماء يخرج سالما .

وعندما يقترب (بسوء) ممن هو على الماء

فانه يقترب من عين « حور » الباكية .

(٤٠) ابتعدوا أنتم يامن فى الماء .

أنت أيها العدو هناك «ميت» و «ميتة» ، وخصم وخصمة وهام جرا .

لا ترفعوا وجوهكم يامن فى الماء حتى يمر بكم « اوزير » .

تأملوا انه فى طريقه الى « منديس » .

(٤١) ليت فمكم يصبح مسدودا ، وزوركم يصير مغلقا .

تقهقر أنت أيها العدو .
لا ترفعوا وجهكم على من هم فى الماء .
انهم « اوزير » .
ان « رع » قد نزل فى سفينة ليرى تاسوع «مصر القديمة» (خر عحا).
فى حين أن أر باب العالم السفلى يقفون لمعاقبتك .

(٤٢) واذا أتى «نحاحر» الى « اوزير »

فان عين « حور » تكون عليه لتقلب وجهكم .
حتى تكونوا على ظهوركم .
أنتم يا من فى المـــاء ان فمكم سيسده « رع »
وزوركم سيغلق بالالهة سخمت .

(٤٣) ويقطع لسانكم تحوت

ويعمى أعينكم حكا (اله السحر)
هؤلاء الالهة الأربعة العظام الذين يقومون بحماية أوزير ، عليهم أن يقوموا بحماية جميع الذين فى المـــاء

(٤٤) وكل الحيوان الذى على الماء فى يوم الحماية هذا .

أنتم يامن فى الماء
ان السماء ستصير محمية عندما يكون رع فيها .
ان الاله الرفيع الذى كان فى الماء سيحفظ فى التابوت

ان صوتا صاخبا قويا فى بيت « نيت »

وان صوتا عاليا فى البيت العظيم

وان صوت حزن قوى فى فم القطة

ويقول الآلهة والآلهات

انظر انظر ! الى سمكة « ابد »

عندما ولدت

أقص عنى خطوتك أيها العدو

انى خنوم رب « حر — ور » (الشيخ عباده الحالية)

(٤٦) احذر أن تكرر الشر مرة ثانية بما عمل معك فى حضرة التاسوع العظيم ، يجب أن تسيطر على نفسك وأن تخضع أمامى .

انى اله .

(٤٧) ها . ها . لقد قلت نعم . ألم تسمع صوت العويل العظيم عندما جاء الليل من شاطىء « نديت » (= المكان الذى مات فيه « أوزير » غرقا) . وهو الصوت المدوى العظيم لكل الآلهة وكل الالهات بمثابة حزن على الشر الذى عملته بخبث ايها العدو

(٤٨) تأمل لقد اهتاج « رع » من الغيظ بسبب ذلك

وامر بتنفيذ اعدامك .

ارتد أيها العدو . ها . ها .

الفصل السادس

انى أزيس

(٤٩) عندما خرجت من بيت الغزل الذى وضعنى فيه أخى « ست »

وقد قال لى تحوت الاله الرفيع المشرف على العدالة فى السماء والأرض

تعالى اذا يا ازيس الالهية .

انه لحسن كذلك أن يسمع الانسان ، وان يعيش الفرد .

عندما يرشده آخر .

(٥٠) خبئى نفسك اذا مع الابن الصغير

وبذلك يأتى الينا

عندما تكون أعضاؤه صلبة (منتعشة) .

وعندما تتكون كل قوته .

وتجعليه أنت يجلس على عرشه .

لأنه قد منحت له وظيفة حكم الأرضين .

(٥١) وعندما خرجت فى وقت المساء حدث

انه خرجت سبعة عقارب خلفى

وقامت بخدمة لى

وقف

وفى حين كان « تفن » و « بفن » خلفى

كانت « مستت » و « مستتف » تحت محفتى .

وكانت « بتت » و « تتت » و « ماتت » تمهد الطريق .

(٥٢) وناديت عليها بالحاح جدا .

وقد دخل كلامى فى آذانها :

لا تعرفى الأسود .

ولا تحيى الاحمر (لأنه يشبه الاله « ست »)

لا تعملى اية مفاضلة بين ابن الرجل (أى الغنى) وبين المعتر .

وطأطىء رءوسك على الطريق

واحذرى ان تأتى بمن قد بحث عنى .

(٥٣) الى أن نصل الى بيت التمساح

(اى) مدينة الأختين التى فى بداية الدلتا .

وهى مستنقع « بوتو » .

ولكننى وصلت بعد ذلك الى بيوت السيدات المتزوجات .

فلمحتنى سيدة من بعيد .

(٥٤) واغلقت أبوابها فى وجهى .

لأنها خافت من مرافقاتى (= العقارب) .

وعندئذ تآمرت فيما بينها لهذا السبب .

ووضعت اسمها على شوكة « تفنت » .

وعندما كانت عذراء من الدلتا تفتح بابها لى .

(٥٥) وكانت قد اقتحمت بيتها الحقير

وكانت حينئذ « تفنت » قد دخلت تحت مصراعى بابها .

ولدغت ابن الأميرة .

وعندما اندلعت النار فى بيت الأميرة .

ولم يكن هناك ماء لاطفائها بدأت السماء تمطر فى بيت الأميرة .

وعلى الرغم من أنه لم يكن أوان لذلك (للمطر) .

لأنها لم تفتح لى .

وكان قلبها تعسا .

لأنها لم تعرف اذا كان حيا (أى « حور ») .

فطافت مدينتها معولة .

ولكن لم يأت فرد على صوتها .

ولما تألم قلبى للصغير بسبب ذلك .

(٥٧) أى لأحياء الطفل البرىء

ناديت عليها

تعالى الى ! تعالى الى .

تأملى ان فمى فيه الحياة .

وانى ابنة معروفة فى مدينتها

تخضع الحشرة المؤذية لرقيتها

وهى التى علمنى والدى ان اعرفها (اى الرقية)

(٥٨) وانى ابنته المحبوبة من ظهره

وبعد ذلك وضعت « ازيس » يديها على الطفل لاحياء المخنوق (وقالت)

ياسم « تفنت » تعال

اخرج على الأرض

يجب ألا تسرى

يجب ألا تنفذ

ویاسم « بفنت » تعال

اخرج على الأرض

انى «ازيس» الالهية ربةالسحر ، والتىتزاول السحر ، والممتازة فىالرقى
ومن ثم يصغى الى كل ثعبان لادغ .
فيجب أن تسقط ياسم « مستت »
ويجب ألا تسرع
وياسم « مستتف » يجب ألا ترتفع
وياسم « بتت » و « تتت » يجب ألا تنفذ
(٦٠) وياسم « ماتت » . اسقط أنت يا فم اللادغ
وهكذا تكلمت « ازيس » الالهية عظيمة السحر التى علىرأس الالهة
والتى أعطاها « جب » قوته الروحية لتطرد السم بقوتها
تحول
انصرف
تقهقر
الى الوراء أيها السم
لا تقفز الى أعلى
هكذا قالت محبوبة « رع » وبيضة الأوزة (سمن) التى خرجت من
شجرة الجميز
هكذا كلماتى التى امر بها منذ المساء
وسأقول لكم
عندما أكون منفردة
لا تمح أسماءنا من المقاطعات
لا تنكح السوداء

ولا تحيى الأحمر

لا تنظر الى سيدات فى بيوتهن

وليت وجهك يكون الى أسفل على الطريق (اى غض بصرك)

(٦٥) الى أن نصل الى المختبىء فى « خميس » (كوم الخبيزة الحالية فى شمالى الدلتا)

آه ليت الطفل يعيش

ويموت السم

ليت « رع » يعيش

ويموت السم

(٦٦) واذاً ليت « حور » يشفى لوالدته « ازيس »

وكذلك ليت المريض يشفى بالمثل

(٦٧) وعندما أطفئت النار

وهدأت السماء برقية « ازيس » الالهية

وعادت الأميرة

أحضرت الى رزقها

(٦٨) بعد أن ملأت (أولا) بيت العذراء بالطعام لأجل العذراء التى فتحت لى بابها

فى حين كانت السيدة مريضة وتطوف وحدها فى الليل

بعد أن أغلقت بابها أمامى .

(٦٩) وعلى ذلك لدغ ابنها

وقد أحضرت متاعها

مقابل أنها لم تفتح لى

ليت الطفل يحيا

وليت السم يموت

وبذلك يشفى « حور » لأمه « أزيس »

وبذلك يشفى كل مريض بالمثل .

ان عيش الشعير يطرد السم

وبذلك يرتد

ان حمن وهو أحسن (؟) مافى الثوم يطرد النار من الأعضاء

الفصل السابع ٧١ - ٨٣

(٧١—٧٢) يا «ازيس» يا «ازيس» ! تعالى الى «حورك» (الى ابنك حور)

أنت يامن تعرفين رقيته ، تعالى الى ابنك

هكذا قالت الآلهة الذين بجوارها

(٧٣) لأن عقربا قد لدغه

ومن ثم تخلى العقرب من أجلها

ومن أجلها هرب « انتشت » (اسم حيوان)

(٧٤) ليت « آزيس » تخرج

ولباس « مسدت » على صدرها

وذراعاها منبسطتان

(وتقول) انى هنا يابنى « حور »

لا تبتئس ، لا تبتئس ! يابن قوية الروح

لن يحدث لك أى شىء مؤذ

(٧٦) لأن الماء الذى فيك (أى بذرتك) هو الذى قد صنع ما هو كائن

انك الابن القاطن فى « مسقت » [1] والذى خرج من « نون »

وانك لن تموت بلهيب السم

(٧٧) وانك الطائر « بنو » العظيم الذى ولد على شاطىء البوص فى « البيت العظيم » فى « عين شمس »

(٧٨) انك اخو السمكة « ابدو » التى أعلنت ما هو كائن

(٧٩) لقد ربيت القطة فى بيت « نيت » (الالهة « نيت »)

فى حين أن الخنزيرة [2] و « حيت » (الهة) كانتا تحميان جسمك

(٨٠) يجب ألا يقع رأسك بمثابة عدو لك

ويجب الا يأخذ جسمك نار سمك

ويجب ألا تتقهقر على الأرض

(٨١) ويجب ألا تكون متخاذلا على الماء

ولن يكون ثعبان لادغ له قوة عليك

(٨٢) ولن يصير لأى أسد قوة عليك

لأنك ابن الاله الفاخر الذى خرج من « جب » .

انك « حور »

ولن يسيطر السم على أعضائك

انك الابن الالهى الفاخر الذى خرج من « جب »

---

(١) مكان فى العالم العلوى والعالم السفلى

(٢) الخنزيرة هنا هى « ازيس » فى دور الأم وقد أخذته عن « نوت »

وكذلك المريض بالمثل

وان أربع الآلهات المعظمات حماية جسمك (= «ازيس» و «نفتيس» و « نيت » و « سلكت ») .

الفصل الثامن

انى (أنا) الذى اشراقه فى السماء

وغروبه فى العالم السفلى

وكينونته فى بيت التل الأزلى

وعندما يفتح عينيه يوجد النور

وعندما يغمض عينيه يصير الظلام

(٨٤) وتتلاطم أمواج النيل على حسب أمره

والآلهة لا تعرف اسمه

انى أنا الذى يضىء الأرضين ويمحو الظلام والذى يشرق يوميا

وانى ثور « بخن » (الجبل الشرقى) وأسد «منو» (الجبل الغربى)

الذى يخترق السماء يوميا دون ان يمل

(٥٨) انى آت على صوت ابن « ازيس »

تامل لقد لدغ ثور

يا ثعبان كن أعمى ، ياسم زل من كل عضو فى المريض

تعال على الأرض

(٨٦) انه ليس المريض الذى لدغ

انه « مين » رب « ققط » ابن الخنزيرة البيضاء (أى ازيس) التى فى

« عين شمس » ، الذى لدغ

يا « مين » رب « قفط » اعط المريض نفسا ، وعلى ذلك يجب ان تعطى

نفسا .

(٨٧) ان كاهن « نب ون » (المسمى) « نست آتوم » ابن كاهن « نبون »

وكاتب الفيضان (المسمى) «عنخبسمتيك» الذىوضعته «ربة البيت»

« تنت حتنبوب » ، قد جدد هذا الكتاب .

بعد ان كان قد وجد بعيدا فى بيت العجل « منفيس » .

(٨٨) وبذلك سيبقى اسمه ، وبذلك فانه سيؤجل الموت ، وكلضرريفرضه

الأله ، وسيعطى نفسا كل من يحتاج نفسا .

وعلى ذلك فان اتباع كل الالهة يبقون

وان سيدة « أوزير منفيس » تجعل عمره طويلا فى سرور

ويمنح دفنا جميلا بعد شيخوخة بسبب هذا الذى عمله لبيت « أوزير

منفيس » .

الفصل التاسع

(٨٩ — ٩٠) عندما لدغ « حور » وهو فى حقل « هليو بوليس » شمالى

« حتب » .

(٩١) وكانت والدته « ازيس » فى البيوت العليا تصب قربان المـاء لأخيها

« أوزير » .

(٩٢) وعندما دوى صوت « حور » فى الأفق .

فان « أميو بنو » (= اله الشمس) قد سمع (وقال)

(٩٣) افتحوا ياحراس الأبوابالذين فى شجرة «أشد» منأجل صوت «حور»

(٩٤) صيحوا من أجله حزنا

ومروا السماء ان يشفى « حور » .

(٩٥ وان يحفظه حيا

(٩٦–٩٧) واجعل« اسدن » الهى (= تحوت) الذى فى اقليم « خوس » يقول

هل يجب أن تنام ؟

(٩٨) اذهب الى رب النوم

ويتألم الانسان حقا يا بنى «حور» ، ويتوجع الناس حقا يا بنى «حور»

(٩٩–١٠٠) فاحضر كل شيء لأجل ان تطرد به السم ، الذى فى كل من أعضاء « حور » بن « ازيس » وفى كل عضو من اعضاء المريض بالمثل

الفصل العاشر

(١٠١) صلاة لحور لأجل أن يصير منعما (أى روحانيا)

(١٠٢) تقال على الماء وعلى الأرض

بيان من « تحوت » مخلص هذا الاله

مرحبا بك أيها الاله ابن الاله

(١٠٣) مرحبا بك أيها الوارث ابن الوارث

(١٠٤–١٠٥) مرحبا بك أيها الثور (أى السيد) ابن السيد الذى وضعته البقرة المقدسة

(١٠٦) مرحبا بك يا « حور » الذى أنجبه « أوزير » ووضعته « ازيس » الالهية

(١٠٧) لقد تكلمت بقوتك الروحانية

(١٠٨) وعزمت بكلماتك

(١٠٩) التى خلقت فى صدرك

ان كل سحر يخرج من فيك

(١١٠) فان والدك « جب » قد امر لك به (أى تقله لك)

(١١١) ومنحته اياك والدتك « نوت » .

وقد تعلمه أخوك «خنتى خم» (اله بلدة أوسيم الحالية = حور الكبير)

ليعمل على حمايتك

(١١٢) ويكرر المحافظة عليك

(١١٣ — ١١٤) ويختم على فم كل الثعابين التى فى السماء والتى فى الأرض والتى فى المـاء . لتحفظ الناس أحياء وتسعد الالهة

(١١٥) ولأجل ان ينعم « رع » بمدائحك .

(١١٦) تعال الى مسرعا ! تعال الى مسرعا ! فى هذا اليوم كما فعل لك الذى يجدف فى سفينة الاله

(١١٧—١١٨) ليتك تطرد من أجلى كل أسد فى الصحراء ، وكل تمساح فى النهر ، وكل ثعبان لادغ فى جحره .

(١١٩) ليتك تجعلها لى مثل حجر الصوان الصحراوى ومثل اوانى فخار الشارع

(١٢٠) ليتك تسحر لى السم الذى يقفز والذى فى كل عضو للمريض

(١٢١) احذر ان يهمل كلامك فى هذا الصدد .

تأمل ان اسمك سينادى اليوم

(١٢٢) ليت هيبتك توجد لك عالية بقوتك الروحانية .

(١١٣) ليتك تحيى المختنق .

(١٢٤) ومن ثم يقدم لك الناس المديح

ويجب أن تمدح العدالتان فى صورك

(١٢٥) ويجب أن تنادى كل الالهة مثلك

تأمل ان اسمك سينادى فى هذا اليوم

انى أنا مخلص « حور » (كلام تحوت)

الفصل الحادى عشر

(١٢٦) آه انت يامن تكون فى الجحر . آه انت يا من تكون فى الجحر

(١٢٧) آه انت يا من تكون على مدخل الجحر

آه انت يامن تكون على فم الطريق

(١٢٨) انه العجل « منفيس » (اى عجل عين شمس المقدس)

(١٢٩) الذى سيقترب من كل انسان ومن كل حيوان بالمثل

انه « سبا » (اسم اله)

انه (فى طريقه) الى « عين شمس »

(١٣٠) انه العقرب

الذى فى طريقه الى البيت العظيم

يجب عليك ألا تلدغه

(١٣١) انه « رع » ويجب عليك ألا تلدغه

(١٣٢) انه «تحوت» يجب عليكم ألا تصوبوا السم نحوه

انه « نفرتم » الذى يأكل ثعبانا ذكرا

(١٣٣) ويأكل ثعبانا أنثى ويأكل حيوان « اتتش » (= اسم حيوان)

(١٣٤) التى تعض بفمها وتلدغ بذيلها

(١٣٥) يجب ألا تلدغيه بفمك ويجب ألا تلدغيه بذيلك

(١٣٦) ابتعدى عنه ولا تجعلى لهيبك عليه

(١٣٧) انه ابن «أوزير» ليتك تقذفينه الى الخارج (تكرر الجملة أربع مرات)

الفصل الثانى عشر

(١٣٨) انى « تحوت »

انى آت من السماء لأقوم بحماية « حور »

(١٣٩–١٤٠) ولأجل أن أطرد سم العقرب الذى فى كل عضو من أعضاء « حور »

ان رأسك ملكك يا « حور »

ليته (أى الرأس) يثبت تحت التاج الأبيض

(١٤١) وعينك ملكك يا « حور »

(١٤٢) وانت « حور » ابن « جب » ورب العينين بين التاسوع

(١٤٣) وان انفك ملكك يا « حور »

وانت « حور الكبير » ابن « رع »

(١٤٤) ويجب ألا تستنشق ريحا ملتهبا

وساعدك ملكك يا « حور »

(١٤٥) وليت قوتك تعظم لتذبح اعداء والدك

وذراعاك ملكك (١٤٦) يا « حور »

(١٤٧) ليتك تستولى على وظائف والدك « أوزير »

(١٤٨) لأن « بتاح » يقضى لك فى يوم ولادتك (بأنك ابن اوزير)

ان قلبك ملكك يا « حور »

(١٤٩) و « آتون » ليته يقوم بحمايتك

ان عينك ملكك يا « حور »

(١٥٠) فى حين ان عينك اليمنى هى الاله « شو »

وفى حين أن عينك اليسرى هى الالهة « تفنوت »

(١٥١) طفلا « رع » (اى العين اليمنى والعين اليسرى هما طفلا رع)

ان جوفك ملكك يا « حور »

(١٥٢) الذى فيه أولاد الالهة

فيجب ألا يأخذوا سم العقرب

(١٥٣) ان مؤخرك ملكك يا « حور »

ولن تنشأ قوة « ست » ضدك

(١٥٤) ان ذكرك ملكك يا « حور »

(١٥٥—١٥٦) وانت ثور امك . الذى انتقم لوالده والذى يجبب أولاده يوميا

ان ركبتيك ملكك يا « حور »

(١٥٧) وبقوتك تقتل أعداء والدك

(١٥٨) ان ساقيك ملكك يا « حور » لقد سواهما (خنوم)

(١٥٩) وكسيتا « بازيس »

(١٦٠) ان نعليك ملكك يا « حور »

(١٦١) فى حين ان الأقواس التسعة تكون تحت قدميك بوساطتهما

(١٦٢) ليتك ترى مثل « رع » (تكرر الجملة أربع مرات) والمريض بالمثل

الفصل الثالث عشر

(١٦٧) فصل آخر مماثل للسابق .

لا تخافى لا تخافى يا « باستت » ، يا قوية القلب ، يا من تشرف على

الحقول النضرة

فانت هناك مسيطرة على كل الالهة ،
ويجب ألا يسيطر عليك
(١٦٨) تعال الى الخارج على حسب رقيتى انت أيها السم الناقع الذى فى كل أعضاء القطة المريضة

الفصل الرابع عشر

انى « أزيس »
عندما كانت حاملا فى طفلها
ورزقت « بحور المقدس »
وقد وضعت « حور » بن « أوزير » فى عش فى « خميس »
وقد فرحت بذلك كثيرا جدا وقلت
(١٦٩) لقد رأيت من سيجيب والده
وقد خبأته
واخفيه خوفا من ذلك المتسول للشحاذةومن فاعل السوء ، وبحثت أثناء النهار عما هو مفيد واهتممت بحاجياته
وبعد ذلك عدت لأبحث عن « حور »
(١٧٠) ووجدته « حور » الجميل الذهبى الطفل اليتيم الأب
وكان قد بلل الشواطىء بدموع عينه وبريق شفتيه
وكان جسمه ضعيفا وقلبه متعبا
ولا حركة فى عروق جسمه
فأرسلت صيحة حزن وقلت :
أنا (هنا) أنا (هنا)

وكان الطفل ضعيفا ليجيب

وعلى الرغم من أن ثديبى تفيضان

فان المعدة كانت خالية

والفم متلهف لطعامه

وعلى الرغم من أن البئر كانت فائضة

فان الطفل كان عطشانا

وعندما رغبت فى أن آتى لحمايته

فان المصيبة كانت كبيرة

(١٧٢) فقد رفض الطفل البرىء الزجاجة

لأنه ترك طويلا وحده

(١٧٣) وكم كان خوفى عظيما لأنه لم يكن أحد هنـاك يمكن أن يأتى على صوتى

فقد كان والده فى العالم السفلى

وأمى فى الجبانة

(١٧٤) وأخى الكبير فى التابوت (تقصد أوزير)

فى حين كان الآخر عدوا (تقصد الاله « ست »)

(١٧٥) وكان قلبه غاضبا على طويلا

والاصغر منى فى بيته

(١٧٦) فمن يجب على أن أناديه من بين الناس

وبذلك يلتفتون الى بقلبهم

(١٧٧) سأنادى سكان الدلتا

وسيخدموننى فى الحال

(١٧٨) وعندما أتى الى سكان البطاح من بيوتهم

(١٧٩) قفزوا نحوى على صوتى

وصاحوا سويا قائلين

ما أعظم حزنك .

(١٨٠) ولكن لم يكن واحد منهم ..... فى فيه

وكل واحد منهم توجع كثيرا جدا (وحسب)

(١٨١) ولكن لم يكن واحد من بينهم يعرف الاحياء ثانية (بالسحر)

(١٨٢) وقد أتت الى سيدة معروفة فى بلدتها أميرة فى اقليمها .

وقد أتت الى

(١٨٣) وفاها مملوء بالحياة وكان يوثق بها تماما فى علاجها

لا تخف لا تخف أيها الابن « حور »

(١٨٤) لاتبتئسى لاتبتئسى ياأم الاله

لأن الطفل محمى من شر أخيه .

(١٨٥) وبما ان العشب مخفى فان العدو لا يمكنه أن يقتحمه (١)

(١٨٦) وبعد أن يسحره « آتوم » والد الآلهة الذى فى السماء والذى صنع حياتك

فان « ست » لا يمكنه أن يدخل هذا الاقليم .

(١٨٧) ولا يمكنه أن ينفذ الى « خميس »

وعلى ذلك حمى « حور » من شر أخيه .

(١٨٨) ومن ثم لا يمكن أتباعه الاضرار به

واذا بحث السبب الذى من أجله حدث ذلـك فانه يجب أن يعيش « حور » لأمه .

---

(١) اى المكان المعشب الذى اختفى فيه حور خوفا من « ست » الشرير .

(١٨٩) فمن المحتمل أن عقربا قد لدغه

(١٩٠) أو شيطانا قد جرحه

(١٩١) وعندئذ وضعت « ازيس » أنفها على فيه وعرفت رائحة من فى تابوته.

وقد تحققت من الضرر (الذى لحق) بالوارث الالهى .

(١٩٢) وقد وجدت أنه وقع تحت السم

(١٩٣) فاحتضنته بسرعة وقفزت به هنا وهناك كما تقفز السمكة التى وضعت على موقـد .

(وقالت) لقد لدغ « حور » يا « رع » .

لقد لدغ ابنك

(١٩٤) لقد لدغ « حور » وريثك الذى ضم (وحد) مملكة « شو »

(١٩٥) لقد لدغ « حور » الطفل الخميسى والصغير الذى من بيت الأمير

(١٩٦) لقد لدغ « حور » الطفل الجميل الذهبى والصغير اليتيم الأب

(١٩٧) لقد لدغ « حور » ابن « وننفر » (= أوزير) والذى وضعته النائحة (= ازيس)

(١٩٨) لقد لدغ « حور » الذى لا ذنب له والابن الصغير للآلهة .

(١٩٩) لقد لدغ « حور » الذى أثريت متاعه بالنظر لما أجابه عن والده

(٢٠٠) لقد لدغ « حور » الذى يعنى بالسر وهـو الابن الذى خيف منه وهو فى بطن أمه

(٢٠١) لقد لدغ « حور » الذى احترست من نظرته والذى من اجل قلبه أحببت الحياة .

(٢٠٢) عندما بكى البرىء بسبب المغرق (أوزير) وأصبح حراس الطفل فى نصب

(٢٠٣) وقد أتت اليه « نفتيس » باكية وعويلها طاف مناقع الدلتا ، وعندئذ قالت « سلكت »

(٢٠٤) ماذا ؟ ماذا ؟ ما الذى ضد الابن « حور » ؟ تضرعى يا « ازيس » الى السماء .

(٢٠٥) وبذلك يحدث الركود بين بحارة « رع » فلا تسير سفينة « رع » .

(٢٠٦) عندما يكون « رع » على جانبه (أى ملقى على جانبه مريضا)

(٢٠٧) وعلى ذلك أرسلت « ازيس » صوتها الى السماء وصراخها الى « سفينة ملايين السنين » .

ومن ثم فان « آتون » التفت تجاهها ، ولم يتحرك من مكانه فى حين كان « تحوت » مقبلا

(٢٠٨) ومجهزا بسحره وبمرسومه العظيم فى شرعيته (الصادق القول)

(٢٠٩) (وقال) ماذا ؟ ماذا ؟ يا «ازيس» الالهية المنعمة التى تعرف رقيتهـا لن يكون شر للابن « حور » ، لأنه قد حفظ بسفينة الشمس .

(٢١٠) ولقد أتيت اليوم من السفينة المقدسة .

و « آتون » (الشمس) فى مكانه الذى كان فيه البارحة .

(٢١١) وقد نشأ الظلام وزال النور .

(٢١٢) الى أن يشفى « حور » لأمه « ازيس »

وكذلك كل مريض بالمثل .

وبعد ذلك تكلمت « ازيس » الالهية .

(٢١٣) « قائلة » يا « تحوت » ما اعظم ارادتك (قلبك)

ومع ذلك ما أبطأ مسلكك

هل أنت آت ؟

(٢١٤) وأنت مجهز بسحرك ومعك المرسوم العظيم القانونى الذى فيه الرقية
تلو الرقية التى لا حصر لها ؟

(٢١٥) تأمل ان « حور » فى ضائقة بسبب السم الذى شره مؤذ جدا
(لا مثيل له)

(٢١٦) لدرجة أن ألمه مميت تماما .

آه ليته مع والدته دون أن أرى ذلك وراءه

(٢١٧) واذا يفرح قلبى بذلك قبل أن أقترب فى سرعة للاجابة عنه (أى
للدفاع عنه)

يا« حور » ! يا « حور » ابق على الأرض

(٢١٨) ومنذ اليوم الذى استقبلت فيه « حور » رغبت فى التضرع الى روح
والده

(٢١٩) عندما كان الطفل مريضا بعض الشىء فلا تخافى ، لا تخافى يا «ازيس»
الالهية

ويا « نفتيس » لا تولولى حزنا .

(٢٢٠) لقد أرسلت من السماء بنفس الحياة لأجل الطفل ، ولتفرح أمه .

فيا « حور » ! يا « حور » ان قلبك باق ، دون أن تهدمه النار
(أى السم)

(٢٢١) ان حماية « حور » هى التى فى قرص الشمس وبالمثل حماية المريض

(٢٢٢) ان حماية «حور» هى حماية بكر السماء الذى ينظم ما هو كائن ومالم
يكن بعد ، وحماية المريض بالمثل .

(٢٢٣) ان حماية « حور » هى ذلك القزم العظيم الذى يخترق الأرضين فى
الظلام وحماية المريض بالمثل

(٢٢٤) إن حماية « حور » هى أسد الليل الـذى يخترق جبال « مانو » (الغرب) وحماية المريض بالمثل

(٢٢٥) ان حماية « حور » هى الكبش العظيم الخفى الذى يدور مع عينيه وحماية المريض بالمثل .

(٢٢٦) ان حماية « حور » هى الباشق العظيم الذى يطير فى السماء وعلى الأرض وفى العالم السفلى وحماية المريض بالمثل .

(٢٢٧) ان حماية « حور » هى الجعران الفاخر الذى يحلق فى السماء وحماية المريض بالمثل .

ان حماية « حور » هى الجثة السرية فى احترامها والتى تسيطر فى تابوتها . وحماية المريض بالمثل

(٢٢٨) ان حماية « حور » هى سكان العالم السفلى للأرضين الذين يخترقون النصف الأعلى بأشياء سرية وحماية المريض بالمثل .

(٢٢٩) ان حماية « حور » هى الطائر المقدس « بنو » الذى يطير فى داخل عينيه («بنو» = صورة من صور «رع») ، وحماية المريض بالمثل .

(٢٣٠) ان حماية « حور » هى جسمه (١) الذى سحرته أمه « ازيس » .

(٢٣١) ان حمـايـة « حور » هى أسماء والده التى تقـوده فى المقاطعات ، وحماية المريض بالمثل .

(٢٣٢) إن حماية « حور » هى عويل أمه ونحيب أخواته وحمـاية المريض بالمثـل .

ان حماية « حور » هى « رنف جسف » الذى تخدمه الآلهـة وتقوم

---

(١) « خنف جسف » (= جسمه نفسه) وهو تعبير فى العصور المتأخـرة عن أسم اله الشمس ولكن هنا يعبر عن « أوزير » .

على حمايته ، وحماية المريض بالمثل .

(٢٣٣) استيقظ يا « حور » ان حمايتك ثابتة .

ويجب عليك أن تسر قلب أمك « ازيس »

(٢٣٤) لأن كلمات « حور » ترفع القلب (تنعشه) ، وهو الذى هدأ من كان فى حزن ، فلتكونوا فرحين يا من فى السماء .

(٢٣٥) فان « حور » قد انتقم لوالده

فلتتقهقر اذا أيها السم ويجب أن تسحر بفم « حور »

(٢٣٦) ويجب أن تطرد بلسان الاله العظيم

عندما تكون سفينة الشمس واقفة دون أن تسبح ، ويكون قرص الشمس فى مكانه بالأمس

(٢٣٧) الى أن يشفى « حور » لأمه « ازيس »

والى أن يشفى المريض لأمه بالمثل

(٢٣٨) فلتخرج على الأرض (أى السم) حتى تسافر السفينة ثانية

ويقلع بحارة السماء

(٢٣٩) فليت طعام القربان يمنع ويغلق المعبد الى أن يشفى « حور » لأمه « ازيس » والى أن يشفى المريض لأمه بالمثل .

(٢٤٠) وعندما يصل ذلك الأذى

(٢٤١) ليت الاضطراب (اذا) يعود الى مكانه بالأمس .

(٢٤٢) الى أن يشفى « حور » لأمه « ازيس » ويشفى المريض لأمه بالمثل

(٣٤٣) وليت الشر يدور دون أن يفصل الزمن ، ودون أن يرى ذلك النور أكثر من الظل يوميا الى أن يشفى « حور » لأمه « ازيس » والى أن يشفى المريض بالمثل .

(٢٤٤) وليت منبعى النيل يسدان ، ويجف النبات وتذهب الحياة الأحياء

(٢٤٥) الى أن يشفى « حور » لأمه « ازيس » والى أن يشفى المريض بالمثل .
فلتخرج اذا الى الأرض أيها السم ، وبذلك تفـرح القلوب وينتشر النور .
انى « تحوت » بكر « رع »
وقد أمرت « آتوم » والد الآلهة أن يشفى « حور » لأمه « ازيس » .
ويشفى المريض بالمثل
يا « حور » ! يا « حور » : ان روحك هى حمايتك
فى حين أن صورتك تعمل على حمايتك
فليمت السم وليطرد لهيبه لأنه لدغ ابن القوية (= « ازيس ») .
(٢٤٦) فاذهبوا اذا لبيوتكم فان « حور » يعيش لوالدته والمريض بالمثل .
وبعد ذلك قالت « ازيس » الالهية ليتك اذا تزكيه عند أولئك
(٣٤٧) اللاتى فى « خميس » وهن المرضعـات اللاتى فى « ب » و « دب » ،
ليتك تأمرهن كثيرا جدا ليحفظن الطفل لأمه وليحفظن المريض بالمثل .
ولا تجعلهن يعرفن حضرتى فى « خميس » بوصفى قروية قد هربت من قريتها .
وبعد ذلك تكلم « تحوت » للآلهة
وقال الذين فى « خميس » : أنتن يا أولئك المرضعات اللاتى فى « ب »
واللاتى يضربن بيدهن ويحاربن بسواعدهن من أجل ذلك العظيم الذى خرج من بيتهن .
(٢٤٨) اسهرن على هذا الطفل واحرسن طريقه بين الناس
وحولن طريق الأعداء عنه ، لأجل أن يتسلم عرش الأرضين
و « رع » فى السماء يجيب عنه ووالده يسهر عليه

وسحر أمه فى حمايته ، والحب له ، وليجعل الخوف منه بين الناس

(٢٤٩) لقد انتظر منى أن أبعث سفينة الليل وأن أجعل سفينة النهار ترحل وعلى ذلك يملكها « حور » وبذلك سيمنح الحياة

(٢٥٠) وعندما أنقل الحياة لوالده ويفرح سكان سفينة الليـــل فانه بذلك يسافر البحارة و « حور » هناك يعيش لأمه ، وكذلك يعيش المريض لأمه بالمثل ويصير السم لا قوة له .

(٢٥١) وعندئذ سيمدح المفتن فى زمنه ، لأنه أجاب من أرسله .
ليت قلبك يا « حور أختى » يفرح لأنه بذلك يمنح ابنك « حور » الحيـــاة .

تعليق . لست فى حاجة الى القول أن محتويات متن لوحة مترنيخ هذه تدل دلالة واضحة على أن كل تعاويذها تنطوى على معان انسانية غاية فى الرقى كما أن أساس العلاج بها لا يختلف كثيرا عما نسميه الآن العلاج النفسى بالايحاء والدور الهام فى علاج المريض فى كل حالة كان يرجع فى أصوله الى العـــلاج الذى عولج به الآلهة فى قديم الزمان ، عندما كانوا يحكمون العالم وتصيبهم الأمراض التى أصابت البشر من بعدهم ، ومن ثم اتخذ السحرة أو الأطباء الآلهة نموذجا يسيرون على نهجه فما كان شافيا للاله أصبح يداوى به بنو البشر وبه يتم شفاؤه وتذهب علته . وتدل شواهد الأحوال على أن هذه الطريقة كانت ناجعة الى حد بعيد فى الأزمان الاولى حتى تقدم الفكر الانسانى والبحث العلمى فأخذ القوم فى مصر يستعملون العقـــاقير جنبا لجنب مع التعاويذ السحرية الى آخر عهد الفراعنة ، وقد استمر العلاج بالسحر والرقى بعد ذلك وبقى حتى زمننا هذا فى مصر الحديثة ولم تتمكن المدنية الحديثة من

قلع جذوره بل على العكس نجد أن الطب النفسانى قد أخذ ينتعش من جديد ويأخذ مكانة مرموقة فى نفوس القوم لافى مصر وحسب بل فى كل أمم العالم. وما التنويم المغناطيسى الا صورة من صور السحر عند قدماء المصريين . هذا وقد فصلنا القول بعض الشىء عن السحر فى غير هذا المكان (راجع مصر القديمة الجزء السابع ص ٦٣٠ — ٦٤١) .

(٣٩) تل أتريب (بنهـا)

توجد فى متحف « بروكسل » قطعة من نقش غائر من الحجر الأزرق عليها بقايا طغراء الملك « نقطانب » الثانى « نخت حور حبت » (راجع Speleers, Rec. des Insc. Egypt, p. 88 [336]; Porter & Moss IV. p. 66.) .

(٤٠) هليوبوليس

عثر فى معبد « حتبت » بالقرب من « هليوبوليس » على قاعدة تمثال صقر باسم الملك « نقطانب » الثانى وهى محفـــوظة الآن بمتحف « برلين » (راجع Ausfuhrliches Verzeichniss (1899) p. 248 No. 11577)

(٤١) هليوبوليس

مائدة قربان من الجرانيت أسطوانية الشكل للملك «نقطانب» الثانى ، عثر عليها فى معبد الشمس بمدينة « هليوبوليس » وهى الآن فى متحف « تورين » تحت رقم (No. 1751) وقد مثل على هذه المائدة الأســطوانية الملك « نقطانب » ومعه كاهن يقدم قربانا سائلا . وتدل شواهد الأحوال على أن مؤلف هذه المتون التى على المائدة هو كاهن « هليوبوليس » الأكبـــر المسمى « باكننف » ، وتقش حول الجزء الأسطوانى سبعة وستون الها . والنظام الذى اتبع فى نقش أسماء هذه الآلهة هو نظام الجهات الأربع على

حسب الطريقة المصرية ، وذلك بتقديم الجنوب على الشمال لأن النيل كان قبلة المصريين .

ويلفت النظر فى هذا الأثر أنه كان موضوعا بحيث تكون جوانبه الأربعة مواجهة للجهات الأصلية الأربعة وهذه الجهات قد تدل عليها — فضلا عن ذلك — بدقة وضع اشارات هيروغليفية مواجهة آلهة كل جهة ، فى حين أن النقوش الأخرى وضعت مواجهة جهة أخرى .

والمنظر الذى يسبق كل صف من صفوف آلهة الجهات الأربع واحد ، فيرى أولا كاهن يقدم قربانا سائلا وقد مثل لابسا تاقية وجلد فهد ، والنقوش التى أمامه هى : « تقديم قربان بوســـــاطة الكاهن » . وبعد ذلك يرى الملك «نقطانب» الثانى وبيده مبخرة وقد مثل لابسا «النمس» ! (= لباس رأس) الذى يعلوه الصل الملكى ويرتدى قميصا ، وقد نقش أمامه اسمه ولقبه : «الآله الكامل رب الأرضين — نخت حور حبت أنحور (أنوريس) ». والسطر الذى فوق رأسه جاء فيه : « القيام بالشعائر الالهية فى الجنوب » .

وبعد ذلك تأتى أسماء آلهة الجنوب وهم ثلاثة وعشرون الها .

ثم يكرر نفس المنظر السابق لآلهة الغرب وعددهم اثنا عشر الها .

ثم يكرر نفس المنظر لآلهة الشرق وعددهم عشرة آلهة .

ثم يكرر نفس المنظر لآلهة الشمال وعددهم اثنان وعشرون الها .

ويأتى فى آخر المتن اسم الكاهن « باكننف » وقد لقب الأمير الوراثى والحاكم والرائى العظيم لـ « أون » « ياكننف » .

ويقول الأثرى « بركش » عند التحدث عن محتويات هذه المائدة : « اننى لا

أريد أن أمر فى صمت دون أو أقول ان مؤلف هذا المتن وهو الكاهن الأكبر للشمس فى مدينة « هليوبوليس » وهو « باكننف » قد وضع هذه القائمة بأسماء الآلهة ومكان عبادة كل منهم وفقا للجهات الأربع الأصلية مبتدئا اياها بالجنوب ومنتهيا بالشرق ، وذلك على غرار عدد كبير من المتون الأخرى التى وجدت على الآثار . راجع (Brugsch, Dict. Geogr. p. 1055 ff; Bonomi, T.S.B.A. 3/1874. p. 422-424 with Plates; Farbretti, Rossi, Lanzone, Regio, Museo di Torino I. p. 202; Wiedemann, Aegypt. Gesch-p. 288; Suppl.-707; Petrie Hist. III p. 379; Gauth., L.R. IV. p. 177-8 Nr. 28).

(٤٢) هليوبوليس :

تمثال للملك « نقطانب » الثانى مثل بين مخلبى صقر وهو محفوظ الآن بمتحف « مترو بوليتان » بمدينة « نيويورك ». راجع (Bosse. Menschliche Figur. p. 70 No. 187 & Pl. VIII c; Winlock, Bull. Metrop. Museum, 1934 No. 11, p. 186-7 with fig., p. 187, fig. 2; Portrait 178 Breasted-Ranke, Geschichte Agyptens).

(٤٣) هليوبوليس :

الجزء الأسفل من تمثال للملك « نخت حور حبت » مصنوع من حجر السربنتين الأخضر وهو محفوظ الآن بمتحف « جلاسجو » راجع (Petrie & Mackay, Heliopolis, p. 7 & Pl. VIII No. 12; Porter & Moss, IV. p. 61).

(٤٤) محاجر « طرة » و « المعصرة » :

عثر فى محاجر « طرة » على لوحة للملك « نقطانب » الثانى وتمثله وهو يقدم رمز الحقل للاله «تحوت» والآلهة «نحمتعاوى» والاله «نفرحور» . كما وجدت كذلك لوحة مشوهة لنفس الملك (؟) يقدم فيها رمز الحقل كذلك

لاله . يضاف الى ذلك أن اسم هذا الفرعون قد نقش على صـخور محاجر « طرة » بالديموطيقية . (راجع Porter & Moss. IV, p. 75; Gauth. L.R. IV. p. 175 A. 3.; A. S., 6, p. 222 No. 2.).

(٤٥) « منف » (السرابيوم) :

أقام الفرعون « نقطانب » الثانى معبدا صغيرا بالقرب من السرابيوم له مدخل وبوابة (راجع Mariette, Serapeum I, p. 18 ; Mariette Serapeum Ed. Maspero 15, 36, 76 ; Wilcken Urkunden der Ptol. Zeit I, p 10 ; Wiedemann Die Agypt. Gesch. p. 705-6, & Suppl. 76 zu p. 706., A. 1 ; Porter & Moss III. p. 205 & Plan. p. 204 ; Gauthier. L.R. IV p. 175. A. 3).

وهذا المعبد أقامه الملك « نقطانب » الثانى على شرف العجل « أبيس » المقدس .

(٤٦) « منف » (السرابيوم) :

وقد وجد قبل البوابة التى أقامها « نقطانب » الثانى وهى التى تؤدى الى السور الخارجى لمدفن السرابيوم فى النهاية الغربية من الطريق أسدان باسم « نقطانب » الثانى وهما مصنوعان من الحجر الجيرى ويبلغ طول الواحد منهما ١٫٢١ مترا . وهما محفوظان بمتحف « اللوفر » .

وهذان الأسدان قد مثل كل منهما رابضا على جانبه ورأسه ملتفت الى جنبه ومخالبه اليسرى ملفوفة أو متقاطعة مع مخالبه اليمنى الملتفة مما يبرز لنا تأثيرا فنيا يمتاز بالقوة والهدوء معا مما يجعل طراز هذا الأسـد أحد الاختراعات ذات الأهمية البالغة فى الفن المصرى فى هذا العصر المتأخر .

(راجع Chassinat Rec. Trav. 21. p. 57 No. 432.) وقد ذكر هذا المؤلف أنه وجد ثلاثة أسود .

(راجع Boreux, Guide Catalogue Paris 1932, I, p. 169 & Pl. 21; Comp., Scharff, Bemerkungen zur Kunst der 30 Dynastie, Vatikan—festschrift (1941) p. 195 ff, fig. II. p. 197) .

ونقش على قاعدة التمثال المتن التالى : « ملك الوجه القبلى والوجه البحرى » . « سنزم — اب — رع ستب — ن — أنحور » بن « رع » رب التيجان « نخت حور حبت مرى أنحور » عاش أبديا . « حابى » العائش من جديد « بتاح » (؟) .

(٤٧) « منف » (السرابيوم) :

وكذلك وجدت زاوية عارضة باب مصنوعة من الحجر الجيرى عليها اسم هذا الفرعون وهى محفوظة بمتحف « اللوفر » راجع (Chassinat Ibid. p. 57 No. 402; Gauthier L.R. IV. p. 175, A. 3; Wiedemann, Gesch. Agyptens p. 288 & Aegypt. Gesch. p. 706).

(٤٨) « منف » (السرابيوم) :

منظر مثل فيه الملك « نقطانب » الثانى أمام العجل « أبيس » وهو محفوظ بمتحف « اللوفر » راجع (Louvre, Serapeum No. 119; Chassinat Rec. Trav. 21. p. 57 No. 423; L.R. IV. 175 A. 3) .

(٤٩) « منف » (السرابيوم) :

قاعدة تمثال « بولهول » عليها اسم الفرعون « نقطانب » الثانى محفوظة الآن بمتحف « اللوفر » راجع (Chassinat Ibid, p. 57 No. 424; L.R. IV. p. 175 A. 3).

(٥٠) « منف » (السرابيوم) :

لوحة الكاهن « وننفر »

هذه اللوحة موجودة الآن بمتحف « اللوفر » وقد عثر عليها فى سرابيوم «منف» ، وهى مصنوعة من الحجر الجيرى ويبلغ ارتفاعها ٥٤و٠مترا ، وقد كتب متنها أولا بالحبر الأحمر ثم أعيد عليها بالحبر الأسود . وجزؤها الأعلى مستدير وقد مثل فيه من اليمين العجل « أبيس » واقفـــا ونقش أمامه : « أبيس ــ أوزير » أول أهل الغرب ٠٠٠٠٠٠ ويشاهد أمام العجل فى صفين ثمانية أشخاص يتعبدون وهذا المنظر قد محى نحو نصفه .

وفى الجزء الأسفل متن مؤلف من اثنى عشر سطرا جاء فيه ألقاب الكاهن « وننفر » وهو والـــد كاهن قربان الاله « بتاح » والكاهن المطهر لمعبــد « الجدار الأبيض » (منف) وكاهن « أوزير » فى مثواه وكاهن تماثيـــل الملك « نقطانب » الثانى فى نفس المعبد وكاهن الآله « أنوبيس » ، وكان كذلك كاهن ملك الوجه القبلى والوجــه البحرى « مينـــا » وكاهن ملك الوجــه القبلى والوجــه البحرى ، « تيتى » ومن هـــذا نفهـــم أن الملك « نقطانب » الثانى كان يعد ضمن الملوك الذين ألهوا بعد موتهم ، وقد جاء منهم فى هذه اللوحة اثنان وهم الملك « مينا » والملك « تيتى » . وقد جمـــع من هؤلاء الملوك الذين كانوا يعبدون وتقام لهم شعائر على ما يظن الأثرى « ارمان » ثمانية ملوك وكلهم فى منطقة « سقارة » أو « الجيزة » .

وعلى أية حال فان لوحتنا هنا تدل دلالة واضحة على أن « نقطانب » الثانى كان من بين الملوك الذين كانوا يعبدون بعد مماتهم وتقدم لهم القربان.

(راجع A Z. 38 p. 122; Rec. Trav. 21 p. 69-70) .

ويلحظ أنه قد كتب فى نهاية هذه اللوحة سطر واحد بالديموطيقية .

(٥١ — ٥٣) « منف » (السرابيوم) :

(أنظر رقم ١ ، ٣ ، ٥ من قائمة آثار هذا الملك) .

(٥٤) أبو رواش :أ

عثر فى « أبو رواش » على قطعة حجر عليها اسم الملك « نقطانب » الثانى وجدت فى مقبرة صخرية راجع (Bisson de la Roque, Rapport sur les fouilles d'Abou-Roash I, (1922-3). Pl. XXXV (4) & p. 4, 65-6) .

(٥٥) أبو رواش :

مائدة قربان من الجرانيت لفرد يدعى « عان — م — حر »

يوجد بالمتحف المصرى مائدة قربان باسم الملك « نقطانب » الثانى وهى مصنوعة من الجرانيت ويبلغ طولها ٢٤ر٠ مترا وعرضها ٢٩ر٠ مترا .. وهى صورة لكلمة « حتب » المصرية ومعناها القربان . وقد نقش حول حفرة المائدة المتن التالى :

يعيش « حور » محبوب الأرضين حامى « مصر » ممثل السيدتين (المسمى) مهدىء قلب الآلهة والذى يهاجم البلاد الأجنبية ، «حور» الذهبى (المسمى) مثبت القوانين وضارب الأقواس التسعة ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ورب الأرضين « سنزم — اب — رع ستب — ن — آمون » ابن « رع » المسمى « نخت حور حبت » محبوب « ماعت » عاش مثل « رع » محبوب « أوزير » نزيل « ليتوبوليس » (= أوسيم) « حور » محبوب الأرضين حامى « مصر » وممثل السيدتين (المسمى) مهدىء قلوب الآلهة ، والذى يهاجم البلاد الأجنبية « حور » الذهبى مثبت القوانين وضارب الأقواس التسعة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى رب الأرضين « سنزم اب — رع

ستب — ن — آمــون » ابن رع رب التيجان « نخت — حور — حبت »
محبوب « ماعت » عاش مثل « رع » محبوب « حور » .

ونقرأ الصيغتين التاليتين المنقوشتين حول المائدة من اليمين .

« انى أقدم لك ياملك الوجه القبلى والوجه البحرى « سنزم — اب — رع
ستب — ن — آمون » شعائر يومية — قربانا يقدمه الملك ألفا من الخبز ، وألفا
من الجعة، وألفا من البقر والأوز، وألفا من النسيج وألفا من العطور، وألفا من
الخبز ، وألفا من الماء البارد ، وألفا من النبيذ وألفا من اللبن ؛ وعلى اليسار
تكرر نفس الصيغة . (راجع A. Kamal. Tables d'Offrandes. Cat. Gen.
p. 94/5 No. 23115.)

(٥٦ — ٥٧) « منف » (سقارة) :

أنظر ما كتب عنهما فى رقمى ٧ ، ٨

(٥٨) « منف » (سقارة) :

لوحة « عان — م — حر » كاهن «نقطانب» الثانى والملكة « أرسنوى »
الثانية .عاش هذا الكاهن فى عهد ملوك البطالمة الأربعة الأول . وقد ترك
لنا هذا الكاهن لوحة عثر عليها فى السرابيوم وهى الآن محفوظة فى متحف
« فينا » تحت رقم ١٥٣ (راجع Reinisch, Aegyptische Chrestomathie,
Pl. 18; Text. Brugsch Thesaurus, 852 & 902-6; Brugsch, Rec. du
Mon. 1, Pl. IX) .

وقد كتب مع هذه اللوحة متن بالديموطيقية مختصر جاء فيه : « الكاهن
« ستم » المسمى « عان — م — حر » الذى وضعته « نفر سبك » .
وكان يوم ولادته هو اليوم الرابع من الشهر الثالث من فصل الشتاء . وقد

غادر بيته فى اليوم السادس والعشرين من الشهر الرابع من فصل الشتاء ، ومدة حياته اثنتان وسبعون سنة وشهر وثلاثة وعشرون يوما .

والمتن الهيروغليفى المقابل لذلك هو : « الكاهن « ستم » « عان—م—حر » الذى وضعته « نفر سبك » فى السنة السادسة عشرة الشهر الثالث من فصل الشتاء من حكم ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « فليبوس » بن « رع » « بطليموس » ومات فى السنة الخامسة الشهر الرابع من فصل الشتاء اليوم السادس والعشرين من حكم ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « بطليموس » «يورجتس» ، ومدة حياته على الأرض هى اثنتان وسبعون سنة وشهر وثلاثة وعشرون يوما . (راجع Rec. Trav. 30 p. 148-9) .

أما اللوحة الكبيرة المحفوظة فى متحف « فينا » فقد ترجمها الأثرى «بركش» وهى فى الواقع لا تحتوى على معلومات تاريخية أكثر مما جاء فى النص الديموقيطى على الرغم من طولها .

والمهم فى هذا النص هو ما نلحظه من اهتمام البطالمة بملوك « مصر » السابقين والمحافظة على اقامة شعائرهم على الرغم من طولها وهاك النص :

« قربان يقدمه الملك لأوزير أول أهل الغرب لأجل أن يقدم خبزا ونبيذا وثيرانا وأوزا وعطورا ونسيجا (لأجل) دفنة جميلة من كل شىء حسن وطاهر وحلو مما تعطيه السماء وتنبته الأرض مما يعيش منه الاله وروح « أوزير » الكاهن والد الآله المحبوب والكاهن « ستم » للآله « بتاح » والكاهن العظيم للأرواح (ثم يستمر المتن فى ذكر ألقابه بوصفه كاهنا لعدة آلهة ثم كاهنا للملك « نقطانب » الثانى والملكة « أرسنوى » الثانية) وينتهى المتن بذكر تاريخ موته وعدد سنى حياته كما ذكرنا من قبل (راجع Rec. Trav. 30 p. 148-9 cf.; Thesaurus p. 902-6) .

(٥٩ — ٦٢) « منف » (سقارة) :

مدفن الملكة « خدب نيت ارى نبت » زوج الملك « نقطانب » الثانى .

تدل شواهد الأحوال على أن الملكة « خدب نيت ارى نبت » هى زوج الملك « نقطانب » الثاني . وقد ترجم « بركش » اسم هذه الملكة بأنه يعنى الالهة « نيت » التى تعاقب المذنب . وقد شك الأثرى « فيدمان » فى أول الأمر فى نسبتها للملك « نقطانب » الثانى عندما لم يجد اسم هذا الملك على غطاء التابوت الجرانيتى الذى وجد فى بئر جنازية فى « سقارة » وهو الآن محفوظا بمتحف « ڤينا » ، غير أن الكشف عن تمثال مجيب لنفس الملك فى هــذه البئر قد جعل « ماسبرو » يرجح كثيرا أنها زوج هذا الملك .

هذا بالاضافة الى وجود أوانى الأحشاء الخاصة بهذه الملكة مع غطــاء التابوت وقد نقش على هذه الأوانى اسمها كما يأتى : « أوزير » الابنة الملكية وزوج الملك « خدب نيت أرى نبت » .

والظاهر أن الأمر الذى دعا الى الشك فى نسبة هذه الملكة هو وجود دفنة أخرى معها لعظيم يدعى « بسمتيك » حامل أختام الملك . وقد دفن فى الجزء الشرقى لهذه البئر (راجع ;Mariette, Mon. divers, Textes Maspero p. 29 V. Bergmann, Rec. Trav. 12 p. 23, No. XXIV; Wreszinski Aegypt. Inschr. aus dem K.K. Hof. Museum in Wien, p. 151-2; Brugsch Rec. du Mon. I., Pl. 7-2 & 8, 2; Porter and Moss. III p. 178).

وغطاء التابوت الذى عثر عليه لهذه الملكة نقش فى وسطه خمسة أســطر عمودية جاء فيها :

« بيان : ان والدتك « نوت » تنشر نفسها عليك باسمها أسرار السماء

وأنها لن تفصل نفسها عنك باسمها السماوية ، وانها تحفظك لأنك اله ، وان أعداءك لن يكونوا . الأميرة الوراثية القوية جدا والمحبوبة جدا ، الزوجة الآلهية ، والأم « خدب نيت ارى نبت » المرحومة . تعالى الى « نوت » التى ستضمك بقوة جسمها وتتحد معك مثل ما اتحدت بالعين اليسرى « لأوزير بوصفها القمر » وان جسمها مثل نور الأفق ، وانها تطرد الظلام بمحياها .

(٦٣) « منف » (السرابيوم) :

لوحة باسم الملكة « خدب — نيت ارى نبت » . ويقول الأثرى «فيدمان» (راجع Wiedemann Aegypt. Gesch. p. 659) ان المتحف المصرى فيه لوحة عثر عليها فى السرابيوم مثلت عليها هذه الملكة واقفة تتعبد أمام الاله « بتاح » والالهة « ازيس » غير أن هذه اللوحة قد أصابها تلف كبير جدا

هذا وقد نسب كل من « لبسيوس » Konigsbuch No. 680. و « بركش » و « بوريان » (راجع Livre des Rois. No. 738)هذه الملكة بأنهـا امرأة « نقطانب » الأول ومن جهة أخرى فضل الأثرى « بدج » أن تكون زوجة « نقطانب » الثانى وهذا ما يتفق مع اقتراح « ماسبرو » كما ذكرنا من قبل . (راجع L. R., IV, p. 181)

(٦٤) « منف » :

قطع أحجار منقوشة . عثر على عدد من الأحجار المنقوشة باسـم الملك « نقطانب » الثانى فى « ميت رهينة » ، وهى مبنية على هيئة حوض ، غير أن شواهد الأحوال تدل على أنها مأخوذة من مبنى لهذا الفرعون ، ولكن لم يعرف كنهها حتى الآن .

(راجع A.S. II p. 241-243)

(٦٥) « منف » :

تمثال لفرد يدعى « خبواسو » وهو والد وأخو ملك . والبقية الباقية التى على العمود الـذى يستند عليه هذا التمثـال يغلب على الظن كثيرا انه للملك « نقطانب » الثانى وكان يلقب الامير الوراثى والحاكم والقائد الأعلى للجيش ، والتمثال مصنوع من حجر البرشيا ، وكان يبلغ طوله وهو سليم حوالى ٣٨ بوصة أى أكثر من نصف الحجم الطبيعى وقد صنع باتقان ولكن تمثيل تشريح جسمه عادى . وقد نقش على حزامه الالهان « بتاح » و « سوكر » : « لأجل الأمير الوراثى والحاكم والأخ الملكى لوالد الملك » . هذا ويلحظ فى السطر الثالث من النقش الذى على ظهر التمثال بقايا طغراء يحتمل فى أغلب الظن أنه للملك « نخت حور حبت » . وهذا يفسر لنا كيف أنه كان أخا ملكيا لوالد الملك وليس اخ الملك :

والواقع أن «نخت حور حبت» لم يكن من أسرة ملكية ، وأخوه لم يكن ملكا وعلى ذلك فان العم كان له الحق أن ينسب نفسه لابن أخيه الذى كان ملكا وهذه الوظيفة العالية تفسر لنا توليه أعظم المناصب فى الدولة. وأسلوب صناعة التمثال تتفق مع فن الأسرةالثلاثين والتمثال الآن موجود «بنيويورك» فى متحف « متروبوليتان » .

راجع (Petrie, Memphis I, p. 13 & 20-1 and Pl. XXXI; Bosse. Menschliche figur, p. 16 No. 11) .

(٦٦) اهناسيا المدينة :

قطعة من ناووس من الجرانيت الأحمر .

عثر على قطعة من ناووس فى معبد « اهناسيا المدينة » عليها اسم الملك « نقطانب » الثانى . وهذه القطعة تبرهن على أن الناووس الذى تؤلف هذه

القطعة جزءاً منه كان عمقه ٤٣ بوصة من الداخل ومن الخارج خمس أقدام .
(راجع Petrie, Ehnasya p. 12 & 17) .

(٦٧) أبوصير الملق (مصر الوسطى) :

بقايا معبد للاله « بتاح سوكاريس أوزير »

يوجد هذا المعبد تحت جامع بقرية « أبوصير الملق » . وقد وجدت بعض قطع منه فى مكانها الأصلى وهى مبنية فى جدران الجامع وقد وجد عليها اسم الملك « نقطانب » وألقابه .

(راجع Möller-Scharff, Archeol. Ergebnisse des Graberfeldes von Abu-Sir El Meleq p. 102 & Fl. 77) .

(٦٨) هرموبوليس (الأشمونين) :

ناووس من الجرانيت الأسود المبرقش للاله « تحوت » .

عثر الأثرى محمد شعبان فى مبنى باللبنات على هذا الناووس على حافة الصحراء فى « تونة الجبل » وهو الآن بالمتحف المصرى وصناعة هذا الناووس رديئة ، غير أنه عمل باسلوب حسن معتنى به وهو فى حالة جيدة ، ولا يوجد فيه نقش ، غير ما وجد على عارضتيه ، ونقوشهما موحدة وهى : « حور » محبوب الأرضين حامى «مصر» ملك الوجه القبلى والوجه البحرى رب الأرضين الذى يؤدى الشعائر « سنزم اب رع ستب ــ ن ــ انحور » ، ابن « رع » من جسده محبوبه (نخت حور حبت) ابن «ازيس» ومحبوب «انحور» . عاش محبوب «تحوت» معطى الفخار لكل الآلهة ، ليته يعطى كل الحياة وكل الثبات والسلطان مثل « رع » أبديا .

(راجع Rœder. Cat. Gen. Naos. p. 45-6 Pl. 11. B, 49 d, e; A.S. 8 p. 222, 1) .

(٦٩) العرابة المدفونة :

جذع تمثال من الحجر الجيرى لامرأة وعلى القاعدة تضرعات للملك .

كما وجد كذلك رأس تمثال للملك « نقطانب » الثانى وكلاهما بمتحف « القاهرة » وقد عثر عليهما فى حفائر العرابة المدفونة . (راجع Petrie, Abydos I, p. 33 & Pl. LXX, No. 12 ; Ayrton, Abydos III, Pl. XXVIII, No. 4, & p. 52.; Bissing Denkmäler Text Pl. 73 A B, Sp. 5-6; (K. Bosse Die Menschliche Figur in der Rundplastik der Agyptischen Spätzeit von der XXII bis XXX Dynast., Ag. Forsch. I, 1936. p. 66 No. 179 & p. 77 No. 215).

ويقول : « بترى » عن صناعة هاتين القطعتين وغيرهما من عهد« نقطانب» الثانى ما يأتى : كانت أعظم نتيجة غير منتظرة فى هذا العام هو الكشف عن أسلوب النحت الرفيع فى الحجر الجيرى فى عهد الملك « نقطانب » الثانى فانه قد أبقى على تقاليد الأسرة الثامنة عشرة دون تغيير فيها تقريبا ، ولم يظهر فيه أثر ما من تأثير الفن الاغريقى الذى كان يحيط به . ففى الكتلة المربعة من خرائب المعبد وجدت قطع أربع من تمثال من الحجر الجيرى الصلب معظمها مشوه . وقد كشف عن الجزء الأعظم من تمثال جالس رقم١٢ ويدل ما تبقى من هذا التمثال على حسن التنسيق ومراعاة النسب والتمثيل التى نعرفها فى جذوع تماثيل «نفرتيتى» وغيرها من عمل الأسرة الثامنة عشرة (راجع Petrie, Abydos I p. 33.)

(٧٠) « العرابة المدفونة » :

ناووس من الجرانيت الأحمر المبقع

عثر على هذا الناووس فى « العرابة المدفونة » فى عام ١٨٩٨ م فى المعبد الصغير غربى « شونة الزبيب » ولم يبق منه الا جزء صغير من جانبه الأيسر ،

وقد نقش عليه من الخارج اسم هذا الفرعون ولقبه ، ومن الداخل يشاهد الملك واقفا أمام ثالوث « طيبة » وبيده رمز العدالة يقدمه لهم ؛ ومع كل واحد من هذه الآلهة وهم « آمون » و « موت » و « خنسو » متن خاص، فأمام « آمون » نقش المتن التالى مخاطبا به الملك : « انى أعطيك الأراضى كلها فى سلام » .

ونقش أمام « موت » : انى أمنحك عمر « رع » فى السماء .

ونقش أمام « خنسو » : انى أعطيك سنى « شو » .

(راجع Rœder, Naos., Cat. Gen, p. 50-52)

(٧١) « العرابة المدفونة » :

عثر على ناووس آخر كالسابق باسمى « نقطانب » الأول والثانى معا . وقد تحدثنا عنه عند الكلام على « نقطانب » الأول

(٧٢) « العرابة المدفونة »

تابوت كاهن تماثيل الملك « نقطانب » الثانى ، وهو مصنوع من الحجر الجيرى ومحفوظ الآن فى متحف « فتزوليام » ، وقد جاء عليه النقش التالى : « كاهن تماثيل الفرعون نقطانب »

(راجع Randall, Mac Iver und Mace, El-Amrah and Abydos p. 85, 96 and Pl. XXXV.; Gauthier, L.R. IV p. 180 No. 44; Porter & Moss V. p. 76.)

(٧٣) « غـــابات » :

الواقعة جنوبى « العرابة المدفونة » (انظر رقم ٤ من اثار نقطانب الثانى)

(٧٤) « قفط » :

توجد فى المعبد الجنوبى فى « قفط » بوابة باسم الملك «نقطانب» الثانى ويشاهد على الجزء الأسفل من عارضتى البوابة من الجهة اليسرى الملك يقف أمام الاله « مين » رب هذه الجهة وكذلك أمام « سا ازيس » ويشاهد على الجهة اليمنى الملك « نقطانب » الثانى أمام الاله « مين » وأمام الآلهة « ازيس » .

(راجع A. Reinach, Rapports sur les fouilles de Koptos, Bull. de a Société Française des Fouilles Archeologiques, 1910, Tom. I, p. 2).

(٧٥) « قفط » :

قطعة من مسلة مصنوعة من الجرانيت البنى وهى لشخص يدعى « أرتراثا » من عهد « نقطانب » الثانى وقد جاء عليها لقبه ، وتدل شواهد الأحوال على أن « ارتراثا » هو الذى صنعها .

(راجع Petrie, Koptos, p. 17 & Pl. XXVI, 2 ; L.R. IV p. 174 ; Porter & Moss V. p. 134).

ويلحظ أن « بورتر » و « موس » قد نسبتا هذا الجزء من المسلة للملك « نقطانب » الأول وهذا خطأ .

(٧٦) « قفط » :

توجد مقصورة صغيرة على مسافة من جنوب بوابة المعبد بالقرب من جدار المدينة ، وتحتوى هذه المقصورة على صورة الملك « نقطانب » الثانى .

(راجع Petrie Koptos, p. 17.)

(٧٧) « قفط » :

قاعدة تمثال من المرمر للملك « نقطانب » الثانى من المعبد الصغير من العهد البطلمى والرومانى وقد وجدت مستعملة ثانية فى الباب الغربى للمعبد وهى محفوظة الآن بمتحف « اللوفر » . (راجع A.S, XI p. 119) .

(٧٨) « قفط » :

وجد فى جهة « قفط » مائدة قربان من المرمر باسم الملك « نقطانب » الثانى وقد رسم على جوانبها الأقواس التسعة أى أن « نقطانب » قد هزم قبائل الأقواس وأصبحوا تحت سلطانه .

(راجع Reinach, Rapports sur les Fouilles des Koptos. Bull. Soc. Fran. des Fouilles Archeologiques, 1910 p. 6 & 13) .

(٧٩) « وادى حمامات » :

يوجد فى « وادى حمامات » نقش على صخر مثل فيه الملك « نقطانب » الثانى يحرق البخور أمام الآلهة « مين » و « حربوخراد » و « ازيس » ، وهذا يدل دلالة واضحة على أن هذا الملك كان يرسل بعثات الى محاجر هذه الجهة لاستثمارها بقطع الأحجار منها .

(راجع L.D. III, 287 a; Couyat-Montet, Les Inscriptions du Ouadi Hammamat p. 44 No. 29 et Pl. VIII) .

(٨٠) « وادى حمامات » :

يوجد فى محاجر « وادى حمامات » نقش باللغة الديموطيقية (راجع L.D. VI, 69, No. 162) . وأول ما يلحظ فى هذا النقش الذى يرجع الى عهد الملك « نقطانب » الثانى هو أن كلمة الميديين تعنى الفرس . وفى هذا النقش

نجد أن أحد الموظفين المكلفين بقطع الأحجار يقول انه كان مكلفا بالتفتيش على قطع الأحجار من المحاجر فى عهد الملك « نقطانب » الثانى وفى عهد الميديين (أى الفرس) وفى عهد الأيونيين أى الأغريق ، ومن ثم نفهم أن هذا الموظف باشر عمله هذا فى عهد الفرعون « نقطانب » الثانى وفى عهد ملك الفرس « ارتكزركزس » (أوكوس) وفى‌عهد « الأسكندرالأكبر » وخليفته فى « مصر » « بطليموس » الأول . هذا ويلحظ هنا أن الملك « تاخوس » (تيوس) الذى خلف «نقطانب» الأول ولم يمكث على عرش الملك الا سنتين لم يذكر اسمه فى هذا النقش .

(راجع Die Sogenannte Demotische Chronik, p. 6, 94, Fig. No. 332)

(٨١) الكرنك :

نقش اسم الفرعون «نقطانب» الثانى على البوابة التى أقامها «نقطانب» الأول (راجع Porter & Moss, II p. 5) .

(٨٢ — ٨٣) الكرنك :

نقش الملك « نقطانب » الثانى اسمه على عضادة باب معبد الكرنك الصغير. (راجع LDIII, 287 c, d.) .

وقد مثل وهو يقدم قربانا ، ويلحظ أن اسمه الحورى قد هشم وهو «حور» محبوب الأرضين حامى «مصر» (راجع L.D. III, 287 f; L.D.T. p. 3)

وقد مثل الملك فى صورة « بولهول » أمام الآلهة « آمون » و « خنسو » و « تحوت » .

(٨٤) الكرنك — معبد الاله خنسو :

يشاهد عند مدخل قاعة العمد الخارجية طغراء الملك « نقطانب » الثانى (راجع Champ., Notices Descr. II. 232, 238, 240)

ويشاهد على عضادتى الباب كذلك فى الصف الثانى من النقوش الملك « نقطانب » الثانى أمام الاله « خنسو » .

هذا ويشاهد فى أسفل الجدار متن مجدد فى عهد البطالمة .

(راجع L.D. III 287, B.)

وكذلك يشاهد على عضادة الباب الثانى فى الصف الأسفل الملك «نقطانب» الثانى أمام الاله «خنسو» رب هذا المعبد كما يشاهد على القاعدة متن مجدد

(راجع L.D. III, 287-g)

(٨٥) الكرنك :

أقام الملك «نقطانب» الثانى معبدا فى الجهة الشرقية من معبد الآلهة «موت» ولم يتبق منه الا نقش صغير فى أسفل عضادة باب جاء فيه اسم هذا الفرعون وهاك ما تبقى من النقش :

« رب التيجان «نقطانب» الثانى عمله بمثابة أثره لأمه (أى «موت»)

(راجع Champ. Not. Descr. II p. 264 ; Porter & Moss II p. 97)

(٨٦) الكرنك :

تمثال « أحمس » بن « سمندس » من عهد الملك « نقطانب » الثانى .

من بين التماثيل العدة التى عثر عليها فى خبيئة الكرنك التمثال الذى يحمل رقم ١٩٧ ورقم ٣٧٠٧٥ فى سجل المتحف المصرى ويعد من أجمل التماثيل وأهمها فهو فى حالة جيدة جدا ولا ينقصه الا جزء من طرف الأنف وهو لفرد يدعى « أحمس سمندس » الذى كان كاهنا للملك « نقطانب » الثانى المقدس ، ومن ثم نفهم أن « نقطانب » على ما يظهر كان قد توفى عندما صنع هذا التمثال . ويمكننا أن نؤرخه بحق ببداية عهد البطالمة أو بأول حكم

« الاسكندر الأكبر » ،وقد صنع هذا التمثال من حجر الشست ويبلغ ارتفاعه ٩٥ سنتيمترا ، وقد مثل « أحمس » هذا فى هيئة رجل فى ريعان الشباب واقفا قدمه اليسرى تخطو الى الأمام قليلا وظهره متكىء على عمود فى هيئة مسلة ويرتدى فقط قميصا قصيرا ورأسه حليق تماما . والتمثال فى منظره يعد الطراز الخاص بالعهد البطلمى الأول . والواقع أن القوة والصبغة اللتين تميزان الكثير من تماثيل العهد الساوى معدومتان هنا ، وليس أمامنا الا صورة انسان تقليدية مرسومة وعلى شفتيه بسمة صغيرة متكلفة ، وساقاه غير متقنتين فى صناعتهما ، وكتفاه قد بولغ فى تمثيلهما والجسم قد صنعت تفاصيله باختصار .

ومن المحتمل أن « أحمس » هذا كان أول كاهن عرف لنا عن العجل « بوخيس » . وأقل ما يقال هنا أن من المؤكد أن واجباته الرسمية قد جعلته على صلة مع « هرمنتس » (وبخاصة فى استعمال لقب « حنك » وهو الذى يحمله كهنة آخرون للعجل « بوخيس ») ، عجل « مدمود وامنمؤبت » . ولهذه الأسباب وغيرها فانه من الصواب أن نفرض انه كان متصلا بعبادة العجل « بوخيس » . الذى ظهرت عبادته فى عهد الملك نقطانب الثانى .

النقوش التى على وسط التمثال :

من اليمين : يعيش والد الاله وكاهن « أوزير » والمحنط والمطهر الآلهى « أحمس » المبرأ .

من اليسار : يعيش الكاهن والد الاله وكاهن «آمون» فى «ابت سوت»

(طيبة) والمحنط والمطهر الالهى « أحمس » المبرأ .

النقوش التى على العمود الذى على هيئة مسلة ويستند عليه التمثال :

ظهر السنادة : الجزء الأعلى :

يشاهد فى الجزء الأعلى فى الوسط قرص الشمس المجنحة يتدلى منه تسعة رموز للحياة (عنخ) فى ثلاثة صفوف كل صف مؤلف من ثلاثة رموز ، وأسفل من ذلك يشاهد « أحمس » يتعبد لـ «آمون» و «أوزير» ، على اليمين وعلى الشمال بالتوالى وقد نقش أمام « آمون » :

« آمون — رع » ملك الآلهة والواحد الأزلى للأرضين صاحب اليدين المرفوعتين وكتب كذلك : « الخادم الذى يمجد سيده والكاهن والد الاله « أحمس » المبرأ .

ونقش أمام «أوزير» : «أوزير وننفر» والتابع لأوزير فى «برشتان» (؟) والكاهن والد الاله « أحمس » المبرأ .

النص الرئيسى الذى على ظهر التمثال :

(١) «الكاهن والد الاله وكاهن «آمون» فى « طيبة » « أحمس » المبرأ يقول : يا « آمون — رع » ملك الآلهة والواحد الأزلى للأرضين وموجد نفسه . انى خادمك الذى يتبع روحك (كا) وواحد محترم يرى سيده . امنحنى حياتك فى ركاب جلالتك . ليتنى لا أصبح سائما من رؤية وجهك ، ومحنطا تحنيطا طيبا ومزينا بصفة ممتازة ، وجبانتك بجوار « يات چامت » (= مدينة هابو) . ليتك تضع أطفالى فى مدينتك كأولئك الذين نصبهم الآلهة

(٢) الكاهن المحنط والمطهر لآمون « أحمس » المبرأ يقول :

يا « نون » القديم الذى جاء الى الوجود فى البداية ، والواحد الأزلى للأرضين بذراعيه مرفوعتين . ان قلبى موال لك ، ليتنى أكـون فى ركابك وليتنى أمدح جمالك فى محرابك الشريف ، وليتك تثبت صورتى فى مكانك المقدس وليت اسمى ينطق به خدمك وأطفالى فى معبدك وفى ركاب جلالتك كل يوم دون انقطاع فى طيبتك (أى مدينة طيبة ملكه) .

(٣) كاهن « آمونت » التى فى «طيبة» (ابت اسوت) « احمس » المبرأ، يا « موت » التى أتت الى الوجود قبل الزمن انى طفلك فى بلاطك ، انى لم أرتكب جرما (؟؟) بيدى اليسرى فى حق المعبد خائفا من « خنسو » (؟) ان قربانا عظيما فى عيده الكبير للسنة الجديدة محتويا على بخور « بنت » لأجل أن تكون مكافأتى منك ياسيدة الآلهة والآلهات تكون حياة طويلة مع حظ كل يوم دون انقطاع فى طيبتك (أى مدينة طيبة ملكك) .

(٤) أمير مقاطعة «منف» وحاكم مقاطعة «الأرنب» «أحمس» المبرأ يقول :

لقد ذهبت الى مقر الحكم وأقلعت الى « الأشمونين » ومعى مكتوب ملكى ، ولقد حنبت ذراعى الىخدمة الآلهة وكهنتهاوقدعملتخيرا لمواطنيهم، وكانت المكافأة على ذلك أن الاله « تاتنن » والاله « تحوت » جعلانى أصل الى « طيبة » بوصفى واحدا محترما . ليتنى أكمـل حياتى على الأرض فى ركاب « آمون » بوصفى كاهنا مطهرا الهيا فى قصره العظيم .

(٥) كاهن «سوكاريس» «أحمس» : المبرأ يقول :

انى خادمك يا ملك الآلهة فى معبدك (؟) ان مبخرتك ممدودة نحوى ، وانى محنط فى « بر ــ عنخ ــ ارو » (الجبانة) والذى يحيى من جديد

« أوزير » فى « حت نب » ليتك تضعنى بين الأرواح الممتازة الذين فى ركابك والمنعمين (سعحـو) ؟ الذين بجـوارك . ليت روحى لاتفنى وليت جسمى لا يموت ٠٠٠٠٠ ثانية وليتنى أجىء وأروح على الأرض كل يوم وليتنى أدخل الى الاله ولا أصد .

(٦) كاهن « أمنمؤبت » صاحب « آخ سوت » ، (هرم الملك «منتوحتب» الرابع والجبانة التابعة له) « أحمس » المبرأ يقول :

الحمد لوجهك ياذكر الآلهة « آمنمؤبت » ، يا أيها الثور ذو الذراعين المرفوعتين وصـورة « رع» فى « هرمنتس » (و« أمنبؤبت » هـو الاله وريث ثامون الأشمونيين)الذى يمنح المأكولات لمن فى حظوته . ليتك تعطيها اياى ياسيدى العظيم لأنى موال لجلالتك ، تفضل بأن يكون فى استطاعتى رؤية روحك الشريفة عندما تقلع الى « روستاو » ، ليتنى أعيش على قربانك الذى عمل لك .

(٧) كاهن « خنسو » « آمنمؤبت » « أحمس » المبرأ يقول :

انى أنقش بوابة « خنسو » فى « طيبة » والشريف « سخم » الشريف فى « بننت » (بننت = معبد « خنسو » فى الكرنك) ؟ وانى أمجد رهبته ، وأعظم جلالته وأكتب على جدار معبده . ليته يعمل مكافأة لى باطالة حياتى بوصفى فردا محترما وفردا ذاهبا الى روحه (كا) . ليته يمنحنى أن أرى جلالته عندما يعبر غربى « طيبة » ليتسلم خبزسنو فى صالحه .

النقش الذى على الجانب الأيسر للعمود :

قربان يقدمه الملك « لآمون رع » ملك الآلهة ولأوزير « قفط » الذى يسكن فى « حت نب » لأجل أن يعطى كل شىء يخرج على مائدته فى خلال

كل يوم للكاهن والد الاله وكاهن « آمون رع » فى معبده المقرب (خنك) فى «أرمنت» ، والمحنط والمطهر الالهى الذى يقلع الى الجبانة «ايات چامث» (= مدينة هابو) والذى يرى الروح الخفية فى صورته وكاهن « سبك » رب « مرف » وكاهن « نخت حور حب » والكاتب المقدس والخازن المقدس « لآمون » للطبقة الثانية من الكهنة ، وكاهن « خنسو امنمؤبت » (المسمى) « أحمس » المبرأ ابن الموالى للملك « سمندس » المبرأ والذى ولدته ربة البيت ومغنية « آمون » المسماة « تى — نوب » المبرأة .

النقش الذى على الجهة اليمنى من العمود :

قربان يقدمه الملك « لآمون رع » الواحد الأزلى للأرضين لأجل أن يعطى كل شىء يقدم على مائدته كل يوم لروح الكاهن والد الاله كاهن « أوزير » والمحنط والمطهر الالهى ، والذى يدخل مكان الدفن للعجل الذى فى المدمود ، والذى يرى سر الأزلى الأول كاهن « آمونت » الذى فى «طيبة» والكاهن « ماچر عنخ » (المسمى) « سمندس » المبرأ الذى انجبه راقص « آمون رع » كمفيس ، « تى — نوب » المبرأة .

ويلحظ أن التمثال ليس بواقف تماما منفردا بل توجد هناك قطعة حجر رقيقة توصله بالقاعدة والاجزاء الأخرى الخالية من هذا الحجر قد استعملت لنقش كتابات أخرى عليه :

على الجهة اليمنى : يشاهد بكر أولاد « أحمس » هــذا واقفا مرتديا لباسا فضفاضا يصل من صدره الى ما تحت الركبتين والمتن الذى يصحبه هو .

ابنه البكر ، والابن المحبوب كاهن « أوزير » « سمندس » ، الذى

أنجبته سيدة البيت ومغنية « آمون » (أحيت) « تشريت — مين » المبرأة.
ومن ثم نعرف اسمى والد « أحمس » وابنه وكلاهما كان يدعى « سمندس »
وأمه كانت تدعى « تى — نوب » وزوجه كانت تدعى « تشريت — مين »
ولا نعرف حتى الآن تفاصيل عن هؤلاء الناس ولا عن « أحمس » نفسه .

وعلى الجانب الأيسر : يشاهد « أحمس » راكعا بوجهه نحو اليسار
ويداه مرفوعتان تعبدا ويشاهد فوق رأسه وأمامه نقش قصير : الكاهن
« ساست (لقب كاهن) » فى سيدة المدن (طيبة) وكاهن « أوزير »
« أحمس » المبرأ .

ويوجد تحت صورة « أحمس » نقش مؤلف من ستة عشر سطرا .

كاهن « آمون رع » فى معبده « أحمس » المبرأ يقول :

يا « عزوتتر » (لقب كاهن) وياكهنة الروح العظيمة وأنتم أيها المحنطون
لعين رع الذين يدخلون السماء التى على الأرض (اسم لمعبد الكرنك) على
أقدامهم عندما يؤدون واجباتهم هناك مدوا أذرعتكم الى بقربان يقدمه الملك
مدوا اذرعتكم الى قائلين ليته يمدحك فى سلام . أى « آمون رع » الروح
الشريفة ورئيس كل الآلهة ، وليت روحك تعيش فى السماء أمام « رع »
وليت قرينك (كا) يكون مقدسا أمام الآلهة . وليت جسمك يبقى فى العالم
السفلى أمام « أوزير » . وليت مومييتك تكون فاخرة بين الآحاد المشرقين .
وليت روحك الشريفة تذهب الى « منديس » والى المقاطعة « طينة » فى يوم
عيد « سوكر » . أنت يافاعل الخير ومن يفعل له الخير ، ومن لاينتقم (؟)
ومن يمضى الليل فى أخذ الرأى (؟) ليت قلبك الحقيقى يكون مرتاحا لى (؟)

لأن قلبى موال لجلالته وميلى طاهر وبعيد عن الشر ، (وانى) أكره الخطأ (؟)...
ياسيدى ويا الهى وياوالدى وياحامى الذى لاينالة النصب من حاميه (خادمه)،
ليت اسمى ينطق به هؤلاء الذين على الأرض بسرور بوصفى انسانا محترما
فى حظوة آلهة .

ولا ريب أن هذا المتن الدينى يلقى أضواء على معتقدات هذا العصر وهى فى كنهها لا تخرج كثيرا على المعتقدات القديمة غير أنها فى الوقت نفسه توضح بجلاء الفرق بين عبادة « رع » و « آمون » الخاصة بالروح وعبادة «أوزير» الخاصة بالجسم وبقائه سليما فى عالم الآخرة أى فى الجبانة (راجع J.E.A. vol. XX p. 1-4) .

(٨٧) الكرنك :

تمثال الكاهن « نسمين »

عثر فى خبيئة الكرنك على تمثال لفرد يدعى « نسمين » ويحمل لقب الكاهن الأول لبيت : نقطانب « الأول » عاش مخلدا (راجع A. S. T. vol. VII p. 43, 186)

(٨٨) ارمنت

أنظر رقم ٣ .

(٨٩) ارمنت

وجد اسم « نقطانب » الثانى على بعض الأعمدة على مسافة من المعبد الرئيسى . وتدل شواهد الأحوال على أنه أقام معبدا جديدا ويحتمل أنه معبد صغير وتدل النقوش على أن أول وأغنى مدفن فى « البوخيوم » كان قد أقيم فى عهد ذلك الملك وكانت عبادة «بوخيس» [1] كما نعلم قد بدأها هو ومن المحتمل اذا أن هذا المعبد كان أول مسكن لـ « بوخيس » المتجسد (راجع Mond-Meyers., The Temple of Armant, the Text p. 4)

---

(١) راجع Ibid. II p. 38 عن اسماء العجل « بوخيس » (باخ أو باخ ـحرـخات)الخ .

(٩٠) أرمنت :

اناء نمست : عثر فى البوخيوم على اناء نمست من القاشانى الأخضر وقد نقش تحت المفرهـة سطران عموديان جاء فيهمـا : ابن رع رب التيجـان « نقطانب » الثانى محبوب « آمون رع » ومحبوب « أوزير — بوخيس » معطى الحياة(راجع Mond-Meyers, The Bucheum vol. II p. 20; Ibid. III, Pl. LXIII No. 1, 2).

هذا وقد عثر على رأس من الحجر الرملى فى البوخوم يحتمل أنه للملك « نقطانب » الثانى محفوظة فى المتحف البريطانى

(راجع Ibid. I, p. 79-82, III Pl. LXIII No. 3 ; Comp. Porter & Moss V, P. 159)

(٩١) أرمنت :

وعثر كذلك فى البوخيـوم على قطعـة من الحجـر الرملى مثل عليهـا « نقطانب » يقدم حقولا للاله « تحوت » المزدوج العظمة رب «الأشمونين» (راجع Ibid. II p. 50) وهذه القطعة محفوظة الآن بالمتحف البريطانى .

(٩٢) ادفو :

أنظر رقم ٩ .

(٩٣) ادقو :

ناووس من حجر الجرانيت الأسود للملك « نقطانب » الثانى .

يوجد فى معبد « أدفو » حتى الآن ناووس مؤلف من قطعة واحدة ، وهذا الناووس كان بلا نزاع يحتوى على صورة اله الشمس « حور » الذى مثل برأس صقر ، ومن ثم كان يوضـع فى أقدس مكان بالمعبـد أى فى قدس الأقداس وهذا الناووس يحدثنا بنقوشه على أنه كان موجودا فى هذه البقعة قبل عهد البطالمة وذلك لأنه يوجد على أحد جانبى باب الناووس نفسه جاء

فيه ان الملك « نقطانب » الثانى قد أهدى هذا الناووس راجع Duemichen Temp., Inschr. I, Taf. 3,)

وفى هذا النقش يقول « نقطانب » الثانى للاله « حور » « ان هذا الأثر الذى أقمته هنا لك قلبى فرح به أبديا » ، وبعد ذكر الألقاب الرسمية للملك يقول المتن : لقد عمله بمثابة أثره لوالده « حور بحدتى » الاله العظيم رب السماء ، وقد عمل ناووسا فاخرا من حجر الجرانيت وباباه من خشب الأرز ومصفحان بالبرنز وموشيان بالذهب وعليهما نقش الاسم العظيم لجلالته ، ليجزى على ذلك ملايين الاعياد الثلاثينية من ملايين السنين الأبدية .
(راجع Porter & Moss. VI. p. 146)

(٩٤) الكاب :

تدل النقوش والأحجار التى وجدت فى معبد « الكاب » على أن الملك « نقطانب » الثانى قد قام ببعض اصلاحات فى هذا المعبد اذ وجدت فيه طغراءاته على قطع من كورنيش عثر عليه فى الزاويتين الشمالية والغربية وكذلك فى الزاويتين الجنوبية والغربية (راجع A. S. 37, p. 9)

(٩٥) الكاب :

تدل النقوش التى عثر عليها فى « الكاب » على أن « نقطانب » الثانى قد أقام معبدا صغيرا فى منطقة « الكاب » وهذا المعبد يقع مباشرة خارج البوابة الشرقية أو الصحراء . (راجع Porter & Moss, V, p. 178 ; J. E. A., 8 p. 40.)

(٩٦) الفنتين :

أقام الملك « نقطانب » الثانى معبدا للاله « خنوم » فى « الفنتين » وقد جاء إسمه على الجدار الغربى . كما مثل وهو يقدم القربان للاله « خنوم » ، ونقوش هذا المعبد تعد من أحسن النقوش التى أخرجها الفتن المصرى فهى تضارع نقوش الأسرة الثامنة عشرة فى حسنها وأناقتها . وقد دل البحث على

أن بعض أحجار هذا المعبد قد أخذت من معبد الأسرة الثامنــة عشرة الذى كان قائما فى ذلك المكان . ومن حسن الحظ عثر على نقش من عهد البطالمة يدل على مقدار اعتنائهم بهذا المعبد . وقد وجدت آنيــة نبيــذ عظيمة من الجرانيت نقش على حافتها متن يدل على أن « بطليموس » الأول قد أهدى هذه الآنية الفخمة للمعبد ، وكذلك فى العهد الرومانى أضاف القياصرة لهذا المعبد بعض النقوش والمبانى تعظيما للملك « نقطانب » الثانى .

(راجع A.Z. 46 p. 54-59)

وكذلك عثر على ناووس عظيم من قطعة واحدة عليه اسم هذا الفرعون غير أنه لم يتم نقشه (راجع Ibid. p. 57) .

(٩٨) الواحة الكبرى (الواحة الخارجة)

معبد هبيس

وجد فى معبد الهيبة ودائع أساس باسم الملك « نقطانب » الثانى مما يدل على انه أقام هناك أثرا (راجع Spiegelberg Demotische Chronik p. 6)

(٩٩) الواحة الخارجة

معبد هبيس

أقام « نقطانب » الثانى بوابة فى معبد « هبيس » وهذه البوابة اضــافة للمعبد الذى اقامه « دارا » الأول و « دارا » الثانى

(راجع Lepsuis. A.Z. 12 p. 73-74; Brugsch A.Z. 13 p. 54)

وقد نقش على هذه البوابة : « « جور » محبوب الأرضين ملك الوجه القبلى والوجــه البحرى « سنزم ــ اب ــ رع ستبت ــ ن ــ أنحور » ابن

رع « نخت حور حبت » محبوب « أنحور » .

هذا وقد عثر فى هذا المعبد على تاج عمود باسم هـــذا الملك وهو الآن موجود بمتحف « متروبوليتان » بمدينة « نيويورك »

(راجع Bull. of the Metrop. Mus. IX, May 1914 No. 5 p. 113. with Note 3)

(١٠٠) واحة آمون

معبد « آمون » بسيوة

أقام الأمير « ونأمون » معبد الوادى فى « أم عبادة » وقد نقش عليه اسم هذا الفرعون « نقطانب » الثانى .

وقد عثر على قطعة حجر عليها نفس الاسم (راجع Steindorff, Berichte über die Verhandlungen der Sachsischen Gesellschaft der Wissenschaften, Phil. hist. Kl. p. 218; Kienitz, Ibid. p. 228-9)

(١٠١) وقد عثر لهذا الملك على عدد كبير من التماثيل المجيبة فى «ميونخ» و « تورين » و « فينا » فى مجموعة الأثرى « فلندر زبترى » .

(راجع Brugsch Thesaurus VI p. 1438; Fabretti Rossi, Lanzone, Regio Museo di Torino, I, p. 307 No. 2509; L.R. IV p. 179 No. 39)

(١٠٢) وكذلك توجـــد عدة لوحات صغيرة منقوش عليها اســـم هذا الفرعون فى متاحف مختلفة (راجع Kienitz Ibid. p. 229)

(١٠٣) يوجد بالمتحف البريطانى جزء من تمثال من الجرانيت الأســـود للاله « آمون » ممسكا أمامه صورة تمثل الملك « نقطانب » الثانى واقفـا

(راجع Guide to the Egyptian Galleries (Sculpture) p. 247)

(١٠٤) رأس الملك « نقطانب » الثـانى موجـود الآن بمتحف جامعـة « موسكو » فى المجموعة المصرية غير أن الأنف قد هشم راجع (Ancient Egypt, 20 p. 125)

(١٠٥) تمثال صغير للملك « نقطانب » الثانى ، وقد مثل واقفا بين ساقى صقر (راجع Tresson, Kemi 4, p. 144 & Pl. VII a)

(١٠٦) العتب الأسفل لمحراب من الجرانيت نقش عليـه اسم « نقطانب » الثانى محفوظ الآن بالمتحف المصرى (راجع Petrie, Hist. III, p. 379)

(١٠٧) لوحة عليها نقش باهداء أرض محفوظة بالمتحف البريطانى راجع (Ibid. p. 379).

(١٠٨) عمود مغتصب نقش عليـه اسم « نقطانب » الثانى محفوظ بالمتحف البريطانى (راجع Ibid. p. 379)

(١٠٩) قردة من البازلت منقوش عليها اسم « نقطانب » الثانى محفوظة الآن فى « آزيوم روما » يبلغ ارتفاع الواحد منها ١ر٥ مترا راجـع (Schiaparelli, Bull. dell. Commiss. archaeol di Roma, 1883, II, p. 9-14; Schiaparelli, Monumenti egiziani dell, Isio 1883, III-IV).

(١١٠) لوحة من الحجر بمتحف « الاسكندرية » نقش عليها اسم « نقطانب » الثانى ولقبه غير ان الجزء الأول من كل من الاسم واللقب قد هشم (راجع A.S. V p. 122)

(١١١) قطع من الحجر الجيرى والفخار فى متحفى « القاهرة » و « مرسيليا » نقش عليها اسم هذا الفرعون راجع (Wiedemann, Agyptische Gesch. p. 707).

(١١٢) طابع ختم من البرنز يظهـر انه للملك « نقطانب » الثانى ومحفوظ بالمتحف البريطانى (راجع Hall, Scarabs I. p. 285 No. 2745) .

(١١٣) طابع خاتم من الفخار باسم « نقطانب » الثانى على ما يظهر محفوظ كذلك بالمتحف البريطانى (راجع Ibid, 292 No. 2793) .

(١١٤) قطعة من عقد « منات » وهى تعويذة مصنوعة من القاشانى محفوظة بمتحف « فلورنس » راجع (Schiaparelli, Musio. Archeologico di Firenee p. 181 No. 1452; L.R. IV p. 179 No. 36) .

(١١٥) اناء صغير من القاشانى فى مجموعة « ناش » عليه اسم هذا الفرعون راجع (Nash, P.S.B.A. 31 (1909), p. 255 & Pl. XXXVII No. 29; L.R. IV p. 179 No. 37) .

(١١٦) كتاب الموتى بالهيراطيقية لصاحبه «خنسو» كاهن «نقطانب» الثانى .

ويوجد اسم هذا الفرعون فضلا عما ذكرنا على آثار اخرى عدة فى أنحاء كل القطر كما توجد له آثار أخرى غير ما ذكر فى متاحف العالم.

أحوال الجيش المصرى بعد طرد الفرس
فى القرن الرابع قبل الميلاد

كانت « مصر » فى خلال القرن الرابع قبل الميلاد فى نظر العالم وبخاصة فى نظر ملك الفرس العظيم مجرد شطربية فارسية فصلت عن الدولة الفارسية وهذا يعنى أن البلاد كانت طوال المدة من ٤٠٤ — ٣٤٢ ق.م. فى حالة حرب مستمرة . غير أن هذه لم تكن الحقيقة الواقعة لأن بلاد الفرس لم تكن دائما طليقة اليد لتنفرد بشن الحروب على « مصر » ، هذا بالاضافة الى أنه لم يحدث تغير فى تولى عرش ملك « مصر » دون أن يكون اغتصابا ، ومن ثم كانت تقوم حروب داخلية مما جعل للشئون الحربية أهمية ملحوظة ، وهذا ما لم يحدث نظيره قط فى مدى عهود التاريخ المصرى .

وقد كان فراعنــة الأسر المصرية من الثامنة والعشرين حتى نهــاية الأسرة الثلاثين عليهم أن يضطلعوا بواجب شاق . فلم يخطر ببالهم كما كانت الحال فى عهد « بسمتيك » الأول أن يجندوا جيشا من الفلاحين المصريين أو من سكان المدن المصرية . وقد كان لديهم من هؤلاء فى الواقع عدد عظيم للانخراط فى الجندية ، وكانوا عند الحاجة يسارعون اليها ، غير أنهم لم يكونوا جنودا مدربين على الحرب ، وقد كان تحت تصرف الفراعنة من جهة أخرى جنود «المشوش» الذين لم يصل مستواهم الى مستوى الجنود الفرس، ولكن استولوا عليهم واستخدموهم كما استخدمهم الساويون من قبل . يضاف الى ذلك أنه كان فى الامكان جلب جنود من بلاد « لوبيا » المجاورة ليعملوا فى الجيش

المصرى (Diod., 16, 47, 6) حيث نجد ان المؤرخ « ديودور » يفرق فى جيش «نقطانب» الثانى بين المشوش المصريين وبين اللوبيين ، فالفريق الأول كان فى « مصر » منذ مائة سنة بوصفهم جنودا يقيمون فى مستعمراتهم فى حين أن الفريق الآخر قد وفد على « مصر » منذ زمن قريب .

ومما لا نزاع فيه أن موقعتى « ماراثون » و « بلاتا » كان لهما نتائج فى العالم الشرقى أكثر أهمية من كل النتائج الأخرى فى توضيح العلاقات الكبيرة بين الفرس والأغريق ، اذ قد كشفت النقاب تدريجا عن التفوق المطلق الذى كان يمتاز به مشاة جنود الأغريق على الجنود الشرقيين ، وقد كان منذ عهد العاهل ارتكزر كزس الأول (٤٦٥ — ٣٢٤ ق.م.) ان بدأ شطاربة آسيا الصغرى يستخدمون الجنود المرتزقة ، ولكن على الرغم من انه خلال كل القرن الخامس لم تدخل أية تغيرات هامة فى الأحوال الحربية فى الشرق اذ بقى كل شىء على ما هو عليه ، فانه من الثابت انه فى خلال النصف الثانى من القرن الخامس لم تدخل أية تغيرات هامة فى الأحوال الحربية فى الشرق ، اذ نجد أن الفرس كانت تتدخل فيها بوجه خاص بالطرق الدبلوماسية والمالية .

على أن هذه الحال قد تغيرت منذ قيام « كيروس » (كورش) الفتى بمشروعه الضخم فى نهاية القرن الخامس قبل الميلاد ، فمن جهة نجد ان تفوق الجنود الأغريق فى الطرق الحربية قد ظهر فى موقعة « كوناكسا Kunaxa » (٤٠١ ق.م.) وقد ظهرت قوتهم فعلا هنا اكثر من ذى قبل بصورة بارزة مما اوضح ان كل عدد الجيش الفارسى لم يكن من القوة بحيث يقف « كيروس » فى وجه الثلاثة عشر الف اغريقى فى الطريق من « مسو بوتاميا » حتى « طرابزوند » .

ومن جهة أخرى فانه منذ واقعة « كوناكسا » قد كثر اعلان الحرب التى

كانت تشنها الفرس فى داخل بلادهم وفى خارجها . ومن هذه الحالة يمكن الانسان ان يستنبط سير الأمور فى بلاد الفرس ، ففى خلال القرن الرابع قبل الميلاد أخذ الفرس يكثرون من استخدام الجنود الأغريق فى الجيش الفارسى، وقد كان هؤلاء الجنود هم النواة فى قلب الجيش الفارسى واليهم كان يرجع الفضل فى كل الانتصارات التى أحرزها ملوك الفرس. ومن ثم أخذ الفرس يفيدون على احسن وجه من علاقتهم بالعالم الأغريقى فى فنون الحرب . فمنذ القرن الخامس حتى القرن الرابع الميلادى نجد ان الفنون الحربية الأغريقية قد أحدثت انقلابا عظيما ، وذلك من تكتيكات مركبة وفنون حربية جديدة قد حلت محل الفنون الحربية القديمة البسيطة الكلاسيكية ، وذلك منذ أصبح الجندى او الضابط يتخذ الجندية حرفة ، وقد اضيف الى ذلك شىء آخر وذلك أنه منذ الحرب البلو بونيزية (٤٣١ق.م) حتى فتوح « الاسكندر » المقدونى كانت « هيلاس » خارجة من حروب داخلية واضطرابات وثورات اللهم الا فترات سلم قليلة ، وقد كانت الأحوال السياسية والاجتماعية سببا فى ازدياد الفوضى ، ومن ثم ازداد باستمرار عدد جيشه المهاجرين والمطرودين ، وكذلك ازداد عدد المخاطرين . وكان على أثر ذلك التطور ان ازداد لزاما عدد الراغبين فى الأسفار كما ازداد عدد القراصنة .

وقد كان فراعنة « مصر » يعتمدون بدرجة اكثر من الدولة الفارسية على الجنود الأغريقية المرتزقين ، فقد كانت اهم اعمالهم الحربية منذ القرنين السابع والسادس تتوقف على الجنود الأجانب ، يضاف الى ذلك ان قيمة جنود المشوش فى النصف الثانى من القرن الخامس — ولم يكونوا قد نازلوا

العدو حتى الآن مرة واحدة ـ قد ظهرت .

ولا نعرف قط الى أى حد قد استعمل كل من الفراعنة « أمير تايوس » الثانى و « نفريتس » الأول و « بساموتيس » الجنود الأغريق المرتزقين ، على ان هؤلاء الفراعنة لم يستعملوا فرقا عظيمة من الجيوش قط ، وذلك لأن مواردهم كانت محدودة . وقد كان المؤسس الحقيقى للجيش الأغريقى الذى حارب أعداء « مصر » هو الفرعون « أوكوريس » وهو الذى دعا فى عام ٣٨٩ ق.م. القائد الأثينى « خابرياس » ليكون فى خدمته . وقد كانت جهود « خابرياس » بوصفه منظما للجيش وقائدا فى الميدان يرجع اليها الفضل فى كل شىء فى اخفاق أول حملة فارسية ضخمة عام ٣٨٥ـ٣٨٣ ق.م. على (مصر)

وهذا يدل احسن دلالة على سبب طلبهم ابعاد « خابرياس » عن «مصر» عندما شرعوا فى القيام بحملتهم الثانية على أرض الكنانة ، ومنذ هذه اللحظة اخذ الأغريق يلعبون اهم دور فى الحروب التى كان يشترك فيها الفرعون . ومما يستحق الاشارة اليه هنا ان آخر حرب عظيمة قامت بين «ارتكزركزس» لسمى (اوكوس) وبين الفرعون « نقطانب » الثانى كانت فى كل اطوارها الحاسمة فى كلا الطرفين تتوقف على الفرق الأغريقية التى كانت تحارب فيها اذ كان الجنود الفرس والمصريون هناك مجرد عدد لا قيمة لهم . ويظهر من أول نظرة من حيث الموقف الحربى فى العهد الساوى ان الجنود الأجانب كانوا هم النواة الصالحة فى الجيش المصرى . وهذا الموقف بعينه نجده مكررا فى القرن الرابع قبل الميلاد ، غير أنه مع ذلك كانت توجد فروق عميقة الأثر ، أولا من حيث قيادة الجيش نجد ان كل الفرق الأجنبية كانت برياسة القائد الأعلى المصرى . ولم نجد اى اجنبى او اى اغريقى قد قام بدور رئيسى فى عهد الأسرة السادسة والعشرين . ولكن نجد الآن ان « خابرياس » الأثينى

كان وزير الحربية والقائد الأعلى للجيش المصرى ، ولم يكن مرءوسا لأحد قط الا للفرعون « اوكوريس » نفسه ، وبعد مرور عشرين عاما على ذلك نجد ان القائد « اجيسيلاس » قد غضب غضبا شديدا على الفرعون «تاخوس» وذلك لأن الأخير قد حفظ لنفسه القيادة العليا للقوة المحاربة فى « مصر » وترك لأجيسيلاس قيادة الجنود الأغريق وحسب ، فى حين كان « خابرياس » الذى كان فى ذلك الوقت قد جاء من جديد الى « مصر » ليقوم بقيادة الأسطول . وفى عهد الملك « نقطانب » الثانى كان القائد « ديوفانتوس » الأثينى والقائد « لامياس » الأسبرتى هما القائدان الرئيسيان فى الجيش المصرى . وفى الحرب التى قامت فى عام ٣٤٠ق.م. فى « فنيقيا » على الفرس كانت الفرقة المصرية التى ارسلت لمساعدة الفنيقيين بقيادة الروديسى «منتور» وفى الحملة النهائية التى قام بها « أوكوس » على « مصر » كانت المراكز الرئيسية موكلة للجنود الأغريق ، فقد وكل أمر الدفاع عن « بلوز » للقائد الأغريقى « فيلوفرون Philophron » ، ووكل الدفاع عن الحصن الذى عند مصب النيل الى القائد « كوير كليناس Kœr Klinias » وهو الحصن الذى انقض منه كل من « نيكوستراتوس Nikostratos » و « اريستوزانس Aristozanes » على « مصر » .

وهذه الاحوال ترتبط ارتباطا وثيقا مع حقيقة أخرى وهى انه فى عهد الفرعون « بسمتيك الاول » واخلافه كان الأغريق يأتون الى « مصر » كأفراد لم يكن لهم مكان فى بلادهم يأوون اليه ، ولهذا السبب كانوا مضطرين ان يجدوا لأنفسهم وطنا جديدا فى البلاد الأجنبية ، ومن ثم نجد ان الجنود الأجانب فى العهد الساوى كانوا يندمجون فى البلاد المصرية وذلك عندما كانوا يقطنون

فى مستعمرات حربية على غرار جنود المشوش بالضبط ، وهذا يعنى مجرد امتداد لا تغيير فى النظام الذى كان قائما وبهذه الكيفية وجد الأغريق أن ما يبحثون عنه هو مستعمرات يسكنونها ، هذا ولن يغير هذا الموقف مجىء تجار اغريق لمصر من حيث المبدأ .

وقد كانت حالة الجنود المرتزقة فى القرن الرابع تختلف عن ذلك ، وذلك لأن المهاجر الأغريقى فى ذلك الوقت لم يكن يبحث عن ارض يستوطنها بل كان يهاجر فى طلب المال ، ففى المكان الذى كان يجد فيه الربح الوفير كان يحط رحاله ليقدم خدماته . والواقع انهم كانوا يهاجرون من بلادهم لأسباب مختلفة اهمها طلب الرزق وكسب القوت ، ويرجع سبب ذلك الى الحروب الداخلية التى كانت مستمرة مدة طويلة فى بلاد الأغريق .

هذا بالاضافة الى ان الحالة الاجتماعية فى تلك البلاد الضيقة المساحة كانت من أهم الأسباب التى دعت الى هجرة هؤلاء الجنود المرتزقين . وقد كان مطمح آمالهم ان يعودوا الى بلادهم بعد الحصول على الثروة من أى بلد يعملون فيه لمدة محددة . والأمثلة على ذلك لا تعوزنا فلدينا القائد العظيم « خبرياس » الذى جاء الى مصر فى شتاء ٣٨٠ — ٣٧٩ ق.م. وذلك عندما اعلنته أثينا بتوقيع العقاب عليه ان هو بقى فيها . هذا ولدينا مثال آخر وهو ملك اسبرتا «اجيسيلاس» الذى استأجر نفسه بمثابة جندى مرتزق للملك نقطانب ، ثم دعت الاحوال فى بلاده فيما بعد الى عودته فورا ، وكان قد وصل وقتئذ الى ما يرغب فيه من مال وفير جمعه فعاد اليها ولم ينفع رجاء الملك نقطانب الثانى فى جعله يمكث يوما واحدا اكثر من اليوم الذى ازمع السفر فيه الى بلاده . والواقع اننا نرى فى هذه الفترة مجىء جنود ومغادرة

آخرين باستمرار فى الجيش الأغريقى الذى كان يخدم فى مصر . ومن ثم كان لابد على الأقل من تجنيد جزء جديد فى كل حرب هامة ، تقوم بين مصر والفرس ، وعلى ذلك كانت المدة الطويلة اللازمة لتجهيز كل حملة يقوم بها الفرس على مصر لها أهمية خاصة عند الفرعون ليكون على استعداد لملاقاة عدوه .

وهذه الأحوال كان لها تأثيرها على الفرعون نفسه فلقد كان لجماعةالضباط المصريين أثرهم فى الجيش فى العهد الساوى كما ان الجنود الاجانب كانوا ذوى فائدة عظيمة لملوك الاسرة الساوية اذ كان يرتكز عليهم فى استتباب الأمن فى داخل البلاد ، وبذلك نالوا حظوة عظيمة لدى فراعنة هذه الأسرة ولكن الحال كانت غير ذلك فى العهد الأخير من الحكم الفرعونى . فالعلاقاتوقتئذ لم تكن بين الجنود المرتزقة والفرعون بل كانت بينهم وبين رئيسهم المباشر الذى كان يقودهم الى ساحة القتال . واذا كان هؤلاء المرتزقة قد حاربوا مع « تاخوس » أو نقطانب الثانى أو فى صف اعدائهما الذين كانوا يناهضونهما فان ذلك كان يتوقف فقط من جهة الجنود المرتزقة على اجيسيلاس او على من يقدم لهم أحسن أجر . ولا نزاع فى اننا نجد فى ذلك السبب ان المملكة الفرعونية التى قامت فى القرن الرابع قبل الميلاد كانت غير مملكة الاسرة الساوية التى كانت راسخة القدم فى أحوالها الداخلية ، اذ كان يئول عرشها عند تغير الحاكم لمن فى يده القوة والمال .

ومن ثم قامت صعوبة مثل التى وجدت فى المملكة الفارسية التى كانت كالمملكة المصرية فى استخدام جنود مرتزقين بصورة غير مستديمة . وتفسير ذلك ان الأغريق الذين كانوا يعملون فى الجيش المصرى فى العهد الساوى كانوا يتسلمون اجورهم اراضى ومحاصيل طبيعية وكانت مصر تمنح هذه

الأشياء لوفرتها فيها . ولكن اغريق القرن الرابع قبل الميلاد كانوا يريدون تسلم اجورهم نقدا . ويرجع السبب فى ذلك الى انهم كانوا يريدون عند انتهاء مدة خدمتهم وعودتهم الى وطنهم فى بلاد الاغريق ان يكون هذا الاجر النقدى تحت تصرفهم، أى كانوا يريدون ان يتسلموا أجورهم بالنقد الذهبى الذى كان مستعملا فى بلادهم ولكن مصر كانت منذ القدم تعتبر ارض المحاصيل الزراعية التى كانت وسيلتها الرئيسية فى التعامل ، ولم يكن النقد فيها مستعملا وهذه كانت نفس وسيلتهم فى التعامل فى مصر ، فى العهد الفارسى وذلك لأن الفرس فى خلال حكمهم لمصر لم يغيروا شيئا يلفت النظر فى أمورها الداخلية من حيث التعامل. حقا عثر فى مصر على عدد من كنوز العملة الأغريقية فى خلال نهاية القرن السادس والقرن الخامس قبل الميلاد غير ان هذه الكنوز كانت بقدر ما وصلت اليه معلوماتنا تحتوى على نقود من الفضة الخالصة التى يتعامل بها على حسب الوزن راجع (J. Grafton Milne, The Beni-Hassan Coin-hoard, J.E.A. 19, 1933, p. 119-121; 25 (1939) p. 178).

والواقع ان دفع أجور الجنود المرتزقين بقطع من المعدن الثمين المعلومة الوزن لم تكن قط أمرا موفقا اذ أقل ما يقال عن عدم صلاحية هذه الطريقة انها كانت غير عملية ، والآن يتساءل الانسان كيف أمكن حل هذه المسألة ؟ والحقيقة أنه قد وجدت فى « منف » قطع نقود كثيرة تحمل صورا وكتابات هيروغليفية وكانت هذه النقود تحمل على كلا وجهيها علامتين هيروغليفتين وهى « نب نفر » اى الذهب الجميل ، واحيانا كان يرسم على وجه واحد من النقد علامة واحدة وهى صورة حصان يثب وتنطق بالمصرية «نفر» = أى «طيب» أو « حسن » وتأريخ هذه النقود بالقرن الرابع قبل الميلاد ليس فيه أى

شك، وذلك عندما يعوزنا أى مستند ظاهر يدل على تاريخ ضربها. وقد اقترح « مسبرو » ان مثل هذه النقود قد ضرب فى عهد الملك « تاخوس » ، ومن ثم يمكننا ان نؤكد ان فراعنة القرن الرابع قبل الميلاد قد بدأوا يضربون النقود لدفع أجور الجنود الأغريق المرتزقين ، وقد بقى كل الشعب المصرى كما كان من قبل يتعامل بالمبادلة كالمعتاد غير ان هذه النقود التى ذكرناها هنا لم تكن الوحيدة من نوعها التى ضربت فى مصر . فقد وجد فى المتحف البريطانى نقد من الذهب وزنه دريكا عليه صورة الالهة اثينا على احد وجهيه وعلى الوجه الآخر صــورة بومة ومع ذلك الحروف الهجائيه (ت ا و) أى الفرعون « تاخوس » ، وفضلا عن ذلك وجدت عدة قطع نقود من التى تساوى أربعة درخمات فى مصر . وأخيرا عثر فى بنى حسن فى مصر الوسطى على كنز غريب فى بابه يحتوى على أربعة وخمسين قطعة نقد من ذوات أربع الدرخمات . وتدل شواهد الأحوال على أنها كلها ضربت فى مصر مثل النقود الســالفة الذكر فى عهد الملك « تاخوس » . ففى هذا الوقت اذا كانت تضرب نقود فى مصر على الطراز الأغريقى الخالص .

ومن المحتمل ان يحق للانسان ان يضيف الاقتراح التالى وهو ان النقود التى عليها النقوش الهيروغليفية كان مثلها بالضبط كمثل النقود المضروبة فى بلاد اليونان أى لم تكن مصكوكة لمصر بل كانت مصكوكة لبلاد الأغريق. وعلى ذلك يميل الانسان الى الظن ان النقود المصكوكة بالاشارات الهيرغليفيه كانت أقدم، والظاهر انها لم تكن مقبولة أى ان الاغريق لم يكن فى استطاعتهم ان يتعاملوا فى بلادهم بمثــل هذه القطع الغريبــة على مواطنيهم اذ كانوا لا يعتبرونها قانونية ، ويعاضد هذا الرأى ان هذه القطع النقدية لم يوجد منها قط خارج مصر وعلى ذلك فان الجزء الأعظم منها قد صهر لأنه لم يكن صالحا للاستعمال فى المعاملة وافيد منه فى اغراض أخرى . ومن أجل ذلك

أمسك الفراعنة عن ضرب النقود بالطابع المصرى واخـذوا يضربونها على الطراز الاغريقى الأصيل ارضاء للجنود المرتزقين . واذا كان هذا الاقتراح قد أصاب كبد الحقيقة فان النقود التى تحمل طابعا هيروغليفيا تكون قد ضربت فى الزمن الذى سبق «تاخوس» أى فى عهد «أوكوريس» ونقطانب الأول . على ان ضرب النقود مهما كان شكلها يتضمن مقدما معالجة موضوع آخر وذلك أن ضرب النقود كان يحتاج الى معادن ثمينة غير أن الوقت الذى كانت تعد فيه مصر أعظم بلاد منتجة للذهب فى العالم القديم قد ولى وانقضى منذ زمن بعيد ، وقد كانت هذه الشهرة التى كانت تتمتع بها مصر يرجع الفضل فيها الى مناجم الذهب فى بلاد النوبة (راجع مصر القديمة الجزء الثانى ص ١٨٩ — ١٩٥) وهذه المناجم كانت قد نزعت من يد مصر منذ مائة سنة مضت . وفى القرن الرابع قبل الميلاد لم يكن لفراعنة مصر اى نفوذ على هذه المنطقة قط . واذا حدث ان هذه المناجم حفرت فانها بوجه عام كانت تحتاج الى تعب كبير ومشاق جمة بسبب طرق التجارة بين هذه البلاد ومصر . وكان المنجم الوحيد الذى تحت تصرف المصريين فى القرن الرابع قبل الميلاد هو الذى يقع فى صحراء العرب فى الجهة الواقعة شرقى «قفط» و «ادفو» . وهذا المنجم لم يكن غنيا بالذهب [1] وقد كان الموقف بالنسبة للفضة اسوأ . وذلك ان

---

(١) وقد استولى بطليموس الثانى على بلاد النوبة لأجل أن يستخرج من مناجم وادى علاقى الذهب قاصـدا بذلك اعادة السيادة المصرية ، والمشاق التى تفوق حد المألوف التى بذلها البطالمة فى مناجم الذهب النوبية تشير الى قلة اهمية المناجم التى فى الصحراء العربية فى ذلك العهد (راجع M. Rostovtzeff, Social and Economic History of the Hellenic World I p. 382) ولكن من البدهى ان مناجم وادى علاقى لم تكن كافية لسد حاجة الذهب الذى يحتاجه البطالمة (راجع Ibid, p 381-3)

الفضة لم تكن توجد فى مصر الا بقلة اذ كانت تستورد من آسيا الصغرى بكمية قليلة ، وكانت التجارة فيها قد انقطعت عن مصر لأسباب سياسية . هذا وكان فى كل من العصر الساوى والعصر الفارسى تصدير الغلال المصرية عظيما فى مقابل النقود الأغريقية التى كانت تستعمل فى مصر بمثابة مادةغفل، قد انقطعت فى القرن الرابع قبل الميلاد تقريبا وقد استولت أثينا على هـذه التجارة فى القرن الخامس واحتكرتها لنفسها ، وكانت تجلب الآن معظم غلتها من بونتوس (J.E.A, 25 (1939). p. 177-183) اما ما كانت تتسلمه الحكومة من ضرائب فكان يجبى من اقتصاديات البلاد الطبيعية ، وهنا قامت صعوبة عظيمة أمام رجال القرن الرابع قبل الميلاد كان يتوقف عليها مصير مصر .

وما لدينا من مصادر يسمح لنا ان ندرس المشروع العظيم الذى قام به الملك تاخوس فى بلاد سوريا لضمها لمصر وتأليف امبراطورية عظيمة تحاكى امبراطورية تحتمس الثالث ، وقد تحدثنا فيما سبق عن التجهيزات الحربية الجبارة التى قام بها هذا الفرعون ، أما السياسة المالية الخاصة بهذا المشروع وما اتخذ فيها من اجراءات فتتلخص فى الأمور الآتية :

روى عن ارسطو : (راجع Oikonomika II, 2, 25 p. 1350 b, L. 33 ff; 1351 a, L. 1 ff; Kienitz Ibid. p. 119) .

ان الملك تاخوس قد استعمل لحملته الحربية على سوريا الذهب ، ونفذ نصائح القائد « خابرياس » باتخاذ الاجراءات الآتية لجمع المال اللازم :

اولا : فرض ضريبة غلة

ثانيا : فرض ضريبة رءوس

ثالثا : فرض ضريبة على بيع وشراء الغلة وتقدر بفلسين عن كل أردب أى فلس من البائع وفلس من الشارى ؛

رابعا : فرض ضريبة مقدارها عشرة فى المائة على كل سفينة تجارية تدخل الموانى المصرية أى ضريبة دخولية .

خامسا : فرض ضريبة مقدارها عشرة فى المائة على مصنوعات المصانع ويستثنى من ذلك صناعات اصحاب الحرف

سادسا : مصادرة كل المعادن الثمينة غير المضروبة فى كل البلاد وذلك مقابل تعويض اصحابها من دافعى ضريبة الأطيان (وهذه النقطة قد وضحت ببيان ذكره المؤرخ بولونيوس) ؛ فقد نوه كذلك عن مصادرة المعادن الثمينة قائلا عنها ان التعويض لابد ان يقيد لحساب صاحب هذا المال من الضرائب المستحقة عليه أى انها لا تدفع اليه وقت الطلب .

سابعا : يمكن الفرعون بسبب قيام الحرب ان يوقف دفع المعونات التى يدفعها لصيانة المعابد ومعاونة الكهنة، ولهذا السبب كذلك يمكن الفرعون أن يأخذ من الكهنة قيمة هذه المعونة ذهبا ، وفضلا عن ذلك يمكن للفرعون بسبب هذه الحرب أن ينزل عن العشر لمصاريف المعابد وتخصص تسعة الاعشار الباقية للحرب . ومن ثم نفهم ان الفرعون « تاخوس » قد اتخذ اجراءات صارمة تجعل المعابد تورد كنوزها للحكومة .

يضاف الى ذلك ماقيل ان القائد «خبرياس» كان لديه جنود مائة وعشرين سفينة ، ولكنه سرح نصفهم ، وقد اضطر الى هذا العمل ليكون فى مقدوره تموين الباقين من رجال الأسطول بصورة مرضية راجع (Pseudo-Aristotles Oikonomika, 11, 2, 1353 a, L. 19 ff).

والآن يتساءل المرء كيف تتناول بحث كل نقطة من هذا التقرير ؟ (١) .

أولا نعلم من لوحة نقراش التى كتبت فى السنة الأولى من عهد نقطانب الأول ان العشرة فى المابة التى كانت تجبى بمثابة دخل وكذلك العشرة فى المابة التى كانت تحصل ضريبة على الصناعات كانتا قائمتين فى عام ٣٨٠ ق.م. ففى هذا الوقت كان الفرعون يهب بعض دخل ضرائب الدولة من ذلك عشر دخل ما كان يصل من موانى بحر ايجه وعشر الضرائب التى كانت تجبى من مصانع نقراش للالهة نيت صاحبة سايس . ولكن من حيث ضريبة المبانى وضريبة الرءوس وضريبة البيع والشراء فان هناك شك كبير اذا كان ذلك دخل جديد فرضه الملك « تاخوس » ، ولكن من المحتمـــل انه زاد فيها وحسب . أما النقطتان السادسة والسابعة فى هذا التقرير وهما مصادرة المعادن الثمينة التى يملكها الأفراد ، ونزع املاك المعابد فقد اتخذ فيهما قرار فاصل ، وذلك ان الاجراء الذى عمل هنا كان يتطلبه الموقف الحرج الذى كانت فيه البــلاد وقتئذ ، غير ان طريقة تنفيذ هذا الاجراء يدل على ان الذى قام به هو القائد «خبرياس» كمايشير الىذلك ماجاء نقلا عنارسطو (Pseudo Aristotles) . والواقع ان كلا من الاجراءين كان غرضه واحــدا ، أى اكبر كميــة ممكنة من المعادن الثمينة فى أقصر وقت ممكن وذلك لأن مشروع غزو بلاد سوريا كان ممكنا فقط اذا جمع عدد كاف من الجنود الأغريق المرتزقين لهذا الغرض

(٢) راجع عن ذلك Erman - U. Wilcken, Die Naukratisstele A.Z .38, (1900) p. 127-135 ; K. Riezler, Das Zweite Buch der pseudoaristotelischen Oikonomika (Diss. München, Berlin (1906) p. 27-28 b s w. Finanzen und Monopole im alten Griechenland. p. 31-32 ; W. Schur, Klio 20 (1926) p. 282-286 ; Ernst Meyer, A.Z. 67(1931) p. 68-70 & R.E., 2 Reihe, IV, 2. p. 1992-3 "Tachos" ; J. Graftor-Milne J.E.A. 19, (1931) p. 119-121.

وهم الذين كانوا يتطلبون اجورا باهظة . ولاشك ان النقود التى ضربها الملك « تاخوس » كان معظمها من المعادن الثمينة التى ذكرناها هنا ، على أن الحصول على نقود المعابد الاثينية والصور امر يدل من جديد على الدور الذى قام به خبرياس فى هذا الاصلاح الاقتصادى .

ولا شك فى أن الاستيلاء على المعادن الثمينة التى يملكها الأفراد مقابل تعويض أصحابها كان يعتبر اجراء صحيحا وهدفا مفهوما اقتضته ظروف قاهرة لها ما يبررها ، وذلك على الرغم من أن هذا الاجراء قد سبب بعض الامتعاض فى البلاد . وقد كان الاستيلاء على ممتلكات المعابد اخطر اجراء قام به الفرعون وذلك ان مثل هذه المعاملة لرجال الدين تتنافى تماما مع التقاليد الفرعونية التى سبقت عصر تاخوس فى خلال القرن الرابع قبل الميلاد . على ان اقبال «تاخوس» على مثل هذا العمل كان يدل على الرغم من ذلك على حرج موقفه وقتئذ . والواقع انه لم يكن لديه وسيلة للقيام بتنفيذ مشروعه فى بلادسوريا الا باتخاذ اجراءات صارمة . ومع ذلك فانه خاب فى هذه الاجراءات .وعندما قامت الثورة فى مصر التى كان من جرائها سقوطه وتولى نقطانب الثانىعرش الملك فانا نجد هنا تفسير هذا السقوط؛ اذ أقل مايقال فىهذا الصدد أنالكهنة قد جعلوا كل نفوذهم القوى فى كفة الملك المغتصب . وقد علق على هـذا الحادث بعد انقضائه بمائة سنة كاهن بقوله : وقد اصطدم اليسار مع اليمين. وذلك يعنى تصادم الشر مع الخير ، فكلمة اليمين هنا تعنى مصر كما تعنى كلمة اليسار الأراضى الأجنبية . راجع (Kientz. Ibid. Chapter 7 & p. 97, Note 6) .

ومن هذه الحالة التى وصفناها يستنبط الانسان مجرى سياسة الفراعنة

فى خلال القرن الرابع قبل الميلاد . وذلك ان الفرعون تاخوس كان يريد ان يجعل لموطىء قدميه مكانا ثابتا فى آسيا وان يعيد لمصر مجدها الغابر واملاكها الشاسعة هناك . على انه لا الفرعون « أوكوريس » ولا الفرعون نقطانب الأول قد فكر بانتصاريهما فى عامى ٣٨٣ و٣٧٣ ق.م مثل تفكير «تاخوس» . أما نقطانب الثانى فانه فى عام ٣٥٠ ق.م على ما يظهر ، قد أراد أن يستولى على فلسطين وفنيقيا وسوريا، ومن المحتمل كذلك قبرص. ولكن بدلا من ذلك فانه أرسل عددا من الأسرى الفرس الذين وقعوا فى قبضته الا أربعة آلاف رجل . والواقع ان الدولة الفرعونية كانت من الوجهة الحربية فى القرن الرابع قبل الميلاد ، وكذلك من الوجهة الاقتصادية ومن حيث تكوين سياستها الداخلية لم تكن على استعداد للقيام بهجوم حربى واسع النطاق . والواقع ان سياسة الفراعنة فى تلك الفترة كانت التكتل مع كل بلاد شرقى البحر الأبيض المعادين لبلاد الفرس، ومع ذلك فانه على الرغم من ذلك لم يجسر أى ملك من فراعنتها ان يتخطى الحدود الشمالية لبلاده ، بل اتخذوا خطة الدفـاع ، اللهم الا الملك «تاخوس» الذى سار بجيشه على سوريا وحاول الاستيلاء عليها ، غير ان الثورة التى قامت فى قلب البلاد قضت على آماله وافقدته عرش الملك .

المبانى الدينية فى عهد فراعنة القرن الرابع قبل الميلاد

لاحظنا فيما سبق تعدد قيام الثورات فى مصر فى خلال القرن الرابع قبل الميلاد بسبب تولى عرش الملك، فلا نكاد نرى ملكا استمر على عرشه حتى مات حتف أنفه . وقد كان السبب الأساسى لهذا الشر المستطير فى البلاد يرجع الى ان ملوك هذا العصر لم يكن لديهم جيش قائم يعتمد عليه عند هبوب اية ثورة ، ومن اجل ذلك كان الفراعنة فى مثل هذه الحالة السيئة يبحثون عن

قوة يركنون اليها اذا ما قامت ثورة عليهم أو نشبت بينهم وبين جيرانهم حرب. وتدل الأحوال على ان الفراعنة قد وجدوا ضالتهم المنشودة ودرعهم القوى فى رجال الدين الذين كانوا اصحاب الكلمة العليا فى مصر فى كل عصور تاريخها تقريبا ، ومن أجل ذلك كان الفرعون كلما وجد مركزه حرجا وعرشه فى خطر أخذ فى اقامة المعابدوحبس الاوقاف عليها ارضاء للكهنة وبذلك كان فى مقدوره ان يكسب المساعدة الأدبية بل والمادية التى كان ينعم بها رجال الدين فى البلاد ، وتلك كانت عظيمة الى حد بعيد جدا عند قيام ثورة عليه ؛ يضاف الى ذلك انه فى كثير من الأحوال كان المغتصب للعرش يخفى مقاصده وأطماعه تحت ستار الدين . والواقع أن ماذكرناه عن تنصيب الكهنة وحالة تفكيرهم فى العهد الساوى وما كان لهم من قوة وسلطان ينطبق تمام الانطباق كذلك على هذه الطائفة فى خلال القرن الرابع قبل الميلاد . وعلى ذلك كان على الفرعون أن يراعى رغائبهم ويحترم وجهة نظرهم ومقاصدهم سواء أكانت حسنة أم سيئة .

ولابد لنا هنا أن نتحدث باختصار عن مصادر هذه المسألة . ومن الغريب أن الكتاب الاغريق الذين ندين لهم بكل ما نعرفه عن السياسة الخارجية المصرية لهذا العهد وكذلك عن الحروب التى شنها الفراعنة خارج البلاد وداخلها قد التزموا الصمت التام عن هذا الموضوع ؛ فى حين نجد على العكس أن النقوش الهيروغليفية قد قدمت لنا بعض المعلومات فى هذا الصدد وبخاصة عندما نجد فى نقوش المعابد ما يحدثنا عن اهتمام الملك وعنايته بالآلهة .

واول فرعون حكم مصر بعد طرد الفرس فى عام ٤٠٤ق.م هو آمير تايوس الثانى ولم يترك لنا أية مبان تذكارية ، وما ذلك الا لأن موارده كانت قليلة .

وفى عهد خلفه الفرعون « نفريتيس الأول » نجد بعض الانتعاش المتواضع من حيث اقامة المبانى الدينية وبخاصة فى معبد الكرنك كما ذكرنا آنفا . على أن أول ما يلفت النظر بصورة هامة من حيث اقامة المبانى ما شاهدناه فى عهد الملك « بساموتيس »، وقد كان مدعيا للملك عندما قامت الاضطرابات والثورة بعد موت «نفريتيس الأول» ، اذ الواقع أنه فى مدة حكمه القصيرة التى لم تتجاوز عاما قد وجد من الوقت والمال لاقامة مبان تلفت النظر فى معبد الكرنك . وقد كان غرضه من ذلك أن يكسب لجانبه طائفة الكهنة هناك . وسبب ذلك أنه قد وجد أن ذلك له أهمية كبرى اذ بهذه الوسيلة يمكنه أن يضم الى جانبه آجنادا كثيرين لمحاربة المناهضين له فى تولى عرش الملك .

أما الفرعون « أوكوريس » الذى خلفه على العرش فقد ترك بعد حكم دام ثلاث عشرة سنة عدة مبان فى طول البلاد وعرضها . ويدلنا على ذلك ما تركه من نقوش فى محاجر طره والمعصرة فى السنين الأولى من حكمه بوجه خاص ؛ وذلك عندما كان عرشه مهددا من جانب الذين كانوا يدعون وراثة العرش . ولابد أن نضع نصب أعيننا أنه لم يقم ببناء هذه المبانى الدينية وحسب بل كان يحبس عليها الأوقاف والرجال والماشية وغير ذلك مما يلزم لخدمة المعابد واقامة الشعائر فيها .

أما فى عهد الأسرة الثلاثين فنعرف الكثير عن المبانى الدينية التى خلفها لنا الفراعنة . ففى صيف وخريف عام ٣٨٠ ق.م قضى نقطانب الأول على آخر ملوك الأسرة التاسعة والعشرين وأخذ فى يده مقاليد الحكم فى أرض الكنانة وسار بها نحو المجد ؛ ولم تمض الا بضعة أشهر وأسابيع على توليه الحكم حتى أصدر مرسوما ملكيا دونه على اللوحة المعروفة بلوحة نقراش المشهورة

(راجع ص) وتتمدح نقوش هذه اللوحة بقوة هذا الملك بثرائه وتشيد بخدماته للآلهة والمعابد والكهنة ، ثم تتحدث عن تولى الفرعون الحكم باحتفال عظيم فى سايس (صا الحجر) العاصمة القديمة لملوك الأسرة السادسة والعشرين وتنصيب نقطانب فى معبد « نيت » ، ثم يأتى بعد ذلك المرسوم الذى أقيمت من أجله اللوحة وقد قرر فيه أن عشرة فى المائة من ضريبة دخل ميناء « هنون هنت » وعشرة فى المائة من ضريبة النسيج من كل المصانع التى فى نقراش تنقل من ميزانية الخزانة العامة وتصبح وقفا على الالهة نيت ربة سايس وبذلك يصبح لها يوميا ثور عظيم وقربان من النبيذ . ولا نزاع فى أن تلك كانت حقا هدية ملكية عظيمة . ويلفت النظر بوجه خاص أن المتن فى كلا الضريبتين اللتين خصصتا للالهة نيت قد جاء فيه ذكر الذهب والفضة ، ونلحظ فى كلا الحالتين أن الموضوع خاص بالضرائب التى كانت تفرض على التجار الاغريق الذين كانوا يعيشون فى مصر ويجلبون البضائع اليها من الخارج . وهؤلاء التجار كان فى مقدورهم أن يدفعوا الضرائب المفروضة عليهم بالعملة الاغريقية . وعلى الرغم من أن هذه الضرائب كانت مصدر دخل للحكومة من المعادن الثمينة استعملتها الحكومة عند الحاجة الملحة ، فان نقطانب الأول قد نقلها لكهنة نيت ارضاء لهم وبذلك أصبح مدينا بعرشه بدرجة كبيرة للقائد خبرياس وجنوده المرتزقين . ولم تكن الآلهة « نيت » المعبود الوحيد فى « سايس » التى قدم لها الهدايا عند توليه عرش الملك مباشرة بل نجد أن هذا الفرعون قد قدم هدايا للمعبود « حور » فى معبده بأدفو . وقد جاء ذكر ذلك فى عهد الملك بطلميوس العاشر(سوتر الثانى) كما وضحنا من قبل ومن ثم نجد أن السنة الأولى من عهد الملك نقطانب الأول قد لعبت دورا خاصا فى حياته .

اذ الواقع أن هذا الفرعون قد قدم هدايا عظيمة من الأرض فى مقاطعتى باتيريس (الجبلين) وأدفو . وهذه الأراضى التى وهبها كان بعضها قد انتزع من أملاك عظيم مناهض يدعى أحمس (راجع Brugsch, Thesaurus III, p. 538. Pl. 1, 9 & p. 551) .

وعلى الرغم من ذلك فان الأراضى المهداة قد بقيت ملحوظة وتظهر كيف أن الملك من الوجهة السياسية كان يهتم بالكهنة فى الوجه القبلى على الرغم من أهمية هذا الجزء من البلاد بالنسبة له اذا ما قرن بالوجه البحرى .

ويدل ما لدينا من آثار باقية على أن نقطانب الأول قد غمر البلاد المصرية بفيض من المبانى العظيمة وهى التى أوردنا بعضها عند التكلم على آثاره بشىء من التفصيل . ففى معبد « الفيلة » أقام بناء للآلهة ازيس ولا يزال بعضه قائما حتى الآن . وهذا المعبد كان له شهرة عظيمة فى العهد الاغريقى الرومانى بل امتدت هذه الشهرة الى العهد المسيحى مدة عدة قرون .

وفى معبد الكرنك أقام « نقطانب الأول » بوابة ارتفاعها تسعة عشر مترا فى السور الذى يحيط بمعبد آمون الكبير فى اتجاه معبد الاله « منتو » . وقد أتم هذه البوابة الملك « نقطانب الثانى » . هذا ونجد لهذا الفرعون فى « الكاب » و « طود » و « مدينة هابو » و « قفط » و « دندرة » و « العرابة المدفونة » نواويس وقطعا من أحجار منقوشة ومناظر غير ذلك عليها اسم هذا الفرعون . هذا وعثر فى « الأشمونين » على لوحة مؤرخة بالسنة الثامنة من حكمه تحدثنا عن اقامته مبان وحبس أوقاف من السنة الرابعة الى السنة الثامنة فى ثلاثة أماكن مختلفة فى أنحاء هذه المدينة . هذا وقد أقام بولهول لنفسه أمام البوابة التى أقامها رعمسيس الثانى فى

معبد الأشمونين . وفضلا عن ذلك نحت لنفسه بعض تماثيل أكبر من الحجم الطبيعى . هذا وقد عثر له على آثار عدة فى منف وضواحيها .

أما فى الدلتا التى كانت تعد أهم جزء فى البلاد فى هذا العهد فانها على الرغم من أن أرضها لم تحفظ ما أقيم فيها من آثار لكثرة الرطوبة فيها فانها كانت مفعمة بمبانى هذا الفرعون . ومن أهم الآثار التى خلفها لنا فى الدلتا هذا الفرعون ناووس صفط الحناء المشهور ، وهو قطعة واحدة من الجرانيت الأسود أقيم فى معبد الآلهة «سبد» فى بلدة صفط الحناء الحالية وقد تكلمنا عنه .

وفى تانيس فى عام ١٩٤٦ كشف عن بقايا معبد للملك نقطانب الأول وهذه المبانى العظيمة كان الغرض منها أولا سياسيا أى أنها كانت بمثابة هدايا للكهنة ليكونوا فى جانبه وعونا له عند اشتداد الخطوب وقيام الثورات، وذلك أن الفرعون كان فى استطاعته أن يأمل فى حكم البلاد ويحافظ على عرش الكنانة الأيام المليئة بالثورات والاضطرابات بمساعدة رجال الدين الروحية . والواقع أن هذا الموقف من رجال الدين كان هو نفس الموقف الذى وقفه الفراعنة فى العهد الساوى وذلك بأن يظهروا التقى المتناهى ليكسبوا لأنفسهم ميل الكهنة ومساعدتهم لهم لدرء خطر الغزو الفارسى . ومن أجل ذلك كان لزاما على الفرعون ألا يترك تقديم أى قربان أو عمل أى شىء يكون من ورائه كسب رضاء الكهنة وجذبهم الى جانبه ، ومن ثم كان لزاما على أى مغتصب أن ينهج هذه السياسة ولهذا فان كل فرعون فى هذه الفترة كان يجتهد أن يفوق سلفه ليحفظ لنفسه عرش الملك بارضاء طبقة الكهنة ورجال الدين عامة . ولدينا بوجه خاص بعض كتابات فى المحاجر مليئة بالمعلومات من السنين الثالثة والرابعة والسادسة من عهد الملك نقطانب

الأول (وهى السنين ٣٧٨ و ٣٧٧ و ٣٧٥ من حكمه) ، هذا بالاضافة الى نشاطه فى العمارة فى الأشمونين (من السنة الرابعة الى السنة الثامنة من حكمه أى من ٣٧٧ — ٣٧٣ من سنى حكمه) . وهذا يدل بوجه خاص على أنه فى السنة التى كان قد أتم فيها الشطربة الفارسى فارنابازوس الحملة الثانية لغزو مصر أى فى عام ٣٧٣ ق.م لم يحول كل موارده لتجهيز الجيش لمحاربة الفرس ، بل على العكس خصص فى تلك اللحظة الحرجة جزءاقديكون كبيرا لاقامة المعابد .

أما الملك « تاخوس » الذى خلف نفطانب الأول على عرش الملك فانه لم يلتزم خطى والده من حيث اقامة المبانى الدينية . حقا لدينا نقش يقرر لنا فيه أنه قام باصلاحات فى معبد «خنسو» بالكرنك ، هذا بالاضافة الى بعض قطع منقوشة ونقش فى محجر مما يدل على أنه كان يقوم بمجهود متواضع فى بناء المعابد . ولكن من جهة أخرى نجد أن استيلاء الفرعون تاخوس هذا على ممتلكات المعابد كشف النقاب للكهنة عن سوء نيته بالنسبة لهم ولمعابد الآلهة . وقد كان من جراء ذلك أن قامت ثورة فى البلاد أفضت الى سقوطه ، وما ذلك الا لأنه أراد أن يخصص كل موارد البلاد لشئون الحرب والسياسة الخارجية .

وقد كان سقوطه درسا لخلفه نقطانب الثانى الذى اغتصب عرش البلاد فى شتاء ٣٦٠/٣٥٩ ق.م. بعد أن حارب «تاخوس» ومدع آخر منديسى، فقد سار على السياسة التى رسمها نقطانب الأول منذ بداية حكمه فى مصادقة الكهنة ومهادنتهم والعمل على ما يرضيهم بكل الوسائل وقد واتته الفرصة فى الحال لاظهار شعوره الدينى . اذ بعد القضاء بضعة أسابيع على اخماد الثورة مات فى منف عجل أبيس المقدس . وقد كانت عبادة الحيوان فى

العصر المتأخر قد بولغ فيها الى حد بعيد جدا ، وقد كانت عبادة العجل أبيس تعد فى المرتبة الأولى بين عبادة الحيوانات الأخرى فقد اشترك الفرعون شخصيا فى الاحتفال بدفن هذا العجل . وقد أمر الفرعون فى نفس الوقت باقامة معبد فاخر لهذا الاله . وقد حدث ذلك أثناء أن كان ملك الفرس « أوكوس » على رأس جيش لغزو مصر ، وكان على المصريين وقتئذ أن يكونوا على أحسن ما يكون من الاستعداد الحربى واليقظة لدرء هذا الخطر الفارسى .

وبعد انقضاء عام على هذا الحادث أى فى باكورة عام ٣٥٨ ق.م ،أدخل هذا الفرعون على ما نعلم عبادة العجل بوخيس فى بلدة أرمنت التى تقع فى الجزء الجنوبى من البلاد المصرية ، وقد كان العجل بوخيس حتى هذه اللحظة يعتبر الها محليا قليل الأهمية ، غير أن نقطانب الثانى رفعه الى مرتبة أعلى وجعله فى صف ثور « أبيس » وثور « منفيس » ، والواقع أنه لم يدفن ثور من ثيران « بوخيس » باحتفال عظيم كالذى دفن فى السنة الرابعة عشرة من عهد الملك نقطانب الثانى أى فى عام ٣٤٧ ق.م .

وقد حذا « نقطانب الثانى » حذو « نقطانب الأول » فى معبد الاله « حور » فى « أدفو » ، فقد أهدى له ضياعا فى مقاطعات « باتيرس » (السلسلة) و « اسنا » و « ادفو » وعلى ما يظهر كذلك فى مقاطعة الفنتين . ومما يؤسف له جد الأسف أننا لا نعلم فى عهد من منهما حدث ذلك ، ونحن نعلم أن المعبد كان يملك ١٣٠٩ ١/٢ أرورا من الأرض المنزرعة وهذا يعنى ما لا يقل عن ٣٦ ١/٢ كيلو مترا مربعا فى أراضى الصعيد ، وعلى حسب الضريبة المفروضة كان قد خصص مقدارا فى المائة منها للمعبد .

وقد فاقت مبانى نقطانب الثانى بعض الشيء مبانى الملك نقطانب الأول كما يلاحظ ذلك من قائمة المبانى التى أوردناها لكل عند التحدث عن آثارهما . فقد بدأ نقطانب الثانى اقامة المعبد الكبير الذى خلفه لنا فى الفنتين للاله خنوم رب منطقة الشلال . وقد عثر فيه على ناووس لم يتم نقشه بعد صنعه من قطعة واحدة . وفى « الكاب » أقام مبان ، وفى « ادفو » أقام ناووسا من الجرانيت الأسود ، وفى الكرنك أتم البوابة التى بدأها نقطانب الأول كما أقام مبان أخرى ، ونفذ اصلاحات فى مبان كان قد عفا عليها الدهر . وكذلك نجد أن هذا الفرعون أقام مبان فى الواحة الخارجة من بينها بوابة باسمه . هذا وقد ظهر نشاطه فى المبانى التى خلفها لنا فى قفط . أما فى العرابة والأشمونين وأهناسيا المدينة فقد وجد له فيها محاريب . وفى أبيدوس (أبو صير الملق الحالية عند مدخل الفيوم) أقام نقطانب الثانى معبدا للاله بتاح وللاله سوكاريس والاله أوزير . أما فى منف فقد أقام بوجه خاص مبان تحدثنا عنها . وتدل الآثار المبعثرة فى أنحاء الوجه البحرى فى أماكن عدة على مقدار ما أقامه نقطانب الثانى من آثار فى الوجه البحرى مسقط رأسه، ويكفى أن نذكر هنا ما أقامه فى تل المسخوطة (بثوم) وقنتير والطويلة وصفط الحناء وبوبسطة وهربيط وبلبيس وأزيوم (بهبيت الحجر) وسمنود مما فصلنا فيه القول سابقا . وقد استعمل فى كثير من المبانى التى تركها لنا فى هذه الجهات جرانيت أسوان الثمين . ولا تزال توجد قطع ضخمة حتى يومنا هذا فى هربيط والطويلة . هذا ويطيب لنا أن نذكر هنا أن كل معبد « بهبيت الحجر » قد أقيم من الجرانيت ولابد أن نقل هذه الأحجار من أسوان كان يتطلب مجهودا جبارا . هذا ولدينا منشور صدر فى الشهر الثانى عشر من السنة الخامسة من عهد هذا الفرعون (أكتوبر — نوفمبر

عام ٣٥٦) وهو يقدم لنا شاهدا صامتا عن نفوذ الكهنة فى هذا العهد ومعاقبة كل من تعدى على حقوقهم بأشد العقاب .

وأخيرا نشاهد أن الملك خباباشا قد حاول فى مدة حكمه القصيرة أن يكسب الكهنة الى جانبه ولا أدل على ذلك من التابوت الفاخر الذى أهداه للعجل أبيس ، هذا بالاضافة الى اشادة كهنة بوتو باسمه بعد موته بخمس وعشرين سنة . وعلى العكس من ذلك نرى أنه لم يقم أى ملك من ملوك الفرس المتأخرين بأى عمل يدل على اهتمامه بالمعابد المصرية ، ومن أجل ذلك تسلم الاسكندر الأكبر البلاد دون مقاومة تذكر وبخاصة أنه اعتنق دين البلاد وأكرم رجال دينها .

تاريخ بلاد كوش (السودان)

من بداية العهد الفارسى فى مصر حتى عهد فتح الاسكندر الأكبر لأرض الكنانة

تحدثنا فى الجزء السابق من « مصر القديمة » (مصر القديمة الجزء الثانى عشر ص ٤٥١ ــ ٥١٦) عن تاريخ بلاد كوش المستقلة حتى عهد الملك « أمانى ــ تنكاى ــ لبتى » بقدر ما تسمح به المصادر التى فى متناولنا ؛ وسنحاول الآن أن نتابع الحديث عن آثار هذه البلاد وما خلفه ملوكها لنا من تراث حتى فتح « الاسكندر الأكبر » للبلاد المصرية أى الى العهد الذى فقدت فيه مصر استقلالها نهائيا ولم يعد أحد من أبنائها يسيطر على شئونها الداخلية والخارجية حتى عام ١٩٥٢ م .

والواقع أنه على الرغم من أن بلاد « كوش » أو « أثيوبيا » كما كانت تدعى وقتئذ لم تكن متصلة سياسيا بالبلاد المصرية فى الفترة التى نحن بصددها ، على ما يبدو مما وصل الينا من معلومات أثرية ، فان أهلها وبخاصة ملوكها كانوا يقلدون المصريين فى كل مظاهر حياتهم الدينية تقليدا تاما لا لبس فيه ولا ابهام ، كما يبرهن لنا على ذلك مدافن ملوكهم وما بقى فيها من آثار . فقد برهنت محتوياتها على أن الكوشيين كانوا يقيمون كل شعائرهم الدينية على حسب التقاليد والشعائر المصرية حتى بعد القرن السادس المسيحى ، وذلك على الرغم من الحملات المتكررة التى شنتها القبائل والأقوام المختلفة التى غزت هذه البلاد واستوطنتها ؛ يضاف الى ذلك أن اللغة المصرية القديمة قد بقيت اللغة التقليدية حتى الأزمان المتأخرة جنبا

الى جنب مع اللغة المروية التى ظهرت فى البلاد واستعملت قبل العهد المسيحى وظلت عدة قرون يتحدث بها القوم . على أن هذه اللغة على ما يظهر قد أخذت حروفها الأبجدية من اللغة الديموطيقية بصفة مختصرة ؛ ولا يزال كنه هذه اللغة غامضا الى حد كبير ، على الرغم من المجهودات التى بذلت فى الوصول الى كشف النقاب عن أصول الفاظها ومعانيها . وعلى أية حال لم يمكن حتى الآن نسبة هذه اللغة الى احدى اللغات المعروفة التى تحيط بالبلاد الكوشية . فلا هى بالمصرية القديمة ولا هى بالسامية بل تعد نسيج وحدها حتى الآن .

مدينة «مرو» :[1] وتدل شواهد الأحوال على أن العهد الثانى من تاريخ بلاد « كوش » أى منذ أن فقدت سيطرتها على مصر وطردت منها على يد « بسمتيك الأول » قد بدأ حوالى عهد الملك « انلاماقى » الذى تولى زمام الحكم فى « كوش » حوالى ٥٣٨ الى ٥٣٣ ق.م كما ذكرنا فى الجزء السابق من « مصر القديمة » . ومن المحتمل أن عاصمة البلاد ومقر الملك كان قد انتقل الى مدينة « مرو » التى كانت تقع على الشاطىء الشرقى للنيل ما بين الشلالين الخامس والسادس على مسافة أربعة أميال تقريبا شمالى محطة سكة حديد « الكابوشية » الحالية الواقعة فى مركز « شندى » . وضواحى هذه المدينة كانت تمتد حتى « الكابوشية » نفسها ، لأنه يوجد موقع معبد على مسافة ميل شرقى محطة السكة الحديدية الواقعة على شاطىء وادى «هواد» العظيم ، هذا بالاضافة الى وجود معبد آخر فى «همداب» بين «الكابوشية» وقرية « البجراوية» الحديثة، وتقع فى امتداد قلب المدينة القديمة،

---

(١) راجع عن اصل هذه الكلمة وخلطها مع « مروى » التى عند الشلال الرابع The Temples of Kawa II. p. 238 ff.

ومن المحتمل أن كلمة «البجراوية» تشتمل فى ثناياها كلمة مروية تكتب عادة « باكار » ومعناها « ولى العهد » . وأقدم صورة معروفة لدينا لاسم مدينة «مرو» وصل الينا عن طريق الاغريق هى كلمة « بروات » . وقد حدد الموقع الأصلى لهذه البلدة ، وذلك أنها كانت فيما سبق مرسى صالحا للسفن ، فعثر الأثرى « جارستانج » على آثار مرسى مقامة بالحجر فيها ؛ يضاف الى ذلك أنه تقع مباشرة فوق مستوى النيل العالى على شاطىء النهر قصور مسورة يوجد فى شمالها ما يحتمل أن يكون سرادقا عظيما كان يجلس فيه الملك أثناء الأحفال الرسمية ؛ وفى شمال هذا السرادق يشاهد كذلك عمود منفرد من مبنى صغير ينسب الى عهد الملك « تهرقا » . (راجع .Garstang (1913) Third interim report on the Excavations at Meroe, Liverpool Annals of Archeology and Anthropology p. 77)

هذا وتقع شرقى رقعة القصر الملكى خارج جداره من الجهة الشرقية على مسافة مائة وعشرين مترا دمن معبد عظيم للاله « آمون » فى جبل « برقل » (راجع Arkell, A History of the Sudan Pl. 15 a)

وهذا المعبد قد بنى على الطراز المصرى الأصيل ؛ والواقع أنه أقيم على طراز معبد « نباتا » الذى يقع تحت جبل « برقل » . ويلحظ أنه على جانبى موقع المعبد من الشمال والجنوب على مسافة نصف ميل أو يزيد ، تمتد خرائب بلدة « مرو » ؛ وفضلا عن ذلك فان هذه الخرائب تمتد شرقا حتى خط السكة الحديدية .

ويشاهد السائح المدقق أثناء زيارته لهذه الجهة عدة تلال سوداء اللون يخترق أحدها الآن خط السكة الحديد . وهذه التلال السوداء هى رواسب

آكوام الحديد الشهيرة التى تمتاز بها تربة « مرو » (راجع Ibid. Pl. 15 b.)

وقد وصف الأستاذ « سايس » مدينة « مرو » بأنها لابد كانت يوما ما « برمنجهام » بلاد السودان الشمالية من حيث شهرتها بالحديد . راجع (Sayce-1912. Second interim report on the Excavations at Meroe in Ethiopia II. The Historical Results. A.A.A. IV, 53-65) .

ولا نزاع فى أن هذا كان وصفا حقيقيا ، اذ لا مراء فى أنه يوجد حديد بكثرة فى تلال بلاد النوبة المكونة من أحجار رملية . وعند تأسيس مدينة « مرو » لابد كان يوجد خشب وفير لصهر هذا الحديد فى حفر صغيرة فى الجهة الجنوبية الشرقية من المدينة التى يسميها « هردوت » عند وصفه معبد الشمس « مرعى » ، وحيث لا يزال الكلأ والأعشاب تحاول جاهدة أن تنبت هنــــاك .

ومما هو جدير بالذكر هنا أن خرائب اثنين أو ثلاثة معابد صغيرة لا تزال نشــاهد شرقى خط السكة الحديدية . ويرجع تاريخ واحــد من هــذه المعابد على وجه التأكيد الى عدة قرون خلت قبل سقوط « مرو » . وتدل شواهد الأحوال على أنه كان قد أقيم على تل مغطى برواسب الحديد ؛ واذا سلمنا بصحة هذا الرأى فانه يعد شاهدا عدلا على قيام صناعة الحديدفىهذه المنطقة . ولا نزاع فى أن « مرو » كانت المصـــدر الذى انتشرت منه هذه الصناعة الى الجنوب والغـــرب فى كل بلاد « أفريقيــا » الســـوداء . راجع (Wainright. Iron in the Napatan and Meroitic Ages. Sudan Notes and Records Vol. XXVI, 5-36) .

وقد أقيم على السهل الواقع شرقى المعبد السالف الذكر الطوار الضخم

الذى بنى عليه معبد الشمس الشهير ، ثم يأتى بعد ذلك أهرام الجبانة الغربية التى دفن فيها أشراف مدينة « مرو » طوال مدة احتلالها . هذا ويشاهد على مسافة ميل أو يزيد من الشرق صف الأهرام الملكية بصورة جلية مقامة على ربوة عالية تمتد من الشمال الى الجنوب ، وقد دفن فى هذه الأهرام الملوك والملكات الذين حكموا فى « مرو » من حوالى عام ٣٠٠ ق.م وما بعده ، وعندما يصل الانسان الى هذه الربوة يرى عبر واد رملى صغير فى الجنوب الشرقى عددا صغيرا من الأهرام عند سفح تل أسود صغير (راجع Arkell. Ibid. Pl. 13) ، وهذه هى الجبانة الجنوبية القديمة التى كان قد دفن فيها أقارب الأسرة الخامسة والعشرين الذين حكموا « مرو » منذ أقدم عهودها . وهذه الأهرام أقامها ملوك دفنوا فى «مرو» ، وذلك بعد أن بطلت عادة دفن هؤلاء الملوك فى « نباتا » بالقرب من جبل « برقل » المقدس بعد عام ٣٠٨ ق.م . ويمكن مشاهدة المحاجر التى كانت تؤخذ منها الأحجار الرملية لكل هذه الأهرام فى التلال الواقعة شرقى هذه الأهرام فى حين أن المحاجر التى كان يجلب منها الأحجار لبناء المدينة نفسها تقع حول « أم على » شمالا . وعلى أية حال فان كل مبانى هذه الجهات كانت من الحجر الرملى كما سنرى بعد . وتدل الظواهر على أن سكان « نباتا » لابد كانوا قد جمعوا لأنفسهم قطعانا وفيرة العدد جدا من الماشية والغنم والماعز ، كما أنهم لابد كانوا على جانب عظيم من الثراء فى أيام عز دولة « نباتا » وسؤددها . وقد كانت النتيجة الحتمية لذلك أن أخذت أرض المراعى تنقص لكثرة الرعى فيها على شاطىء النهر فى منطقة « دنقلا » مما أدى الى ظهور القحل فى هذه الجهة وتحويل المراعى الى صحراء جرداء، وعلى أثر شيوع هذه الظاهرة أصبح من البدهى أن يكون موقع

مدينة « مرو » أحسن ملاءمة لقيام عاصمة الملك فيه . وقد كان موقع هذه المدينة على أية حال بعيدا من جهة الشمال عن نقطة الجاذبية للمملكة الكوشية بعد أن فقدت سلطانها على مصر . ومما هو جدير بالذكر هنا أن « مرو » فضلا عن أنها كانت أكثر صلاحية لرعى الماشية فانها كانت فى الوقت نفسه مركزا عظيما لصناعة الحديد التى نشأت فيها وقتئذ . ولم تكن طرق صناعة المعدن هناك تعد سرا ملكيا يحافظ عليه بكل تكتم كما كانت الحال من قبل ، بل كانت على مقربة من قلب السودان حيث كانت الأمطار الصيفية الموسمية غزيرة تساعد على نمو محاصيل الغلال الكثيرة .

والسبب الرئيسى الذى أدى الى الظن أن عاصـــمة الملك قد نقلت من « نباتا » الى « مرو » فى القرن السادس وليس فى القرن الرابع قبل الميلاد هو أنه بعد حكم الملك مالناقن (٥٥٣ ــ ٥٣٨ ق.م.) كان متوســـط عدد الملكات اللائى دفن فى «نباتا» ، و «الكورو» و «نورى» قد انخفض فجأة الى أكثر من أربع لكل مدة حكم ملك ، فصار أقل من واحد ونصف لمـــدة حكم كل ملك ؛ ثم بقى بعد ذلك ثابتا . والظاهر أن السبب فى ذلك لم يكن الفقر ، لأن هناك دلائل فقر متزايد توحى بأنه قد جاء شيئا فشيئا . ففى الجبانة الغربية نشاهد مجموعة مقابر كبيرة على غير المعتاد يبلغ عددها أكثر من عشرين من هذا العصر بعينه . وسواء أكانت مصاطب أم أهرام فانه من المستحيل علينا أن نحدد نوعها ، وذلك لأن كثيرا من أحجارها كانت قد نقلت من أماكنها الأصلية . ويحتمل أنها للملكات المفقودة لنا، وقد كانت العادة وقتئذ ان نصف الملكـــات كن يدفن فى « مرو » . ويرجع السبب فى دفنهن هناك الى أهمية « مرو » المتزايدة وطول اقامة الملك فيها مما أوحى الى الأخير

أن يتزوج من ملكات من علية القوم في « مرو » . وكانت هؤلاء الملكات يفضلن بطبيعة الحال أن يدفن فى مسقط رءوسهن . (راجع Dunham, Dows. Outline of the Ancient History of the Sudan V, S. N.R. XXIII, 1-10)

هذا وقد أقيم معبد « آمون » العظيم فى « مرو » فى خلال هذا العهد ؛ وكان معبد الشمس فى هذه الفترة قد أخذ شهرة واسعة . وتدل الظواهر على أنه كان قد أقيم بصورة ما حوالى عهد الملك « اسبالتا » (٥٩٣ — ٥٦٨ق.م). والظاهر أن هذا المعبد كان معروفا لدى « هردوت » فقد أورد ذكره عند التحدث عن حملة « قمبيز » المزعومة على بلاد « أثيوبيا » (راجع Herod, III, 18) وهذه الحملة لا يوجد ما يثبتها لا فى التاريخ المصرى ولا السودانى . وقد وصف لنا « هردوت » مائدة الشمس كما يأتى : « توجد مرعى فى الضواحى مملوءة بأنواع اللحم المطبوخ من كل أصناف من ذوات الأربع ؛ وفى هذا المرعى كان حكام المدينة العديدون لغرض ما يضعون اللحم أثناء الليل والنهار هناك لكل من يريد أن يأكل منها . ويقول السكان ان الأرض نفسها كانت من وقت لآخر تنتج هذه الأشياء ؛ وهذا هو الوصف الذى أعطى لما يسمى « مائدة الشمس » . وهذا حقا وصف لائق لموضع معبد الشمس الذى يقع خارج مدينة « مرو » فى الجانب الشرقى على حافة منخفض من الأرض ؛ وقد وصف حقا بأنه مرعى ، وذلك لأنه حتى يومنا هذا ينمو فيه الكلاء والأعشاب أحسن مما تنبت فى سهل الحصباء المحيط به . وفى مكان آخر يؤكد لنا « هردوت » (راجع Herod. II, 29) أنه فى عصره أى حوالى ٤٥٥ ق.م كانت « مرو » عاصمة « الأثيوبيين جميعا » . وكان معبد الشمس فى صورته

الأخيرة يحتوى على محراب مقام على طوار مبنى يصل اليه الانسان بمنحدر ؛ وأقيم فوق الطوار رواق يحتوى على صف واحد من العمد تدور حول المحراب ، وكان الانسان يصل اليه بسلم مؤلف من تسع درجات ، وكانت جدرانه ورقعته مكسوة بقوالب من الخزف المطلى ، وكانت التى تكسو الجدار ذات لون أزرق خفيف كلون السماء . وفى الجدار الغربى المواجه للمدخل صور قرص شمس أصفر ذهبى اللون كبير . والنقوش التى فيه نقشت باللغة المروية ، غير أنها لم تتم فى مكان واحد ؛ وعلى الجدار الخارجى للطوار مثلت هزيمة الأعداء الذين ذبحوا بطرق مختلفة ، كما مثل موكب نصر ومناظر أخرى يرى فيها أن بعض الأسلحة كانت غريبة وتوحى بأنها على ما يظن كانت أسلحة خاصة ببدو توارج (Tuareg) الذين كانوا يقطنون الشمال الغربى لأفريقيا . هذا ويشاهد على جزء من جدار المحراب قدم الفاتح يطأ رأس أسير يلبس قبعة اغريقية ، وهذه القطعة محفوظة الآن بمتحف « الخرطوم » تحت رقم ٥٠٩٢ . وقد ظن الأثرى « سايس » (راجع Garstang, Sayce and Griffith Ibid. 1911. p. 29) أن هذا النقش يبرهن على تأثير اغريقى ؛ وأشار الى أن « هومر » قد أظهر أن اغريق عصره كانوا يعرفون بلاد « كوش » التى كانوا يسمونها « اثيوبيا » . هذا ونجد فى كل من « الألياذة » و « الأوديسى » وصفا لكوش بأنها الأرض التى ذهب اليها الآلهة لاقامة عيد سنوى . وجاء كذلك فى « الألياذة » ذكر هجرة سنوية للبجع الأوربى كان يقوم بها الى أواسط « أفريقيا » أرض الأقزام . وقد أصاب الأستاذ « سايس » عندما قال ان كل ذلك يوحى بأن التجارة الاغريقية مع « مرو » يحتمل أنها ترجع الى هذا العهد . والواقع أن التجارة تتبع غالبا علم البلاد أينما رفع ، وان كانت كذلك تسبقه أحيانا

كما حدث فى « كرمة » ؛ وعلى ذلك فان هناك أكثر من الاحتمال أن بعض التجار الاغريق الذين صاحبوا الجنود المرتزقين من « الكاريين » حتى الشلال الرابع والخامس على ما يظن قد ذهبوا الى « نباتا » و « مرو » .

وعلى أية حال فان معلوماتنا عن تاريخ هذا العصر قليلة جدا ، وكل ما نعرفه ينحصر فيما استخلصناه من مقابر الملوك وما تركوه لنا فى بعض المعابد القديمة من نقوش تذكارية . وسنحاول هنا أن نصف مقبرة كل ملك من هؤلاء الملوك وما تركه فيها من آثار ، وكذلك ما عثرنا عليه من مخلفات فى جهات أخرى ، ثم نتتبع ذلك بترجمة ما جاء فى اللوحات التى خلفها لنا بعضهم وما نستخلصه منها من نتائج تساعد على فهم حالة هذه البلاد فى ذلك العصر الغامض من تاريخها .

الملك كاركامانى (٥١٣ – ٥٠٣ ق.م)

= كار كامانى

حكم هذا الملك على حسب رأى « ريزنر » عشر سنوات على وجه التقريب ولم يعثر على لقبه فى النقوش التى وجدت له ، كما لا نعرف مما بقى له من آثار صلة نسبه بالملوك الذين سبقوه .

وأقام هذا الملك لنفسه هرما مدرجا من الحجر الرملى فى « نورى » (رقم ٧) ، (راجع Royal Cemeteries of Kush, Vol. II. Nuri 7, fig. 121, Pl. XLVI D) .

وقد أقيم حرمه من الحجر الرملى أيضا .

ومقصورة هذا الهرم بسيطة فى مبناها وليس هناك مايدل على وجود نقوش فيها . وهى مبنية بالحجر الرملى المحلى .

ودائع الأساس : وجد لهذا الملك ودائع أساس فى أركان هرمه الاربعة وتشمل: عظام ثور، وهاون، ومدقة ، ومدلاك، وطاحونة ، وجرار من الفخار، وكئوس ، وأقداح ، وطغراءات منقوشة وغير منقوشة من الخزف المطلى ، وكذلك وجد فيها قطع من النحاس والقصدير الغفل .

ويؤدى الى البناء السفلى للهرم سلم يحتوى على خمس وخمسين درجة

أقيم أمام المقصورة والحرم . ويشمل هذا الجزء من الهرم ثلاث حجرات تتألف رقعتها من طوار منخفض من الجرانيت .

وحجرة الدفن وجدت منهوبة ، غير أن وجود قطع مطعمة بالاضافة الى العثور على عينى مومية يدل على أن صاحب الهرم قد دفن فى تابوت من الخشب بوجه انسان مزين . هذا ولم يوجد أى أثر لحجر يدل على أنه كان هناك تابوت من الحجر فى حجرة الدفن . ويلحظ أنه قد وجد فى القبر عدة أشياء صغيرة من الذهب والفضة والأحجار المختلفة ، كما وجدت لوحة صغيرة من الذهب وتماثيل مجيبة عدة ، سبعة منها فى حالة جيدة ، هذا الى بقايا ثلاثة وخمسين تمثال مجيب أخرى لهذا الملك . (راجع Royal Cemeteries of Kush, Vol. II. p. 161-164; J.E.A. Vol. 35. p. 144, Pl XV No, 32).

الملك أمانى إستابارقا (٥٠٣ — ٤٧٨ ق.م)

أمن — است — با — رق

لم نعرف نسبة هذا الملك لمن سبقه من الملوك .

وقد أقام هرما لنفسه فى نورى رقم ٢ . والظاهر أن جزءه الأعلى لم يبن . والهرم مقام من الحجر الرملى ومجاديله منحدرة ومدرجة ومقامة على قاعدة . وحجمه ٢٧ر٩٠ مترا مربعا (راجع Ibid. Nuri 2, Fig. 126. Pl. XLVIII A., pp. 168 - 171) .

وحرم هذا الهرم مهشم . ومقصورته مقامة من الحجر الرملى ولها بوابة . وقد وجد على جدرانها نقوش متآكلة . ويشاهد على الجدار الجنوبى من داخلها صورة الملك جالسا متجها نحو الشرق .

ودائع الأساس . وقد عثر فى حفر الأساس التى عملت فى زوايا الهرم الأربع على عدة أشياء أهمها عظام عجل وجرار من الفخار ، وأقداح وأطباق وهاون من الحجر الرملى ومدقة ، كما عثر على طاحونة ومدلكة ، ولويحات من المعدن وأخرى من الحجر ، وطغراء للملك من الخزف المطلى منقوشة ، ونماذج لبنات ، وحجر الدم ، كما وجدت فى حفرة واحدة فأس من الشبه والخشب .

ويؤدى الى المبنى السفلى لهذا الهرم سلم أقيم فى الجهة الشرقية ومكون من ٥٥ درجة والاثنتا عشرة الأولى منها مبنية وسدادة الباب مبنية أيضا .

ويؤدى الباب الى ثلاث حجرات : الأولى مســـاحتها ٤٫٩٠×٤٫٣٠ مترا وسقفها مقبب ، وكان كل من جداريها الجانبيين منقوشا بالألوان ، غير أن الكتابة محيت تقريبا . والحجرة الثانية مساحتها ٥٫٥٠×٥٫٩٠ مترا والثالثة ٧٫٨٠×٦٫١٠ مترا وسقفها مقبب ، هذا ويوجد فى محور الحجرة طوار كان معدا لوضع التابوت عليه . (راجع Ibid. Pl. XLIX, F) .

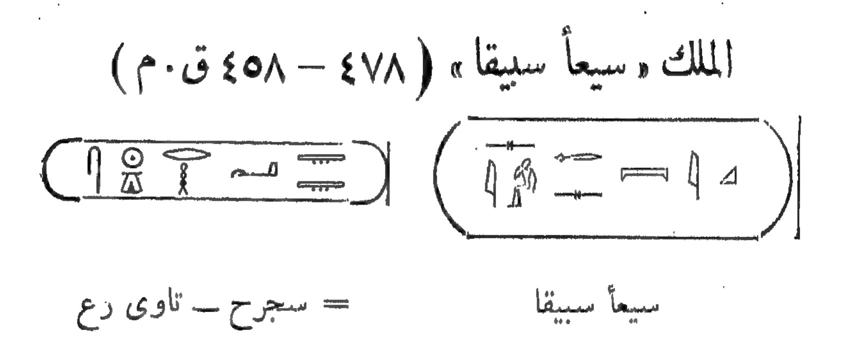
وقد وجدت حجرة الدفن منهوبة تماما . وعثر فيها على عينى مومية ، كما عثر على تماثيل مجيبة مهشمة من الخزف المطلى نقش على بعضها الفصـــل السادس من « كتاب الموتى » (راجع Ibid. fig. 197 & Fig. 202) .

ووجد لهذا الملك لوحة من الجرانيت قيل أنها كانت فى المقصورة ولكنها نقلت فيما بعد الى الكنيسة القبطية فى تلك الجهة رقم ١٠٠ . وقد استعملت هناك بمثابة بلاطة فى رقعة الكنيسة . ويبلغ ارتفاعها ١٣٧ سنتيمترا وعرضها ٧٠ سنتيمترات . (راجع Ibid. Subsidiary Building 100, 4; Ibid. p. 267, Fig. 211, Pl. LXVIII) .

هذا وعثر على عدة أشياء فى المبنى السفلى لهذا الهرم فى حجرة الدفن وخارجها من بينها تعويذة مصنوعة من الزبرجد نقش فيها عمود من البردى بالنقش البارز ، ودون عليها الفصل المائة والستون من « كتاب الموتى » ، غير أنها ليست كاملة ، ويبلغ ارتفاعها ٦٫٢ سنتيمترا وعرضها ٤٫٥ سنتيمترا وسمكها ١٫٤ سنتيمترا (راجع Ibid. Pl. CXVII, h, i J ; Text. Fig. 128)

وأخيرا عثر على كثير من التحف الصغيرة مما تركه اللصـــوص وراءهم مبعثرة فى القبر وحوله . (راجع Ibid. p. 168. Fig. 127 & 128)

الملك « سيعأ سبيقا » (٤٧٨ – ٤٥٨ ق.م)



سيعأ سبيقا = سجرح – تاوى رع

لم يعرف للملك « سيعأ سبيقا » صلة نسب بالملك الذى سبقه .

أقام هذا الملك لنفسه هرما فى نورى رقم ٤ من الحجر الرملى ، ويتألف من مداميك مدرجة على قاعدة مكونة من مدماك واحد . وكذلك أقام حرم هرمه من نفس الحجر السابق ، وقد هدم ولم يبق منه الا الأساس . وحجم هذا الهرم يبلغ ٢٦٫٩٥ مترا مربعا .

وقد أقام له مقصورة من الحجر الرملى لها مدخل ذو قنوات وبوابة ، وقد هدم هذا المبنى ولم يبق من مبانيه الا مدماكان . ويدل ما بقى منه على أنه كان مزينا بالنقوش المكتوبة على ملاط أبيض مذهب وملون . وعثر فى هذه المقصورة على لوحة من الجرانيت ساقطة على الأرض من كوتها وجزؤها الأعلى مذهب . وتدل شواهد الأحوال على أنه كان يوجد أمام هذه اللوحة مائدة قربان من الجرانيت ، هذا بالاضافة الى قاعدتين من الجرانيت للقربان أيضا .

ودائع الأساس . وجد فى أركان هرم هذا الملك كما هى العادة فى معظم أهرام هذه المنطقة ودائع أساس تحتوى على عظام عجل ، وجرار من الفخار وأقداح وأطباق وهاون ومدقة من الحجر الرملى ، وطاحونة من الحجر

ومدلاك ، ولويحات من المعدن والحجر عارية عن النقش ، وطغراء من الخزف المطلى منقوشة باسم الملك ، ولوحة من حجر الدم (همتيت) ، وكتلة من الراتنج . .

ويؤدى الى المبنى السفلى لهذا الهرم سلم مؤلف من تسعة وأربعين درجة . ويشمل هذا الجزء السفلى ثلاث حجرات الأولى مساحتها ٤ر٩٠ × ٤ مترا وهى مسقوفة ورقعتها مكسوة ، والثانية مساحتها ٥ر٨٠×٩ر٥ مترا وهى مسقوفة أيضا ، والثالثة مساحتها ٦ر٥٠×٦ر٦٥ مترا ، وكل هذه الحجرات عارية عن النقوش . هذا وقد عثر فى حجرة الدفن على قطع مرصعة من غطاء مومية المتوفى ، والظاهر مما لدينا من بقايا الدفن أن تابوت المومية كان على شكل انسان ومرصع بالأحجار . أما اللوحة المصنوعة من الجرانيت التى وجدت ملقاة على الأرض فى المقصورة فيشاهد فى جزئها الاعلى قرص الشمس المجنح الذى يتدلى من أسفله طغراء الملك وصلان ، وفى أسفل من هذا منظر مثل فيه أوزير على عرشه تحرسه « ازيس » و « أنوبيس » ، وأمامه مائدة قربان ، ويشاهد على اليمين وعلى اليسار الملك « سبعا سبيقا » يتعبد الى « أوزير » ، وفى أسفل المنظر متن مؤلف من ٢٧ سطرا تتحدث عن القربان التى قدمها هذا الملك للالهة المختلفين . ويبلغ ارتفاع هذه اللوحة ١٣٠ سنتيمترا (راجع Nuri, Ibid, Pl. LXIX. Inscription fig. 212)

واللوحة محفوظة الآن بمتحف « الخرطوم » تحت رقم ١٨٥٨ .

وقد عثر فى هذا الهرم على بقايا مما نهبه اللصوص وتنحصر فى أشياء جنازية تدل على أن هذا القبر كان مجهزا بجهاز فخم مما يوحى بأن بلاد « كوش » كانت وقتئذ غنية . ونذكر من الأشياء التى بقيت لنا ما يأتى :

حوالى ٢٨٣ قطعة مطعم بعضها باليشم ، وجزء منها من اللازورد ، وآخر من الزبرجد والأردواز . وكذلك وجدت بعض عيون مصنوعة من المرمر وحجر الأبسديان ، كما عثر على تعويذة من الذهب الخالص ، وجعران قلب من حجر الثعبان نقش عليه أحد عشر سطراً بالمصرية القديمة ، وهى عبارة عن الفصل الثلاثين من كتاب الموتى ، هذا بالاضافة الى أحد عشر تمثالا مجيبا باسم الملك صاحب الهرم .

وقد وجدت مائدة قربان مبنية فى الجدار الشمالى الغربى للكنيسة القبطية ، هذا الى قاعدتى مائدتى قربان فى المقصورة ، وقد نقش على كل منهما طغراء الملك .

(راجع Ibid. Nuri 4. pp. 176-180; J.E.A. Vol. 35. p. 147)

ومن المحتمل ان الملكة (؟) « بيعنخى قوقا » صاحبة الهرم رقم ٢٩ فى « نورى » هى زوج هذا الملك (راجع Nuri. Ibid. Fig. 137, Pl. XLVII & p. 180-182) .

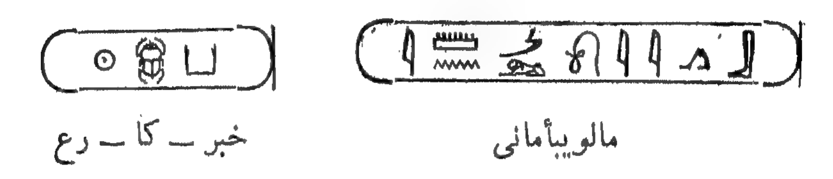
الملك ناساخما (٤٥٨ — ٤٥٣ ق.م)

خلف الملك « ناساخما » الملك سيعأ سبيقا (؟) على عرش الملك وقد أقام لنفسه هرما فى نورى (رقم ١٩) من الحجر الرملى على قاعدة مؤلفة من مدماك واحد . ومداميك وجه هذا الهرم منحدرة ومدرجة ، وبناؤه ردىء . وقد أقيم كل من حرمه ومقصورته من الحجر الرملى . ولم نعثر على ما يدل على ان المقصورة كانت مزينة بمناظر أو نقوش . وحجم هذا الهرم ٩٫٧٣ مترا مربعا .

ودائع الأساس . لم يعثر فى ودائع أساس هذا الهرم على عظام حيوان كما هى العادة ، ولكن وجد فيها هاون من الحجر الرملى ومدقة وجرة من الفخار وآنية واطباق وقدح من الخزف المطلى عار من النقوش ، كما وجدت طغراءات من الخزف المطلى منقوشة باسم الملك، هذا الى لويحات غير منقوشة من الخزف والمعدن والحجر وعجينة الزجاج، وكذلك أطباق من الشبه ونماذج آلات . (راجع (.SW) Nuri. Ibid. Pl, LIF)

ويؤدى الى المبنى السفلى لهرم هذا الملك سلم مؤلف من ثلاثين درجة ، ويحتوى هذا الجزء السفلى على ثلاث حجرات متوسطة الحجم، وقد وجدت حجرة الدفن منهوبة تماما . وليس لدينا ما يدل على دفن الملك فى حجرته الا الطوار الذى كان يوضع عليه التابوت والتماثيل المجيبة. (راجع عن الأشياء التى وجدت فى هذا الهرم Nuri 19. p. 184-186; J.E.A. Vol. 35 p. 145)

الملك مالويبأمانى (٤٥٣ ـ ٤٢٣ ق.م)



مالويبأمانى　　　　خبر ــ كا ــ رع

يحتمل ان هذا الملك هو ابن الملك «ناساخما» السالف الذكر وابن الملكة « ساكاعايا » صاحبة الهرم رقم ٣١ بجبانة « نورى » (راجع Nuri. Ibid. p. 199 ff) .

أقام هذا الملك لنفسه هرما فى نورى رقم ١٩ (راجع Nuri. Ibid., 194) من الحجر الرملى على قاعدة مؤلفة من مدماك واحد . ومداميك وجه هذا الهرم منحدرة ومدرجة . وكذلك أقيم حرم الهرم ومقصورته من نفس الحجر الذى بنى منه الهرم . والمقصورة لها بوابة لاتزال ترى بقايا مناظر على كلا وجهيها من الشرق ، منها صورة اقدام رجلين يواجه الواحد منهما الآخر ، وكذلك لوحظ ما يدل على وجود حيــوان بينهما (Ibid. Pl. LIII A) . هذا وتوجد كوة فى الجدار الغربى للمقصورة خاوية . واللوحة التى كانت فى هذه الكوة وجدت فى الكنيسة القبطية ، (راجع Nuri 100, No. 3, Pl. LXX A) وهى مصنوعة من الجرانيت . وهى مستديرة فى أعلاها ، وصور عليها الملك يقــدم القربان للاله « أوزير » الذى مثل فوقه قرص الشمس المجنح وقد نقش عليها ٢٧ سطرا ، غير ان نقوشها تآكلت ، ويدعى « ريزنر » انه قرأ اسم هذا الملك عليها .

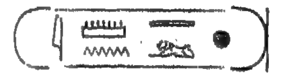
ودائع الأساس : وجــد فى الحفــر التى فيهــا ودائع الأساس عظام ثور

ومدلاك من الحجر الرملى وطاحونة وهاون ومدقة من الحجر ، كما وجدت جرار من الفخار واقداح وأطباق ، هذا بالاضافة الى لويحات من الحجر والمعدن غير منقوشة ، وطغراءات من الخزف المطلى ، ونماذج آلات من المعدن (راجع Ibid., Pl. LIII F,G)

البناء السفلى للهرم: يؤدى الى البناء السفلى الذى تحت الهرم سلم مؤلف من خمس وستين درجة اقيم امام كل من مقصورة الهرم وحرمه . ويحتوى هذا البناء على ثلاث حجرات كبيرة الحجم ليس لها اسكفات . وقد وجدت حجرة الدفن منهوبة تماما . ويدل ما وجد فى مكان الدفن من قطع مطعمة من الحجر وعين مومية من المرمر على ان المتوفى كان قد دفن فى تابوت من الخشب على هيئة انسان .

هذا وقد عثر على عدة قطع اثرية صغيرة مما تركه اللصوص بعد نهب حجرة الدفن والمقصورة ، نذكر منها أوانى من الفخار فى أحجام مختلفة وخرز ، وحوالى مائتين وخمسين تمثالا مجيبا من الخزف المطلى بعضها سليم وبعضها الاخر مهشم ، ونقش على كل منها الفصل السادس من كتاب الموتى بخط خشن والمتن الذى عليها غير عادى (راجع Ibid , 196-197 ; L. E. A. Vol 35, P. 145 , Pl. XVI. no 44.).

الملك تالخامانى (٤٢٣ — ٤١٨ ق.م)



من المحتمل ان « تالخامانى » خلف أخاه الملك « ماليو بأمانى » (راجع
Nuri 16, Ibid. Fig. 159 Pl. L.V.A. p. 206 88).

اقام هذا الملك لنفسه هرما من الحجر الرملى على قاعدة مؤلفة من مدماك واحد فى جبانة « نورى » رقم ١٦ ومداميك وجه هذا الهرم منحدرة ومدرجة وكسوته قد تآكلت وحجمه ١١٨٠ مترا مربعا ، ويلحظ ان هذا الهرم صغير جدا بالنسبة لسلمه ومبناه السفلى ، ولذلك يظن ان التصميم الأصلى له كان اكبر من مساحته الحالية .

وحرم هذا الهرم ومقصورته مبنيان بالحجر الرملى . ووجدت لوحة من الجرانيت الخشن فى كوة فى الجدار الغربى للمقصورة وهى محفوظة الآن بمتحف « بوسطن » (راجع J.E.A., Vol. 35, p. 147; Nuri, Ibid. Pl. LVB, p. 206) وقد لوحظ ان جدران المقصورة عارية عن النقوش

ودائع الأساس : وجد فى امكنة ودائع اساس هذا الهرم جمجمة وربع ثور . هذا ولم يعثر فيها على فخار ، ولكن وجدت لويحات صغيرة خالية من النقوش مصنوعة من المعدن والحجر ، كما وجدت قطعة من حجر الخلدكونى (العقيق الأبيض) . ويؤدى الى المبنى السفلى لهذا الهرم وهو الذى يحتوى على حجرات الدفن ، سلم مؤلف من سبع وأربعين درجة . ويحتوى هذا المبنى على ثلاث حجرات كبيرة الحجم ، ويوجد فى الحجرة الثالثة منه مصطبة من

الصخر . هذا وليس لدينا دلائل واضحة تدل على دفن المتوفى فى هذا الهرم.

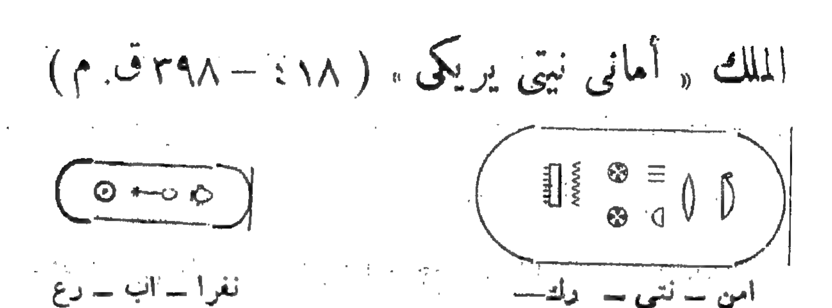
ويلفت النظر انه قد عثر على جعران قلب من الحجر الرملى المائل للصفرة باسم الملك أمانى — ناتاكى — لبتى (راجع Ibid. fig. 160; Pl. CXXIV c.) وتدل شواهد الاحوال على ان قبر هذا الملك الأخير كان قد نهب قبل عهد الملك تالخامانى .

وقد وجدت عدة آثار صغيرة فى قبر الملك «تالخامانى» من السام والمرمر، كما وجد له ست وثمانون زهرة على هيئة ازرار من السام المذهب ، وكذلك وجدت له أشياء كثيرة أخرى مذهبة فى أشكال مختلفة (راجع Ibid. Fig. 160)

اما اللوحة التى وجدت فى مقصورة هرمه وهى التى سبق ذكرها فقد نقشت نقشا سطحيا ، وقد تآكل بعض اجزائها . ويشاهد فى اعلاها المستدير قرص الشمس المجنح وتحته منظر يمثل الملك يقدم القربان لأوزير قاعدا يحرسه اله والهة . وفى أسفل هذا المنظر متن مؤلف من عشرة أسطر هيروغليفية جاء فيها : طاهر ، طاهر قربان الاله الفاخر «أوزير خنتى امنتى» الاله العظيم رب «العرابة». طاهر طاهر قربان أوزير الفاخر الملك «تالخامانى» المرحوم مما يعطى الماء ومما تعطى الأرض ، ومما يعطى التاسوع الاكبر والتاسوع الأصغر ، ومما تعطى معابد الوجه القبلى ومما تعطى معابدالوجه البحرى . ليتهم يعطون فيضا الخ (راجع J.E.A. Vol. 35. p. 174;)

وسنرى من نقوش خلفه الملك « امانى — نيتى — يريكى » انه مات وهو فى السنة الواحدة والاربعين من عمره فى قصره بمدينة « مرو » .

الملك « أماني نيتي يريكي » (٤١٨ – ٣٩٨ ق.م)



يحتمل ان الملك اماني ـ نيتي ـ يريكي هو ابن الملك « مالويبأماني » وهو يعد من الملوك القلائل الذين تركوا لنا آثارا هامة غير هرمهم .

اقام هذا الملك لنفسه حرما فى « نورى » (رقم ١٢) (راجع Nuri, 12, Fig. 162, Pl. LV D, p. 211 ff.) ويبلغ حجمه ٤٥ر٢٦ مترامربعا، ويمتاز هذاالهرم بأنه اضيف الى حجمـــه الأصلى زيادة ثانية من الخارج . ومما هو جـــدير بالملاحظة أن قاعدة المدماك الخارجي للهرم أعلى بنحوثلاثين سنتيمترا عن قاعدة الهرم الأصلى الداخلى قبل الزيادة . وهذا الهرم مبنى كباقى الأهرام الأخرى التى فى هذه المنطقة من الحجر الرملى المحلى

وحرم هذا الهرم ومقصورته أقيما كذلك من نفس الحجر الرملى المحلى والمقصورة لها بوابة . وقد حفظت جدرانها الى ارتفاع حوالى مترين ، غـــير أنها لم تتزين بنقوش . ووجدت أحجار منقوشة فى سلم الهرم الذى يؤدى الى المبنى السفلى، هذا وقد وجد على قطع العتب وغيرها القاب هذا الفرعون (راجع Nuri. Ibid. Fig. 162, Pl. LVI DE) ومما تجدر ملاحظته هنا ان القاب هذا الملك التى وجدت فى مبنى هرمه تختلف عن التى وجدت له فى معبد الكوة كما سنرى بعد . وقد وجدت فى الجدار الغربى للمقصورة كوة خالية ، وكان امامها فى الأصل مائدة قربان من الحجر الرملى زحزحت عن مكانها الى الركن الجنوبى الشرقي للمقصورة ، هذا وقد عثر على الأشياء التالية فى مكانهـــا

الأصلى فى المقصورة : (١) قاعدتا مائدتين للقربان على هيئة سيقان بردى ذات قنوات على قاعدتين مستديرتين كسر أعلاهما وفقد . (٢) حوض بيضى الشكل من الحجر الرملى فى هيئة طغراء (٣) قطعة مكعبة من الحجر الرملى فى طرفها الغربى بالوعة مستديرة (راجع Nuri., Ibid. Pl. LV. F)

ودائع الأساس : وجد فى أركان الهرم فى أماكن ودائع الأساس عظام ثور ، وهاون من الحجر الرملى ، ومدقة ، ومدلاك من حجر الدم وطاحون ، وجزة من الفخار ، وأطباق ، واناء من الشبه فى ثلاثة أركان من أركان الهرم ، ولوحة صغيرة عارية من النقش مصنوعة من الخزف . هذا بالاضافة الى لويحات من الحجر والمعدن غير منقوشة ، وكانت فى الأصل موضوعة فى لبنة مذهبة ، ونماذج آلات من الشبه ، وقصدير غفل ، وشمع شهد ، وكتلة من الراتنج والأخيرة وجدت فى ركنين من أركان الهرم .

والمبنى السفلى لهذا الهرم يؤدى اليه سلم مؤلف من سبع واربعين درجة ويحتوى على ثلاث حجرات كبيرة لم يكشف عنها تماما خوفا من تداعى بناء الهرم نفسه . ولم يكشف حتى الآن عما يدل على وجود دفن فى هذا الهرم . ووجد فى دمن هذا الهرم عدة أشياء نخص بالذكر منها مائدة قربان صورت عليها قربان بالنقش البارز فى وسطها ، ونقش على حافتها متن يحتوى على طغراء صاحب الهرم (راجع Nuri. Ibid. ig. 163. Pl. LXXXI No. 2)

وكذلك وجد لهذا الملك جزء من تمثال مجيب نقش نقشا خشنا يحتوى على صيغة القربان فى أربعة أسطر (Ibid. fig. 197, fig. 203 Pl. CXI)

جاء فيها : قربان ملكى يعطى أوزير أول أهل الغرب ليمنح قربانا لأوزير الملك « أمانى — نيتى — يريكى » المرحوم . هذا وقد وجدت له عدة أوان من الفخار ذات اشكال مختلفة فى ردم الهرم (راجع Nuri, Ibid. 12, p. 211-215, fig. 163; J.E.A. Vol. 35. p. 142)

الآثار التى خلفها هذا الملك فى معبد الكوة [1]

عاصر الملك « أمانى — نيتى — يركى » العهد الفارسى الأول فى مصر أى عهد الأسرة السابعة والعشرين ، وقد ترك لنا نقشا طويلا مؤرخا بالسنة الأولى والثانية من حكمه وهو فى قاعة العمد لمعبد T الذى أقامه تهرقا وهذا المتن الطويل يقص علينا انتخاب « أمانى — نيتى — يريكى » ملكا على بلاد النوبة وقمع فتنة قامت بها قبيلة « رهرهس » على أثر موت الملك « تالخامانى » ، وبعد أن توج الملك الجديد فى جبل « برقل » حارب قوم « المجا » فى واقعة خلال سفرة قام بها لتفقد أحوال البلاد . وقد وصل فى أثناء هذه الرحلة الى مدينة جمأتون ثم « بنوبس » ، وفى عودته أقام عيدى الشهر الثانى من فصل الفيضان فى جماتون (الكوة) ، ومهد طريق مدخل المعبد بوساطة الأهالى والجيش ، وكانت الرمال قد غمرتها ، وكان يعمل بنفسه على رأس جيشه مدة عدة أيام ، وبعد ذلك يقص علينا المتن قصة موكب فاخر أقيم ليلا ، وكذلك رحلة الأم الملكية كما وصفت القربان لنا التى عملت للمعبد والاصلاحات التى نفذت فيه ، وهذا ما سنشرحه هنا :

والمتن الذى نحن بصدده طويل ويتألف من ستة وعشرين ومائة سطرا دونت

---

(١) راجع Kawa I, Text. p. 50 ff.

أسفل المنظر الذى يظهر فيه الفرعون « تهرقا » يقدم المعبد للآله « آمون » . وتبلغ مساحة هذا النقش ١٠و١٠×٢٢٧و٧ مترا . والمتن مفهوم فى ألفاظه الى حد ما ، وهو يقدم لنا عدة نقاط من المعلومات الهامة عن حالة بلادالنوبة فى نهاية أسرة « نباتا » . وهذه المعلومات تكاد تعد الوحيدة التى فى متناولنا عن المدة التى تقع بين بداية القرن السادس وبداية القرن الرابع قبل الميلاد ، يضاف الى ذلك أن هذه النقوش تقدم لنا تاريخا لتولى هذا الملك عرش الملك، ويمكن تحديده فلكيا بعام ٤١٥ق.م على أساس التواريخ التى وضعها الأثرى « ريزنر » لهذا العهد ، ومن ثم يمكن أن نضع تاريخ ولادة « آمان — نيتى — يريكى » حوالى عام ٤٥٦ ق.م.

وتسهيلا لفهم هذا المتن الطويل نقسمه فقرات بعناوين مختصرة : (١) تاريخ الملك ولقبه — موت « تالخامانى » — ثورة قوم « رهرهس » — انتخاب « أمانى نيتى — يريكى » ملكا

الترجمة : (من عمود ١ — ٢١)

(١) السنة الأولى الشهر الثانى من فصل الصيف، اليوم الرابع والعشرون فى عهد جلالة حور (المسمى) كانخت — خع — م — واست ، والسيدتان (المسمى) المستولى على الأراضى كلها ، حور الذهبى (المسمى) وعف خاسوت — نبوت (٢) ، ملك الوجه القبلى (المسمى) نفر — اب — رع ، ابن رع (المسمى) « أمانى — نيتى — يريكى » ، ليته يعيش أبد الآبدين محبوب آمون رع الذى فى « جمأتون » (الكوه الحالية)

(٣) والآن حدث فى عهد جلالته أن جلالتـــه كان (قاطنا) بين الأخوة الملكيين ، وهو شاب لطيف جذاب المحبة ، وهو كهل فى الواحدة والأربعين

من عمره ، عندما صعد الصقر الى السماء أى مات الملك « تالخامانى » المرحوم (٥) فى قصره الذى فى « مرو » ، فى الوقت الذى ثار فيه سكان الصحراء ، وهم الأعداء من قوم « رهرهس » ، على جلالته (٦) فى شمالى هذه المقاطعة (أى مقاطعة «مرو») ، حاملين معهم كل ما يمكن أن يجدوه من ماشية وقطعان ورجال . وعندئذ ذهب الى القصر جيش جلالته وضباط جلالته ، وقال هذا الجيش لضباط (٨) جلالته : « الى أين نحن ذاهبون . انا جائلون كقطيع من غير راع ، و (٩) ورئيسنا ليس فى وسطنا فى حين أن (أعداء) الصحراء .... (١٠) ان رغبتنا هى أن نقدم له عرش (هذه الأرض) . ان والده (آمون) قد نصبه (ملكا) وهو فى فرج (أمه) ابن رع (أمانى — نيتى — يريكى) (١١) ليته يعيش أبديا . انه سيدنا ... (١٢) الابن (؟) الممتاز لآمون ، « مالويبأ مانى » (١) (المرحوم) وأنه هو الذى يغذيك ... (١٣) قطيع ؛ سيد الـ ... النوبة ... (بانيامثل) (١٤) عارفا النصائح مثل (تحوت) ، ...

وبعد ذلك فان (ضباط) (١٥) هذا الجيش (قالوا) ، : « ان كل ما قلنه حقا » . وهكذا .... الجيش ... (١٦) فى داخله . فذهبوا الى الضباط ... (١٧) فى وسط الجيش . وعمدوا (؟) الى قصر جلالته ... (١٨) سيد الأراضى . وقال جلالته لأحد رجال البلاط عند لحظة الـ ... (١٩) ان رغبتى هى أن أشاهد والدى « آمون رع » (رب عروش الأرضين) الذى فى (الجبل) المقدس لبلاد النوبة ... ملك ... لأنه (٢٠) قد أعطانى ... فقالوا له: ان والدك «آمون» يعطيك كل ... (٢١) الاعجوبة الجميلة التى

---

(١) لابد ان السبب فى ذكر « مالويبامانى » هنا انه كان له صلة بالملك « امانى — نيتى — يريكى » فقد كان اما والده أو أخاه

حققها لى والدى (آمون) فى ال ... شهر الشتاء اليوم التاسع عشر (اليوم) الذى ظهرت فيه بوصفى ملكا » .

(ب) هزيمة قوم « رهرهس » والشكر على ذلك (من عمود ٢١ — ٣٥)

(٢١) ... الشهر الثالث من فصل الصيف اليوم الثانى (؟) فى (الصباح) وبعد ذلك (٢٢) أتوا ليخبروا (جلالته قائلين) ان سكان الصحراء الثائرين الذين فى شمالى هذه المقاطعة وهم الذين ثاروا على جلالته ، زاحفون ، (حول) هذه المقاطعة بكل أنواع الماشية والقطعان وكل أنواع الرجال والمتاع معهم بعدد لا يحصى » ، وقالوا لجلالته : « انهم أهل الصحراء هم الذين يحاصرون (٢٥) هذه المقاطعة : وانهم أكثر عددا من الرمل » (فقال) جلالته : « تعال الى يا والدى « آمون » . انك أعطيتنى الملك حقا . (٢٦) امنحنى قوتك وسلطانك فى وسط أعداء الصحراء الذين حول هذه المقاطعة » .

وبعد ذلك أرسل الجيش (٢٧) ليلتحم معهم فى معركة ، فى حين أنه بقى فى قصره ولم يذهب لمنازلتهم . وعندئذ أوقع (٢٨) جيش جلالته مذبحة عظيمة (بينهم) ... فهرب أهل الصحراء وولوا الأدبار فارين . ودخل جيش جلالته فى وسطهم ، موقعا (٣٠) القتل فيهم . واستولى كل الرجال الشباب وكل النساء الذين كانوا فى هذه المقاطعة (٣١) على كل الغنيمة التى يرغبون فيها من ماشية .. من كل الأنواع . وقد سر جلالته لذلك (٣١) غاية السرور قائلا : « ان والدى « آمون » ... (قد سمح) لى أن أشاهد سلطانه هذا اليوم ، و (٣٣) فرحت الأرض قاطبة (قائلة) : « مرحبا بالملك الجديد ! (٣٤) انه جميل المحيا حقا ، وان مثيله لم يولد من قبل ، وان « آمون » (والده) « وموت » أمه ، و « ازيس » أمه (٣٥) وانه « حور » حقا ... لم يحدث فى زمنه » .

(حـ) سياحة الملك الى « نباتا » وتتويجه (الاعمدة من ٣٥ — ٤٣)

(٣٥) ... السنة الأولى الشهر الثالث من فصل الصيف اليوم التاسع عشر (٣٦) ذهب جلالته الى الجبل المقدس (ليؤدى شعائرا) لوالده « آمون رع » رب عروش الأرضين ، (٣٧) ووصل الى الجبل المقدس فى الشهر الثالث من فصل الصيف ، اليوم الثامن والعشرين : وذهب جلالته الى القصر الملكى (٣٨) وأعطى القبعة الرسمية (؟) (الخاصة ببلاد النوبة ؟) ، وذهب الى معبد والده « آمون (٣٩) رع » الذى فى الجبل المقدس ، وقال جلالته فى حضرة هذا الاله: «لقد أتيت أمامك، ياوالدى الفاخر، ياوالد الآلهة لتعطينى الملك بوصفى سيد الأرضين (لانك) الملك المحسن بين الآلهة والناس » . وعندئذ قال هذا الاله الفاخر : « انى أمنحك الملك (٤١) بوصفك سيد الأرضين ، وانى أضع الجنوب والشمال والغرب والشرق وكل ... و(كل) الممالك الجبلية تحت نعليك » . (وبعد ذلك قدم له (٤٢) وليمة عظيمة من الخبز والجعة والثيران والطيور وكل الأشياء الطيبة . وقدم خداما وخادمات ... (٤٣) وكثيرا من كتان الوجه القبلى والوجه البحرى (أمام) هذا الاله

(د) زيارة بلدة « قرتن » — معركة مع « البيجا » . الوصول الى « جمأتون » — ثلاثة أيام أعياد . — (الاعمدة من ٤٣ — ٥٥) .

(٤٣) ... السنة الثانية الشهر الأول من فصل الفيضان اليوم التاسع . (٤٤) انحدر جلالته فى النهر واضعا النظام فى كل مقاطعة وصل اليها ، و (جاعلا) كل الآلهة والالهات يظهرون (فى موكب) ، ثم وصل الى هذه المقاطعة المسماة « قرتن » (بين « نباتا » و « جمأتون ») .

الشهر الأول من فصل الفيضان اليوم السابع عشر فى الصباح . كان جلالته فى قصره . وحدث هجوم من جانب سكان الصحراء الغربيين الذين يطلق عليهم اسم مدد (= البيجا) ، وبعد ذلك شاهدوا جلالته وهربوا لأن الخوف من جلالته (٤٧) دخل فى قلوبهم . وانقض جيش جلالته فى وسطهم وأوقع مذبحة عظيمة فيهم لايحصى عددها ، ولم يحزن على شاب من جيش جلالته . (أى لم يمت من جيشه فرد) . (٤٩) الشهر الأول من الفيضان اليوم السادس والعشرون فى وقت المساء . وصل جلالته الى « جمأتون » ورحب الرجال والنساء بجلالته ، (٥٠) وذهب جلالته (الى معبد) والده « آمون رع » صاحب « جمأتون » . (وقدم) (٥١) قربانا عظيما من الخبز والجعة والثيران والطيور وكل (شىء) طيب وأمر بمنح هذا الاله عيــــدا مدة ثلاثة أيام . وبعد ذلك قال له (هذا الاله) : « انى (أعطيك) (٥٢) كل أرض الجنوب والشمال والغرب والشرق » . ثم أعطاه قوسا وسهامه من البرنز ...... الجنود (؟) (٥٣) ، وهذا الاله قال له : « انى أعطيك هذا القوس (ليذهب) معك فى كل مكان ستذهب اليه . (و) قال (جلالته له) (٥٤) « امنحنى حياة طويلة على الأرض واعطنى كما فعلت للملك « الارا » (المرحوم) فقال له (٥٥) : « انى أفعل لك كل شىء ترغب فيه» . وقال جلالته لهذا الجيش : « مجدوا أنتم والدى («آمون») صاحب « جماتون » .

(ذ) زيارة « بنوبس » — تقديم الأقاليم المستولى عليها « لآمون رع » صاحب «بنوبس» ... الشهر الثانى من فصل الفيضان (٥٦) اليوم الأول. وبعد ذلك وصل جلالته الى مقاطعته المسماة «بنوبس» وذهب الى معبد والده (٥٧) « آمون رع » الذى فى « بنوبس » . وقدم قربانا عظيما من الخبز والجعة والثيران والطيور وكل شىء جميل لوالده « آمون » ؛ وأمر (٥٨) بظهور هذا الاله . ثم قال له هذا الاله : « انى أمنحك الملك وانى أعطيك كل أرض

الجنوب والشمال والغرب والشرق » وأقام له (٥٩) خمسة أيام أعياد وقدم اثنى عشر خادما وخادمة . ولفة (خرد) من الكتان ولفة نسيج « هرت » وآلة ؟ (وشب) كبيرة من الشبه و (٦٠) أربعين ماشية أمام هـذا الاله ، وعلى أثر ذلك قال هذا الاله لجلالته : « امنحنى (١) الأقاليم التى استولى عليها بمساعدتى » فقال جلالته (٦١) فى حضرة هذا الاله : « انى أعطيك كل الأقاليم التى استولى عليها بمساعدتك هذا اليوم وكذلك كل الناس » .

قائمة بهم (٦٢) :

« جر ــ امن ــ ست »

« ســكت »

« ثرهت »

وأسر « مورس » وهم (٦٣) حاملو الصناجات أمام هذا الاله .

(هـ) . العودة الى « جمأتون » ــ أعياد شـهر بؤنة ــ تقديم الأقاليم المستولى عليها ــ الحفائر عند مدخل المعبد . موكب الليل ــ موكب النهار ــ (الأعمدة من ٦٣ ــ ٨١)

(٦٣) فى .... الشهر الثانى من فصل الفيضان اليوم الثالث والعشرين أقلع جلالته مصعدا فى النيل الى « جمأتون » وأمر (٦٤) بظهور هذا الاله الفاخر . وبقى جلالته فى هذه المقاطعة جاعلا هذا الاله يظهر فى كل عيد من أعياده فى الشهر الثانى من الفيضان . (٦٥) وقال هذا الاله الفاخر لجلالته .

---

(١) يظهر من هذا الطلب جشــع الكهنة وما كانوا عليه من قوة فى تلك الفترة .

« امنحنى أنت الأقاليم والناس الذين استوليت عليهم بمسـاعدتي » وقال جلالتـه فى حضرة (٦٦) هذا الاله : « انى أعطيك الأقاليم والناس الذين استوليى عليهم بمساعدتك هذا اليوم قائمة بهم ! »

« مركـر (١) »

(٦٧) « ارثكز »

« اشنمث »

« جركن »

أسر « ارم » (٦٨) وتاى ــ ا ــ نبت وأسر « ار .... »

واناء قبى من البرنز

وثلاث أوان « ثاب »

(٦٩) خمسة وعشرون رجلا

وأربع لفات « خرد » من الكتان

و « برهق » مصرى

وقد وجد جلالته أن طريق (٧٠) هذا الأله قد استولى عليه الرمل مدة اثنتين وأربعين عاما وان هذا الاله لم يسر على طريقه ...... (٧١) هذه المقاطعة. وعلى ذلك استخدم(؟؟) الجيش والرجال والنساء مع الأولاد الملكيين والعظماء (٧٢) لنقل الرمل، ونقل معهم جلالته الرمل بيده هو فى مقدمة جيشه لمدة (٧٣) أيام عديدة، وهو واقف على سلم (؟) هذا الإله يقوم بالعمل أمامه ، وفتح طريق هذا الاله . ..

---

(١) كل هذه البلاد التالية مجهولة لنا تماما وكذلك انواع الهبـات من النسيج والآلات

الشهر الثانى من فصل الفيضان ، اليوم الأخير من الشهر : أمر بظهور هذا الاله الفاخر وخرج هذا الاله . ولف هذا الاله حول مدينته فى موكب ، وهذا (٧٦) الاله الفاخر فرح فرحا شديدا فى وسط هذا الجيش ، وقلبه فرح (؟) أمام والده هذا الاله الفاخر ، وصاح الرجال والنساء (٧٨) قائلين : ان الابن قد اتحد مع والده ! . وذهب هذا الاله ليستريح فى داخل قصره .

الشهر الثالث (٧٩) من فصل الفيضان ، اليوم الأول من الشهر . أمر باظهار هذا الاله الفاخر فى الصباح وذهب حول مدينته ، وهذا الاله الفاخر فرح (٨٠) فرحا عظيما فى وسط الرجال والنساء . ورفع جلالته يديه فى فرح أمام هذا (٨١) الاله الفاخر ، والرجال والنساء صاحوا ورجع هذا الاله الى بيته .

(و) زيارة الملكة — الملك يتحدث مع «آمون» ويقدم قربانا :

(الاعمدة من ٨١ — ١٠٦) :

(٨١) ••••• والآن فان جلالته ••••• (٨٢) اخت ملك وسيدة مصر وأم الملك ••••••• و (فرحت) وسعدت عند (٨٣) رؤية ابنها متوجا ملكا ••••••• « مان نيتى — يربكى » (٧٤) ليته يعيش ابديا متوجا على عرش « حور » مثل « رع » أبد الآبدين .

الشهر الثالث من فصل الفيضان ، اليوم السابع . جلالتـــه •••••••• (٨٥) (قال ؟) : تأمل ألك منبطح •••••••• » ••••••• قائلا : « تعال الى مساعدتى ، يا والدى آمون . اعطنى (٨٦) كل البلاد الأجنبيـــة التى

تثور .... اضــغ الى ودع (٨٧) هــذه الأرض تســعد فى زمنى ..... افغل ..... ووقف (جلالته) ولم يكن هناك آخر غيره معه (٨٨) ولكن هو وحده . وأغلقت البواب عليه عندما تلى (؟) ...... فى الصباح وفى المساء (٨٩) ولم يعطر نفسه بالمر لمدة أربعة أيام . و (الجيش وحتى الرجال) والنساء ، والأطفال الملكية (٩٠) وكل رجال بلاط القصر انبطحوا أمام هذا الاله ، ولكن لم يعطروا (٩١) أنفسهم بالمر . والرجال الرؤساء التابعين لجلالته عبدوا .... لأجل أن يجعلوا قلب (٩٢) هذا الاله مرتاحا مع جلالته ويجعلونه يصغى لكل ما قاله جلالته .

الشهر الثالث : من فصل الفيضان ، اليوم .... قدم جلالته قربانا عظيمة أمام هذا الاله . وأغلقت أبواب هذا المعبد ..... (ثم دخل جلالته و) قال كل ما كان (٩٤) فى قلبه أمام هذا الاله . وفتحت أبواب هذا المعبد ، وقال جلالته لرجال بلاط القصر « قدموا (٩٥) المديح لوالدى « آمون » لأنه يعطينى .... بدون .... وحيــاة طويلة ؟ دون أى ألم (٩٦) فيها ويعطينى كل مملكة تثور على ..... جلالتــه ..... « أخبامانى(١) » ، والكهنة خدام الاله وكتبة سجلات المعبد ذهبوا ..... المعبد ..... قولوا أنتم كل (شىء) قاله والدى « آمون » لى (٩٨) فى وسط كل جنوده وعلى ذلك (ذهبوا) وقصوا كل شىء (فى وسط) هذا (الجيش) . جلالته (٩٩) والحاشية وكل جنود جلالته ..... (هذه) المقاطعة(؟) ..... هذا (؟) الاله (؟) « ودخل جلالته المعبد (١٠٠) ليقدم قربانا أمام والده « آمون » . وقد أدى جلالته شعيرة طلق البخور أمام أنف (والده) هذا الاله ؛ وهذا الاله (قال) : « انى أمنحــك كل الحيــاة (١٠١) وقال جلالته لرجــال

(١) أحد الاشراف الذين اشتركوا فى الحفل .

حاشية القصر وللكهنة والكاهنات خدام الاله وللكهنـة المرتلين : قدموا الثناء (١٠٢) لوالدى آمون (وزينوا أنفسكم ؟) عند وقت طلق البخور لأنفه ..... فانهم لا يأتون (؟) وانى أقول (١٠٣) أمام والدى آمون . « مر أن يأتى الى فعلا ..... وأنا أتكلم فى هذه اللحظة . وقد أمر كل الناس أن يقولوا لى (١٠٤) : « انك ستعيش ، وانه يعطينى كل الحيـاة من نفسه » ، وعلى ذلك قاموا بالخضوع لجلالة ابن « رع » « أمان ــ نيتى ــ يريكى » فى حضرة والده (١٠٥) « آمون رع » صاحب « جمأتون » لأجل أن يمنحه كل الحياة و (كل) الثبات والعافية وكل الصـحة وكل السعادة وكل .... ملايين الأعياد الثلاثينية العديدة جدا والظهور على عرش « حور » (١٠٦) مثل « رع » أبد الآبدين .

(ز) . الاصلاحات البنائية ــ وقف المعبد . الجزء الختامى (من العمود ١٠٦ الى ١٢٦) .

(١٠٦) ..... والآن وجد جلالته أن (بعض المقاصير) (؟) قد أصابها البلى فى هذه المقاطعة (١٠٧ وأقامها من جديد . والآن فان جلالته ...... طيب .... « آمون » (؟) (١٠٨) جزية الـ ..... (بلاد لوبيا ؟) تأتى الى .... (ذهب وفضة (؟) (١٠٩) وشبه وملابس ونبيذ الى ...... (١١٠) أعطى أوقافا منها ..... (١١١)واحد كبير ... وخمس أوانى « دنت » ..... « جاتى » ..... (١١٢) نبيذ طيب منوم .... ١٣ (؟) .... ملابس حور .... ودخل جلالته (١١٣) المعبد ليقدم قربانا .... جميع .... (١١٤) وقال جلالته أمام هذا الاله .... الى (؟) ... الممالك .... اعمل من أجلى (١١٥) كما فعلت للملك « كشتا » المرحوم ..... وقال هذا الاله الطيب « انى أعطيـك » ..... (١١٦) لـه .

وقال له : «انى أعطيك (كل) أرض (الجنوب والشمال) والغرب والشرق . وانى أعطيك كما أعطيت (؟) الملك (« كتشتا » المرحوم) (١١٧) وهذا الاله الفاخر قال لجلالته « .... للقصر » .... قال ... (١١٨) أمر كاهنا ليحمله للقصر .... قال .... للقصر . وقال هذا الاله ان (١١٩) لا يحمله رجل للقصر ، ولكن الملك نفسه .... خرج الى .... (هذا) المعبد (؟) .... معه (١٢٠) فى وسط جيشه .... آخذ ..... ذهب رجال البلاط ..... (١٢١) انى أقول لك (؟) ان والدى « آمون » قد أعطانى .... معك الى (؟) ..... وجلالته يفعل (؟) بالمثل (؟) ....

(١٢٢) الشهر الثالث من فصل الفيضان ، اليوم الثالث والعشرون.... هذا الاله ..... (قال ؟) جلالته فى حضرة هذا الاله (١٢٣) « تأمل (؟) انك ستحضر كل الأشياء بقوة ساعدك ...... « آمان — نيتى — يريكى » (١٢٤) قائمة بما وضعه جلالته أمام (هـــذا الاله) ..... (١٢٥) مع .... (؟) .... (١٢٦) اثنان وأربعون خادما وخادمة و ...... »

(٢) نقش آخر للملك « أمان — نيتى — يريكى » . دون على جدران المعبد على هيئة حرف T الذى أقامه « تهرقا » على الواجهة الجنوبية من عارضة الباب الشمالية بين الردهة الأولى وقاعة العمد .

وهاك النص :

(١) السنة .... شهر .... يوم .... فى عهد جلالة « حور (المسمى) » « كا — نخت — خع — م — واست » (٢) السيدتان (المسمى) اث — تاو — نبو ، حور الذهبى (المسمى) قاهر كل البلاد الأجنبية ، ملك الوجه القبلى والوجـــه البحرى (المســـمى) « نفر — اب — رع » (٣) ابن « رع »

(المسمى) « أمان — نيتى — يريكى » ليته يعيش أبديا محبوب (« آمون رع ») الـذى فى « جمأتون » (٤) معطى الحياة مثل رع أبد الآبدين . والآن تكلم جلالته فى حضرة هذا الاله الفاخر (٥) لوالده « آمون رع » الذى فى « جمأتون » المحبوب ومعطى الحياة مثل رع أبد الآبدين . والآن تحدث جلالته فى حضرة والده (؟) (٦) « آمون رع » صاحب « جمأتون » قائلا « انى أعطيك (؟) •••• (٧) •••• مجموع ٧٢ صلا (؟) . وصلى من أجل (٨) كل شىء (؟) طيب ، وحياة طويلة وصحة حسنة وسعادة عظيمة لملك الوجه القبلى والوجه البحرى نفر — اب — رع (٩) ابن « رع » أمانى — نيتى — يريكى » ليته يعيش أبد الآبدين .

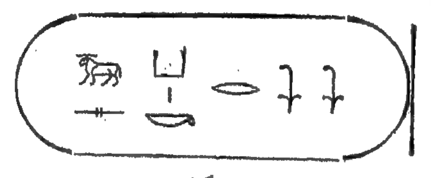
(٣) ويوجد نقش ثالث لهذا الملك كذلك فى معبد « تهرقا » (T) على الوجه الشمالى لعارضة الباب الواقع بين الردهة الأولى وقاعة العمـــد وهاك النص :

السنة ٢٥+س ، الشهر الثانى من فصل الفيضان ، اليوم العاشر ، فى عهد جلالة (حور كانخت — خع — م) واست (٢) ، السيدتان (المسمى) « اث — تاو — نبو » . حور الذهبى (المسمى) قاهر البلاد الأجنبية كلها ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (المسمى) « نفر — اب — رع » معطى الحياة مثل رع أبد الآبدين ، الواحد المختار ، الملك صاحب الآثار الجميـــلة فى « جمأتون ... التاسوع ، ابن « آمون » محبوب « آمون رع » صـــاحب « جمأتون » (٤) ابن « رع » « أمانى » — نيتى — يريكى » ليته يعيش أبـديا . وهو واحـد فى مقدمـة مليـون رجـل فى (عظم) رغبتـــه ليعمـل مقرا لكل الآلهة ، معطى كل الحياة والثبات والفـلاح منه ، (٥) وكل السعادة منه (والظهور على) عرش « حور » أبديا . وقال جلالته فى

حضرة (هذا الاله) : « انى أعطيكماية وواحد وأربعين عجــلا ومايتين وعشرين ثورا بالغة تماما (٦) .... « لآمون رع » صاحب « جمأتون » . يا أيها الآلهة ويا أيتها الآلهات .... (٧) .... (؟) ... « آمون رع » صاحب « جمأتون » . « برع » ... (٨) ... هم ... هو ... ال (٩) .. قائلا « يا آمون رع » صاحب « جمأتون » ... (١٠) ... أنت ... « آمون رع .... » .

وهذان النقشان ليس فيهما ما يلفت النظر أكثر من ان هذا الملك اراد ان يظهر استعداده لخدمة الاله « آمون » والالهات وتقديم القربان ارضاء للكهنة وتقربا من الآلهة ، وفضلا عن ذلك قصد بتدوينهما تخليد اسمه كما هى العـادة .

الملك « باسكا كرنن » (٣٩٨-٣٩٧ ق.م)



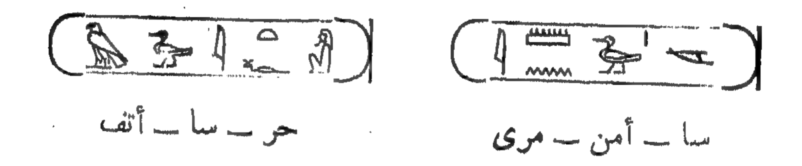
= ساس كارنن

لم يعرف لقب هذا الملك فى النقوش التى خلفها لنـــا وهو ابن الملك « مالوبيأ مانى » الذى تحدثنا عنه سالفا ، والأخ الأصغر للملك « أمانى ــ نيتى ــ يريكى » .

وقد دفن فى هرمه الذى يحمل رقم ١٧ فى جبانة « نورى » . وقد أقيم هذا الهرم من الحجر الرملى على قاعدة مؤلفة من مدماك واحد ، وقد أصاب كسوته العطب ؛ وجوفه محشو بالحصا والتراب . ويبلغ حجمه ٣٠ر١٢ مترا مربعا . وأقيم كذلك كل من حرمه ومقصورته من الحجر الرملى . ويوجد فى الجدار الغربى للمقصورة كوة لها كورنيش وقرص شمس وأطلال . وكان قد أقيم فيها لوحة من الجرانيت وجدت ملقاة على الأرض (راجع Nuri, Ibi Pl. LVII E) ، وأمامها مائدة قربان من الفخار الخشن مكسورة ؛ والمبنى السفلى لهذا الهرم يؤدى اليه سلم يحتوى على اثنتين وثلاثين درجة فى شرقى المقصورة ، وبعض درج هذا السلم مبنى من الحجر فى الجــزء السفلى ، والباب الذى يؤدى الى هذا المبنى السفلى مستدير ويحتوى على حجرتين الأولى مساحتها ٦٠ر٤ × ٨٠ر٣ مترا والثانية مساحتها ٣٠ر٥ × ٦٠ر٣ مترا وبها مصطبة فى محورها يحتمل أنه كان يوضع عليها تابوت المتوفى . والظاهر أن حجرة الدفن قد نهبت نهبا تاما ولم يبق بها الا غطاء اصبع واناء احشاء مهشم وهذان هما الشيئان الوحيدان اللذان يدلان على أنه قد حدث دفن فى هذا الهرم .

هذا وقد وجدت فى أنحاء الهرم من الداخل والخارج أشياء صغيرة مما تركه اللصوص نخص بالذكر منها بعض قطع من آنية من المرمر وقاعدة آنية من المرمر أيضا . هذا الى بعض أوانى من الفخار وقطع تماثيل مجيبة وجدت فى رقعة حجرة الدفن الثانية . وأخيرا وجدت لوحة من الجرانيت محفوظة الآن بمتحف «الخرطوم» مصنوعة من الجرانيت الرمادى وجزؤها الأعلى مستدير مرسوم عليه قرص الشمس المجنح وفى أسفله يشاهد من جهة اليمين الملك يتعبد أمام مائدة عليها خبز ، وفى الجهة اليسرى يشاهد الاله « أوزير » والالهة « ازيس » . وفى أسفل هذا المنظر نقشت سبعة أسطر بالخط الهيروغليفى جاء فيها : « قربان يقدمه الملك لأوزير أول أهل الغرب والاله العظيم رب الشرق لأجل أن يعطى كل شىء طاهر جدا .... أوزير الملك « باسكاكرنن » المرحوم الخ . وارتفاع هذه اللوحة ٦٥ر٥ سنتيمترا وعرضها ٣٥ سنتيمترا وسمكها سنتيمترين . (راجع Nuri, Fig. 168. Pl. LVII D, p. 218 ff; J.E.A. Vol. 35. p. 142).

الملك « حرسيوتف » (٣٥٩ — ٣٦٢)



سا ــ أمن ــ مری   حر ــ سا ــ أتف

من المحتمل أن الملك « حرسيوتف » هذا هو ابن الملك « أمان ــ نيتى ــ ريكى » السالف الذكر وقد أقام لنفسه هرما من الحجر الرملى على قاعدة مؤلفة من مدماك واحد فى جبانة نورى ويحمل رقم ١٣ . وواجهة الهرم ذات مداميك مدرجة ويبلغ حجمه ٢٦ر٤٠ مترا مربعا . ومما يجب ملاحظته أن بناء هذا الهرم ردىء وقد تداعى بنيانه بدرجة عظيمة .

وقد أقام صاحبه حوله حرما من الحجر الرملى ورصف المساحة التى بين الحرم والمقصورة من الجهة الشرقية .

ومقصورة هذا الهرم مبنية كذلك من الحجر الرملى وقد خرب معظمها . وتدل شواهد الأحوال على أنه كان لها بوابة مستدير أعلاها . وقد لاحظ الأثرى « ريزنر » كاشف الهرم أن المقصورة كانت مزينة بالنقوش الهيروغليفية ، وكذلك بصور ملونة بالألوان الأحمر والأزرق والأصفر ، وقد عثر فعلا على قطعة حجر من هذه المقصورة نقش عليها جزء من طغراء هذا الفرعون .

ودائع الأساس . تشمل ودائع هذا الهرم التى كانت فى حفر فى أركانه الأربعة على جمجمة وربع ثور ، وطاحون من حجر الدم ، ومدقة ، وجرة من الفخار وصحن عميق ، وأطباق ، ولوحات صغيرة من المعدن والحجر والزجاج وكلها عارية عن النقوش . كما وجدت آلات من النحاس والحديد وكتلة

من النحاس الغفل . ويلفت النظر أن الحفر التى كانت فيها هـذه الودائع خارجة عن أركان الهرم مما يوحى أن تصميم هذا الهرم كان فى الأصل أكبر من هيكل الهرم الحالى .

ويؤدى الى المبنى السفلى لهذا الهرم سلم يقع كله شرقى حرم الهرم ولم يتم كشف هذا المبنى السفلى حتى الآن تماما لأن مبانيه خطرة وآيلة للسقوط .

وعثر فى حجرة الدفن على غطاءى أصبعين من الذهب يشتملان على عظام اصبعين ، كما وجد جعران قلب وصورة درة من التى تكون عادة فى قبضة « أوزير » وهى من الذهب ؛ يضاف الى ذلك بعض قطع مطعمة مما يدل على أنه كانت توجد مومية بجهازها . ويحتمل أن الصندوق الذى كانت فيه كان على صورة انسان . وقد ترك لنا اللصوص بعض قطع من متاع المتوفى من الذهب نخص بالذكر منها جعران قلب مصنوع من الحجر الرملى نقش على قاعدته الفصل الثلاثون من « كتاب الموتى » فى عشرة أسطر باسم ملكة لم يعرف اسمها بعد ، ونقش على ظهر هذا الجعران اسم الملك « حرسيوتف » . (راجع Nuri, Ibid. 171, Pl. CXXV B) . والظاهر أن هذا الجعران كان مخصصا لهذه الملكة المجهولة ، ولكن الملك « حرسيوتف » قد اغتصبه لنفسه كما يحدث كثيرا فى الآثار المصرية والنوبية . ومما هو جدير بالذكر أنه قد وجدت عدة أجزاء من جمجمة هذا الملك وتدل شواهد الأحوال على أنه قد مات فى سن مبكرة وأنه كان قوى الجمجمة وان سلالته ترجع الى بقايا الجنس الأبيض الذى كان الشمال الغربى من « افريقيا » . (راجع Nuri. Ibid. p. 222)

وقد عثر لهذا الملك على عدة أوان من الفخار كما وجدت قطع من المرمر والفضة والذهب فى هرمه مما تركه اللصوص . (راجع Nuri Ibid. pp. 221-224. : J. E. A, Vol. 35 p. 143).

آثار الملك « حرسيوتف » فى « الكوة » .

وجد اسم هذا الملك على عمودين من عمد الردهة الثانية من معبد « ب » فى « الكوة » ، وكذلك وجدت صورة لهذا الملك فى معبد T بالكوة ، اذ نجد على الجدار الجنوبى لحجرة العرش فى هذا المعبد بجانب كرسى العرش صورة للملك « حرسيوتف » حفرت باتقان ، وقد نقش أمامها طغراؤه وقد مثل مرتديا على رأسه الريشتين الطويلتين وعصابة الرأس والصل المزدوج وتعويذة فى هيئة رأس عند الرأس والرقبة ، ويتحلى بشريط رقبة على كتفه اليسرى ، وجلد فهد وقميص طويل محلى بهداديب . (راجع Temple of Kawa, II p. 98, fig. 31) ، راجع كذلك مصر القديمة جزء ١١ ص ١٣٨

زوجه : وقد تزوج الملك « حرسيوتف » من ملكة تدعى « باتاهاليا » . أقامت لنفسها هرما فى «نورى» رقم ٤٤ يبلغ حجمه ١٠ر١٢ مترا مربعا وهو على غرار هرم زوجها . (راجع Nuri, Ibid. p. 228) وأهم أثر عثر عليه لها بعد هرمها لوحة من الجرانيت الرمادى أقامتها فى مقصورة هرمها ، وقد مثل على الجزء الأعلى منها قرص الشمس المجنح وصلان ، وأسفل هذا المنظر يشاهد منظر مثل فيه من جهة اليمين الالهة « ازيس » واقفة والاله « أوزير » جالسا على عرشه وامامه مائدة قربان والملكة تتعبد اليه ، وفى أسفل هذا المنظر نقش متن مؤلف من ثمانية اسطر هيروغيليفية يحتوى على صيغة القربان المعروفة نقشت بخط ردىء . (راجع Ibid. Fig. 177)

لوحة الملك « حرسيوتف »

عثر للملك « حرسيوتف » على لوحة من الجرانيت فى جبل « برقل » نقشت على جوانبها الأربعة ، ويبلغ ارتفاعها حوالى سبع أقدام وعرضها قدمان

وأربع بوصات وسمكها ثلاث عشرة بوصة ، وقد عثر عليها مع لوحة الملك بيعنخى وهى الآن بالمتحف المصرى . وقد نقش على الجزء الأعلى منها صورة قرص الشمس المجنح يتدلى منه صلان بينهما طغراء الملك « حرسيوتف » ، وفى أسفل هذا يشاهد منظران ، يرى فى المنظر الذى على اليمين الملك واقفا يقدم قربانا يشتمل على خيط من الخرز وعقد وصدرية لآمون رب « نباتا » الذى مثل هنا برأس كبش وجسم انسان ، وتقف خلفه الأم الملكية والأخت الملكية وسيدة كوش المسماة « أتاسامالى » . وفى المنظر الذى على اليسار يشاهد الملك وهو يقدم نفس القربان للاله « آمون الكرنك » ، وقد صور الأخير هنا فى هيئة انسان وخلف الملك ترى الأخت الملكية « باتاهاليا » .

ويشمل متن اللوحة واحدا وستين سطرا جاء فيها أهم الحوادث التى وقعت فى حياة هذا الملك . ومما يجدر ملاحظته هنا قبل البدأ فى اعطاء ملخص عن هذه اللوحة ثم ترجمتها أن نشير هنا الى أن معظم المؤرخين وضعوا تاريخ هذا الملك فى القرن السادس قبل الميلاد والواقع أنه عاش فى النصف الأول من القرن الرابع قبل الميلاد على حسب تأريخ الأستاذ « ريزنر » وغيره (راجع Nuri. Ibid. p. 221 ff.)

وهاك ترجمة النص :

(١) السنة الخامسة والثلاثون ، الشهر الثانى من فصل الزرع اليوم الثالث عشر فى عهد جلالة « حور » الثور القوى ، المتوج فى « نباتا » السيدتان (المسمى) حامى الآلهة ؛ حور الذهبى (المسمى) قاهر كل الأراضى الأجنبية (؟) ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (المسمى) « سامرى امن »

(المسمى) رب الأرضين جميعا ورب التيجان ورب الشعائر ابن « رع » من صلبه ومحبوبه (المسمى) « حرسيوتف » معطى الحياة أبديا محبوب « آمون رع » رب تيجان الأرضين القاطن فى الجبل المقدس (٤) : انا نعطيه الحياة والثبات والقوة كلها والسلامة وانشراح القلب كله مثل رع أبديا .

الحلم : لقد رأى حلما وهو أن « آمون » والدى الطيب صاحب « نباتا » منحنى أرض « نحسى » (السودان) ، وفى الحلم شد عقد تاجى لى ، وفى الحلم نظر الى بعينيه برحمة ، (٧) وتحدث الى قائلا : « اذهب الى معبد « آمون » صاحب « نباتا » فى داخل قاعة الأرض الشمالية » .

« حرسيوتف » فى حيرته يسأل شيخا عن تفسير هذا الحلم . « فأخذنى الخوف ورجوت بشدة رجلا مسنا (٩) ، وقدمت له الاحترام فتحدث الى قائلا . « ابحث عن منفعة يديك ، فان من يقيم مبانى سيحفظ . وقد عملوا (١١) على أن أذهب أمام « آمون نباتا » والدى الكامل قائلا : « أرجو أن يعطينى تاج أرض «نحسى» . (١٢) فقال لى «آمون» صاحب «نباتا» : « لقد منحتك تاج أرض السود ووهبتك أركان الدنيا الأربعة طرا ، وأعطيتك الماء العذب ، واذا حاول عدو الاتيان بالقرب منك فانه لن يفلح (١٦) . والعدو الذى تأتى اليه بيديك فانه لن يفلح ، (١٧) ، ولن يفلح بساقيه وقدميه . وعندما رأيته صببت قربانا عظيما من أجل ما أعطانيه « آمون نباتا» والدى الطيب ، وأنا واقف فى داخل حرم « آمون نباتا » (١٩)فى أعماق المحراب .

زيارة آمون لجهات مختلفة : وبعد ذلك قمت برحلة الى آمون رب « جمأتون » وتحدثت قائلا : « يا آمون صاحب نباتا » . (٢١) ثم قمت

برحلة الى « آمون رع » القاطن فى « بنوبس » ، وتحدثت قائلا « يا آمون » صاحب « نباتا » ، ثم قمت برحلة الى « باستنت » صاحبة « ترت » (= بلدة فى بلاد النوبة العليا عند اقليم الشلال الرابع يقال انها « راداتا » التى جاء ذكرها فى « بلينى » . (راجع Pline VI, 35) ؛ وتحدثت قائلا : « يآمون صاحب نباتا » .

عمل اصلاحات فى الجهة الجنوبية من معبد « آمون » .

وبعد ذلك تحدثوا الى قائلين (٢٣) فليذهب الى معبد « آمون ثار .. رسيت » ، لأن الناس يقولون ان بناءه لم يتم ، فالتفت ثانية وبنيته وزينته وأكملته فى خمسة أشهر .

تذهيب معبد « ابت سوت » من جديد

وعندما رأيت أن معبد حريم « آمون نباتا » ينقصه التذهيب (٢٦) أعطيت معبد الحريم ما يأتى : أربعين دبنا من الذهب ، وذهبا مصنوعاخمسة آلاف وعشرين قضيبا .

ثم تحدثوا الى أن « بيت شنوت » (المكان الذى يرتاح فيه الاله ، يحتمل أنه مستشفى)

ينقصه الذهب (٢٨) ، وأمرت بأن يحضر اليه خشب سنط وخشب « أركارت » (بلدة من بلاد النوبة العليا مشهورة بخشب السنط) بكثرة ، وجعلته يحضر الى « نباتا » ، وأمرت بوضع ذهب على جانبيه (٣٠) وزنه أربعون دبنا ، وأمرت بأن يعطى المعبد من الخزانة ذهبا مقداره عشرون دبنا ، ومائة دبن من الذهب المشغول (٣١) . « يآمون نباتا » انى (٣٢) أمنحك قلادة .... أربع دبنات ، وصورة (٣٤) « آمون المدينة » (؟) قد صيغت

(٣٥) من ذهب ، وثلاثة آلهة (٣٦) صيغت من ذهب (٣٧) (وصورة) « رع » صيغت من ذهب (٣٨) وثلاثة رؤوس كباش من الذهب (٣٩) صدريتين من الذهب (٤٠) ، ومائة وأربعة وثلاثين شريطا (؟) من الذهب ، (٤١) ومائة دبن من الفضة (٤٢) ، واناء لبن من الفضة ، وآنية « هار » (٤٣) من الفضة ، وآنية سكار (٤٤) من الفضة عددها أربع ، واناء لبن من الفضة (٤٥) ، وآنية ما هن من الفضة ، (٤٦) واله من الفضة ، (٤٧) ويمامة ، فيكون المجموع تسع أوان من الفضة .

(٤٨) واربع أوانى « كارو » من الشبه وآنية « مجتامى » من الشبه وآنيتين « حنت — حر مايو » من الشبه وحاملى مصباح من الشبه (٥١) وحامل بخور من الشبه وخمسة عشر كأسا من الشبه و (٥٢) خمس أوانى « بادنو(١) » من الشبه و (٥٣) واناءين كبيرين للغسل من النحاس .

المجموع اثنان وثلاثون اناء .

و (٥٤) مائتى دبن من المر وثلاث أوانى كرر (٥٥) من البخور وثلاث أوانى شهد .

مبانى منوعة وهدايا « لآمون » .

(٥٦) وفى فرصة أخرى (٥٧) عندما بدأ بيت ألف السنة ينهار (٥٨) عملت على بنائه لك (٥٩) فأقمت لك عمده ، (٦٠) وبنيت لك حظيرة للثيران (٦١) طولها ٢٥٤ ذراعا ، وجددت لك معبدا (٦٢) كان مخربا مطمورا ، وسجدت (٦٣) متضرعا ، ونطقت بالتعبد لك وتكلمت (٦٤)

---

(١) جاء ذكر اسماء اوانى وآلات لم يعرف كنهها ولا استعمالها حتى الآن فى هذا المشهد

قائلا : « انى ملك مصر وفد بنيت (٦٥) لك وأمرت بتيظيم قربانك (٦٦) ومنحتك من جديد خمسماية ثور ، وأعطيتك قعبين من اللبن (٦٨) يوميا ، وانى أمنحك عشرة كهنة واهب لك (٦٩) أسرى (٧٠) خمسين رجلا وخمسين امرأة (٧٠) والمجموع هو ماية (أسير) .

تقديم الثناء . « يآمون صاحب نباتا » (٧١) ليس هناك حساب (أى لما قدمته لك) وانى رجل •••• (٧٣) قدمت لك كل ما هو ممدوح .

أول واقعة حربية ••••••••• فى السنة الثانية الشهر الثالث من فصل الشتاء ، اليوم ٢٣ من الشهر ، أمر بالذهاب فى وجه الأعداء وذبح قوم « رهرهس » . (٧٥) وقطع اربا اربا « آمون » السواعد التى (٧٦) امتدت على . وقمت بأعمال شجاعة بينهم (٧٧) وهزمتهم طرا

الواقعة الحربية الثانية . وفى السنة الثالثة الشهر الثانى من فصل الشتاء اليوم الرابع (٧٨) قمت بأعمال بطولة بين قوم « مدد » (البيجا) الثائرين (٧٩) وهزمتهم عن آخرهم ، وأنت الذى فعلت ذلك لى .

الواقعة الثالثة . السنة الخامسة الشهر الثانى من فصل الصيف ، اليوم الحادى عشر من حكم ابن « رع » « حرسيوتف » له الحياة والصحة والسلامة أبديا (٨١) لقد أمرت رماتى وفرسانى بأن يسيروا على قوم « مدد » (البيجا) (٨٢) فقاموا بالقرب من مدينة « ازوار » بهجوم عليهم وقتلوا عددا عظيما منهم (٨٣) وأسروا سيدهم . (٨٤) وأوقعوا مذبحة عظيمة بين قوم « أروجا ••• » (٨٤) .

الواقعة الرابعة : السنة السادسة الشهر الثانى من فصل الصيف من حكم

ابن « رع » حرسيوتف » عاش مخلدا . لقد سيرت حشدا من الجنود على قوم « مدد » (البيجا) (٧٦) وشنيت الحرب عليه وعلى بلاده والحقت به الهزيمة والمذبوحون منه كانوا كثيرين فى ••••• (٨٧) واستوليت على ثيرانه وبقره وحميره وغنمه ومعزه وعبيده وجواريه ، وان رهبتك العظيمة هى التى عملت ذلك لى (٨٩) . وبعد ذلك ارسل الى عظيم «مدد» (البيجا) وقال : «انك الهى وانى خادمك (٩٠) وانى امرأة تعال (أى لا حول له ولا قوة) (٩١) ثم جعل النواب يأتون الى بوساطة مبعوث . وذهبت وأديت الشعائر اليك « يآمون صاحب نباتا» والدى الطيب (٩٢) وانى أمنحك ثيرانا عدة .

الواقعة الخامسة : السنة الحادية عشرة الشهر الأول من فصل الزرع اليوم الرابع (٩٣) لقد أمرت رماتى بالزخف على بلدة « عقنات » بقيادة خادمى « قاسو » (٩٤) لأن جنود الرئيسين « برجا » و « سأمنسا » قد وصلوا « اسوان » (٩٥) وقد قام باعمال بطولة على (٩٦) وقتل « برجا » و « سأمنسا » سيديهما . وان رهبتك العظيمة « يآمون » هى التى عملت لى (ذلك) .

الواقعة السادسة : السنة السادسة عشرة الشهر الأول ، من فصل الشتاء اليوم الخامس عشر . (٩٧) امرت بارسال رماتى وفرسانى على العدو فى بلدة « خردف » . فأدوا أعمال بطولة فى وسطهم وأوقع الرماة مذبحة ••• (٩٩) وغنموا احسن ثيرانهم .

الواقعة السابعة : السنة الثامنة عشرة الشهر الأول من فصل الزرع اليوم الثالث عشر من عهد ابن « رع » « حرسيوتف » عاش أبديا . (١٠٠) زحف علىّ ثائرو « رهرهس » واسم رئيسهم خروات ؟ ، (١٠١) فى بلدة « باروات » (= مرو) فعملت على ضدهم ، وذلك لأن رهبتك العظيمة

وقوة ساقيك « يآمون » قد فازت عليهم بشجاعة (١٠٣) ،وأوقعت مذبحة بينهم ، وكانت مذبحة عظيمة وجعلتهم يتقهقرون ، وانت الذى عملت لى ذلك « يآمون » (١٠٤) حتى ان الاجانب هبوا فى وسط الليل وولوا الادبار .

الواقعة الثامنة : (١٠٥) ؟ السنةالثالثة والعشرونالشهرالثالث من فصل الصيف ، اليوم التاسع والعشرون من عهد ابن « رع » «حرسيوتف» عاش أبديا . (١٠٦) أتى رئيس البلاد الأجنبية « رهرهس » (المسمى) « ارو » ومعه كل رؤساء بلدة باروات (مرو) (١٠٧) ، وقمت بأعمـال بطولة عليهم وهزمته هزيمة منكرة ، وصددته (١٠٨) ، وجعلته يولى الأدبار ، وعملت على هزيمة « شابكارو » الذى أتى الى (حاربنى) ، (١٠٩)وعقدتمعه معاهدة ، وانها رهبتـك العظيمة وسـاقيك القويتين التى هزمت ٠٠٠٠٠ الرئيس وقد فر أمام رماتى وخيالتى .

الواقعة التاسعة (١١١) السنة الخامسة والثلاثون الشهر الأول منفصل الزرع ، اليوم الخامس من عهد ابن « رع » «حرسيوتف»عاشابديا (١١٢) أمرت بان يرسل اليه أى « آمون » صاحب « نباتا » والدى الطيب قائلا : (١١٣) هل يجب ان أرسل رماتى على بلاد «مختى» ؟ فأرسل الى «آمون» صاحب «نباتا» (١١٤) قائلا : اجعله يرسل . فأمرت بارسال (١١٥) خمسين من الطلائع مع خيالة ، وعلى ذلك فان اربعة اقوام « مختى » الذين كانوا (١١٦) قد تجمعوا على هزموا ، ولم يبق واحد منهم (١١٧) ، ولم يفلت واحد منهم ، ولم يبق (١١٨) واحد من رؤسائهم ، ولم يبق لواحـد منهم سهم ، وقد صاروا كلهم غنيمة .

مبانى منوعة : وفى حلم حدثنى انسان (١٢٠) قائلا (١٢١) لقد أصبح

المعبد آيلا للسقوط . وفى الشهر الثالث من فصل الزرع فى يوم « بتاح » أقمته ثانية لك (١٢٢) ، وأقمت المعبد (المسمى) « ذهب (١٢٣) الحياة » الذى يتألف من ست حجرات (١٢٤) ، واربعة عمد من الحجر .

وفى حلم آخر (١٢٥) تحدث الى واحد (١٢٦) قائلا انبيت الملك يؤل الى الخراب ولا أحد (١٢٧) يمكنه الدخول فيه . (١٢٨) فبنيت بيت الملك و (١٢٩) أربعـة بيوت فى « نباتا » وكذلك ستين بيتا (١٣٠) ، وأمرت باحاطتها بجدران، و(١٣١) فضلا عن ذلك أنشأت حديقة (١٣٢) طول الجانب منها خمسون ذراعا (١٣٣) مجموع اضلاعها مايتنا ذراع .

الأشجار والهدايا الأخرى :

(١٣٤) وفضلا عن ذلك أمرت بأن تغرس لك (يخاطب آمون) (١٣٥) ست حدائق نخل (١٣٦) فى كل واحدة كرم فى «نباتا» والمجموع ست و (١٣٧) منحتك حدائق النخل المزدوجة (١٣٨) التى فى « باروات » ومجموعها ستة (١٣٩) وأمرت بتقريب قربان لمدة ليلة و (١٤٠) يوم مقداره مائة وخمسة عشر مكيالا من القمح ، وثمانية وثلاثون مكيالا من الشعير(١٤١) مجموعها الكلى ١٥٣ مكيالا من القمح والشعير (١٤٢) . وأمرتهم بألا يتركوا (١٤٣) بلادا مستثناة دون (١٤٤) أن أكون قد أصلحتها الا اذا (١٤٥) كانت خالية من السكان .

مواكب أعياد لآلهة مختلفين :

(١٤٦) وقد اعطوا الكلمة (١٤٧) . وأمرت باقامة عيد لأوزير فى .... (١٤٨) وأمرت باقامة عيد لأوزير فى « باروات » (مرو) (١٤٩) وأمرت باقامة عيد « لأوزير » و « ازيس » فى « مرتا » (١٥٠) وأمرت باقامة عيـد

« لأوزير » اربع مرات ولأزيس (١٥١) فى « جررت » ، وأمرت باقامة (١٥٢) عيد « لأوزير » و « ازيس » و « حور » صاحب مدينة «سهراست» (١٥٣) ، وأمرت باقامة عيد « لأوزير » و « آمون — (١٥٤) ايدى » صاحب مدينة « سكرجات » (١٥٥) ، وأقمت عيدا لحور فى « كراتا » (١٥٦) ، واقمت عيد « رع » فى « مشات » (١٥٧) ، واقمت عيدا « لأنحور » فى «ارتانيت» (١٨٥) ، وأقمت عيدا « لأوزير » فى « نباتا » (١٥٩) وأقمت عيدا « لأوزير » فى « نهانات » (١٦٠) ، واقمت عيدا « لأوزير » و « ازيس » فى «باجمت» (١٦١) ، وأقمت ثلاثة أعياد « لأوزير» فى «بنوبس» أبديا. (راجع **Urkunden Der Alteren Athiopenkonige. p. 113-136; Budge. Annals of Nubian Kings p. 117-139).**

تعليــق :

ان كل ما لدينا من معلومات عن تاريخ هذا الملك الذى عمر طويلا على عرش الملك على حسب نظرية الاستاذ ريزنر وأولئك الذين كتبوا فى تاريخ بلاد السودان فى تلك الفترة امثال « ماكادام » و « دنم » ينحصر فيمــا خلفه لنا فى جبانة « نورى » وهو هرمه وملحقاته وما تركه من نقوش على جدران معبد « تهرقا » فى « الكوة » . وكذلك اللوحــة التى وجدت فى الجبل المقدس أى جبل « برقــل » . وأول ما يلفت النظر فى مدة حكمــه الطويل ان البلاد على ما يظهر كانت هادئة نسبيا على الرغم من الحروب التى شنها هذا الملك على القبائل الخارجة . والواقع أن هذا الملك كان شــديد البأس ، وان حملاته على بلاد اعدائه قد أتاحت فرصة لشــغل جنوده من جهة ، كما ان الغنائم التى رجع بها منها قد عادت على بلاده بالخير العميم كما أرضت كهنة آمون . وغيرهم من كهنة الآلهة الآخرين وبذلك لم يكونوا حربا عليه . ولا نكون مبالغين اذا قرنا هذا الملك من حيث الحملات الحربية

التى سار على رأسها واتساع فتوحه بالفرعون تحتمس الثالث ، مع الفارق ان الأخير كان يحكم امبراطورية مترامية الأطراف وأن الأول كان ينحصر ملكه فى بلاد السودان وحسب .

والمتن الذى نحن بصدده الآن نجد فيه بعد سرد اسماء الملك «خرسيوتف» والقابه انه يصف لنا حلماً رآه فى منامه ظهر له فيه الاله « آمون رع » ومنحه أرض النحسى (السودان) . والظاهر ان مصر فى تلك الفترة كانت دولة قوية الجانب فلم يطمع هذا الملك فى فتحها (١) ، ومن ثم جعل وجهته فتح أقاليم « النيل الأزرق » و « النيل الأبيض » ، وذلك بوحى من آمــون جاءه فى رؤيا رآها . وفى خلال هذه الرؤيا وضع « آمون » تاج الملك على رأس هذا الملك ، وبعد ان شجعه بنظرات ملؤها الحنان والمحبة ، أخبره أن يذهب الى معبده فى « نباتا » ، وعندما استيقظ الملك من نومه سأل شيخا مسنا عن تفسير رؤياه فنصحه الشيخ بان يقيم مبانيه بسرعة وبقوة . وعلى أثر ذلك سافر الى « نباتا » وتوجه الى معبد « آمون رع » وطلب الى الاله ان يمنحه أرض « نحسى » فأجابه الاله اجابة مرضية ، ووعده ان يمنحه ملك هــذه الأرض واركان العالم الاربعة وان يغدق على البلاد غيثا عميما وماءاً غزيرا وان يقضى على اسلحة أى عدو وعلى كل عدو يجسر ان يغير عليــه . وفى اثناء وقوف الملك فى المحراب ، يظهر ان الاله قد منحه بعض أشياء غير ان معنى المتن هنا غامض فلم يمكن فهم كنهه .

وبعد أن تسلم هذا الملك عرش بلاد « النوبة » من « آمون رع صاحب نباتا » بدأ يزور محاريب آلهة المديريات الرئيسية فى البلاد ، لأجل ان يحصل

---

(١) لم تتعد جنوده اسوان كما جاء ذلك فى المتن الذى نحن بصدده .

على بركاتهم ومساعدة كهنتهم التى كانت ذات قيمة عظيمة فى تلك الفترة من تاريخ وادى النيل كله ، كما نوهنا عن ذلك فى غير هذا المكان من هذا الكتاب ، ومن أجل ذلك ذهب الى محراب « آمون رع صاحب جم آتون » (سدنجا ؟) ومحراب « آمون رع صاحب بنوبس » ومحراب الآلهة « باستت صاحبة تارت » . وفى كل محراب ذهب اليه أخبر آلهه ما قاله له « آمون صاحب نباتا » ، وقدم ضحايا وتعبد اليه . والظاهر أن الكهنة لفتوا نظره الى معبد « آمون — صاحب تار الجنوب » الذى كان جاريا بناؤه والذى كان ينقصه المال على ما يظن لاتمامه . وعلى أثر ذلك تولى فى الحال أمر هذا المعبد بنفسه فلم يلبث ان أتم بناء المعبد وتزيينه فى مدى خمسة أشهر بعد ذلك .

ولما عاد الى « نباتا » وجد ان معبد « ابت سوت » كان فى حاجة الى المال فمنح الخزانة اربعين دبنا من الذهب لتنفق على هذا العمل . وهذا المبلغ يساوى الآن حوالى ٤٢٠ جنيها ، ثم أخبر بعد ذلك ان بيت المرضى ويحتمل ان يكون مستشفى الكهنة وأسرهم كان بدون مال ، وان المبنى نفسه كان فى حالة خربة ، وعلى ذلك أرسل فى الحال الى اقليم « أركارت » للحصول على خشب السنط لبنائه من جديد . والمتن هنا ليس واضحا تماما ، غير انه من المؤكد ان الملك صرف اربعين دبنا (= ٤٢٠ جنيها) أخرى على هذا البناء . وليس من المعقول انه صرف كل هذا المال فى تزيينه ، وعلى ذلك فان المبلغ الأخير قد صرف على احضار الخشب من « اركارت » . وموقع هذا الاقليم مجهول لدينا ، غير ان خشب السنط كان على ما يظن قد أحضر من مكان ما جنوبى بلدة « الخرطوم » . ويلحظ كذلك ان الملك «حرسيوتف» قد مد هذه المؤسسة بهبة من المال قدرها عشرين دبنا (= ٢١٠ جنيها) .

والاسطر الخمسة والعشرون التى تلى ذلك تحتوى على قائمة بالأشياء التى وهبها الملك « حرسيوتف » « لأمون صاحب نباتا » . وتحتوى على قلائد من الذهب للاله ، واشكال للاله « أمون » ولآلهة أخرى من الذهب ، وصدريات ، وخرز بكمية كبيرة من الفضـة ، وتسع آوان من الفضـة ، ومصابيح وقواعد مصابيح الخ .. والجملة ٣٢ اناءاً من الشبه . وخلافا لهذه الاشياء قدم مقادير كبيرة من عطور المر والشهد والبخور .

وبعد ذلك وجه « حرسيوتف » نشاطه وماله لأصلاح بيت الألف سنة الذى كان قد أصبح خربا . فأعاد بناءه وأضاف له خارجة ذات عمد وحظيرة للماشية طولها ١٥٤ ذراعا (؟) ثم أعاد بناء مبنى صغير خاص بالمعبد . وفى مناسبة أخرى أهدى الاله خمسماية ثور ، وجراية يومية تتألف من وطابين كبيرين من اللبن وعشرة خدام وماية عبد وخمسين أمة . وكل هذه الهبات قد قدمها الملك فى خلال السنة الأولى من حكمه . وبعد ان جازى الاله آمون وكهنته بسخاء لانتخابه ملكا ، وارضى كل آلهة المديريات فى مملكته فانه كان فى استطاعته ان يحول عنايته للقيام بحملات كان القصد منها الاغارة والحرب لتأديب القبائل المغيرة على أملاكه . ففى حملته الأولى التى وقعت فى السنة الثانية من حكمه هاجم قوم « رهرهس » الذين يحتمل انهم كانوا يسكنون الصحراء الشرقية ، وكانوا قبائل بدو يعيشون على سلب القوافل ونهبها ، وذلك انه على الرغم من ان الملك « حرسيوتف » قد ذبح منهم خلقا كثيرين فانه لم يعد بغنائم تستحق الذكر .

ووقعت حملته الثانية فى السنة الثانية من حكمه ، وكانت موجهة على قوم « مشث » ، وقد ذبح منهم عدد عظيم ، غير أنه لم يعد بغنيمة ذات أهمية

وقد بدأ هاتين الحملتين فى اثناء فصل الشتاء ، والظاهر ان الغرض منهما كان لتطهير الصحارى من اللصوص وكذلك لتدريب رجال جيشه على الكر والفر .

وفى الحملة الثالثة التى وقعت فى السنة الخامسة من حكمه ارسل رماته وخيالته على قوم « مثث » فحاربوا فى موقعة مع أهل هذه الأرض عند « نروات » وغلبوهم وذبحوا أعدادا كبيرة منهم كما قتلوا أميراً منهم .

وفى السنة السادسة من حكمه قامت الحملة الرابعة ، وكان مرماها بلاد « مثث » أيضا . وفى هذه المرة نجد انه لم يكتف بهزيمة جيش « مثث » وقتل عدد عظيم منه ، بل فضلا عن ذلك خرب مدنهم واستولى على كل أنواع الماشية والعبيد والذهب . وقد القى ملك « مثث » السلاح وقدم خضوعه قائلا : انك آلهى وانى خادمك . وانى امرأة » .

وعندما عاد ملك بلاد « النوبة » من « نباتا » ذهب توا الى معبد «آمون» وقاسمه الماشية التى استولى عليها .

وبعد فترة خمس سنوات زحف فى حملته الخامسة فى السنة الحادية عشرة من حكمه ووجه هجومه على مكان يدعى « عقنات » وحاصره القائد النوبى المسمى « قاسو » وقد هرب كل من الرئيسين الثائرين «برقا» و «سأمنسا» الى « أسوان » ، ولكن القائد « قاسو » اقتفى أثرهما وذبحهما وأهلك من قومهما خلقا كثيرين . وبعد ذلك بخمسة اعوام فى السنة السادسة عشرة من حكمه قام الملك « حرسيوتف » بحملته السادسة فهاجم مختنى (؟) بنجاح وقتل رماته عددا عظيما من سكانها وساق امامه غنيمة تشمل احسن ماشيتهم.

وفى السنة الثامنة عشرة من حكم هذا الملك ، قام الامير «خروا» حاكم

«باروات» (مرو) لمهاجمته على رأس جيش مؤلف من بدو قبائل «رهرهس». فقام « حرسيوتف » لمقابلته ، وفى القتال الذى نشب بينهما هزم « خروا » وقتل من جيشه عدد عظيم وتشتت شمل الباقى ، وهرب هو فى جنح الظلام . وهذه كانت الحملة السابعة التى قام بها الملك « حرسيوتف » . وبعد انقضاء خمسة أعوام على هذه الحملة أى فى السنة الثالثة والعشرين من حكمه قام بحملته الثامنة ، وكانت موجهة على رئيس آخر يدعى « اروا » الذى كان قد جمع جيشا عرمرما من بين قبائل «رهرهس» وعسكر فى « مرو » ، وهناك نشب قتال عنيف ، ولكن النوبيين هزموا جموع العدو المتحـدة من أهل الصحراء الشرقية وقتلوا منهم خلقا كثيرين . وتدل شواهد الأحوال على أن « اروا » كان يساعده رئيس محلى يدعى « شيكار » (؟) الذى كان قد أحضر قوة معه ، ولكن فى هذه الحالة ، كما كانت فى الحالات السابقة ، نجد أن ساعدى آمون القويتين قصمتا ظهر قوة العـدو وانتصر رماة النوبيين وخيالتهم انتصارا عظيما تاما عليهم . وبعد مضى عشر سنين على ذلك أى فى السنة الثلاثين من حكم « حرسيوتف » قام الأخير بحملته التاسعة والأخيرة. وكان بصحبة خيالته خمسون كشافا وانقضوا على رجال « بلدةخروت » (؟) عند « تفت » ، والظاهر أنهم ذبحوا كل قوة العدو اذ لم يترك منهم واحد على قيد الحياة ، ولم يفلت واحد منهم ، ولم يستعمل واحد منهم قدميه ثانية ، وأسر النوبيون فضلا عن ذلك ضباطهم . وبانتهاء هذه الحملة انتهت غزوات الملك « حرسيوتف » التى وصلت الينا عنها معلومات . ولابد أن الملك فى هذا الوقت قد أخذ يتقدم فى السن . وأنه لمن المستحيل علينا أن نحقق مواقع البلاد والممالك التى هاجمها « حرسيوتف » ، وذلك لأنه لم يذكر الا القليل جدا منها فى النقوش النوبية الأخرى التى وصلت الينا . غير

أنه ليس من الصعب ان نشير هنا الى الأقاليم التى سارت فيها جيوشه والتى
عاش فيها أعداؤه . فمن المحتمل أن ألد أعدائه كانوا هم قبائل الصحراء
الشرقية ، وهم الذين عرفوا فيما بعد بقبائل « البلمى » والقبائل التى كانت
تدين بالطاعة لأمير « مرو » .

وفى الجنوب الشرقى من « مرو » كان يقطن الأقوام الدين على حدود
« أثيوبيا » والقبائل المحاربة القاطنة فى الشرق والجنوب من « سنار » ،
وفى الغرب كانت تقطن قبائل صحراء « بيوضا » . والى الجنوب من هؤلاء
كان يسكن القوم الذين اشتهروا شهرة عظيمة بتربية الماشية وهم الذين
يمثلهم الآن قبائل البقارية . وكان السطو على القوافل وقتئذ ، كما هى
الحال فى الأزمان الحديثة جدا ، سبب كل حرب ، ولم تدم قط أية مملكة
سنين عديدة فى بلاد النوبة لم تكن محكومة بملك نشيط له جاه عظيم فى
الحرب . ولا نزاع فى أن الغارات التى قام بها المهدى والخليفة عبد الله
التعايشى فى أنحاء أجزاء السودان هى كالتى قام بها الملك « حرسيوتف » .
واذا أمكن يوما من الأيام أن نصل الى تحقيق أسماء البلدان التى جاءت فى
حروب « حرسيوتف » فمن المحتمل جدا أن سكانها كانوا أجداد القوم
الذين ثاروا مع محمد على واسماعيل باشا حديثا . والبقية الباقية من متن
« حرسيوتف » تحدثنا عن أعمال البناء التى قام بها ، فقد أعاد بناء معبد
« بتاح » و « بيت الاله من الذهب للحياة » ، ويحتوى على حجرات وقاعة
عمد . وكذلك أعاد بناء قصر «نباتا» ، وحرمه ، كما أعاد اقامة بناء كان مربعا
كل ضلع من أضلاعه خمسون ذراعا طولا . وقد غرس للاله « آمون » ستة
خمائل من النخيل وستة كروم ، وأعطاه يوميا ماية وخمسة عشر مكيالا من
القمح وثمانية وثلاثين مكيالا من الشعير وماية وثلاثة وخمسين مكيالا من

و « مرتت » و « قررت » و « سهرست » و « سورقات » ، و « كارتت » الحبوب . وأخيرا أسس أعيادا للالهة فى أمهات بلاد النوبة مثل « مرو »

و « مشات » و « ارتنايت » ، و « نباتا » و « نهانات » و « بر — قمت » و « بر — نبس » .

وتدل البحوث التى عملت حتى الآن على أن الملك الذى خلف «حرسيوتف» قد حكم مدة تقرب من عشرين سنة أى من ٣٦٢ — ٣٤٢ ق.م. أى أن نهاية حكمه ، كانت تقابل فى مصر العهد الذى فتح فيه « الفرس » أرض الكنانة مرة أخرى . ومما يؤسف له جد الأسف أن اسم هذا الملك مجهول لنا حتى الآن ، والظاهر أنه دفن فى الكورو (راجع J.E.A. Vol. 35. p. 149; Royal Cemeteries of Kush Vol. II. p. 3, Kuru I.)

ثم خلفه على العرش ملك يدعى « أخراتان » .

الملك أخراتان (٣٤٢ــ٣٢٨ ق٠م)

آخرتن

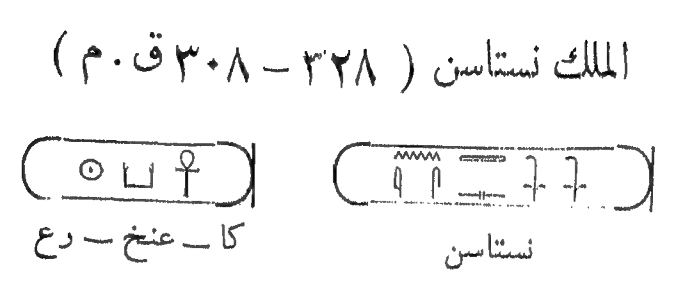
نفر ـــ اب حور

من المحتمل أن الملك « آخراتان » هو ابن الملك « حرسيوتف » .

أقام هذا الملك لنفسه هرما فى « نورى » يحمل رقم ١٤ ، ويبلغ حجمه ٢٦ر٢ مترا مربعا وهو مقام بالحجر الرملى على قاعدة مؤلفـة من مدماك واحد . وبناء هذا الهرم ردىء اذ قد أقيم على أتربة مفككة لا على أرض صلبة ، ومن أجل ذلك تداعى وأصبح من الصعب الكشف عنه بصـــورة مرضية ، ومن ثم لم يعمل له تصميم دقيق . يضـــاف الى ذلك أن حـــرمه لا وجود له ، كما أن مقصـــورته قد تداعت فوق الحجرات التى فى مبناه السفلى . هذا ولم تعرف شخصية هذا الملك الا من قطعة حجر واحـــدة نقش عليها اسمه عثر عليها فى أنقاض مقصورته (راجع Nuri, Ibid. Fig 188, Pl. LXI B وجد فى ودائع الأساس التى فى أركان هرم هذا الملك جمجمة عجل وربع عجل أيضا . هذا ولم يوجد بينها فخار ولكن وجدت أقداح من الخزف المطلى عارية عن النقوش ، وكذلك وجدت لويحات من الخزف المطلى والمعدن والزجاج .

وعثر لهذا الملك على تمثال فقد رأسه من الجرانيت الرمادى بين المعبدين ٥٠٠ ب و ٩٠٠ ، فى جبل « برقل » وهو الآن فى متحف بوسطون (راجع Boston Museum No. 23735 ; J.E.A. Vol. VI. p. 253; A.Z. LXVI. p. 83 ; Nuri. Pl. LXI A & p. 241 ; J.E.A. Vol. 35. p. 141 & Pl. XV ; Porter and Moss VI, p. 288, 222.

الملك نستاسن (٣٢٨ - ٣٠٨ ق٠م)



تولى الملك « نستاسن » عرش بلاد النوبة بعد الملك « أخراتان » ، ومن المحتمل أنه ابن الملك « حرسيوتف » . وأعلى سنة ذكرت لنا على الآثار فى سنى حكمه هى السنة الثامنة . وأمه هى الملكة « بلخا » التى يحتمل أن تكون أخت الملك « حرسيوتف » .

أقام هذا الملك لنفسه هرما فى نورى رقم ١٥ بنى بالحجر الرملى المحلى على قاعدة مؤلفة من مدماك واحد . ومداميك وجه هذا الهرم منحــــدرة ومدرجة ويبلغ حجمه ٢٦٫٠٤ مترا مربعا .

وحرم هذا الهرم ومقصورته مبنيان من الحجر الرملى أيضا ، والأخيرة لها بوابة وقد وجدت فى الكوة التى تكون فيها عادة اللوحة الجنــازية فى المقصورة خالية ، وقد نقرت هذه الكوة فى الجــدار الغربى . ويلحظ أن مبانى هذه المقصورة قد حفظ منها سليما مايقرب من سنتيمترين . ويشاهد فى الجدار الجنوبى الداخلى منها منظر يظهر فيه الملك على عرشه وأمامه مائدة قربان من الجرانيت ويقترب منه صفان من حاملى القربان (راجع Nuri. Ibid. Pl. LXXI E-1) كما وجدت كذلك قطعة حجر من عتب الباب نقش عليها جزء من لقب هذا الملك (راجع Ibid. Fig. 191 & Pl. LXII J) وفضلا عن ذلك وجدت قاعدة من الجرانيت يحتمل أنها لمائدة قربان عثر عليها فى وسط المقصورة .

ودائع الأساس : وجدت فى ودائع الأساس عظام حيوان وأوانى فخار وأطباق وأقداح من الخزف المطلى ولويحات من المعدن والحجر ، وكذلك يحتمل لوحة صغيرة من الزجاج عارية من النقوش ، هذا بالاضافة الى قطع قصدير غفل .

ويؤدى الى المبنى السفلى للهرم سلم منتظم مؤلف من احدى وستين درجة . ويلحظ أن حجرات هذا المبنى لم يكشف عنها لخطورة الوصول اليها. ويدل العثور على ورق من الذهب وتعاويذ على أنه قد أودع فى هذا الهرم مومية مزخرفة بزينة من الذهب . وعثر كذلك على مرآة من البرنز حافتها السفلى مصفحة باطار من الفضة ، كما نقش عليها طغراء الملك «نستاسن» . وقد مثل على مقبض المرآة الآلهة « خنسو » و « موت » و « آمون » والآلهة « حتحور » (راجع Ibid. Pl. XCII B - F.) . هذا ووجد له تماثيل مجيبة عددها سبعة فى احدى حجر الدفن ، وهى من الخزف المطلى الردىء الصنع ، ونقش على كل منها سطران بالهيرغليفية بالمداد الاسود يمكن قراءة بعضها (راجع Ibid. fig. 197 & Fig. 203 Pl. CXL.)

آثار الملك نستاسن غير هرمه :

لوحة دنقلة : ان أهم أثر معروف لدينا لهذا الملك هو لوحته الضخمة المصنوعة من الجرانيت ، وهى محفوظة الآن بمتحف برلين ويبلغ ارتفاعها خمس أقدام وثلاث بوصات وعرضها أربع أقدام وبوصتان ، وقد نقش على كلا وجهيها متن باللغة المصرية القديمة ، ويسمى الأثرى «ركش» هذه اللوحة لوحة « دنقلة » . وجاء فى ملحوظة عند نهاية الترجمة التى عملها «لبسيوس» لهذه اللوحة « أنه قد حصل على هذه اللوحة بوساطة « جراف ولهلم فون

شليفن » الذى قدمهـا له « محمد على باشا » هدية لمتحف برلين فى عـام ١٨٥٤ ميلادية ، غير أن هذه الملحوظة خاطئة . لأن محمد على توفى عـام ١٨٤٩ ميلادية ، وقد فسر هذا الخطأ جزئيا بما جاء فى الخطاب الذى أرسله « الجراف ولهلم » للدكتور « شيفر » الأثرى المعروف حيث يقول فيـه : انه رأى اللوحة أولا فى «دنقلة الجديدة » ملقاة على الأرض عام ١٨٥٣ م . وقد أزال عنها التراب وأخذ طابعا لأحد وجهيها ، وعندما عاد الى القاهرة فى الشتاء التالى أخبره القنصل البروسى فى مصر أنه حصل على اللوحة من « عباس الأول » الذى كان واليا على مصر وقتئذ . وقد أهداها « عباس » للملك « فردريك وليم الرابع » عاهل « بروسيا » . وقد بقيت اللوحة فى « دنقلة الجديدة » حتى عام ١٨٦٩ م عندما اهتم بأمرها ولى عهد «بروسيا» « فردريك وليم » ونقلهـا للقاهرة ؛ وفى عـام ١٨٧١ م نقلت الى متحف « برلين » (راجع .Ausführliches Verzeichniss p. 402)

وقد نشرها نشرا علميا الأثرى شيفر (راجع Urkunden der Alteren Athiopenkonige p. 137 ff; Budge Annals of Nubian Kings. p. CXVIII - CXXXII & Text p. 140-169; L.D.V. 16.)

وتدل شواهد الأحوال على أن المكان الأصلى لهذه اللوحة هو « جبل برقل » مثل لوحة « بيعنخى » وغيرها من اللوحات التى وجدت فى هـذه البقعة المقدسة (راجع .Budge, Ibid. p. CXIII ff)

وصف اللوحة : الجزء الأعلى من هذه اللوحة مستدير ويشاهد فيه قرص الشمس المجنح . نقش فى أسفله مرتين المتن التالى : بحدتى الاله العظيم رب السماء معطى الحياة. ونقش بين الصلين الذين يتدليان من قرص الشمس اسم الملك « نستاسن » . وقد مثل تحت قرص الشمس هذا منظران أحدهما على اليسار

والآخر على اليمين ، فيرى فى الأول منهما الاله « آمون » ممثل برأس انسان وأمامه النقش التالى : « آمون رع رب تيجان الأرضين المشرف على الكرنك معطى الحياة والثبات والسلطان كله مثل رع أبديا » . ونقش خلف «آمون» : بيان : « انى أعطيك كل الأراضى والبلاد الأجنبية الخاصة بالأقواس التسعة جميعها تحت قدميك مثل رع ابديا ». وقد مثل الملك أمام «آمون رع» يقدم صدرية وقلادة ونقش فوقه : « ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « عنخ — كا — رع » بن رع «نستاسن» . ونقش أمامه : «اعطاء ... والده». وتقف خلف الملك أمه وفى احدى يديها صناجة وفى الأخرى اناء تصب منه قربانا ؛ ونقش فوقها : « الأخت الملكية والأم الملكية سيدة «كوش» المسماة «بلخا». لقد أعطيت تاج « نباتا » لأن والدها قد ثبت محراب تاج « حور أختى » .. ونقش أمامها : « انى ألعب بالصناجة لك » .

وقد مثل فى الجزء الأيمن من هذا المنظر مايأتى : يشاهد الاله « آمون » برأس كبش ونقش امامه : « آمون صاحب « نباتا » القاطن فى المطهر (أى الجبل المقدس فى « نباتا » وهو جبل « برقل » (الاله العظيم المشرق على بلاد « النوبة » معطى الحياة والقوة كلها أبديا » .

ونقش خلفه مايأتى : « بيان : انى أعطيك الحياة والقوة كلهما والثبات كله والعافية كلها وانشراح الصدر ، كما أمنحك سنينا أبدية على العرش أبديا » . ويشاهد الملك أمامه ممثلا كما مثل فى المنظر الذى على اليسار وقد نقش فوقه : « ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ابن « رع » ، «نستاسن» ونقش أمامه : « اعطاء — والده » . انى أقدم لك ... دبنا من الذهب فى الشهر الأول من فصل الصيف » .

وخلف الملك نشـاهد الابنة الملـكية والزوجة ملكة مصر « سخمسخ »
تلعب بالصناجة وتصب قربانا .

وفى أسفل هذا المنظر نجد متن اللوحة ويحتوى على ثمانية وستين سطرا
تتلخص فيما يأتى :

يبتدىء متن اللوحة باليوم التاسع من الشهر الاول من فصل الزرع (حوالى ٢٤ نوفمبر) من السنة الثامنة من سنى حكم الملك « نستاسن » ، ثم نجد فى الأسطر القليلة الأولى التى تلى سلسلة من الألقاب يشبه فيها الملك بثور هائج وأسد هصور ، ثم يقرن بالاله « تحوت » من حيث « الحكمة » وبالاله « بتاح » بوصفه مهندس عمارة و « بآمون » بوصفه يمد الانسان بالطعام. ثم نقرأ بعد ذلك أن الملك « نستاسن » ملك الجنوب والشـمال ينادى كل فرد لينصت لما سيقوله ، ثم ينطلق فى سرد أهم الحقائق فى حياته ، ويصف الحملات التى شنها على أعدائه . فعلى حسب القصة التى رواها عن نفسه يحدثنا أنه عندما كان صبيا طيبا فى « مرو » ناداه الاله « آمون » صاحب « نباتا » وأمره أن يأتى اليه هناك . وقد دعى كل أقارب الملك أن يأتوا معه ولكنهم أبوا ذلك قائلين انه هو حظى « آمون رع » ، وعلى ذلك أخذ فى السير فى صباح يوم من الأيام ، ووصل الى «استرسات» حيث كان هناك على مايظن قارب عبور . وهناك أمضى ليلته ، وسواء أكانت هذه البلدة على الشاطىء الأيسر أم الشاطىء الأيمن للنيل فانه لايمكن البت فى ذلك ، ولكن كما لاحظ الأثرى « شيفر » لا بد انه كان قد اتى الى المكان الذى كان قبل بدايته لا بد من اختراق الى « نبـاتا » ، ثم تابع سـيره فى اليوم التـالى واخترق الصحراء الى بلدة « تاقات » التى كانت على النيل على مسافة

قريبة من « نباتا » . ومن المحتمل أنه سافر على جزء من الطريق القديم الذى يمتد من النيل حتى نقطة قبالة قرية « بكراوير » الحديثة الى قرية قريبة بين « نباتا » وموقع قرية « كاسنجار » الحديثة . ويحدثنا الملك « نستاسن » ان بلدة « تاقات » كانت مسقط رأس الملك « بيعنخى ـــ الارا » ، الذى لايعرف عنه شيء على وجه التأكيد ولم يذكر الا فى هذا المتن . وعندما وصل الملك « نستاسن » الى « تاقات » أتى اليه القوم وأخبروه ان « آمون صاحب نباتا » قد وضع ملك « نباتا » عنــد قدميه وارسلهم الى معبــد « آمون » ، ثم ذهب بعد ذلك الى النهر وعبر الى الشاطىء الآخر وامتطى صهوة جواد وأخذ طريقه الى المعبد حيث وجد الكهنة والاشراف على استعداد لمقابلته . وبعد ان مر أمام المعبد دخل القاعة ، وبعد ان اقام فيها كل الشعائر المفروضــة ذهب الى « بيت الذهب » أو المحــراب ، واخبر الاله كل ما فى صدره . ويذكر لنا استرابون (Strabo XVII. 2,3) المحراب الذهبى فى «مرو» ولابد انه كان محرابا من الخشب مصفح بطبقة سميكة من الذهب . وقد كان الاله « آمون » رحيما واعطى « نستاســن » ملك بلاد « النوبة » وتاج « حرسيوتف » وسلطان الملك « بيعنخى آلارا » . وبعد ذلك أمر «نستاسن» باقامة عيد عظيم على شرف « آمون » فى اليوم الاخير من الشهر الثالث من فصل الشتاء . وقد ظهر الاله بنفسه فى موكب العيد . وفى هذا العيد أعطى « آمون » العاهل « نستاسن » ملك بلاد « النوبة » ، وكانت « الوت » أو «الواه» هى العاصمة وتقع على «النيل الازرق» على مسافة عشرة اميال فوق «الخرطوم» ، كما منحه أمم الاقواس التسعة والاراضى التى على كلا ضفتى النهر وأركان العالم الاربعة . وقد رقص « نستاسن » فرحا وقدم الشكر لآمون ، وفرح كل الناس غنيهم وفقيرهم فرحا عظيما . ثم ذهب بعد

ذلك الى مكان التضحية واخذ ثورين وذبحهما وصعد على العرش الذهبى فى « بيت الذهب » فى الظل هذا اليوم » .

ولما كان « آمون نباتا » قد اصبح راضيا ، فانه كان من الضرورى ان يذهب « نستاسن » ويقدم صلاته للالهة الذين يحملون اسم « آمون » فى بلاد « النوبة » . وعلى ذلك فانه ذهب الى بلده « برقم — آتون » (بالقرب من « سواردا » أو «سدنجا») واقام عيدا على شرف « آمون » الذى كان يعبد هناك ، وتحـدث مع الاله هناك الذى اعترف بملـكه ، واعاد كلمات «آمون صاحب نباتا » ومنحه قوسا جبارا . وبعد هـذه المحادثة صـعد « نستاسن » على العـرش الذهبى واتخـذ مقعده عليـه ، ثم ذهب الى برنبس (بنوبس التى ذكرها بطليموس) ، واقام عيدا على شرف «آمون» هذه البلدة . فظهر اليه الاله وتحدث معه ، واعترف بملكه واهداه بعض آلة حرب يحتمل ان تكون درعا .

وبعد الفراغ من هذه الأمور عاد « نستاسن » الى « نباتا » واقام عيدا عظيما على شرف « آمون » . وقد خرج الاله من المعبد ، واخبره «نستاسن» بكل ما حدث بينـه وبين « آمون برقم — اتن » (جمأتون) و « أمون صاحب برنبس » والآلهة الآخرين . وبعد ان رقص الملك أمام الاله ذهب الى مكان التضحية وأخذ ثورين وذبحهما ، ثم نزل الى حجرة « چات » حيث مكث مدة اربعة أيام واربع ليال وعندما خرج منها مرة آخرى ذبح ثورين آخرين . هذا ولا نعلم شيئا فى الشعائر عن هذه الحجرة ومكث الملك فيها . وبعد التضحية الثانية بثورين ذهب « نستاسن » الى المعبد واجلس نفسه مرة آخرى على العرش فى « بيت الذهب » . وبعد ذلك بأيام قلائل ذهب الى بلده « تارت » ليقدم للالهة باستت « والدته الطيبة » ولاءه . وقـد

استقبلته « باستت » بلطف ووعدت ان تمنحه الحياة والعمر الطويل، ثم ضمنه الى صدرها وأعطته عصا قوية . ولا بد ان بلدة « تارت » كانت تقع حوالى الشلال الرابع ، وذلك لأن الملك لم يأخذ اكثر من خمسة ايام ذهابا وأيابا وقد ذكر المؤرخ « بلينى » كما أشـــار الى ذلك الدكتور شيفر (راجع Pliny, Book VI., Chapter 35) ان قطة مصنوعة من الذهب كانت تعبد فى بلده « راداتا » Rhadata وهى بلدة على الجانب العربى لبلاد أثيوبيا ، غير انه لا يمكن تحديد موقعها . وعندما عاد « نستاسن » الى « نباتا » أقام عيدا آخر على شرف « آمون » .

وعند هذه النقطة من المتن نأتى على قائمتين تعددان هدايا قدمها الملك « لآمون » وتشملان اربع حدائق وستة وثلاثين رجلا لصيانتها وصورة لآمون صاحب « بر ــ جم ــ اتن » وصورتين للاله « حور » من الذهب والفضة والنحاس واوانى شهد من النحاس وافاويه ومر ،وثيران وبقرات وعجول وغنم الخ ... ويبتدىء المتن فى السطر التاسع والثلاثين يقص علينا تاريخ حملة قام بها رجل يدعى « كامبا سودن » على « نستاسن » . وقـــد ظن بعض الاثريين ان هذا الاسم محرف اسم «قمبيز» ملك الفرس الذى عاش فى أواخر القرن السادس فى حين ان « نستاسن » على حسب أحدث البحوث عاش فى أواخر القرن الرابع بعد الميلاد . وقد أرسل « نستاسن » جيشه من بلده « جارت » التى لا يعرف موقعها ، وقد انقض على « كامباسودن » وقتـــل عددا عظيمـــا من الغزاة ، واستولى على كل مستودعاتهم وسفنهم وأسلحتهم وشتت شملهم وأجلاهم عن «كارتبت»(؟) الى « تاروتيبحت». وتدل شواهد الأحوال على ان قوم « تارومن » قد ساعدوه لأنه اعطاهم أثنى عشر ثورا أمر باحضارها من « نباتا » . وفى يوم عيد ميلاده الذى اتى بسرعة بعد ذلك اعطى ستة ثيران

الى بلدة « ساكساكتت » وفى يوم عيد تتويجه قدم « لآمون » نصيبا من المحاصيل التى استولى عليها بين « كارتبت » (؟) و « تاررقت » وهو ثلاثماية ثورا وثلاثماية بقرة وماعزا الخ ومايتى رجلا ، وفيما بعد اهداه مائة وعشرة امرأة . اما باقى المتن فيحتوى على ملخص مختصر للحملات التى شنها «نستاسن» على اجزاء مختلفة فى السودان، ويمكن تلخيصها فيما يأتى:

كانت الحملة الأولى على قوم بلدة أو مركز « مختنقننت » التى يحتمل انها واقعة جنوبى « نباتا » ، ويحتمل انها على جزيرة « مرو » نفسها ، وقد استولى « نستانس » على مدينة « ايهقا » وذبح خلقا كثيرا من السكان ، واستولى على غنيمة عظيمة من النساء والماشية وعلى ذهب وفير ، وتشتمل غنيمته على ٦٥٩ر٣٠٩ من الماشية و٣٤٩ر٥٠٥ من الغنم والماعز الخ و٢٢٣٦ امرأة و٣٢٢ صورة من الذهب . ويقول « نستاسن » فى ختام قصته عن الحرب لقد تركت للدود كل شيء انتجته الأرض للطعام ، أى انه لم يترك سكانا لتأكل هذا الطعام ، لأنه قتل كل رجل . ثم اهدى بمثابة قربان للشكر سراجا واثنتى عشرة صورة «لآمون صاحب كاتارتيت» وقاعدتى سراج فى «واست» واثنتى عشرة صدرية فى « كاتارتيت » وفتح « بيت العجل المصنوع من الذهب » الذى كان يعبد فيه « آمون صاحب نباتا » فى صورة ثور .

اما الحملة الثانية فكانت على قوم « ربهر » و « اكاركهار » الذين هزمهم «نستاسن» فى مذبحة عظيمة واسر أميرهم «ربهدن» واستولى منهم على ذهب وفير حتى انه كان من المستحيل حصره ، كما استولى على ٢١٦ر٢٠٣ ثوراً و١٠٧ر٦٠٣ رأسا من الغنم والماعز وعلى كل النساء وكل المواد الغذائية التى فى البلاد . أما الامير فاعطاه آمون صاحب «نباتا» وقد ضحى به بلا نزاع للاله ، اذ كان من المستحيل السماح له بالحياة . هذا وتدل الكمية العظيمة التى استولى عليها « نستاسن » من الذهب فى هذه الحملة على ان بلدتى « ربهر »

و « اكارخار » لابد تقعان على النيل الأزرق ، ومن المحتمل فى الجنـوب الشرقى من مدينة « سـنار » . والواقع ان كميات كبيرة من الذهب يمكن الحصول عليهـا حتى يومنا هـذا من جيوب فى التلال هناك كما يحصـل الانسان كذلك على تبر كثير بعد غسله من الطين فى مجارى الأنهار .

والحملة الثالثة كانت على قوم « اررست » الذين هزمهم « نستاسن » فى مذبحة عظيمة ، فاستولى على « أبسة » أمير بلدة « ماشات » وعلى كل النساء وعلى ٢٢١٢٠ ثوراً و٥٥٫٢٠٠ رأس غنم وماعز و١٫٢١٢ دبنا من الذهب أى حوالى ٢١٫٧٢٦ جنيها مصريا . وقد أعطى الأمير للاله « آمون صاحب نباتا » على ما يظهر مقدارا معينا من املاكه الخاصة .

وقد استولى «نستاسن» فى حملته الرابعة التى شنها على «مخشر خرت» على كل النساء والمواد الغذائية وعلى ٢٠٣٫١٤٦ ثوراً وعلى ٣٣٠٥٠ رأسا من الغنم والماعز ، ولم يذكر اسم أمير الاقليم ، ولم يتسلم آمون أى شىء من غنيمة هذه الحملة ، وذلك لأن الملك يقول لنا انه قد حفظها كلها لنفسه .

وفى الحملة الخامسـة حارب « نستاسن » قوم « ميهكا » الذين قابل جنودهم جموعه ، والظاهر انهم قدموا خضوعهم بوساطة شـجرة جميز من بلدة « سار سارت » . ولكن المتن استمر يقول انه حاربهم وقتل منهم خلقا كثيرين ، واستولى على امير يدعى « تامخيت » وعلى كل النساء وكل المواد الغذائية وعلى ٢٠٠٠ دبنا من الذهب (٢١٫٠٠٠ جنيها) وعلى ٣٥٫٣٣٠ ثوراً وعلى ٥٥٥٢٦ رأس غنم وماعز .

ويختتم « نستاسن » متنه بذكر عملين صالحين اداهما خدمة للدين . وذلك ان جماعة من الرجال من بلاد « مثى » التى تقع على ما يحتمل شرقى النيل

قد قاموا بغارة على بلدة « جمآتون » واستولوا من معبد آمون على أشياء كثيرة غالية كانت قد أهديت للاله من الملك « اسبالتا » فاستنجدوا بالملك « نستاسن » لمعاقبة المغيرين ، ولكن يظهر أنهم كانوا قد فروا لأن متاع الاله لم يرد اليه ثانية . ولما كان «نستاسن» لا يريد أن لا يحرم المعبد متاعه فانه ضحى ببعض ماله مقابل الأشياء التى سرقت ونهبت ، وفى ذلك يقول : ان آمون « نباتا » قد منحنى الكنز وانى رددته «لآمون» صاحب «برجمأتون». هذا وقد وقعت حادثة أخرى مماثلة للتى نحن بصددها فى بلدة « تارت » أو « ثرت »، وهى كمارأينا من قبل كانت تحتوى على محراب للآلهة «باستت» وكان الملك «اسبالتا» قد أهدى بعض أشياء لمعبدها فى نهاية القرن السابع ، وقد بقيت فى امان حتى عهد « نستاسن » أى أكثر من حوالى ٣٠٠ سنة . وفى خلال حكمه على أية حال قامت جماعة من المغيرين من اقليم « متيت » واقتحموا معبد الآلهة « باستت » وسرقوا بعض الأشياء التى كان قد أهداها الملك « اسبالتا » للآلهة . والظاهر ان المغيرين قد افلتوا وهربوا ولم ترد الأشياء التى سرقت فعوضها الملك « نستاسن » الذى دفع ثمن الأشياء الجديدة من ماله الخاص . وفى مقابل هذه الهدية ارسلت بعض اشياء للملك تحمل فى طياتها بركة هذه الآلهة وحمايتها له . وتختم النقوش بتأمل ملؤه الصلاح والايمان من جانب « نستاسن » يشير فيه الى دوام كلمة آمون والى الاتكال المطلق الذى يتكله الناس عليها لبقائهم . والآن يتساءل المرء ما الذى نخرج به من متن هذه اللوحة الطويل من حيث حالة البلاد بوجه عام فى تلك الفترة من تاريخها ؟.

والواقع ان مقدار الغنائم التى تدفقت على « نباتا » عاصمة الملك فى مدة

تقل عن ثمانية أعوام نتيجة الحملات الخمس التى قام بها على الاقاليم المجاورة لملكه ، كانت عظيمة جدا ، ولا بد ان كهنة آمون وآلهتهم كانوا راضين بذلك أشد الرضا ، فاذا جمعنا الأرقام التى ذكرها لنا وهى الممثلة لما كسبه فى الحرب فانا نجد انه غنم ٦٧٣ر٤٧١ ثوراً و ١ر٢٥٢ر٢٣٢ رأس غنم وماعز الخ و ٢ر٢٣٦ امرأة و ٣٢٢ صورة من الذهب أو حلقات من الذهب ، و ٢٢١٢ دبنا من الذهب أى ٣٣ر٧٢٦ جنيهــا ، هذا فضلا عن الذهب الذى يخطؤه العــد والنساء اللاتى لم يمكن احصاؤهن ، وكذلك المواد الغذائية والمستودعات .

ومن ثم نفهم ان فكرة « نستاسن » فى شن الحرب كانت بسيطة تنحصر فى ذبح الرجال وأسر النساء والاستيلاء على الماشية والذهب والطعام ثم ترك البلاد قاعا بلقعا وجعل الجراد يلتهم ما تنبت الأرض . وعلى أية حــال فان حــكمه لم يكن بحــــال ثابت الأسس ، وذلك لأن المغيرين من الصحــراء الشرقية كان فى استطاعتهم ان يسرقوا متاع معبدى «آمون» و « باستت » ويفرون بغنيمتهم دون اللحاق بهم. وقد طلب كهنة هذين المعبدين اصلاح ما أفسده هؤلاء المغيرون بارجاع المتاع المفقود وحمايتهم فى المستقبل ، وقد أجابهم هذا الملك الى طلبهم واعاد للمعبدين رونقهما ، وقد كان الغرض الأول للملك من تعويض المعبدين عما سرق منهما هو ان يتحاشى غضب الكهنــة وتلافى عدم مساعدتهم له عند الحاجة ، وبخاصة عندما نعلم ان الملوك فى كل من مصر وبلاد النوبة كانوا يعتمدون اعتمادا كبيرا على رجال الدين فى تلك الفترة من تاريخ البلدين ، وذلك لأن زمام الشــعب كان فى يدهم وكانوا قادرين على خلع أى ملك وتنصيب غيره وبخاصــة فى هذا العهــد المليء بالمؤامرات والدسائس والحروب الصاخبة كما تحدثنا عن ذلك فى مكانه من هــذا المؤلف .

الخلاصـــة

والآن بعد سرد تواريخ هؤلاء الملوك الذين حكموا بلاد السودان وهم بمعزل عن البلاد المصرية بقدر ما وصلت اليه معلوماتنا نرى انه من الواجب علينا الاعتراف هنا بان المادة التاريخية التى بين أيدينا حتى الآن لا تخرج عن سرد تواريخ حكم هؤلاء الملوك وماكانت عليه مقابرهم المنهوبة من فقر أوغنى ، هذا بالاضافة الى بعض لوحات أقامها بعض الملوك فى المعابد التى أقامهـا ملوك الأسرة الخامسة والعشرين العظام بمثابة تذكار لهم وحسب ، ذاكرين فى النقوش التى خلفـوها حروبهم وما قاموا به من أعمـال جليلة لآلهتهم ومعبوداتهم فى انحاء البلاد . ونرى من خلال هذه النقوش انها كانت ترمى الى غرض واحد وهو ارضاء الآلهة أو بعبارة أخرى ارضاء الكهنة الذين كانوا اصحاب القوة وبخاصة كهنة الاله آمون . هذا وتدل شواهد الأحوال على ان الشعب فى ذلك الوقت لم يكن فى بحبوحة من العيش ، فقد رأينا ان الملوك كانوا يقومون بحملات تأديبية لقهر المغيرين من أهل الصحراء والبدو وكذلك لقهر بعض الأقاليم السودانية نفسها عند ما تشـق عصا الطاعة . وفضلا عن ذلك يلحظ من الأشياء التى تركها اللصوص الذين نهبوا مقابر الملوك والملكات الذين دفنوا فى « نورى » وفى « مرو » انه كان هناك انحطاط تدريجى فى الثقافة التى ورثها هؤلاء الملوك عن المصريين فنجد أولا أنه كان هناك نقصا ظاهرا فى معرفة اللغة المصرية القديمة وذلك انه على الرغم من عظم هرم الملك مالويبأمانى نسبيا وغنى أثاثه الجنازى فانه يظهر من جهة أخرى انه كان ملكا ثريا ميسورا ، ولكن نجد بعد عصره حتى نهاية العهد المروى ان الأوانى الفخارية التى وجدت فى مقابر من خلفه من الملوك كانت مصنوعة صناعة رديئة ، كما أن صياغة الذهب كانت خشنة وغير متقنة ، يضاف الى

ذلك ان مقابر الملوك لم تكن تحتوى الا على القليل من الأشياء المصنوعة من الخزف المطلى وعلى النادر من جعارين القلب التى كانت مكتوبة كتابة رديئة خاطئة . هذا ولم تعد بعد الآوانى المصنوعة من الحجر تصنع محليا ، والقليل الذى وجد من الاوانى المصنوعة من المرمر فى مقابر الملوك والملكات فانه على ما يظهر قد جلب من مصر !

اما النقوش التى كانت تنقش على جدران مقاصير الملوك وحجر دفنهم فكانت آخذة فى الانحطاط لدرجة ان بعضها كان غاية فى الرداءة والخشونة، أما اللغة المصرية فلم تكن تفهم بعد ، فكانت ثلاثة الاسماء الأولى من اسماء الملوك الخمسة التى كان يحملها عادة ملوك مصر قد اصبحت ثابتة ، واصبحت تنقل من ملك لآخر بوصفها جزءاً من الالقاب الملكية .

وليس لدينا من هذا العصر الا ثلاثة نقوش تاريخية حتى الآن أقدمها نقش الملك « امان — نيتى — يريكى » الذى وجد كما ذكرنا من قبل على جدران معبد الملك تهرقا « الكوة »،وقد كتب باللغة المصرية القديمة . غير ان شكل الاشارات كان قد تدهور ، ومن الواضح انه على الرغم من ان اللغة المصرية كانت لا تزال اللغة الرسمية للكتابة فانها لم تكن لغة الكلام. ولا أدل على ذلك من اسم هذا الملك الفظ فى نطقه وشكله ويعنى « المولود من آمون « نى » » (وكلمة « نى » معناها هنا البلد وهو لقب كان يطلق على مدينة « طيبة ») ومن المحتمل ان هذا اللقب قد أتى مع آمون الى «نباتا» واصبح يطلق على «نباتا» . وقد وصفت «نباتا» فى هذا المتن بأنها الجبل المقدس لأرض « نحسى » أى أرض الجنوبيين دالة بذلك على أنه كان ينظر اليها فعلا من قبل «مرو» بأنها اقليم ناء عنها . وهذا النقش قد ألف فيها . ويحدثنا النقش كما ذكرنا سابقا كيف ان الملك كان فى الواحدة

والأربعين من عمره عندما خلف الملك « تالخامانى » على عرش الملك بعد موت الأخير فى « مرو » . وهذا يؤكد أن ملوك السودان كانوا يقطنون « مرو »منذ زمن طويل قبل ان أصبح دفن الملوك فيها عادة متبعة . وفى زمنه كان قوم « رهرهس » — ويحتمل أنهم جزء من « البيجا »— يغيرون على الاقليم الذى يقع بين النيل و « العتبرة » فأغاروا على الماشية واستولوا على بعض اسرى. وقد أرسل الملك أولا الجيش على « الرهرهس » وصدهم ، ثم زحف على ما يظن بطريق البر من « مرو » الى « نباتا » لأجل ان يتوج هناك فوصل الى « نباتا » فى تسعة أيام وذهب الى قصره فى جبل برقل ، وهناك أعطى القبعة الرسمية لأرض « النوبة » وهى التى بقيت تستعمل فى بلاد النوبة حتى القرن الثالث عشر الميلادى (راجع Arkell, A History of the Sudan. p. 192 fig. 24).

ثم ذهب الى معبد « آمون رع » الذى يقطن الجبل المقدس حيث اعترف به «آمون» ملكا على البلاد . وبعد ذلك انحدر الملك فى النهر الى «كارتن» وهى أكبر بلد بين « نباتا » و « الكوة » . وموقع هذه البلدة لم يحقق حتى الآن (كورتى ؟؟) . ومن المحتمل أنها كانت تقع على المنحنى العظيم للنيل ، وقد أغار عليها سكان الصحراء الغربية وهم الذين يسمون « مدد » ويحتمل انهم نفس « البيجا » (وبالمصرية مجو) مرة أخرى ، وعلى ذلك أرسل عليهم الملك حملة تأديبية قبل ان يسير الى « الكوة » التى وصل اليها بعد سبعة عشر يوما من مغادرته « نباتا » وفى « الكوة » قدم له الاله قوسا وسهاما أطرافها من البرنز ثم غادرها الى «بنوبس» التى كانت على مقربة من «الكوة». ومن المحتمل أنها كانت المعبد الذى فى جزيرة « ارجو » . والظاهر انه قطع الرحلة فى يوم واحد . وعند وصوله ذهب الى معبد «آمون رع» فى «بنوبس» وقدم له الاله أربعة أقاليم هدية كان قد استولى عليها بمساعدة آلهة هذ

الاقاليم وهى كما جاءت فى اللوحة التى ترجمناها « جم ــ امن ــ ست » ، « سكست » و«ترهت» « مورس » . ولم يعرف أماكنها ، ولكن يظن انها فى أرض « المدد » (البيجا) الذين غزوا «كار تن» . ثم عاد بعد ذلك الملك الى « الكوة » حيث أهداه الاله هناك سبعة أقاليم استولى عليها وهى «مركر» ، «ارتكر» ، «اشمت» ، «جركن» ، «ارم» ، «تاى ــ نبت» و «ار» . وفى «الكوة» نظف الطريق المؤدى الى معبد «آمون» . وكان قد طغى عليه الرمل لمدة اثنين واربعين عاما ، وهناك زارته امه كما زارت تهرقا امه فى مصر ، ثم تحدث مع الاله آمون وأمر باصلاح بعض المبانى .

والنقش الثانى هو لوحة الملك « حرسيوتف » التى ترجمناها فى مكانها عند التحدث عن هذا الملك ويرجع تاريخ هذا المتن الى السنة الخامسة والثلاثين من حكم هذا العاهل ، وقد عثر عليها فى « جبل برقل » وهى محفوظة الآن بالمتحف المصرى . ويحدثنا المتن عن تسع حملات قام بها هذا الملك على اعدائه فى الاراضى المجاورة له كما ذكر لنا اسماء اماكن مختلفة ربما يمكن تحديد مواقعها يوما من الأيام بدرجة أكبر من الدقة أكثر مما نعرفه هنا الآن على ضوء كشوف حديثه . فقوم « مجو » (وهم البيجا الحاليون) الذين يسكنون فى الأراضى شبه القاحلة الواقعة فى شرقى النيل وقد حاربوا الملك « حرسيوتف » فى ثلاث حملات قام بها عليهم كما نازله فى ثلاث حملات أخرى قوم « رهرهس » هم الذين غزوا جزيرة « مرو » قبل عهده كما اسلفنا . وفى حملة أخرى هرب بعض الثوار من « اقنا » (وهى فى نطقها تشبه بلدة « اكن » وهى الميناء الواقعة على الشاطىء الغربى للنيل على مقربة من الشلال الثانى بالقرب من « بوهن » ، الى « اسوان » ، وهذا يوحى بانه فى هذا الوقت كانت بلاد النوبة السفلى (أى اقليم وادى حلفا ــ

الشلال) لم تكن تابعة لأحد بل كانت مشاعة بين مملكة « كوش » وبلاد مصر . ويحدثنا « حرسيوتف » فى أول متنه كيف انه علم فى منام رآه ان « آمون » قد منحه عرش البلاد ، ثم سافر بعد ذلك الى «نباتا» وقد استقبله « آمون » راضيا عنه ، ثم زار بعد ذلك معابد « جمأتون » (الكوة) و « بنوبس » (يحتمل انها أرجو) ومحراب الآلهة « باستت » فى « تار » (لم يحدد مكانها ، ولكن يظهر انها تقع بين «نباتا» و «مرو») . وقد ذكر لنا نشاطه فى اقامة المبانى فى « نباتا » وغيرها كما ذكر الاعياد التى أسسها فى اثنتى عشرة بلدة . ومما يلفت النظر فى نقوش هذه اللوحة انها تشبه ما جاء على لوحة «امان — نيتى — يريكى» ، وذلك لأن هؤلاء الملوك كانوا يقلدون بعضهم بعضا من حيث الفتوح والمباهاة فى التغالى فى خدمة الاله « آمون » والخضوع لكهنته . وهذه كانت عادة أصيلة عرفناه فى ملوك مصر عند ما كان الفرعون منهم ينقل البلاد التى فتحها أول ملوك الأسرة الثامنة عشرة نقلا أعمى وينسب فتحها لنفسه دون استحياء .

والنقش الأخير هو الذى تركه لنا الملك «نستاسن» (٣٢٨ — ٣٠٨ ق.م) وهذا الملك هو آخر عاهل لكوش دفن فى جبانة « نورى » . وقد تحدثنا عن هذا المتن طويلا فيما سبق . والخلاصة انه قد تولى عرش الملك حوالى الوقت الذى ضم فيه « الاسكندر الأكبر » أرض الكنانة الى امبراطوريته المنقطعة النظير . وتقص علينا لوحة « نستاسن » كيف انه طلب اليه وهو فى « مرو » الذهاب الى « نباتا » حيث نصبه آمون على « الت » التى يحتمل انها « ألوا » وهى الاقليم الذى يقع حول الخرطوم . وكانت « صوبه » (التى تقع على بعد اثنى عشر ميلا فوق الخرطوم) عاصمته . ولم يعمل فى « صوبه » هذه اعمال حفر علمية الا مجسات قليلة غير انه يوجد الآن فى أرض كتردائية « الخرطوم » تمثال كبش عليه نقش باللغة المروية وكان قد

أوتى به من صوبه الى الخرطوم والذى أحضره هو غوردون وهذا يدل على ان بلدة « صوبه » فى هذا الوقت كانت ذات أهمية ملحوظة . وقد زار « نستاسن » معابد « الكوة » و « بنوبس » و « تار » عند توليه عرش الملك كما فعل ذلك من قبله « حرسيوتف » وكذلك قام بعدة حملات حربية فى انحاء بلاده مما يوحى بأن البلاد لم تكن فى سلام بل كانت الأخطار تزداد فيها بدرجة عظيمة . والواقع انه كان فى مقدور قوم « البيجا » أن يسرقوا من معبدى « الكوة » و « تار » اشياء من الذهب كانت فى امان منذ عهد الملك « اسبالتا » ، وفى كلا الحالتين لم يقبض على اللصوص واضطر الملك ان يصنع بدلا منها من ماله الخاص فى معبدى هذين الالهين .

وبعد عهد هذا العاهل تبتدىء بلاد كوش عهدا جديدا خارجا عن نطاق هذا الكتاب .

لمحة فى تاريخ مملكة « فارس » وتكوينها

مقدمـــة

تحدثنا فيما سبق عن مملكة « آشور » ونشأتها وفتحها بلاد « مصر » ثم ألمحنا الى زوالها من عالم الوجود ، وتحرير « مصر » من سلطانها الغاشم . وطبعى أن نتحدث الآن عن المملكة التى احتلت مكان « آشور » فى العالم المتمدين وقتئذ ومدت نفوذها وسلطانها على أرض الكنانة ، وأعنى بذلك دولة « فارس » التى قامت على أنقاض دولتى « عيلام » و « ميديا » ، وهما المملكتان اللتان كانتا تعدان أكبر منافس لدولة « آشور » وقت أن كانت فى عز مجدها وسؤددها . وسنحاول هنا أن نضع مختصرا عن أصل قوم « فارس » وعن نشأتهم وامتداد فتوحهم حتى يسهل علينا فهم العلاقات التى كانت بين وادى النيـــل وبلاد الفرس ، عندما غزت الأخيرة وادى النيـــل وحكمته مدة طويلة من الزمان ، فقد بدأت تسيطر « فارس » على « مصر » منذ ٥٢٥ ق.م. واستمرت تحكمها حتى عام ٤٠٤ ق.م. ، عندما انتفضـت « مصر » انتفاضتها الأخيرة وطردت الفرس واستقلت بشئونها وظلت عزيزة الجانب حتى عام ٣٤١ ق.م. ، عندما دخلها الفرس ثانية لكن لفترة قصيرة استمرت حتى دخلهـا « الاسكندر » المقدونى عـام ٣٣٢ ق.م. ولم تذق « مصر » بعد ذلك حلاوة الاستقلال حتى عام ١٩٥٢ م. عندما تولى شئونها مصرى صميم أعاد لها استقلالها الغابر ومجدها التليد .

« عيلام » و « آشور » :

ذكرنا عند البحث فى تاريخ « أور » (١) الدور الذى قامت به « عيلام »

(١) راجع مصر القديمة الجزء ١١ ص٤٢٦ — ٤٢٧

فى مناهضة ملوك « آشور » وذلك فى سبيل المحافظة على استقلالها وحريتها، ولكن لدينا فترة فى تاريخ « عيلام » — وهى المدة التى تقع بين القرن الثانى عشر ومنتصف القرن الثامن قبل الميلاد — لا نعلم خلالها شيئا تقريبا عن أحوالها وسير الأمور فيها اللهم الا اشارات عابرة جاء فيها أنها كانت فى حروب مستمرة من وقت لآخر مع دولة « آشور » . وينسب غموض تاريخ مملكة « عيلام » وقتئذ أولا الى عدم وجود مصادر يعتمد عليها ، ويرجع سبب ذلك الى الحوادث الخارجية والداخلية التى تنتج عنها قلب نظام الحكم وارتباك الأحوال بصورة مفزعة . فمن بين الحوادث الخارجية ما شوهد من استقرار عناصر سلالات جديدة فى تلك البلاد مما أثر فى اضعافها ، ونخص بالذكر من بين هذه السلالات القبائل الفارسية ، وكذلك قوم الآراميين الذين كانوا يسكنون فعلا منذ زمن طويل على شاطىء نهر « دجلة » الأيسر .

وقد وجدنا قوم « فارس » يقطنون فعلا حوالى عام ٧٠٠ ق.م فى « بارشوماش » الواقعة على جانب جبال « بختيارى » فى الجهة الشرقية من « شوشتنار » فى الاقليم الواقع على نهر « قارون » بالقرب من الحلقة العظيمة التى يؤلفها هذا النهر العظيم قبل أن يتجه نحو الجنوب . ولم تكن «عيلام» وقتئذ من القوة بحيث تقف فى وجه استيطانهم فى هذا الاقليم الذى كان على أية حال يؤلف جزءا من ممتلكاتهم ، وكان الفرس مع اعترافهم على أغلب الظن بسيادة «عيلام» عليهم ، قد أسسوا بقيادة ملكهم «أخامنيس»(١)

---

(١) كان مؤسس المملكة الفارسية يدعى « هاخامانيش » أو « أخامنيس » وكان فى الأصل امير قبيلة « باسارجادا » **Pasargadae** وكانت عاصمته تحمل نفس اسم القبيلة ولا تزال بعض مدنها باقية حتى الآن من عهد « سيروس » العظيم (أو «كورش» العظيم). على انه ليس لدينا معلومات أكيدة اكثر عن أعمال « أخا منيس » هذا الذى تنتسب اليه كل ملوك الفرس القدامى ، لكن احترام

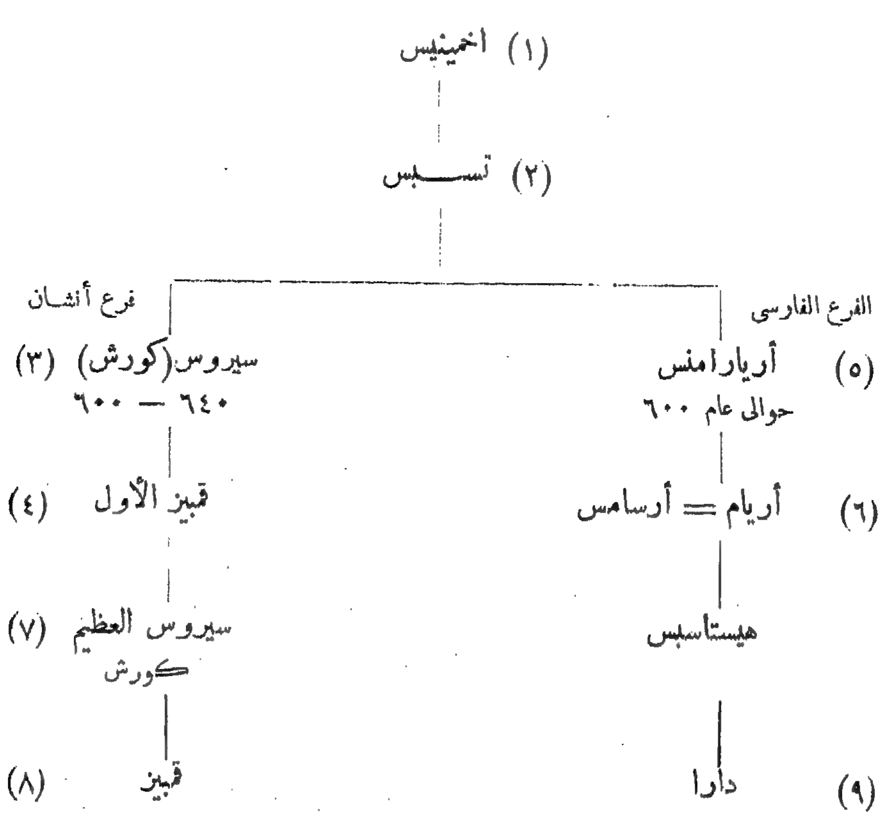
مملكتهم الصغيرة وأطلقوا عليها اسمه ، وقد شاءت الأقدار فيما بعد أن يلمع اسمه فى عالم التاريخ بصورة منقطعة النظير فقد أطلق على دولة «فارس» اسمه وأصبحت تذكر فى التاريخ بالدولة الأخمينيسية .

وكانت الحروب فى خلال تلك الفترة بين «آشور» و «عيلام» لا يخمد أوارها سنويا كما أسلفنا من قبل بسبب ما كان للعيلاميين من مكانة بارزة فى الشئون البابلية ، فمن ذلك أن ملكهم « هوبان أمان » جمع جيشا عظيما (٦٩٢ — ٦٨٨ ق.م.) عند ما أراد أن يعاضد الأطماع المشروعة التى كان يدعيها ويسعى لتحقيقها أمير « بابل » لمساعدته على « آشور » . وفى خلال الحروب التى نشبت بين هاتين الدولتين سمعنا للمرة الأولى عن الفرس وعن «بارشوماش» . وعلى أية حال حارب هذا الملك الاشوريين فى موقعة دامية فى «هللولى» غير أنها لم تكن حاسمة، وبعد هذه الموقعة بقليل نجح «سنخرب» ملك « آشور » فى الاستيلاء على « بابل » ، ومن ثم أجبرت مملكة « بابل » مرة أخرى على الانزواء فى عقر دارها . ولما كانت بلاد « آشور » تتابع اخضاع أعدائها فانها بذلك أثقلت كاهل بلاد « عيلام » من الوجهتين الحربية والسياسية وبخاصة أن نجمها كان قد آذن بالأفول . وتفسير ذلك أن سياسة « آشور » من جهة كانت ترمى الى تمزيق البلاد المجاورة لها ، ومن جهة أخرى كانت خطتها معاضدة الأمراء المجاورين لها ، غير أنها كانت تخص بهذه المعاضدة الأقوام الذين كانوا يأخذون على أنفسهم المواثيق أن يبقوا على الولاء للعرش الآشورى . وقد دلت الأحوال على أن ملوك « آشور »

ذكراه بدرجة عظيمة قد يبرهن على انه فى واقع الأمر قد صهر القبائل الفارسية الخشنة الأصل الى أمة قبل أن تظهر على مرسح التاريخ . وقد ظن البعض أن اسم « أخامنيس » ان هو الا حديث خرافة (راجع Sir Percy Sykes : A History of Persia Vol. I p. 142)

كانوا ينصبون ويعزلون ملوك « عيلام » على حسب ارادتهم ومقتضيات الأحوال الملائمة لسياستهم . وفى خلال هذا الجو القاتم انقسمت بلاد «عيلام» على نفسها فكان فريق من أهلها يشايع « آشور » وفريق يناهضها . وكانت مملكة « فارس » الصغيرة فى تلك الفترة مستمرة فى تثبيت سلطانها ومد نفوذها شيئا فشيئا .

وسنورد هنا قبل الكلام عن حكم أسرة اخمينيس سلسلة نسبه



وقد اشار ملك الفرس « دارا » فى نقوش «بهيستون « Behistun الى تقسيم مملكة « فارس » الى هذين الفرعين حيث يقول : « يوجد ثمانية من نسلى قدتولوا الملك من قبلى وانى تاسعهم فكنا فى فرعين ملوكا » .

وهذا يتفق مع القائمة التى أوردناها هنا . (راجع

Lehmann - Haufst Klio VIII 495;
Skes: A History of Persia p. 142-143.

(« تسبس » ملك « أنشان » ٦٧٥ ـ ٦٤٠ ق . م .)

كان «تسبس» بن «أخمينيس» وقتئذ يحمل لقب ملك مدينة « أنشان » ويسيطر على الاقليم الذى يقع فى الشمال الغربى من « بارشوماش » . واذا كان هذا الملك الصغير قد أفلت من سيادة « عيلام » عليه فانه كان مضطرا على حسب رأى « هردوت » أن يعترف (حوالى ٦٧٠ ق.م.) بسيادة «ميديا» عليه فى عهد ملكها « فراأورتا ـ كاستراتا » (Phraorta-Kastrata) وهذا الأخير كان قد ألف حلفا عظيما غرضه القيام بهجوم على « آشور » ، غير أن خيبة هذه المحاولة مضافة الى موت « كاستراتا » عام ٦٥٣ ق.م. ـ وقد جاء ذلك على أعقاب غزو السيثيين والميديين مدة عشرين سنة ـ قد مهد الطريق للملك « تسبس » للاستيلاء على « ميديا » ، ومن ثم أصبح « تسبس » مواجها لدولة « عيلام » التى كانت سائرة نحو التدهور التام ، فأخذ يمد فى حدود بلاده فأضاف اليها « بارسا » أو (فارس) الحالية . وقد دلت شواهد الأحوال على أن سياسة « تسبس » الحازمة المنطوية على الصبر والأناة كانت ذات أثر عظيم فى مستقبل مملكته الفتية التى زاد فى حدودها ووسع رقعتها . وعلى الرغم من سياسته الجريئة فانه كان فى الوقت نفسه حازما اذ قد تجنب بقدر المستطاع الدخول فى الحروب التى كانت دائرة بين الممالك العظمى وقتئذ . وعندما استنجدت « عيلام » بالملك « تسبس » لمناصرة ملك « بابل » « شاماش ـ شوم ـ أوكيد » الذى خلعه « آشور بنيبال » رفض رفضا باتا الدخول فى مثل هذه المغامرة .

وكانت مملكة « فارس » عند موت « تسبس » تحتوى على اقليم « بارشوماش » مضافا اليه اقليمى « أنشان » و « بارسا » . وقد قسم هذا العاهل بلاده بين ابنيه « اريارمن » الذى ولد فى أحضان الملك حوالى عام ٦٤٠ ـ ٥٩٠ ق.م. وقد أصبح ملكا عظيما ولقب « ملك الملوك » وملك

بلاد « بارسا » ، وبين « سيروس » الأول (حوالى ٦٤٠ — ٦٠٠) وهوالذى أصبح فيما بعد يلقب « بالملك العظيم » ببلاد « بارشوماش » . وقد عثر له على أثر هام بطريق الصدفة فى « حمدان » وهو لوحة من الذهب نقش عليها بالخط المسمارى وباللغة الفارسية القديمة ألقاب الملك « اريارمن » ويقول فيها هذا الملك « ان بلاد فارس هذه وهى التى يمتلكها مجهزة بخيل جميلة ورجال طيبين » ، وان الاله العظيم « أهورا مازدا » هو الذى أعطانيها وانى ملك هذه البلاد » .

ولا نزاع فى ان هذه اللوحة تقدم لنا أقدم أثر اخمينيسى معروف حتى الآن ، منقوش عليه أقدم متن فارسى ، وهذا المتن يكشف لنا بلا ريب عن التقدم الهام الذى كان قد تم فعلا منذ أوائل القرن السابع قبل الميلاد على يد القبائل الفارسية التى لم تكد تنتقل من حياة الجولان الى حياة شبه مستقرة . وتعبر حروفهم الأبجدية بمساعدة بعض العلامات المسمارية عن وجود تقدم فعلى محس بالنسبة للكتابات الرمزية المقطعية الآشورية أو العيلامية التى بقيت مستعملة ، وهى التى أوحت بتكوينها وابرازها الى حيز الوجود . هذا ونجد أن الفرس فى فجر تاريخهم عندما كانت مملكتهم الصغيرة لاتزال فى عز نشأتها وتأليفها — قد حققوا ما كان من الصعب أن يصل اليه سكان الهضبة الايرانية فى مدة قرون بل وفى مدة آلاف السنين ، وأعنى بذلك التعبير عن لغتهم بوساطة كتابة خاصة بهم . على أن لوحة « اريارمن » السالفة الذكر لم تكن الوحيدة من نوعها التى كشف عنها كما سنرى بعد ، وقد كانت على مايظهر تفوق حد المألوف من حيث كتابتها ، لدرجة أن بعض العلماء قد شكوا فى قدمها وادعوا أنها محض تزييف . والواقع أن الفرس منذ بداية تاريخهم قد برهنوا على عبقرية وقوة ابتداع كما برهنوا على أنهم اذا تبنوا فكرة جاءت اليهم من الخارج ، كانوا يعرفون

كيف يشكلونها على حسب عبقريتهم ومزاجهم فتبرز فى ثوب جديد مميز .

وقد وقعت فى « عيلام » حوادث أدت الى اعلان « آشور » الحرب عليها ، وذلك أن « تماريتو » ملكها الذى كان يعد نفسه مواليا لدولة « آشور » قد خلع عن عرشه على يد قائد من أهالى البلاد فهرب ، ولكنه وقع أسيرا فى أيدى الجنود الآشوريين وقيد الى « نينوه » ، ولم يمض طويل زمن حتى ظهر ان ملك « عيلام » الجديد كان متأرجحا بالنسبة لولائه لدولة «آشور» ، وقد زاد الطين بلة أن « أشور بنيبال » كان قد قرر أن يضرب فى تلك اللحظة ضربته القاصمة « لعيلام » . وقد كان أمام القيادة الآشورية فى هذه الحالة غرضان وهما الزحف على « سوس » فى الجنوب و « ماداكتوا » فى الشمال بوادى « الكرخ » الأوسط . وقد كان مصير « ماداكتوا » أن استولى عليها كما سقطت عدة مدن أخرى عيلامية تقع على امتداد هـذا النهر . وبعد هذا النصر ولى العاهل « آشور بنيبال » على البلاد العيلامية ملكا جديدا يدعى « تماريتو » فى بلدة « سوس » . على أن هذه الحال لم تدم طويلا اذ خلع الملك الجديد الذى كانت تحميه «آشور» ، وقد طلب النجدة من « آشور بنيبال » ثانية ، فسار لنجدته على رأس جيش عظيم ، وكان عازما فى هذه المرة القضاء على « عيلام » قضاء مبرما ، وقد تم له ما أراد .

والواقع أن دولة « آشور » التى كانت وقتئذ تنحدر نحو الأفول ، اذ لم يكن قد بقى من عمرها أكثر من ربع قرن من الزمان ، قد قضت على « عيلام » ، وذلك أن « آشور بنيبال » قد استولى على « ماداكتوا » (١)

---

(١) تقع هذه المدينة عـلى منتصف « نهر الكرخ » وكانت تناهض مدينة « سوس » فى القوة والأهمية (راجع Sykes : A History of Persia I p. 44.)

كرة أخرى وعبر « نهر الكرخ » الى « سوس » ، ثم قفا أثر ملك « عيلام » وكذلك استولى على عـدد عظيم من القرى العيلامية . وبعـد ذلك تابع الآشوريون زحفهم حتى عبروا نهر «أديدى» وهو نهر « أيئديز» الحالى ووصلوا فى زحفهم حتى بلدة « هيدالو » التى يجب أن تكون واقعة فى اقليم « شوشتار » . وقد اندفع القائد الآشورى فى زحفه نحو الشرق حتى وصل الى بداية جبال «بختيارى » وهى التى تعد الحد الغربى لمملكة «بارشوماش». وقد أطلق الكتاب الآشوريين على ملك هذه البلاد اسم « كورش » وهو « سيروس » الأول بن الملك « تسبس » . وقد رضى هذا العاهل أن يقدم ابنه الأكبر المسمى « أروكو » رهينة على ولائه للملك « آشور » عندما ظن الأخير به الظنون .

وهذا الحادث الذى يضع أمامنا أول اتصال مباشر بين «فارس» و«آشور» يقدم لنا معلومات غاية فى الأهمية عن تحديد اقليم « بارشوماش » الذى يحتوى على المركز الذى يوجد فيه الآن « مسجد السليمان » الذى يعد مركز انتاج البترول . والواقع أنه فى هذا المكان بعينه يشاهد بقايا مدرج هائل صناعى مرتكزا على الجبل ، وقد ظن بعض العلماء الذين أثر عليهم وجود البترول تحت أرض هذا الوادى أنه كان يوجد هنا معبد للنار كانت شعلته الأبدية تغذى من الغاز الذى ينبع من جوف الأرض . وقد دلت أعمال الحفر التى عملت فى هذه البقعة على أنه كان قد أقيم على هذا المدرج مبانى حكومية لايزال ظاهرا منها ايوان ثلاثى الشكل حتى الآن .

وقد كان من الطبيعى أن يمتد سـلطان « سياركزريس Cyaraxris » ملك « ميديا » الذى قهر الآشوريين واستولى على « نينوه » الى مملـكتى

« فارس» الصغيرتين ، فى حين أننا نجد على حسب اتفاق تقسيم بلاد «آشور» بين « ميديا » و « بابل » أن « سوس » أو « سوسياناً » قد أصبحت ضمن أملاكهما .

وقد خلف «اريارمن» ابنه «أرسام» الذى عثر له منذ زمن قريب على لوحة من الذهب يظهر أنه كشف عنها فى « حمدان » فى الوقت الذى عثر فيه على لوحة أبيه السالفة الذكر وهو يقول فيها : « الملك العظيم ، ملك الملوك ، ملك « فارس » ابن « اريارمن » » . وهذا المتن لايختلف عن متن والده . وتدل الظواهر على أن هذين الأثرين لابد كانا محفوظين فى السجلات الملكية الخاصة ، وقد نقلهما « سيروس » العظيم الى « أكبتان » أو : (حمدان) . وقد عرفنا ذلك مما جاء فى التوراة . والظاهر أن الحفائر التى عملت فى « سوس » و « برسيليس » تؤكد ذلك أيضا . والواقع أن الوثائق التى عثر عليها فى الحفائر التى أجريت فى هاتين العاصمتين القديمتين — وهى تعد بعشرات الألوف من اللوحات — كانت بلا شك ضمن السجلات الملكية أو على الأقل لها صلة بالمهام الامبراطورية . وهكذا يظهر أن لوحة الملك « أرسام » تبرهن على أنه قبل أن يفقد سلطانه كان يحكم بلاد « فارس » بعد موت « اريارمن » . ومن المحتمل كذلك أن الملك « قمبيز الأول » كان قد خلعه عن عرش الملك حتى أنه قد اضطر الى التقهقر . ويحدثنا «هيرودوت» ان ابنه « هيستاسب **Hystaspe** » كان حاكما على الفرس فى أوائل حكم « سيروس » العظيم ملك « ميديا » . والظاهر أن فرع « اريارمن » لم يفقد الا التاج وبقى يحكم بلاده تحت امرة الفرع الذى ينتمى الى « سيروس » . والواقع أنه لدينا متن كشف عنه من عهد الملك « دارا » فى مدينة « سوس » يقول فيه صراحة أنه فى اللحظة التى كان يكتب فيها هذا المتن كان والده

« هيستاسب » وجده « اريارمن » لايزالان على قيدالحياة .

وقد تزوج « قمبيز الأول » ملك « بارشوماش » و « أنشان » — ويحتمل كذلك أنه كان ملك بلاد « بارسا » — من ابنة الملك « أستياج » ملك « ميديا » وسيدة تدعى « ماندان Mandane » ولابد أنهذا الزواج كان قد رفع من شأن فرع أسرة « أخمنيس » وبذلك اجتمع مجد الدولتين تحت لواء واحد . وقد كان نتيجة هذا الزواج أن انجب الزوجان الملك « سيروس » العظيم الذى اتخذ عاصمة لملكه مدينة « باسارجاد » ثم شرع فى بناء مجمع من القصور والمعابد . وقد نعت فى النقوش التى أمر بحفرها على عمد قصره بأنه ملك « اخمينيس » العظيم . ولم يمض طويل زمن حتى أخذ يخضع لسلطانه القبائل التى من أصل ايرانى أو آسيوى وهى القبائل التى كانت تقطن الشرق والجنوب الشرقى والشمال الشرقى من مملكته التى ورثها عن أبيه . وقد أحس عندئذ ملك « بابل » « نابونابد » عظم مطامع « سيروس » ، ولذلك فانه قام بحركة سياسية ماهرة وصل بها الى الاستيلاء على « حران » من يد الميديين الذين كانوا يسيطرون على الطريق المؤدية الى « سوريا » وذلك بمساعدة « سيروس » . وقد فطن « أستياج » ملك « ميديا » لقيام هذا الحلف المعادى له فطلب الى « سيروس » الحضور الى « أكبتان » (حمدان) عاصمته ، غير أن الأخير رفض طلبه . فلم يكن لدى ملك « ميديا » الا الزحف على هذا العاصى لاخضاعه بالقوة وقد نشبت بينهما حرب طاحنة فصل فيها فى موقعتين ، قاد الأخيرة منهما « أستياج » نفسه وقد دارت عليه الدائرة ووقع أسيرا فى يد « سيروس » ولكنه عامله أنبل معاملة ، وقد اختار « سيروس » « أكبتان » عاصمة لملكه الموحد . وبانتصار « سيروس » على « أستياج » بدأت صفحة جديدة فى تاريخ الفرس الذين قدر لهم أن يتحدوا مع الميديين ويؤلفوا دولة واحدة .

الدولة الأخمينيسية

يبتدىء التاريخ الحقيقى للامبراطورية الايرانية التى أسستها أسرة الأخمينيسيين بحد سيوفهم فى خلال الثلث الثانى من الألف الأولى قبل الميلاد . والواقع أننا نجد أقواما ومدنيات أخرى فى العالم قد استمر وجودها فى تلك الفترة ، ولكن نجد بوجه عام فى العالم المعمور وقتئذ أن دولة « ايران » كانت تحتل بين هذه المدنيات المكانة الأولى دائما . ويرجع الفضل دائما الى ملوك أسرة الأخمينيسيين فى فكرة تكوين دولة « ايران » وتنشئتها . ولا نزاع فى أن طول عمرها المديد واستقلالها الطويل يعدان ارثا خلفه هؤلاء الملوك لمن بعدهم من أكاسرة « فارس » بسبب ما اتبعوه من سياسة حكيمة تنطوى على التسامح والمهارة فى فن الحكم . ومما يلفت النظر هنا أن السياسة الحكيمة الداخلية التى انتهجها ملوك الأخمينيسيين لاتشبه بحال السياسة التى قام بها أباطرة الرومان الذين أجبروا الأقوام المغلوبين على أن يرتقوا الى مستوى ثقافتهم وأن ينضموا الى اقتصادهم الجماعى فقد كان الرومان يتطلبون السمو الى هذا المستوى العالى فى معظم الأحيان من أناس من أصول مختلفة جدا فى الثقافة بالاضافة الى اختلاف تقاليدهم وامكانياتهم ، ولكن نجد أن الحال كانت تختلف تماما بالنسبة لما قام به كل من « سيروس » و« دارا » ملكى الفرس . وآية ذلك أنهم قد ضموا الى امبراطوريتهما وهى الأولى من نوعها فى تاريخ العالم من حيث عظم ضخامتها — عدا بعض أقاليم شاذة ذات حضارة منحطة المستوى — عدة عناصر من المدنيات القديمة ، فكانت تحت سيادتها بلاد «مسوبوتاميا » (ما بين النهرين) و « سوريا » و « مصر » و « آسيا الصغرى » ، هذا

الى مدن وجزر اغريقية وجزء من بلاد الهند . وقدرأى ملوك « فارس » أن محاولة وضع هذه البلاد فى مستوى حضارتهم يعنى جعلهم يرجعون الى الوراء ، وذلك لأن ملوك أسرة الاخمينيسيين قد فطنوا انهم يعدون أنفسهم أقواما دخلاء جدا فى المجتمع العالمى القديم ، ومن ثم لم يكن فى مقدورهم أن يتجاهلوا أن ما كان للحضارات القديمة من نفوذ وسلطان على حضارتهم يرجع الى آلاف السنين ، ومن أجل ذلك نرى أن « كورش = سيروس » قد منح البلاد التى تحت حوزته حكما ذاتيا ، كما نجد أن « دارا » قد سار فى حكم مملكته بسياسة حكيمة . وبمثل هذه الخطةحفظت الثقافاتالقديمة، بل نجد أكثر من ذلك ان أباطرة الفرس قد حابوها على حساب بلادهم . غير أن عدم التكافؤ بين الدولة الحاكمة والدولة المحكومة من حيث المدنية والعادات كان سببا فى وجود مرض خفى فى جسم الامبراطورية كان يشتد أحيانا ، وقد مكث طول حياة هذه الامبراطورية ينخر فى عظامها ، يضاف الى ذلك أن هذا المرض كان يعد أمام سياسة التوسع التى كان يسير علىنهجها قوم الفرس الشجعان من الأسباب التى أنزلت بهم الكوارث وانحدرت بهم الى الحضيض وقادت بلادهم الى الخراب فى آخر الأمر . وتدل شواهد الأحوال على أن الامبراطورية الرومانية كانت ثمرة عمل انشائى جاء على مهل وأناة وامتد عدة قرون ، ولذلك فان تكوينها الذى جاء متأخرا قد ضمن لها القوة والثبات ، ولكن نجد من جهة أخرى أن ارتقاء أسرة الأخمينيسيين السريع الذى حدث فى مدة جيل واحد من الزمان هو الذى جعل من أمة صغيرة جدا كانت ضائعة فى السهول والوديان الواقعة فى الجنوب الغربى من « ايران » امبراطورية ضخمة لايمكن أن يكون لها توازنا يشبه التوازن الذى وصلت اليه دولة الرومان فى بادىء أمرها . ولقد حدث فعلا أول ارتباك فيها عند موت الملك « كورش = سيروس » وقد وقع بشدة وعنف،

حتى أنه لم يكن فى مقدور أحد أن يعيد الأمور الى نصابها ، اللهم الا اذا كان بطلا من طينة الملك « دارا الأول » . وقد يجوز لنا ان نوازن بين هذا العهد المحزن تقريبا من تاريخ أسرة الاخمينيسيين وعهـد الحروب الداخلية التى وقعت فى « روما » على أثر موت « يوليوس قيصر » فنجد فى هذه الموازنة أنه فى عهد « أغسطس » فى « روما » وفى عهد « دارا » فى بلاد الفرس قد بدأ بعد الهزة العنيفـة فى كيان كل من الدولتين عمل انشـائى يمكن أن يعبر عنه بعد صهر البلاد سياسيا من جديد واعادة تنظيم الامبراطورية بصفة عامة وبخاصة تجديد الأحوال الادارية والخلقية والاجتماعية . وعلى الرغم من التدابير المتناهية فى الحكمة البالغة فان القوة الحيوية التى كانت تدفع بالأمم التى تحكمها « فارس » الى الأمام ونحو الرقى الطبعى لم تقف عند حد مما أدى فى نهاية الأمر الى انفصالها عنها ، ومن ثم كان سقوطها المحتوم ونيل تلك الأمم حرياتها واستقلالها .

الملك « كورش » (سيروس)

٥٥٩ — ٥٣٠ ق.م.

عندما أراد الملك « سيروس » شن حرب سافرة على بلاد « ميديا » لم يكن فى استطاعته أن يفكر فى مساعدة حليفه ملك « بابل » الذى كان بعيدا عنه ، ومن أجل ذلك كان عليه أن يعتمد على ما لديه من قوة وعتاد ، وتدل الأحوال على أنه كان يعتمد وقتئذ على معاضدة عدة قبائل بعضها من أصل ايرانى وبعضها الآخر من قبائل أخرى غير ايرانية . وقد قدم لنا « هردوت » قائمة بأسـماء هؤلاء الأقوام الذين كانوا يقطنون من أول بداية الزاوية الجنوبية الشرقية لبحر قزوين حتى المحيط الهندى .وهؤلاء الأقوام كانوا يؤلفون النواة التى تتكون منها مملكة « فارس » . ومما هو معترف به أنه منذ ذلك العهد قد ظهرت جماعة سبعة الأمراء الذين كانوا يؤلفون مجلسا ملكيا لبلاد « فارس » على رأسه الملك ، ومن ثم نجد أنه قد تألف داخل حدود «ايران» نفسها اتحادكانفيه رؤساء العشائر يشتركون اشتراكا فعليافى تأليف الحكومة مع محافظة كل عشيرة على طابعها البدوى أو الحضرى . ومما يطيب ذكره هنا أن النصر الذى أحرزه الفرس على الميديين لايمت بصلة الى هـذا النصر الدامى المخرب الـذى وطد به الآشـوريون والبابليون والعيلاميون والقرطاجنيون سلطانهم على البلاد التى قهروها واسـتولوا عليها ، فنجد أن الأمر لم يقتصر من جانب الفرس على عدم مساس مدينة « اكبتان = (حمدان ») المغلوبة على أمرها بسوء بل نرى أن ملوك الفرس اتخذوها عاصمة لملكهم كما كانت قبل الفتح . وقد حفظ فيهـا « كورش » سجلاته ، ومن المحتمل انه نقل اليها لو حتى الملكين « اريارمن»

و « أرسام » مع وثائق أخرى ، يضاف الى ذلك أنه أبقى على الموظفين الميديين القدامى فى وظائفهم وأضاف اليهم بعض الموظفين من الفــرس . والواقع أنه قد تم انتقال الحكم بحزم وحكمة وروية من أيدى الميديين الى أيدى الفرس حتى أن أقوام الغرب قد ظنوا أن الدولة الفارسية قد بقيت فى ظاهرها دولة ميدية . وقد اتحدت المملكتان تحت سلطان « كورش » فى سلام ، وقد وجد نفسه فى نهاية الأمر على رأس امبراطورية فرضت عليه ثروتها الطبيعية الهائلة ومركزها الجغرافى الممتاز القيام بدور الوسيط فى العالم المتمدين ، فقد كانت بلاد الفرس بمثابة عامل اتصال بين المدنيات الغــربية والشرقية .

ولا نزاع فى أن الدور الذى لعبته « ايران » فى تاريخ العالم ينحصر فى هذه الرسالة التى حتمت الأحوال أن تقع على عاتقها فى خلال حكمها الطويل الملىء بالأحداث الجسام .

وتتمثل سياسة هــذا القائد العظيم والحاكم صــاحب القدرة المهيمنة فى غرضين ، فقد كان يريد أولا أن يستولى فى الغرب على ساحل البحــر الأبيض المتوسط وهو الذى تنتهى عند ثغوره كل طرق التجارة العظيمة التى تخترق بلاد « ايران » ، وكانت بلاد الاغريق تملك على هذا الساحل من جهة بلاد « ليديا » قواعد بحرية عظيمة ، وكان ثانيا يرمى من جهة الشرق الى تأمين ممتلكاته ، ومن ثم كانت النتيجة تأليف دولة عظيمة منقطعة النظير فى زمنه .

الملك « قمبيز »

على أثر وفاة الملك « كورش = سيروس » تولى بعده عرش الملك بكر أولاده « قمبيز » عام ٥٢٩ ق.م. وأمه هى الملكة « كاساندان Cassandane ». ولما كان قد نشأ فى أحضان الملك فانه كان بلا ريب يعتبر الوريث المختار للامبراطورية الشاسعة التى أنشأها جده العظيم . والواقع أنه كان مشتركا مع والده فى الحكم بوصفه ملك « بابل » . غير أن « كورش » على الرغم من ذلك كان قد قرر صراحة قبل وفاته أن يشرك مع « قمبيز » فى حكم البلاد أخاه « بارديا » الذى يسميه اليونان « سمرديس » فولاه ملكا على المديريات الشرقية من الامبراطورية الفارسية ، ولكن هذا النظام فى الممالك الشرقية كاد يكون ضربا من المستحيل على أية صورة من الصور . يضاف الى ذلك أن طبيعة « قمبيز » الجامحة ونفسه التى تنطوى على الغيرة قد جعلته يصمم على التضحية بأخيه ان عاجلا وان آجلا ، حتى ولو لم يقم بثورة تبرر القضاء عليه وبذلك يصفو له الجو ويحكم منفردا ، وقد زاد من حقد « قمبيز » على أخيه أنه كان محبوبا لدى الشعب فى حين أنه كان معروفا باسم « السيد الغليظ الطباع » . ولا أدل على قسوته من القصة التى رواها عنه المؤرخ « هرودوت » : وذلك أن « قمبيز» بعد أن ثبت له أن القاضى « بركزاسپس Brexaspes » كان مرتشيا ، وكان أحد القضاة السبعة للمحكمة العليا فانه حكم عليه بسلخ جلده ، غير أنه لم يكتف بذلك اذ أمر بأن يكسى كرسى القضاء الذى كان يجلس عليه بجلده ثم أمر بأن يجلس على هذا الكرسى ابن القاضى الظالم خليفة لوالده أثناء فصله فى قضايا الناس (راجع Herodotus V, 25) . ولم يلبث أن حانت له فرصة قتل أخيه ، وذلك أن الملك « كورش » كان يستعد منذ سنين لتنظيم حملة

على « مصر » غير أنه فى بداية عصر « قمبيز » قامت ثورات فى أنحاء الامبراطورية جعلته يحول كل نشاطه لاخمادها ، ولم يفرغ من ذلك الا فى العام الرابع من حكمه ، ومن ثم كان على استعداد للقيام بغزو « مصر » ؛ غير أنه رأى أنه ليس من الحكمة فى شىء أن يترك بلاده وفيها أخوه « بارديا » المحبوب من الشعب ملكا على المديريات الشرقية . هذا ويمكننا أن نتخيل كيف كان رجال بلاطه يحرضونه على التخلص من أخيه قبل مغادرته عاصمة بلاده الى « مصر » ، ومن ثم أعطى الأمر لقتله خلسة . وعلى الرغم من بشاعة الجريمة فى نظرنا فانها كانت فى هذا العهد لاينظر اليها بهذه النظرة ، اذ الواقع أن تاريخ بلاد الفرس وغيرها من الممالك الشرقية كان مفعما بمثل هذه الجرائم .

سار بعد ذلك « قمبيز » لفتح « مصر » وقد تحدثنا عن ذلك فى موضعه . ولقد كان من نتائج الحملة على « مصر » وفتحها سقوط ثالث مملكة عظيمة فى العالم القديم . والواقع ان « مصر » فى تلك الفترة كانت أقل قوة من الوجهة الحربية من ممالك واديى « دجلة » و « الفرات » ، غير أنها كانت بوجه عام تقوم بدور رئيسى فى الحروب ؛ ويرجع الفضل فى ذلك الى بعدها ووعورة الوصول اليها . ولا نزاع فى ان « قمبيز » باستيلائه على مصر قد وسع رقعة بلاده وجعلها أكبر امبراطورية عرفت فى التاريخ القديم حتى عهده ، فقد امتدت من « نهر النيل » حتى نهر « سرداريا (= سيحون) Jaxartes » ومن البحر الأسود حتى الخليج الفارسى . وكانت تشمل ممالك قديمة مثل « ليديا » و « بختريان » .

انتحار قمبيز :

وفى عام ٥٢١ ق.م. انتحر « قمبيز » وذلك أنه كانت تنتابه نوبات عصبية

منذ طفولته وبعد فتح « مصر » بأربع سنين انتحر ، وقد عزى ذلك لاخفاقه فى حملتيه على بلاد النوبة وواحة « سيوة » ، اذ انهارت أعصابه من أجل ذلك ، وقد ترك « مصر » فى عام ٥٢١ ق.م. الى عاصمة ملكه ، وفى أثناء سيره فى « سوريا » سمع بقيام ثورة على رأسها ماجوسيا مدعيا عرش الملك ، وذلك أن هذا الرجل كان يشبه كثيرا أخاه المقتول « بارديا » ولم يكن قتله معروفا لأمه وأخته كما كان مجهولا لدى عامة الشعب . وقد كان « قمبيز » فى طريقه لمقابلة الثوار ، ويقال أنه لما سمع بتحول هام فى صفوف جيشه قتل نفسه يأسا .

وبموت « قمبيز » انتهى آخر أفراد فرع «كورش » . هذا وتقول أسطورة عن سبب موته أنه جرح نفسه عندما أراد امتطاء صهوة جواده ومات متأثرا من جرح فى فخذه ، غير أن « دارا » قص علينا سبب موته فى نقوش « بهيستون » .

« جوماتا » أو « سمرديس » (عند اليونان)

كان هذا الماجوسى الذى ادعى أنه « بارديا » اسمه « جوماتا » . وتدل شواهد الأحوال على أن الشعب قد اعترف به عن طيب خاطر ، ولا غرابة فى ذلك لأنه بعد موت « قمبيز » كان لابد أن يؤول الحكم الى « بارديا » الذى كان قتله سرا حكوميا لايعرفه الا القليل جدا . وقد كان هذا المغتصب للملك غاية فى الذكاء فقد قضى على كل من له علم باغتيال « بارديا » ، هذا فضلا عن أنه قد كسب رضاء الشعب أكثر من سلفه باعلانه حرية عدم التجنيد والتراخى فى جمع الضرائب ، يضاف الى ذلك أنه احتجب عن أعين الناس بقدر المستطاع وأمر نساءه أن يقطعن كل علاقاتهن بالعالم الخارجى وكذلك بعضهن بعضا . وهذه أمور كانت بطبيعة الحال من الصعب تنفيذها وبخاصة

فى الشرق . والواقع أنه نتيجة ذلك كانت زيادة الشكوك والظنون حوله ، وكانت قد سرت فعلا فى نفوس الأشراف فكرة مؤداها أن هذا الملك لم يكن من نسل « كورش » بل أنه مغتصب وحسب .

وقد كان هناك كما نعلم فرع آخر من نسل « أخمينيس » وهو فرع « دارا » ابن « هيستابس » وكان يعاضده رؤساء العشائر الفارسية الست العظيمة ، ومن ثم انتهى الأمر بهؤلاء الرؤساء أن دخلوا على هذا المغتصب وقتلوه كما قتلوا أتباعه . وبعد ذلك أسرعوا الى « أكبتان » (= حمدان») حاملين رأس هذا المحتال ،وقاموا بحملة على الماجوس الذين كانوا يساعدونه ، ومن الجائز أن آمال هذه الفئة كانت ترمى الى اعادة قوة طائفة الكهنة من جديد . غير أن « دارا » لم يكن بالرجل الذى يميل الى الانتقام ، ومن أجل ذلك انتهى التقتيل فى أتباع هذا المغتصب عند حلول الظلام .

ومن المحتمل جدا أن « دارا » قد اعتلى عرش الملك بعد موت المغتصب بوصفه وارثا للملك « قمبيز » ، ويقال انه قد تغاضى عن تولى والده الملك لكبر سنه .

تولى « دارا » الملك عام ٥٢١ ق . م

لقد قوبل ادعاء « دارا » عرش الملك بشىء من المعارضة ، وذلك أن « جوماتا » المغتصب كان قد اجتذب اليه حب الشعب باعفائه من الخدمة العسكرية وبالتراخى فى جمع الضرائب هذا فضلا عن أن حكام الاقاليم النائية قد أرادوا أن يكونوا مستقلين فى أقطارهم وقد نتج عن ذلك أن اضطر « دارا » أن يعيد فتح مديريات كثيرة من جديد حتى لم يبق له من الولاء

على جيشه وممتلكاته الا القليل . وقد كان أول من قام بثورة على « دارا » مديريتى « عيلام » و « بابل » ، وذلك بعد موت المغتصب للعرش مباشرة . ففى « عيلام » أخذ أميرها « أرتينا » أسيرا ثم أرسل الى « دارا » فقتله بيده . أما فى « بابل » فقد أدعى فرد يسمى « نيدينتوبل » أنه ابن الملك « نابونيد » وسمى نفسه باسم « نبوخذ ناصر » الشهير فسارع اليه فى الحال «دارا » وبعد مناورات أفلح فى عبور « الفرات»،وهناك هزم جيش العاصى فى موقعتين ، وبعد ذلك هرب « نيدينتو بل » الى « بابل » ، وقد اضطر « دارا » الى حصاره ، وفى هذه الأثناء انتهزت بلاد « ميديا » فرصة قيام هذه الثورات على « دارا » بقصد استرجاع استقلالها بقيادة فرد يدعى أنه من نسل « سياكزرس Cyaxres » ، كما قام مدع آخر فى « عيلام » يريد ملكها . غير أن الملك « دارا » أرسل فرقتين من جنوده الى « ميديا » و « أرمينيا » دون أن يفك حصار « بابل » وقد انتصر فى « أرمينيا » انتصارا باهرا ، الا أنه لم يلبث أن فوجىء بقيام ثورة فى « ساجارتيا Sagartia » فى مديرية « هيركانيا » ، وهى الاقليم الذى كان يحكمه والده « هيستابس » ، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل قامت ثورة فى «فارس»، اذ قام فيها محتال آخر ادعى أنه « بارديا » ،ولكن عبقرية «دارا»وشجاعته قد تغلبتا على كل ذلك بجيشه وقوة شخصيته فقد سقطت فى يده « بابل » بعد حصار سنتين فى عام ٥١٩ ق.م. وبعد ذلك أصبح « دارا » حرا فى ملاقاة أعدائه كل على انفراد ، فسار بجيشه المدرب فقضى بسرعة على الميديين وأسر « فرا أوتس Phraotes » فى « الرى » وقطع أنفه وأذنيه ولسانه ثم اقتلع عينيه ثم سيق بهذه الحالة البشعة الى الباب الملكى فى السلاسل والأغلال حيث أقعد على خازوق . وبعد ذلك توالت انتصاراته فى « أرمينيا » ، ثم على

المدعى البابلى . وقد كان من جراء ظهور مدع آخر بابلى أن هددت «بابل» ثانية بالسقوط ولكن حاميتها كانت قوية لقمع الثورة التى انتهت بالقبض على « سمرديس » الكذاب الثانى فى عام ٥١٨ ق.م. وانتهت هذه الثورات التى أظهرت « دارا » أمام العالم أنه رجل قيادة عظيم ، ومن ثم خيم السلام على ربوع امبراطوريته الشاسعة الأطراف بفضل مهارته وقوة شكيمته .

وبعد أن استتب الامن أخذ « دارا » المنتصر يعاقب أولئك الحكام الذين أحفظه سلوكهم ويكافىء الذين مدوا له يد المساعدة فى وقت المحنة ، وفى تلك الفترة زار هذا الملك العظيم « مصر » بعد أن قتل حاكمها فأخذ يعمل على استرضاء كهنة البلاد وجلب محبتهم وذلك بالانعام عليهم بكل أنواع الهدايا والمنح كما شرحنا ذلك فى موضعه .

وبعد أن هدأت الأحوال فى المديريات البعيدة أخذ فى تنظيم امبراطوريته المترامية الأطراف فى ظل ادارة موحدة وقد كانت الطريقة القديمة التى أدخلها « تجلات بليزر » وهى التى بقيت منذ عهده مستعملة ترتكز جزئيا على ترحيل آلاف الأسرى الى أقاليم بعيدة عن أوطانهم وجلب آخرين ليأخذوا مكانهم وقد كان المواطنون الجدد ينظر اليهم على أنهم أجانب عن أهل البلاد وكانوا بطبيعة الحال يعاضدون الحاكم الاشورى . وكذلك كانت كل مملكة تفتح تضاف الى مديرية مجاورة لها ، أو كانت تؤلف مديرية منفصلة تجبى منها الضرائب على طريقة بدائية • على أن « بابل » لم تهضم قط بهذه الحالة. والواقع أن هذا النظام كان غير كامل الى حد بعيد ، وذلك لأن الحكام فى كل مديرية كانوا مستقلين تمام الاستقلال ، وقد كان هذا النظام ممكنا فقط طالما كانت الامبراطورية غير مترامية الاطراف . وقد برهنت الثورات المستديمة على أن القبض على زمام الأمور فى « آشور » كان من الصعب الوصول اليه .

الشطربيـــات :

أما فى عهد « دارا » فقد كان المبدأ المتبع بكل دقة هو « فرق واحكم »، ولذلك فان أى ميل الى الاتحاد كان لا بد من تجنبه . وقد رأى « دارا » تفاديا من تجمع كل القوة فى يد رجل واحد أن يعين شطربا (معنى كلمـة شطرب سيد البلاد) ، وقائدا ووزيرا فى كل اقليم ، وهؤلاء الموظفون الثلاثة كانوا مستقلين بعضهم عن بعض كما كانوا يقدمون تقاريرهم مباشرة للادارة الرئيسية . ولا نزاع أنه فى ظل هذا النظام الذى ينطوى على سلطات مقسمة كان من الجائز جدا ان يكون هؤلاء الموظفون بعضهم بعضا . وعـلى ذلك فانهم على أغلب الظن لم يكن فى مقدورهم تنظيم ثورة على الملك . يضاف الى ذلك أن « دارا » قد اتخذ احتياطا أكثر من ذلك ، وهو أنه كان يرسل مفتشين من أعلى الدرجات فى فترات غير منتظمة يصحبهم قوات من الجند عظيمة البطش ومزودة بنفوذ عظيم يخول لهم فحص أى موضوع ومعاقبة أى خروج على القانون ، هذا الى أنهم كانوا يقدمون تقاريرهم عن الشطرب والموظفين الآخرين . وقد يعترض على هذا النظام بأنه يشل يد الحاكم فى الحالات الخطرة المفاجئة عند ما يقتضى الأمر سرعة البت ، ولكن فى الواقع كان هذا النظام يسير سيرة حسنة بشرط يقظة الموظفين القائمين عليه . وقد كان دارا محقا عندما قال ان اعظم خطر يهدد بلاده هو الثورة المنظمة التى ينظمها حاكم من حكام الاقاليم النائية .

وكان عدد الشطربيات التى تتألف منهـا الأمبراطورية يتراوح ما بين عشرين وثمانية وعشرين فى عهود مختلفة فى مدة حكم أى ملك . ولم تكن « فارس » مهد سلالة الملك تعتبر على وجه عام شطربية ، وكان سـكانها لا يدفعون ضرائب ، غير انهم كانوا مرتبطين بتقديم هدايا للملك عند ما كان يمر فى البلاد . ويمكن تقسيم المديريات الى شرقية وهى الواقعة على الهضبة

الايرانية، وغربية وهى الواقعة غرب «فارس» نفسها. وعلى رأس الشطربيات الفارسية «ميديا» ثم يأتى بعدها «هركانيا Hyrcania » و «بارثيا Parthia » و « زارانكا Zaranka » أو « زارانجيا Zarangia » و « اريا Aria » و «خوارزم Khorasmia » و « بكتريا Bactria » و « ســوغديانا Soghdiana » و « جـاندارا Gandara » وبـلاد « ســاكا Sakæ » و « ستاجيديا Sattagydia » و « أراخوزيا Arachosia » وبلاد « ماكا Maka » ومن ثم يحتمل أن الكلمة الحديثة « ماكران » قد أتت منها .

وفى الغرب تقع « أوڤايا Uvaja » أو « عيلام » (سوسيانا) ، ثم «بابل» و « كالديا » ، و « أثورا Athura » (آشور القديمة) ، وبلاد العـرب (وتشمل معظم سوريا وفلسطين) ، و « مصر » (وتشمل الفنيقيين والقبرصيين وسكان الجزر اليونانية) ، و « ياونا Yauna » أو « ايونيا » (وتشـمل «ليسيا Lycia » ، و « كاريا » والمستعمرات الاغريقية التى على الساحل)، و « سپاردا Sparda » (أى «ليديا») والأراضى التىغرب «هاليس Halys) و « أرمينيا » ، و « كابادوشيا Cap padocia » .

وكانت تجبى الضرائب من هذه الشطربيات اما نقدا واما عينا . وكان أقل دخل فى الضرائب يجبى هو الذى يحصل من البلاد التى تسـمى حـديثا « بلوخستان » لفقرها ، فقد كان يجبى منها ١٧٠ تالنتا من الفضة. فى حين كان يجبى من « بابل » ألف تالنتا ، ومن «مصر » ٧٠٠ تالنتا من الذهب ، وقد كان مجموع الدخل يساوى بالنقد الحالى ٣٫٧٠٨٫٢٨٠ جنيها . وكان « دارا » أول ملك ضرب النقود فقد كان النقد المسمى « دارك » وهو عملة ذهبية تزن ١٣٠ حبة مشهورا بنقائه ، ولم يلبث ان اضحت العملة الذهبية القديمة الوحيدة فى العالم القديم ، وكذلك كانت تضرب العملة الفضية .

وانه لمن المهم حقا أن نعلم أن الجنيه الاسترليني والشلن الانجليزى يكاذان يساويان الدرك والشكل الفارســيين على التوالى (راجع Journal of Hellenic Studies Vol. XXXIX, 1919) وقد كانت الضرائب العينية فادحة ، فقد كانت « بابل » تطعم ثلث الجيش والبلاط فى حين كانت « مصر » تقدم غلالا لاطعام جيش مكون من ١٢٠ ألف رجل ، وكانت «ميديا» تورد الخيل والبغال والأغنام كما كانت « أرمينيا » تقدم المهارى وتورد «بابل» الخصيان وغيرهم . وفضلا عن ذلك كان على المديريات تقديم هذه الضرائب الملكية وأن تعول الشطرب وبلاطه وجيشه . ولما لم تكن هناك مرتبــات مربوطة للموظفين وهم الذين كانوا فضلا عن ذلك يشترون وظائفهم ، فان العبء الذى كان يقع على كاهل المديريات فادحا ان لم يكن لا يحتمل ، ولكن من جهة أخرى كانت هناك قوانين رادعة ذكرت من قبل كانت تجعل كل شطربة يقف عند حده ، وبخاصة اذا كان المتربع على عرش الملك قادرا وحازما . ولا بد أن نذكر أن الطبقة السفلى فى كل بلاد كانت متعودة أن تجبر على دفع أقصى ما يمكن من الضرائب على يد الحكام الوطنيين ، هذا فضلا عن ان النظام الجديد قد منح الملك ميزانية منتظمة وبذلك قلت الطلبات الباهظة على أية مديرية منفردة . وأخيرا كان النظام الجديد أحسن بكثير من النظام الذى سبقه . حقا كان هذا النظام ناقصا من الوجهة الحربية كما أشار الى ذلك « ماسپرو » فقد كان للملك « دارا » حرس يتألف من ألفى فارس وألفين من المشاة كانت حرابهم تحمل تفاحات من الذهب أو الفضة ، وكان يأتى بعدهم عشرة الآلاف الخالدون ، وكانوا ينقسمون عشر فرق كانت الأولى منها حرابها مزينة برمانات من الذهب ، وهذا الحرس كان هو نواة الجيش الامبراطورى . وكان يعاضده جنود من الميديين ، وكذلك حاميات كانت

توضع فى مراكز هامة مختلفة تتألف من جنود امبراطورية مميزة عن الجنود المحلية . وعندما كانت تشعل نار حرب عظيمة كانت تتدفق على الجيش الفارسى آلاف من الجنود غير المدربين والمختلفين عن بعضهم بعضا من حيث اللغة وأساليب الحرب والمعدات . وقد كانت هذه القوة غير المنظمة هى السبب الرئيسى فى سقوط الامبراطورية الفارسية فى نهاية الأمر .

الطرق الملكية :

ولقد فطن الملك « دارا » من بادىء الأمر الى ما للطرق المعبدة من أهمية فى تسهيل المواصلات ، ومن أجل ذلك نقرأ عن الطريق الملكية التى انشأها ما بين « سارديس » و « سوسا » وهى التى بوساطتها أصبح الموظفون على اتصال سهل بالبلاط الملكى . وقد كانت المسافة بين البلدين حوالى ١٥٧ ميلا ، وكانت تقطع قبل تعبيد هذه الطريق فى ثلاثة أشهر مشيا على الأقدام ولكنها فى عصر « دارا » أصبحت تقطع بالخيل على الطريق المعبدة فى مسافة خمسة عشر يوما .

ولابد أن الطريق الملكية كان لها أثر عظيم فى توسيع افق المديريات التى كانت تخترقها ، وقد ظهر أهمية هذه الطرق لأعين الأغريق عندما ابرزوها بجلاء فى أول مصور جغرافى وضعوه للعالم .

ولقد كان « دارا » يحس أن اسمه لن يبقى على مدى الدهور الا اذا زاد فى مساحة امبراطوريته المترامية الأطراف ولذلك كان لزاما عليه أن يجعل جيوشه دائما فى حروب مستمرة كما كانت الحال فى الممالك القديمة . وقد كانت حدود بلاده مثبتة بحدود جغرافية طبيعية معينة كان من الصعب تعديها كسلسلة جبال « القوقاز » وهى التى لا تزال تتحدى المهندس الروسى للسكك

الحديدية بوعورتها وكذلك بحر « قزوين » ومراعى اواسط آسيا ، وفى الجنوب كان يحدها صحراء أفريقيا وبلاد العرب والمحيط الهندى ، وعلى ذلك فان الجهات التى كان يمكن التوسع لمد سلطانه فيها كانت محدودة .

حروب « دارا »

الحرب مع « سيثيا » : كانت أول حملة قام بها « دارا » هى الحملة التى جهزها لمحاربة قوم السيثيين . وقد اختلف المؤرخون فى الأسباب التى أدت الى قيام « دارا » بهذه الحمــلة الفاشــلة فقد وصفها المؤرخ « جروت » (راجع Grote, History of Greece Vol. III p. 188) بأنها حملة «جنونية» فى حين أن المؤرخ «رولنس» قال عنها أنها كانت حملة قد دبرت بروية، اذ كان الغرض منهاحماية خط المواصلاتعند الهجومعلىبلاد الأغريق ،اما«مسبرو» فكان من رأى «رولنس»، غير أنه على مايظن قد زود«دارا» بمعلوماتخاطئة عن بعض بلاد « سيثيا » بالنسبة لخط سيره ، وقد ذكر المؤرخ « نولديكه Noldeke »أن هذه الحملة لم يكن لها غرض غير الرغبة فى فتح بلاد مجهولة . وتدل شواهد الأحــوال على أن « دارا » لم يكن غرضــه من هذه الحملة الاستعداد لفتح بلاد الاغريق ولكن فى الواقع كان هدفه أن يضم « تراقيا » الى ملكه حتى نهر «الدانوب» ، وأن يغزو السيثيين الذين خربوا الشرق الأدنى منذ قرن مضى وظهروا بكثرة فى الأمبراطورية الفارسية ، يضاف الى ذلك أنه كان هناك دافع آخر أغرى « دارا » على غزو هذه البلاد ، واعنى بذلك الذهب الذى كان يوجد فيها بكثرة . ومن الجائز أنه كان لديه أسباب أخرى لا نعرفها ، فمن المحتمل انه كان يخشى انقضاض هؤلاء الأقوام على بلاده وانه بعمله الذى قام به أراد ان يبعد الخطر عنه . هذا ونعــلم أن

« السيثيين وراء البحار » قد ذكروا فى نقوش « ناخشى روستام » ، ومن ثم نعلم ان هجوم « دارا » على هؤلاء الأعداء كان يضيف الى شهرته وفخاره وأمانى بلاده .

وقد بدأت الحملة فى عام ٥١٢ ق.م. وقد عبر « دارا » البوسفور على قنطرة بالقرب من «القسطنطينية »،ثم سار محاذاة البحر الأسود وقد خضعت له فى أثناء سيره « تراقيا » ، ثم سارت جيوشه الضخمة حتى وصلت دلتـا نهر « الدانوب » ، فعبر النهر ثم سار فى مجاهل الصحراء . وبعد السـير نحو مدة شهرين كانت خسائر جيشه فى خلالها عظيمة بسبب قلة المؤونة وفتك الأمراض . عاد الجيش الفارسى الى نهر « الدانوب » ، وهناك اراد السيثيون أن يغروا الاغريق على هدم القنطرة التى كان لابد أن يعبر عليها الجيش الفارسى ، غير أن الاغريق لم يقبلوا ذلك ، وبقوا على ولائهم للفرس . وقد عبر «دارا» «الدانوب» فى أمان ، غير أن نفوذه بسبب خيبته فى عدم اخضاع السيثيين قد ضعف ، ولكنه فى عودته الى « سارديس » أرسـل قطعة من جيشه قوامها ٨٠ الفا للحرب فى اوربا . وقد افلحت هذه القوة فى اخضاع « مقدونيا » وبذلك جعلت حدود الأمبراطورية الفارسـية ملاصقة لبـلاد الاغريق الشمالية . والواقع ان فتح « تراقيا » كان النتيجة الهامة الرئيسية فى هذه الحملة .

الحملة على بلاد الهند : — وفى عام ٥١٢ ق.م. بدأ الفرس فى فتح أجزاء من بلاد الهند وبخاصة فى البنجاب وحوض السند . وقد ذكرنا فى غير هذا المكان أن « سيلاكس » أمير البحر الفارسى انحدر فى نهر « السند » غير مرتاع من مده وجزره ، وسار فى المحيط الهندى وجاب سواحل بلاد العرب و « مكران » . وقد تألفت شطربية من هذه الفتوح تدفقت منها كميات هائلة

من الذهب على بلاد « فارس » . وقد كان لهذه الحملة على بلاد الهند أهمية عظيمة لدرجة ان تاريخ هذه البلاد يؤرخ بتعاليم « بوذا » وبهذا الحادث .

ومما يؤسف له جد الأسف أننا لا نعلم الا القليل جـدا عن هذه الحملة لدرجة أن صحة حدوثها وما قام به « سـيلاكس » قد خيم عليه الشـك (راجع Herod. IV, 44) ولـكن الآن قد دلت البحوث على أنها حقيقـة لاريب فيها ، وقد تحدثنا عنها فى الملحق الخاص بقناة السويس .

وخلاصة القول أننا قد تتبعنا مصائر الأمبراطورية الفارسية منذ أن ضمت « مصر » الى ممتلكاتهـا ، وقـد كانت آخـر مملكة عظيمـة فتحهـا الفرس ، كما تتبعنا عصر الشـورة اليائس الذى جلبه على البلاد « قمبيز » بجنونه وما وصل اليه من نجاح « جوماتا » الدجال الماجوسى ، ثم رأينا بعد ذلك الملك « دارا » يعيد تنظيم الامبراطورية الفارسية وذلك بلم شعث اجزاء ممتلكاته المتفككة ثم اخراج نظام جديد لم يكن فى الواقع مثاليا ، غير أنه يعد تحسنا عظيما بالنسبة للنظام الذى كانت عليه البلاد من قبل . ويلاحظ انه لولا ما قام به « دارا » الذى يستحق لقب « العظيم » لذابت الأمبراطورية الهائلة كما تلاشت بسرعة مملكة « ميديا » من قبل . واخيرا نجـد ان بلاد « البنجاب » ومعها « السند » فى الشرق ، و « تراقيا » و « مقدونيا » فى الغرب قد أضيفت الى ملكه دون أية صعوبة تذكر ، ومن ثم نرى امبراطورية فارسية كانت تشمل كل العالم المعروف ،هذا بالاضافة الى عدة أقاليم لم تكن معروفة من قبل تمتد من اول رمال « أفريقيا » المحرقة حتى حدود الصـين المحاطة بالثلوج تخضع لسلطانه ، على الرغم من اتساع رقعتها وتعدد أجناسها ولغاتها ، وعلى ذلك يمكننا القول بحق أنه فى هذه الفترة قد وصلت دولة الفرس سمت عظمتها واتساع رقعتها ، وانها كانت أعظم امبراطورية عرفها

التاريخ حتى هذه اللحظة . ومع ذلك فانه كان يوجد فى « هيلاس » بعض آلاف قليلة من المحاربين ، وكانوا على ما يظهر معاكسين للملك « دارا » وهؤلاء المحاربون القلة كان مقدرا لهم أن يصدوا القوة الهائلة المتجمعة التى كانت تفخر بها هذه الدولة الضخمة فى عدد جنودها والمترامية الأطراف فى حدودها ، ثم لم يلبثوا ان كوفئوا على شجاعتهم بما لم يكن فى الحسبان فقد امتد سلطانهم فى البر والبحر وكونوا امبراطورية عظيمة كانت فى النهاية السبب فى سقوط الفرس وضياع ملكهم على يد احد ابناء جلدتهم وهو « الأسكندر الأكبر » .

ديانة الميديين والفرس

مقـــدمة

تدل أول بادرة لاحت لنا عن الشعب الآرى على أنه كان من طبقة عباد الطبيعة ، فقد كان يعبد السماء الصافية والنور والنار والرياح والغيث التى تمنح الحياة بوصفها كائنات مقدسة ، فى حين أنه كان يعد الظلام والقحط شيطانين . وقد كان للسماء فى تعـداد المعبودات المـكانة الأولى ، وكانت الشمس تدعى « عين السماء » كما كان البرق يدعى « ابن السماء » . وقد يدعى البعض ان معظم الديانات تحتوى على هذه الأساطير التى نجدها فى واقع الأمر منتشرة انتشـارا واسعا ، ولكن نجـد فى حالة الآريين انه لا يوجد استعطاف الأرواح الشريرة كما هى الحال عند السوماريين ، بل على العكس كان لابد من مواجهتها والتغلب عليها بالأرواح الخيرة الطيبـة التى كانت بدورها تستند كثيرا فى نجاحها على الصلوات والقربان التى يقدمها الانسان وعلى ذلك كان بدهيا من بادىء الأمر ان مكانة الانسان كانت ذات قدر مكين كما كانت حاله تدل على الرجولة نحو آلهته الذين كان يتعبد اليهم طلبا للمساعدة ، ينشد لهم اناشيد المدح والثناء ويقدم لهم الضحايا ، وفوق كل ذلك كان يصب لهم شرابا مقربا من « الهاؤما Haoma »[1] المقدسة . وكان الآرى يشعر بأنه بمثل هذه الصلوات وبمثل هذه القربات قد ساعد الآلهـة الأبرار على أن يحاربوا فى جانبه قوى القحط والظلام . وانه لمن الأهميـة

---

(١) الهاؤما نبات جبلى مقدس موحد مع « السوما » الهندية غير ان أصل حقيقته يعترضه بعض الشك .

البالغة حقا ان نقرأ كيف ان اله السماء « ڤارونا Varuna » وهو « أورانوس Ouranos » عند الاغريق كان يعبد بوصفه الاله الأعلى الذى كان لزاما على الناس أن توجه اليه الصلوات ، وكيف ان الصفات الخلقية قد تجمعت حوله، وكيف أنه بوجه خاص قد مقت الكذب . وتلك حقيقة كان لها تأثيرها العميق على الايرانيين ، كما يمكن أن يشاهد فى نقوش الملك « دارا الأول » وكذلك فى صفحات تاريخ « هردوت » .

وكان يشترك مع لسماء الأثير الوضاء الذى كان يشخص باسم « مترا»، فكانا يحرسان سويا القلوب واعمال البشر وكان كل منهما يرى كل شىء ، ويعرف كل شىء . وكذلك النار كانت تلعب دورا بارزا فى صورتها الأصلية بوصفها البرق فى الصراع الأبدى الذى يشنه باستمرار آلهة النور على قوى الظلام . وقد ذكر لنا « هردوت » (راجع Herod. I, 131)انهم (أى الفرس) كانوا معتادين صعود أعلى الجبال وتقديم القربان الى « زيوس Zeus » وقد أطلقوا اسم « زيوس » على كل الدائرة السماوية . وفضلا عن ذلك كانوا يقربون القربان الى الشمس والقمر والأرض والنار والماء والرياح .

ومما هو جدير بالذكر هنا أن عبادة قوى الطبيعة التى ذكرها لنا «هردوت» كانت من خواص كل السلالات الآرية ، ولكن يلفت النظر هنا كذلك أن الآريين الهنود والايرانيين كانوا يشتركون فى ديانة واحدة وثقافة واحدة لمدة طويلة من الزمن انتهت قبل الوقت الذى تتناول البحث فيه بفترة قصيرة نسبيا(١)

والواقع أن آرى الهند كان لهم كتابات مقدسة اوحى بها تدعى « ڤيداس

---

(١) راجع عن هذا الفصل Williams Jackson, Zoroaster the prophet of Ancient Iran ; J. Moulton Early Zoroastrianism.

Vedas » او « المعرفة » وتشتمل على مجموعة من الأناشيد يبلغ عددها أكثر من الف انشودة ، قد حافظ عليها الآريون القدامى الذين فتحوا بلاد « البنجاب » . ونجد الآن بوجه خاص ان عصر « ڤيداس » المبكر بين أهل « البنجاب » فى نفس درجة التطور العام التى نجدها فى ايران ، كما نجـد كذلك نفس عبادة قوى الطبيعة .هذا ونجد تعابير مماثلة فى البلدين فمثـلا نجد اسم « آسورا Asura » (وباللغة السنسكريتية Asura, Avesto Ahura ويعنى السيد) واسم آخر هو « دايڤا Daiva » (وباللغــة السنسكريتية Deva, Avesta, Daeva) وهو مشتق من الكلمة الهندو ــ اوربية التى تعنى «الآحادالسماوية» . وقد استمرالاسم الأخيربوصفه كلمةتعبر عن لفظة آله فى الآرية فى صور مثل « تيوس Theos » او « ديوس Deos » وقد اشتق من اللفظ الأخــير اللفظة المعروفة التى تعبر عن اله Dieu فى الاغريقيــة واللاتينية والفرنسية على التوالى. هذا ونلحظ فى عهود الڤيديين المبكرة ان طبقتى الآلهة « أهوراس Ahuras » و « دائڤاس Daevas » كانتا تعدان مناهضتين الواحدة للأخرى بالنسبة لتقديسهما عند رجال القبائل . فنجد أن فى الهنـــد كان أتبــاع « دائڤاس » يعتبرون أصــحاب الكلمــة العليا ، وفى عهد « ڤيدا Veda » المتأخر كان « الأسوراس Asuras » يعدون شياطين . ولكن فى « ايران » من جهة اخرى كان « الأهوراس » فى المكانة العليا . ومن ثم نجد ان الوعى الدينى عند الايرانيين بعلاقته مع «أهورا» قد نما وتطور اما «الدائڤاس Daevas» فقد انحط الى المنزلة التى كانت اعطيت «آسوراس» فى الهند .

الأساطير الهندية الايرانية — « جاما » أو « جامشيد »

توجد كذلك أساطير مشتركة فى كلتا البلدين . ويحتمل ان يكون من أهم هذه الأساطير أسطورة البطل « جاما » وهو اسم كان يطلق فى الأصل على الشمس الغاربة ، وكان يعتبر انه اول من « ارشد الكثيرين الى الطريق ». وكان أول من وصل الى « قاعات الموت الفسيحة » وقد تحول بطبيعة الحال الى ملك الموتى وهنا نلحظ تشابها كبيرا بينه وبين الاله « أوزير » عند قدماء المصريين . وكان يملك كلبين اسمرى اللون عريضى الخطم ولكل منهما أربع عيون وكانا يخرجان يوميا ليقتفيا رائحة الموتى ويسوقونهم الى حضرة ملكيهما . ويمكن أن نتتبع ذكرى هذين الكلبين فى بلاد الفرس فى العادة الزورواستية المعروفة باسم « ساجديد » أى « رؤية الكلب » . هذا وقد وصف «الأفستا» انه يؤتى بكلب أصفر له أربع أعين أو كلب أبيض له اذنان بيضاويتان بجوار كل شخص ميت وذلك لأن نظرته تطرد بعيدا الشيطان الذى يسعى لدخول الجثة وهذا يشبه بعض الشىء الاله « أنوبيس » اله الموتى عند قدماء المصريين فقد كان يعد حارس الموتى واله التحنيط .

ويلحظ فى أيامنا هذه ان الفرس ، الذين يجهلون القدم العظيم لهذه العادة يضعون قطعة من الخبز على صدر الرجل الذى فارق الحياة فاذا اكلها الكلب فان الرجل يعتبر ميتا حقا ويحمل الى « البراخما » او « برج التعريض » وذلك بوساطة أعضاء الهيئة الذين كانوا يعتبرون نجسين ابدا وحكم عليهم بحياة تعسة

زورواستر نبى « ايران » : كان « زورواستر » هو المؤسس للديانة الفارسية القديمة وهو الذى تجمع حول اسمه وشخصيته آراء متناقضة جدا . فقد أنكر عليه أنه شخصية تاريخية . ومنذ زمن غير بعيد كان من بين النظريات

التى قيلت أنه تتاج أسطورة العاصفة التى توجد فى كل مكان . وهنا نجد كذلك كما فى حالة الآرية أنه قد حدث تقدم هائل على نظريات الباحثين الأول الذين يعزى اليهم كل شرف السبق على أية حال فى هذا الموضوع . ولكن على الرغم من الأسطورة والخرافة اللتين جعلتا صورته مبهمة فان مصلح « ايران » العظيم ونبيها قد برز الآن من غيوم الماضى السحيق بوصفه شخصيةتاريخية وحقيقة بارزة .

أصل الاسم « زاراتوسترا » — واسم « زورواستر » هو مجرد تحريف لاتينى — لم يعرف تفسيره بأكمله ولكنه يشتمل على الكلمة « أوسترا » أى « جمل » وهى كلمة لا تزال باقية فى الفارسية الحديثة بصورة مختلفة بعض الشىء . وهناك سبب يحملنا على قبول الرواية القائلة أن هذا النبى كان من أهل « أذربيجان » وهى « أتروباتن Atropatene » القديمة وفى كلا الاسمين يمكن التعرف على الكلمة القديمة « أثار Athar » ومعناها « النار » وفيها نجد ارتباطا فيما بما أيام ظهور الزورواستية باسم « زورواستر » وهو أن الكاهن فى ديانة القــوم كان يعرف باســم « أثارڤان Atharvan » أو « حارس النار » . والمعتقــد أن مسقط رأس « زورواســتر » هى بلدة « أوروميا Urumia » الواقعة على البحيرة التى بهذا الاســم . وقد وهب شبابه للتأمل والعزلة ، وفى خلالها رأى سبعة أحلام ومر باغراءات منوعة وفى نهاية الأمر أعلن رسالته ، غير أنه مكث عدة سنين لم يصب من النجاح الا شيئا يسيرا ، اذ الواقع أنه فى العشر السنوات الأولى لم يعتنق مذهبه الا فرد واحد .

« جوشتاسب » هو أول من اعتنق مذهبه من الملـوك : وبعد ذلك ألهم

« زورواستر » السفر الى شرق بلاد الفرس وقد تقابل فى « كيشمار (١) » الواقعة فى اقليم « خورسان » مع « ڤيستاسب Vistasp » الذى ذكره الفردوسى فى ملحمته باسم « كوشتاسب » . وقد أفلح فى بلاط هذا الحاكم فى ضم ابنى الوزير ثم الملكة الى دعوته ، وقد كانت هناك مناقشة نفسية بين هذا النبى والحكماء ، وفى خلال هذه المناقشة حاول الحكماء التغلب عليه بسحرهم ، ولكن « زورواستر » فاز عليهم ؛ ومن ثم أصبح الملك نفسه تابعا متحمسا لهذا الدين الجديد ، وهاك اقتباس من كتاب « فارقادين ياشت » عن ذلك : — انه هو الذى أصبح المساعد والمعضد لديانة « زورواستر » و « أهورا » ، وهو الذى خلص من السلاسل الديانة التى كانت مغلولة فى القيود ولم تكن قادرة على التحرك » . وقد تبع اعتناق « جوشتاسب » وبلاطه ديانة « زورواستر » غزو القبائل النورانية القاطنة فى أواسط آسيا ، وهذا الغزو على ما يظهر كان المحرض عليه محاربة المعتنقين للدين الجديد . وهذه الحروب المقدسة كما يمكن أن نعتبرها كانت قد نشبت بوجه خاص فى « خورسان » ، واذا صدقنا ما جاء فى الأسطورة الخاصة بها فان الواقعة الفاصلة قد وقعت بالقرب من مدينة « سابزاوار » الحالية . وقد ذبح « زورواستر » فى « بلخ » بعد أن عاش عمرا طويلا وكسب شرفا عظيما ، وذلك عندما قام التورانيون بغزوتهم الثانية . وتقول التقاليد أنه مات عند المحراب يحيط به تلاميذه .

تاريخ ميلاد « زورواستر » ومماته : كان « زورواستر » من أهل « آذربيجان » ومن المحتمل أنه كان ماجوسيا ، وان كان ذلك فيه شك .

---

(١) راجع Journal. R. G. S. for January and February 1911.

وهناك كذلك شك كبير فى العصر الذى عاش فيه ويعتبر بعض الثقاة أن هذا النبى قد ولد فى عام ١٠٠٠ ق.م. فى حين أن الرأى التقليدى يقول انه ولد فى عام ٦٦٠ ق.م. ومات فى عام ٥٨٣ ق.م. ويعضد الرأى الأخير ما قيل من أن الملك « دارا الأول » كان أول ملك متحمس لمذهب « زورواستر » . ولكن نظرا لهذه الآراء المتباينة عن حياة هذا النبى يستحسن أن ننتظر براهين جديدة عن هذه المسألة الهامة الصعبة الحل .

« الأفستا Avesta » : يعتبر المسلمون سكان العالم منقسمين قسمين وهما أصحاب الكتب المنزلة والذين لم ينزل عليهم كتاب ، وأتباع « زورواستر » يعتبرون أهل كتاب ، وذلك لأن لديهم كتاب « أفستا » الذى كان قد أنزل بعضه أو كله على « زورواستر » وهذا الكتاب المقدس قد كتب بلغة تدعى بوجه عام « أفستك » ، وهى لغة تختلف عن اللغة التى استعملها الاخمينيسيون فى نقوشهم ، ويعتقد انه كان يحتوى على واحد وعشرين كتابا نقشت بحروف من الذهب على اثنى عشر ألف جلد ثور . ومن المفهوم أنه قد أتلف بعد سقوط الدولة الأخمينيسية ، وأنه لم يعثر الا على جزء صغير منه ويقال أن « ڤولا جاسس الأول Volagases I » ملك « بارثيا » الذى حكم حوالى منتصف القرن الأول بعد الميلاد قد بدأ فى اعادة جمعه ، ولكن فى الواقع قام بجمع معظمه الملك « أردشير » الفارسى مؤسس الأسرة الساسانية ، ومن المحتمل أنه قد أدخلت عليه اضافات فى الجيلين أو الثلاثة التى تلت ذلك . يميل الانسان بطبعه الى الآثار القديمة على ما يظهر ، ولذلك فانه عندما نذكر أن مذهب « زورواستر » الذى لا يزال يعد ديانة حية قد عاصر ديانات « بعل » و « وآشور » و « زيوس » وهى التى قد أصبحت فى عالم النسيان منذ عدة قرون مضت ، فانه يحق لنا أن نشاطر عواطف العلماء

الباحثين الذين وهبوا حياتهم للبحث والتدقيــق فى تأثر هــذا المذهب الى الوراء حتى أبعد مورد له فى وسط سحب الأساطير والخرافات التى تغمره .

والجــزء الباقى من كتاب « أفستا » يحتوى على كتاب واحــد فقط وهو « فنديدات » أو على الأصح « فيدفات » أو « القانون ضد الشياطين » .

ويدخل بعض الأجزاء من الفصول الأخرى فى تأليف « ياســنا Yasna » أو الشعائر ، وقد حفظت قطع أخرى فى كتب « پاهلوڤى Pahlovi » والأخير تشبه علاقته كثيرا بالأفستا كما يشبه فى اللاهوت الكنسى كتاب « العهــد الجديد » . وما بقى من كتاب « أفستا » ينقسم أربعة أقسام كما يأتى :

(ا) قسم « يانسا Yansa » وينقسم بدوره اثنين وسبعين فصلا ويحتوى على أناشيد بما فى ذلك « جاتاس » .

(ب) الـ «ڤيسبرد Vispered » أو مجموعة تسابيح تستعمل مع«يانسا».

(ج) الــ « ڤيديداد » وهو كتاب القانون الكنائسى الذى يبين العقوبات الدينية والتطهيرات والتكفير عن الذنوب .

(د) الـ « ياشتس Yashts » أو الأناشيد التى ترتل على شرف الملائكة الذين يترأسون أيام الشهر المختلفة .

وقد وجد جزء فى « أڤيستا » يمثله كتاب « جاتاس » وهو الذى قد قرن بحق بكتاب المزامير العبرى ، والمعتقد أنه يمثل التعاليم الفعلية وكلمات « زورواستر » ومن أتى بعده من أتباعه مباشرة . ونجد فى هذه التعاليم أن هذا النبى يتمثل لنا فى صورة شخصية تاريخية تلقى دروسا أخلاقية محضة ولا بد أنها قد نالت احتراما عميقا وبخاصة عند ما نذكر مقدار عمق ما كان حوله من ظلام دامس .

« أورموزد » الاله الأعلى :

لقد أشرنا بالنسبة لعلاقة موضوع الأساطير الآرية لاله السماء القديم الايرانى المسمى « فارونا Varuna » (Uranus) وقد أصبح « فارونا» موحـــدا بالاله « أهورا » (السيـــد) أو بعبـــارة أعم « أهورامازدا » (أورموزد) رب المعرفة العظيمة والاله الأعلى وخالق العالم . وذلك بعـــد التأثير الروحانى لتعاليم « زورواستر » التى يمكن أن تعرف بأنها عبارة عن نسبة صفة خلقية الى قوى الطبيعة . وقد بدت هـــذه الظاهرة فى احـــدى محادثات « زورواستر » التى تنطوى على الوحى الذى كان قد أنزل عليه فيقول « أهورامازدا » : « انى أحفظ السماء هناك فى أعلى منيرة ومرئية بعيدا وتحيط بكل الأرض ، وأنها ترى كأنها قصر قد أقيم من مادة سماوية، ثابتة تماما بأطرافها واقعة على بعد ، مضيئا فى جسمه الأزرق على العوالم الثلاثة ، وأنه كمثل ثوب مرصع بالنجوم مصنوع من مادة سماوية يرتديه « مازدا » (ياشت ١٣) (Yasht 13) .

وانه لمن المهم فى هذا المختصر عن الديانة الفارسية ان نميز بين فكرة الاله الأعلى كما جـــاءت فى تعاليم « زورواستر » وبين الفكرة التى ســـادت فى العصور المتأخرة . وذلك أن الفكرة التى وردت فى كتاب « جاتاس » الذى يشبه المزامير هى عبارة عن روح منعمة أى أنه الخالق العظيم الأوحـــد . والواقع أن صفات « أهورامازدا » ــ وهى الروح الطيب ، أى العدل ،والقوة والصلاح والصحة والأبدية ــ تميز دائما وتخاطب كأنهـــا منفصـــلة عـــن « أهورامازدا » ، ومع ذلك فانه يشار اليها بوصفها أسماء معنوية عامـــة وليست بوصفها شخصيات منفصلة ، ومن ثم نجد تحت الفـــكرة « الجاتيه Gatia » الوحدانية الالهية التى لا شك فيها . ونجد فى « الأفستا » المتأخرة

ان « أهورامازدا » لا يزال الاله الأعظم ولكنه ليس بالاله الأحـد الذى يعبد . وفى هذا الوقت أصبحت الصفات الست: أى «الآحاد الأبدية المقدسة» وكانت تعبد بهذه الصورة . وفضلا عن ذلك فان كل آلهة الطبيعة الذين محاهم المصلح العظيم قد أعيدوا ثانية وعبدوا جنبا لجنب مع « أهورامازدا» ورؤساء الملائكة ، ويمكن ان نقتبس الآلهة «مترا» بوصفها مثالا لهذا الدور ، وكذلك يلحظ أن عبادة « آناهيتا Anahita » التى على نموذج « أشتار » آلهة الاخصاب الآسيوية كانت قد أدخلت فى العبادة فى تلك الفكرة ، وهكذا نجد أن الاصلاحات والتوحيد الذى كان يدعو اليهما « زورواستر » قد تركا جانبا شيئا فشيئا وعادت الحال الى تعدد الآلهة . وبقى علينا أن نذكر هنا الآله «أهو رامازدا» الـذى كان الاله القبلى عند ملوك الأخمينيسيين قد مثل فى صورة محارب واقف فى صورة قرص شمس مجنح « أو على هيئة طائر بذيل » ، كما مثل فى صورة لوحة « بهيستون » . وصورة الاله هذه تسمى « فرور » وهى صورة طبق الأصل للاله الآشورى المسمى « آشور » وهو بدوره قد اشتق من صورة الشمس المجنحة عند المصريين .

« أهريمان روح الشر » :

هذا ونجد على قدم المساواة مع «اهورامازدا» الها آخر ، كان فى الأصل معاديا له ويتمتع بقوة تفوق أعماله الخيرة وهو روح الشر « أنجرا ماينو Angra Mainyu » أو « أهريمـان » الـذى كان يحـد من سـلطان « أهورامازدا » . وهو كما يقول « ادوردز » « الستار الأسـود » الذى يجب أن توضع عليه فكرتنا العالية عن الاله « أهورامازدا » . ونجد فيمابعد أنه عندما شخصت الأرواح الطيبـة ووجدت الأرواح الشريرة لمقاومتهـا ومعارضتها ومن ثم نشبت الحرب بين قوى الشر وقوى الخير بشدة ، وكانت

الحرب سجالا . وعلى أية حال يجب ان نذكر أن « دروج » أو الكذب كان جماع كل الشر كما اعتقد بذلك الملك « دارا » وأن فكرة « أهريمان » قد أتت بعد ذلك بزمن قليل .

مبادىء « زورواستر » الثلاثة :

يوجد فى كتاب « ڤنديداد » ثلاثة مبادىء أساسية ترتكز عليها مجموعة ضخمة من الشعائر الكهنوتية والنظام وهى : (ا) أن الزراعة وتربية الماشية هما المهنتان الوحيدتان الشريفتان ، (ب) وأن كل الخليقة فى حرب بين الخير والشر ، (ج) وأن العناصر الأربعة وهى الهواء والماء والنار والأرض طاهرة ويجب ألا تدنس. وتفسيرا للمبدأ الأول ليس هناك أفضل من وصف مايسمى الحياة المثالية على حسب عقيدة « زوروواستر » . فردا على سؤال وضعه هذا النبى نعلم أنه حيث « يقيم أحد المؤمنين بيتا بماشية وزوجة وأطفال وحيث تكون الماشية فى ازدياد ، والكلب والزوجة والطفل والنار تكون ناجحة ... وحيث يزرع أحد المؤمنين كثيرا من الغلة والكلأ والفاكهة ، وحيث يروى أرضا تكون جافة أو يجفف أرضا تكون مبللة ». وهذه التعاليم سليمة صحيحة بصورة غريبة ، ونجد من الأشياء التى تتضمنها أنها تحرم الصوم بسبب « أن كل من لا يأكل فانه لن يكون لديه قوة يؤدى عملا جريئا من أمور الدين أو يشتغل بشجاعة ..... وأنه بالأكل يعيش العالم ، ويموت بدون غذاء . ويرجع السبب فى أن أتباع « زوروواستر » فى القرى أصحاب أجسام قوية الى انعدام كل القيود غير الطبيعية . هذا وكان الزواج محتما كما كان كذلك تعدد الزوجات . ويقول « هردوت » ان الملك كان يمنح مكافأة سنوية للفرد الذى يكون له أكبر أسرة والمبدأ الثانى هو عبارة عن بيان

طبيعة العقيدة الزورواستية ، وذلك أن « أهورامازدا » قد خلق كل ما هو طيب مثل الثور والكلب والديك وهى التى كان من واجبات كل مؤمن أن يعزها ، أما «أهريمان» فانه من جهة أخرى قد خلق كل المخلوقات المؤذية مثل الحيوانات المفترسة والثعابين وكل الذباب والحشرات وهى التى كان من الواجب المحتم على كل المؤمنين أن يهلكوها . ومن بين هذه الطبقة الأخيرة النملة التى يستحب قتلها لأنها تأكل حب الفلاح ، وكذلك الورل والضفدع. أما مكانة الماشية فلا تحتاج الى شرح وذلك لأنها قد وصفت بالقداسة التى لاتزال مرتبطة بالماشية فى الهند . وتفسير مكانة الكلب فى مذهب «زورواستر» كما جاء على لسان « أهورا » شعرى بهج اذ يقول : « لقد جعلت الكلب فى غير حاجة الى ملبس أو نعل ، وأنه شديد الحراسة يقظ ذو أسنان حادة ، ولد ليأخذ طعامه من الانسان ويحرس متاع الانسان ..... وأن أى فرد سيستيقظ على نباحه فانه لا اللص ولا الذئب سيسرق شيئا من بيته دون أن يحذر ، والذئب سيضرب ويمزق اربا اربا ..... على أنه لا يمكن أن يبقى بيت على الأرض عمله « أهورا » الا بسبب كلبى هذين وهما كلب الراعى وكلب البيت » وقد غالت هذه التعاليم أحيانا بوضع الكلب على قدم المساواة مع الرجل . ويظهر هذا فى العبارة التالية : « قتل كلب أو رجل » كما نشاهد ذلك أيضا فى الحياة المثالية فى تعاليم « زورواستر » التى اقتبسناها فيما سبق حيث ذكر الكلب قبل زوج الرجل وأولاده .

أما المكانة التى منحت للديك الذى يوقظ الخمول هى : « الطائر الذى يرفع صوته على الفجر الجبار ... وان من سيهدى كرما وتدينا الى أحد المؤمنين زوجا من طيورى هذه فانه يكون كمن أهدى بيتا يحتوى على مائة عمود » . ومن المحتمل أن هذه العبارة قد تشير الى أن الدجاج كان نادرا فى

بلاد الفرس فى ذلك الوقت . هذا وكان كلب الماء يعتبر غاية فى القداسة فقد كانت عقوبة قتل واحد منها عشر جلدات ، وهى أعظم عقوبة على أى جريمة. أما المبدأ الثالث فكان مرتبطا بقداسة النار بوصفها رمزا ، وقد كان على الكاهن أن يغطى فمه عند ما كان يقوم بواجبه الدينى عند المذبح ، يضاف الى ذلك أنه كان يرشد للقواعد الخاصة بعدم تلويث الماء الجارى وهى لاتزال متبعة فى بلاد فارس على حسب تعاليم الاسلام . وثانيا كان الفرد المعتنق تعاليم « زورواستر » تعرض جثته على برج لتمنع تدنيس الأرض . يضاف الى ذلك أنه لما كانت كل الأمراض ينظر اليها بأنها ملك قوى الشر فان معتنق مذهب « زورواستر » كان غالبا ما يهمله أفراد أسرته وهو يموت بل أكثر من ذلك كان يحرم من ضروريات الحياة . وقد كان من مساوىء هذا الدين المدهش أن معالجة المرضى بالغسل والتطهير ببول البقرات .

التأثير التوازنى على مذهب « زورواستر » :

من المستحيل فى نظرة عامة كهذه عن المذهب الزورواسترى أن نهمل مسألة تأثير الشعب التورانى على الديانة الآرية اذ من الطبعى بل من المحتم على القبيلة التى تغزو بلادا جديدة وتستولى عليها دون ان تقضى على أهلها جملة أو تطرد سكانها الأصليين أن تتأثر ان قليلا أو كثيرا بعقائدها الدينية . وأفضل مثال لدينا على ذلك تاريخ قبائل بنى اسرائيل . وأبرز مثل نجده فى العقيدة الزورواستية هو الاحترام العميق الذى كان يقدم للنار ، وذلك لأن هذا الشعور كان قد زيد فيه بسبب أن الآريين الذين كانوا يقطنون فى البلاد الواقعة غربى «بحر الخزر» قد وجدوها تتفجر من خلال الأرض ويقدسها السكان المجاورون . والواقع أن بعض من زاروا « باكو » وشاهدوا هذه

الظاهرة كانوا فى دهشة عظيمة عند ما رأوا عند غروب الشمس هذا المكان المغطى بالثلج ومع ذلك كان لهيب النار يندلع من جوف الأرض مما جعل المنظر يترك فى النفس تأثيرا سحريا عظيما يفوق حد الوصف . وهكذا قد أوعزت طبيعة الأرض تماما انشاء نيران بمقدسة ، وقد كان لزاما على الانسان أن يشعر بأنهذا العنصر النقى ان هو الا رمزلخالق العالم. ولا شك أنه بمرور الزمن قد ازداد الاحترام لها بدرجة عظيمة حتى أن لقب « عباد النار » قد أصبح يطلق على أتباع « زورواستر »، وهذه العبادة قد بقيت حتى يومنا هذا ، اذ لا نجد فارسيا « بارسى » يطفىء شمعة أو يخمد نار قطعة خشب مشتعلة ، يضاف الى ذلك أن التدخين محرم فى هذه البلاد .

...

واستعمال حزمة البرسيم يحتمل أنها مأخوذة من عصا السحر التورانية ، ولا نزاع فى أن جماعات الأرواح الشريرة التى تهاجم البشر باستمرار ، والتعاويذ الطويلة الضرورية لهزيمتها والخرافة القائلة أن قصاصة الأظافر لا بد أن تدفن بصلوات لتمنع انقلابها الى حراب وسكاكين وأقواس وسهام فى صورة صقور مجنحة وحجارة مقاليع فى أيدى الـ « دائڤاس **Daevas** » . كل هذه كانت خرافات يرجع تاريخها الى ما قبل ظهور « زورواستر » . ونجد فى بلاد فارس الحديثة أن المسلمين يدفنون قصاصات الأظافر بعناية تحت عقب الباب ، وذلك لأنه يعتقد أنها اذا وضعت هكذا تكون حاجزا مانعا للأسرة من الانضمام الى المسيح الدجال عندما يظهر على الأرض .ومن المحتمل أن هذه الخرافة قد انحدرت من الخرافة القديمة .

الماجى أو الماجوس :

يظن أن الماجوس لم يكونوا من أصل آرى بل يحتمل أنهم من سلالة

قبيلة التورانيين (وراء نهر الأكسوس) التى هضمها الآريون الفاتحون . هذا ونجد أنهم فى العهد التاريخى قد أصبح مثلهم فى المذهب الزورراسترى كمثل اللاويين عند اليهود ، وانهم وحدهم الذين كانوا يذبحون ضحية ويحضرون « الهاؤما المقدسة (Haoma) » ويحملون حزمة البرسيم ، هذا فضلا عن أنهم كانوا متعمقين فى علم التنجيم وبوساطة هذا العلم كان لهم علاقة — فى أسطورة الرجال الحكماء من الشرق — بولادة المسيح . وقد أصبح تأثيرهم بمرور الأجيال عظيما جدا ، ومن المحتمل أنه بالنسبة لهذه الحقيقة أن العقائد النقية التى لقنها « زورواستر » الذى كان على أية حال يعتقد أنه من أصل ماجوسى ، قد أدخل عليها الخرافات كما أدخل عليها المحافظة على القوانين الجامدة . وتدل شواهد الأحوال على أن الفرس لم يكونوا مستعدين لاعتناق الشعائر الماجوسية فى الحال ، والظاهر أن هذه الديانة لم تعتنق بأكملها الا فى العهد الساسانى .

عقيدة القيامة :

كان الاعتقاد بوجود حياة أخرى بعد الموت يثاب فيها الانسان أو يعاقب من العقائد الأساسية فى الديانة الآرية . والواقع أن هذا المذهب لم يكن محددا بوضوح فى كتاب « جاتاس » ولكن فى كتاب « ڤنديداد » نجد أن الابهام الذى فى الـ « جاتاس » قد انقشع وأصبح أكثر تحديدا . وهذه العقيدة موضوعة فى صورة الوحى العادية . ففى جواب عن سؤال خاص بما اذا كان المؤمن والكافر كذلك عليهما أن يتركا المياه التى تجرى والقمح الذى ينمو وكل باقى ثروتهم فيقول « أهورا » أن الأمر كذلك ، وان الروح تدخل الطريق التى عملها « الزمن » فتكون مفتوحة لكل من الشقى والعادل .

وكذلك نعلم أن الروح بعد انقضاء ثلاث ليالى على موت الانسان تأخذ مقعدها بجوار رأس المتوفى الذى كانت قد تركته وكانت على حسب فضائلها تتمتع بالنعيم أو الشقاء الى درجة قصوى . وعندما ينبلج فجر اليوم الرابع يهب ريح عبق من الجنوب وتقابل روح المؤمن عند جسر « شينفات Chinvat » أو « جسر الوداع » الذى كان يقام عبر هوة الجحيم بوساطة عذراء جميلة بيضاء الذراع « وجمالها كأجمل شيءفىهذهالدنيا » .وتسأل الروح من هى وتتلقى الجواب التالى : « يا أيها الشاب صاحب الفكر الطيب والكلمات الطيبة والأعمال الطيبة انى ضميرك » . وبعد ذلك يقود هذا الدليل الجميل روح المؤمن الى حضرة « أهورا » وهناك يرحب بها بوصفه ضيف مكرم . أما الروح الشريرة فانها بعد أن تقابل امرأة قبيحة الخلق لا يمكنها أن تعبر الجسر وتسقط فى مأوى الكذب لتكون هناك أمة « أهريمان » .

هذا ونجد فى « هردوت »(Herod. III 62) فقرة غاية فى الأهمية لها علاقة بالموضوع الذى نحن بصدده . وذلك أن « قمبيز » الذى سمع بالعصيان عليه فى صالح « بارديا » المزعوم الذى قد قتله أخذ يوبخ « بريكزاسبس Prexaspes » الذى كان قد أمره « قمبيز » بتنفيذ حكم الاعدام على أخيه « بارديا » ، وقد دافع « بريكزاسبس » عن نفسه بقوله « ان هذا الخبر عار عن الصحة ثم نطق بالبيان التالى : « اذا كان حقا أن الموتى يمكنهم ترك قبورهم فانتظر « أستياجس » ملك « ميديا » أن يقوم ويحاربك ، ولكن اذا كان مجرى الطبيعة هو نفسه كما كانت الحال من قبل فكن اذا متأكدا انه لن ينالك شر من هذه الناحية » ؛ وفى الحق هذه فقرة تلفت النظر بالنسبة للعقائد الايرانية .

الجنة الايرانيـة : تقع جنـة أتباع « زورواستر » على جبـال « هارا — برزايتى Hara-Berzaiti » أو الجبل الشامخ المعروف فى العصر البهلوى باسم « البورج » وهو الذى يسمى الآن « البورز » ، وهذاالجبل السرى يرتفع من الأرض فوق النجوم الى دائرة نورها لا نهاية له الى جنة «اهورامازدا » مأوى الفتوة ، وهو أم الجبال ، وقمته تسبح فى الفخار الأبدى حيث لا ليل ولا زمهرير ولا مرض . حقا ان هذه المثالية الشعرية لقمة جبل « دماڤاند » المنقطعة النظير يمكن أن تجد لها مكانة فى أنفسنا . ويحتمل أن تكون هذه المكانة كبيرة عند من شاهدوها وشعروا بعظمتها ورهبتها .

تأثير ديانة « زورواستر » على الديانة اليهودية : قد يطول بنا البحث اذا تعمقنا فى موضوع تأثير ديانة « زورواستر » على ديانة اليهود ، وبالطبع على الديانة المسيحية ، ولكن مما يستحق الاشارة اليه ان « أهريمان » فى ديانة « زورواستر » يكاد يكون موحدا بالشيطان فى ديانة اليهود وبـ « ابليس » فى الدين الاسلامى ، فنجد فى كل من الديانتين شياطين مؤذية لا يمكن للاله الأعلى أن يقضى عليهم فى الحال كما يريد بداهة اذا أمكنه . يضاف الى ذلك أن صفاء « أهورامازدا » وسموه فى علاه كما لقنهما « زورواستر » تفوقان فكرة « يهوه » الاله القبلى عند اليهود والذى قد مثل صائحا : « اذاشحذت سيفى البارق وأمسكت بيدى على القضاء فانى أرسل النقمة على أعدائى وأجازى مبغضى ، وسأسكر سهامى بالدم ، وسيلتهم سيفى لحما بدم القتلى والسبايا ومن رءوس قوادالعدو (كتاب التثنية، الاصحاح ٣٢ الأسطر ٤١ و٤٢) ومن جهة أخرى نجد ان الاله الذى طبيعته السامية قد وضعت فى الفقرات الرفيعة فى كتاب « أشعيا » تفوق أعلى تصور جاء على لسان « أهورامازدا ».

والآن ننتقل الى مسألة أهم بكثير من السابقة وذلك أنه من المحتمل أن نكون قد غالينا كثيرا اذ اذعينا أن عقيدة أبدية الروح قد بشر بها أولا « زورواستر » ثم نقلها عنه اليهود الذين وضعهم « سرجون الثانى » فى مدن الميديين وكانوا قد اختفوا ، وعدوا مفقودين بالنسبة لاسرائيل، ونحن نعلم على أية حال أن الأسر الكهنوتية والارستقراطية من اليهود الذين يمثلون الصدوقيين (الكفار باليوم الآخر) قد قالوا فى بداية العصر المسيحى أنه لا يوجد فى الكتب المنزلة ما يثبت الاعتقاد فى وجود ملائكة وأرواح أو قيامة ، وعلى ذلك فانه لدينا من جهة الزورواستريين الذين كانت عقيدة أبدية الروح فى نظرهم من الأمور الأساسية ، ومن جهة اخرى لدينا اليهود الذين انقسموا على أنفسهم بسبب هذه العقيدة الحيوية الهامة ، وذلك بعد مضى عدة قرون على موت نبى « ايران » العظيم . هذا ويضيق بنا المقام فى هذا المختصر أن نضيف أكثر مما سبق على التأثير الهائل الذى أحدثته ديانة « زورواستر » على اليهودية سواء أكان ذلك بطريق مباشرة أو غير مباشرة وبقى علينا أن نشير الى أن نغمة الأنبياء اليهود نحو الفرس تلفت النظر فى تسامحها ، ولنعطى مثالا واحدا من بين كثير فنقرء فى « أشعيا » : « هكذا قال الرب الى معطرة الى « كورش » والواقع أن الفرس وحدهم من بين السلالات المتسلطة لم يحكم عليهم بدخول النار من جانب أنبياء اليهود . وقد اعترف بهم اليهود الى حد ما بأنهم قوم تقرب ديانتهم من الديانة اليهودية .

وخلاصة القول أننا قد رأينا هؤلاء الايرانيين فى أول أمرهم قد بدوا أجلافا يعبدون الطبيعة ، ثم يظهر بينهم بعد ذلك « زورواستر » فى جلاله وعظمته، فحول أساطير قومه الى روح طيبة وبعث فيهم الشعور بوجود اله يقرب سموه ورفعته من سمو « عيسى » ورفعته ، وانه « زورواستر » الذى نادى بالاعتقاد

الآرى فى خلود الروح ، وكانت رسالته التى قوامها الأمل قد أتت بلا شك من الماضى البعيد مارة بمسارح الزمن الهامسة تاركة أثرها فى نفوس أهـــل القرن العشرين الذى نعيش فيه بصفة مباشرة وغير مباشرة . فعلى حسب تعاليمه نجد الانسان فى صراعه الأبدى بين الخير والشر قد ترك ليختارلنفسه ما يحلو له فالأرواح الخيره تعاضده والأرواح الشريرة تهاجمه غير أنه يعلم أن الغلبة ستكون للخير على الشر كما يقهر غيث السماء القحط ، وفى رأيى أنه من الصعب أن يكون فى قدرة الانسان الزيادة فى تحسين عقائدهذهالديانة وهى التى يرددها كل صبى عندما يصبح فى سن كافية « لشـــد حزامه » ويقول بعد أن يتعلم على يد من هو اكبر منه سنا : « افكارا طيبة وكلمات طيبة وأعمالا طيبة » وتلك هى تعاليم هذا الدين القويم .

الديانة المصرية القديمة والديانة الفارسية

وقبل ختام هذه العجالة عن الديانة الفارسية يجدر بنا ان نلقى نظرة على أوجه الشبه بين هذه الديانة والديانة المصرية القديمة . والواقع أن هـذين الشعبين هما من بين شعوب العالم اللذان نجد فى دياتتيهما ان الثنائيةالخلقية قد اتخذت مكانة هامة . ففى «مصر» نراها بوضوح ومع ذلك نجد انها لم تصل الى نقطة التحرر التام من المادية ، ومن النضال بين العناصر الدنيوية فى حين نجـد فى « فارس » أن عنصرى الخير والشر باسـميهما « أورموذد » و « أهريمان » قد أصبحا وحدتين خلقيتين كل منهما منفصـلة عن الأخرى تمام الانفصال ، وفضلا عن ذلك قد أصبحتا بصورة ما مرتفعتين عن الطبيعة المادية ، ويلحظ فى المذهب الزورواسترى ان الخير المادى هو المظهر للخير وهو يعد اقل درجة من الخير الخلقى الذى هو أسمى منه كما يلحظ ان الشر المادى هو بمثابة نتيجة للشر الخلقى ، ومن الجائز على أية حال ان الفرس قد اتوا بعد المصريين للاعلاء من شأن الثنائية الخلقية التى كانت موجودة منذ زمن بعيد فى « مصر » . ومهما يكن من أمر فانه ليس من باب المبالغـة أن نعترف أن « امبيدوكل » الاغريقى قد تأثر فى وقت واحد بمصر وبالفرس كما تأثر « هيراكليت » اليونانى بالأفكار المصرية والفارسية معا .

العادات واللغة والعمارة فى بلاد «فارس» القديمة

مقـــــــدمة

تدل ظواهر الأحوال على أن الميديين والفرس كانا يعيشان فى الأزمان القديمة عيشة متشابهة ، ولما كانت الأحوال الجوية والاجتماعية لم تتغير فى كلا البلدين فاننا لن نكون قد ذهبنا بعيدا عن جادة الصواب اذا قلنا انهم كانوا قوما أحرارا محاربين يتسمون بسمات الرجولة التى يتسم بها البدو فى أيامنا ، وأن بعضهم على أية حال قد انحدر من أصلاب أجدادهم القدامى . وهذا الرأى عن أخلاقهم كان يعترف به الأغريق ، واذا كان الاغريق قد نالوا شهرة أبدية فى الدفاع عن «هيلاس» فان جزءا من هذه الشهرة قد ناله الفرس الشجعان الذين على الرغم من انحطاط نوع الأسلحة والدروع التى كانوا يدافعون بها فى حروبهم مع الاغريق الذين كانوا قد سلحوا بأحسن الأسلحة ، حاربوا فى موقعة « پلاتا Plataea » ليقتحموا صفوف الأغريق ويجدوا لأنفسهم طريقا غير مبالين بحياتهم .

عادات الفرس : مما لا نزاع فيه أن الحيــوية التى يعبر عنهــا بالشجاعة والعزيمة هى أحسن ذخر تستند عليه الفضائل الانسانية الأخرى ، ولا نزاع فى أن الفرس القدامى قد تعلموا بوجه خاص « امتطاء صهوة الجواد ونزع القوس والتحلى بقول الصدق » ، وكذلك كانوا يتحاشون ذل الدين كما كانوا كرماء لضيوفهم ، وقد ضرب لنا « هردوت » مثلا فى كرمهم وذلك أن اغريقيا كان قد حارب حتى غطى جسمه بالجروح دفاعا عن ســفينته ، ولما أعجب الفرس بشجاعته ورأوا ان جروحه لم تكن مميتة ضمدوها وعاملوه معــاملة الشجاع المغوار ، وقد كانوا يعتبرون البيع والشراء فى السوق سبة ، وحتى

اليوم لا نجد فارسيا ذا مكانة يتنازل بالدخول فى حانوت لشراء حاجياته .

ولكن نجد مقابل هذه الصفات الحسنة أن الفارس كان ينقصه ضبط النفس سواء أكان ذلك فى السراء أم فى الضراء ، يضاف الى ذلك أنه كان محبا للزهو والصلف الى حد كبير كما كان محبا للبذخ ، وهذه صفات نجدها فى كل الأمم ذات الثراء ، والفرس كسلالة كانوا ولا يزالون مشهورين بحدة البصيرة وسرعة الجواب والنكات التى تكون أحيانا فى منتهى المكر . هذا وكان الفرس معروفين باسرافهم وبخاصة فى الطعام ، وقد ذكر لنا «هردوت» أنهم كانوا يأكلون ألوانا قليلة أصيلة ، ولكن كانوا يقدمون ألوانا كثيرة بمثابة حلوى غير أن ذلك لم يكن دفعة واحدة . اما ولائمهم وفخامتها وبذخها فسنشير اليها عند التحدث عن حياة ملوكهم . هذا وقد كان الفرس مثل الاغريق والسيثيين يعكفون على الكاس والطاس ، ويقول « هردوت » انهم كانوا يستقرون على مسألة هامة وهم سكارى فى المساء ، وبعد ذلك فى الصباح اذا رأوا أنه لاداعى لتغيير رأيهم الذى استقروا عليه فانهم ينفذونه . وكان الفارسى يعتبر انجاب ذكور عدة ثروة ، واكبر مثال على ذلك ان « فتح على شاه » قد ترك بعد مماته ثلاثة آلاف من نسله ، وقد كان ذلك سببا فى رفع مكانته بدرجة تفوق المألوف بين رعاياه .

القوانين : كان قانون الميديين والفرس الذى لم يتغير على ما يظن غاية فى الصرامة ، غير انه لم يكن احزم من قوانين الامبراطوريات التى سبقتها على وجه لتأكيد . فكان الملك يفعل ما يريد غير أنه لم يكن فى استطاعته أن يغير امرا كان قد اصدره ، وكانت حياة رعاياه وأملاكهم تحت رحمته ، ولكن فى الوقت نفسه كان الخوف من القتل هو الذى يخفف من حدة اساءة استعمال الحقوق . وكان القانون الجنائى وهو الذى جعل الموت — وذلك بحق — عقابا

على القتل وهتك الحرمات والخيانة وما شابه ذلك من جرائم فظيعة ، ويظهر أنه كان يطبق كذلك على الجرائم الأقل قسوة . ولكن من جهة أخرى نجد ان فى معاملة بلد فطرى أهله متوحشين لاسجون منظمة فيه كان من المستحيل الحكم بالموت او التشويه فى حالة محاكمة اللصوص وغيرهم من أصحاب الأخلاق الفاسدة . وقد كانت العقوبات بالالقاء فى النار ودفن الفرد حيا وسلخ الجلد والصلب شائعة فى ذلك الوقت كما كانت فى « آشور » من قبل .

مركز المرأة : كان تعدد الزوجات مباحا ، وكانت الطبقات العليا يضعون نساءهم فى الخدور كما كانت المحفات المستورة تستعمل لحملهن فى الأسفار، هذا وكانت المرأة لا تظهر فى الكتابات ولا فى النقوش المصورة . ولكن من جهة أخرى لم تكن المرأة الريفية محجبة ، ومن المحتمل كان مركزها احسن حالا من أخواتها اللاتى كان محرما عليهن الظهور فى المجتمعات أو استقبال آبائهن أو اخوتهن . ولما كانت هذه هى القاعدة العامة فى الشرق فان نساء الفرس كن يشاطرنهن فيها ، غير أن سبب انحطاط الفرس كدولة عظمى يمكن فانها كانت تصرف طوال يومها فى الغزل وفى الأعمال المنزلية الأخرى . الفرس كانوا يعتقدون ان المرأة اذا قامت بعمل ما فانه يعد حطا من قدرها ، وقد كان مثلهم الأعلى فى هذا الصدد أقل بكثير من المثل الأعلى للمرأة الاغريقية ، وذلك ان المرأة الاغريقية على الرغم من انها كانت حبيسة فى بيتها فانها كانت تصرف طوال يومها فى الغزل وفى الأعمال المنزلية الأخرى .

الملك وبلاطه : ليس هناك دولة فى العالم كانت حياتها متركزة حول الملك أكثر من الفرس[1] وعلى ذلك فان وصف مركز الملك وحياته يقدم لنا صورة

(١) يستثنى من ذلك الفرعون فى مصر فانه كان الها ، والاله لا مراد لقوله لأنه يحكم على حسب شريعة « ماعت » التى شرعها اله الشمس « رع » عندما حكم على الأرض (« ماعت » معناها العدالة .)

حقيقية عن الأحوال فى « ايران » بعد أن أصبحت الامبراطورية الفارسية قائمة على أساس مكين . كان الملك هو الحاكم المطلق والمورد الوحيدللقانون والشرف ، فقد خص نفسه بالعظمة ، فكان هو الرجل الوحيد الذى على أخلاقه وقدرته تتوقف سعادة البلاد وشقاؤها ، لذلك كان المنتظر منه ان يراعى عادات البلاد،وكان عليهان يستشيرالأشراف كما كان لزاماعليهانيحترم القرارات التى أصدرها وكان ثوبه الملكى الأرجوانى الذى يرتديه هو الثوب الميدى الموقر الفضفاض ، وكان يلبس على رأسه عمامة عالية ذات لون براق (لايلبسهاالاالملك)، وقد جاءت صورتها فى نقوش مدينة «برسيبوليس Persepolis » وكان يحلى أذنيه بقرطين ويديه بأساور كما كان يتحلى بسلاسل وحزام كلها من الذهب ، وقد ظهر فى النقوش قاعدا على عرش منمق وله لحية طويلة وشعر مجعد ويقبض فى يده على صولجان مدبب مركب فى نهايته تفاحة من الذهب ويقف خلفه تابع وفى يده المروحة اللازمة ، ويقف عند رأس البلاط قائد الحرس الذى كانت رتبته بطبيعة الحال من أهم الرتب . وكان كبار الموظفين يشملون المدبر الأول للقصر ، ورئيس البيت ، والخصى الأول يضاف الى هؤلاء عينا الملك وأذناه او الشرطى السرى ، والتشريفاتى وحامل الكأس والصيادون والرسل والموسيقيون والطباخون وكلهم كانوا ضمنرجال البلاط . وقد ذكر لنا المؤرخ « كتسياس Ctesias » أن الملك كان يطعم يوميا خمسة عشر الفا من الشعب وانه كان يقدم فى طعامهم الغنم والماعز والجمال والثيران والخيل والحميروكانتالنعام والأوزتؤكلايضا، كما كانت تؤكل لحوم كل أنواع الصيد . وكانت تقدم للملك مائدة منفردة غير أن الملك أحيانا وكذلك أولاده المقربون يسمح لهم بالأكل معه . وهذه العادة لاتزال شائعة فى « فارس » حتى الآن وقد كان الملك يمعن فى السكر وهو متكىء

على الأرائك الذهبية . وفى الولائم الكبيرة كان يرأسها بنفسه ، وكانت أطباق الذهب والفضة عديدة معروضة بأبهة وفخار كما هى الحال فى البلاط الانجليزى الآن .

وكانت الحرب والصيد من دأب ملوك الفرس وما دامتا مستمرتين فان شباب الملك كان دائما محفوظا ، وكان من عادة الملك ان يحتل وسط خط القتال وكان ينتظر منه أن يظهر شجاعة وبطولة . اما فى الصيد فكان الملك يطارد الحيوان المفترس بمساعدة الكلاب . وكان من عادته ان يتبع فى صيده الطرق الآشورية ، فكان الحيوان يحفظ فى سياج ضخمة تدعى « بيرى — داساه » ومنها اشتقت كلمة الفردوس التى سمى بها الشاعر المشهور . وقد سبقهم فى هذا النوع من الصيد قدماء المصريين . هذا وكان صيد الحمير البرية من أنواع الطراد المحبب لدى الملوك فكانوا يطاردونها بالخيل التى عمل لها محاط الى أن تقع فريسة فى أيدى الصيادين راجع (Xenophon Anabasis I, 5.2).

أما فى داخل القصر فكان الملك يسلى نفسه بلعبة الشطرنج ، ولقد كان من المفروض أن الملوك الذين تركوا كل شىء اوزرائهم يشعرون بالسأم كما هى الحال الآن مع طلاب اللهو ، ومن ثم نقرأ عن حالات نشاهد فيها ان الملك كان يسلى نفسه بهواية مثل الحفر او حتى مسح الخشب بالفارة .

ومن الغريب أن ملوك « فارس » على وجه عام كانوا اميين على خلاف ملوك « آشور » . ومن المدهش ان هذه العادة لا تزال موجودة حتى يومنا هـذا فى بعض كبار الموظفين . وكان يأتى بعد الملك رؤساء الأسر الذين يعرفون باسم « الأمراء السبعة » وكان من حقهم طلب الدخول على الملك فى أى لحظة

الا اذا كان فى خدر نسائه. وقد كانوا فى العادة يشغلون وظائف عالية ويؤلفون مجلسا مستديما ومن بعدهم تأتى فروع صغيرة واتباع من الأسر الكبيرة . هذا وقد كانت جماعة التجار ينظر اليها بعين ملؤها الاحتقار الشديد ومن ثم نفهم أنه لم تكن هناك طبقة متوسطة بين الأشراف وعامة الشعب .وكان الفرد من الرعية اذا سمح له بالدخول فى المجلس ينبطح على الأرض عند الدخول على الحضرة ويداه مختفيتان عن الأنظار ، وهذه العادة لا تزال موجودة حتى الآن . وقد حدثنا هردوت عن تسليح الفرس فيقول انهم كانوا يلبسون على رءوسهم عمامة ناعمة الملمس تسمى « Tiara » ويرتدون قمصانا من الوان مختلفة لها اكمام تظهر فى شكلها انها مؤلفة من قشور من حديد مثل قشر السمك ، وكما كانوا يرتدون سراويل ، وبدلا من الدرع العادى كانوا يلبسون درعا من البوص المجدول تحته قوس ، وكانوا يتسلحون بحراب قصيرة وخناجر معلقة على الفخذ الأيمن من الحزام . وكانت الملكة سيدة فى حريمها وكان من حقها ان تلبس الاكليل الملكى الذى يجعلها سيدة على زوجات الملك الأخريات وكان لها دخل عظيم خاص بها ، كما كان لها موظفون وخدم خاصين بها . وعندما كانت ملكة ذات خلق عظيم تحتل هذا المنصب فان نفوذها يكون عظيما ، أما النساء الثانويات فلم يكن لهن نفوذ يذكر نسبيا ،وكانت مئات الحظيات تأتى كل واحدة منهن ليلة الى فراش الملك اللهم الا اذا اجتذبت احداهن قلب الملك بصفة خاصة . وقد كان مركز الملكة نفسه عرضة لأن يخسف بوساطة أم الملك التى كانت لها المكانة الأولى فى البلاط . ولا ادل على ذلك من الأعمال التى اتتها « أمستريس Amestris » زوج الملك « اكزركزيس الأول » كما سنرى بعد وكان الخصيان عديدين فى القصور الملكية . وعندما كانت تنحدر الأسرة المالكة فى طريق الترف والنعيم فان نفوذ هؤلاء الخصيان

السيء كان يفسد الأمراء الصغار الذين كان يقوم على تربيتهم هؤلاءالخصيان ولابد أن تكاليف بلاط كالذى وصفناه كان حملا ثقيلا على الامبراطورية ، وقد ظل كذلك حتى الآن .

هذه كانت العادات الهامة الشائعة فى أمة الفرس ولا نزاع فى أن الطيب منها يربى على السيء ، وعندما نأخذ بعين الاعتبار ما لديانتهم من مبادىء ساميةسليمة فانه لايدهشنا قط أن هؤلاء القوم الآريينقد أسسوا امبراطورية عظيمة وسيطروا على ما فيها من أقوام ينتسبون الى السلالتين السامية والتورانية وهضموا مدنيتيهما

لغة الفرس القديمة : يرجع الفضل فى حل معميات اللغة الفارسية الى مجهودات «جروتنفند و لاسن » وبصفة خاصة الى «سير هنرى رولنسن » ، وهى اللغة التى كان يتحدث بها « كورش » . وانه لمن المهم بنوع خاص ان نعلم ان الكثير من كلماتهامثل الكلمة الدالة على حصان وجمل ... الخ التى استعملها الفرس الأقدمون لا تزال باقية فى الفارسية الحديثة . والواقع ان اللغة كانت فارسية قديمة . والنظرية القائلة ان الكتابة الفارسية مشتقة من الكتابة الآشورية مقبولة عندما نعلم ما كان للاشوريين من تأثير على بلاد « ميديا » و « فارس » .

نقش « دارا » الثلاثى فى « بهيستون Behistun » : ترك لنا الملك « دارا » نقشا على صخرة عالية من صخور سلسلة جبال بالقرب من «همدان» .ويرجع الفضل فى التعرف على هذا الأثر وحل رموزه الى الأثرى « رولنسن » الذى عانى كثيرا فى نقله من على الصخرة التى يبلغ ارتفاعها حوالى اربعة آلاف

قدما . وقد ترجم المتن اخيرا كل من « كنج » و « طومسون » وهذه هي أحدث ترجمة يعتمد عليها حتى يومنا هذا .

وقد مثل على هذه اللوحة الملك « دارا » يتبعه موظفان عظيمان من رجال دولته ، ويظن ان احدهما هوحموه المسمى « جوبرياس Gobryas » وهو منتصر على أعدائه ويظهر الملك وهو يطأ بقدمه اليسرى « جوماتا » الماجوسى وهو ممثل ملقى على ظهره وذراعه مرفوعة تضرعا للملك ، ويشاهد فى الأمام سبعة عصاة ربطوا معا بأيديهم مغلولة وقد ذكر اسم كل واحد منهم معه . وفوق ذلك يرفرف الاله « أهورامازدا » وقد رفع له الملك « دارا » يده اليمنى تعبدا وخشية .

نقش هذا الأثر الخالد بثلاث لغات وهى الفارسية والعيلامية الجديدة ثم البابلية ، ويقدم لنا القاب الملك « دارا » واتساع مملكته ثم يشير بعد ذلك الى موت « بارديا » او « سمرديس » على يد « دارا » . والثورة التى قام بها « سمرديس » الدجال ، وهو « جوماتا » الماجوسى فى أثناء غياب « قمبيز » فى « مصر » وقد جاء ذكر موت هذا المدعى على يد « دارا » بشىء من التفصيل ثم يأتى بعد ذلك الثورات التى قامت على « دارا » بالتطويل وينتهى النقش باستحلاف الحكام الفرس المقبلين ان يحذروا الدجالين كما يستحلف القارىء ان يحفظ النقش من العطب . وقد صب الملك العظيم اللعنة على كل من يخرب هذا الأثر فى الكلمة التالية : يقول « دارا » الملك : اذا نظرت هذه اللوحة وهذه النقوش وكسرتها ولم تحافظ عليها طوال استمرار نسلك ، فاذا ليت « أهورامازدا » يذبحك وليت نسلك يمحى وكل شىء تعمله ليت « اهورامازدا » يقضى عليه .

وانه لمن المستحيل ان نقدر هنا ما لهذا النقش الثلاثى من أهميـة اذ لا تقتصر أهميته على ما له من قيمة اثرية وحسب بل أكثر من ذلك وبخاصة لما يلقيه من أضواء على الكتابة المسمارية والبابلية والآشورية وهى التى أصبح حلها ممكنا بوساطة شرح هذه الوثائق الفارسية .

«باسارجادا» (مورغاب) : — كانت « باسارجادا » عاصمة بلاد الفرس وتعرف كثيرا باسمها اليونانى « پرسيس Persis » وموقع هذه العاصمة يختلف عن العاصمة الحديثة التى جاءت بعدها وهى « برسيبوليس » وذلك أن «باسارجادا» تقع فى مكان منعزل فى واد صغير فى حين كانت «برسيبوليس» تطل على سهل فسيح وتقع الأولى فى الشمال الشرقى من الثانية ، وتحتـوى « باسارجادا » على آثار قيمة نخص بالذكر منها « تخت سليمان » وهو عبارة عن طواز مقام على قمة تل صغير ، وهو مبنى بأحجار ضخمة من الحجر الأبيض كان بعضها متصلا بالبعض الآخر بوساطة مشابك من حديد ، وقد وجد فيها قطعة واحدة ضخمة من الحجر الجيرى مثل عليه صورة الملك « كورش » العظيم وروحه . وقد نقش عليها : « انى «كورش» الملك الاخمينيسى » ، وقد مثل الملك فى هذا الحجر بصورة أكبر من الحجم الطبيعى ..وتدل صناعة نحته على أنه يرجع الى الفن الآشورى من حيث الجناحين وثوبه المهذب[1] ووجهه آرى الملامح ومن المحتمل ان هذه اول صورة آرية لملك عظيم حفظت لنا على مدى الدهور . وقد عثر على قبر « كورش » فى هذه المدينة أيضا . ويقال ان الذى وضع تصميمه مهندس اغريقى ، وكان القبر فى الأصل محاطا بقاعة عمد لا تزال قواعد بعضها باقية حتى الآن فى مكانها .

---

(١) انظر قائمة الصور

وهذا القبر يعرف باسم « مشهد أم سليمان » والقبر قد أقيم على مبنى يتألف من سبعة مداميك من الحجر الجيرى الأبيض ويقول « آريان Arrian » ان النقش التالى قد كتب عليه : « يا أيها الانسان انى « كورش » بن «قمبيز» الذى أسس دولة الفرس وكان ملك «آسيا». لاتحقد على اذا بسبب هذا الأثر (راجع Ten Thousand Miles etc. p. 328) . ويقول المؤرخ « سيكس Sykes » انه يشك فى وجود أثر آخر له أهمية عظمى من الوجهة التاريخية يمكن أن يفوق فى نظر الآريين قبر مؤسس الامبراطورية الذى دفن منذ حوالى ٢٤٤٠ سنة خلت .

قصور « برسيبوليس » : تقع « باسارجادا » على الجزء الأعلى من نهر « پولڤار Polvar » ويفصلها عن « برسيبوليس » سلسلة جبال شامخة وسهل «مرداشت Merdasht » الذى تقع فيه «برسيبوليس» وهو خصب التربة وحسن الموقع ، اذ كان يزوره فى فصل الربيع الملك العظيم . وتحتوى «برسيبوليس» على عدة آثار هامة أهمها « تخت چامشيد » (Jamshed)أو عرش جامشيد الذى أشار اليه « عمر الخيام » فى شعره حيث يقول :

يقولون ان الأسد والضب يحرسان

القصور التى نعم فيها « چامشيد » وثمل

وهذا التخت الجبار يبلغ ارتفاعه حوالى ٤٠ قدما عن رقعة الوادى الذى يطل عليه ، ويبلغ طوله حوالى ١٥٠٠ قدم ، فى حين أن تخت « باسارجادا » لايزيد طوله عن ٣٠٠ قدم ، ويبلغ عرضه حوالى ٩٠٠ قدم ، وهو فى صناعته يشبه تخت « باسارجادا» ويشاهد فوق هذا الطوار أو التخت خارجة مدهشة أقامها الملك « اكزركزس » الأول ببوابتها الضخمة تكنفها ثيران مجنحة يلمح فى صنعتها الفن الآشورى ، وقد جاء فى النقوش التى نقشت فوقها

ما يأتى : « انى « اكزركزس » الملك العظيم ، ملك الملوك ، ملك ممالك عدة ذات ألسن مختلفة ، ملك هذا العالم ، ابن « دارا »ملك الاخمينيسيين، ان « اكزركزس » الملك العظيم يقول انه بفضل « أورموزد » اقمت هذه البوابة التى مثل عليها كل الممالك » . ولا تزال بعض أعمدة هذه الخارجة وتماثيلها باقية وان كان الدهر قد براها . ولا نزاع أن هذه الخارجة تؤلف المدخل الى القصر العظيم الذى كان يعد مفخرة « برسيبوليس » ، وهوالذى كان قد اقامه « اكزركزس » ويحتوى على قاعات عدة وبخاصة قاعة « اكزركزس » التى كانت تحتوى على اثنين وسبعين عمودا لم يبق منها الا اثنا عشر عمودا . وقد عثر فيها على نقوش هامة وكذلك وجد على هذا الطوار قصر الملك « دارا » ، وعلى الرغم من أنه اصغر من قصر«اكزركزس» فانه ذو أهمية ، ومن المحتمل انه كان يحتوى فقط على الحجرات التى كان يسكن فيها الملك . ولكن يوجد خلف الطوار قاعة مائة العمود وكانت اكبر المبانى فى هذه المدينة ولها خارجة عظيمة فى الجهة الشمالية ، وكان يحرس هذه الخارجة تماثيل ضخمة وبابان يؤديان الى داخل القاعة ، والنقوش التى على العرش غاية فى الجمال وهى تمثل الملك العظيم على عرشه يحمله صفوف من رعاياه فى حين يرفرف فوقه الاله . ومن المحتمل ان ما جعل لقاعة مشورة « دارا » الفخمة هذه أهمية اكثر من اى مبنى غيرها ، هو انها كانت نفس القاعة التىكان يولم فيها «الاسكندر» ولائمه عندما دخل «فارس» فاتحا .

المقابر المنحوتة فى الصخر : لقد اظهرت قصور مدينة «برسيبوليس»ماكان للملك العظيم من عظمة وقوة ولكن المقابر الصخرية التى تقع فى غربها وهى التى نقلت عن طراز المقابر المصرية لها جلال اكثر روعة ورهبة . والواقع انه

لا نزال نشاهد اربع مقابر منحوتة فى واجهة جبل عمودى لكل منها بابها المصنوع من الحجر على الطراز المصرى اذ يمثل واجهة قصر له اربعة عمد يقع بينهـا المدخل وفوق هذا المدخل يشاهد عرش يتألف من طبقتين كل منهما محمول بسور من الأعمدة من طراز عمد قاعة المائة عمود . ويشاهد الملك قابضـا على قوس بيده اليسرى فى حين أن يده اليمنى مرفوعة تضرعا للاله «أهورامازدا» الذى يرفرف فوقه . ومن بين هذه المقابر مقبرة الملك « دارا » الأول وتبلغ مساحتها ٦٠ × ٢٠ قدما وكانت قد بنيت لتسع ثمان جثث .

الآجر المشغول بالميناء : عثر فى مقبرة الملك « ارتكزركزس » (منمون) فى « سوس » على افريزين فخمين وهما افريز الرماة وهو يؤلف أجمل مثال من الميناء ذات الألوان المختلفة المشغولة على الآجر وارتفاعة حوالى ٥ أقدام ، وهو يمثل موكبا من المحاربين نقشوا نقشا بارزا بالحجم الطبعى . وهؤلاء المحاربون من كل لون ، وتدل حرابهم ذات العقد الذهبية على أنهم «الخالدون» وهم الذين يمثلون فى نظر العالم المتمدين فخار وابهة وقوة الملك العظيم ، والثانى هو افريز الأسود وهو كذلك ذو ألوان مختلفة ، وقد مثلت الأسود وهى تخطو الى الأمام فاغرة افواهها .

الصياغ الاخمينيسيون : كشف عن كنز على شاطىء نهر « أموداريا » منذ عهد قريب جدا موجود الآن بالمتحف البريطانى . ويلفت النظر فى هذا الكنز نموذج عربة فارسية قديمة من الذهب وكذلك صور من الذهب (Armilla) وهى تدل على ما وصل اليه فن الصياغة من الاتقان فى عهد الاخمينيسيين .

صناعة البرنز : هذا وقد عثر فى بلدة « خينامان » الواقعة غربى «كرمان» على عدة آلات من البرنز منها بلطة رسم عليهـا صور دب ونمر ووعـل .

والخلاصة من كل ماسبق فى هذا الفصل هى أن بلاد «فارس» قد قلدت بحرية من حيث فنونها ومبانيها الممالك العظيمة التى احتكت بها ، وبخاصة أخذت عن «بابل» و «آشور» و «مصر» و «هيلاس» ، غير أنها لم تقلد هذه البلاد تقليدا اعمى . ويلحظ ذلك حتى فى تقليدها التماثيل الضخمة التى أخذتها عن « آشور » فانها لم تأخذ الا مكانا ثانويا فى القصور البديعة التى أقامها ملوك الأخمينيسيين وهى التى نشاهد فيها الروعة والجلال عندما تكون مزدحمة برجال الجيش والقصر ، ولا بد أنها كانت تؤثر فى نفس أعظم ناقد من المواطنين الآثنيين ، وذلك على الرغم من ان الغرض من اقامتها هو تفخيم الملك العظيم واظهار عظمته .

« فارس » و « هيلاس » فى عهد الملك « دارا الأول »

مما لا نزاع فيه أن غزو الفرس لبلاد «هيلاس» بآلاف مؤلفة من جنودهم ثم صد الأغريق لهم يعد حادثا لا يضارع فى تاريخ العالم من حيث الأهمية والعظمة ، اذ ان هذا الحادث يعتبر اول محاولة قام بها الشرق المنظم لفتح الغرب الذى كان اقل منه نظاما ، على ان الدولة الفارسية لم تقم فى المرحلة الأخيرة من مراحل حياتها بغزو « هيلاس » وحسب بل قامت « قرطاجنة » بنفوذ الفرس وتحريضا منها بهجوم مميت على مستعمرات الاغريق فى «صقلية» ولكن كان من حسن حظ الانسانية ان كلا من الغزوتين باءت بالفشل الذريع.

الرعايا الأغريق فى بلاد الفرس : كان من جراء فتح الفرس للبلاد والجزر الاغريقية فى « آسيا الصغرى » ثم ضمها لـ « تراقيا » و « مقدونيا » أن أصبح سلطان الفرس يشمل على الأقل ثلث السلالة الاغريقية . وهؤلاء الاغريق كانوا يؤلفون قوة هائلة جبارة بما اوتوه من مران وسلاح حربيين ، هذا بالاضافة الى انهم كانوا يملكون اسطولا بحريا يعادل اسطول «فنيقيا» التى كسروا شوكة احتكارها للتجارة . وفى الوقت نفسه نجد ان حب الاغريق المتناهى للحرية وما اتصفوا به من صفات اخرى منحتهم قوة عظيمة وجعلت من الصعب السيطرة عليهم ، ومما لا شك فيه انه لم يكن هناك ملك من ملوك الفرس الأول قد فهم مزايا هذا الشعب او الطرق التى يجب ان يعامل بمقتضاها لاختلافه اختلافا تاما عن اى شعب آخر من الذين اخضعتهم « ايران » لسلطانها . وفضلا عن ذلك نجد ان الاغريق كانوا يقطنون فى اقاصى حدود الامبراطورية الفارسية ، ومن ثم فانه يحتمل انهم لم يلفت الفرس انظارهم اليهم الا بعد فوات الوقت وحتى شعروا بقوتهم ومزاياهم .

العلاقات بين « هيلاس » و « آسيا الصغرى » : كانت علاقات الفرس من كل نوع مع « هيلاس » ، وبخاصة فيما يخص التجارة والسياحة والزواج لم تتأثر بحلول شطربة الفرس اللين العريكة محل ملك ليدى يقطن فى « سرديس » ، اذ الواقع ان اللاجئين من « آسيا الصغرى » كانوا لا يزالون يجدون مساعدة من « هيلاس » كما كانت الحال فى عهد الملك « كروسوس » ملك « ليديا » ، وقد لجأ حكام اغريق معزولون الى اخوانهم فى «آسيا» الصغرى » أو الى الشطربة الفارسى . وقد أصبحت هذه الحالة التى كشفت عنها رسالة « أسبرتا » للملك « كورش » لا يمكن تحملها فى نظر امبراطورية عالمية كامبراطورية الفرس حتى انتهت بالثورة التى قامت فى « أيونيا » . وفى الوقت نفسه كانت الاستغاثات المستمرة من جانب « هيلاس » بطبيعة الحال مغرية لشطربة طموح لنيل شهرة عظيمة لا بتوسيع نفوذه وحسب ، بل بتوسيع ممتلكات الملك العظيم . والظاهر ان شطربة « سرديس » قد فكر فى مثل هذا التوسع ، ومن المحتمل ان « دارا » نفسه هو الذى فكر فى هذا منذ بضع سنين .

الموقف فى بلاد الأغريق قبل الغزو الفارسى :

ان « أثينا » التى كانت الهدف والمفتاح لبلاد «هيلاس » فى حالة تفكك منذ سنين عدة ، فقد هرب «هبياس» الحاكم المطلق الذى ينتسب لأسرة « بيزستراتوس » الى « سيجوم **Sigeum** » فى « طروادة » وهناك طلب مساعدة شطربة الفرس فى « سرديس » ، وقاما بدس الدسائس على « أثينا » بكل الطرق الممكنة .

وبعد سقوط الملكية المطلقة أصلح «كليستنيس» الحاكم المطلق المنتسب

الى أسرة « الكماينيد » الشريفة ، دستور « أثينا » على أسس ديموقراطية، وقد أثار ذلك حنق وعداوة الحزب الارستقراطى الذى استعان « باسبرتا » بوصفها المملكة صاحبة القيادة فى «هيلاس» . وقد أجابت « أسبرتا » بغزو « أثينا » مما اضطر « كليستينيس » الى التسليم للقـوة . وعلى أثر ذلك ثارت ثائرة الاثينيين وقاموا على الأسبرتيين المعسكرين فى « أثينا »فسلموا لحلفائهم الأثينيين وغادروا « أتيكا » ، غير أنهم لم يلبثوا أن عادوا بقوة أكبر عددا من حلفائهم الباوبونيزيين ، ولما يئست «أثينا» من موقفها أرسلت سفراء الى شطربة « سرديس » الذى طلب اليهم التراب والماء اعترافا بسيادة الفرس . وقد قبل السفراء هذا الشرط، غير أنهم عند عودتهمفى عام ٥٠٨ ق.م رفض الأثينيون الاذعان لطلب الفرس . وفى تلك الأثناء كانت بلاد «أتيكا» قد ضربها البلوبونيزيون الى أنتفكك حلفها ، عندما انسحبتمنه «كورنثا». وفى عام ٥٠٦ ق. م. أرسـل الأثينيون سـفراء الى « سرديس » ليرجوا « أرتافرنس Artaphernes » الشطربة أن يقلع عن معاضدة « هبياس » . واجابة على ذلك طلب اليهم بقوة اعادة « هبياس » ، وقد كان رفضهم لذلك يكاد يكونبمثابة انذار نهائى محقق لغزو بلادهم. وقد كان الفرس يتحينون الفرص لغزو « هيلاس » .

ثورة جزر الأيونيان : ٤٩٩ — ٤٩٤ ق . م

وقد جاءت الفرصة لغزو الفرس لبلاد « هيلاس » عندما قامت الجزر الأيونية بثورتها . وقد قامت هذه الثورة بسبب أطماع حاكمين مستبدينمن الاغـريق أهمهما هو « هيسـتياوس Histiaeus » ملك « ميليتوس Miletus » وهو الذى كان موكلا بحماية قنطرة الدانوب ، وقد كافأه «دارا» على ذلك بمدينة من مدن « تراقيا » ، غير أنه لما أثار ظنون ممثـل الفرس

بما قام به من تحصينات فى هذه البلدة طلبه « دارا » الى « سوس » وحبسه هناك ، ولكنه عامله معاملة حسنة ، وكانت « ميليتوس » يحكمها « ربيبه أريستاجوراس Aristagoras » وقد أرسل اليه «هيستياوس Histiaeus » عبدا قال لا بد من حلق شعر رأسه سرا ، وعندما حدث ذلك وجدت رسالة قد رسمت على جلد رأسه جاء فيها الحث على القيام بثورة على « فارس ». وقد وصلت هذه الرسالة بمهارة فى الوقت المناسب . وعلى ذلك فان الهجوم الذى كان أغرى به «أريستاجوراس» الشطربة الفارسى لمحاربة «ناكسوس» قد خاب بسبب خيانة ، وعلى ذلك كان هذا الاغريقى الخائن ينتظر كل يوم فصله من وظيفته ان لم يكن الحكم عليه بالاعدام . وقد كان لا بد من وجود حزب فى كل مدينة صغيرة كانت أو كبيرة تميل الى رفع نير الفرس عن عاتقها، وعندما أقصى « أريستاجوراس » عن حكم « ميليتوس » نجد انها انضمت الى الرأى العام . وقد قبض الثائرون على حكام آخرين غيره كانوا على ظهر سفن الأسطول عائدين من « ناكسوس » . وقد زار « أريستاجوراس » « اسبرتا » وطلب مساعدة الثورة ، ولكن دون جدوى . وعلى أية حال فان الأثينيين مدوا الثوار بأسطول قوامه ٢٠ سفينة كما أمدهم أهالى « اريتريا » بخمس سفن . وقد شجع الثوار هذا المدد الضئيل فقاموا بهجوم فى عام ٣٩٨ ق.م. على مدينة « سرديس » واستولوا عليها ، غير أنهم لم يمكنهم الاستيلاء على قلعتها الشهيرة ، ولم يمكنهم فى آخر الأمر أن يستبقوا المدينة فى أيديهم واضطروا الى التقهقر . وقد لحق بهم الفرس على ما يظهر بالقرب من « افيسوس Ephesus » وهزموهم . وعلى أثر هذه الهزيمة تخلت «أثينا» عن «ايونيا» . ولقد كان للاستيلاء على « سرديس » رنين هائل فى كل « آسيا الصغرى » مما شجع البلاد اليونانية على الثورة ، ومن جهة أخرى

أثار هذا الحادث حنق العاهل «دارا» لدرجة أنه عند كل وجبة كان على عبد من عبيده أن يصيح قائلا : « سيدى تذكر الأثينيين » . وعلى أية حال فان هذه الخرافة وردت على هذه الصورة . والواقع أن هذه الثورة لم تقم على أساس صحيح من الوجهة الحربية ، وذلك لأن الفرس كانوا يعملون على حسب خطوط داخلية ويمكنهم أن يهاجموا على انفراد أية مدينة أو مجموعة مدن ارادوا مهاجمتها تاركين المدن الأخرى تنتظر عقابها بدورها ، وفى الوقت نفسه كان الثوار قد أحرزوا بعض الانتصارات وبخاصة فى « كاريا » حيث هزم جيش « فارس » هزيمة منكرة .

موقعة « لاد » وسقوط « ميليتوس » ٤٩٤ ق م :

وقعت الواقعة الفاصلة فى البحر ، وذلك أن أسطولا اغريقيا مؤلفا من ثلاث وخمسين وثلاثمائة سفينة قد تجمع فى عرض البحر ، ولكن عندما هاجمه أسطول فنيقى وقبرصى يتألف من ستمائة سفينة تعمل تحت أوامر الفرس ، فان قطع أسطول « ساموس » ومعها قطع أسطول « لزبوس » تخلت عن الأسطول الأغريقى وبذلك انتصر الفرس فى موقعة « لاد Lade » (وتقع قبالة « ميليتوس ») . وقد استولى الفرس على « ميليتوس » التى كانت ترأس الثورة كما كانت تعد أهم مدينة فى العالم الهيلانى . وقد قتل كل الذكور الذين فيها تقريبا ، أما النساء والأطفال فقد نقلوا الى بلدة « أمبه Ampe » الواقعة على مصب نهر « دجلة » وبهذه الكيفية فشلت الثورة . وقد كانت نتيجتها المباشرة أن شددت « فارس » الخناق على حريات أهل « ايونيا » الاغريق القاطنين فى « آسيا الصغرى » وهم الذين أظهروا انفسهم بمظهر الفرقة وعدم القدرة والخيانة التى بررت للملك « دارا » ومستشاريه الاعتقاد بأن فتح بلاد « هيلاس » لا يتكلف مشقة خارقة لحد المألوف ،

ومن جهة أخرى فان الثورة سمحت لـ « أثينا » بالوقت الكافى لبناء أسطول كان مصيره أن يكون عاملا حاسما فى الحرب العظمى التى نشبت بين الدولتين ونجاة بلاد « هيلاس » من الدمار الشامل . وفضلا عن ذلك قد أفادت كل من « تراقيا » و « مقدونيا » من هذه الحرب اذ أمكنها أن تنسحب من أملاك الفرس وبذلك نالت حريتها .

حملة « مردونيوس » فى « تراقيا » :

بعد أن انتصر « دارا » على الاغريق فى « ايونيا » صمم على غزو كل من « تراقيا » و « مقدونيا » وعلى معاقبة كل من « أثينا » و « اريتريا » ظاهرا ، وقد كان مفتوحا أمام الفرس طريقان أقصرهما يقع عبر البحرالايجى الذى كان مملوءا بالجزر على طول الطريق الى « أثينا » ويبعد حوالى مايتى ميل عن شواطىء « اسيا الصغرى » ، وقد كانت بلا نزاع أسهل الطريقين ، ولاشك أن خطر نقل قوة ضخمة من الرجال والخيل والعتاد والمؤن كان عظيما جدا بوساطة أساطيل « هيلاس » التى لم تهزم . وكانت الطريق البرية من جهة أخرى معروفة من قبل . ومعلوم أن الفرس فى ذلك الوقت كما هم الآن لم يكن لهم كفاية فى الفنون البحرية ، وقد كانوا محقين فى اعتبارهم أن قوات الملك العظيم لا تهزم فى البر . وقد كانت أول خطوة فى هذه الخطة هى ارسال « مردونيوس » صاحب « تراقيا » وابن أخ « دارا » الى تلك البلاد ، فقد ثبت سلطان الفرس هناك وأجبر « الاسكندر » ملك « مقدونيا » على أن يجدد المواثيق التى كانت قد أخذت على والده « أمينتاس Amyntas » ؛ وقد عزم « مردونيوس » أن يسير بجيشه الى « هيلاس » ، غير أن عاصفة هوجاء سببت ضياع نصف أسطوله الذى كان يغذى جيشه بوساطته ، وبذلك لم يحدث أى تقدم . وقد سحبه « دارا » جريا على خطته فى عدم ابقاء أى

قائد دائم فى القيادة فى عام ٤٩٢ ق٠م ، وأسند قيادة العمليات الحربية التى حدثت بعد ذلك الى « دتيس Datis » و « أرتافرنس Artaphernes » والأخير هو ابن شطربة « ليديا » .

الحملة التأديبية على « أثينا » و « اريتريا » ٤٩٠ ق . م . :

بعد أن فشلت حملة «مردونيوس» فى تأديب كل من «أثينا» و «اريتريا» قرر الفرس ارسال حملة ثانية ، وقد كان الغرض منها وضع « أثينا » فى قبضة الحاكم المستبد « هبياس » الذى كان مستعدا للقضاء على قواد الحزب المعادى لملك الفرس فيها وينتقم للملك العظيم من « اريتريا » . ولقد كان تحطيم الأسطول الفارسى على مسافة من رأس « مونت آتتوس » سببا فى جعل الفرس يتفادون هذه الطريق ، يضاف الى ذلك أن « أجينا » ومدنا أخرى خضعت ، ومن ثم لم يكن هناك مفر من اتباع الجيش الفارسى العظيم طريق البحر المباشرة . وقد انتخب سهل « أليان Aleian » فى «سيليسيا» لتجمع القوة الفارسية التى بعد نزولها من حاملات الجنود عمدت الى « ايونيا » ، على أن تكون جزيرة « ساموس » مكان التجمع . فعبر أسطول الفرس المؤلف من ستمائة سفينة بحر «ايكاريان Icarian » الى «ناكسوس» التى حول سكانها الى عبيد ، وبعد هذا النصر الابتدائى سارت الحملة الى « ديلوس » التى تركت بسبب وجود محراب مقدس فيها ثم الى ساحل « ايوبوا Euboea » بدلا من الذهاب مباشرة الى «أتيكا» كما تمليه التدابير الحربية السليمة . وعندما وصل الأسطول اليابسة تحرك الى الخليج الذى يفصل «ايوبوا» عن «أتيكا» ، ثم نزلت قوة الى الأرض وحاصرت «اريتريا» وحرقتها وقد فر الكثير من اهلها الى الجبال ، أما من أسروا فأرسلوا الى

« عيلام » ، والظاهر أن « أثينا » لم تمد يد المساعدة لتلك المدينة التى شربت كأس غضب الفرس حتى الثمالة .

موقعة « ماراتون » ٤٩٠ ق.م. :

ويلحظ أن قواد الحملة بدلا من جعل « أثينا » غرضهم الأول فانهم ضيعوا وقتا ثمينا فى تحويل كل قوتهم الى عملية ثانوية كان من جرائها أن أهاجت عدوهم الرئيسى وجعلوه يتحد عليهم . وذلك أن « هبياس » الذى كان فى هذه الآونة قد انضم الى جيش الفرس الجرار نصح الغزاة ان يسيروا حول جون « ماراتون » الذى يقع على مسافة تقرب من ٢٤ ميلا من الشمال الشرقى من « أثينا » ، وقد كان الاقتراح سليما وذلك لأنها كانت مرسى حسنة للاسطول كما كانت على مقربة من « الأكروپول » حيث كان يأمل « هبياس » أن يكون لأتباعه اليد العليا . وهذا الموقع كان فضلا عن ذلك يمتاز بأن أرضه كانت غير صالحة للخيالة ، غير انه فى هذه اللحظة الحرجة لم تقم أية ثورة فى صالح « هبياس » . وقد كان من جراء ذلك أن قوة قوامها ما بين تسعة وعشرة آلاف رجل كان يعززها قبل الموقعة فرقة من جنود « بلاتا » أصبح فى مقدورها أن تتجمع فى صعيد واحد دون مقاومة .

وقد سار الجيش الأثينى لمقابلة الغزاة وانتصر عليهم انتصارا رائعا كما تحدثنا عن ذلك فى غير هذا المكان . (راجع مصر القديمة الجزء ١٢ ص ٥٦١ — ٥٦٣) .

ومن المحتمل أنه ليس لموقعة حربية فى تاريخ العالم الأهمية الخلقية كموقعة « ماراتون » حتى ولو كانت هناك مبالغات فى الروايات التى وصلت الينا عنها ، وذلك أنه حتى هذه اللحظة كانت قوة الفرس تعتبر أنها لا تقهر وقد كان الجنود الاغريق دائما فى آخر الأمر تلحق بهم الهزيمة .

الثورة فى « مصر » ٤٨٦ ق.م. :

ومن المحتمل أنه كان أول نتائج هزيمة «ماراتون» قيام ثورة فى «مصر» كما فصلنا القول فى ذلك فى غير هذا المكان .

موت « دارا » ٤٨٥ ق.م. :

وقد كان « دارا » الذى عاش عظيما حتى النهاية يجهز للقيـام بضربة قاصمة تقضى على « هيلاس » وفى الوقت نفسه يخمد نار الثورة فى «مصر». واذا كان قد امتد به الأجل مدة خمس سنوات أكثر لكان وبالا على الاغريق؛ ولكن المنية عاجلت هذا الملك العظيم فى السنة السادسة والثلاثين من حكمه. ولقد كان من حسن حظ « فارس » أن انعم الله عليها بملكين عظيمـين فى جيلين متتاليين فقد كان «كورش» العظيم هو الفاتح والمؤسس للامبراطورية الفارسية ، وقد استحق « دارا » كذلك لقب « العظيم » وذلك أنه فضلا عن انه كان منتصرا على كل أعدائه فانه أظهر عبقرية عظيمة فى تنظيم امبراطوريته؛ وقد كانت أخلاقه الشخصية سامية ، فقد كان ذكيا الى حد بعيد كما كان عاقلا . ولا أدل على ذلك من أن ألد أعدائه الاغريق قد كتبوا عنه بكل احترام. فى حين أن اشراف الفرس الذين حد من طغيانهم وأوقفهم عند حدهم لقبوه «بائع الخردة » . غير أن هذا النعت كان مديحا عظيما له . والواقع أنه لولا عبقريته فى التنظيم مضافا الى ذلك قدرته البارزة فى الحرب لما عاشت الامبراطورية الفارسية تلك المدة الطويلة من جيل الى جيل حتى هزم « الأسكندر الأكبر » « دارا » المخبول الذى كان وقتئذ يحتل عرش أجداده العظماء . ولا نزاع فى أن عدد الملوك العظماء الذين حكموا الفرس لم يكن قليلا، غير أننا لو حكمنا على حسب مقتضيات الأحوال التى وجد فيها « دارا » فانه يعد من بين أعظم ملوكها قدرا ومكانة .

صد الفرس على يد « هيلاس »

تولى « اكزركزس » عرش « فارس » ٤٨٥ ق.م.

تزوج الملك « دارا » كما هى العادة الفارسية من عدة نساء ، ومن بين هؤلاء ابنة « جاوباروفا أو جوبرياس Gaubaruva or Gobryas » وهو أحد المتآمرين على قتل « جوماتا » الدجال الماجوسى . وقد رزق منها ثلاثة أطفال أكبرهم يدعى « أرتابازانس Artabazanes » . وكان دائمـــا ينظر اليه بأنه هو وريث العرش ، غير أن « أتوسا Atossa » زوجه وابنة الملك « كورش » كانت لها المنزلة العليا والنفوذ الأعظم عليه وهو فى شيخوخته لدرجة أنها قبل وفاته بفترة وجيزة جعلته يوصى لابنها « خاشا يارشا » وهو المعروف عند اليونان باسم « اكزركزس » بعرش البـــلاد بعد موته ، وفعلا تولى الملك بعد أبيه دون معارضة وكان هذا الملك الجديد الذى يعرف فى سفر « استر » فى التوراة باسم « احشويروش Ahasueros » ، مشهورا بجماله البارع وحسن قوامه ، غير أنه كان كسولا ضعيفا يخضع بسهولة لمستشاريه . ولما كان لا يكترث باخفاق حملة « هيلاس » وعدها فى نظره أمرا قليل الأهمية ، الفخار والنصر فى ميدان القتال ، وهذه النقائص فى أخلاقه جعلت بلاد اليونان مدينة له بخلاصها ونجاتها من يد الفرس . وقد لوحظ أنه منذ بداية حكمه كان لا يكترث باخفاق حملة « هيلاس » وعدها فى نظره أمرا قليل الأهمية ، غير أن « مردونيوس » قد صمم على انقاذ شرف الفرس وسلطانهامن هذا الحادث وقد دافع عن ذلك بشدة حتى نال فى النهاية ما يرمى اليه وهو الانتقام لبلاده واعادة نفوذها .

وعلى ذلك بدأ الشروع فى الاستعداد للغزوة العظمى لبلاد اليونان .

الثورة فى « مصر » ٤٨٤ ق. م. :

ولكن « اكزركزس » أمر أولا بالزحف على « مصر » لقمع الثورة التى شبت فيها على يد « خباباشا » (؟) فهزمه فى نهاية الأمر كما أسهبنا القول فى غير هذا المكان .

الثورة فى « بابل » ٤٨٣ ق. م. :

على أن « مصر » لم تكن السبب الوحيد فى خوف « اكزركزس » اذ كانت قد قامت فى « بابل » ثورة قصيرة الأمد ، وذلك أن مدع لا يعرف أصله يسمى « شاما شريب Shamasherib » قد توج فى هذه البلدة ملكا ؛ وعلى ذلك حاصرها الملك « اكزركزس » مدة بضعة أشهر لم تلبث بعدها أن سقطت وخربت كما نهبت معابدها وحمل أهلها أسرى . ولم يظهر الملك « اكزركزس » أى خوف من الاله « بل — مردوك » الذى نهبت كنوزه وحمل تمثاله المذهب غنيمة ، ولم تسترد « بابل » بعد هذه الهزيمة قط مجدها ؛ وذلك أنه منذ زمن هذا الخذلان نجد أنه قضى شيئا فشيئا على دياناتها ، ونفوذها وفخارها ، غير أن رسالة هذه البلدة العظيمة للمدنية كانت قد تمت ، فعندما نعدد ما تدين به مدنيتنا الحديثة الى « بابل » نجد أننا مدينين لها بأشياء مدهشة .

تأليف الحملة العظيمة على بلاد اليونان :

كان « اكزركزس » يستعد لغزو بلاد اليونان كرة أخرى ، وفى عام ٤٨١ ق. م. تمت الاستعدادات لأكبر حملة عرفت فى الأزمان القديمة . وفى

خريف هذه السنة تجمعت الفرق المختلفة فى مديرية « كابادوشيا » ثم سارت الى « ليديا » حيث أمضى « اكزركزس » فصل الشتاء . وقد كانت الجيوش التى تجمعت تحت امرته من كل انحاء الامبراطورية الفارسية المترامية الأطراف ضخمة جبارة مما جعلها فيما بعد ضربا من الخرافة المبالغ فيها . والواقع أن أحسن بيان وصل الينا عن العناصر المختلفة التى كان يتألف منها جيشه هو ما جاء على لسان « هردوت » . وهذا البيان لا ينحصر فى كونه واضحا جليا وحسب ، بل ذا قيمة للباحث فى علم الأجناس ، وكذلك للمؤرخ . وقد جاء فى أول القائمة الفرس والميديون وكانوا مسلحين بالحربة والقوس والسيف ، ثم الكيسيون Kissians والهركانيون Hyrcanians وكانوا مسلحين على نمط الفرس ، ثم يأتى بعد هؤلاء الآشوريون بقبعاتهم البرنزية ، والبكتريان والأريان Arians والبرثيان Parthians ثم القبائل المجاورة المسلحة بالمزاريق والحراب ، ثم الساكا Sakae وقد اشتهروا بقبعاتهم المدببة وبلط الحرب ، ثم الهنود ببذلهم المصنوعة من القطن ، والأثيوبيون الأفريقيون بأجسامهم الملونة مسلحين بأقواس طويلة وسهام أطرافها مصنوعة من الحجر ، و « أثيوبيو » اسيا — ويحتمل أنهم السكان الأصليون لجنوب بلاد الفرس ، و « ماكران » بقبعاتهم الخارقة حد المألوف المصنوعة من رءوس الخيل ، وغير هؤلاء حتى نصل الى الجزائريين القاطنين فى الخليج الفارسى . وقد كان على رأس كل جنس من هذه الجيوش فارسى . وكان الجيش كله مقسما فيالق وفرق ووحدات (مائة جندى) وأقسام . وكانت القيادة العليا للمشاة فى يد القائد « مردونيوس » ولكن « الخالدين » كانت لهم قيادة منفصلة . وكانت فرقة الفرسان التى تشمل القبائل التى تحارب بالعربات يتألف معظمها من الفرس والميديين ، وتشمل

نحو ثمانية آلاف « ساجا ريتانى Sagartians » من شمالى بلاد الفرس مسلحين بالحبائل ، وكان هناك كذلك كيسيون وهنود وهؤلاء الأخيرون كانوا يحاربون فى عربات تجرها حمير ، غير أن فائدتهم الحربية لم تكن ذات بال . وكذلك البكتريون والكسبيون والليبيون كانوا يحاربون فى عربات . هذا فضلا عن قوة من العرب كانت تحارب على ظهور الجمال . أما الأسطول الذى كان يتألف من ألف ومائتى سفينة حربية وتحمل كل سفينة منها مائتى مقاتل فقد اشترك فى توريده الفينيقيون والمصريون والرعايا الاغريق الذين كانوا موالين للفرس ، وكانت كل سفينة تحمل بعض الفرس أو الساكا Sakae الذين كانوا يعملون بحارة ومساعدين لقواد الفرس ، هذا فضلا عن ثلاث آلاف سفينة حمل كانت تتبع الأسطول .

وقد قدم لنا هردوت تأليف الجيش الفارسى العظيم كما يأتى :

١٫٧٠٠٫٠٠٠ من المشاة ؛ ١٠٠٫٠٠٠ من الفرسان ؛ ٥١٠٫٠٠٠ من البحارة والنواتى .

واذا أضفنا الى ذلك النجدات من أوربا والخدم فان عدد الجيش وأتباعه يصل الى أكثر من خمسة ملايين وهذا العدد لا يمكن قبوله بحال من الأحوال ، ولكن بالنسبة لاعتماد الفرس فى حروبهم على كثرة العدد وعلى حجم الامبراطورية فقد يحق لنا أن نفرض أن القوتين البحرية والبرية معا بما فى ذلك أتباع الجيش كانتا تقدران بمليون واحد . فاذا طرحنا من ذلك العدد النواتى فان هذا المجموع لا يبلغ أكثر من مائتى الف مقاتل وذلك أن اتباع

المعسكرات فى مثل هذه الحرب كانوا كثيرين فى الجيوش الشرقية ، واذا طرحنا من هذا العدد الفضائل التى كانت تعسكر على خطوط المواصـــلات وكذلك المرضى وغيرهم فان الأعداد الحقيقية من الجنود الذين تلاقوا مع الاغريق بحرا وأخيرا برا لم تكن جبارة كما قدرت ، ولكن من الواضح أنه لم تحدث غزوة قط قبل الآن على مثل هذا النطاق . على أن عظم ضخامتها تعد أكبر اطراء وتمجيد للشجاعة الهيلانية . ومع ذلك فان نفس ضعف هذه الحملة الفارسية كان يكمن فى كثرة عددها ، وذلك لأن مثل هذا الجيش كان لا يمكن استعماله لحركات حربية طويلة لما كان يلاقيه دائما من صعاب فى أمر تموينه ، هذا فضلا عن أنه كان لا يمكن فصله عن الأسطول أكثر من أيام قلائـــل .

موقف اليونان العسكرى فى هذه الحرب :

لقد كانت « أثينا » هى الهدف الرئيسى فى هذه الحرب ، كما كانت فى الحروب السابقة ، وعلى ذلك كان معظم عبء الحرب يقع على عاتقها ، ومن جهة أخرى فان الفرس اذا لم يكونوا فى خطر من البحر فانه كان يمكنهم أن يحولوا خط الدفاع الواقع عند برزخ « كورنثا » أو اى خط دفاع آخـــر بكل سهولة ، وعلى ذلك وجدت « أسبرتا » أن مصيرها فى آخر الأمر كان مرتبطا بمصير « أثينا » ، وذلك على الرغم من أن هذا الموقف الحرج لم يفطن اليه الأسبرتيون البلداء وحلفاؤهم الذين وكل اليهم أمر الدفاع عن البرزخ . ويرجع الفضل الى مجهودات « تيمستوكليس » التى بذلها فى السنين العشر الأخيرة فى انماء قوة « اثينا » البحرية الى درجة عظيمة ولم يكن ذلك ببناء سفن حربية ذات ثلاثة صفوف من المجدفين وحسب بل كذلك بانشاء ميناء « بيريوس » لتكون قاعدة حربية محصنة . وعلى ذلك كان فى مقدورهم عندما

أتت الحملة الفارسية أن ينقلوا السكان الى الجزر المجاورة وكان فى مقدورهم كآخر منفذ لو اقتضى الأمر أن ينقلوا السكان ويؤسسوا « أتيكا » جديدة فى « ايطاليا » كما هدد فى الواقع « تيمستوكليس » مرة بالقيام بذلك . وقد عمل مسعى لانكار كل الأحقاد الداخلية فى البلاد وتكوين حلف عظيم من كل العالم الهيلانى لمقاومة الغزاة . وقد كانت أول محاولة للوصول الى ذلك مع جزيرة «أرجوس» ، غير أن المفاوضات أخفقت ، وذلك لأن أهالى «أرجوس» قد طلبوا أن توضع بلدهم على قدم المساواة مع « أسبرتا » من حيث القيادة. وعلى أية حال لم تعلن « أرجوس » صراحة انحيازها لبلاد الفرس . وذلك على الرغم من أن مسلكها كان يدعو للخوف . وكذلك عملت مفاوضات مع « جلون » حاكم « سيروكوزا » . ويقول « هردوت » انه بدوره طلب الى المبعوثين اما أن يقود هو القوات البحرية أو القوات البرية لبلاد « هيلاس ». اذا أريد اشتراكه فى هذه الحرب . وعلى الرغم مما كان لديه من العدد الكبير من الجنود والسفن الحربية فان المبعوثين قد رفضوا النظر فى اقتراحه . وأخيرا نجد ان كلا من « كريت » و « كوربيرا (كورفو ») لم تقدم أية مساعدة لخلاص البلاد اليونانية .

زحف جيش الفرس العظيم :

(انظر وصف سير هذا الجيش فى الجزء ١٢ مصر القديمة ص ٥٦٣—٥٧٠)

لقد وصف لنا « هردوت » زحف جيش « اكزركزس » من مدينة « سرديس » ويدل الوصف على أن منظر هذا الزحف كان مدهشا ، فقد كانت توجد فى صفوف الجيش فرق من خيرة الجنود لتحفظ كيانه على مسافات ، فى حين أن بقية الجيش كان مؤلفا من العامة الذين كانوا يسيرون فى غير نظام ، ومع ذلك فان مجرد فكرة أن مثل هذه القوة الهائلة أمكنها أن تزحف بنجاح وتمون لبرهان على أن الدولة

الفارسية كانت على شيء كبير من النظام . ولا نزاع فى أن قوتها كذلك فى نواح أخرى كانت عظيمة . ولا أدل على ذلك من أنه لم يقم جسرين متينين عبر الدردنيل وحسب ، بل كذلك أقيم على « ستريمون Strymon » جسر آخر كما حفرت قناة فى رأس « آثوس Athos » وهذا دليل على المعرفة العظيمـــة بعلوم الهندسة وبخاصـــة عندما نعلم انه أقيم بعيـــدا عن قلب الامبراطورية ، وفضلا عن ذلك فقد أسست مخازن للتموين فى محاط مختلفة فى طريق الجيش وكانت نقطة الضعف الوحيدة فى تموين هـــذا الجيش هى توريد الماء العذب من وقت لآخر لمثل هذا العدد الضخم من الجنود . ولقد كان عبر الدردنيل (هلسبونت) من الأعمال الجبارة التى قام بها الفرس ، فقد عبر الجيش الى الشاطىء الأوربى على جسرين صنعا صنعا متينا على مرأى من الملك « اكزركزس » اذ كان يجلس على عـــرش من الرخام اقيـــم على تل بالقـــرب من « أبيدوس » ، وعنـــد مطلع الشمس صب العاهـــل « اكزركزس » قربانا فى البحر من كأس صنع من الذهب وصلى لربه راجيـــا أن يكون فى قدرته فتح أوربا . وقد القى فى البحر كأس الذهب وكذلك طاسة من الذهب وسيفا فارسيا ، وكان الجنود « الخالدون » يلبسون أكاليل على رءوسهم عند ما كانوا يقودون الطريق عبر الجسر الذى كان منثورا عليـــه أغصان الريحان . وفعلا عبر هذا الجيش الجرار الى الشاطىء الاوربى فرقة فرقة تحت تهديد السوط الذى كان دائما مرفوعا فوق الرءوس ، وبعد ذلك أحصى عـــدد الجيش فى ســـهل « دوريسكوس Doriscus » ومن ثم زحف الجيش الى « أكانتوس Acanthus » حيث انقسم مؤقتا ثلاثة اقســـام ليتجمع ثانية عند « ترما Therma » . أما الاغريق فانهم تلبية لاســـتغاثة جاءت من « تسالى Thessaly » للمساعدة على الدفاع عن اقتحام ممر « مولت

أوليمبوس ». فانهم أرسلوا أولاقوة تتألف من عشرة الاف الى «تمبه Tempe»
ولكن على حسب ما جاء فى « هردوت » وجدوا ان الموقع يمكن ان يحاط
به ، وعلى ذلك تقهقـروا تاركين التسـاليين يعملون شروط صـلحهم مع
« اكزركزس » . وقد سلموا فى الحال . وعلى ذلك زحف الجيش الفارسى
دون مقاومة فى « مقدونيا » و « تسالى » ، وقبل أن تقع الواقعـة الاولى
خضعت معظم حكومات الاغريق الواقعة فى شمالى ووسط « هيلاس » الا
« تسبيا Thespiae » و « بلاتا Plataea » .

الدفاع عن ترموبيلا Thermopylae » ٤٨٠ ق. م. :

كان الأسبرتيون موكلا اليهم أمر الدفاع عن خليج « كورنثا » وقد رغبوا
فى أن يترك الأثينيون «أتيكا» للعدو ويتقهقروا الى الجنوب . وقد رفض
الأثينيون هذا العرض الذى ينطوى على دفاع سلبى بحق ؛ وأخيرا بعـد
التقهقر من « تمبه » كان هناك اتفاق أخرق نتج عنه ارسال قوة قوامها سبعة
آلاف مقـاتل تحت امرة « ليونيداس Leonidas » ليـدافعوا عن ممر
« ترموبيلا » الضيق بفكرة تقويته بعد العيد الذى كان لا مفر من اقامته فى
نظر « أسبرتا » . وهذا المكان كان هو الموقع القوى لـ « هيلاس » ، ويقع
بين الصخور والبحر وقد كان محروسا فى الجناح الأيمن بالأسطول الاغريقى
الذى كان يتألف من حوالى ثلاثمائة سـفينة راسية على مسـافة من رأس
« أرتيميزيوم Artemisium » فى « ايوبوا » . على أنه لو كان الاغريق
جمعوا كل قواهم هنا لكان من المحتمـل كسب قوة « اكزركزس » بقـوة
السلاح كما حدث لـ «برنوس Bronnus »وجنوده الغالبين فى عام ٢٧٩ ق.م.
والواقع أنه فى هذه المرة قد جربت سياسة الدخول فى أمر غير مؤكد فكان
مصيره الفشل ، وذلك أن فيلقا هاما هزم هزيمة منكرة دون أن يعيق تقدم

العدو تقدما محسنا ، ولا نزاع فى أنه من جهة أخرى كان التأثير المعنوى على الجيش الفارسى بالنسبة للشجاعة التى أبداها الجنود الاغريق عظيما جدا ، ولم ينقص الخطأ الذى ظهر فى الخطط الحربية الاغريقية شيئا ما من الشهرة الخالدة التى نالها « ليونيديس » وصحبه الشجعان فى ميدان القتال بل زاد فيها . وعندما سمع « اكزركزس » أن الممر كان يقـاوم وهو متقدم الى الأمام بجمـوعه نحو « ترما » وقف وأرسـل جماعـة للاسـتطلاع . ويلحظ أنه فى أيامنا هذه قد امتد خط الساحل كثيرا فى البحر ولكن فى عام ٤٨٠ ق.م لم يكن هناك غير شريط من الأرض عرضه مائة قدم عند قاعدة الصخور ، وكان الاغريق يعسكرون بين أضيق نقطتين هناك . وقد قصت جماعة الكشافة على الملك أن الاعداء كانوا يلهون فى طمأنينة فى الألعاب الرياضية وتسريح شـعورهم الطويلة كأنهم يسـتعدون لعيد . ولكن « اكزركزس » الذى انتظر مدة أربعـة أيام على ما يظهـر بأمل أن يقتحم أسطوله ممر « ايوريبوس Euripus » أمر فى النهاية الميديين والكيسيين ثم الخالدين بالهجوم ، ولكن حرابهم الـكثيرة ودروعهم غير الملائمة على الرغم من شجاعتهم لم تحدث أى تأثير على الاغريق المدججين بالدروع الثقيلة ، فقد انقضوا عليهم وذبحوهم بالمئات . وفى اليوم التالى استؤنف القتال وكانت النتيجة واحدة مما جعل « اكزركزس » فى يأس . وقد نجى الفرس موقفهم فى طريق عبر الجبال أن أرشد اليه خائن هيلانى ، فأرسـل الخالدون عليـه ، غير أن جنود الفيلق الاغريقى الـذى كان قد وضـع لحراسـته خانوا ما ائتمنوا عليه فلم يبـدوا أية مقاومـة وارتـدوا على أعقابهم . وقد عرف أمر هذه الخيانة فارتد كل الفيلق الاسبرتى الذى كان يبلغ عدده ثلاثمائة مقاتل وكذلك التسبيين Thespians ثم الطيبيين الذين حجزوا بالقوة ، وبعد ذلك لم تنتظر فرقة هؤلاء الشجعان حتى يحاصروا بل

تقدموا مهاجمين الفرس وحاربوا حرب اليائسين أمام عدو يفوقهم بدرجة عظيمة فى العدد بشجاعة منقطعة النظير حتى ماتوا عن آخرهم ميتة أكسبتهم شهرة خالدة على مر الدهور .

موقعة أرتميزيوم البحرية : وفى تلك الأثناء كانت الأمور تسير سراعا فى الحرب البحرية ، وذلك أن الأسطول الفارسى قد انتظر عند « ترما » لمدة اثنى عشر يوما بعد زحف الجيش ، وذلك لعدم وجود ميناء بحرية بين هذه الميناء والخليج الباجاسى Pagasaian ، ولكنه بعد ذلك تقدم تسبقه سبع سفن سريعة فهاجمت السفن الاغريقية التى كانت مشغولة فى أعمال كشفية بعيدا عن مصب نهر « بنيوس Peneius » وقد قضى على اثنتين منها . وقد وصلت قطع أساطيل الغزاة سالمة الى ساحل « ماجنيزيا Magnesia» غير أنه لعظم الأسطول الفارسى كان عليه أن يرسو فى ثمانية صفوف موازية للساحل ، وبينما كان الأسطول راسيا فى هذا الوضع الخطر قامت عاصفة هوجاء وقضت على اربعمائة سفينة منه ، وبعد سكون العاصفة تحرك الأسطول الفارسى المزق عبر « أفيتا Aphetae » الواقعة على اليابسة قبالة « أرتميزيوم » . وقد فصل الفرس الذين لم تكن تنقصهم المبادرة والذين لم يحلموا بالهزيمة مايتى سفينة من أسطولهم ليبلغوا حول « أيوبوا » بقصد السياحة الى المضايق التى تفصل الجزيرة من اليابسة مؤملين بذلك الاستيلاء على كل الأسطول الاغريقى . ولما نقل خبر هذه الحركة للاغريق الذين كانوا تحت امرة القائد البحرى « يوريبيادس Eurybiades» هاجم الأسطول الفارسى الرئيسى واستولى على ثلاثين سفينة منه ، وعلى أى حال لم تكن الموقعة فاصلة . وفى الليلة التالية كانت العناصر الطبيعية فى جانب الاغريق فقضت على الأسطول الفارسى الذى كان قد أرسل حول «ايوبوا» . وهذا الخبر السار أتى به

نجدة كبيرة مؤلفة من ثلاثمائة وخمسين سفينة أثينية يحتمل أنها كانت تحرس مضيق « كالسيس Chalcis » . وفى الجزء النهائى من المعركة حارب الجنود الفرس الذين كانوا على ما يظهر يتلقون الأوامر باستمرار من « اكزركزس » بأن يخترقوا صفوف الأسطول الأغريقى ويتصلوا من جديد بالجيش البرى ، على طول الخط ، وقد نشبت معركة يائسة كانت فى غير صالح الاغريق ، فقد هشمت الكثير من سفنهم ، وذلك فى الوقت الذى وصلت فيه الأخبار باقتحام ممر « ترموبيلا Thermopylae » وهذه الكارثة غيرت الموقف ، وفى خلال الليل أمر الاغريق بالتقهقر . على أنه لو تابع الأسطول الفارسى الأسطول الاغريقى لتمكن من الاستيلاء على كثير من سفنه المهشمة ، ولكن الفرس كانوا يجهلون أمر انسحاب الاغريق ، ولو أنه كان لزاما عليهم أن يتوقعوا هذا التقهقر ، وعلى ذلك سار الأسطول الاغريقى آمنا على ساحل « أيوبوا » بحراسة الأثينيين .

زحف الجيش على « أثينا » والاستيلاء عليها : لقد سارت الحملة حتى الآن فى صالح الفرس فقد اقتحم جيشهم أوعر ممر ، يضاف الى ذلك أن الأسطول الاغريقى بعد موقعتين أمر بالتقهقر وأصبح وسط « هيلاس » معرضا للخطر أمام الغزاة ، هذا وقد سار « اكزركزس » بجيشه على « فوسيس Phocis » فخربها وبعد ذلك تحول الجيش الفارسى نحو «أتيكا» وكان الأثينيون الذين كانوا يأملون أن ينتصروا عند « ترموبيلا » لم يغادروا « أثينا » ولكنهم قاموا الآن بمغادرتها بكل سرعة فأرسل النساء والأطفال الى « ترويزن Troizen » و « أجينا Aegina » و « سلامس Salamis » . ومن جهة أخرى نجد أن بعض الأفراد قد اعتمدوا على وحى « دلفى » مبهم يقول أن « أثينا » يجب عليها أن تثق فى جدرانها الخشبية فاعتصموا فى

« الأكروبول Acropolis » ، ولكنهم بعد مقاومة يائسة تغلب الفرس عليهم وقتلوهم . وفى النهاية أصبحت « أثينا » فى يد الغزاة فأحرق الفرس محاريبها انتقاما لتخريب « سرديس » . ولما تم النصر للملك العظيم بتخريب « أتيكا » والاستيلاء على « أثينا » ظن أن الحملة لا تلبث أن تتوج بالنجاح ، غير أنه كان يرتكز على مقدمات خاطئة .

موقعة « سلامس » ٤٨٠ ق.م. : كان على الأسطول الاغريقى على حسب التصويرات المستعجلة التى أبداها « تيميستوكليس » الذى كان مشهورا بقوة اقناعه للأسبرتيين بالحجة الدامغة التى تروق فى أعينهم ، بعد أن غادر « أرتيميزيوم » أن يشق طريقه الى « سلامس » وذلك بحجة أن يسهل للأثينيين نجاة أسرهم . وقد تسلم الأسطول عند هذه الجزيرة آخر مدده مما جعل قوته العددية التى كان يتوقف عليها خلاص « هيلاس » تبلغ حوالى أربعمائة سفينة ، وكان عدد سفن العدو أعلى من ذلك بكثير .

وقد كان من جراء الاستيلاء على « أثينا » وزحف الجيش الفارسى على « فاليرون Phaleron » أن تسبب اضطراب عظيم لدرجة أن الفيلق « البلوبونيزى » صمم بسرعة على تقهقر الأسطول الى خليج « كورنثا » دون أن يعير أى التفاتة مصير الأثينيين الذين كانت تتعرض أسرهم بذلك الى الأسر . وقد كانت حجتهم فى ذلك أنهم لو هزموا فى « سلامس » فانهم لن يفلتوا من أيدى الفرس ، فى حين أنهم عند البرزخ يكونون محميين بقوة جيش « هيلاس » المجتمع هناك . ولقد كان هذا الشعور عاما لدرجة أن «تيميستوكليس» كان فى يأس من أمره، ولكنه فى المجلس الحزبى الذى عقد تحت رياسة « ايوريبيادس » ، تغلب بشخصيته ونال الموافقة على رأيه

قسرا ، وذلك أنه بين الأمل الوحيد فى نجاة « هيلاس » أن تحارب فى المياه الضيقة وأن الحرب عند خليج « كورنثا » يجعل للكثرة العددية للاسطول الفارسى الغلبة بدون شك . وقد حاول أمير البحر الكورنثى أن يحدث شجارا بينه وبين « تيميستوكليس » بقوله : بما أن الأثينيين قد فقدوا بلادهم فانهم ليسوا فى حل من أن يعطوا رأيا فى الموقف . ولكن هذا الهجوم قد اجتنب بمهارة ، وذلك بتهديد شديد ، وهو أن الاثينيين لو أقلعوا بأسطولهم لتأسيس « أتيكا » جديدة فى « ايطاليا » فان معونتهم ستفتقد فى هذه اللحظة الحرجة التى يقرر فيها مصير « هيلاس » . وبينا نرى الأمور تجرى من جهة على هذه الحال مضافا الى ذلك تنصل فيلق أو فيلقين من جنود الاغريق نرى من جهة أخرى أن « تميستوكليس » قد نال نجاحا بضربة صائبة وخلص « هيلاس » وذلك بالقيام بعمل يدل على عدم الولاء لرفاقه ، وهو أنه أرسل رسالة الى « اكزركزس » يخبره فيها أن الاغريق يفكرون فى التقهقر ، وأن فرصته فى تدميرهم قد أصبحت فى النهاية سانحة . ولما كان « اكزركزس » متعودا على الخيانة الاغريقية فانه قرر أن يصدق هذا الخبر وأرسل أسطوله المصرى المؤلف من مائتى سفينة لسد الممر الغربى بين « سلامس » و « مجارا Magara » . وبعد ذلك تقدم أسطوله الرئيسى من « فاليرون » واتخذ مكانا للموقعة الكبرى فى ثلاثة صفوف على كل جانب من جوانب جزيرة « بسيتاليا Psyttaleia » التى كانت تحتلها قوة الفرس . وقد ظن « اكزركزس » أن النصر اصبح مؤكدا ، وعلى ذلك كان اتجاهه الرئيسى أن يمنع الاغريق من الهرب . وقد وصلت اليه معلومات عن تحركات الأسطول الاغريقى يفهم منها صراحة أن « هيلاس » لن تنجو الا بالانتصار . وقد وصلت هذه المعلومات للمجلس بوساطة « أريستيدس

(Aristides) » الذى كان قد عاد حديثا من منفاه ، ومن ثم تأكد الاغريق تماما من أن حياتهم وحياة أسرهم كانت فى خطر داهم . ولقد كان لديهم ميزة التضامن ، هذا فضلا عن أن المعركة كانت ستقع فى مياه ضيقة من صالحهم . أما الأسطول الفارسى من جهة أخرى فكان يتألف من فيالق متنوعة ، وعلى الرغم من أنه كان يشغل فى بداية المعركة مساحة واسعة من البحر ، الا انه التحم مع العدو فى مساحة من الماء كانت صغيرة جدا بالنسبة للاسطول الفارسى العديد . وكان لا بد أن يتقدم الاسطول للمعركة فى صفوف ، وذلك لمقابلة جيش الاغريق الذى كان قد صف فى خط . ومع ذلك لم تنقص رعايا الملك العظيم الشجاعة وبخاصة عندما عرفوا انهم يقاتلون تحت نظر سيدهم الذى لا يرحم .

بدأت المعركة البحرية فى صالح الفرس وعندما انبلج الصباح ارتاع الاغريق من كثرة عدد سفن الفرس ولذلك جعلوا سفنهم تمس الشاطىء تقريبا ولكن على حين غفلة حولتهم شجاعة اليائس الى أبطال من الطراز الأول وانقضوا على العدو ، وقد قابل الصف الذى كان يتحرك بين «بسيتاليا Psyttaleie » واليابسة الأثينيون والاجنتان ، اما الاغريق الأيونيون الذين كانوا يتقدمون مابين «پسيتاليا» و «سلامس» فقد وقفت فى وجههم أساطيل « بلوبونيز » . وقد حمى وطيس الحرب بين الفريقين لدرجة اليأس،والواقع أن كثرة عدد سفن الأسطول الفارسى كان عائقا لا مساعدا فى هذا المرسى الضيق . وعلى الرغم من ان الفرس قد كسبوا أرضا من جهة جناحهم الأيسر فان جناحهم الأيمن قد هزم فى النهاية ، وذلك بفضل بطولة ومهارة الأثينيين والأجينتان Aeginetans » . وقد أجمع الكل على أن الفضل يرجع اليهم فى التغلب على العدو . وفى نهاية الأمر سلم الفرس على طول الخط وتقهقروا الى

« فاليرون » بعد أن خسروا مائتى سفينة هذا عدا السفن التى أسرت مع بحارتها . وقد خسر الاغريق فى هذه المعركة خمسين سفينة ، هذا ولم يقتف الاغريق أثر الأسطول الفارسى المهزوم . وقد أمضى الاغريق الذين لم يقدروا نصرهم حق قدره ليلتهم على ساحل « سلامس » مستعدين لتجديد القتال فى الصباح ولكن عند انبثاق الفجر كان الأسطول الفارسى قد اختفى عن الأعين ومن ثم نجت « هيلاس » .

تقهقر « اكزركزس » : جمع الملك « اكزركزس » فى سرعة مجلسا حربيا عندما أخذت الموقعة فى الانتهاء ، وقد أقنعه « مردونيوس » بسرعة العودة الى « سرديس » ، غير مبال بانتهاك حرمة الشرف الفارسى وسمعته العالمية ، على أن يترك تحت قيادته ثلاثمائة الف مقاتل لينهى بهم اخضاع الاغريق . وقد انسحب هذا الملك المتخاذل دون مقاومة من « أتيكا » ، وذلك لأن الأسبرتيين قد انتهزوا فرصة كسوف للشمس حدث فى اليوم الثانى من أكتوبر عام ٤٨٠ ق.م واتخذوه عذرا لعدم امكانهم ترك مكانهم عند البرزخ.

وبعد أن وضع « اكزركزس » رجاله فى « تسالى » استأنف تقهقره الذى فقد فيه آلافا من الرجال على الطريق بسبب الجوع والمرض . ولما وجد أن جسر « الدردنيل » قد هدم بعاصفة ، فر سالما فى سفينة الى « آسيا » حيث قيل أن آلافا أخرى من جنوده المنهوكين قد ماتوا من الاعياء . وقد قفا الاغريق أثر الأسطول الفارسى المهزوم ولكن دون جدوى ، وعندما وصلوا الى « أندروس » (Andros) عقدوا مجلسا حربيا حضّ فيه «تيمستوكليس» الأعضاء على ان يقلعوا شمالا ويهدموا جسر « الدردنيل » . وعلى أية حال عارض « ايوريبياس » — كما كان المنتظر — بكل شدة ، ولكن عندما هزم مشروع هذا الأثينى الماكر أخذ فى الافادة من هزيمته هذه ، فأرسل خادما

الى الملك « اكزركزس » بالخبر . ومما يؤسف له أن أعمالا مثل هذه كانت تلطخ بالسواد شهرة الأثينى العظيم .

غزو « قرطاجنة » جزيرة صقلية ٤٨٠ق.م : وقد كان هناك دور آخر فى هذه الرواية يمثل فى « صـقلية » . وذلك انه من المحتمـل ان القرطاجنيين بتحريض من الفرس قد جهزوا قوة كبيرة لمهاجمة « هيلاس » فى « صقلية » وبعد أن خسروا فرسانهم وعرباتهم فى عاصفة وصلت الحملة الى « پانورموس Panormus » . ومن هذه الميناء زحف القائد « هاملكار » على ساحل البحر الى هدفه وهو « هيمرا » Himera) التى حاصرها، وقد أسرع فى الحال « جلون Gelon » ملك « سرقوسة » لنجدة « ترون » (Theron) صاحب « هيمرا » بقوة قوامها خمسون الفا من المشاة وخمسة آلاف من الفرسان وقد سبق الواقعة الحاسمة تخريب المعسكر البحـرى القرطاجنى ومـوت « هاملكار » وقد قام بهذه العملية فرسان « سرقوسـة » الذين سمح لهم بالدخول فى هذا المعسكر خطأ على زعم انهم حلفاء . وبعد ذلك هاجم «جلون» القرطاجنيين الذين كان قد استولى عليهم الذعر والهلع فلم يبدوا مقاومة تذكر ثم أبيدوا حتى آخر رجل ، وبذلك تعتبر موقعة « هيمرا » نصرا آخر حاسما لبلاد « هيلاس » .

حملة مردونيوس : نعـود الان الى ما قام به « مردونيوس » بعـد ترك « اكزركزس » له . والواقع أن حملة هذا القائد تعد النهاية للحروب الطويلة التى قامت بين جموع « آسيا » وبين قوة الاغريق المنظمة التى كانت تدافع بكل شجاعة عن وطنها . ونحن نعلم ان الملك « اكزركزس » قد اسلم زمام خيرة جنوده الذين كان يأمل «مردونيوس» القائد الفارسى الشجاع أن يضم

بهم « هيلاس » الى قائمة الشطربيات الطويلة التى تحت سلطان الملك العظيم. والواقع انه كان يعد مغادرة الملك تخلصا من جنوده غير المدربين . واهم من ذلك كان تخلصه من حضور الملك وحاشيته واتباعهم الذين لم يكن لهم اى فائدة فى ميدان القتال ، هذا فضلا عن انه كان لابد من اطعامهم قبل أن يتسلم الجنود المحاربون جراياتهم . يضاف الى ذلك أنه ليس هناك شىء أكثر صدقا فى الحرب من أن الكارثة تكاد تكون فى ركاب العمليات الحربية عندما يتدخل فى شئونها رجال البلاط . ولقد كان من حسن سياسة « مردونيوس » الذى كان صاحب تجارب عظيمة فى الشئون الاغريقية الان أن لا يكتفى باستشارة عدة هياكل الوحى ، بل فتح باب المفاوضات مع الأثينيين بوساطة الملك « الأسكندر » ملك « مقدونيا » وقد عرض عليهم أن يصبحوا حلفاء الملك العظيم . وعندما سمع أهل « أسبرتا » بذلك ارسلوا مبعوثا خاصا الى « أثينا » مرحبين بذلك ، وعلى الرغم من ان « أسبرتا » التى كانت فى الماضى لها اكبر قوة برية فانها لم تلعب الا دورا محزنا فى المعركة الكبرى فان المواثيق المقدسة التى قدمها المبعوثون قد تسلمها الأثينيون الذين عضدتهم التجارب ، غير انهم رفضوا هذا العرض الفارسى المغرى قائلين : « ما دامت الشمس تجرى فى فلكها فى السماء فانا لن نعمل شروطا « لاكزركزس » . ولما تحقق « مردونيوس » أنه لا يمكنه فصل الأثينيين زحف بجيشه جنوبا من «تساليا» وأعاد الاستيلاء على « أثينا » بعد عشرة أشهر من استيلائه الاول عليها ، وعندئذ نجد أن الأثينيين وجدوا أنفسهم وحيدين لم تساعدهم حلفاؤهم ، ومن ثم اضطروا الى حمل أسرهم الى « سلامس » حيث كانوا فى هذه المرة فى أمان مطلق ، وفى هذه اللحظة فتح « مردونيوس » باب المفاوضات مع الأرجيفيين (Argives) والأثينيين ولكن دون الوصول الى نتيجة ، ولمجابهة هذه الأحداث

وجد الأسبرتيون انه لابد لهم من الاستمرار فى تحصين البرزخ وذلك قبل ان تشرق على عقولهم البليدة ضرورة اتخاذ خطة الهجوم . والواقع ان الأسبرتيين قد ضايقوا الأثنيين لدرجة ان ما بينهما من ولاء كادت تنفصم عراه ، ولكن فى نهاية الأمر اخذ الأسبرتيون يظهرون سياسة فعالة ، وقد يرجع فى ذلك الى موت « كليو مبروتوس » Cleombrotus وتولى «بوزانياس» (Pousanias) قيادة الجيش ، وعندما اعطى الامر بالزحف سار الجيش على جناح السرعة شمالا لمقابلة العدو .

أما « مردونيوس » الذى كان قد خرب ما بقى من « أثينا » فانه ارتد الى « بوشيا » Boeotia حيث عاضده حلفاء له واصبح فى امكانه استعمال فرسانه بنجاح اكثر مما كان يلاقيه فى بلاد « أتيكا » الجبلية . وقد قامت حروب فى هذه الجهة انتهت بقتل القائد الفارسى الذى سقط من فوق جواده وقد حاول جنوده بكل شجاعة استرداد جثته فلم يفلحوا بعد هجوم عنيف باء بالفشل وبعد خسائر فادحة ارتدوا الى معسكرهم والأسى يحز فى نفوسهم .

موقعة « بلاتا » Plataea ٤٧٩ ق.م : لقد فرح الاغريق بهذا النصر الذى شجعهم على الاستمرار فى حرب عدوهم وعلى ذلك تركوا الاحتماء بالتلال واتخذوا لأنفسهم مركزا متقدما ، فكان جناح جيشهم الأيسر يرابط على فرع من نهر « أسوبوس » (Asopus) والجناح الأيمن يحتل مكانه بالقرب من ينبوع « جارافيا » Garaphia وكان مجرى نهر « أسوبوس » الرئيسى يقع بين الاغريق والفرس . ويلحظ ان فرسان الفرس كان فى مقدورهم ان يعملوا الان بسهولة ، ولم يعد موقع الجيش الاغريقى يحمى الممرين اللذين يجرى عبرهما طريق مواصلاتهم ، وقد كان من جراء ذلك أن الفرس قضوا على قطيع من حيوانهم .

وتدل شواهد الأحوال على أن « مردونيوس » كان يرغب فى منازلة عدوه فى موقعة فاصلة ، وقد كانت خطتــه ان يضعف من القوة المعنــوية للجيش الاغريقى باستعمال فرسانه بدرجة عظيمة ، وقد أفلح جزئيا فى ذلك فقد ضايق فرسانه العاملون كل الجيش الاغريقى بهجماتهم المتكررة ، وذلك بالقاء المزاريق وتصويب السهام عليهم . هذا فضلا عن ان الفرس قد اتلفوا ينبوع «جارافيا» الذى كان يستقى منه كل الجيش الاغريقى كما يقول « هردوت » . كل ذلك يدل على أن الأحوال كانت فى صالح الفرس. ولما رأى الاغريق ذلك قرروا الانسحاب الى موقع أكثر ملاءمة لهم بالقرب من « بلاتا » ، وقد كانت عملية الانسحاب هذه أخطر عمليات الحرب ، اذ كادت تكون كارثة عليهم . وذلك ان أحد القواد الأسبرتيين ابى التقهقر لمدة عدة ساعات ، وعلى ذلك فان قلب الجيش الذى كان يتألف من فرق صغيرة فقد اتصاله بالجناحين ، وعلى ذلك فانه عند طلوع النهار كان الجزء الرئيسى من الجيشين الاسبرتى و الأثينى ليس بينهما اتصال لبعدهما بعضهما عن بعض ، فقد كان الأول على مقربة من العدو جدا فى حين أن الحلفاء الآخرين لم يعرف مكانهم .

ولا بد أن «مردونيوس» قد اعتقد ان الواقعة مهيأة لنصره فقد كان جيشه المهاجم يتألف من مائتى الف جنــدى وفارس وحوالى خمســين الف مقاتل اغريقى ، فى حين ان جيش الاغريق كان يتألف من مائة الف مقاتل كانوا مقسمين ثلاثة أقسام لم يكن فى قدرة أى قسم منهــا مساعدة الآخــر . ولمــا كان « مردونيوس » يتحرق شوقا لملاقاة العدو والهجوم عليه فانه ارسل فرسانه الى ساحة القتال ثم اتبعهم «بالخالدين» لمهاجمة الاسبرتيين الذين كانوا على مقربة منه ، وقد وجد الأسبرتيون ان الفأل لم يكن فى جانبهم فى بادىء الأمر ، ومن اجل ذلك تحملوا بهدوء وابلا من السهام ، واخيرا كان الفأل فى صالحهم

فانقضوا على عدوهم الذى كان يحمل اسلحة خفيفة ، وقد اظهر الفرس شجاعة ممتازة ، غير ان حاجتهم الى الدروع الثقيلة جعلت كل محاولاتهم فاشلة . وقد قرر مصير الواقعة بموت « مردونيوس » قائدهم الشجاع وهو يحارب على رأس «الخالدين» ، وقد سقط فى حومة الوغى ومن حوله آلاف من الجثث . وقد احدث موت القائد كما هى العادة ذعرا فى صفوف الجيش ، ومن ثم ولى الجنود الفرس الأدبار الى معسكرهم ، وفى تلك الأثناء كان الأثينيون وهم فى طريقهم لمساعدة الأسبرتيين قد هوجموا بفيلق جبار من الاغريق الذين يعملون فى جيش « مردونيوس » غير انهم لم يظهروا حماسا ملموسا فى هجومهم اللهم الا جنود « بوشيا » فقد دافعوا عن أنفسهم . وتدل شواهد الأحوال على أن عدد القتلى فى صفوف الفرس كان هائلا . والواقع ان الاسبرتيين لم يقاوموا الا مقاومة ضئيلة ، ويقص علينا « هردوت » انه لم يفلت من الجيش الفارسى الا ثلاثة آلاف مقاتل على قيد الحياة . وكذلك ذكر لنا ان فرقة قوامها اربعون الف مقاتل بقيادة « ارتابازوس » الذى عارض آراء « مردونيوس » ونصح بانتظار الفرصة قد تقهقرت فى نظام من ساحة القتال دون ان تحارب الاغريق . وفضلا عن ذلك فانه لا يصدق ان قوة الفرسان العظيمة قد ابادها الاغريق .

ويرجع الفضل الى شجاعة الأسبرتيين فى نيل الاغريق هذا النصر الحاسم الى أقصى حد . فقد انقض الفرس على جيوشهم فى العراء بعدد يفوق عدد جيشهم ولم يكن فى ساحة القتال الا فيلقان من الثلاثة التى كان يتألف منها الجيش الاغريقى ، وهذان الفيلقان لم يكن فى مقدورهما مساعدة بعضهما بعضا ، ومع كل هذه العوائق فان الجيش الاغريقى بما اوتى من تدريب ممتاز واسلحة متفوقة كان له فى النهاية النصر المبين .

موقعة «ميكال» ٤٧٩ ق.م. : وقد حدث فى نفس الوقت الذى وقعت فيه واقعة « بلاتا » الحاسمة فى تاريخ العالم موقعة اخرى يحتمل انها وقعت فى نفس اليوم على مقربة من « ساموس » حطم فيها الأسطول الأغريقى الأسطول الفارسى ، وذلك أن الفرس لم يرغبوا فى أن يشتبك اسطولهم مع الأسطول الاغريقى الذى انتصر فى « سلامس » ، ومن ثم سحبوا سفنهم حتى اليابسة عند رأس « ميكال » حيث كان يحميهم قوة يبلغ عددها ستين ألف مقاتل مخندقين فى اماكن حصينة ، غير ان ابطال « هيلاس » لم يكن هناك ما يعوقهم عن الانقضاض على فريستهم فتتبعوا العدو على الساحل وانتصروا عليه نصرا عظيما اذ حرقوا كل سفنه وهذه الضربة الأخيرة قصمت ظهر قوة فارس على الجزر الاغريقية ، ولم تلبث بعد ذلك ان اندلعت نيران الثورة فى كل مكان ، وقد عاضد الاثينيون هذه الثورة الى ان اصبح الهيلانيون فى « أوروبا » والذين فى الجزائر أحرارا وصار فى مقدورهم مساعدة اخوانهم الذين يقطنون على شاطىء آسيا لنيل حريتهم .

الاستيلاء على « سستوس Sestos » ٤٧٨ ق.م : ولقد كانت نهاية الصراع الجبار فى هذه الحملة هو من اجل الاستيلاء على « سستوس » ، وهى التى بوقوعها على الجانب الأوروبى من الدردنيل جعلها تعد جسرا مدهشا للملك العظيم ويلفت النظر هنا أن قائد الأسطول الأسبرتى لم يفقه الضرورة الاستراتيجية لمشروع الاستيلاء على هذا الموقع ولذلك أقلع الى وطنه . وقد وقع عبء الاستيلاء على هذا المكان على الأثينيين الذين نجحوا فى الاستحواذ عليه لما له من أهمية بالغة ، وقد هربت الحامية الفارسية غير أن الاثينيين لحقوا بجنودها وقضوا عليهم . وهكذا نجد انه بالاستيلاء على « سستوس » ختم آخر منظر من مناظر حرب الفرس العظيمة .

نتائج الحملة النهائية : ان هذه الحملة الجبارة التى قاد زمامها دولة الفرس الآرية فى « آسيا » على قريبتها فى الجنس فى «أوروبا» تستحق بعض التأمل. وأول سؤال يسأله الانسان فى هذا الصدد هو : لماذا كسب الاغريق المعركة فى النهاية ؟ والجواب على ذلك سهل ميسور ، وهو أنه مما يلحظ أولا أن الاغريق بصرف النظر عن قوتهم المعنوية المدهشة فانهم كانوا يحاربون فى أرض وعرة كانوا قد تعودوها وتتفق مع تدريبهم ومزاجهم ، فى حين أن الفرس كانوا قد اعتادوا على الحروب فى سهول « آسيا » المفتوحة المنبسطة ، وهى التى اذا لم يعاضد فيها المشاة الفرسان فان القوة المهاجمة تكون كفتها خاسرة بالنسبة لقوة من الفرسان خفيفى الحركة ، يضاف الى ذلك أنه كان هناك فرق فى التسلح . فقد كان الاغريق مدربين على حمل الدرع الثقيل بسهولة نسبية كما كان فى مقدورهم أن يستخدموا الأسلحة الثقيلة أكثر من أعدائهم الذين كانوا يعتمدون على الكمية لا على النوع . وأخيرا فانه على الرغم من تنظيم الجيش الفارسى تنظيما حسنا فان بعد « هيلاس » عن القاعدة الحربية قد جعلت كفة النجاح فى صف الاغريق ، وانه لمن الممكن ان نبالغ فى أهمية النتائج الحربية لهذه الحملات لدرجة ما حتى لو كان « اكزركزس » قد فتح « هيلاس » فان بعد هذه المديرية كان يجعل من الصعب بقاءها فى يد الفرس لمدة طويلة ، والواقع أن الحرب نفسها لا نتائجها هى التى حققت نجاة بلاد الاغريق وحريتها ، وبعبارة أخرى نشاهد أن العدوان المرير الذى أثاره الغزو فى نفوس الاغريق هو الذى نجى مدينة « هيلاس » من جعلها بلادا شرقية تحت سلطان الفرس .

وقد ظن الكثير من الكتاب أن الامبراطورية الفارسية قد قضى عليها بسبب صدها على يد الاغريق ، ولا نزاع فى أن البقية الباقية التعسة من الذين افلتوا

من هذا الجيش الفارسى العظيم من يد الاغريق قد حملوا الى بلادهم قصة الهزيمة الى كل ركن من أركان الامبراطورية ، ومع ذلك نشاهد أن الفرس بقيت تلعب الدور الرئيسى على المسرح العالمى لمدة لا تقل عن قرن ونصف قرن من الزمان بعد خيبتها فى فتح بلاد الاغريق ، وهذا يدل على أن سلالتها لم تكن قد انحطت بأية حال من الأحوال . والواقع أن بلاد الاغريق التى كانت قد انقسمت عدة حكوما تصغيرة مناهضة بعضها بعضا لم يكن فى مقدورها حتى بعد موافع « ماراتون » و « سلامس » و « بلاتا » أن تقف فى وجه سيد « آسيا » موقف الند للند . وقد بقيت الحال كذلك حتى ظهرت « مقدونيا » على مسرح التاريخ وتزعمت « هيلاس » وعلى رأسها عبقرى عظيم فى فنون الحرب بل يحتمل أنه أكبر عبقرية ظهرت فى كل عصور التاريخ ، وبذلك كان فى مقدورها ان تدخل فى نضال مع الفرس انتهى بالنصر الحاسم عليها . وقد بقيت بلاد الاغريق حتى ظهور « الاسكندر الأكبر » تحصر حروبها فى الشريط الذى يمتد على ساحل « آسيا الصغرى » ، اما الأراضى التى وراء هذا الساحل فكانت تحت سلطات شطربة « سرديس » الفارسى .

واذا كان الكتاب الذين كتبوا عن التاريخ الاغريقى من جهة قد بالغوا فى فداحة الضربات التى أنزلتها بلاد الاغريق بالفرس عند صد الملك العظيم ، فانه من جهة أخرى يكاد يكون من المستحيل أن نغالى فى أهمية الانتصارات بالنسبة لـ « هيلاس » وللعالم الحديث . وذلك أننا نعلم أن « كورش » بعد هزيمة الملك « كروسوس » قد ضم بسهولة المستعمرات الاغريقية الواقعة على ساحل « آسيا الصغرى » والجزر المجاورة لها ، وكذلك نشاهد ان « دارا » بعد حرب « سيثيا » سحب قوة من جيشه مدت سلطان الفرس حتى الحدود

الشمالية لبلاد الاغريق ، وبعد ذلك عندما زحفت الحملة العظيمة على بلاد الاغريق شاهدنا أن معظم شمالى ووسط « هيلاس » قد خضع للفرس ولم يبق حرا الا بلاد « أتيكا » الشجاعة وبلاد «البلوبونيز» ، وقد خرب الفرس حتى بلاد « أتيكا » كما أرادوا ، هذا الى أنهم خربوا « آثينا » مرتين . ولكن نجد فى النهاية ان انتصارات الاغريق قد حررت فى الحال كل بلاد «هيلاس» وكل مستعمراتها فى « آسيا » و « أوربا » ، وكذلك استردت الجزر استقلالها فى الوقت نفسه كما تحررت المدن التى على اليابسة . والواقع ان الفضل فى ذلك يرجع الى ضعف الأخلاق الذى أظهره « اكزركزس » الذى رفض خلال المدة الباقية من حكمه المشين مواجهة المسألة الاغريقية . وقد كان فى مقدور « هيلاس » أن تأخذ خطة الهجوم بعد أن كانت ملازمة خطة الدفاع . وقد كان هذا دورها حتى جاء « الأسكندر » وحرق عاصمة « ايران » وأصبح سيد « آسيا » . ولكن هناك النظرة الأوسع لهذه الحالة وأعنى بها النظرة العالمية ، فمن هذه الوجهة نجد أن « ماراتون » و « سلامس » و « بلاتا » كانت انتصارات لا تقتصر على بلاد الاغريق بل انتصارات لكل الانسانية . لقد كان هذا الانتصار هو فوز المثل العليا ، وحتى يومنا هذا لا يمكن أن نقدر تقديرا تاما ما نحن مدينون به لهؤلاء الشجعان البواسل الذين جاهدوا وحاربوا بشجاعة لم يأت بمثلها فئة قليلة لا من قبل ولا من بعد .

الأمبراطورية الفارسية بعد ارتداد الفرس عن « هيلاس »

« اكزركزس » بعد التقهقر عن « هيلاس » : ليس لدينا مصادر يمكن الاعتماد عليها عن هذا العهد الا المؤرخ هردوت ، وبعد انتهاء تاريخه العظيم بحادث الاستيلاء على « سستوس Sestos » نجد أن تاريخ الفرس قد أصبح لمدة مبهما بعض الشيء . حقا نجد فى التاريخ الذى وضعه المؤرخ « ثوسيديدس Thucydides » ذكر بعض حوادث هامة لها علاقة بتاريخ الفرس، غير أن التفصيلات عن هذه الحوادث معدومة .

والواقع أن « اكزركزس » قد أمضى أكثر من سنة فى « سرديس » بعد تقهقره المشين . والظاهر انه كان لديه تصميمات لم تسفر عن شيء خاص بقيام حملة جديدة للتغلب على الاغريق وقهرهم . ونجد فى الوقت نفسه أن هذا الملك الخليع قد وقع فى غرام زوج أخيه « ماسيستس Masistes » ولكنها لما أعرضت عنه وانتهرته حول حبه لابنتها ، وقد حاول أن يخفى أغراضه الشريرة بأن زوج الأخيرة من ابنه « دارا » . ولما وقفت زوجه أى الملكة الشرعية « امستريس » على جلية الأمر جن جنونها غيرة واحتالت على أن توقع أم مناهضتها فى قبضتها ، وبعد أن تم لها ما أرادت وأثخنتها جروحا جعلت منها امرأة مشوهة الخلق ، وقد كان من جراء عملها الشيطانى هذا أن غادر البلاد « ماسيستس » بقصد التحريض على القيام بثورة فى « بكتريا » ولكنه قبض عليه وهو فى طريقه الى تنفيذ غرضه وذبح . أما « اكزركزس » فانه ولى وجهه نحو « سوسا » ولم يظهر للناس لمدة بضع سنين .

الغارات التى قام بها الأغريق على « آسيا الصغرى » وموقعة « ايورمدون »

«Eurymedon» ٤٦٦ ق.م. : تدل شواهد الأحوال على أن الحملات التى قام بها الاغريق عندما ارتد ملك الفرس الى أواسط امبراطوريته كانت قد فقدت الكثير من أهميتها من الوجهة الفارسية فى حين أنه كان من المستحيل على الاغريق أن يضربوا ضربة فى القلب قاضية ، وذلك لأن المسافة من قاعدتهم كانت طويلة جدا . ولكن فى الوقت نفسه كان من الأهمية البالغة لـ « أثينا » أن تستمر فى شن الغارات على الفرس . والواقع أنه كان فى امكان « أثينا» ــ على حسب حلف « ديلوس » الذى كان من شروطه أن تنظم وتقود قوات حلفائها ــ أن تكون قوة بحرية جبــارة . ففى عام ٤٦٦ق.م. أى بعد اثنتى عشرة سنة فى حروب مستديمة وصلت مجهودات الاغريق بقيادة « كيمون » الملهمة الى احراز نصر باهر على صعيد « ايورمدون » (Eurymedon) الواقعة فى خليج « بامفيليا Pamphylia» اذ كما حدث فى « ميكال » أنزل الاغريق قوة هزمت جيشا فارسيا كان مخندقا هناك ، هذا فضلا عن أنهم قضوا على أسطول العدو . وهذا النصر قد تم بالاستيلاء على نجدة مؤلفة من ثمانين سفينة فنيقية ، ويمكن الاعتقاد أن البحارة الآسيويين بعد هــذه الخســائر الساحقة لم يرغبوا قط بعد ذلك فى منازلة الاغريق بحرا الا اذا كان عدد سفنهم عظيما بالنسبة لسفن الاغريق .

قتل « اكزركزس » ٤٦٦ق.م. : يظهر أن عدم قدرة « اكزركزس » وآثامه وخلاعته قد جلبت عليه العقاب المحتوم ، وذلك أنه بعد أن حكم عشرين سنة كانت نتيجتها الخراب قتله « أرتابانوس » (Artabanus) قائد حرسه .

واذا أردنا أن نحكم على أخلاق « اكزركزس » الذى وصف فى التوراة بالخلاعة والبذخ فلا نجد ما يذكر عنه بالخير الا القليل ، والواقع أنه ورث

أضخم امبراطورية شهدها العالم حتى عهده ، هذا بالاضافة الى جيش فاخر وموارد ثروة هائلة . وعلى الرغم من هذا الارث الباهر فقد جعل الهيلانيين يرعبونه حتى هرب من وجههم بعد انتصارهم فى موقعة بحرية ، وبدلا من استمرار الحرب ليمسح ما لحق به عار الهزيمة هرب من أراضى « هيلاس » الوعرة المسالك الى « آسيا » حيث أرخى لنفسه العنـــان فى الانغماس فى الشهوات وألوان الخلاعة كما سمح لخصى أن يقود زمام الأمور فى امبراطوريته حتى آخر لحظة من حياته .

تولى « أرتكزركزس » الأول ملك « فارس » ٤٦٥ق.م.

لقد جاء فى رواية يحتمل صدقها أن « أرتابانوس » كان يشاركه فى جريمة قتل « اكزركزس » رئيس الخصيان الذى يقال عنه أنه بعد قتل سيده حرض الأمير الصغير « أرتاخوها يارشا » (أرتكزركزس الذى كان لا يزال طفلا) يتهم أخاه الأكبر « دارا » بقتل والده ثم انتزع منه أمرا بقتل الأخير . وقد نفذ ذلك فى الحال . تلك هى الأحوال المنحوسة التى تولى فيها «أرتكزركزس» الأول عرش « فارس » . وقد نعت فى التاريخ بعبارة « طويل اليد » (ويحتمل أن ذلك كان لحالة طبيعية أى أن يده كانت طويلة) . وقد ظل « أرتابانوس » مدة سبعة عشر شهرا الملك الحقيقى لدرجة أن اسمه قد ظهر فى بعض التأريخ ، ولكن نصره لم يدم طويلا ؛ وذلك أنه لم يكتف بقتل سيده وابن سيده بل أراد أن يأتى على حياة الملك الصغير ، ولكنه فى هذه المرة على أية حال قضى على نفسه هو . وقد كان المنتقم يدعى « باجاتوخاشا » (= مجابيزوس Megabyzus) الذى كان مقــدرا له أن يمثــل الدور الرئيسى فى حيـــاة « أرتكزركزس » الطويلة .

ثورة هيستاسبس ٤٦٢ ق.م. :

لم تكن بلاد الفرس فى حالة تفكك على الرغم من هذه الاضطرابات المحلية ، وعندما قام « هيستاسبس » أحد اخوة الملك الكبار بثورة فى بلاد « بكتريا » النائية فان الجيش الملكى هاجمه وكان على رأسه «ارتكزركزس» نفسه وهزمه فى واقعتين حوالى ٤٦٢ق.م. وقد نتج عن هاتين الهزيمتين أن قضى على قضيته لأنه لم يسمع عنه أى شىء بعد ذلك .

الثورة فى « مصر » ٤٦٠ — ٤٥٤ ق. م. :

بعد انتهاء الثورة الأولى التى قامت فى عهد الفرس لم يحرم الأمراء المحليون من سلطانهم . وعلى ذلك فانه لما قامت بلاد « لوبيا » بثورة بقيادة « اناروس Inaros » بن « بسامتيكوس Psammetichus » كان فى استطاعته أن يجمع جيشا قويا كما أعلنت الدلتا انحيازها له ، ولكن وادى النيل الذى كانت فيه الحامية الفارسية تقبض على المواقع الهامة لم يقم بفتنة. وتدل شواهد الأحوال على أنه كان فى امكان « اخمينيس » ولى العهد أن يسحق الثورة لولا أن الاثينيين أتوا لنجدة المصريين ، وكانت «اثينا» فى هذا العهد فى قمة مجدها وعظمتها . ولدينا وثيقة شهيرة لاتزال باقية فى صور أثر يونانى أقيم لمواطنى قبيلة من المدينة يحمل ١٦٨ اسما من أسماء الأبطال الأثينيين الذين سقطوا كلهم فى ميدان الشرف عام ٤٥٩ ق.م. (وهو العام الذى أبحر فيه الأسطول الى مصر) فى « قبرص » و « مصر » و «فينيقيا» و « هاليس » (الواقعة فى شبه جزيرة « أرجيف Argive ») و « آجينا Aegina » و « مجارا Megara » ، يضاف الى ذلك موقعة بحرية أخرى وقعت فى نفس السنة وتدعى « ككريفالا Kekryphalea » . والواقع أن مثل هذا السجل ليس له مثيل الا القليل فى تواريخ أية دولة .

فقد أرسل أسطول مؤلف من مائتى سفينة الى « مصر » يحمل قوة جبارة للحرب برا وبحرا ، وقد قابلت قوة الحلفاء الجيش الفارسى عند مدينة « بابريميس Papr » الواقعة فى الدلتا وقد أسفرت الحرب عن قتل « أخمينيس » وابادة جيشه ، وفى هذه الآونة تقابل جزء من الأسطول الأثينى صدفة مع الأسطول الفنيقى وأسفرت الموقعة عن خسارة الأخير خمسين سفينة غرق بعضها واستولى على بعضها الآخر وعلى ذلك فان الآثينيين الذين فرحوا بهذا النصر هاجموا « منف » واستولوا عليها بسرعة ، غير أن المصريين كانوا لا يزالون مرابطين فى قلعتها المعروفة باسم « الجدار الأبيض » وقاوموا المهاجمين من الفرس الذين اضطروا فى آخر الأمر الى نصب حصار منظم عليها

وفى العام التالى اى ٤٥٦ ق.م. ظهر أسطول فارسى يبلغ عدده ٣٠٠٫٠٠٠ مقاتل يعاضده أسطول فنيقى مؤلف من ثلاثمائة سفينة فى ميدان القتال بقيادة « مجابيزوس » . وفى تلك الأثناء رفع الحلفاء حصار « الجدار الأبيض » وقابلوا العدو فى العراء ، فهزم الجيش المصرى وجرح فى خلال ذلك « اناروس » وقبض عليه وعندئذ تقهقرت القوة الاغريقية الى الجزيرة المجاورة لبلدة « بروسوبيس Prosopis » وقاومت كل الهجمات لمدة عام ونصف عام بعد بداية عام ٤٥٥ ق.م.

وفى تلك الأثناء كان الجيش الفارسى يحاول تحويل فرع من فروع النيل عن مجراه ، وفى يوم من الأيام سار الأسطول بهذه الخدعة على اليابسة فحرق بأيدى الاغريق اليائسين ، وقد مات معظمهم فى القتال الذى نشب بعد ذلك ، أما ما بقى منهم وعددهم حوالى ستة آلاف مقاتل فقد سلموا بشروط مشرفة وأخذوا الى « سوسا » انتظارا لتصديق الملك العظيم على الاتفاقية التى أبرمت بشروط التسليم . أما الفنيقيون فانهم قد انتقموا لأنفسهم لما

أصابهم من هزائم من قبل وذلك باغراق نصف نجدة من السفن الاغريقية تحتوى على خمسين وحدة كانت قد دخلت فى مصب أحد فروع النيل ، وقد كان من جراء هزيمة الاغريق أن انتهى العصيان ، غير أن حرب العصابات قد استمرت بنجاح بجماعة من المواطنين احتموا فى مناقع الدلتا ، وهناك أعلنوا أحد رجال أسرة « أماسيس » ويدعى « أميرتايوس Amyrtaeus » ملكا على « مصر » . واذا نظرنا الى هذه الحملة من الوجهة الحربية فانها تبين لنا أنه حتى الأعداد الكبيرة من الجنود الاغريق كان لا يمكنها حتما ان تقهر الجيوش الفارسية ، ومن ثم فانه من المحتمل لو كان « ارتكزركزس » رجلا على خلق عظيم لاصبحت المستعمرات الاغريقية التى فى «اسيا الصغرى» رعايا للفرس وكان من الممكن تهديد استقلال « هيلاس » بصورة جدية

صلح « جالياس » حوالى ٤٤٩ ق. م. :

لقد كان من تنائج الضربة العنيفة التى كالها الفرس للاغريق فى « مصر » أن جاء على أعقابها سعى الفرس لاسترداد جزيرة « قبرص » ، وقد هب الأثينيون للدفاع عن هذه الجزيرة فأرسلت « أسبرتا » « كيمون » القائد الاعلى للحلف الهيلانى على رأس اسطول قوامه مايتى سفينة لغزو « قبرص » غير أن هذا القائد القدير قد مات قبل أن ينال أى نجاح حاسم . وقد اضطر الأسطول بسبب قلة المؤن أن يتخلى عن حصار « كيتون Kition » فى « قبرص » ، ولكن عند ما كان مارا بـ « سلامس » فى نفس الجزيرة تقابل مع أسطول فنيقى قوامه ثلاثمائة سفينة كانت تنزل جنودا الى البر . وفى هذه المرة كما حدث فى مرتين سابقتين هزم الأغريق هذا الأسطول الفنيقى، وفضلا عن ذلك نالوا نصرا على القوات البرية هناك ، وقد أفاد الأثينيون من هذا النصر العظيم لعمل صلح مع الملك العظيم وقد ذهب «جالياس» وهو سياسى

عظيم الى « سوسا » وأمضى معه الملك العظيم اتفاقا اعترف فيه باستقلال كل البلاد الاغريقية التى يتألف منها أعضاء حلف « ديلوس » ، وفى الوقت نفسه اتفق ألا تدخل سفن حربية المياه الهيلانية باستثناء السفن التجارية وحسب وقد تعهد الاغريق منجانبهم أن يتنحوا عن كلأفكار ترمى الى تحرير ماتبقى من الاغريق من نير الحكم الفارسى . وقد كان أشد شىء على نفوسهم سلموا فيه هو نزولهم عن جزيرة « قبرص » . ويقـول المؤرخ « هولم » (راجع Holm, II, p. 167) أنه لم تكن هناك معاهدة فى هذا الموضوع ، ويظهر فعلا أنه لم تكن هناك معاهدة رسمية ، (ولكن يظهر أن الملك العظيم قد ختم أمرا يحتوى على هذه الشروط وبذلك حفظ سمعته .) وقد أظهر الأغريق حزما زائدا بالتصديق على هذه المعاهدة ، وذلك أنهم كانوا يعرضونأنفسهم لأكبر خطر بتبديد شمل سكان «أتيكا» القليلة السكان وهىالتى كان يتطلب منها جنودا باستمرار للمحافظة على قوة « أثينا » فى داخل البلاد ، يضاف الى ذلك أن « قبرص » كانت بعيدة جدا عن « أتيكا » وقريبـة جدا من « فنيقيا » اذا أريد استمرار الحرب فى الأخيرة ، ولذلك لم يجدوا لبقائها فى أيديهم نفعا كبيرا ويرجع الفضل فى ذلك الى هذا الصلح ، فقد أصبحت به « أثينا » لا تخشى أى هجوم من الفـرس الى أن ذهب الخوف من هـذه الامبراطورية العاتية نهائيا بزوالها .

ثورة « مجابيزوس » :

ان المطلع على مجال حياة « مجابيزوس » يحس منـه أنه يلقى ضوءا عظيما على حالة بلاد الفرس فى عهد ملك من أضعف ملوكها . فهو الذى منح شروطا شريفة للبقية الباقية من جنود الاغريق فى « مصر » عندما وضـعوا سلاحهم ، كما وعد بانقاذ حياة « اناروس » ملك « مصر » المهزوم . وقد

كان لا بد من محاسبة الملكة « أمستريس » على أية حال ، وبعد خمسة أعوام قضيت فى نضال والحاح من جانبها قضى على «اناروس» بوضعه على خازوق انتقاما لقتل « أخمينيس » ، هذا بالاضافة الى قطع رقاب حوالى خمسين أغريقيا ارضاء لشهوة هذه المرأة الآثمة الحقودة . وقد كان ذلك عملا عدائيا فى عينى « مجابيزوس » مما دعاه للقيام بثورة هزم فى خلالها جيشين على التوالى كانا قد أرسلا لمحاربته واخماد الثورة التى قام بها . وبعد ذلك عفا عنه الملك وعاد الى البلاط الفارسى . وقد دعاه الملك للاشتراك فى طراد أسود فجاء فى أثناء ذلك بين الملك وفريسته ، ومن أجل هذا الجرم العظيم حكم عليه بالموت ، غير أن حكم الاعدام قد عدل الى حكم بالنفى الى شواطىء الخليج الفارسى . وبعد أن أمضى خمسة أعوام فى هذا الجزء القحل من الامبراطورية ادعى أنه مريض بالبرص ، ومن ثم عاد الى « فارس » فلم يعمل أحد على منعه من ذلك ، وأخيرا عفا عنه الملك العظيم وعاش الى عمر أخضر شائخ بوصفه ناصحه الأمين .

عصر اضطرابات ٤٢٥ق.م. : عاش « أرتكزركزس » على الرغم من ضعفه الخلقى وعدم كفايته وتأثير أمه السىء عليه يحكم البلاد عدة سنين دون أن يحدث أى تصدع خطير يهدد السلام فى بلاده . حقا كان الأثينيون فى تلك الفترة فى حرب على « أسبرتا » للمحافظة على كيانهم كحكومة مستقلة، وقد عاقهم ذلك عن السعى الى القيام بأية مخاطرة خارج حدود بلادهم . ولما مات « ارتكزركزس » عام ٤٢٥ ق.م. خلفه ابنه « اكزركزس الثانى » الذى لم يلبث أن قتل وهو ثمل بيد أخيه « سوغديانوس Soghdianos » وهذا الأمير الأخير انقض عليه « اوكوس » — أحد أبناء « ارتكزركزس » — زوج « باريساتيس Parysatis » ابنة « ارتكزركزس » . وقد تجمع حول

لوائه أشراف الفرس فى حين أن « سوغديانوس » الذى عرض عليه أن يشترك معه فى حكم البلاد قد قبض عليه خيانة وحكم عليه بالموت على الطريقة الفارسية وذلك بالالقاء به فى النار .

عهد « دارا نوتوس » ٤٢٤ — ٤٠٤ ق . م . :

بعد أن خلع « أوكوس » أخاه تولى هو عرش الملك باسم « دارا الثانى » (وكلمة « نوتوس Nothus » تعنى أنه ابن سفاح) ولما كانت « باريساتيس » وثلاثة من الخصيان هم نصحاؤه الرئيسيون فلا نعجب اذا كانت مدة حكمه سلسلة متصلة الحلقات من الثورات ، وقد كان أول من قام بثورة من هذه الثورات هو أخوه « أرستيس Aristes » الذى انضم الى « أرتيفيوس Artyphius » أحد أولاد « مجابيزوس » وقد انتصر فى موقعتين بمساعدة الجنود الاغريق المرتزقين . غير أن ملك الفرس العظيم افسد الاغريق بالذهب الذى أصبح من الآن فصاعدا أعظم سلاح فتاك فى يد الفرس . وقد سلم العصاة بغباء عندما وعدوا بحسن المعاملة ، غير أن الوفاء بالمواثيق عند الفرس لم يكن أمرا مرعيا ، وعلى ذلك فان الثائرين ألقيا كذلك فى النار كما حدث فى أمر « سوغديانوس » ، هذا ونجد ان ثائرا آخر يدعى « بيسوتنيس Pissuethnes » شطربة « ليديا » قد هجره جنوده المرتزقة من الاغريق ، اذ لم يكن فى مقدورهم مقاومة اغراء ذهب الملك « دارا » . ولما أجبر على الاستسلام نال نفس المصير الأليم الذى ناله من سبقه من الثوار ، ويرجع الفضل فى ذلك الى حيل وأخاديع « تيسافرنس Tissaphernes » فانه قبض عليه وعين مكانه شطربة على « ليديا » ، وقد استعمل ذكاءه عدة سنين للدس بنجاح لدرجة أنه أصبح ذا نفوذ عظيم فى السياسات الاغريقية . وقد كان كذلك « فارنابازوس » شطربة « داسكليون Daskyleion » حاكما فارسيا على جانب عظيم من المهارة فى هذا العهد .

« تيسافرنس » والمحالفة مع « أسبرتا » ٤١٢ ق. م. :

كانت حملة الأثينيين فى تلك الفترة على « صقلية » قد انتهت بالخيبة التامة كما انتهت حملة القرطاجنيين فى زمن حملتى « سلامس » و « بلاتا » بالخذلان . وقد انتهز « تيسافرنس » الماكر الموقف الجديد ووقع اتفاقية مع « إسبرتا » . وبمقتضى شروطها أعلن البلدان الحرب على « أثينا » ، ومن ثم نرى أن النظام القديم الذى كان بمقتضاه ان تضع الحكومتان الرئيسيتان انقساماتهما المحلية جانبا وتتحدان على مقاومة الفرس قد انهار وحل محله الاتفاق الجديد، وهكذا نرى « أسبرتا » ومن بعدها « أثينا » وفيما بعد « طيبة » تعقد كل منها اتفاقا مع الفرس للانقضاض على الدويلات الاغريقية الناهضة بعضها بعضا فى « هيلاس » ، وقد لعب « تيسافرنس » دوره فى هذه الفترة بمهارة فائقة وذلك بألا يساعد أى حكومة من هذه الحكومات لتهزم عدوتها هزيمة منكرة وبذلك يقلب ميزان القوى . وبذلك أبقى على النفوذ والمصالح الفارسية حتى جعلها تمتد الى « آسيا الصغرى » دون الالتجاء الى مجهودات حربية كبيرة أو مصاريف باهظة ، ولما كان الجيش قد انحطت أخلاقه على غرار أخلاق مليكهم وبما كان يتمتع به من ثراء جم ، فانه كان لزاما على الملك العظيم أن يقوى هذا الجيش بجنود مرتزقين أتى بهم بأعداد كبيرة ، وكان رؤساؤهم يشغلون أكبر مراكز فى القيادة برا وبحرا ، وقد كان لهذا الموقف الجديد فى الجيش نتائج سيئة .

قصة « تريتوخميس : Teritucbmes » :

يتمثل الانحطاط الكلى الذى حدث فى البلاط الفارسى واختفاء ما كان عليه من مثل عليا فى عهد كل من « كورش » و «دارا» الأول ما شوهد فى

عهد حكم الملك « دارا الثانى » فى قصة « تريتوخميس » فقد كان هـذا المخلوق الحقير ربيب الملك العظيم ، ولكنـه وقع فى حب أخته من أمـه « روكسـانا » وقام بمؤامرة على زوج أمه لأجل أن يتخلص من زوجـه « أمستريس Amestris » ، وقد عقد كل المتآمرين الأيمان على أن يغمسوا سيوفهم فى حقيبة كانت ستوضع فيها سيئة الطالع « أمستريس » بعد موتها ، وذلك لأجل أن يؤكدوا أنه لا وسيلة الى التراجع عن عزمهم ، غير أن المؤامرة أخفقت وقتل « تريتوخميس » . وقد منحت هذه الثورة « باريساتيس » ابنة اكزركزس يدا طليقة فى ارتكاب أعمـال القسوة والغلظة ، وقد بدأت بتمزيق « روكسانا » اربا اربا ثم ثنت بكل أقارب الثأر بما فى ذلك والدته وأخته فقد دفنتا أحياء .

وهكذا كان البلاط الفارسى فى عهد ذلك الملك الفاسق الذى بلغ من الانحطاط أسـفله .

سقوط الامبراطورية الفارسية

قال المؤرخ « اكزنوفون » عندما تحدث عن « كورش » الأصغر : انه الرجل الذى عاش من بين كل الفرس بعد « كورش » القديم . فكان أعظمهم جلالا واخفهم بالقيادة كما يعترف بذلك كل اولئك الذين كان لهم الحظ أن يحكموا عليـه .

والواقع أنه لم تكن هناك حملة فى « آسيا » قد استرعت الأنظار أكثر من الحملة التى قام بها « كورش » الأصغر ، ويرجع السبب الرئيسى فى ذلك الى الأعمال الشهيرة التى قام بها الجيش الاغريقى الذى كان يعمـل تحت امرته وعبقرية اكزنوفون ، يضاف الى ذلك ما يشعر به الانسان من ميل توحى به طبيعته نحو الرجل المخاطر الذى تتفجر منه الحيوية والنشاط وهى الصفات التى تتنافى بصورة بارزة مع طبيعة ملوك الفرس العجزة ، الخائرى القوى .

كان « كورش » الأصغر ثانى أولاد الملك « دارا » الثانى وكان أخوه الأكبر يدعى « أرساسس Arsaces » وهو الـذى تولى الملك باسـم « ارتكزركزس الثانى » ولكن فى حين أن « أرساسس » كان قد ولد وابوه شطربة « هركانيا » فان « كورش » قد ولد وأبوه ملك على الفرس ، وقد كان كذلك احب ولد لدى أمه الفظيعة ، وبنفوذها نصب ولى عهـد على « آسيا الصغرى » بسلطات كادت تجعله مستقلا فى قطره ، وقد كان متأكدا أنه فى خلال تغيبه عن البلاط الملكى كانت والدته تعمل لمنفعته .

علاقة « كورش الاصغر » بحكومة « أسبرتا » :

وقد عزم « كورش » من أول الأمر أن يوطد مركزه ، ولذلك فانه لما فطن

الى ما للجنود الاغريق من تفوق فى القتال ، عزم على أن يستعمل كل نفوذه الرسمى فى تجمع جيش عرمرم لمد سلطان بلاده ، وبعد أن درس الموقف بعناية استنتج أن الحلف الأسبرتى كان أكثر ملاءمة لخدمة أغراضه أكثر من قوة بحرية مثل قوة « أثينا » ، وعلى ذلك حابى الأسبرتيين . وقد كان من جراء المساعدة المالية التى منحها القائد «ليسندر» الذى كان صاحب مهارة تفوق المألوف ، أن عاضدته على الانتصار فى موقعة « أجوسبوتامى **Aegospotami** » عام ٤٠٥ ق.م. ، ولما رأى « تيسافرنس » أن مركزه قد ضعف وفطن الى أن « كورش » كان يستعد للقيام بثورة ، فانه حذر الملك العظيم بما عساه أن يحدث وبعد ذلك طلب الى هذا الأمير الطموح المثول بين يدى والده فى « سوسا » لأجل أن يدافع عما نسب اليه غير أنه قد وصل فى الوقت المناسب عند موت والده فى عام ٤٠٤ ق.م.

تولى « ارتكزركزس » منمون عرش الملك ٤٠٤ ق. م. :

وقد تولى الملك « أساسبس » على الرغم مما كان للملكة «باريساتيس» من نفوذ ، وتسمى باسم « ارتكزركزس الثانى » ، وكنى « منمون » (أى المفكر ؟ وقد توج فى « باسارجادا » (١) ، ويقال ان « كورش » قد صمم على قتل أخيه عند المذبح المقدس أثناء الاحتفال . وقد حذر « تيسافرنس » الملك قتل أخيه عند المذبح المقدس أثناء الاحتفال ، وقد حذر « تيسافرنس » الملك غضبا شديدا وأمر بقتله فى الحال ، ولكن الملكة الوالدة حمته بذراعيها وحصلت فى النهاية على العفو عنه ، وقد سمح « ارتكزركزس » الغبى كرما منه لأخيه الذى أعماه الطمع أن يعود الى « آسيا الصغرى » ، وكما كان

---

(١) راجع Plutarch's Life of Artaxerxes

المنتظر لم يلبث أن أعد نفسه للحرب طلبا للعرش ، وكان قائده الاغريقى الـذى يدعى « كليركوس Clearchus » وهو أسبرتى صاحب أخـلاق وتجارب . وفى سرعة خاطفة جند جيشا جبارا من الاغريق المرتزقين : هذا الى أن « كورش » طلب الى « اسبرتا » المساعدة ، وعلى الرغم من أنهـا لم تساعده مساعدة ملموسة ظاهرة فانها أرسلت اليه سبعمائة مقاتل ليكونوا تحت أمرته ، وقد بلغ جيش « كورش » فى نهاية الأمر ثلاثة عشر الف مقاتل من الاغريق ومائة ألف من الآسـيويين ، وفى عام ٤٠١ ق.م. زحف ذلك المخاطر العظيم بجيشه من معسكره ليحارب من أجل السيادة على « آسيا ».

زحف « كورش » على « بابل » :

وعندما ترك « كورش » بلده « سرديس » لم يطلع أحدا على الهدف الذى كان يرمى الوصول اليه الا رؤساء مستشاريه،فقداخبرهم ان الغرض من حملته كان اخضاع « پيزيديان Pesidian » فاقتحم بلاد « فريجيا » و « ميزيا Mysia » وقـد قابل فى طريقه « ابياكـزا Epyaxa » زوج « سنيسيس Syennesis » ملك «سيليسيا» فأعطته مبالغ كبيرة من المال ، ثم سـار بعد ذلك فى نصـف دائرة قاصدا البوابات السليسية التى كانت غاية فى الوعورة ولا يمكن اقتحامها على حسب ما ذكره « اكزنوفون » ، اذاارادى نسيان تصدى عبورها(راجع Anabasis Translation by Wheeler I, 2, 21.)وعندماوصل اليهاوجد أن قممها قد احتلت ، غير أن الملكة«سنيسيس» ذكرت أن جنود « منون » قائد « كورش » فى « تساليا » كانوا قد نزلوا فى « سيليسيا » فعلا ، وذلك لأجل أن يسحب قوته أثناء الليل ، وعلى ذلك وصل جيش « كورش » الى « طرسوس » دون أن يقوم بأى قتال . وفى

هذه الآونة لاقى « كورش » مصاعب جمة من جنوده الاغريق . وقد وصف لنا المؤرخ « اكزنوفون » الذى كان مقدرا له أن يلعب دورا هاما فى هذه الحملة الشهيرة كيف انهم فى بادىء الأمر عصوا الزحف ، وقذفوا «كليركوس» بالحجارة ، غير أنهم فى نهاية الأمر أغروا بزيادة فى الأجر على الزحف ، وذلك على الرغم من أن قبولهم هذا قد انتزع منهم قسرا . وقد صرح الآن «كورش» أن هدفه هو جيش « أبروكوماس Abrocomas » شطربة « سوريا » الذى كان من المعتقد أنه سيقف فى وجه عبوره نهر « الفرات » ، وقد سار بسرعة مقتحما ابواب « سوريا » التى كانت تعتبر « ترموفيلا » « آسيا » مراعيا أن يكون على اتصال بأسطوله ، كما كان مستعدا أن ينزل جنودا خلف أية قوة مدافعة ، غير أن « أبروكوماس » لم يكن فى عزمه مقاومة أخ الملك العظيم الذى بعد أن عبر الأراضى السورية الخصبة وصل الى « تاپاساكوس Thapasacus » الواقعة على نهر « الفرات » وهناك وصل خبر تقهقر « أبروكوماس » بعد أن حرق كل القوارب التى كانت فى متناوله حتى لا يمكن « كورش » من عبور النهر . وقد وجد الاغريق أنفسهم عند « تاپاساكوس » مضطرين أخيرا دون أى أمل فى التقهقر الى الدخول فى معركة مع الملك العظيم، وقد وقع هناك ثانية انقسام خطير فى جيش «كورش» فقد غضب الجنود وهاجوا على قوادهم لأنهم خدعوهم ، غير أنهم أغروا ثانية بالمال على مزاولة الحرب ، وذلك أنهم بسبب زيادة فى الأجور قرروا أن يتحملوا أى خطر ، وقد منحهم « كورش » ما طلبوا . والواقع أنه كان رجلا مغامرا يضحى بكل شىء فى سبيل انتصاره وتحقيق مطامعه . وقد كانت أحوال فيضان نهر « الفرات » على غير العادة منخفضة فسهل ذلك عبوره على الغزاة الذين اجتازوه وأسرعوا فى سيرهم بسرعة ما يقرب من عشرين ميلا فى اليوم دون أن يروا أو يسمعوا أى شىء عن العدو . وقد كان غرض

« كورش » أن يمنع الملك العظيم من تجميع كل قواه كما أشار الى ذلك « اكزنوفون » .

موقعة « كونكسا » ٤٠١ ق. م. :

لم يقابل جيش « كورش » عند دخوله مديرية «بابل» الا بعض الفرسان كما أنه لم يجد أى شيء يدل على وجود جيش فارس وهو مستمر فى سيره نحو الجنوب . وبعد ان تقدم « كورش » بجيشه مصطفا للموقعة لمدة ثلاثة أيام اتضح له على ما يظهر أن جواسيسه وعيونه لم يقوموا بواجبهم فى تتبع أثر العدو ، ولذلك فانه وصل الى النتيجة الطبيعية فى تقـديره ، وهو أن « ارتكزركزس » قد انسحب من « بابل » وتقهقر الى هضاب بلاد الفرس . غير أنه كان قد أخطأ التقدير وذلك أنه فى اليوم الرابع من تقـدمه كانت جنوده تسير فى غير نظام ، ظهر فى الأفق فارس يخبره ان جيش الملك العظيم الجرار سينقض عليه بعد ساعات قليلة . وبفضل هذا التحذير كان فى مقدور « كورش » أن يصف جيشه للموقعة ، فوضع الفيلق الاغريقى تحت امرة « كليركوس » على اليمين منتظرا على نهر « الفرات » ، أما « كورش » نفسه فقد اتخذ مركزه فى الوسط سيرا على العادة الفارسية وأحاط نفسه بحرس مؤلف من سـتمائة فارس مدججين بالأسلحة الثقيلة وجعل قائده « ارياوس Ariaeus » فى الميسرة حيث تجمع الجزء الأعظم من الفرسان.

اما جيش « ارتكزركزس » الهائل العدد الذى كان يتألف كما قيل من نحو نصف مليون مقاتل فقد تصادم بجيش « كورش » ، وقد كان الأخير يعلم أن كل شيء يتوقف على هزيمة قلب الجيش الذى اتخذ فيه الملك العظيم مكانه ، ولذلك فانه أمر « كليركوس » أن يهجم بالاغريق على قلب جيش العـدو ، غير أن « كليركوس » لم يفطن للموقف اذ كان يخاف أن يترك جناحيه مكشوفين ، ولذلك فقد أجاب مراوغا أن كل عنايته تنحصر فى أن

كل شيء يكون على ما يرام ، وبقى ملاصقا لنهر « الفرات » بجيشه .وقد بدأت المعركة بانقضاض الاغريق على العربات التى كانت تواجههم ، وكان ينتظر منها الشيء الكثير . وقد كانت النتيجة فوق ما كان منتظرا فقد ولى سائقوا العربات الادبار ، وقفا الاغريق أثرهم اكثر من ميلين او ثلاثة .

وقد رأى « كورش » تشتيت شمل جناح الفرس الأيسر ، غير أنه فطن الى أن الموقعة لن تكون حاسمة الا بعد هزيمة قلب جيش العدو . والواقع أنه كان قائدا عظيما ، ولذلك فانه كبح من غرب اندفاعه الطبعى الى أن رأى قلب الجيش الفارسى ينهار فى مؤخرة الاغريق ، وبعد ذلك قام بهجمته الجبارة يحرسه المؤلف (اكزنوفون) من ستمائة بطل على ستة آلاف من جنود «الكادوسيين» Cadusians » الذين كانوا فى خدمة الملك العظيم فقتل بيده قائد القوة التى أمامه ، وقد اشتدت الموقعة فى العنف عند ما أخذ العدو يترنح ، وفتحت أمامه الطريق الى حيث كان يقف « ارتكزركزس » . ولما كان مرجل الحقد يغلى فى صدر « كورش » وتعطشه للدماء يزداد فانه صاح عاليا قائلا : « انى أرى الرجل » ورمى بمزراقه فأصاب أخاه اصابة مسددة فى الصدر اخترقت زرده ، وأوقعته من على ظهر جواده ، وعندئذ خيل اليه أن ملك « آسيا » والسيطرة عليها قد أصبح ملك يمينه ، وقد كان ذلك فى اللحظة التى اصيب هو فيها على غفلة بمزراق من العدو سبب له جرحا بالقرب من عينه ، وفى غمار القتال الذى حدث بعد ذلك خر هذا البطل العظيم صريعا . أما « ارتكزركزس » الذى لم يكن جرحه مميتا فانه عند ما سمع بموت أخيه انقض على الجنود الآسيويين ، وعند ما علم هؤلاء أن « كورش » قد قتل تقهقروا شمالا .

أما « تيسافرنس » الذى كان فى أقصى الشمال من الخط الفارسى فانه

اقتحم بجنوده وسط الفيلق الاغريقى دون أن تصيبه أية خسارة وهاجم معسكرهم ، غير أنه صد عنه . وقد عاد القائد « كليركوس » من متابعة العدو ، وعندما سمع أن معسكره فى خطر ، وتفاديا من هجوم شامل تجمع الاغريق ثانية بظهورهم نحو النهر وقاموا بهجوم آخر . ونجد هنا ثانية جموع الفرس الرعاديد يرفضون منازلة جنود الاغريق المرعبين . وعلى ذلك فان الاغريق بعد أن قفوا أثر أعدائهم الجبناء مدة عادوا الى معسكرهم يحملون لواء النصر على حسب زعمهم ، غير أن الحقيقة كانت قد أسفرت عن خسرانهم المبين . ويرجع ذلك الى سوء قيادة « كليركوس » . وقد كانت نتيجة « كونكسا Cunaxa » — وهو الاسم الذى عرفت به هذه المعركة — هائلة فقد علم الاغريق الآن أنه أصبح فى مقدورهم أن يسوقوا حشدا من الفرس أمامهم كقطيع من الأغنام . وعلى الرغم من أنه لم يفد من تفوقهم الهائل لمدة عدةسنين فانهمن المؤكد ان «الاسكندرالأكبر»فيمابعد قد افادمن تجربة موقعة « كونكسا » . ولا نزاع أن موت « كورش » كان كارثة عظمى على بلاد « فارس » وذلك لأنه كان فى امكانه بما أوتى من قدرة عظيمة ونشاط وتجارب منوعة أن يكون ملكا عظيما مثاليا ، بل كان فى الامكان أن يعيد الامبراطورية الفارسية الى المكانة التى كانت تحتلها فى عهد كل من « كورش العظيم » و « دارا الاول » . وعلى أية حال كان فى قدرته أن يحيى بلاد الفرس من جديد ، هذا فضلا عن أنه بمعرفته بالاغريق ومهارته فى جعل حكوماتها تتطاحن الواحدة مع الأخرى كان فى امكانه أن يقضى على استقلال « هيلاس » .

تقهقر عشرة الآلاف اغريقى « الخالدين » :

ليس فى أعمال بنى الانسان الخالدة ما يسترعى اعجابنا أكثر من التقهقر الذى قام به عشرة الآلاف الخالدين ، ففى الصباح الذى تلىموقعة«كونكسا»

كان الاغريق على أهبة الزحف لشق طريق لهم للحاق برئيسهم « كورش » ولكنهم عندئذ سمعوا بموته وفرار أتباعه من الفرس فلم يهنوا ولم يخافوا ، وأرسل « كليركوس » الى « ارياوس Ariaeus » القائد الفارسى يعرض عليه تاج البلاد غير أنه اعتذر عن ذلك بحزم بسبب أن أشراف « فارس » لا يقبلونه ملكا عليهم . وقد وصل فى آخر النهار نفسه رسل من قبل « تيسافرنس » قائد « ارتكزركزس » يطلبون الى الجنود الاغريق أن يسلموا أسلحتهم وأن يقصدوا باب قصر الملك ليحصلوا منه على أى شروط فى صالحهم بقدر المستطاع ، وقد سبب هذا الطلب صخبا شديدا بينهم ، ولكنهم بعد أن ناقشوا الموقف ووصل اليهم رفض «ارياوس» وقرروا أن زحفهم لن يكون من الحكمة فى شىء . وقد بدأ تقهقرهم المشهور أثناء الليل فوصلوا ثانية الى المكان الذى غادروه فى اليوم الذى كان قبل المعركة ، وهنا انضموا الى جنود « ارياوس » . وبعد ذلك عقد مجلس حربى أظهر لهم فيه القائد الفارسى أن مسألة المؤنة تقف حجر عثرة فى سبيل تقهقرهم على الطريق التى أتوا منها ونصح لهم باتخاذ طريق أطول نحو الشمال تفاديا من الأخطار وأضاف أنه باقتحام مسلكين أو ثلاثة فى وسط جنود العدو يمكنهم أن ينجوا من جيش الملك العظيم الذى كان جيشه يسير ببطء ، وفى الصباح سارت قوتهم المتجمعة شمالا على حسب الخطة المرسومة ، غير أن دهشتهم كانت عظيمة عندما تصادموا مع جيش الملك العظيم . وقد ارتاع الفرس أكثر من الاغريق الذين كانوا فى فزع طوال الليل ، وفى اليوم التالى بدأت المفاوضات لعقد هدنة على يد « تيسافرنس » ، وبعد نقاش طويل اتفق الطرفان على أن يعود الاغريق الى وطنهم دون أية مضايقة . وأخيرا ساروا فى طريقهم ، وقد صحبهم جنود « تيسافرنس » و « ارياوس » — وقد اصطلح الأخير مع الملك العظيم فى أثناء ذلك — ووصلوا نهر « دجلة » وعبروه على ظهور سبعة وثلاثين قاربا

وقد أدى بهم السير بعد أربع مراحل الى « أوبيس Opis » وموقعها معروف الآن ، وبعد أن مروا بها وصلوا الى نهر « الذاب الأصفر » ، وقد أغرى هنا « تيسافرنس » القائد « كليركوس » وقوادا آخرين الى عقد اجتماع ، ولكنه خانهم وقبض عليهم . على أن هذه المحنة التى تعتبر اقسى محنة مرت بجماعة من الناس فى مركزهم لم تفت فى عضد الاغريق الشجعان وتجعلهم يستسلمون كما كان لابد من حدوثه مع أية قوة أخرى ، وفى الحال انتخبوا قائد الفيلق الأسبرتى قائدا عاما عليهم ، كما انتخبوا « اكزنوفون » اركان حرب له . وبدأ السير من جديد فى وجه الفرس الذين أظهروا لهم العداء صراحة . وقد سار هذا الجيش الصغير مأخوذا بالمدن القديمة الآشورية ، ولكنه على الرغم من الاتفاق الذى حدث بين الطرفين كان يضايقهم من وقت لآخر القائد « تيسافرنس » الذى كانت هجماته على اية حال ضعيفة تنقصها الشجاعة الجريئة ، هذا فضلا عن ان قوته كانت تنسحب مبكرة دائما لأجل أن تعسكر على مسافة من الهيلانيين الذين كان الفرس يخشون بأسهم .

وفى نهاية الأمر تنصل الفرس من القتال ، غير أن الصعاب التى كان يلاقيها « الخالدون » فى جبال « الكرد » وفى هضاب « أرمينيا » كانت أعظم من التى تخلصوا منها من قبل ، وقد كانت هجمات القبائل المتوحشة عليهم تصد باستمرار وذلك باتباع خطط جبلية جميلة كان رجال الهضاب من الاغريق يحذقونها ، كما أنهم كانوا يحصلون على المؤن بوجه عام بشىء من الصعوبة ، غير أنهم كانوا يواجهون مشاق جسمانية عظيمة ، كتحمل سقوط الثلج والبرد الشديد . ومما يدل على قوة هذا الجيش المعنوية وعلى نفوذ « اكزنوفون » عليهم أن خسارتهم فى الأرواح كانت ضئيلة جدا . وقد ساروا قدما مارين الى الغرب من بحيرة « وان » وعبر وسط « آسيا الصغرى » الى أن تسلقوا

اخيرا فى يوم سعيد ممرا رأوا من خــلاله البحر ووصلوا الى « ترابيزوس Trapezus » (ترابيزوند الحالية) بعد أن أتموا عملا عظيما لم يفقــه من قبل عمل آخر مماثل .

حالة بلاد « فارس » و « هيلاس » بعد موقعة « كونكسا »

لقد كان نتيجة طبيعية لهزيمة « كورش » أن تنحل عرى التحالف بين بلاد الفرس و « أسبرتا » التى كانت تعد اقوى بلد فى « هيلاس » وذلك بسبب المساعدة التى قدمتها لــ « كورش » ، وقد وجدنا ن « اسبرتا » قــد ابت كل الاباء أن تطلب الصفح من ملك الفرس العظيم بعد الامتحان الذى اجتازته فى موقعة « كونكسا » بل على العكس استعملت فى آخر الأمر عشرة الآلاف «الخالدين» لحماية هيلاينى «آسيا» من الشطربتين «تيسافرنس» و «فرنابازوس» اللذين كانا يناهض الواحد منهما الآخر ، فكان كل واحد منهما مستعدا ليدفع بسخاء لمساعدة الجنود الاغريق له على مناهضه . وعلى أية حال نجد هنــا ثانية أن الذهب الفارسى كان العامل الأسمى فى كسب الجنود الاغريق . وقد أتى وقت كان من الممكن فيه على ما يظهر أن تنتزع المستعمرات الاغريقيــة وكذلك كل « آسيا الصغرى » النير الفارسى عن عاتقها ، ولــكن الذهب الفارسى تغلب على ذلك ايضا . فمن ذلك ان القائد « أجيســيلاس » الذى كان يقود العمليــات الحربية بمهارة عظيمة ، وانتصر انتصــارا حاسما على « باكتولوس Pactolus » مما أدى الى قتل « تيسافرنس » الفارسى ، قــد طلب اليه العودة الى وطنه لمقابلة الحلف الذى كان قد تألف من « طيبــة » و « أرجوس » و « كورنثا » و « أثينا » على « أسبرتا » . وكان سبب ذلك الطلب نتيجة لدسيسة فارسية يعاضدها الذهب الفارسى حتى لا تقهر الفرس ثانية .

أما « أثينا » فقد أصبحت بدورها حليفة « فارس » ، وقد هزم القائد « كونون Conon » الأسطول الأسبرتى عند « كنيدوس Cnidus » عام ٣٩٤ق.م. وذلك بعد أن كان قد هرب على اثر كارثة « اجوسبوتامى » الى «قبرص» ودخل الجيش الفارسي تحت قيادة «فارنا بازوس» وهزم الأسبطول الاسبرتى عند كنيدس فى عام ٣٩٤ ق.م. وبهـذا النصر أعاد من طريق غير مباشر ل « أثينا » السيادة على البحر . ومتابعة لهذا النصر خرب أسـطول « فارس » بقيادة « فارنابازوس » وقائده الأثينى ساحل «البلوبونيز»واعيد بناء جدران « أثينا » الطويلة تحت اشرافه ، وذلك بمال الفرس الذى كان له الكلمة العليا على النفوس . ولا ادل على تغيير الموقف تماما من ان «طيبة» التى كانت أولا عدوة « أثينا » اللدود قد ساعدت بالاشتراك مع ولايات أخرى فى اقامة هذه الجدران .

صلح « أنتالسيداس Antalcidas » ٣٨٧ ق.م : وبهذه الكيفية نشاهد أن نائب ملك الفرس قد أفلح بسياسته الماهرة التى كانت تنطوى بوجه خاص على جعل الولايات الضعيفة من ولايات «هيلاس» تقوم فى وجه « أسبرتا » ، ومن ثم أعاد توازن القوى فى بلاد الاغريق ، والواقع أن سلطان بلاد الفرس قد أعيد معظمه باظهار ماكان للملك العظيم من قوة بحرية فى مياة «البلوبونيز» التى لم تكن قد نفذت اليها من قبل مما اضطر « أسبرتا » فى نهاية الأمر لطلب الصلح . وقد استمرت المفاوضات تجر أذيالها عدة سنين ، وقد كان سبب ذلك جزئيا على اية حال هو لاعلاء مقام ملك الفرس ، واخيرا بعد ان امضى السفير الأسبرتى « أنتالسيداس » بعض الوقت فى « سوسا » عقد صلحا ، غير أنه لم يكن بمعاهدة بل بمنشور من الملك العظيم اعلن فيه أن كل قارة « آسيا الصغرى » بالاضافة الى « قبرص » و « كلازومون Clazomone »

قد أصبحت تؤلف جزءا من الامبراطورية الفارسية وأن كل حكومة من حكومات « هيلاس » من التى ليست تحت السيطرة الفارسية يجب أن تكون ذات سيادة مستقلة عدا « لمنوس Lemnos » و « امبروس Imbros » ، و « اسكيروس Iskyros » فانها تبقى مع « أثينا » . وهذا الصلح الذى أمضته البلاد الرئيسية من بلاد اليونان كان صالحا جدا لبلاد الفرس ، وذلك انه أعاد لها أملاكها التى كانت قد فقدتها كما منعت أى تدخل فى مستقبل « آسيا الصغرى » من جانب « هيلاس » . وبالاختصار أصبح صلح « كالياس Callias » لاغيا . ولابد أن تفوذ الملك العظيم كان قد ازداد زيادة ضخمة وأن مسئوليات حماية «آسيا الصغرى» قد انتهت . والواقع أن هذا المنشور كان مذلا لـ « هيلاس » ، غير أنه كان لـ « أسبرتا » حسنا ، وذلك لأنها قد استبقت به كل بلادها ، وبذلك كان فى مقدورها ان تلعب دورا رئيسيا فى «هيلاس» الى أن أصبح كأس استبدادها قد فاض وبعد ذلك نال كبرياؤها درسا مذلا فى موقعة «لوكترا Leuctra سنة ٣٧١ق.م. على يد«ابامينونداس» Epaminondas صاحب « طيبة » .

الحملات على « مصر » : لقد كان لاضعاف الحكومة المركزية الفارسية أثر رجعى على مركز « فارس » فى « مصر » مما دعى الى قيام ثورة فيها انتهت باستقلالها عن الحكم الفارسى وقد تحدثنا عن ذلك فى غير هذا المكان عند التحدث عن ملوك الأسرة الثامنة والعشرين وما بعدها .

الحملة على الكادوسيين : وفى خلال هذا العهد قام الكادوسيون بثورة ، فقام الملك « ارتكزركزس » بنفسه لتأديبهم بجيشه الضخم المفكك ، وأهل هذه القبيلة كانوا يقطنون مديرية « جيلان » الحالية ، بالقرب من بحر « الخزر » ، وكان الوصول اليها يكاد يكون ضربا من المستحيل بسبب

ما تحتويه من غابات كثيفة وجبال وعرة وانهار متعددة . وقد قصر الكادسيون حروبهم على المناوشات ، وكان من جراء ذلك أن قطعوا وصول المؤن الى جيش الفرس ووضعوهم فى مواقف حرجة . غير أنه فى نهاية الأمر قد وقع خلاف بين رئيسيهما ، ومن ثم تم الاتفاق على الصلح . وقد عاد الجيش الفارسى الى الهضبة الايرانية سالما ، ولكن دون أن يحرز أى نصر .

الأيام الأخيرة من حكم « ارتكزركزس » : على الرغم من خيبة الحملة على « مصر » وفشلها فشلا ذريعا فان الاغريق الذين قد أعمتهم الغيرة أرسلوا « انتالسيداس » الأسبرتى الى « سوسا » فى عام ٣٧٢ ق.م.. ليحصلوا على مرسوم جديد يكون مضمونه نهاية للمخاصمات القائمة فى « هيلاس » . وفى عام ٣٦٧ ق.م وصل الى بلاط الملك العظيم مبعوثون من « طيبة » وفى السنة التالية وصل آخرون من « أثينا » ، وذلك لانه على الرغم من ضعفه الحقيقى فانه كان معترفا به عموما بوصفه المحكم فى المخاصمات التى تقوم بين حكومات الأغريق ، وهكذا وصلت « هيلاس » الى هذا الحد من الانحطاط فى تلك الفترة .

ومن العجيب أن تقدير مكانة « ارتكزركزس » فى بلاده فى آخر ايام حياته اذا ما قرن بتقديره فى نفوس الاغريق كانت على النقيض . فقد ثار واحد من شطاربته ثم تبعه آخر بثورة أخرى وذلك بسبب غضب ملكى أو من أجل مطامع شخصية . وقد انتهز « تاخوس » ملك « مصر » قيام ثورة فى « سوريا » وغزاها ، ولكن حدث فى أثناء غيابه أن قامت ثورة فى « مصر » بمعاضدة القائد « أجيسيلاس » المسن وهو الذى ظهر بأحط مظاهره فى « مصر » . وقد اضطر « تاخوس » الى الهرب قاصدا « سوسا » . وقد قامت اضطرابات فى « مصر » شلت من نشاطها لمدة سنين كما فصلنا ذلك فى غير هذا المكان

وقد حدث فى وقت أن الامبراطورية الفارسية كادت تتمزق ، غير أن الرشوة والخيانة وحسن الحظ الذى جعل أعداء « ارتكزركزس » يحاربون بعضهم بعضا قد نجىٔ بلاد الفرس من موقفها الحرج .

وقد مات « أرتكزركزس » بعد ان عمر طويلا فى عام ٣٥٩ق.م. وكان قد حكم ٤٦ سنة . وتدل شواهد الأحوال على أنه كان ملكا لين العريكة كريما الى أقصى غاية الجود ، كما كان على استعداد دائما للعفو عن أعدائه ، غير أنه كان واقعا تماما تحت سلطان زوجه « باريساتيس Parysatis » التى كانت تسيطر عليه حتى بعد أن سمت زوجه « ستاتيرا Statira » التى كانت تربط بينها وبينه أواصر الحب . ولقد كان من جراء نصيحتها الآثمة أن ابنها الخائر القوى قد تزوج من أخته « أتوسا » ، وقد حدث من جراء ذلك مصائب فى المستقبل . وبقى علينا أن نضيف الى ما سبق أن « ارتكزركزس » قد اقام تماثيل لالهة الخصب المسماة « اناهيتا Anahita » وبذلك أحدث تطورا محسا فى ديانة الفرس القومية اذ بذلك أدخل فكرة عبادة آلهة الطبيعة وهذه الفكرة سامية بابلية . وأهم من ذلك أن هذا الملك أحيا عبادة الآلهة « مترا Mithra » .

تولى الملك « ارتكزركزس » الثالث الحكم ٣٥٨ ق . م

كان المعتقد ان الملك المسن « ارتكزركزس » الثانى له أكثر من مائة ابن من حظياته اللاتى كن تعد بالمئات ، غير أن معظمهم كان قد مات فى حياة والدهم ، ولم يكن يعتبر من بينهم أبناء شرعيين الا ثلاثة من زوجه الاغريقية « ستاتيرا » وهؤلاء هم «دارا» و«ارياسبس» و«أوكوس» وهم الذين كانوا مرشحين لتولى عرش الملك. وقد نصب «دارا» وليا للعهد منذ بضعة سنين قبل موت والده ، غير أن « أوكوس » الذى كان ماهرا فى الدس وجديرا بأن يكون من نسل « باريساتيس » كان قد أغراه على السعى لقتل الملك المسن الذى ادعى « أوكوس » أنه قد عزم أن يتخطى « دارا » فى تولى الملك . وقد وقع « دارا » فى الشرك وخاب فى مسعاه وحكم عليه بالاعدام . وقد أخاف « أوكوس » كذلك أخاه « ارياسبس » بأنه سيحكم عليه كذلك بالاعدام لاشتراكه فى المؤامرة ، وعلى ذلك انتحر هذا الأمير التعس خوفا من العار . وبهذه الأعمال التى انطوت على الخيانة والغدر قد أصبح وليا للعهد بمساعدة « أتوسا » التى وعدها بالزواج . وعلى أثر موت الملك الذى كان قد عجل موته تلك المآسى الأسرية تولى «اوكوس» عرش الملك باسم « ارتكزركزس » الثالث ، وقد افتتح حكمه بقتل كل الأمراء الذين من دم ملكى . ويقال انه قضى كذلك على الأميرات .

الاستيلاء على « صيدا » وإعادة فتح « مصر » ٣٤٢ ق . م :

لم يكن عرش الملك الجديد بأية حال من الأحوال ثابت الأركان بعيدا عن المخاطر اذ الواقع ان خيبة والده فى فتح « مصر » قد حولت هذه

الأخيرة الى دولة معادية للفرس كما كانت مركزا للمؤامرات على قلب كيان « فارس » كما بينا ذلك من قبل . ولقد كان من الواضح للملك « أوكوس » أنه لن يأمل فى اخماد الثورات التى قامت فى انحاء متفرقة من امبراطوريته الا اذا فتح « مصر » كرة أخرى . وقد ذكرنا أن جيش الملك « نقطانب الأول » قد انزل هزيمة ساحقة بالجيش الفارسى وجعله يفر من أمامه بسرعة هائلة . وفى الحق لم تكن « مصر » فى أى عصر من عصور تاريخها محصنة أكثر من هذه اللحظة ، يضاف الى ذلك أن القوة المعنوية لجنودها الوطنيين كانت عالية الى حد بعيد . وقد كان من نتيجة هذا النصر المصرى على الفرس ان قامت ثورات فى «سوريا» و «آسيا الصغرى» و«قبرص» بل وفى «فنيقيا» كذلك نجد أن الملك « تنيس » ملك « صيدا » حرق القصر الملكى الذى على جبال « لبنان » كما حرقت المؤن التى جمعت هناك لمد الحملة على «مصر» . وقد كان القائد اليونانى للملك « أوكوس » قد انتصر فى « قبرص » ، ولكن نجد فى « آسيا الصغرى » أن شطربة « فريجيا » الثائر قد صمد فى وجه الجيش الفارسى بمعاضدة « أثينا » و « طيبة » ، وكذلك نال « تنيس » ملك « صيدا » نصرا فى « سوريا » بمعاضدة « نقطانب الثانى » الذى أمده بأربعة آلاف محارب من الجنود الاغريق المرتزقين .

ولم يكن « أوكوس » بالملك الضعيف مثل والده اذ قد جند جيشا جبارا آخر وسار به بنفسه على « صيدا » التى كانت محمية بجدران عالية وثلاثة صفوف من الخنادق . ولكن لما أراد « تنيس » أن ينجى نفسه خان رؤساء المدينة وأوقعهم فى يد ملك الفرس ، كما أن الجنود الاغريق الذين أرسلوا من « مصر » قد أغروا بالدينار الفارسى ، وعندئذ لم يعد الصيدون يفكرون فى أية محاولة للدفاع عن بلدهم. وقد ذبح ممثلوهم الذين بلغ عددهم خمسمائة

بأمر هذا الملك المتعطش للدماء . أما باقى أهل المدينة فقد عزموا أن يعملوا من أنفسهم ومن أسرهم ومنازلهم وقودا تأكله النار ، وقد نفذوا مقصدهم المخيف وعندما دخل « أوكوس » المدينة لم يجد الا كومة من الخرائب . وقد باع هذه الخرائب بمبلغ عظيم من المال للباحثين عن الكنوز . أما «تنيس» الخائن فقد حكم عليه بالاعدام ونفذ فيه بمجرد الاستيلاء على « صيدا » ، وقد سلمت المدن الفنيقية الاخرى نتيجة لذلك . لم يتأخر الجيش الفارسى فى « صيدا » الا زمنا قليلا ثم عاود السير فى طريقه جنوبا على الطريق القديمة المؤدية الى « مصر » وتم له فتحها كما شرحنا ذلك من قبل .

قتـــل « ارتكزركزس » ٣٣٨ ق . م

كان من أثر فتح « مصر » أن هـدأت الأحوال فى الجـزء الغـربى من الأمبراطورية الفارسية . فقد هرب « أرتابازوس » الذى أعلن الثورة لمدة عدة سنين الى « مقدونيا » ، يضاف الى ذلك أن ملوكا آخرين أسرعوا بتقديم خضوعهم للفرس . أما الولايات الاغريقية المناهضة بعضها بعضا فقد أخذت تملق الملك العظيم وأسرعت فى تنفيذ أوامره متعطشة للاصفر الرنانالفارسى، ومع كل ذلك فان حالة الشطربيات كانت قد تغيرت عما كانت عليه أيام« دارا الأول » فنجد ان مديريات « بحر قزوين » التى كاد يكون الوصول اليها مستحيلا قد استعادت استقلالها . أما « البنجاب » فقد نفضت عن نفسها سلطان الفرس ، ونجد فى أماكن أخرى تراخيا فى القبض على زمام الأمور للمحافظة على كيان الأمبراطورية الشاسعة والابقاء على وحدتها . يضاف الى ذلك ان ادارة البلاد كانت فى قبضة الخصى « باجواس » ممـا جعل نظـام الحكومة فى تحسن ، غير أن قوة بلاد « مقدونيا » التى كانت آخذة فىالظهور قد حتمت النظر اليها بعين حذرة والعمل على الكبح من جماحها ، ومما يؤسف

له أن سياسة هذا الخصى قد فشلت بالدسائس التى أصبحت خطيرة حتى أنه وجد نفسه فى نهاية الأمر مضطرا فى عام ٣٣٨ق.م. أن يقتل سيده الملك عندما وجد أنه لا مفر من قتله هو اذا سكت عنه ، وكذلك قتل معظم أولاد الملك ولكنه وضع « أرسيس » أضعفهم على عرش الملك وحتى هذا الفتى عندما ظهرت منه بادرة على أنه يريد أن يستقل بالملك قتله هذا الخصى الذى لا رحمة فى قلبه .

تولى « دارا (كودومانوس) Codomannus » ٣٣٦ ق . م :

وبعد ان اودى هذا الخصى بحياة « ارمسيس » انتخب فردا يدعى « كودومانوس » وكان مغمور الذكر ولكن من المحتمل أنه كان من فرع من نسل الأخمنيسيين ، وقد تولى عرش الملك باسم « دارا الثالث » . ولما كان يعد آخر فرد من أسرة عظيمة فانه جلب اليه بذلك بعض العطف من الأهلين. وكان قد نال شهرة بما أبداه من شجاعة فى الحملة على الكادوسيين وذلك بقتله أحد جبابرة رجال هذه القبيلة فى مبارزة واحدة ، وبعد ذلك عين شطربة على بلاد « أرمينيا » مكافأة له . وتدل أخلاقه على أنه كان أكثر كرما وأقل رذيلة ممن سبقوه على عرش الملك مباشرة . ولذلك فانه لو كانت احوال عهد توليه الملك عادية ، لحكم بصدق واخلاص ، ولكن لسوء حظه ظهرت مملكة جديدة قوية فى الغرب يقودها أعظم جندى ظهر فى كل الأزمان ، وعلى الرغم من أن « دارا » كانت تسانده كل موارد الامبراطورية الفارسية فانه ارتعدت فرائصه وسقط أمام الهجوم النارى الذى قام به « الأسكندر الأكبر » على كل العالم المتمدين وقتئذ بما لم يعرف مثله فى التاريخ القديم .

ملحق

قصة « قناة السويس » من أقدم العهود حتى نهاية القرن التاسع عشر

استعراض وتحليل

مقدمة : حينما يتحدث المؤرخون والسياسيون المحدثون عن « قناة السويس » تنصرف فى الحال أذهانهم وتتجه أفكارهم الى تلك الفترة الزمنية التى عاش فيها « فردنندیلسبس » أى الى باكورة النصف الأخير من القرن التاسع عشر بعد الميلاد ، وكأن آلاف السنين التى سبقت تلك الفترة من تاريخ هذه القناة ، ومامر عليها من احداث وتقلبات صحفية بيضاء لا تجذب نظر الجم الغفير من المثقفين وأشباه المثقفين .

والواقع أن انشاء قناة تربط بين البحرين الأبيض والأحمر فكرة قديمة ترجع الى آلاف السنين ، وقد احتلت مكانة رفيعة فى تاريخ « مصر » بخاصة وفى تاريخ الشرق القديم بعامة ، فى وقت كانت فيه « أوروبا » تعيش فى طى الجهالة ولا يعلم عنها شىء فى العالم المتمدين .

تاريخ حفر أول قناة وتطورها

ولعل أول تفكير فى ايصال البحر الأحمر بالبحر الأبيض المتوسط بقناة متفرعة من نهر النيل يرجع الى عهد الأسرة الثانية عشرة المصرية حوالى ٢٠٠٠ ق.م. ، ويجوز أن يكون التفكير فى ذلك سابقا لهذا العهد بقليل كما سنرى . وعلى الرغم من أن الوثائق المصرية الأصيلة لم تحدثنا عن هذه القناة وانشائها فى هذه الأزمان القديمة ، الا أن البحوث الجيولوجية والهندسية وما كتبه المؤلفون القدامى من اغريق ورومان نقلا عن قدماء المصريين يدل صراحة لا على

وكان الغرض منها واحدا وهو ربط البحرين الأحمر والأبيض بوساطة قنـــاة نيلية تسهيلا للتجارة .

العثور على آثار قنوات ثلاث

ويدل البحث الهندسى حتى الآن على وجود آثار ثلاث قنوات وهى (١) « قناة ثاروا » تل أبو صيفة الحالية وتبعد حوالى أربعة كيلو مترات من « القنطرة » الحالية) ويسميها الأثرى « كليدا » « قناة الجفار » (٢) و«قناة الفراعنة » أو « القناة القـــديمة » (٣) واخـــيرا قناة « بطليمـــوس الثانى » « فيلادلف » .

اصلاح قناة « بطليموس الثانى » بعد ردمها

وفى العهد الرومانى نجد أن الأمبراطور « تراچان » الرومانى (٩٨ ـــ ١١٧ ميلادية) قد شرع فى اصلاح قناة « بطليموس فيلادلف » وجعلها صالحة للملاحة غير أن الذى أتم اصلاحها هو خلفه وربيبه العاهل « هدريان » ، ولكنها ردمت بعد ذلك الى ان جاء العهد الاسلامى وامر « عمر بن الخطاب» بتطهيرها ، وبقيت مستعملة للملاحة الى عهد « أبى جعفر المنصور » الذى أمر بسدها عند « السويس » لأسباب سياسية بحتة .

«هارون الرشيد» والتفكير فى انشاء قناة مباشرة بين البحرين وفضل مؤرخى العرب

وقد أراد بعد ذلك « هارون الرشيد » أن يصل البحرين ، غير أنه أحجم عن التنفيذ لأسباب سياسية ، ومنذ عهد « الرشيد » لم يفكر أحد بصفة جدية فى احياء التجارة بحفر قناة تربط بين البحرين الى أن جاء « فردنند دلسبس » وحفر قناة « السويس » الحالية . وقد أخذ فكرتها عن العرب مباشرة الذين يرجع الفضل الى مؤرخيهم فيما دونوه من ايضاحات جلية عن فكرة انشاء قناة

توصل مباشرة بين البحرين ، ومن ثم نفهم ونرى أن الغرب لم يأت بفكرة جديدة يفخر بها على الشرق فى موضوع القناة .

طبيعة الاقليم الذى حفرت فيه القناة وخصائصه :

وسنحاول هنا أولا أن نلقى نظرة خاطفة على الأقليم الذى تقع فيه هذه القناة أو تلك القنوات لنصل من طبيعة تكوينه الى الأسباب التى حدت بالمصريين القدامى أن يختاروا لهذه القناة هذا الأقليم بالذات ، ثم نورد بعد ذلك بعض ما كتبه المؤرخون القدامى على حسب ترتيبهم الزمنى .

واذا فحصنا مصور برزخ « السويس » والاقليم الذى ينحصر بين البحرين الأبيض والأحمر وصحراء العرب من الوجهة الجغرافية ، وكذلك اذا حاولنا أن نحدد ماهية هذا الأقليم خلال العصور التاريخية وجدنا أن طبيعة تربته تكشف لنا عن خصائص ومميزات تدفع الانسان دفعا الى انشاء مواصلات مائية وذلك بحفر ترعة تخرج من النيل تضم البحيرات والبرك المتناثرة فى هذه المنطقة فتربط البحرين الأبيض والأحمر .

وقد دلت البحوث الجيولوجية حديثا على أن البحر الأحمر والبحر الأبيض كانا متصلين معا فى أزمان موغلة فى القدم بوساطة النيل . فلا غرابة أن تعاي‍ هذه الفكرة أذهان الباحثين من وقت لآخر وها هى تلك الخصائص :

(١) يشاهد فى غرب هذا الأقليم النيل بفروعه السبعة الطبيعية القديمة ، وقنوات أخرى من صنع الانسان القديم . ويلفت النظر بوجه خاص بقايا الفرعين « التنيسى » (نسبة الى بلدة « تانيس » = « صان الحجر ») « والبلوزى » (نسبة الى بلدة « بلوز » = « الفرما » الحالية) وكذلك بقايا قنوات متفرعة من النيل فى اقليم « القاهرة » .

(٢) ويشاهد فى الشمال الغربى منه « بحيرة المنزلة » التى كانت تفصلها عن البحر الأبيض سلسلة جزر صغيرة .

(٣) كما يشاهد كذلك فى الشمال من أسفل هذا الأقليم منخفض « بحيرة البلاح » وحوض « البحيرات المرة » والبطاح المتجهة نحو البحيرة المرة الصغرى ثم مستنقع « السويس » الصاعد نحو الشمال حتى بلدة « الكبرى » القريبة من البحر الأحمر .

ويلفت النظر أن سلسلة المنخفضات السالفة الذكر قد فصل بعضها عن بعض بثلاثة سدود هى :

ا ـ سد « الجسر » : وهو أعلاها وأقدمها ويقع بين بحيرة « البلاح » وبحيرة « التمساح » .

ب ـ سد « السرابيوم » : ويقع بين بحيرة « التمساح » والبحيرة المرة الكبرى .

حـ ـ سد « الشلوفة » : وهو أكثر هذه السدود انخفاضا ويقع بين مستنقعات البحيرة المرة الصغرى ومستنقع « السويس » .

(٤) ويشاهد بين الجبال المتفرعة من جبل « المقطم » « وادى طميلات » الذى يربط نهر النيل بسهل الدلتا ومنخفض بحيرة « التمساح » .

وفى استطاعة الباحث فى هذا الموضوع بعد درس المتون القديمة التى عثر عليها فى هذا الأقليم او الخاصة به أن يتصور ما كان عليه الأقليم المذكور فى عهد الدولة المصرية وبخاصة فى عهد « سيتى الأول » ومن بعده ابنه « رعمسيس الثانى » (حوالى ١٣٠٠ ق.م.)

فرع النيل البلوزى وصلته بهذا الاقليم

وقد كان الحد الغربى لهذا الأقليم فرع النيل البلوزى . وتدل شواهد الأحوال على أن هذا الفرع من النيل قد بقى صالحا للملاحة طيلة عهد ملوك البطالمة ومدة حكم أباطرة الرومان ، ويحتمل أنه ظل على هذه الحال خلال القرون الأولى من الفتح العربى على الرغم مما ذكره « المقريزى » من أن اقليم بحيرة « المنزلة » كان مغمورا بالمياه عام ٥٣٥ ميلادية .

الجهات التى كان يرويها فرع النيل البلوزى

وتدل الأسانيد التاريخية على أن مياه فرع النيل البلوزى كانت تغمر جدران مدن « عين شمس » و « تل بسطة » و « تل ادفينا » وحقولها ، فكانت اذا مياه هذا الفرع تروى فى الواقع مقاطعة « عين شمس » (وهى المقاطعة الخامسة عشرة من مقاطعات الوجه البحرى) ومقاطعة « تانيس » (وهى المقاطعة السادسة عشرة من مقاطعات الوجه البحرى وموقعها الآن حول « صان الحجر » الحالية) .

القنوات المتفرعة من الفرع البلوزى

وكان يتفرع من الفرع البلوزى من أعلاه من الشمال الشرقى عند مدينة « أدفينا » القديمة قنوات ذكرها الجغرافى «استرابون» (حوالى عام٥٨ق.م.) وقد اتضح أنها تغذى سلسلة البحيرات والبرك التى تشاهد بقاياها فى بحيرة « البلاح » التى كانت تدعى قديما بحيرة « ثارو » (« تل أبو صيفه » الحالية القريبة من بلدة « القنطرة ») .

بحيرة « ثارو » الحد الطبعى للدولة المصرية

وكانت بحيرة « ثارو » تعد الحد الطبعى للملكة المصرية وتقع بين الفرع البلوزى ومنخفض بحيرة « التمساح » . ويشاهد شمالى هذه البقعة

شريط من الأرض الصلبة كان يعد طوارا يؤدى الى بلاد آسيا .

وتقع بلدة « ثارو » على الشاطىء الشمالى الشرقى لبحيرة « البلاح » وقد بقيت باسم « سيلة » فى العهد الرومانى .

وهذه البحيرات والبرك كانت تمتد حتى سد « الجسر » الذى يعد أول سد أقيم فى مدى الدهور على طول الخليج العربى (أى خليج «السويس») وبطاحه .

ويشاهد فى جنوب هذا السد بحيرة « التمساح » التى كانت منخفضا عميقا ممتدا تجاه البحيرات المرة بمستنقعات . هذا ويوجد كثيب من الرمال والحصباء يقسم هذا المنخفض حوضين . ويؤلف كل من سد « الجسر » وسد « السرابيوم » والكثيب الذى بين حوضى بحيرة « التمساح » طرقا طبيعية كان لابد من العناية بها والمحافظة عليها .

معقل مدينة « تكو » (تل المسخوطة)

ومن أجل ذلك نجد أن مدينة « تكو » قد أقيمت فى هذه البقعة لتكون معقلا لحراسة الحدود . وكانت تعد مركزا حربيا وبحريا فى الجزء الخلفى من منخفض بحيرة « التمساح » والواقع أنها كانت تعد مفتاح وادى «طميلات» .

مدينة « تاوباستو » (« العباسية » الحالية)

وعلى مسافة من معقل مدينة « تكو » تقع مدينة « تاوباستو » التى أقيم على أنقاضها قرية « العباسية » الحالية وهى مدينة اغريقية أقيمت فى العصر اليونانى .

اتصال حوض البحيرات المرة بالبحر الأحمر

وقد دلت البحوث الحديثة على أنه من المحتمل جدا أن حوض البحيرات المرة الحالى كان لا يزال متصلا بالبحر الأحمر على الأقل فى عهد « رعمسيس

الثانى » بقنوات متعرجة ضيقة ، غير أنها لم تكن قديرة على حمل سفن هذا العهد .

« كم ور » الاسم القديم لحوض البحيرات والمستنقعات المتصلة به

ويؤلف حوض البحيرات المرة الحالى والمستنقعات المتصلة به شمالا وجنوبا والقنوات الصغيرة التى تربط هذا الحوض بمستنقع « السويس » الحالى ما كان يطلق عليه قديما المصريون القدامى اسم « كم ور » (= الماء الآسن الراكد) .

وادى « طميلات »

ومن أهم الخصائص البارزة التى اتسم بها هذا الأقليم الواقع على الحدود وجود الوادى الذى يطلق عليه اسم « وادى طميلات » . وهذا الوادى ينحصر بين جبال المحاجر الواقعة جنوبه وشماله وهضبة الصحراء الواقعة بين الفرع البلوزى وبحيرة « ثارو » (= بحيرة « البلاح ») .

ويربط كذلك هذا الوادى بين حقول مدينة « بوبسطة » (« الزقازيق » الحالية) وبين منخفض بحيرة « التمساح » ثم ينفرج عند شرقى بلدة « صفط الحناء » الحالية وهى بلدة « سبد حنو » القديمة وتقع على مجرى الفرع البلوزى الأسفل . وتدل البحوث الأثرية والهندسية على أن هذا الوادى كان يؤلف فرعا قديما من فروع النيل يصب ماءه فى خليج « السويس » .

تاثير الطبيعة فى اقليم وادى « طميلات »

وقد لوحظ فى خلال القرن التاسع عشر الميلادى قبل القيام بأى مشروع حديث أن مياه الفيضانات العظيمة التى تحمل الى البلاد الخصب كانت تصل الى بحيرة « التمساح » الحالية ، وعلى ذلك نفهم مما سبق أن الطبيعة قد

رسمت بصورة واضحة لفراعنة « مصر » طريق المواصلات التى كان لابد من اتخاذها والعمل على انجازها بين النيل والبحر الأحمر لتحمل عليها سلع التجارة الى « مصر » من بلاد « بنت » الواقعة على البحر الأحمر وحول « الصومال » و « اليمن » ومن بلاد « الهند » وغيرها فيما بعد.

سياسة الفراعنة بالنسبة لهذا الاقليم

لم تكن سياسة الفراعنة حيال « قناة السويس » تدور حول الاقتصاديات وحدها ، ولم يكن خليج « السويس » عند الفراعنة طريقا تجارية وحسب بل ان أهميته كانت فوق ذلك ، فقد كان يعد خط دفاع للملكة المصرية تجب حراسته ، ولا ادل على ذلك من أن غزو كل من « قمبيز » ملك الفرس و « الأسكندر الأكبر » المقدونى للبلاد المصرية جاء عن طريق « بلوز » (= الفرما) و « ثارو » (= تل أبو صيفة) و « تكو » (= تل المسخوطة) هذا بالاضافة الى مراكز حصينة اخرى مثل المجدل الشمالى الواقع عند « تل الهر » الحالى والمجدل الجنوبى الواقع عند « جنيفة » (فى أسفل البحيرة المرة الكبرى) ، ويحتمل كذلك أنه كان يوجد حصن آخر يحتل موقع « القلزم » (= السويس) ليكون سدا منيعا فى وجه الآسيويين ، وهذا الحصن كان يدعى « جدار الأمير » وكان يعد فى نظر المصريين خط دفاع عن الدولة المصرية.

ما ورد فى المؤلفات الإغريقية والرومانية عن « قنـاة السويس »

(١) كانت أول وثيقة صريحة جلية وصلت الينا من كتاب الأغريق الأقدمين عن قناة للملاحة تربط بين البحرين الأحمر والأبيض بوساطة النيل هو المتن المشـــهور الذى أورده « هردوت » فى كتابه الثـــانى من تاريخه العـــام . (راجع Herod. II, 158) .

(٢) ما جاء فى ملحمة « الاودسى » عن « قناة السويس »

أما ما ورد فى ملحمة « الأودسى » المنسوبة للشاعر الاغريقى « هومر » فقد جاء فى عهد سابق للجغرافى « استرابون » (Strabon I § 31) فقد أشار هذا الجغرافى الى ماجاء فى « الأودسى »(Odysseé IV) فى سياق كلام بطل الملحمة « منيلاس » الذى يقول : « وبعد ثمانى سنوات عدت الى وطنى وقد جبت « قبرص » و « فنيقيا » و « مصر » وزرت كلا من الأثيوبيين والصيديين ، والأرميس (سكان الكهوف) . واللوبيين جميعهم ، وقداستنبط «استرابون» أن « منيلاس » قد مر بسفنه فى القناة النهرية التى كانت تجرى فى زمنه بين النيل والبحر الأحمر . وقد اعترض بعض المؤرخين المحدثين على صحة هذا الخبر مدعين أن « استرابون » قد بالغ فى قدم حروب « طـــروادة » ، غير عالمين أن الحفائر الحديثة فى موقع « طروادة » القديمة الواقعة على ســـاحل « آسيا الصغرى » قد برهنت على أن تاريخ هذه الحروب يرجع الى ما قبل القرن الحادى عشر قبل الميلاد بكثير . وسنرى بعد ان هذه القناة على حسب الروايات القديمة التى وصلت الينا قد حفرت فى بداية الألف الثانية قبل الميلاد ، وعلى هذا الزعم يصبح من الجائز جدا أن « منيلاس » كان قد مر بقناة « السويس » فى رحلته على الرغم من أنه لم يذكر لنا ذلك صراحـــة فى كلامه .

ما جاء فى هردوت « عن قناة السويس »

واذ كنا سنورد هنا تباعا ملخصات للنصوص التى وصلت الينا من العهدين الأغريقى والرومانى فاننا سنورد حرفيا ما ذكره « هردوت » لأهميته البالغة، اذ قد عاش فى زمن كانت القناة فيه مفتوحة للتجارة فاستمع اليه وهويتحدث عن « بسمتيك الأول » مؤسس عهد النهضة فى « مصر » وعن « نكاو » ابنه الذى كان اسطوله سيد بحار العالم فى التجارة والحرب فى نهاية القرن السابع وباكورة القرن السادس قبل الميلاد .

(١) متن « هردوت »

« وقد كان لهذا الملك « بسمتيك » ابن يدعى « نكاو » خلفه على العرش ، وكان هو أول من بدأ حفر القناة التى تجرى لتصب فى البحر الاحمر ، وكان « دارا » ملك الفرس ثانى ملك اهتم بها وكان طولها أربعه أيام بالسفينة ، وكانت تتسع لسير سفينتين فيها متحاذيتين ، وكان ماؤها يخرج من النيل من فوق مدينة «بوبسطة» (= «الزقازيق» الحالية) بمسافة قليلة ، وتمر بمدينة « باتوم » وهى مدينة فى مقاطعة العرب (هى فى الواقع مدينة « بيثوم Pithom » المذكورة فى سفر الخروج) وتسير لتصب فى البحر الاحمر . وتبتدىء فتحة هذه القناة فى ريف « مصر » (الدلتا) من جهة مقاطعة العرب وتستمر جارية فى أعلى هذا الريف محاذية جبل المحاجر المجاور لمدينة « منف » . وهكذا فان هذه القناة الطويلة التى تجرى من الغرب الى الشرق تمر بسفح الجبل السالف الذكر ، ومن ثم تجرى مخترقة الأودية الصغيرة التى تحملها من الجبل حتى الخليج العربى (خليج السويس) . وأقصروأسهل طريق للصعود من البحر الابيض المتوسط الى بحر الجنوب المسمى البحر الأحمر هو من جبل « كاسيوس » الذى يفصل « مصر » عن « اسيا » ،

وذلك لأنه لا يوجد الا ألف استاديا (١) من هناك حتى خليج العرب والقناة أطول من ذلك بقليل لأنها اكثر تعرجا . وفى أثناء انشغال « نكاو » بالقناة المذكورة مات فيهاماية وعشرون ألف مصرى ، وقدأمر بوقف العمل بسبب ذلك ، وكذلك نزل عليه وحى معترضا سير العمل فيها قائلا : أن همجيا سينجزها » ، وقد كان المصريون يسمون كل الأمم التى لا تتكلم لغتهم همجا.

(٢) « ارسطو » (ارسطوطوليس) :

وفى حين نفهم من قول « هردوت » صراحة أن « دارا » قد اتم القناة « نقرأ فى « أرسطو » مايأتى (راجع Meteorologie, Liv, 1, XIV » .

نحن نعتبر أقدم البشر هؤلاء المصريين الذين تظهر كل بلادهم قاطبة من عمل النيل ولا تعيش الا به . وهذه الحقيقة تفرض نفسها على أى فرديجوب هذه البلاد . ولدينا شاهد ظاهر نجده فى اقليم بحر « اريترى » (البحر الأحمر) والواقع ان احد الملوك شرع فى القيام بحفر البرزخ ، فان جعل هذا الممر صالحا للملاحة كان له فائدة عظمى ، والظاهر ان « سيزوستريس » هو اول الملوك القدامى الذين تبنوا هذاالعمل ، ولكنه قد لحظ ان مستوى الاراضى كان أكثر انخفاضا عن مستوى البحر » .

(٣) « ديودور الصقلى »

ويصادفنا بعد « أرسطو » ممن تكلموا عن قنـاة « السويس » المؤرخ « ديودور الصقلى » . (راجع Diodorus Siculus I § 33. Trans. C. H. Old father. The Loeb Classical Library) فاستمع لما يقول :

« ينقسم النيل فى مجراه فى « مصر » عـدة أفرع فيؤلف الاقليم الـذى

(١) الاستاديا مقياس يساوى ستماية قدم .

يسمى من شكله « الدلتا » . ويحد جانبا الدلتا بفرعيه الخارجيين فى حين ان قاعدتها هى البحر الذى يصب فيه الماء من مصبات النهر العدة ، ويفرغ النهر ماءه فى البحر بسبعة مصبات او لها من الشرق يسمى الفرع « البلوزى » والثانى « التنيسى » ، وبعد ذلك الفرع « المنديسى » فالفرع « الفتنيتى » فالفرع « السمنودى » فالفرع « البوليبيتى » وأخيرا الفرع « الكانوبى » وهو الذى يسمى كذلك « الهيرا كلوتى » ، وهناك كذلك مصبات اخرى عملتها يد الانسان ، وليس لدينا سبب خاص للكتابه عنها . وتوجد عند كل مصب مدينة مسورة يشقها النهر قسمين ومجهزة على كل جانب من المصب بجسور متنقلة وبيوت حراسة فى نقط ملائمة . ويخرج من الفرع « البلوزى » قناة صناعية تجرى الى الخليج العربى [1] والبحر الأحمر ، وكان « نكاو » بن « بسمتيك » هو اول من اقام بناءها ، وقد عمل فيها الملك «دارا» الفارسى مدة ولكنه تركها نهائيا دون ان تتم لأن بعض الناس أخبروه أنه اذا حفر البرزخ كان مسئولا عن اغراق « مصر » لأن مستوى البحر الاحمر فى نظرهم كان أعلى من أرض « مصر » . وفى زمن متأخر عن ذلك أتمها « بطليموس الثانى » وأقام فى أقوى نقطة فيها نوعا من الأهوسة وكان يفتح الهويس حينما يريد المرور فيه ثم يغلق ثانية بسرعة، وقد أسفر استعماله عن أنه مخترع ناجح مفيد . والنهر الذى يصب فى هذه القناة يدعى « بطليموس » باسم من أقامه وتقع عند مصبه المدينة التى تدعى « أرسنوى » (وهى زوج « بطليموس الثانى ») .

« استرابون »

ويأتى بعد « ديودور الصقلى » الجغرافى « استرابون » (حوالى ٦٦

(١) المقصود بالخليج العربى فى كل هذا المقال هو خليج السويس .

ق. م.) ويحدثنا بوضوح أكثر من « ذيودور » عن القناة (راجع
(Strabo XVII. Chapter I § 24, 25. The Loeb Edition p. 75).
نقلا عن « أرتميدورس » الجغرافى (عام ١٠٠ ق. م.) فاستمع لما يقول :
ويضيف « أرتميدورس » قائلا : « ان أول قناة عندما يبتدىء الانسان من « بلوز » هى القناة التى تملأ البحيرات المستنقعة كما تسمى ، وهما اثنتان فى العدد وتقعان على الجهة اليسرى من النهر الكبير فوق « بلوز » فى مقاطعة العرب ، وهو يتحدث كذلك عن بحيرات أخرى وقنوات فى نفس الأقليم خارج الدلتا . وهناك كذلك مقاطعة « ستوريت » (« صان الحجر » الحالية) بالقرب من البحيرة الثانية ، وذلك على الرغم من أنه يعد هذه المقاطعة واحدة من المقاطعات العشر التى فى الدلتا . وتتقابل قناتان أخريان فى نفس البحيرة . وتوجد قناة أخرى تصب ماءها فى البحر الأحمر والخليج العربى بالقرب من مدينة «ارسنوى» وهى مدينة يطلق عليها بعض الكتاب اسم « كليوباتريس » وهى تصب كذلك فى البحيرات المرة كما تسمى ، وقد كانت حقيقة مرة فى الأزمان المبكرة ، ولكن عندما حفرت القناة السابقة الذكر تغير ماؤها وذلك بسبب اختلاطه بالنهر ، وهى الآن مزودة بالسمك مملوءة بالطيور المائية . وكان أول من حفر القناة هو الملك « سيزوستريس » قبل حروب « طروادة » ، وان كان البعض يقول أن ابن « بسمتيك » ابتدأ فيها فقط العمل ثم مات ، وخلفه فى العمل فى القناة « دارا الاول » ، ولكنه بدوره كذلك قد ترك العمل فيها بسبب فكرة خاطئة راودته عندما كانت القناة على وشك أن تتم ، فقد اقتنع أن ماء البحر أعلى مستوى من أرض « مصر » ، وانه اذا قطع البرزخ « الذى بينهما فى كل طوله فان البحر سيغرق البلاد . وعلى أية حال فان ملوك البطالمة قد قطعوا البرزخ طولا وجعلوا البوغاز ممرا مقفلا

فكان فى مقدورهم ان يسيحوا عندما يريدون دون عائق فى عرض البحر ويدخلون فى القناة ثانية ... » .

(٥) « لوسيان »

وفى عصر الرومان يحدثنا « لوسيان » وقد عاش فى القرن الثانى بعد الميلاد (ولد فى عام ١٢٥ ميلادية) وشغل وظائف عامة فى الحكومة المصرية حوالى عام ١٧٠ ميلادية أى بعد الأعمال التى قام بها الأمبراطور « هدريان » فيقول : « ان سائحا فى عهده أقلع من « الأسكندرية » وساح فى النيل حتى « كلزما » (أى «القلزم») [1] . وقد أغرى بالذهاب حتى بلاد الهند » .
(راجع Laurand, Manuel des Etudes grecques et Latines, p. 275.)

(٦) « بلينى » القديم

ومن بين المؤلفين الرومان « بلينى القديم » (٢٤ — ٧٩ ميلادية) الذى كتب عن خليج العرب ما يأتى : (راجع Liv VI, Chapter XXX III)

« ويتفرع من الخليج الألانتيكى Aelantique خليج آخر يسميه العرب « أيانت Aeant » وقد أقيمت عليه مدينة « هيروس Heros » ، وهناك كانت توجد كذلك « كامبيسو Cambysu » الواقعة بين « نيلوس Neios » و « مارشاداس Marchadas » حيث كان يقاد مرضى الجيش ، وهناك ميناء « دانون Danéon وهى مؤسسة صيدية منها خرجت قناة للملاحة حتى النيل يبلغ طولها ٦٢٠٠٠ خطوة حتى الدلتا ، (وهذه هى المسافة التى بين النهر والبحر الأحمر) حفرها أولا « سيزوستريس » ملك « مصر » ثم « دارا » ملك الفرس وأخيرا « بطليموس الثانى » ، وهذا الأخير عمل قناة عرضها ماية قدم وعمقها أربعون قدما (وفى رواية أخرى ثلاثون قدما) »

(١) القلزم = السويس الحالية .

وطولهـا ٣٧٥٠٠ خطوة حتى حوالى البحيرات المرة ، ولم تتم خـوفا من الفيضان ، وذلك لأن البحر الأحمر كان منسـوبه أعلى من أديم « مصر » بثلاثة أذرع . ويقول آخرون ان هذا لم يكن السبب الحقيقى ولكن كان السبب الخوف من أن يفسد ماء البحر ماء النيل العذب الصالح للشرب .

(٧) « جرجوار الطورى »

هذا المؤرخ الفرنسى كتب تاريخه حوالى عام ٥٦٧ ميلادية عن « فرنسا » وقد كانت عادة أمثال هؤلاء المؤرخين أن يبتدءوا تاريخهم بنبذة عن تاريخ العالم . وقد نقلت النبذة التالية عن « قناة السويس » من تاريخه : « يجرى النيل من الغرب الى الشرق نحو البحر الأحمر . وتمتد فى الغرب بحيرة حقيقية بمثابة ذراع من البحر الأحمر تجرى نحو الشرق طولها نحو خمسين ميلا وعرضها ثمانية عشر . وتوجد عند رأس هذه البحيرة مدينة «كلزما»(القلزم) ولم تقم هناك لأن الموقع خصب التربة فانه لا توجد تربة أكثر جدبا من هذا المكان ، ولكنها أقيمت بسبب الميناء ، وذلك لأن السفن التى تأتى من الهند ترسو هناك بسبب صلاحية هـذه الميناء ، وقد كانت توزع منها السـلع المستوردة على كل « مصر » . وكان اليهود الذين يهتدون فى سيرهم نحو هذه البحيرة فى أثناء اقتحامهم الصحراء يصلون الى هذا البحر وعندمايجدون هناك الماء العذب يضعون رحالهم . (راجع Les Sources de l'Histoire de France, I, p. 58, ff).

(٨) الراهب « فيدليس Fidelis »

عاش هذا الراهب فى خلال القرن الثامن الميلادى حوالى عام ٧٥٠ وقد ذكر لرئيسه « سويبنوس Suibneus » مايأتى :

« .... وبعد ذلك نزلوا في السفن وساحوا فى النيل حتى مدخل البحر الأحمر الواقع على الشاطىء الشرقى حتى الطريق التى قفاها « موسى » الى البحر الاحمر . »

وقد أدي الراهب « فيدليس » فريضة الحج عن طريق « سيناء » مارا بـ « القلزم » و « الطور » . وقد نزل فى سفينة فى النيل وسار فى القناة حتى « القلزم »ومنها ركب السفينة الى « الطور » . ومن ثم نلمس حقيقة آكيدة لشاهد عيان وهو رجل قام بهذه السياحة فى القرن الثامن الميلادى أى قبل اختفاء القناة بقليل . وقد زار « فيدليس » دير « سنت كترين » فى عام ٧٥٠ ميلادية ، وهذا يخالف ما قاله « لانجلى Langlés » من أن الملاحة فى القناة قد ظلت قائمة حتى عام ٧٢٠ ميلادية .

ما جاء فى المصادر العربية عن « قناة السويس »

نحن نعلم مما كتبه مؤرخو العرب أن القناة التى كانت بلا شك قد أهملت فى عهد البطالمة المتأخرين واستعمل بدلا منها الطريقان البريتان اللتان تؤدى احداهما الى « برنيقه » والأخرى الى ميناء « ميوس هرموس » الواقعة على البحر الأحمر بالقرب من « جاسوس » قد طهرت وأصبحت صالحة للملاحة فى عهد الحكم الرومانى وبخاصة فى حكم الامبراطور «تراجان» ، وفى عهد ربيبه الإمبراطور « هدريان » ، ثم أصلح من شأنها فيما بعد بامر « عمر بن الخطاب » بعد أن ردمت زمنا طويلا ، وقد وصلت الينا أخبار القناة من عدد من الكتاب العرب نذكر منهم :

(١) « الفرجان »

كتب هذا المؤرخ فى عام ٨٢٨ ميلادية ما معناه : ان قناة « تراجان » التى

تمر بـ « بابليون (١) مصر » . كما يقول « بطليموس » الجغرافى بألفاظ صريحة هى نفس القنــاة التى سميت « خليج أمير المؤمنين » وهو الذى يجــرى بمحاذاة « الفسطاط » . وذلك لأن « عمر » أمر أن تطهر هذه القناة التى كانت فى عهده مردومة بالرمال من جديد لأجل ان تحمل المؤن الى « المدينة » و « مكة المكرمة » .

(٢) المقريزى

وقد وصف لنا « المقريزى » « خليج القاهرة » فاستمع لما يقول :

هذا الخليج بظاهر « القاهرة » من جانبها الغربى فيما بينها وبين « المقس » عرف فى أول الاسلام باسم « خليج أمير المؤمنين » ، ويسميه العامة اليوم « الخليج الحاكمى » و « خليج اللؤلؤة » ، وهو خليج قديم أول من حفره « طوطيس بن ماليا » أحد ملوك « مصر » الذين سكنوا مدينة « منف » وهو الذى قدم « ابراهيم الخليل » صلوات الله عليه فى أيامه الى « مصر » وأخذ منه امرأته « سارة » وأخدمها « هاجر » أم « اسماعيل » صلوات الله عليهما ، فلما أخرجها « ابراهيم » هى وابنها « اسماعيل » الى « مكة » بعثت الى « طوطيس » تعرفه انها بمكان جدب وتستقيه فأمر بحفر هذا الخليج وبعث اليها فيه بالسفن تحمــل الحنطة وغيرها الى « جدة » فأحيــا بلد « الحجاز » ، ثم ان « اندرومانوس » (يقصد الامبراطور « هدريان ») الذى يعرف « بايليا » أحد ملوك الروم بعد « الاسكندر بن فيلبس » المقدونى جدد حفر هذا الخليج وسارت فيه السفن وذلك قبل الهجرة النبوية بنيف واربعمائة عام ثم ان « عمرو بن العاص » رضى الله عنه جدد حفره لما فتح « مصر » وأقام فى حفره ستة أشــهر وجرت فيه السفن تحمــل الميرة الى

(١) بابليون موقعها الحالى « مصر القديمة = العتيقة »

« الحجاز » فسمى « خليج امير المؤمنين » (يعنى « عمر بن الخطاب » رضى الله عنه) فانه هو الذى أشار بحفره ولم تزل تجرى فيه السفن من «فسطاط مصر» الى مدينة « القلزم » التى كانت على حافة البحر الشرقى حيث الموضع الذى يعرف اليوم على البحر بـ « السويس » ، وكان يصب ماء النيـــل فى البحر من عند مدينة « القلزم » الى ان أمر الخليفة « أبو جعفر المنصور » بطمه فى سنة خمسين ومائة فطم وبقى منه ما هو موجود الآن » .

(٣) شمس الدين

وكتب « شمس الدين » فى عام ١٦٥٠ ميلادية عن هذه القناة ما معناه أنه يرجع أصل خليج « القاهرة » الى ملك مصرى قديم يدعى « طرسيس بن ماليا » وفى عهده أتى « ابراهيم » الى « مصر » . وهذه القناة كانت تجرى حتى مدينة « القلزم » وتمر بالقرب من «السويس»،وكانت مياه النيل تصب فى هذا المكان فى الماء الملح ...

وقد أمر « عمر » بتطهير هذه القناة واعادة حفرها وسماها « خليج أمير المؤمنين » . وقد بقيت على هذه الحال مائة وخمسين سنة حتى عهد الخليفة العباسى « أبو جعفر المنصور » الذى أمر بطم مصب هذه القناة الذى كان يصب فى بحر « القلزم » (**Le Père, Description de l'Egypte tome XI·**)

(٤) أبو الفداء

ويذكر لنا « أبو الفداء » (١٢٧٣ — ١٣٣١) رواية عن « بن سعد » أن « عمرو » كان يفكر فى انشاء قناة مباشرة بين البحرين من مائهما (راجع **Abu'l Fida Trad. Reynaud p. 176**).

وقد لاحظ « ابن سعد » أنه بالقرب من « الفرما » يقترب البحر الأبيض المتوسط من البحر الأحمر حتى أنه ليس بينهما أكثر من سبعين ميلا . وكان

« عمرو بن العاص » يفكر فى عمل قطع يوصل بين البحرين وكان يجب أن يعمل هذا القطع فى المكان الذى يسمى حتى يومنا « ذنب التمساح » .

(٥) المســعودى

ويقدم لنا « المسعودى » الذى توفى عام ٩٥٦ ميلادية أتم المتون التى وصلت الينا عن هذه القناة وفى الوقت نفسه أهمها ، فاستمع اليه وهو يقول فى كتابه « مروج الذهب » الجزء الثانى ص ١٥٦–١٥٧ « وقد كان بعض ملوك الروم قد حفر بين «القلزم» وبحر الروم طريقا فلم يتأت له ذلك لارتفاع القلزم وانخفاض بحر الروم ، وان الله عز وجل قد جعل ذلك حاجزا على حسب ما اخبر فى كتابه ، والموضع الذى حفره ببحر القلزم يعرف بذنب التمساح على ميل من مدينة « القلزم » ، عليه قنطرة عظيمة يجتاز عليها من يريد الحج من « مصر » ، وأجرى خليجا من هذا البحر الى موضع يعرف بـ « الهامة » ، ضيعة « محمد بن على المدرانى » من أرض «مصر» فى هذا الوقت سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة — فلم يتأت له اتصال بين بحر الروم وبحر القلزم . وحفر خليج آخر مما يلى بلاد « تنيس » (آثارها على جزيرة صغيرة فى بحيرة المنزلة) و « دمياط » وبحيرتهما ، ويعرف هذا الخليج بـ « الزبر والخبية » (فى رواية أخرى « الزنير والحسة ») واستمر الماء فى هذا الخليج من بحر القلزم الذى فى نحو من هذه القرى ومن بحر القلزم فى خليج «ذنب التمساح» فيتتابع أرباب المراكب ، وتقرب حمل ما فى كل بحر الى آخر ، ثم ارتدم ذلك على تطاول الدهور ، ملأته السوافى من الرمل وغيره .

وقد رام « الرشيد » أن يوصل بين البحرين مما يلى النيل من أعالى مصبه من نحو بلاد الحبشة وأقاصى صعيد « مصر » فلم يتأت له قسمة ماء النيل فرام ذلك مما يلى بلاد « الفرما » نحو بلاد « تنيس » على أن يكون

مصب بحر القلزم الى البحر الرومى ، فقال « يحيى بن خالد » : يخطف الروم الناس من المسجد الحرام والطواف ، وذلك أن مراكبهم تنتهى من بحر القلزم الى بحر « الحجاز » فتطرح سراياها مما يلى « جدة » فيخطف الناس من المسجد الحرام و « مكة » و « المدينة » على ما ذكرناه فامتنع عن ذلك .

وقد حكى عن « عمرو بن العاص » حين كان بـ «مصر» ـ أنه رام ذلك فمنعه « عمر بن الخطاب » رضى الله عنه وذلك لما وصفناه من فعل الروم وسراياهم ، وذلك فى حال ما افتتحها « عمرو ابن العاص » فى خلافة « عمر بن الخطاب » رضى الله عنه ، وآثار الحفر بين هذين البحرين فيماذكرنامن المواضع والخلجان على حسب ما شرعت فيه الملوك السالفةطلبا لعمارةالأرض وخصب البلاد وعيش الناس بالأقوات ، وان يحمل الى كل بلد ما فيه من الاقوات وغيرها عن ضروب المرافق والله تعالى اعلم » .

(٦) الكندى

وذكر « الكندى » الذى عاش فى أواسط القرن التاسع الميلادى فى كتاب « الجندى العربى » أنه بدىء حفر الخليج فى سنة ثلاث وعشرين وفرغ منه فى ستة أشهر وجرت فيه السفن ووصلت الى « الحجاز »فى الشهر السابع ثم بنى عليه « عبد العزيز بن مروان » قنطرة فى ولايته على « مصر » ولم يزل يحمل فيه الطعام حتى حمل فيه « عمر بن عبد العزيز » ، ثم أضاعته الولاة بعد ذلك فترك وغلب عليه الرمل فانقطع وصار منتهاه الى « ذنب التمساح » من ناحية بطحاء القلزم . (راجع Description de l'Egypte, ed. Pankoucke, tome XI)

(٧) ابن الطوير

وقال « ابن الطوير » ان مسافته خمسة ايام وكانت المراكب النيلية تفرغ ما تحمل من ديار « مصر » بالقلزم فاذا فرغت حملت من « القلزم » ما وصل من « الحجاز » وغيره الى « مصر » ، وكان مسلكا للتجار وغيرهم . (راجع Description de l'Egypte tome XI) .

النقوش الهيروغليفية والفارسية التى وصلت إلينا عن القناة

أوردنا حتى الآن المصادر الثانوية التى وصلت الينا عن القناة التى توصل بين البحرين وهى عديدة، ولكن مما يؤسف له جد الأسف أن المصادر الأصلية المنقوشة عن هذه القناة من العهد الفرعونى ضئيلة جدا ، غير أنها على ضآلتها غاية فى الأهمية لأنها تؤكد ما جاء فى المصادر الاغريقية واللاتينية والعربية بصفة قاطعة . والوثائق المنقوشة التى فى متناولنا حتى الآن اثنتان احداهما ترجع الى العهد الفارسى حوالى عام ٥٢١ ق. م. والاخرى ترجع الى العهد البطلمى حوالى عام ٢٠٥ ق. م. وسنتكلم عن كل فى مكانه الزمنى حسب الترتيب التاريخى أى أننا سنتناول هنا الكلام عن القناة وتقلباتها فى العصور التاريخية من اقدم العهود حتى العهد العربى ،فنتحدث أولا عن قناة «الجفار» وقناة « سيزوستريس » فقناة « نكاو » فقناة « دارا » فقناة البطالمة وأخيرا قناة العرب أو « خليج أمير المؤمنين » .

قناة الجفار

انظر الكلام عنها فيما بعد .

قـــاة سيزوستريس

تاريخ انشاء « قناة سيزوستريس »

ان المطلع على ما جاء فى كتابات المؤرخين القدامى من اغريق ورومان وعرب لا يكاد يشك فى أنه كانت توجد قبل عهد الفرعون « نكاو الثانى » أحـــد ملوك الأسرة السادسة والعشرين (حوالى ٦٠٩ ق.م.) ــ وصاحب مشروع حفر قناة تربط بين البحرين ــ مواصـــلات مائية تربط بين النيـــل والخليج العربى (= البحر الاحمر) ، ومن جهة اخرى ليس هناك شك فى أنه كانت توجد فى الأصل مواصلات طبيعية حل محلها بمرور الزمن حفر قناة من صنع الانسان . واذا كان كل من « هردوت » و « ديودور » قد أرجع القنـــاة الى ما قبل حكم الفرعون « بسمتيك الأول » (٦٦٣ ــ ٦٠٩ ق.م.) فان كلا من « استرابون » الجغرافى و « بلينى القديم » قد نسب شرف حفرها للملك « سيزوستريس » أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة الذين كان يسمى بعضهم بهذا الاسم . هذا ونجد أن بعض مؤرخى العـــرب وبوجه خاص « شمس الدين المقريزى » قد نسب حفرها لملك مصرى يدعى « طرسيس بن ماليـــا » أو « طوطيس بن ماليا » الذى عاصر على حسب زعمهم « ابراهيم » عليه الســـلام .

تحديد عهد « ابراهيم » على وجه التقريب فى التاريخ

ولا يبعد أن « ابراهيم » كان فعلا معاصرا للملك « سيزوستريس » (سنوسرت) الثانى أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة ، وأن اسم « طوطيس بن ماليا » أو « طرسيس بن ماليا » هو تحريف الاسم « سيزوستريس » . وتدل ظواهر الامور على ان «ابراهيم» قدعاش فى الفترة حوالى ٢٠٠٠ ق.م. وهى نفس الفترة التى عاش فيها ملوك الأسرة الثانية عشرة المصرية على أغلب الظن.

منظر مقبرة « خنوم حتب » ب « بنى حسن » وعلاقته بزيارة « ابراهيم » المزعومة لـ « مصر » .

ومما يطيب ذكره فى هذا المقام أن لدينا منظر فى مقبرة من مقابر جبانة « بنى حسن » معاصرا للملك « سنوسرت الثانى » يقرب نظرية تحديد عهد « سيزوستريس » الثانى بعد ظهور سيدنا « ابراهيم » . وهذا المنظر يمثل وصول رئيس من البدو يصاحبه أسرته وأتباعه الى « مصر » ، ويشاهدون فى هذا المنظر وهم يقدمون الخضوع لحاكم مقاطعة « بنى حسن » وهو أحد المقربين من الفرعون « سيزوستريس » الثانى . وقد حدد زمن وصولهم الى « مصر » بزمن القحط الذى كان قد انتاب بلاد « مسوبوتاميا » (مابين النهرين) مسقط رأس « ابراهيم » ، كما أعلن ذلك فى مديحه للحاكم « خنوم حتب » صاحب المقبرة التى عليها المنظر . والأشياء الممثلة فى هذا المنظر تشبه التى جاءت فى التوراة منسوبة الى سيدنا « ابراهيم » . (1)

ملوك الأسرة الثانية عشرة ومشاريعهم العمرانية المائية العظيمة

ومن المهم جدا فى هذا الصدد ان نذكر ان ملوك « مصر » الذين يحملون اسم « سيزوستريس » وبوجه عام كل ملوك الأسرة الثانية عشرة كانوا اصحاب مشروعات عمرانية خاصة بالرى والتجارة . ولا ادل على ذلك مما قام به « سيزوستريس الأول » من اعادة حفر قناة عند الشلال الاول لتفادى صخور هذا الشلال حتى تصبح التجارة بين « مصر » وبلاد « النوبة » سهلة ميسورة طوال العام بدلا من قصرها على وقت الفيضان فقط ، هذا بالاضافة الى ما قام به أخلافه من مشاريع مماثلة وبخاصة ما أتمه « امنمحات الثالث » من مشاريع عظيمة للرى فى « الفيوم » وبخاصة تخزين مياه الفيضان فى بحيرة « موريس » . ومن ثم ليس بغريب أن يكون أحد ملوك هذه الأسرة الذى

(1) (راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٢٧٠)

كان يحمل اسم « سيزوستريس » قد تمكن من الافادة من استعمال الوادى القديم لفرع النيل البلوزى الذى كان لا يزال مغطى بفيضاناته ومنتشرة فيه البحيرات والبرك ، لحفر قناة تكون اداة للمواصلات بين نهر النيل والخليج العربى وذلك بأقل تكاليف ممكنة ، كما افاد من بعده « امنمحات الثالث » من خزن مياه فيضان النيل بأقل قسط ممكن من المال . وقد تحدثنا مليا عن هذه المشروعات فى الجزء الثالث من مصر القديمة (ص١٨٧، ٢٨٠، ٣١٥ الخ.)

الروايات التاريخية التى تسند انشاء القناة لـ « سيزوستريس » الثانى

وقد جاءت الروايات التاريخية القديمة التى رواها المؤرخون الاغريق وغيرهم مؤيدة لذلك . فقد لفت العالم الألمانى « زيته » النظر الى ما رواه « اراتوستين » (حوالى عام ٢٧٦ م) الفلكى الاسكندرى الذائع الصيت نقلا عن « استرابون » الجغرافى العظيم عن هذه القناة اذ يقول :

ان « سيزوستريس » كان قد تعرف على ساحل البحر الأحمر ، وانه على حسب ما جاء فيما رواه كل من « استرابون » (Strabon tome III p. 404) و «بلينى القديم» قد قاد جيشا الى بلاد «زيمت» وانه فى «ديرا» الواقعة على الساحل الأفريقى لباب المندب كانت توجد لوحة أقامها الملك «سيزوستريس» عليها نقوش هيروغليفية تحدثنا عن الاحتفال بمرور هذا الفرعون فى هذا المضيق بسفنه وأنه بالقرب من « تورس » — وهما جبلان يشبهان ثورين — الذى لا يبعد عن بلدة « بطليموس » التى أسسها « بطليموس الثانى » ، يشاهد معبد للالهة « ازيس » ، وهذا الأثر يدل على تقى « سيزوستريس » وعنايته العظيمة بهذه الالهة .

علاقة الالهة ازيس بالملك «سيزوستريس»

ومما يقوى صحة هذه الرواية أن اسم الملك « سيزوستريس » المحرف عن اسمه بالمصرية « سنوسرت » معناه فى الأصل « رجل القوية » ، وكلمة القوية

هنا نعت للالهة « ازيس » بوصفها أنها كانت أم الاله « حور » وهو اسم كان يحمله كل ملك يتربع على عرش « مصر » . ولا غرابة أن ينسب الملك لأمه .

الحملات البحرية والمواصلات التجارية فى هذه العهود القديمة

وقد تحدث كل من « ديودور » الصقلى المؤرخ المشهور وهردوت (Herod, II, 102) عن حملات بحرية قام بها « سيزوستريس » فى هذه الجهة ، فقد ذكر الكهنة انه كان اول من ساح بسفن طويلة فى خليج العرب لمناهضة الأمم التى حوله ، وقد أخضعها كلها لسلطانه ، وقد زحف فى فتوحه الى أن وجد أن الخليج لم يعد صالحا للملاحة بسبب المضايق التى فيه والماء الضحضاح المنتشر فى نواحيه .

هذا ولدينا نقش فى « وادى جاسوس » الواقع عند البحر الأحمر يتحدث عن وجود ميناء بحرية أسسها أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة وهو « أمنمحات الثانى » ، وأخيرا تشهد المناظر المصرية القديمة التى على جدران معبد الدير البحرى الخاصة بالحملة التى ارسلتها الملكة « حتشبسوت » الى بلاد « بنت » أن السفن التى كانت محملة بمحاصيل هذه البلاد كانت تصعد فى النيل حتى « طيبة » .

ومن كل هذه الشواهد التى اوردناها هنا يمكن ان نستنبط انه منذ الاسرة الثانية عشرة (حوالى ١٩٠٠ ق.م.) كانت توجد علاقات تجارية وحربية بين « مصر » وشواطىء البحر الأحمر ، وهذه العلاقات كان لا يمكن وجودها الا بوساطة مواصلات مباشرة او بوساطة وجود مستودعات للميرة والذخيرة بين النيل والخليج العربى .

اعمال الحفر الحديثة فى منطقة القناة تدل على وجود طريق مائية .

وقد دلت أعمال الحفر التى عملت حديثا عند « تل الرطابة » على وجود موقع مدينة قديمة يرجع عهدها الى الدولة القديمة ، وقد ازدهرت بوجه خاص فى عهد « رعمسيس » الثانى (حوالى ١٣٠٠ ق.م.) ، والواقع أنه قد وجدت آثار هامة من عهد هذا الفرعون وكذلك من عصر « رعمسيس الثالث » فى تلك البقعة .

وتدل ظواهر الأحوال على ان « تل الرطابة » هذا هو موقع مدينة تعد مركز حدود محصنا للميرة والذخيرة وتقع على قناة قد احتلت مكان وادى « طميلات » على مقربة من البحر الأحمر . وكذلك أسفرت أعمال الحفر التى عملت فى « تل المسخوطة » القريب من « تل الرطابة » عن كشف مدينة مصرية ضخمة من عهد « رعمسيس الثانى » ، وقد أميط اللثام فيها عن آثار من العهود التى تلت « رعمسيس » حتى عصر البطالمة .

ومن الجائز جدا أنه كانت توجد قناة منذ الأسرة الثانية عشرة كان الغرض منها سد الحاجة من المياه نعدم كفاية ماء فرع النيل لتزويد الأهلين بالماء ، وقد لوحظ وجود هذه القناة بصفة قاطعة فى عهد « رعمسيس الثانى » ، وكانت تحتل مكان « وادى طميلات الحالى » . وعلى أية حال لابد من الاعتراف بوجود هذه القناة سواء أكان « نكاو » قد أصلحها أم بدأ انشاء واحدة جديدة ، ولم يتمكن من اتمامها .

ولما جاء « دارا » قام بحفرها فعلا وذلك على الرغم مما جاء من خلط فيما كتبه المؤلفون الأغريق وغيرهم بشأن هذه القناة .

الفرس وقناة السويس

تحدثنا حتى الان عما كتبه المؤرخون الأغريق عن شق قناة تربط بين البحرين تخرج من النيل ، ويرجع عهدها الى الأسرة الثانية عشرة (حوالى ١٩٠٠ ق.م.) غير أن كل ما وصل الينا لا يعد وثائق أصلية يعتمد عليها تمام الاعتماد من الوجهة التاريخية ، يضاف الى ذلك ما جاء فى هذه المصادر الثانوية من تضارب فى سرد الوقائع .

اللوحات التذكارية التى كشف عنها على طول قناة « السويس » فى العهد الفارسى

وقد كانت أول وثائق أصلية وقعت فى أيدينا ويعتمد عليها تماما فى اثبات وجود قناة توصل بين البحرين هى اللوحات التى كشف عنها فى أماكنها الأصلية فى منطقة « السويس » ويرجع تاريخها الى أوائل العهد الفارسى فى « مصر » (حوالى عام ٥٢١ ق.م.)

والواقع أن أعمال الحفر التى عملت فى تلك المنطقة حديثا قد أسفرت حتى الآن عن وجود أجزاء عدة من لوحات ثلاث يرجع عهدها الى حكم الملك « دارا الاول » عاهل الفرس وخلفه « اكزركزس » . وهذه اللوحات كانت قد نصبت على طول القناة من النيل حتى البحر الأحمر .

لوحة « السرابيوم » :

وتدل شواهد الأحوال على أنه كانت توجد لوحة رابعة ، غير اننا لانعرف عنها شيئا الا المكان الذى أقيمت فيه ، وقد عرفت عند الأثريين بلوحة « السرابيوم » ، وكانت منصوبة فى البقعة الواقعة بين بحيرة « التمساح » والبحيرات المرة .

حفائر « كليرمون جانو » فى هذه البقعة :

وقد قام الأثرى « كليرمون جانو » بحفائر فى مكان هذه اللوحة عام ١٨٨٤

ميلادية . وقد عثر على قطع صغيرة من لوحة عليها نقوش مصرية قديمة .وقد نقل حوالى ٢٣ أو ٢٤ قطعة منها فى عام ١٨٨٦ ميلادية الى متحف « اللوفر» غير أنها اختفت بعد هذا التاريخ بعامين ولعل الأيام تكشف عن مكانها .

اللوحات أقيمت على الشاطىء الأيمن القناة :

وقد أقيمت اللوحات الأربع على الشاطىء الأيمن للقناة تجاه البحر الأحمر على مرتفعات من الارض ، وكانت قد أقيمت لغرض ان تراها السفن التى تسير فى القناة ، وهذا يدل على كبر حجمها وضخامة القواعد التى اقيمت عليها ، كما يدل على حسن اختيار الاماكن التى نصبت فيها . وقد وجدت فى كل موقع من مواقع هذه اللوحات الثلاث — وهى لوحة « تل المسخوطة » ولوحة «كبريت» ، ولوحة «السويس» — قطع منقوشة بالكتابةالهيروغليفية والمسمارية .

النقوش التى على اللوحات ولغاتها :

وقد وجدت على لوحة « كبريت » (أو لوحة « شلوفة ») نقوش هيروغليقية ومسمارية على وجهيها ومن المحتمل ان هذا النظام كان متبعا فى لوحة « السويس » . أما اللوحة التى وجدت فى « تل المسخوطة » فقد وجد ان كلا من المتنين الهيروغليفى والمسمارى قد نقش على جزء خاص . ويلفت النظر كذلك ان المتن المسمارى قد دون بثلاث لغات وهى الفارسية القديمة والبابلية ثم العيلامية ، وقد ذكر عليهاالالقاب الملكية والمرسوم الخاص بعقيدة « أهورامازدا » ، هذا بالاضافة الى مختصر خاص بشق القناة وبسياحة أسطول مصرى الى بلاد فارس .

ومما يؤسف له جد الأسف أنه لم يبق محفوظا لنا على وجه التقريب من هذه المتون الا المتن الذى على لوحة « كبريت » ، والظاهر ان لوحتى «تل المسخوطة » و « السويس » موحدتان من حيث اللغة بلوحة « كبريت » .

لوحة « تل المسخوطة » :

ومما هو جدير بالذكر هنا ان لوحة « تل المسخوطة » مصنوعةمن الجرانيت الوردى ومحفوظة بمتحف « القاهرة » . وأهم ما يلفت النظر فى نقوشها هو ما جاء فى الصف الثانى الذى يحتـوى على قائمة مؤلفـة من اسـماء اربع وعشرين اقليما وهى بعض الاقاليم أو الاقطار التى كانت منتفعة بالقناة ، وهذه الأقطار كانت هى التى تتألف منها الأمبراطورية الفارسية فىهذا العهد. أما الصف الثالث من هذه اللوحة فقد جاءت فيه عبارة تدل على حفر القنـاة فى عهد الملك « دارا الأول » الفارسى .

لوحة « كبريت » :

واللوحة الثانية هى لوحة « كبريت » محفوظة الآن بمتحف «الاسماعيلية» وهى مصنوعة من الجرانيت الوردى ، ويلحظ ان أحد وجهيها قد خصص للمتن الهيروغليفى والآخر للترجمة باللغات الفارسية والعيلامية والبابلية . ويحتوى الصف الثانى من نقوشها على أمر بحفر القناة وتسيير السـفن فيهـا .

لوحة « السويس » :

واللوحة الثالثة هى « لوحة السويس » ، وكانت مقامة على مسافة سـتة كيلو مترات شمالى مدينة « السويس » ويدل ما بقى منها على ان الذى نصبها فى هذا المكان هو الملك « اكزركزس الاول » خليفة « دارا الاول » ملك الفرس . (راجع Posener, La Première Domination Perse en Egypte, p. 180 ff ; Bourdon, Anciens Canaux Anciens Sites et Ports de Suez).

خلاصة ما جاء على لوحات القنــاة الثلاث

وجود طريق بحرية بين فارس وأملاكهاالافريقية ووصفها :

مما لاجدال فيه انه كانت توجد طريق بحرية مستعملة فى عهــد « دارا الأول » ملك الفرس لتسهيل المواصلات بين عاصمة ملــكه وبين أمــلاكه الأفريقية . والبرهان على ذلك ما نجده منقوشا على اللوحات التى أقيمتعلى طول القناة التى كانت تربط النيل بالبحر الأحمر . وكانت هذه القناة تبتدىء من النيل بالقرب من « بوبسطة » (الزقازيق) وتجرى متتبعة وادى «طميلات» متفادية من جهة الشرق بحيرة التمساح ثم تخترق البحيرات المرة الى انتصل الى خليج السويس بالقرب من بلدة « الكبرى » الحالية .

وكان عرض القناة حوالى خمسة واربعين مترا . والظــاهر انه كان على شاطئيها طريقان تستعملان لجر السفن التى كانت تمر فى القنــاة . وكانت المسافة بين « بوبسطة » حتى البحر تقطع فى مدة اربعة ايام .

الملك ((نكاو الثانى)) وقناة ((السويس)) :

ولم يكن الملك « دارا الأول » هو أول من بدأ حفر هذه القناة ، بل الواقع أن أول من شرع فى حفرها هو الملك « نكاو الثانى » فرعون « مصر » الذى حكم من ٦٠٩ — ٥٩٤ ق.م والواقع ان كل ما فعله « دارا » هــو اصلاح ما حفره « نكاو » من هذه القناة ثم اتمامها ، وهذا هــو ما يلوح استنباطه من لوحة « تل المسخوطة » السالفة الذكر ، وذلك على حســب ما جاء فى السطر السابع عشر من هذه اللوحة حيث يفهم ان « دارا » قد أرسل سفينة لأجل ان تفحص عن المياه(وقد عمل جلالته على انتذهبسفينة لأجل جس الماء) وليعلم انه على مسافة ٨٤ كيلو مترا تقريبا « ليس هنــاك ماء » . وهذه المسافة هى طول القناة القديمة التى كانت تقــع بين لوحات

الحدود التى اقامها الملك « دارا » بين « تل المسخوطة » و « السويس » وعبارة « ليس هناك ماء » قد كررت فى اللوحات الأخرى ، يضاف الى ذلك وجود كلمة « رمال » على لوحتى « كبريت » و « السويس » ،ومن المحتمل جدا ان هذه العبارات تصف الحالة التى كانت عليها القناة قبل الأعمال التى قام بها « دارا الأول » فيها لاصلاحها واتمامها .

علاقة حفر القناة بالفتح الفارسى لـ« مصر » :

ان ما لدينا من معلومات يدل على ان الأحوال التى تمت فيها هذه الأصلاحات غير واضحة بل يحيطها الغموض . ويجب ان نضع علاقة منطقية بين حفر القناة وبين حملة « دارا » على « مصر » . وذلك أنه من الجائز ان تكون الحادثتان متعاصرتين ، هذا اذا لم تكونا قد وقعتا فى وقت واحد . وفى ذلك يقول « دارا الأول » فى متن الرواية المسمارية التى اقيمت على القناة : « انى فارسى وبمساعدة فارس فتحت « مصر » ، وقد أمرت بحفر قناة من أول النهر المسمى « النيل » الذى يجرى فى «مصر» حتى البحر الذى يتصل بالفرس ، وبعد ذلك حفرت هذه القناة هنا كما أمرت ، وعندئذ قلت اذهبوا من أول « بيرا » حتى الساحل واهدموا نصف القناة كما هى «ارادتى». هذا ويذكر لنا المتن المصرى الذى وجد ممزقا عند هذه النقطة رحلة قام بها «دارا» الى مكان مجهول ونقرأ فى نفس المتن بعد أجزاء مهشمة ان الملك « دارا » أمر بأن يمثل بين يديه رجال ادارة مدينة وسألهم بعض اسئلة .فهل لا يمكن ان نفرض أن الملك « دارا » وهو فى طريقه الى « مصر » قد وقف بالقرب من القناة واستعلم عن صلاحيتها للملاحة ؟ غير أنه مما يؤسف له جد الأسف ان الحالة التى وجدت عليها اللوحات من التمزيق تقف حجر عثرة فى تحقيق هذه النظرية . وكل ما نعرفه هو ان الملك « دارا الأول » أمر باصلاح القناة وبحفر بئر او عدة آبار على طول القناة .

أول أسطول يعبر القناة :

وبعد أن تم حفر القناة قام أسطول مؤلف من أربع وعشرين سفينة (وفى رواية أخرى اثنتين وثلاثين) محملة بالأتاوة من « مصر » الى بلاد فارس . وقد عرف « هردوت » أن « دارا » قد أفلح فى شق القناة ، غير اننا نعلم ان بعض الكتاب من بعده أمثال « أرسطو » و « ديودور » و « استرابون » و « بليني القديم » قد ظنوا ان القناة لم تشق فى العهد الفارسى ، وذلك لاختلاط الأمر عليهم فى استقصاء مصادرهم .

علاقة الفتح الفارسى للهند بمشروع حفر قناة « السويس » :

ومما يطيب ذكره هنا أن الرحلة البحرية التى قام بها الاسطول الفارسى من « مصر » الى « فارس » بوساطة القناة كان لها صلة بالرحلة التى قام بها « سيلاكس » البحار والجغرافى الاغريقى الذى عاصر الملك « دارا الاول » حول الهند ، وذلك ان العاهل «دارا» الأول كان قد فتح جزءا كبيرا من بلاد « آسيا » باشرافه ، وقد كان شغوفا بمعرفة موقع نهر الهند الذى كان يعد ثانى نهر يمكن الحصول منه على تماسيح ويصب ماؤه فى البحر . وقد ارسل من اجل ذلك سفنا بقيادة نفر ممن يعتمد عليهم لوضع تقارير صحيحة له عن ذلك ، وكذلك أرسل « سيلاكس » للغرض عينه ، وقد أفلحت الحملة . وكان من نتائجها ان ذهب « سيلاكس » الى خليج العرب « البحر الأحمر » فى سفينة بعد ان تعرف على نهر الهند فحقق بذلك الصلة بين بعض المديريات الفارسية القصوى وبعضها الآخر .

والواقع ان مشروع حفر قناة «السويس» كان له صلة بمشروع فتح الهند وذلك لأن فتح الهند على حسب قول « هردوت » قد جاء مباشرة على أثر سياحة « سيلاكس » الى بلاد الهند ، وعلى ذلك تدل الظواهر على ان المشروعين

كانا بمثابة تصميم واحد عمل وتم عن تدبير وروية . وعلى ذلك فانه من الجائز ان القناة كانت قد اصلحت فى عهد قريب من تاريخ فتح الهند (٥١٨ق.م؟) وهذا ما يقوى الاعتماد على التأريخ الذى اقترحه الأثرى « فيــدمان » لسياحة « دارا » الى « مصر » فى تلك السنة .

قائمة الممالك التى وجدت على لوحات القناة :

ويؤيد لنا على ما يظهر صحة هذه الملاحظات ما جاء فى الصف الثانى من لوحات القناة ، وهذا الجزء من النقوش يحتوى على قائمة تشــمل أربعــة وعشرين اسما للبلاد التى تؤلف جزءا من الامبراطورية الفارسيه . ومن ثم نفهم ان هذه الوثيقة وكذلك المتون المسمارية التى من هذا الطراز لاتقدم لنا قائمة المديريات الفارسيه بل تسمى نخبة من الممالك التى كانت تتألــف منها الامبراطورية الفارسية المنتفعة بالقناة .

وهذه الممالك مقسمة قسمين متساويين موزعين توزيعا منظما على اليمين وعلى الشمال من وسط الصف ، ونعرف منها فعلا اربعا وعشرين مملكة .

وبدرس ما بقى من متون لوحات القناة الثلاث حصلنا على قائمة أسماء ممالك تقسم الامبراطورية الفارسية قسمين يفصل الواحد عن الآخر خط يخرج من الخليج الفارسى حتى بحيرة « أورمياة » وما بعدها .

مجموعة الممالك التى فى الشرق :

(١) « فارس » (٢) « ميديا » (٣) « عيلام » (٤) « هرو » (أربا) (١) «برتو» (بارثيا = خورسـان) (٦) « بختر » (= بكتريان وهى الآن ضمن التركستان والفرس) (٧)«سوجدا»=(سوجاديان = بخارى وسمرقند

---

(١) « خورسان » الشرقية و « سيستان »

« هرخدى » (اراخوذى = اسم بلاد تابعة لبلاد الفرس القديمة) (٩) «سرنج» (= درانجيان Drangiane (١٠) « سدجوز » (= ستاجيدس Sattagydes) (١١) « خرسم » = (خوارزم) (١٢) « سك بح سك تا» (= سرداريا وموداريا = سيحون وجيحون)

مجموعة البلاد التى فى الغرب :

(١٣)«ببر» (=بابل) (١٤) « ارمينيا » (١٥) « ابونيا » (١٦) كبورشيا (بآسيا الصغرى (١٧) «سرديس» (١٨) «آشور» (١٩)«مصر»(٢٠)«لوبيا» (٢١)بلاد العرب (٢٢) « كوش » (أى السودان) (٢٣) « مج » (= عومان) (٢٤) «هندوس» (أى الهند) (١). وبموازنة كتابة هذهالأسماء بالهيروغيليفية بكتابتها باللغات الأرمنية والبابلية والفارسية يتضحان القائمة الجغرافيةللوحات القناة قد أخذت عن أصل آرامى . والظاهر ان اللغة الآرامية كانت اللغة الادارية للامبراطورية الفارسية .

ومهما يكن من أمر فانه مما لاشك فيه أنه يمكن أن نستخلص فيمايخص هذه المتونأن اللغةالمصريةالقديمة كانتلغةرسميةبجانباللغةالفارسيةالقديمة واللغة البابلية واللغة العيلامية . ولكن يلحظ انه فى حين ان هذه اللغاتكانت مستعملة فى كل انحاء الامبراطورية فانا نجد ان لغات البلاد الخاضعة للحكم الفارسى مثل اللغة المصرية لم تكن مستعملة الا فى البلاد التى كانت تنطق بها ومن ثم نجد انه قد اضيف الى نقش مسمارى على ضفاف « البسفور » آخر اغريقى .

هل أتم « دارا » حقيقة حفر القناة ؟

وبعد هذا العرض عن قناة « دارا » الأول لايزال امامنا سؤال محير وهو

(١) راجع Journal of Near Eastern Studies Vol. II October 1943 No. 4, p. 308.

هل ما جاء فى هذه اللوحات التى نصبت على طول القناة ما يوضح حقيقة ان « دارا » الاول اتم حفر هذه القناة بصورة قاطعة ؟ وهذا السؤال قد تتجعن جملة جاءت على لوحة « كبريت » فى المتن المسمارى وهى : « لقد امرت بحفر قناة من أول النهر المسمى النيل الذى يجرى فى « مصر » حتى البحر الذى يتصل ببلاد الفرس » . وهذا المتن يعبر على الأقل عن مقاصد ملك قوى كان له فائدة عظيمة فى انشاء مواصلات بين عاصمة ملكه وفتوحه الجديدة عن طريق البحر ، وذلك لتفادى عقبات من أى نوع يمكن مصادفتها فى الطريق البرية ، غير ان الذى حفر هذه الأسطر على لوحة «كبريت» المصنوعة من الجرانيت ، على الرغم من انه دون العمل الذى حقق لم يكن بالتاكيد قد رأى نهايته ، وذلك لأن لوحة « الكبرى » التى تعد اقرب لوحة من البحر هى للعاهل « اكزر كزس » خلف « دارا الاول » ولكن نقرأ على نفس لوحة « كبريت » بعد التصريح الذى اقتبسناه هنا ، وبعد الاعتراف بتنفيذ هذا الأمر ما يأتى : « هذه القناة قد حفرت هنا كما قد امرت » . وقد عرتنا الدهشة عندما نقرأ بعد هذه العبارة ما يأتى : وعلى ذلك قلت « اذهبوا من أول «بيرا» حتى الشاطىء واهدموا نصف القناة على حسب ارادتى »

ونحن فى الواقع لا نعرف ما هى «بيرا » ويدل سياق الكلام الذى فيه هذه الجملة المنقوشة على لوحة اقيمت عند « كبريت » على ان هذا الامر ينطبق على جزء القناة الواقع بين « كبريت » والبحر . ولكن ماهو الدافع الذى دعا الى التصريح بهذا العزم ؟ فهل ياترى كان لذلك علاقة بالانتصارات الاغريقية على الفرس فى موقعتى « آتوس » و « ماراتون » والخوف من بعض محاولات عدائية على مواصلات الامبراطورية البحرية ؟ أو ان ذلك كان نتيجة للثورة التى قامت فى « مصر » قبل موت «دارا» بقليل أو كان ذلك سببه الاعتراف المقنع للامتناع عن العمل الذى شرع فيه ؟ وهذا ما يقدم لنا

تفسير تلك الرواية التى نجدها فى مؤلفات الكتاب الأغريق منذ « ارسطو » ولكننا قد رأينا أنه كانت توجد عند « الكبرى» الواقعة على مسافة ستة كيلو مترات من «السويس» لوحة أقامها « اكزركزس » الذى خلف «دارا الأول » على عرش الملك . وهذه اللوحة كانت قد اقيمت على قاعدة من اللبنات ارتفاعها متران لتوضع عليها اللوحة الجرانيتية بعيدة عن ماء المستنقع الملح وقد كشف عنها الأثرى « كليدا » فى هذا المكان على مسافة ٤٥٠ مترا حيث توجد آثار ظاهرة للقناة القديمة ، ويلحظ انه فى هذا المكان لا يصل ماء المستنقع الى اكثر مما هو عليه الآن .

وتدل البحوث الجغرافية التى عملت عن هذه المنطقة على ان بقايا الشواطىء القديمة الباقية توحى بأنه فى عصور حديثه نسبيا كان المستوى الذى يمكن ان يصل اليه البحر اكثر ارتفاعا من ايامنا هذه . وعلى ذلك فان هذه اللوحة يجب ان تكون قد اقيمت بالقرب من شاطىء البحر ، وان وجودها يحملنا على ان نؤكد ان « اكزركزس » بعد ان تخلص من مخاوفه السياسية أو المائية التى كانت تقف فى وجه سلفه « دارا الاول » قد اتم حفر القناة حتى البحر ، وهى القناة الذى يحدثنا عنها « هردوت » بأنها كانت مستعملة فى العهد الذى ساح فيه هو فى حكم الملك « ارتكزركزس » حوالى عام ٤٥٠ ق.م. ،

قنــاة الجفــار

لاحظ الأقدمون ان طبقة المياه الجوفية الناشئة من رشح النيل كانت لا تكفى عيش الانسان فى الأقليم الذى يقع بين فرع النيل البلوزى ومنطقة البحيرات حتى الخليج العربى ، فأنشأوا لاصلاح هذا النقص قناة واسـعة عميقة صالحة للملاحة تأخذ مياهها من النيل لرى هذه الأراضى أولا حتى حدود الخليج العربى وفيما بعد حتى «استراسين» = بلدة «الفلوسية» القريبة من «القنطرة» الحالية) وهكذا كانت القناة تخترق كل السهل المعروف الآن باسم « الجفار » حاملة الحياة والثراء فى هذه الاقاليم المقفرة .

ومعلوماتنا التاريخية عن قناة « الجفار » لا تكاد تذكر ، ولكن على قلتها يمكن بما لدينا من آثار باقية أن تتتبع سير مجراها ، ولا بد أنها كانت معروفة جدا فى عصرها . وأقدم وثيقة منقوشة عن هذه القناة موجودة حتى الآن على جدران معبد الكرنك الكبير ، ويرجع عهدها الى حكم الفرعون « سـيتى الأول » احد ملوك الأسرة التاسعة عشرة . وهذه الوثيقة معروفة جدا فهى تؤلف المنظر الذى يمثل عودة الملك « سيتى الاول » مظفرا من حملته الاولى على « سوريا » وقد مثل باسم طريق « حور » الى حدود « مصر » امام قلعة «ثارو» (= تل أبو صيفة») القريب من «القنطرة» [1] الحالية التى تخترقها قناة . ويشاهد فى الجهة الأخرى من القلعة انه قد تجمع هناك القوم الوافدون لتحية مليكهم بعد عودته من « فلسطين » مظفرا ، وهـذا يذكرنا بعودة البطل المصرى « سنوهيت» الى «مصر» من منفاه وله قصة شائعة ترجع الى عهد الملك « سنوسرت الأول » وكذلك يذكرنا بوصول « يعقوب » الى «مصر» للحاق بابنه «يوسف» كما جاء ذكر ذلك فى التوراة والقرآن . ففى

(١) راجع J. E. A. Vol. 6. Pl. XI.

الحالة الأولى نرى سفراء الملك «سنوسرت» الأول يستقبلون «سنوهيت» عند « ثارو » (تل ابو صيفه) ومعه حاشيته (المتن المصرى يتحدث هناعن طريق « حور ») . وفى الحالة الثانية نجد أن « يوسف » قد أرسل مع رسل له التصريح لوالده بالدخول الى أرض «مصر» غير أن الرواية العبرانية تضع بدل بلدة «ثارو» بلدة «العريش» ولكن الأمر الذى يلفت النظر بوجه خاص جدا — وهو ما يهمنا هنا — هو نهاية رحلة « سنوهيت » من اول « ثارو » وكان قد قطعها فى سفينة ، وكان رسل الملك قد وصلوا يحملون اليه الهدايا قبل وصوله فى سفينة ايضا . ومن ذلك نفهم انه منذ بداية الاسرة الثانية عشرة فى عهد الملوك الذين كانوا يحملون اسم « امنمحات » أو « سنوسرت » كانت قناة الجفار تجرى حتى « القنطرة » ومن ثم يمكن القول دون اى شك ان هذه القناة يرجع عهدها على الاقل الى الأسرة الحادية عشرة (حوالى عام ٢١٠٠ ق.م.) ونحن نعلم ان امراء هذه الاسرة قاموا بحملات على شبه جزيرة « سيناء » وعلى « سوريا » الجنوبية ، ومن المحتمل اذا ان هؤلاء الأمراء قد حفروا هذه القناة لتسهيل سير حملاتهم ، غير أنه مما يؤسف له جد الأسف انه لا يوجد لدينا ما يثبت ان جزء القناة من «ثارو» حتى «الفلوسية» القريبة من « القنطرة » هو من عمل الفراعنة . ونلحظ عند « ثارو » ان الطريق تخترق القناة ، ولكن لأجل تسهيل العبور عملت قنطرة ، وقد مثل كل من القناة والقنطرة فى المنظر المرسوم على جدران الكرنك ، ومن المحتمل ان كلا منهما يرجع عهده للأسرة الحادية عشرة . والآن يستطيع المرء أن يتساءل هل كانت « القنطرة » واقعة فى داخل المدينة (اى مدينة « ثارو ») ؟ والواقع أنها قد مثلت فى منظر الكرنك موضوعة بين بوابتين ضخمتين . ويشاهد على اليسار من الجهة الآسيوية على مسافة صغيرة برج ضخم ذو درج ، ويشاهد على الجهة اليمنى من القناة حول البوابة وعلى صفين ثلاثة مبان ممثلة يوجد بينها برج للحراسة يرقب الخروج من «مصر» ومن ثم نفهم ان القنطرة كانت تخترق القلعة .

« ثارو » أو (قنطرة) في العهد الروماني :

وفى خلال الاحتلال الرومانى لـ « مصر » كانت «ثارو» قد فقدت أهميتها الاستراتيجية ، والظاهر أن الطريق قد تحولت عن مكانها نحو الشمال قليلا وكذلك نقلت القنطرة الى الغرب قليلا على مسافة ثلاثة كيلو مترات وكان لايزال المبنى الجديد يرى فى منتصف القرن الثالث بعد الميلاد ، وقد حتم اقامة القنطرة الجديدة هدمها ، ولكن اسمها بقى فى اسم القرية التى أقيمت فى هذا المكان («القنطرة» الحالية) .

اسم القناة فى منظر الكرنك :

وتسمى القناة التى رسمت فى منظر الكرنك « تادنيت » ومعناها القطع ، غير ان هذا الاسم الذى يمكن ان يطلق على أى عمل مماثل صنعته يد الانسان لا يظهر انه هو الاسم الاصلى لهذه القناة .

وقد دلت البحوث على ان « ثارو » كانت المكان الرئيسى للخليج حيث كانت تمر عليه الناس والحيوان وكل المحاصيل العربية الداخلة الى « مصر » بوساطة هذه المدينة . وقد كانت القناة تمتد من أول « ثارو » حتى الفلوسية الحالية القريبة من « القنطرة » وفى هذه الجهة وجدت آثار للقناة التى تأخذ ماءها من فرع النيل البلوزى .

قناة البطالمة :

مما لاجدال فيه ان أهم وثيقة نقشت على الحجر عن قنـاة نيلية تربط بين البحرين الأحمر والابيض هى اللوحة التى خلفها لنا « بطليموس الثانى » «فيلادلف» ، عثر عليها الاثرى « نافيل » اثناء الحفائر التى قام بها عنـد « تل المسخوطة » وهى محفوظة الآن بالمتحف المصرى . ومما يؤسف له جد الأسف أن اللوحة قد نقشت نقشا رديئا وقد تآكلت نقوشها ، ولذلك فانه

من الصعب قراءتها وحل معانيها وسنورد هنا الفقرات الهامة الخاصة بموضوع القناة (راجع Naville, The Store. — City of Pithom p. 15 ff., 4th Edition 1903)

ملخص الترجمة :

نجد بعد سرد القاب الملك « بطليموس الثانى » زيارة هذا العاهل لبلدة « بثوم » اى « تل المسخوطة » فيقول المتن فى السطر السابع : « انجلالته ذهب بشخصه لبلدة « هروبوليس Heroopolis » عرش والده « آتوم » «آتوم» وقد كانت البلاد فى انشراح .. وعندما زار جلالته معبد«بى‌قرحت» أهدى هذا المعبد الى والده « آتوم » وهو الاله العظيم العائش فى « تل المسخوطة » (تكو) . .

وبعد جملة غامضة جدا يظهر ان الحديث فى اللوحة كان خاصا بسياحة قام بها « بطليموس » لمقابلة آلهة « مصر » العائدين لـ « مصر » من بلاد الفرس . وبعد ذلك يتحدث المتن عن رحلة قام بها « بطليموس » والملكة « آرسينوى »فى‌مقاطعة « هروبوليس (نفر ـاب)» وحفر قناة ،فيذكر المتن‌انه فى السنة السادسة عشرة الشهر الثالث من . . . لجلالته حفروا قناة لارضاء قلب والده الاله « آتوم » الاله العظيم وهو الاله العائش‌فى « تل المسخوطة» وذلك لنقل آلهة مقاطعة « تانيس » (= صان الحجر = خنت اب) وابتداؤها هو النهر الذى فى شمال «عين شمس» ونهايتها فى بحيرة التمساح وتجرى بمحاذاة جانبها الشرقى نحو الجدار العظيم الذى يبلغ ارتفاعه مائة «ذراع؟ » وذلك لأجل أن يصد الثوار بعيدا عن هؤلاء الالهة » . وبعد فقرة غاية فى الغموض استعصى حلها يتحدث المتن عن تأسيس بلدة « أرسينوى » وعن حملة على بلاد البدو فى طلب الفيلة لاستعمالها فى جيش الملك .

ويدل فحص متن اللوحة على أن « بطليموس » قد حفر قناة غير قناة الشرق التى جاء ذكرها فى نقوش اللوحة وأن الأخيرة كانت موجودة من قبل.

أما القناةالجديدة فكانت تأخذ ماءها من الفرع البلوزى الذى يخترق مقاطعة « تانيس » أو كان يربطها بقناة « ثارو » السالفة الذكر وتجرى تجاه « تل المسخوطة » وهو مكان محصن يؤلف مع قناة « ثارو » الجزء الأوسط من « جدار الشرق » الذى ورد فى النصوص القديمة .

رأى الأثرى « كليدا » :

ويقول الأثرى « كليدا » ان فحصه موضوع قناة « بطليموس الثانى » أدى الى أن هذه القناة كانت تأخذ ماءها بالقرب من « دفنه » على مقربة من منبع قناة « ثارو » عند منتصف الطريق بين « فاقوس » ومصب الفرع البلوزى . وهذا يفسر الخلاف الذى نجده فى كلام المؤرخين .

الطريق البرى من « قفط » الى « برنيقة » :

غير أن هذه القناة هجرت فى آخر عهد البطالمة واستعمل بدلا منها طريق برى من « قفط » الى « برنيقة » أو الى ميناء « ميوس هرموس » وهى ثغر على ساحل البحر الأحمر . والأولى كانت مستعملة منذ عهد «بطليموس» الثانى وذلك انه فى السنة العاشرة من حكمه (٢٧٥ ق.م.) أسس هذا العاهل مدينة « برنيقة » على شاطىء خليج « اكاتارتوس Acatartos » (وهو الآن جرف غير صحى على شاطىء البحر الأحمر) . والواقع أن « برنيقة » هذه كانت تعد نهاية طريق برية أنشأها « بطليموس » بوساطة جنوده بين البرزخ الذى يفصل النيل عن البحر ، وقد أقيم فيه على مسافات محاط مجهزة بماء عذب واصطبلات لأجل أن يعوض نقص الماء فى هذه الجهة .

سبب انشاء هذه الطريق :

ويقول الجغرافى « استرابون » أن سبب انشاء هذه الطريق من «قفط» حتى « برنيقة » كان للتغلب على الصعوبة التى تعترض السياحة فى بحر رياحه شديدة وبخاصة خليج « السويس » الضيق ، وتدل الحقائق التاريخية على أن استعمال الطريق المائية الموصلة بين البحرين لم تهمل بعد عهد الملك « بطليموس فيلادلف » بل من المحتمل أنها هجرت فى خلال القرن الأول قبل الميلاد واتخذت بدلا منها طريق « برنيقة » ــ قفط » .

ميناء « ميوس هرموس » :

وكذلك ينسب انشاء ميناء « ميوس هرموس » (= ميناء القواقع) الواقعة على البحر الأحمر لايجاد طريق بينها وبين « قفط »،وسبب ذلك ان المسافة بين هذه الميناء وبين النيل كانت أقصر (المسافة بين « قنا » وميناء « ميوس هرموس » حوالى ١٨٣ كيلو مترا) ، وكذلك لوجود مرسى شاسعة ممتازة فيها كما يقول « استرابون » . واذا صدقنا ما يقوله « استرابون » عن هذه الميناء فانها لم تكن مستعملة للتجارة فى عهد البطالمة الا بقدر معلوم، وذلك لأنه فى عهد هؤلاء الملوك كانت تجارة « الأسكندرية » العامة الى الهند تسير بوساطة النيل وكذلك بوساطة ميناء « ارسينوى » الواقعة على خليج « السويس » وكذلك بوساطة ميناء « ميوس هرموس » . وعلى العكس من ذلك كانت التجارة فى عهد الأمبراطور « أغسطس » نشطة فى هذه الميناء ، اذ قد أقلع منها مائة وعشرون سفينة الى الهند وذلك فى عهد ولاية « اليوس جالوس » الرومانى على « مصر » .

ميناء « ميوس هرموس » تحمل محل « برنيقة » :

وأخيرا يظهر أن « ميوس هرموس » قد حلت محل « برنيقة » نهائيا فكانت الطريق التجارية من « قفط » الى « ميوس هرموس » هى الطريق

العامة المتبعة لدرجة أن كل التجارة كانت تمر بها . وعلى ذلك فانه من المحتمل جدا أن الطريق المائية الى « السويس » بوساطة قناة قد هجرت شيئا فشيئا ونقصت قيمتها كما نقص عمقهـا ومن ثم لم تصبح صالحة لسير السـفن الكبيرة فيهـا .

احياء الطريق المائية بين البحرين :

وتدل شواهد الأحوال على أنه فى بداية العصر المسيحى كانت القنـاة التى تربط النيل بالبحر الأحمر مهملة ، غير أنها قد ذكرت أحيانا بأنها الطريق الى الهند كما جاء ذكر ذلك على لسان كل من الكاتبين «لوسيان» والجغرافى « بطليموس » فى منتصف القرن الثانى المسيحى . ويتساءل الانسان عن الأسباب التى دعت الى اعادة استعمال هذه الطريق النهرية والبحـرية بين « افريقيا » و « آسيا » و « أوربا » ؟.

الأمبراطور « تراجان » واصلاح القناة :

واجابة على ذلك نقول : انه من المحتمل أن الأمبراطور « تراجـان » الرومانى بعد انتهاء حروب « داسيس » شرع فى فتح بلاد العرب السعيدة و « أرمينيا » وبلاد ما بين النهرين (« العراق » الحالية) ، وقد رأى أنه من الأمور الحربية الهامة لديه أن يعيد انشاء طريق مواصلات بحرية بين البحر الأبيض المتوسط و « مصر » والبحر الأحمر الذى تغمر مياهه ميناء «عيله» ، وبذلك توجد طريق الى الخليج الفارسى . غير أن هذا الأمبراطور قد توفى حوالى عام ١١٧ ميلادية . ومما يلفت النظر بصفة خاصة أن نقرأ فيما كتبه مؤرخو العرب خصوصا « المقريزى » أن الأمبراطور « هدريان » ربيب « تراجان » وخليفته هو الذى أتم القناة التى ابتدأها « تراجان » وأن « هدريان » هو الذى أعاد حفر هذه القناة التى تصب فى بحر القلزم (البحر

الأحمر) . ومما يطيب ذكره هنا بهذه المناسبة أن الأمبراطور « هدزيان »، كان قد زار « مصر » عام ١٣٢ ميلادية ومكث فيها مدة طويلة وهذا يتفق مع الرأى القائل انه هو الذى أعاد حفر القناة .

الأسباب التى دعت لأعادة حفر هذه القناة :

وقد حدثنا كل من الجغرافى « بطليموس » وكتاب العرب عن العمل الذى قام به كل من « تراجان » و « هدريان » فنفهم مما كتباه أن انحدار مجرى القناة فى زمنهما كان ضعيفا عند « بوبسطة » ومن نقطة تقع ما بين « عين شمس » و « بوبسطة » حتى « القلزم » الواقعة على البحر الأحمر مما سبب صعوبة الملاحة ، ومن ثم نفهم أن ما قام به هذان العاهلان كان ينحصر فى حفر القناة من جديد بصورة جدية أو انشاء قناة جديدة تحمل المياه من النيل من عند « بابليون » (« مصر القديمة » الحالية) .

والظاهر أن هذه القناة قد استمرت مستعملة حتى العهد الأسلامى فى « مصر » على حسب ما رواه « المقريزى » وهو القائل ان الأمبراطور « هدريان » قد حفر القناة التى تصب فى بحر القلزم وكانت السفن تمر فيها فى الأزمان الأولى من العهد الأسلامى .

إصلاح القناة على أيدى العرب

« عمر بن الخطاب » والقناة :

لاحظنا فى الوثائق العربية التى استعرضناها هنا بعض الغموض فى التعابير التى يصعب فهمها على القارىء العادى . وتدل كل الوثائق التى وصلت الينا من كتاب العرب على أن « عمرو بن العاص » هو الذى قام باصلاح القناة ثانية حتى جعلها صالحة للملاحة ، وقد شرح لنا السبب فى ذلك الكاتب الفرنسى « لابيير » فى مؤلفه المسمى « قناة البحرين » وذلك على حسب ماجاء بكتاب «بن عبد الحكم» الذى نقل بدوره عن « عبد الله بن صالح » . ويتلخص ذلك فى أنه حدث قحط كبير فى مدينة الرسول وفى كل أنحاء بلاد الحجاز ، ومن أجل ذلك طلب الخليفة « عمر بن الخطاب » الى « عمرو ابن العاص » ارسال قافلة كبيرة العدد فكان أولها قد وصل الى « المدينة » قبل أن يغادر آخرها « مصر » . ويكفى أن يتصور الأنسان عظم الكارثة عند ما يعرف أن المؤنة والجمال التى كانت تحملها لم تكد تكفى سد حاجة الناس هناك . ومن أجل ذلك أمر « عمر بن الخطاب » عامله على « مصر » « عمرو بن العاص » بالحضور الى « المدينة » وهناك أمره بحفر قناة النيل التى تصل الى البحر الأحمر لتسهيل حمل الميرة التى يصعب حملها على ظهور الأبل . ولم يرض المصريون عن هذا المشروع عن طيب خاطر لأن ذلك كان فيه خراب لبلادهم لمصلحة الغزاة ، ولكن الخليفة « عمر » فهم ما فى قلوبهم وهدد « عمرو » ان هو لم يفعل ما أمره به ، وقد عاد « عمرو » الى «مصر» وجمع عددا كبيرا من العمال وحفر القناة من النيل حتى « قصر القلزم »

(السويس) . ولم تكد تنتهى السنة حتى اصبح فى مقدور السفن ان تجرى فى القناة حاملة المؤن الضرورية الى « مكة » و « المدينة » .

رأى « عمر بن الخطاب » فى احياء التجارة القديمة :

وقد روى لنا الكاتب « لابيير » نقلا عن وثيقة أخرى لم يذكر لنا اسم مؤلفها أن « عمرو بن العاص » أجاب عن خطاب أرسله « عمر بن الخطاب » اليه فى هذا الشأن قائلا : يا أمير المؤمنين « عمر » انى أعلم أنه قبل الاسلام كانت هناك سفن تحمل الينا التجارة من « مصر » وانه منذ أن قمنا بفتح البلاد توقفت هذه الصلة وأن القناة ردمت وتخلى التجار عن السياحة فيها فهل تريد أن آمر بحفرها ثانية ؟ .

روايات مؤرخى العرب عن اعادة حفر القناة :

هذا وقد روى لنا كثيرون من مؤرخى العرب روايات مختلفة عن اعادة حفر هذه القناة نذكر منهم :

(١) القضاعى :

روى « القضاعى » أن « عمر بن الخطاب » أمر « عمرو بن العاص » بحفر القناة التى تسمى قناة « أمير المؤمنين » وهى التى تخرج من عند « الفسطاط » ، وقد أنجز حفر هذه القناة فى أقل من سنة .

(٢) الكندى :

أما « الكندى » فيقول ان هذه القناة كانت قد حفرت فى عام ٦٤٣ــ٦٤٤م وانتهت فى ستة أشهر .

« مصر » مصدر ثروة لبلاد العرب :

وهذه الوثائق التى ذكرناها من قبل تخول لنا أن نقرر هنا أنه على أثر فتح « مصر » (٦٤٠ — ٦٤٢ ميلادية) رأى العرب ما كانت عليه « مصر » من خصب وثراء يمكن الافادة منه لتموين بلاد « الحجاز » الفقيرة ، ومن ثم رأى « عمر » ضرورة اعادة هذه الطريق المائية الهامة بين النيل والبحر الأحمر ، تلك الطريق التى توصل الى بلاد العرب وثغورها .

تطهير القناة من عند « الفسطاط » :

ولم يكن القيام بكرى القناة بالعمل الشاق اذ كان مجرد تطهير ، دون احداث تغيير أو اصلاح فى مجراها الأصلى . والواقع ان العمل فى ذلك لم يمكث أكثر من ستة أشهر كما ورد ذلك فى رواية «الكندى» . وقد بدىء العمل فى هذه القناة عند « الفسطاط » وانتهى عند « القلزم » وبذلك أصبح فى استطاعة التجار استعمالها دون أى عائق .

فكرة حفر قناة مباشرة بين البحرين :

ومن المدهش فى تاريخ اعادة هذه القناة بوصفها طريقا مائية تربط بين البحرين ، أنه قد فكر فى العهد العربى فى حفر قناة مباشرة بين البحرين تأخذ من مائهما دون الالتجاء الى قناة تخرج من النيل لتربط بينهما ، فقد روى لنا المؤرخ « أبو الفداء » عن « ابن سعد » أنه بالقرب من « الفرما » يقترب البحر الأبيض المتوسط من البحر الأحمر لدرجة أنهما لا يبعدان الواحد عن الآخر أكثر من حوالى سبعين ميلا . وهذه المسافة التى تبلغ ١٠٤ كيلو مترا هى عبارة عن عشرة كيلو مترات أقل من « الفرما » الى « قصر القلزم » (السويس) اذا قيست فى خط مستقيم .

« عمرو بن العاص » أول من فكر فى هذا المشروع :

هذا ويضيف « أبو الفداء » الى ما سبق أن « عمرو بن العاص » كان لديه فكرة فى عمل قطع ليوصل البحرين بمائهما وهذا القطع كان لا بد أن يعمل فى المكان الذى يسمى «ذنب التمساح». وقد ذكر لنا ذلك «المسعودى» الذى أوردنا متنه الغريب فيما سبق بشىء من التفصيل ، ولكن رأيه فى ذلك كان كرأى الكتاب الأقدمين امثال « أرسطو » و « ديودور الصقلى » و «بلينى القديم» وهم معروفون عند المؤرخين العرب . فقد أعلنوا استحالة تنفيذ هذا المشروع بسبب أن مستوى البحر الأحمر كان أعلى من مستوى البحر الأبيض . وهذه النظرية كانت من المحتمل جدا أنها ترجع فى أصلها الى وجود المستنقع الذى يروى « القلزم » ، ولكن هذا المنسوب المرتفع كان يتلاشى تماما عند « الفرما » . وكذلك نشاهد فى رواية المسعودى أن « عمرو بن العاص » قد ضرب صفحا عن هذه الفكرة الجذابة وعاد الى تتبع أثر القناة الخارجة من النيل وتطهيرها .

وأول فرع للقناة هو الذى يخرج من النيل الى بحر القلزم ، وكان هنا بالضبط كما ذكر المؤرخون العرب قد بدأ العمل الذى أنجزه «عمرو بن العاص» أى جعل قناة القدامى صالحة للملاحة بتطهيرها .

وقد ذكر «المسعودى» أن الموضع الذى حفره « عمرو » ببحر القلزم — وهذا ما يسميه « أبو الفداء » القطع — يعرف بذنب التمساح وهو على مسافة ميل من مدينة « القلزم » . وهذا الموقع ذكره كذلك « أبو الفداء » بوصفه منبع القناة . وقد حدده « المسعودى » بالنسبة لـ « القلزم » ، والواقع أن « القلزم » هو الاسم العربى الذى حل محل الاسم الأغريقى « قلزما Clysma » وهو ما يقابل « كوم القلزم » الحالى الواقع فى الزاوية الشمالية الشرقية من مدينة « السويس » . أما اسم ذنب التمساح فانه على

ما يظهر مأخوذ من شـكل طبيعة المكان هناك ، اذ من المحتمـل أن خليج « السويس » وبخاصة المستنقع — وهو آخر مكان ينغمس فيـه خليـج « السويس » — قد سمى بذنب التمساح من شكله .

وعلى أية حال فان المكان الذى ذكره كل من «المسعودى» و «أبو الفداء» بأنه منبع القناة قد أشير اليه بوضوح اذ نجده مذكورا حتى فى أيامنا .

قنطرة « عبد العزيز بن مروان » :

والعمل الوحيد الذى نجده مذكورا فى المتون الأغريقية واللاتينية هو القنطرة العظيمة التى يتحدث عنها « المسعودى » وهى التى كان يعبر عليها الحجاج المصريون المستنقع ، وكان قد أقامها « عبد العزيز بن مروان » حاكم « مصر » . وهذه القنطرة على ما يظهر لم تكن الا معبرا ؛ وقـد عثر على بقاياها . وليس من المستحيل أنها كانت قد أقيمت هناك على أنقاض معبر معروف منذ أزمان قديمة جدا ، وكان الغرض منها أن توصل الى الطريق الكبيرة الآتية من « بابليون » و « القاهرة » و « منف » و « بلوز» (= الفرما) ويستمر « المسعودى » فى متنه قائلا ان القنـاة كانت تمر بقنطرة فى أرض « مصر » تسمى « الهامة » (وكان العرب يقصدون بأرض « مصر » اقليم الدلتا الخصب) ، وهنا كانت كذلك تبتدىء « مصر » فى نظر القدامى ، ومن المحتمل أن « الهامة » كانت تقع على الفرع البلوزى فى اقليم « صـفط الحناء » أو « بلبيس » ، وذلك على حسب ما اذا كانت قنـاة العرب قد شغلت القناة الشمالية أو القناة الجنوبية لوادى « طميلات » . ومن المحتمل جدا على أية حال أن القناة الجنوبية هى قناة « هدريان » وانها هى التى اعاد العرب كريها وجعلها صالحة للملاحة ، يدل على ذلك ما حدثنا به المؤرخ العربى « الفرجان » الذى عاش فى أوائل القرن التاسع الميلادى بمناسـبة

الخليج الذى كان أصل القناة النيلية : « ان القناة التى أصلحها « عمرو بن العاص » وسميت باسم « خليج أمير المؤمنين » تمجيدا لـ «عمر بن الخطاب» هى نفس قناة « تراجان » التى أطلق عليها «بطليموس» الجغرافى هذا الاسم.

أسماء القناة عند المؤرخين العرب :

أما عن الأسماء الأخرى لهذه القناة فى المؤلفات العربية فقد ذكر لنا «المقريزى» فيما كتبه بعض معلومات فى هذا الصدد ، فعلى حسبه سميت أولا قناة « مصر » والواقع أنها كانت تحاذى الشاطىء الشرقى لهذا الأقليم الغنى (يقصد الدلتا) . ولما أسست مدينة « القاهرة » على مسافة قليلة من « الفسطاط » (بابليون) على الشاطىء الشرقى لهذه القناة سميت قناة « القاهرة » ، ولكن كان اسمها الرئيسى أول الأمر هو «خليج أمير المؤمنين» وكانت تسمى أحيانا « قناة اللؤلؤة » .

نقطة تقابل السفن فى هذه القناة :

ومما يطيب ذكره هنا أن نقرر أنه على حسب ما جاء فى المتون العربية أن هذه القناة لم تكن تؤلف اتصالا بحريا مباشرا بين البحر الأبيض المتوسط والأحمر ، وفى ذلك يقول « المسعودى » أن نقطة التقابل كانت تحدث فى أرض « مصر » (أى الدلتا) عند « الهامة » وذلك أن سفن النيل والقوارب الصغيرة التى تشبه القوارب الشراعية التى تجرى فى البحر الأبيض حديثا كانت تأتى هناك لمقابلة قوارب البحر الأحمر ، وهناك كانت تجرى المعاملات التجارية .

مدة السفر فى القناة حتى البحر الأحمر :

ويقول « ابن الطوير » فى هذا الصدد أنه فى وقت الفيضان وهو أحسن فصل للسياحة كان لا بد من خمسة أيام للسفن لتحمل على النيل والقناة المؤن المشحونة من « مصر » الى « الحجاز » ، وكان أهل « الحجاز »

يرسلون مثل أيامنا قواربهم الى « السويس » (« القلزم ») لملاقاة سفن النيل عند « القلزم » محملة بمحصول « مصر » .

تاريخ طم القناة فى العهد العربى :

اتفقت كل المصادر العربية على الزمن الذى طمت فيه القناة والأسباب التى دعت الى ذلك . فقد كتب «المقريزى» أن الناس كانت تسيح فى هذه القناة الى الوقت الذى ثار فيه « محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسين ابن على ابن أبى طالب » فى « المدينة » على « أبى جعفر عبد الله بن محمد المنصور » ثانى خلفاء بنى العباس .

ويروى لنا « شمس الدين البلاذرى » نفس الرواية فى عهد الخليفة السالف الذكر . ولكن تختلف تواريخ هذا الحادث على حسب أقوال المؤرخين من ٧٦٢ الى ٧٦٧ ميلادية . ويؤكد « المقريزى » أن ردم القناة قد حدث فى سنة ٧٦٧ — ٧٦٨ ميلادية . هذا وقد رأينا عند درس المتون التى وردت عن القناة أنه فى عام ٧٥٠ ميلادية أن الراهب « فيدليس » عند ذهابه الى شبه جزيرة « سيناء » ساح فى النيل حتى « القلزم » بوساطة القناة . أما « شمس الدين » فيحدد ردم القناة بأنه قد نفذ بسد فتحة مصبها عند « القلزم » .

رأى « المسعودى » :

ولكن اذا صدقنا ما رواه « المسعودى » من أن خلف المنصور وهو أمير المؤمنين « هارون الرشيد » قد تناول ثانية مشروع احياء المواصلات بين البحرين فان ذلك يعد تجديدا لفكرة « عمر » فيقول :

« فرام ذلك مما يلى بلاد « الفرما » نحو بلاد « تنيس » على أن يكون مصب بحر القلزم الى البحر الرومى » . وعلى ذلك يكون هذا المشروع

عبارة عن الأخذ ثانية بفكرة « عمرو بن العاص » وهى انشاء قناة مباشرة من « بلوز » الى « الفرما » دون استعمال ماء النيل .

وانه لمن الغريب حقا أن يكون احجام « الرشيد » أو تخليه عن تنفيذ هذا المشروع يرجع الى فكرة سياسية كالتى فرضناها عند تفسير ردم «دارا» للقناة على حسب ما جاء فى الحملة الغامضة التى وردت فى لوحة «كبريت»، غير أن « الرشيد » القوى السلطان لم يخلفه على العرش رجل قوى مثل « اكزركزس » الذى أتم حفر القناة التى بدأها « دارا الأول » والده .

هل بدأ « الرشيد » فى تنفيذ مشروعه ؟

ومن المهم جدا أن نبحث فيما اذا كان ما رامه « الرشيد » كما يقول « المسعودى » قد اتخذت الخطوة الأولى فى تنفيذه لأنه على حسب ذلك قد يكون فى أيدينا المفتاح لحفر جزء من القناة وهو الذى يبتدىء من أول الجسر وهضبة الفردان . والواقع أنه ليس ببعيد أن يكون « الرشيد » قد بدأ فعلا هذا العمل ثم أحجم عنه وذلك لأنه كان صاحب مشاريع مائية عظيمة نفذت فى عهده وبخاصة فى بلاد « الحجاز » . ولا أدل على ذلك مما قامت به زوجه « زبيدة » من سقى أهل « مكة » من عين ماء تقع على مسافة ٢٥ كيلومترا من « مكة » وأنفقت فى حفر القناة التى توصل هذه العين «بمكة» حوالى ما يساوى ثلاثة ملايين من الجنيهات وذلك بعد أن كانت الرواية عند أهل « مكة » بدينار . ويقول «الجوزى» فى كتاب « الألقاب » أن «زبيدة» أسالت الماء عشرة أميال بحفر الجبال وتحت الصخر حتى غلغلته من الحل الى الحرم وعملت عقبة البستان ، فقال لها وكيلها يلزمك نفقة كثيرة فقالت اعملها ولو كانت ضربة فأس بدينار . (راجع « ابن خلكان الجزء الأول ص ٣٣٧ و Borchardt Travels Vol. I, p. 196:) .

وقد ظلت هذه القناة مهملة لم يحاول احد اعادة فتحها حتى عام ١٥٨٦ ميلادية .

المحاولات الأخرى التى بذلت لإعادة حفر قناة قبل «ديلسبس»

« سافاري دي لانكوزم » Savary de Lancosme ومشروع حفر قناة تبتدىء عند « القاهرة » :

ففى هذا الوقت كان « سافارى دى لانكوزم » سفيرا لفرنسا فى « القسطنطينية » وقدم للملك « هنرى الثالث » مشروع اعادة حفر قناة تبتدىء عند « القاهرة » وتجرى الى خليج البحر الاحمر .

« ريشليو » Richelieu وقناة « السويس » :

وبعد ذلك قدم فرد مجهول الاسم للوزير الفرنسى « ريشليو » فى عهد الملك « لويس الثالث عشر » (١٥٨٥ — ١٦٤٢ ميلادية) مشروع حفر قناة تجرى من «السويس» الى « القاهرة » وهذه القناة كانت مستعملة فى عهد فراعنة « مصر » ومن المحتمل فى عهد « سليمان » .

« كولبير » Colbert وقناة « السويس » :

وكذلك نعلم ان الوزير الفرنسى « كولبير » الذى عاش فى عهد «لويس الرابع عشر » (١٦١٩ — ١٦٨٣ ميلادية) قد طلب من مليكه بوساطة « دى لاهاى » (M. de la Haye) ان يمنحه الحرية اللازمة لاقامة مستودعات عند « السويس » فى « مصر » فى داخل البحر الاحمر ، هذا بالاضافة الى ضمان نقل كل السلع سواء اكان ذلك بالعربات أم بالنيل من أول مدينة « السويس » حتى البحر الأبيض المتوسط .

« ليبنتز Leibnitz الفيلسوف الألمانى وقناة « السويس » :

وكذلك جاء فى المذكرة الشهيرة التى وضعها الفيلسوف العظيم «ليبنتز» لملك فرنسا « لويس الرابع عشر » أهمية برزخ « السويس » من الوجهتين السياسية والتجارية .

« سفارى Savary » وقناة « السويس » :

وقد درس « سفارى » فى نهاية القرن السابع عشر المشروعات المختلفة الخاصة بحفر قناة تربط بين البحرين فى «مصر» ومنها المشروع الذى تبناه ثانية « بنوا دى ماليه Benoist de Maillet » الذى كان يعلم شيئا عن آثار الأعمال التى كانت باقية فى الصحارى المجاورة لمدينة « السويس » .

مركيز « دارجنسون » Marquis d'Argenson:

وتدل حقائق الأمور على ان المركيز « دارجنسون » كان أول من فكر بعد العرب فى مشروع انشاء قناة مباشرة لجميع العالم . والواقع انه فكر فعلا فى حفر قناة جميلة توصل من البحر الابيض الى البحر الاحمر ، غير انه فكر فى ذلك وكان يأمل أن يجعلها خاصة بالعالم المسيحى وحسب .

البارون « توت » ومشروع قناة « السويس » :

وقدم البارون « توت » الذى كان يعمل سفيرا ومعلما لجيوش ملك فرنسا مشروعا للسلطان « مصطفى » عام ١٨٨٦ ميلادية وفحواه ربط البحرين الابيض والأحمر بوساطة برزخ « السويس » Memoires sur les Turcs, 1784, part. III, et IV. Cités par Le Pére et Douin.

« نابليون » وقناة « السويس » :

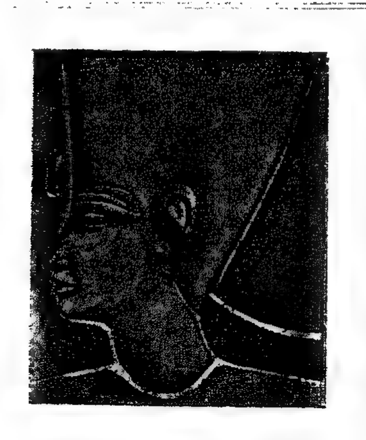
وأخيرا لما قدم « نابليون » الى « مصر » فى غارته المشهورة عليها فكر فى اعادة توصيل البحرين بحفر ترعة بينهما من مائهما ، ولكنه امتنع عن انفاذ مشروعه لتوهم « لابيير » مهندس الحملة الفرنسية ان سطح البحر الاحمر يعلو على سطح البحر الابيض بتسعة أمتار .

« محمد على » وقناة « السويس » :

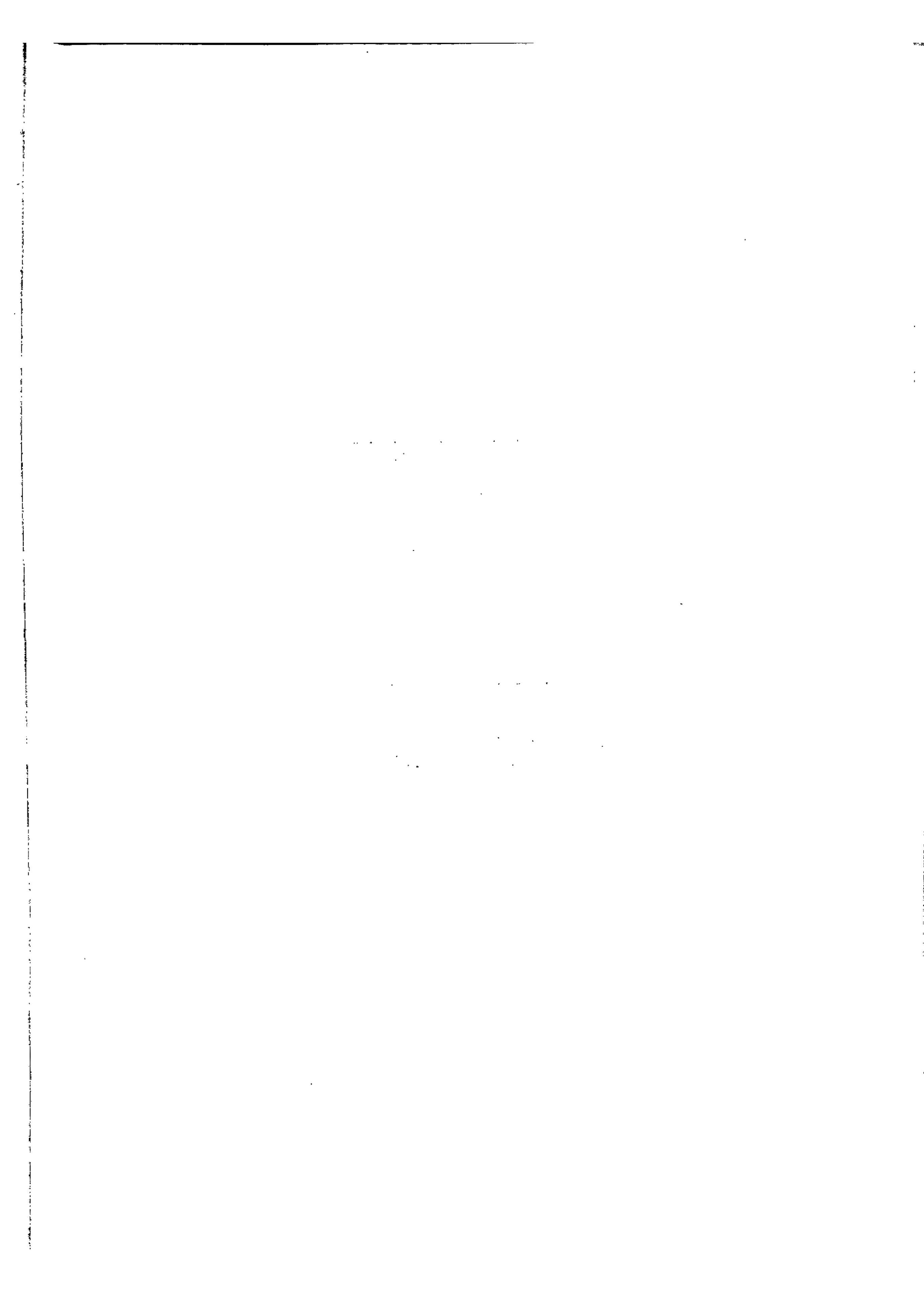
وبقيت هذه الغلطة شائعة الى ان اصلحت نهائيا فى عهد « محمد على » اذ حضر الى « مصر » فى عام ١٨٤٧ ميلادية بعث من اوربا ليفحصوا المشروع فاشترك معهم « لينان » مهندس الحكومة المصرية وقتئذ فأقر الجميع بفساد رأى « لابيير » وأثبتوا ان البحرين فى مستوى واحد ، على ان « محمد على » كان يشك فى نجاح المشروع ويخشى عاقبته ، كما فطن لذلك من قبله « هارون الرشيد » الا انه لم يأل جهدا فى مساعدة البعث فى بحثهم لئلا يظهر بمظهر المعرقل لمسعاهم .

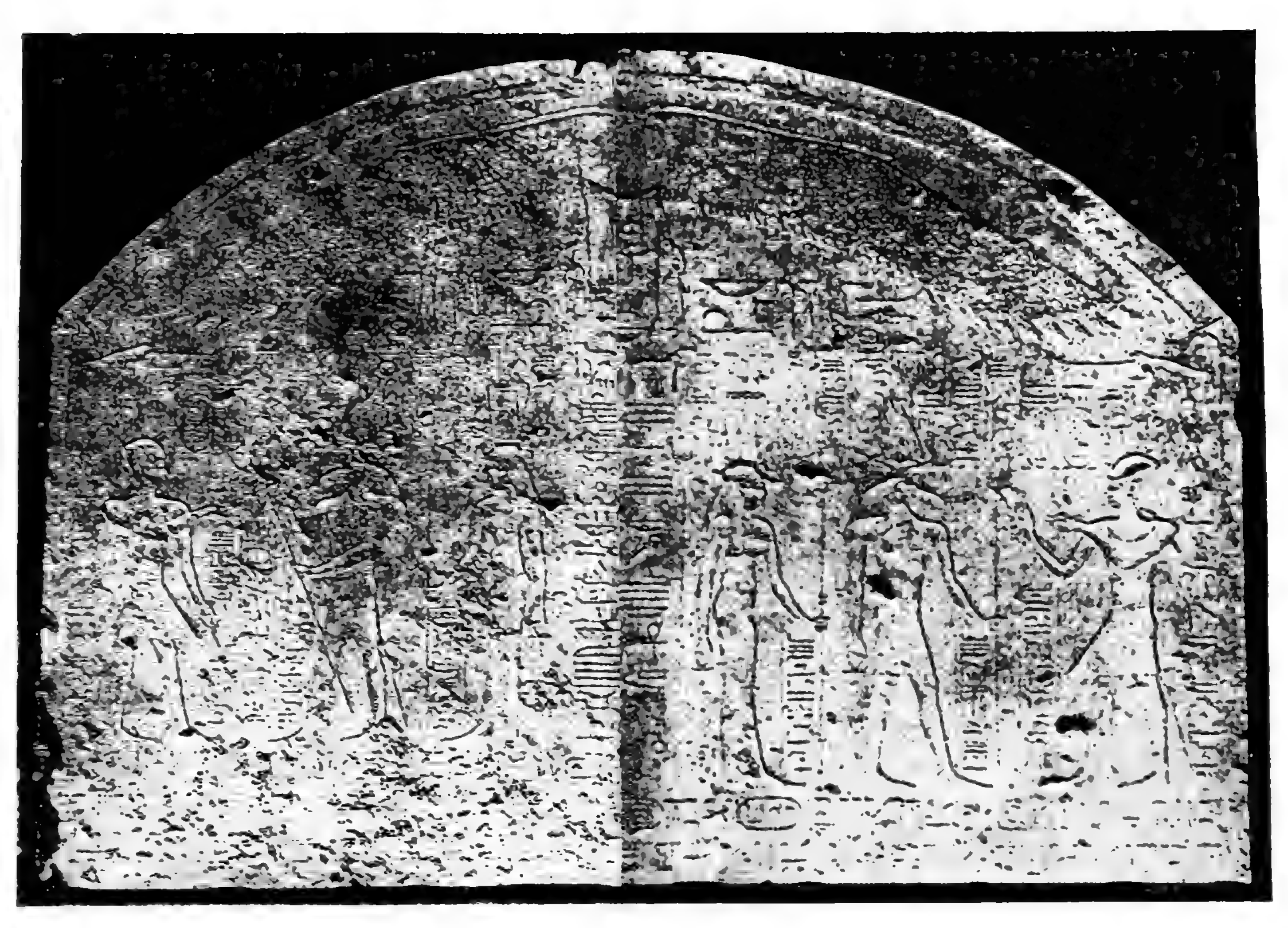
وقد ظل بعد ذلك المشروع موقوفا حتى تولى « سعيد » فنال منه « فردنند ديلسبس » عام ١٨٥٤ ميلادية اذنا ابتدائيا بحفر قناة « السويس » فكان ذلك الحادث أول تدخل فى شئون « مصر » مما أفضى الى استعمارها فى عام ١٨٨٢ ميلادية . وظلت كذلك حتى عام ١٩٥٢ ميلادية حين خلعت عن عاتقها نير الاستعمار وطردت المغتصب نهائيا ثم اممت القناة واصبحت « مصر » هى صاحبة السيادة عليها على الرغم من تكتل الدول العظمى عليها ومحاربتها لانتزاع استقلالها منها والاستيلاء على القناة ثانية ، ولكن «مصر» ظلت صلبة العود عزيزة الجانب بفضل وطنية قادتها .. وقوة ايمان شعبها

الذى بهر العالم بصبره وحسن بلائه أمام جحافل دولتين من دول العالم العظمى ودولة ثالثة صغيرة أستعملت بمثابة مخلب القط الذى فقد مخلبه وتلاشت آماله .

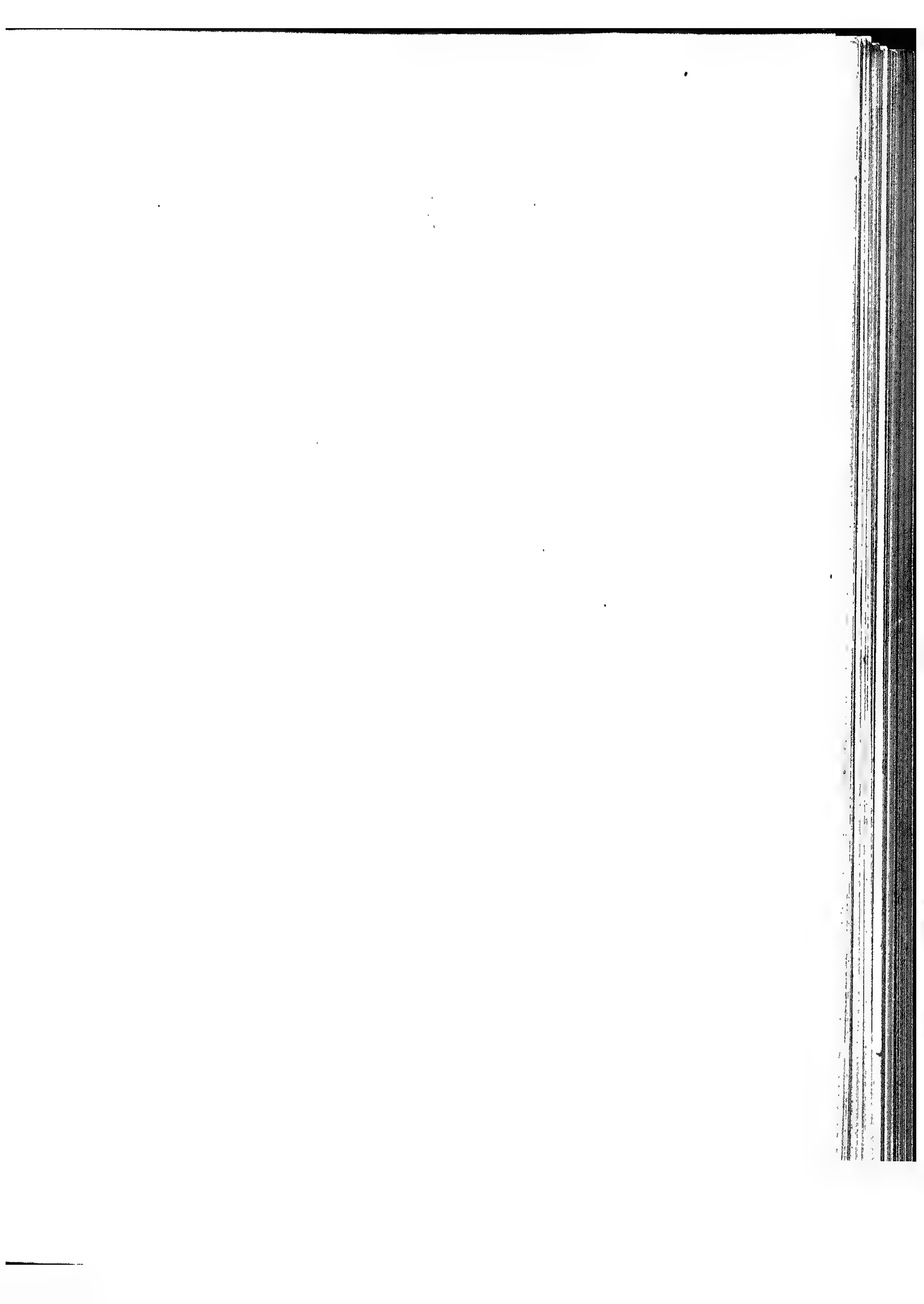


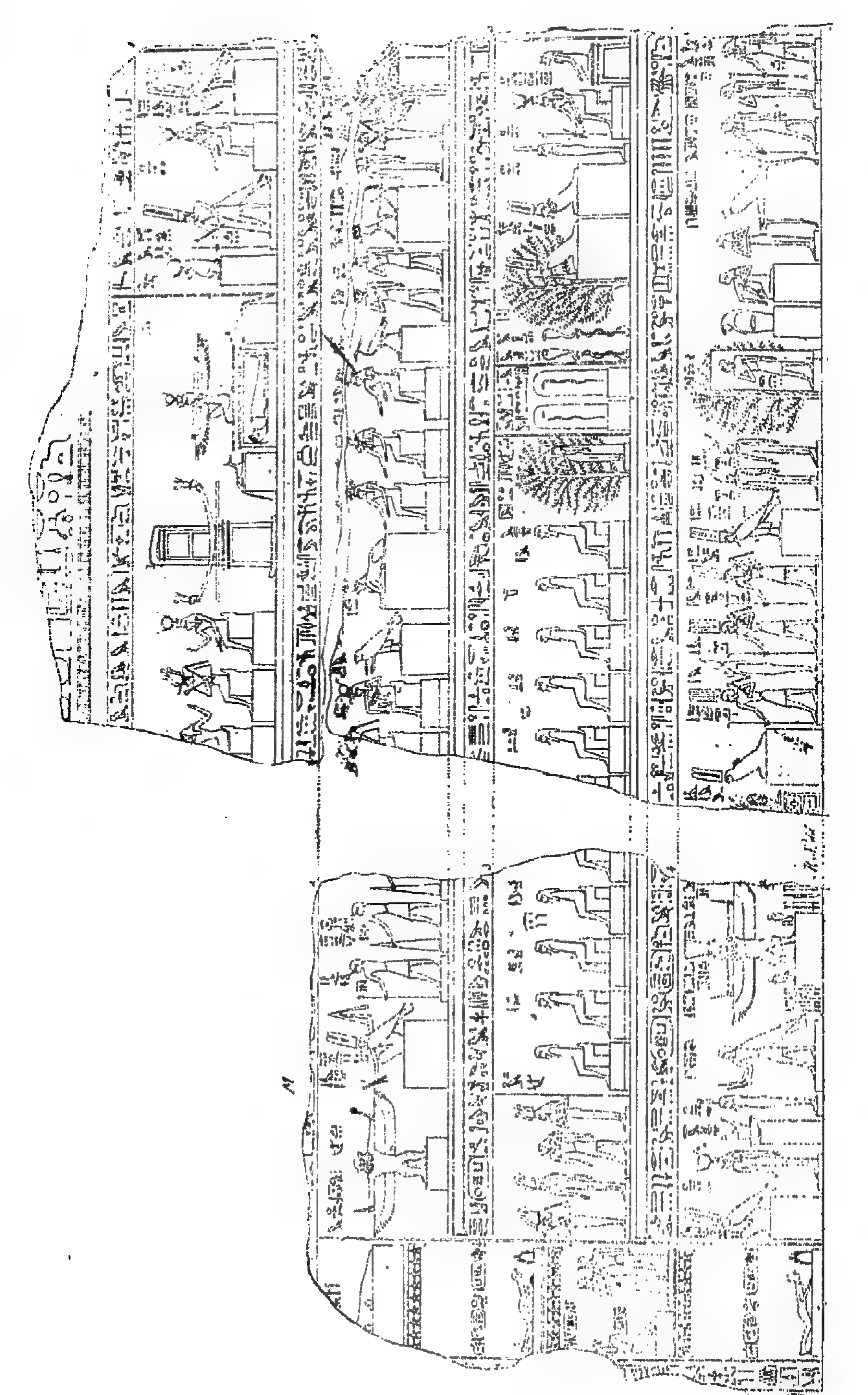
الملك اوكوريس
(انظر صفحة ١٥٨)



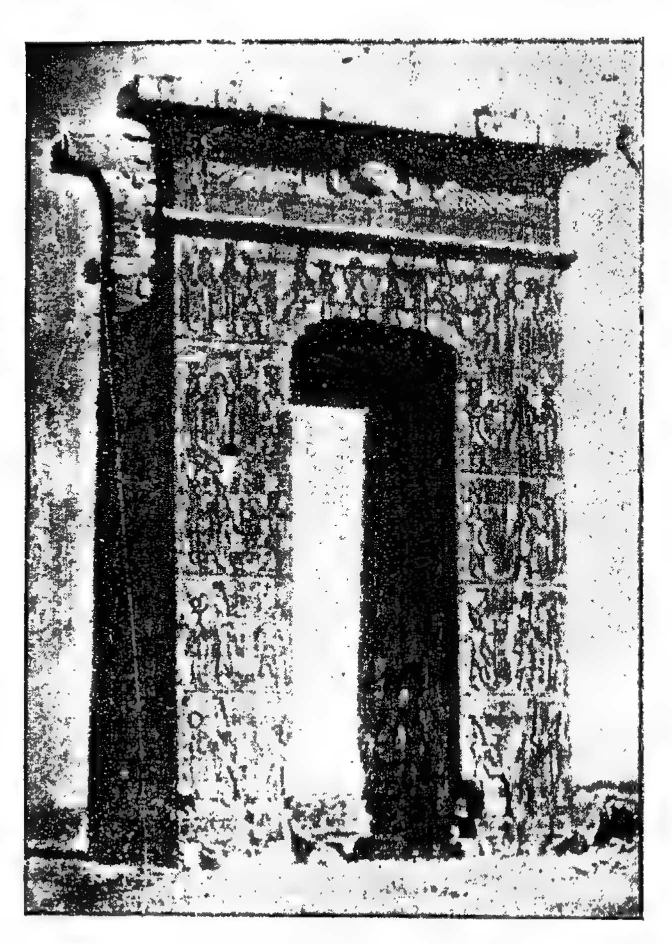


لوحة نقطانب الأول عثر عليها في الأشمونين (انظر صفحة ٢١٥)

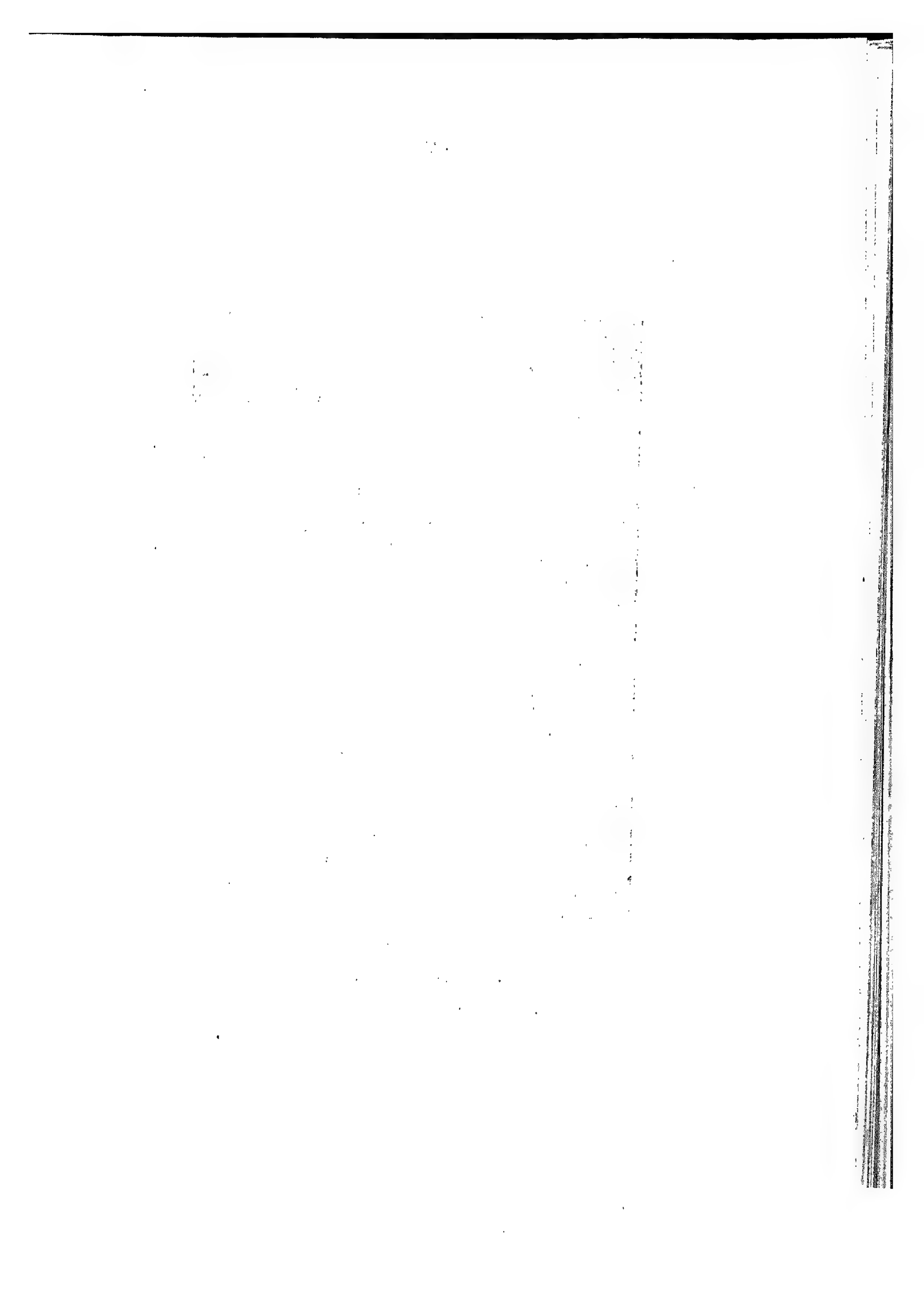


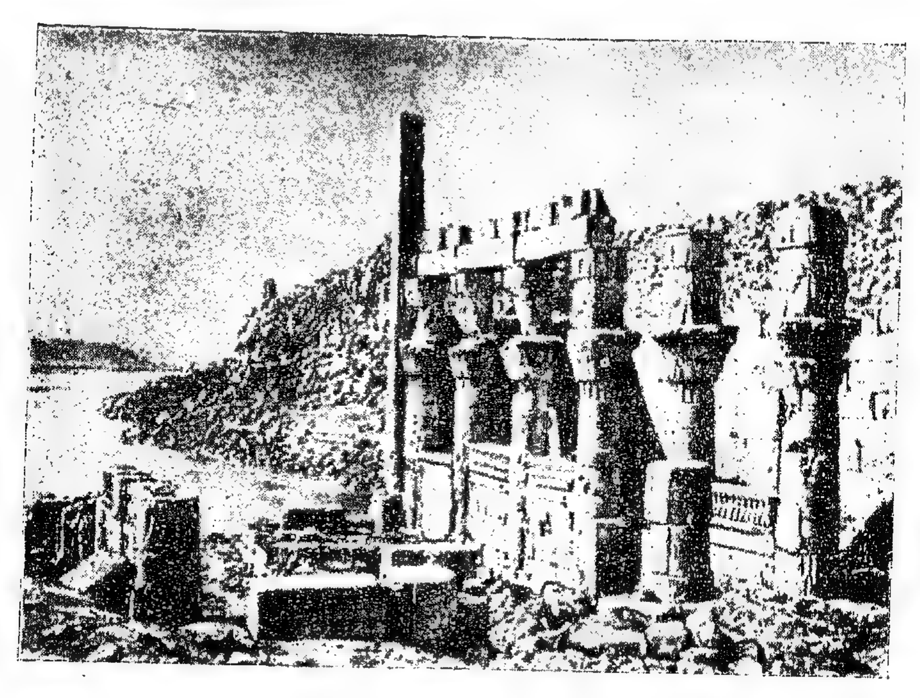


جزء من ناووس نقطانب الأول في سقط الحناء (انظر صفحة ١٤١)



البوابة العظيمة للملك
نقطانب الأول بالكرنك
(انظر صفحة ٢٧٥)



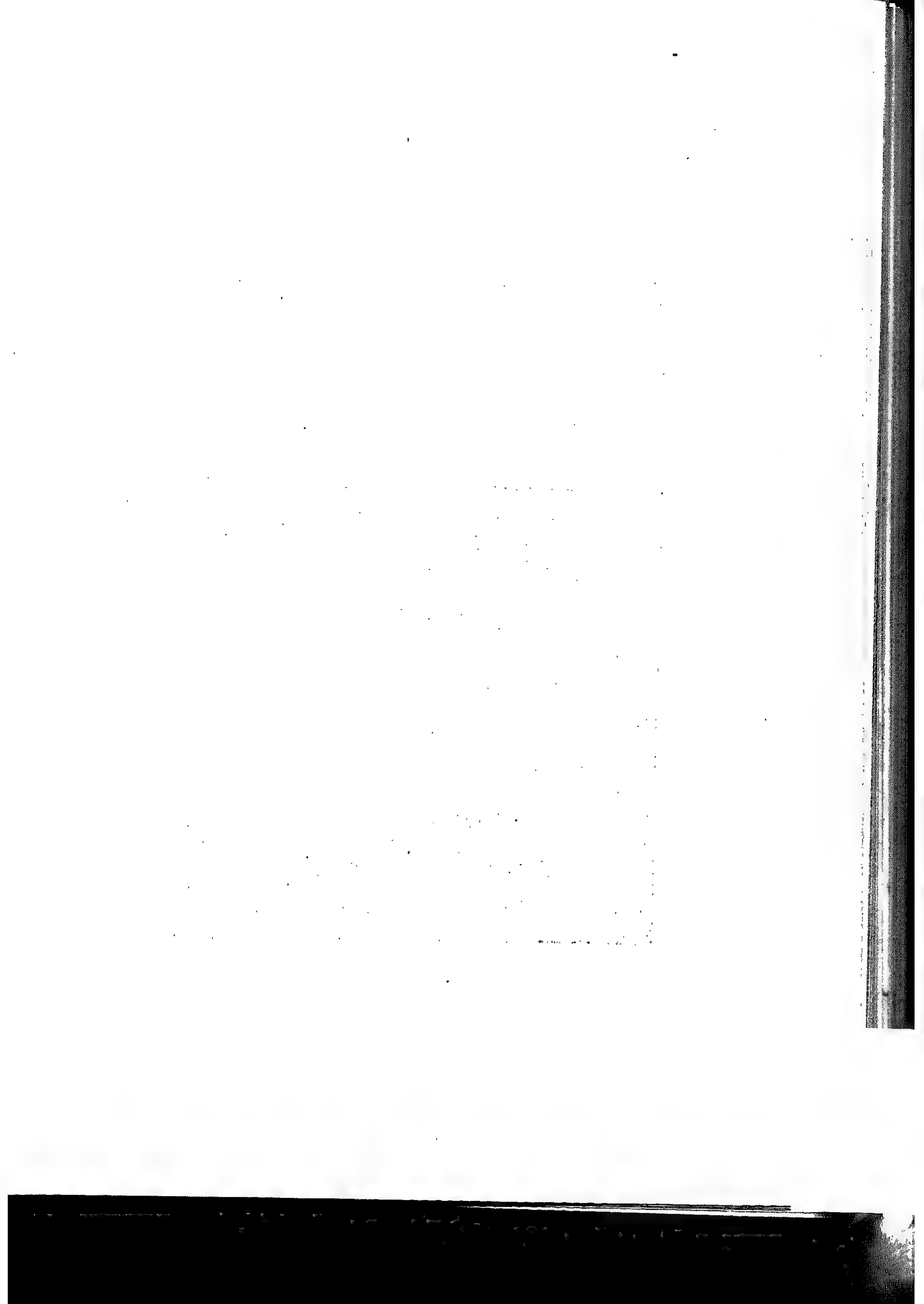


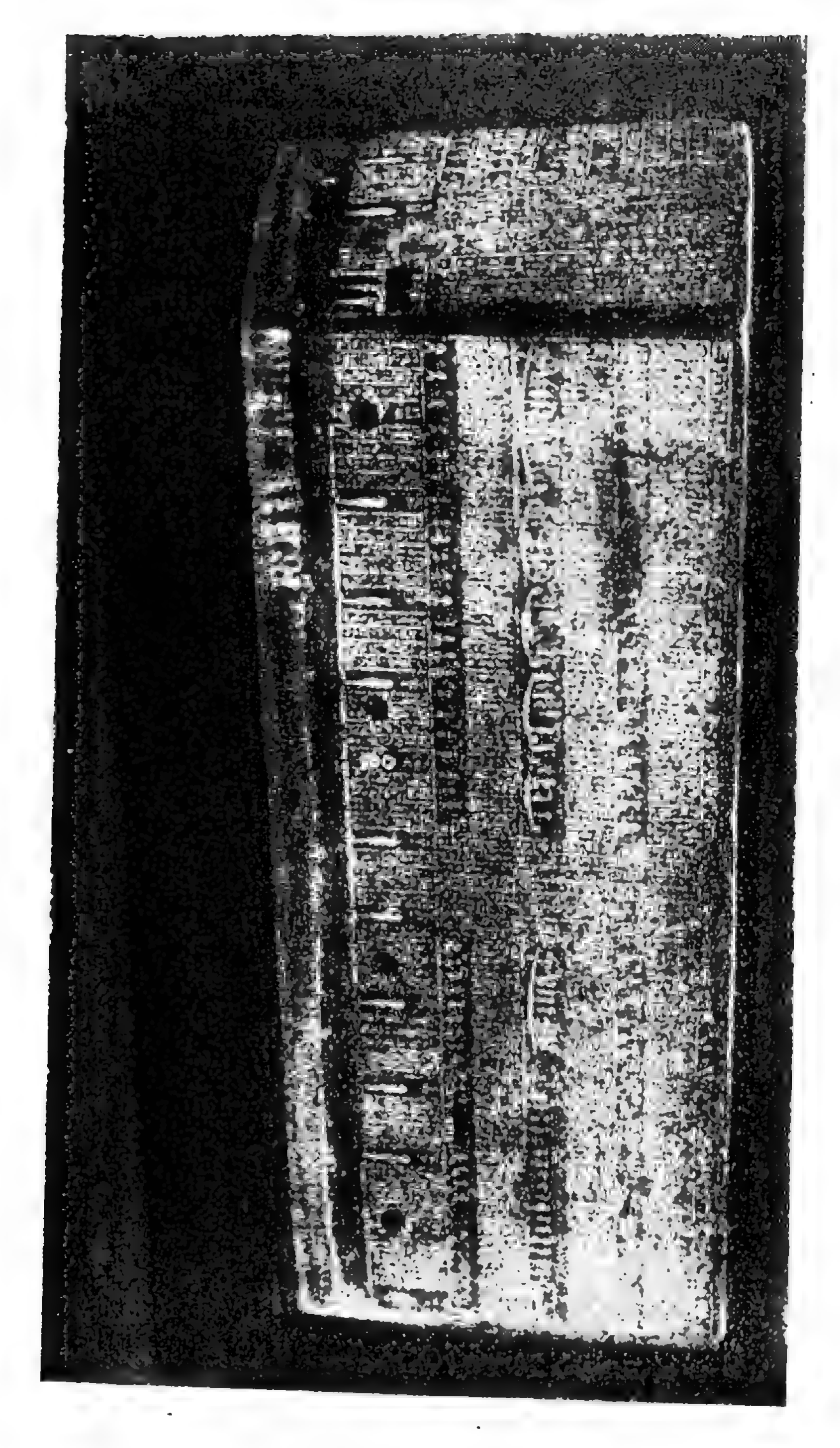
معبد نقطانب الاول في النهاية الجنوبية من الفيلة (انظر صفحة ٢٧٧)



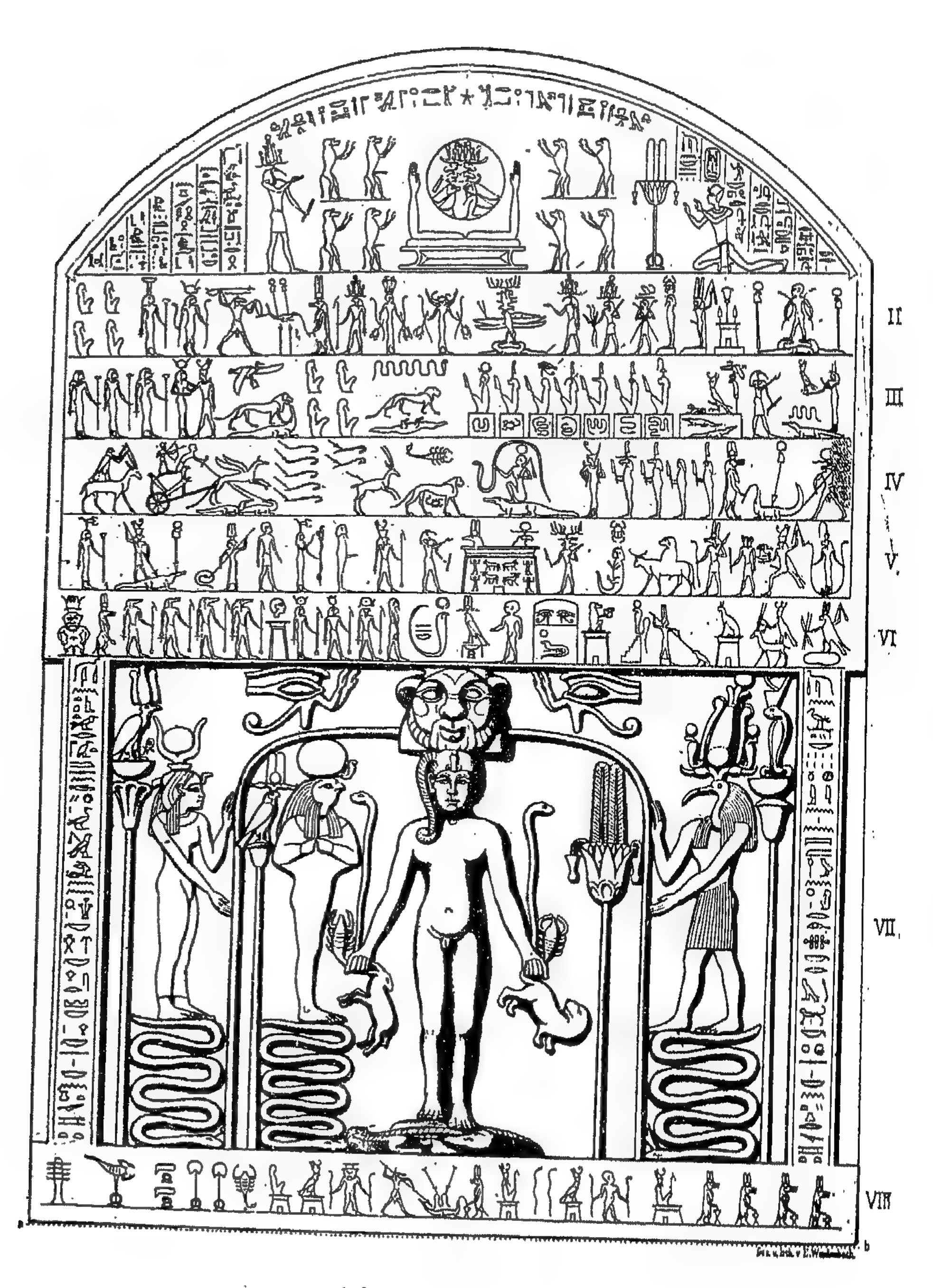


الملك نقطانب الثانى
انظر صفحة ٣٠٦

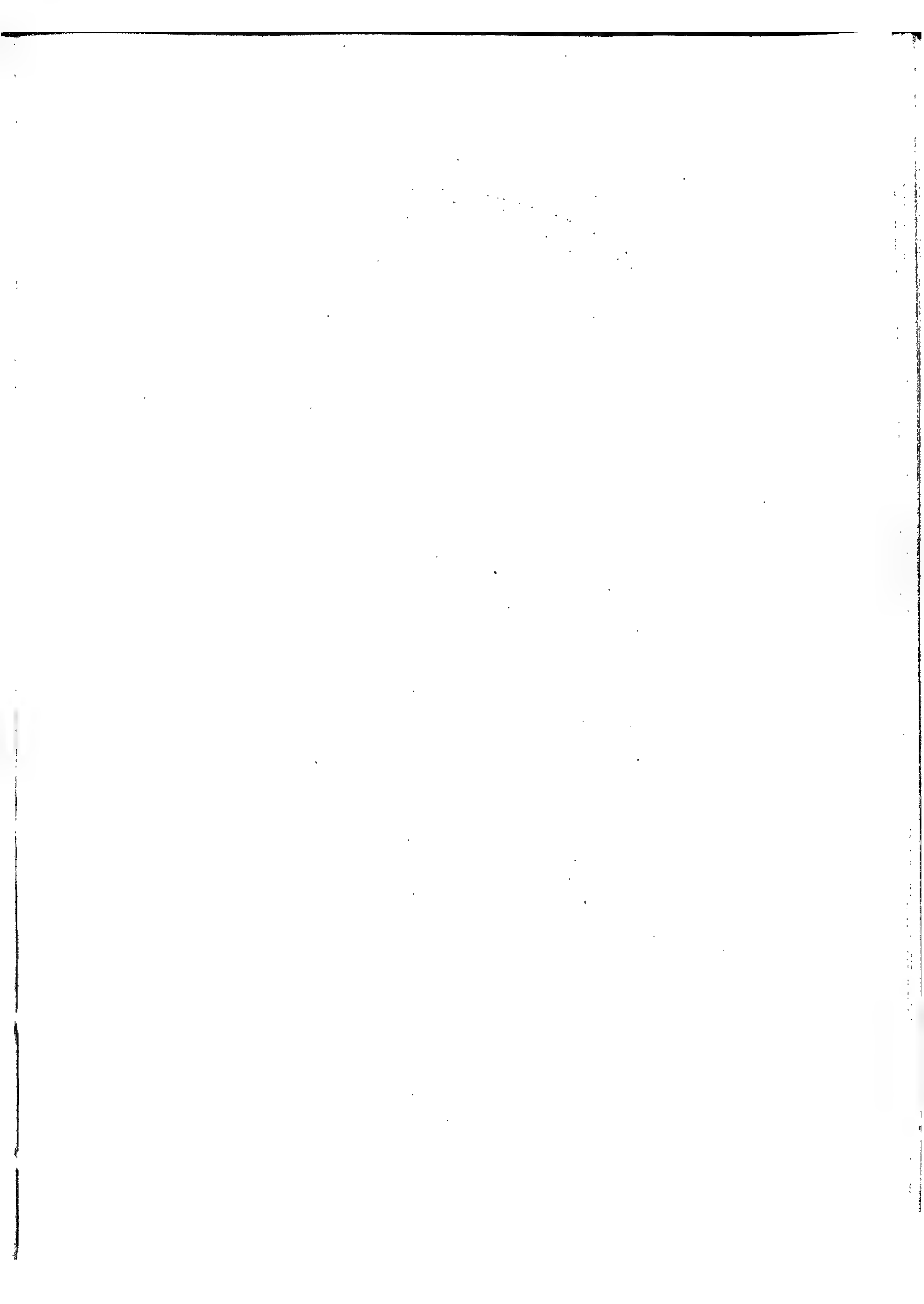


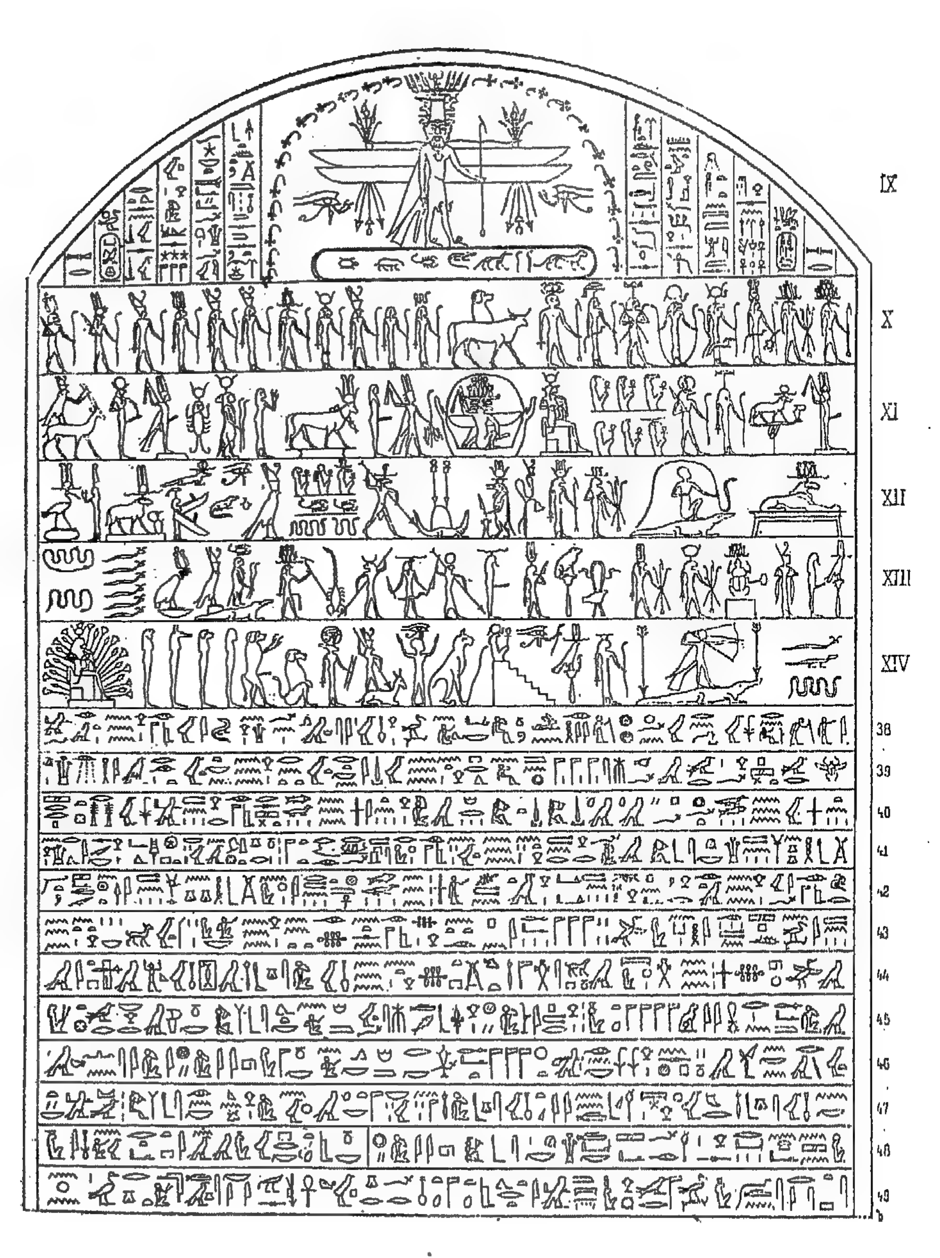


تابوت نقطانب الثاني (انظر صفحة ٢٨٥)

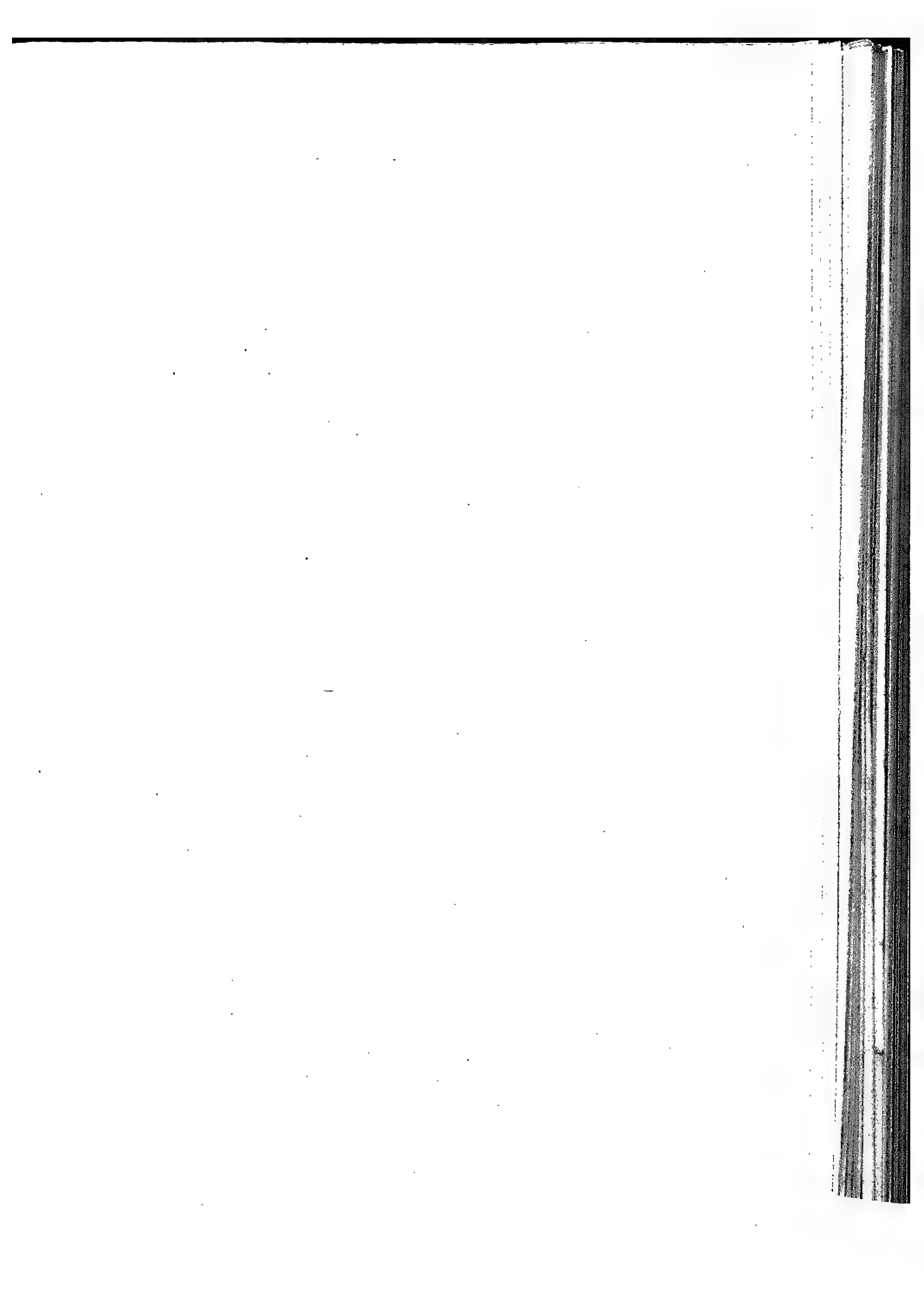


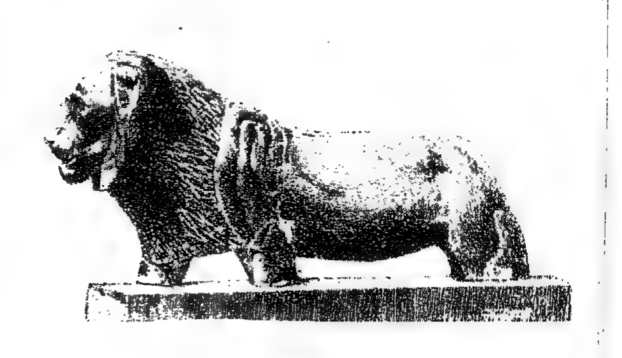
لوحة مترنين من الأمام
(انظر صفحة ٣٩٢)



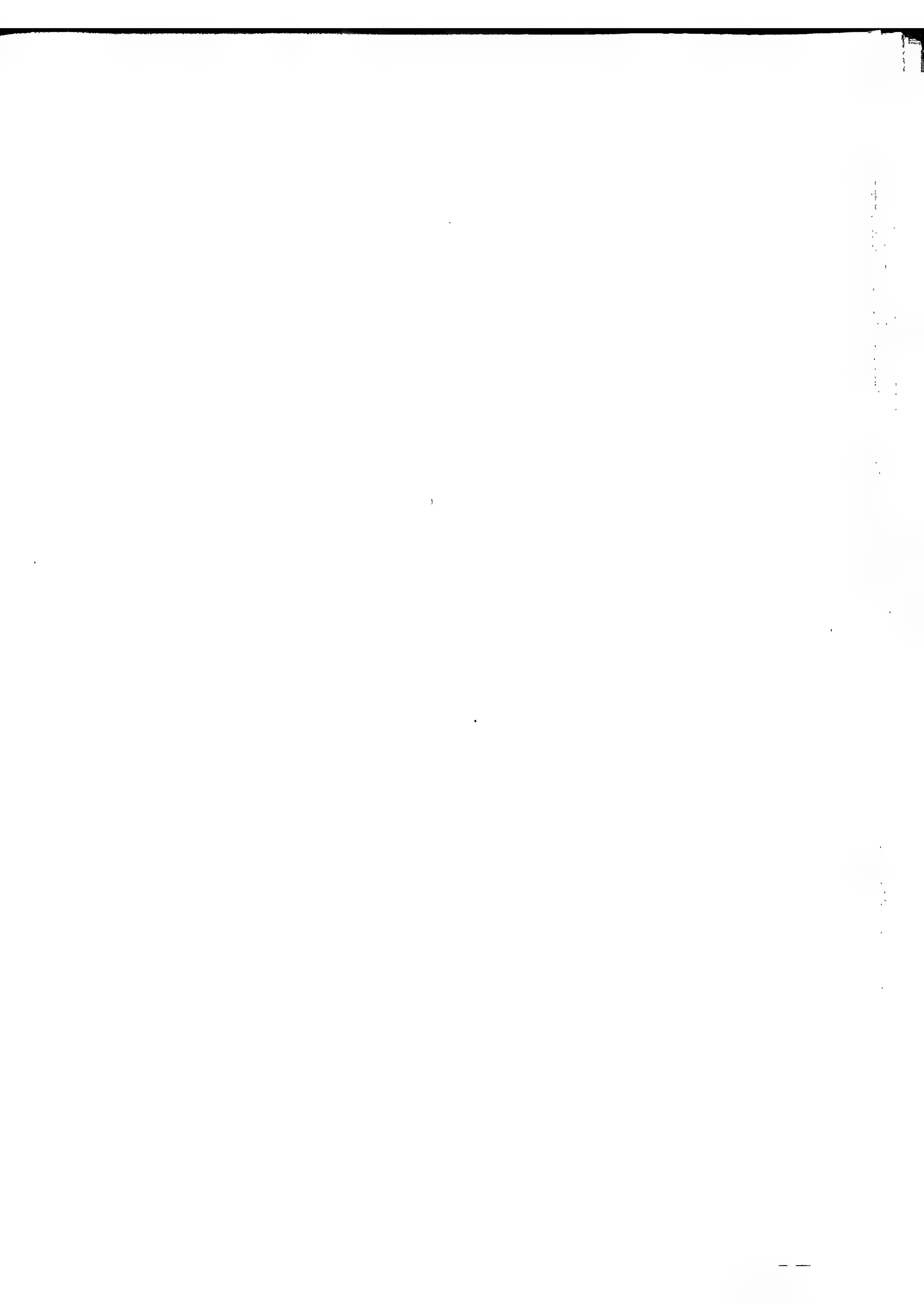


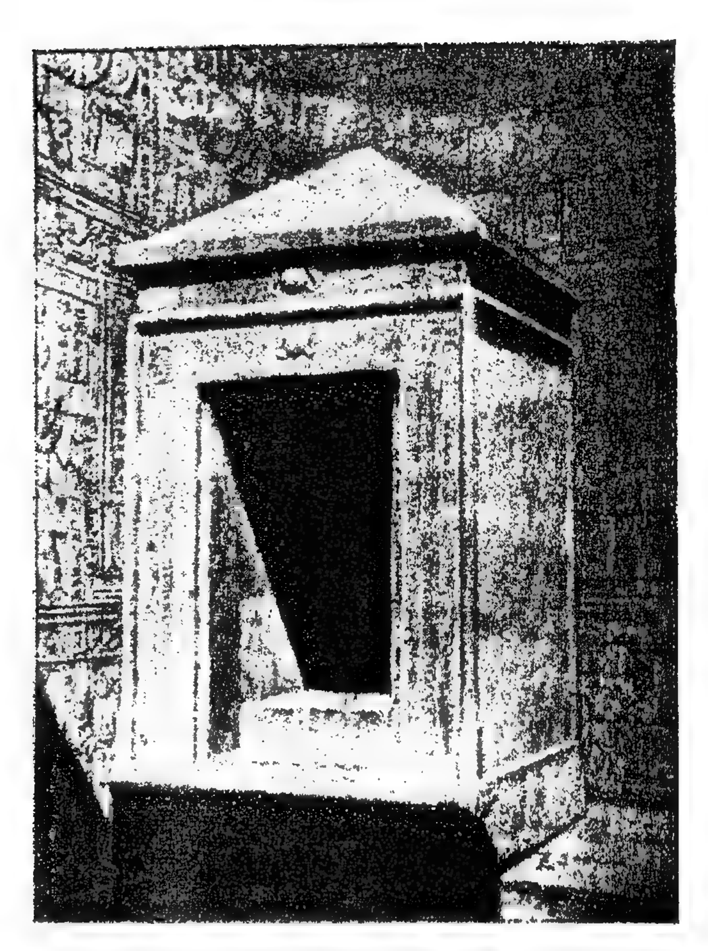
لوحة مترنين (من الخلف) (انظر صفحة ٣٩٨)



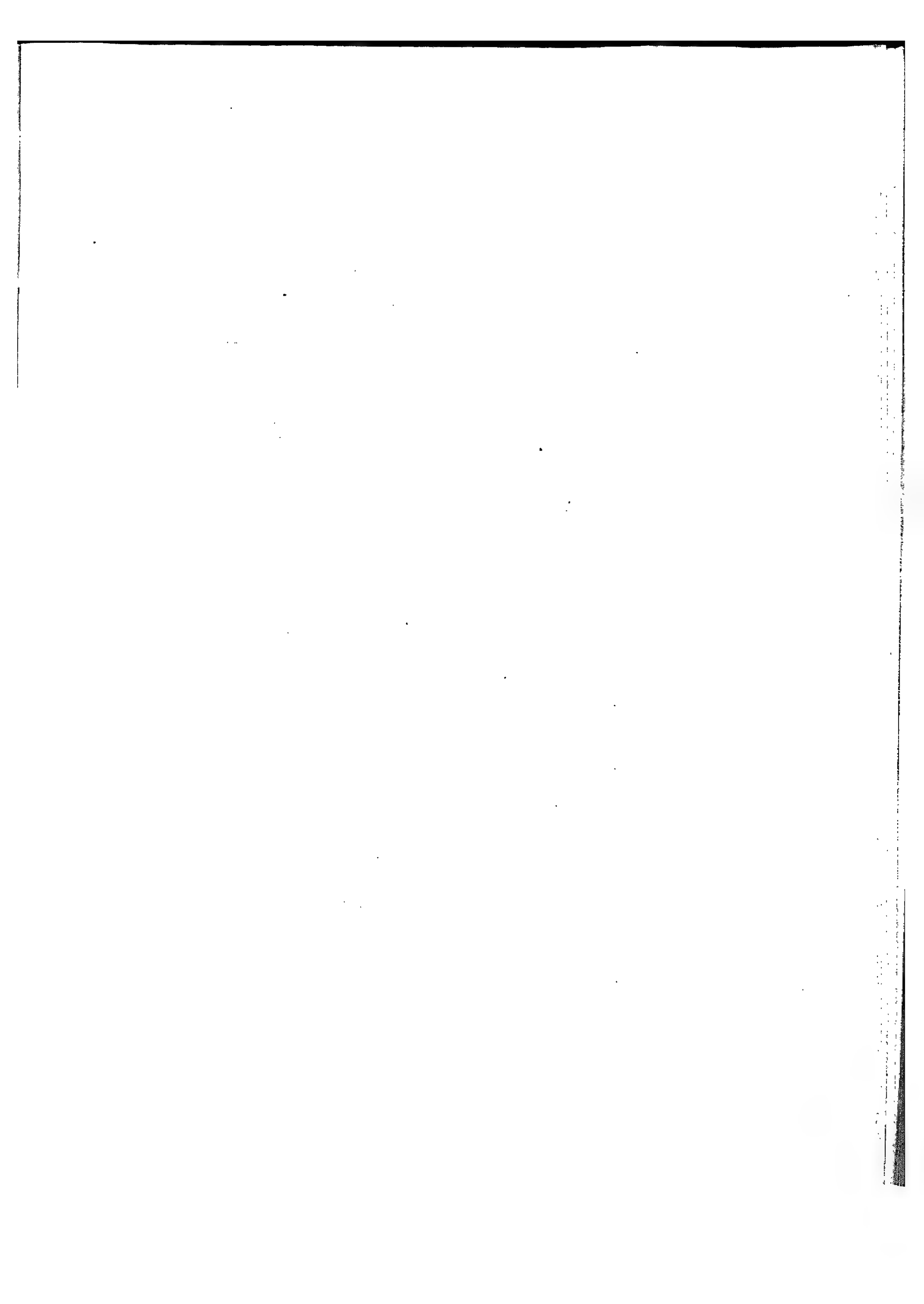


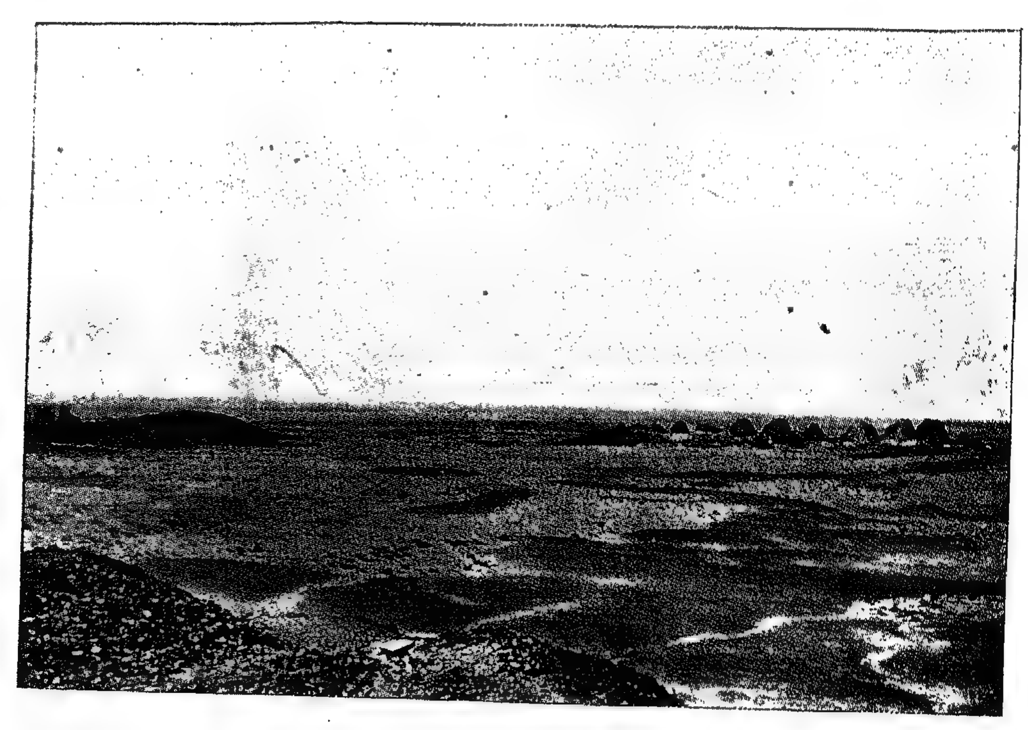
أسد الفتيكان
(انظر صفحة ٤٤١)



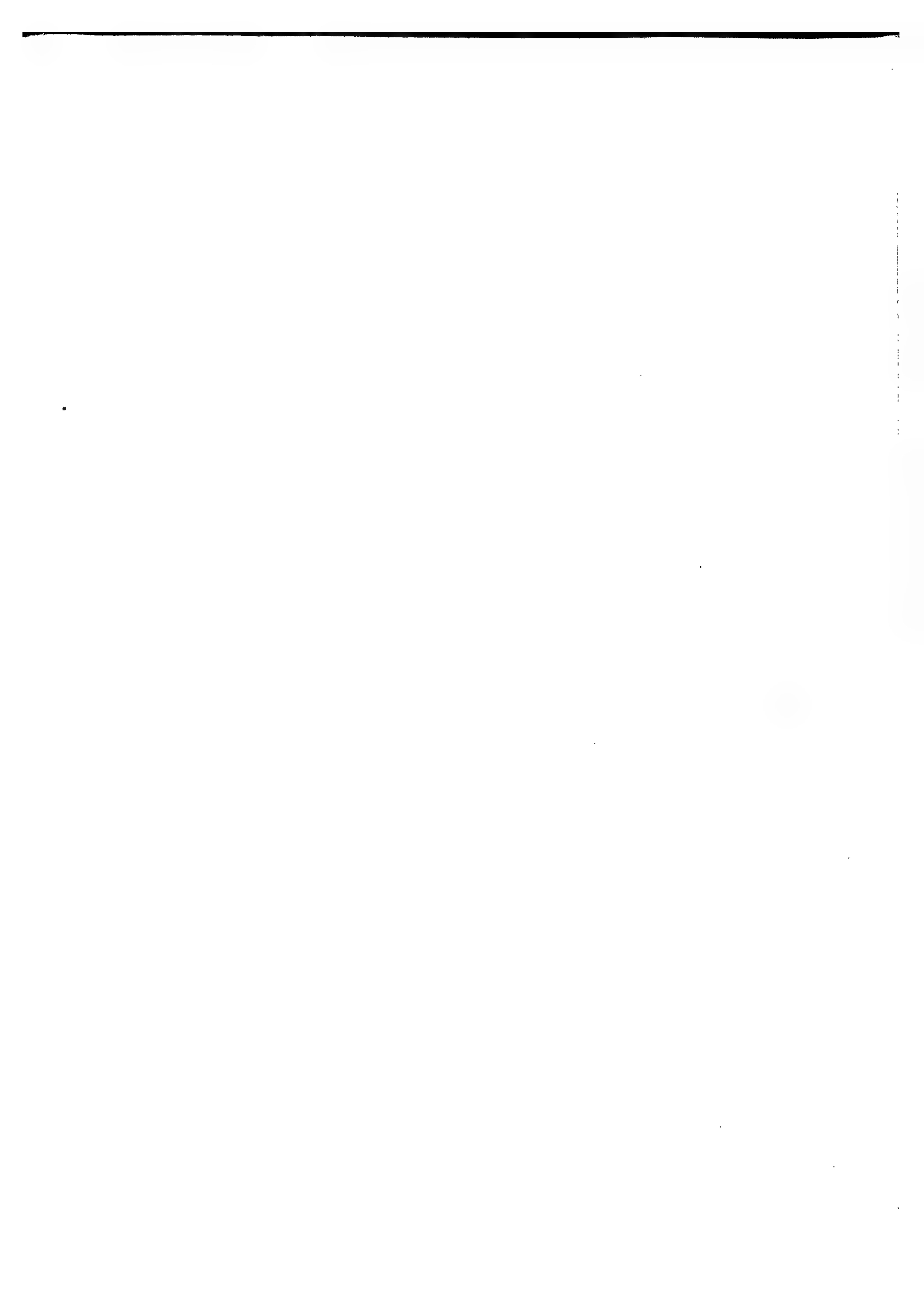


ناووس نقطانب الثانى فى ادفو (انظر صفحة ٤٦٤)



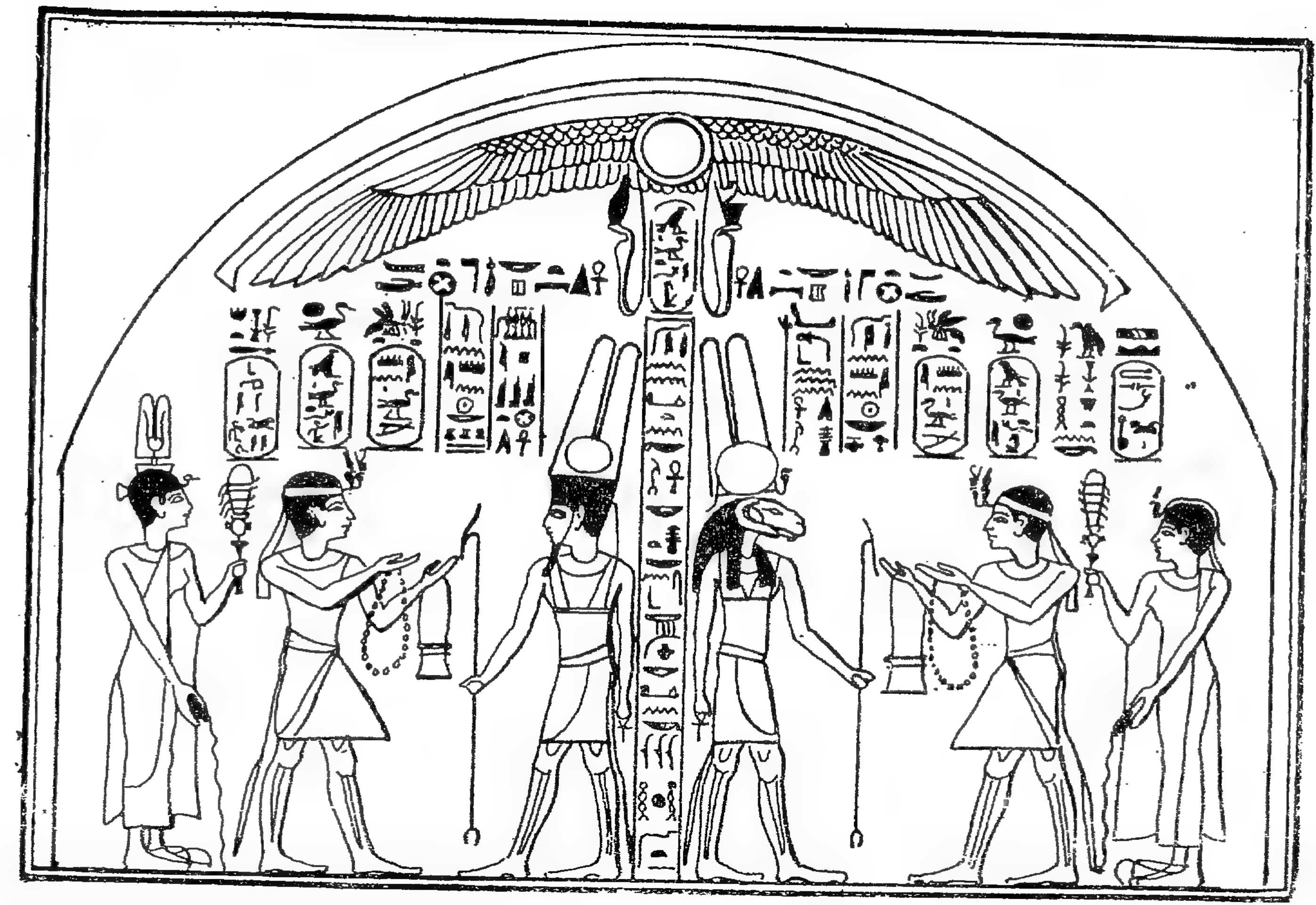


جبانتا مرو الجنوبية والشمالية مع الجبانة الغربية
(انظر صفحة ٤٩٩ وما بعدها)



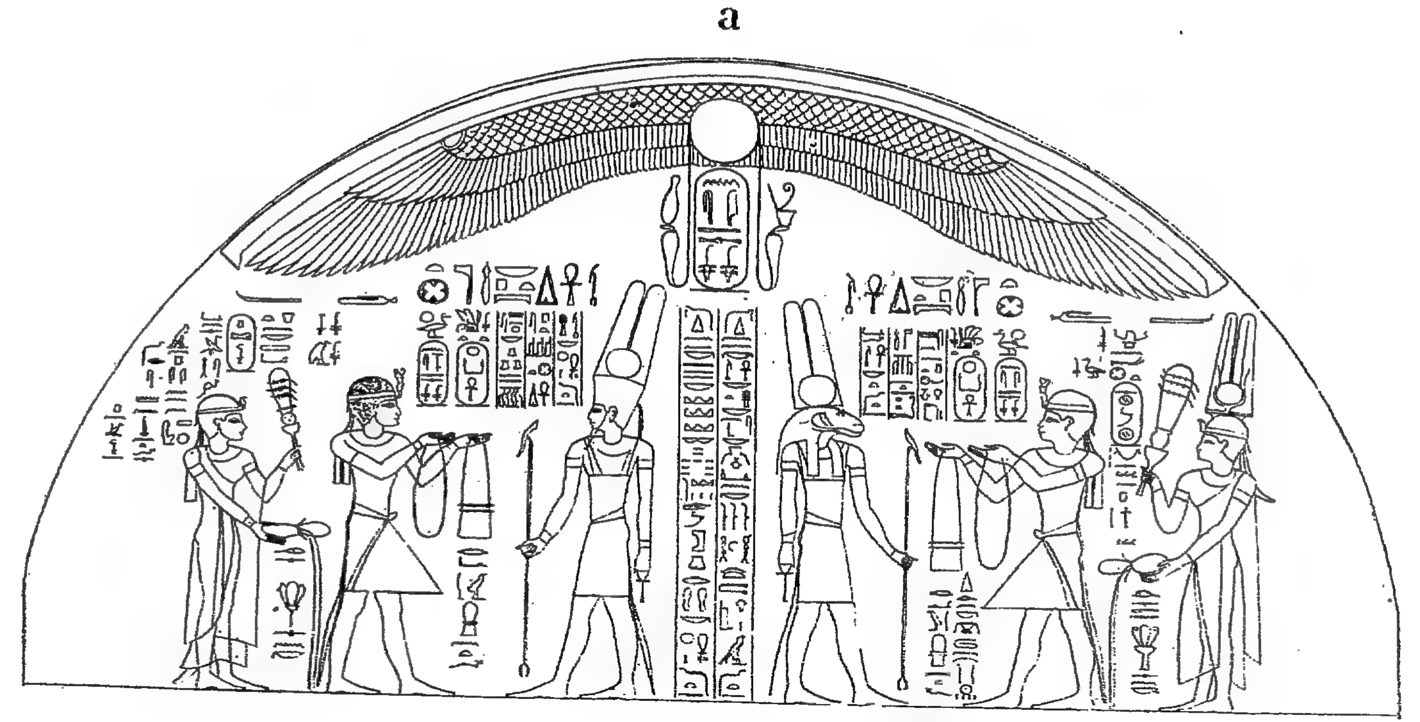


اهرام نورى وما بعدها (انظر صفحة ٥٠٣)

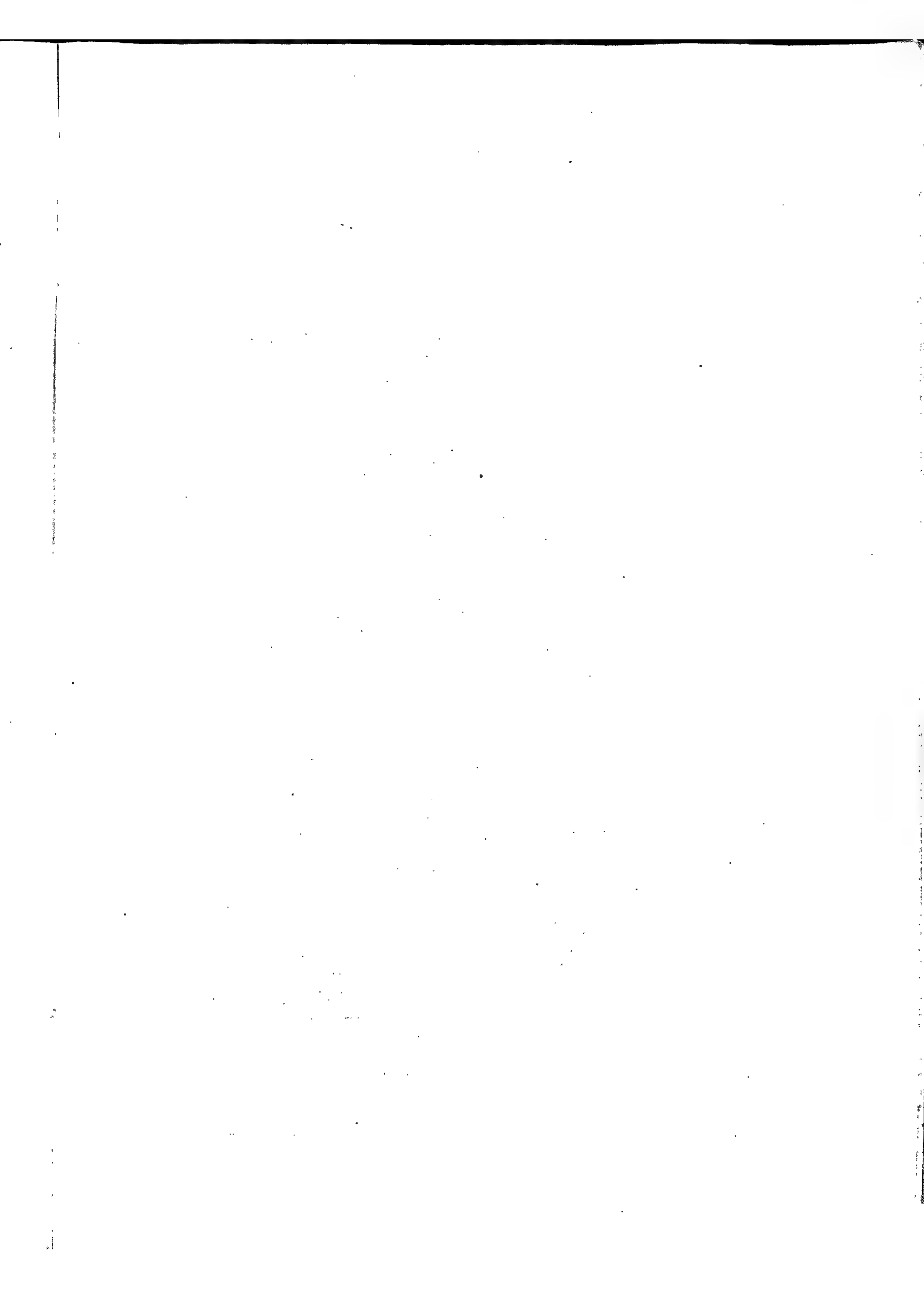


لوحة الملك حرسيوتف (انظر صفحة ٥٢٥)

a

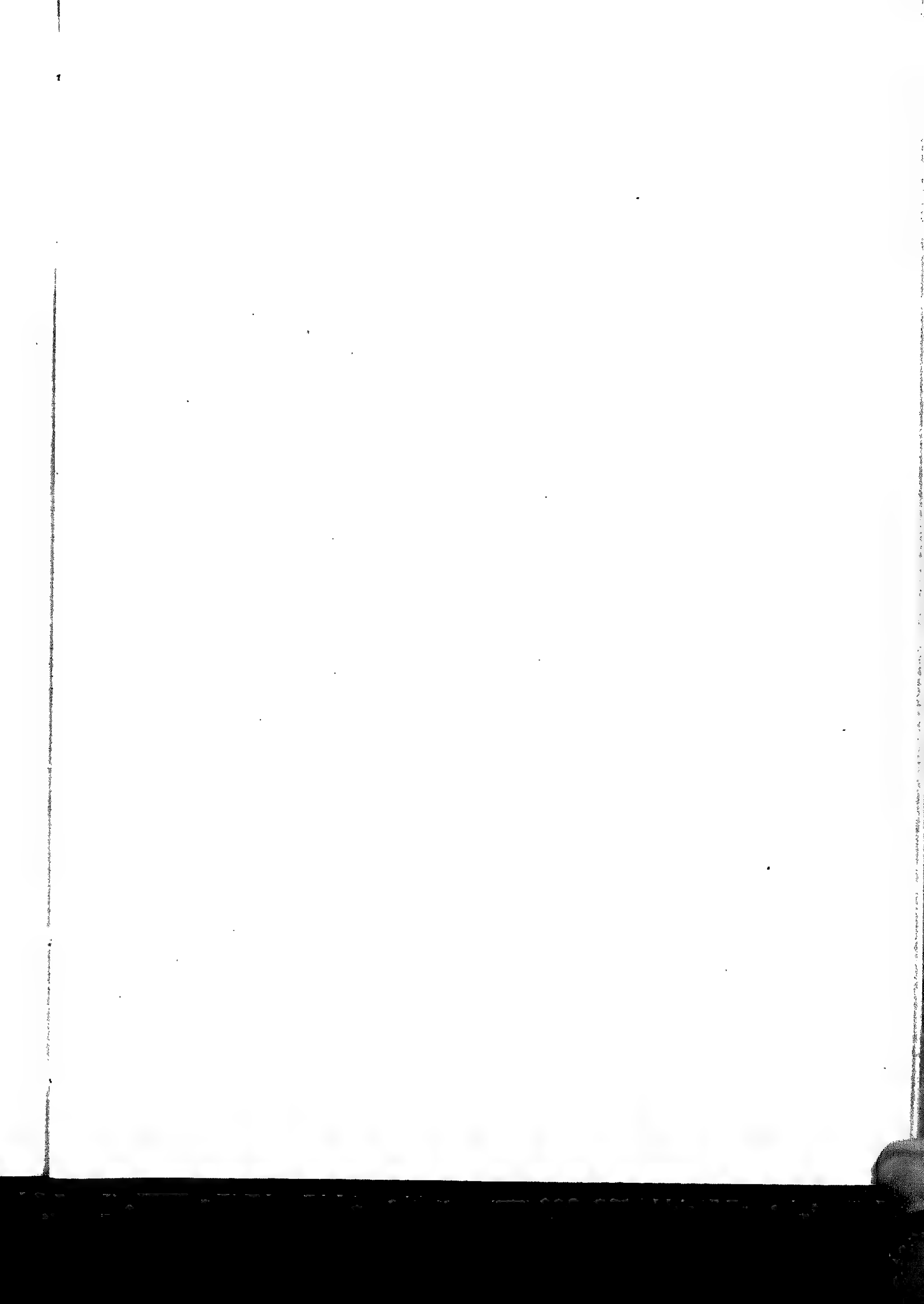


لوحة الملك نستاسن (انظر صفحة ٥٥٤)



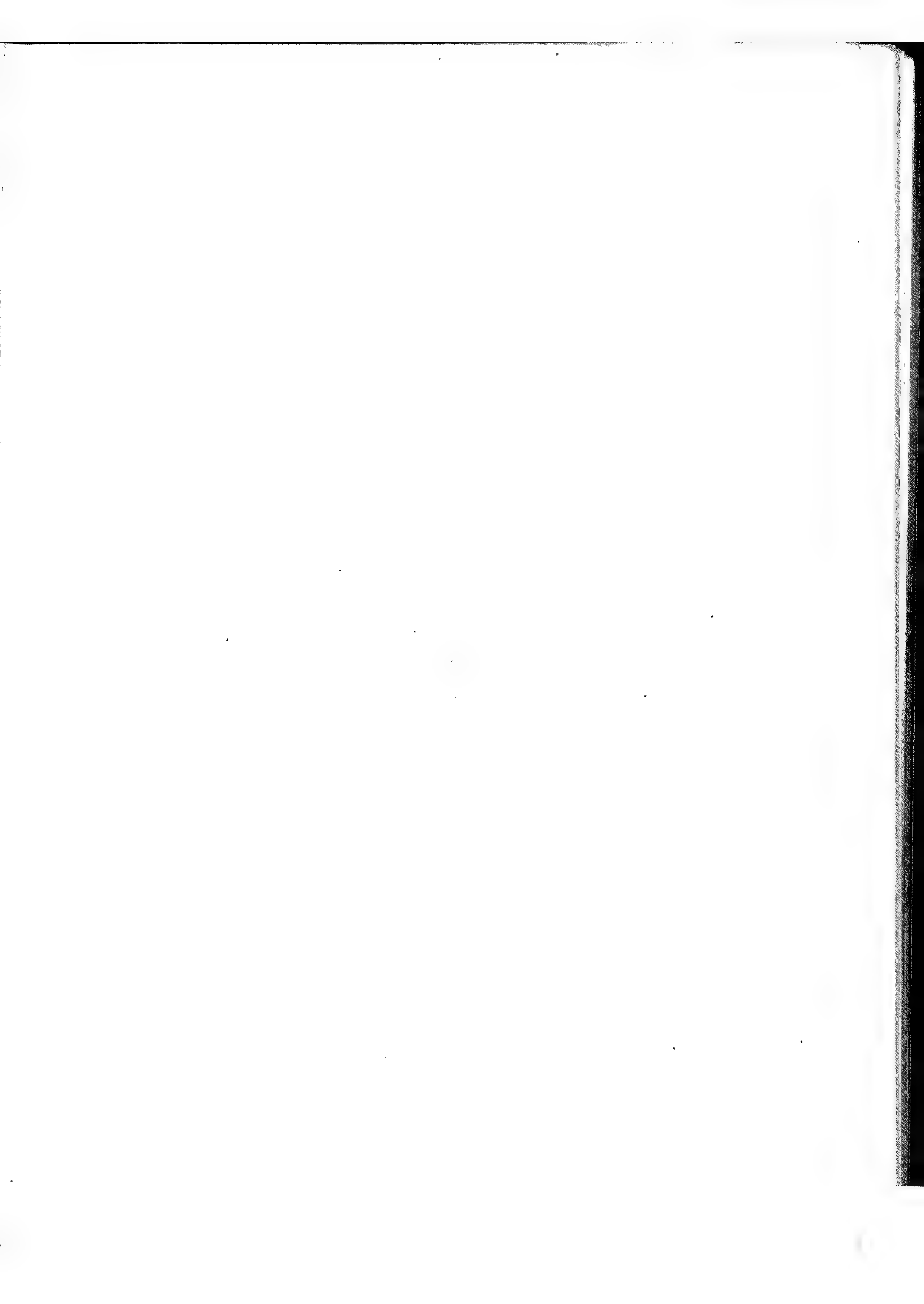


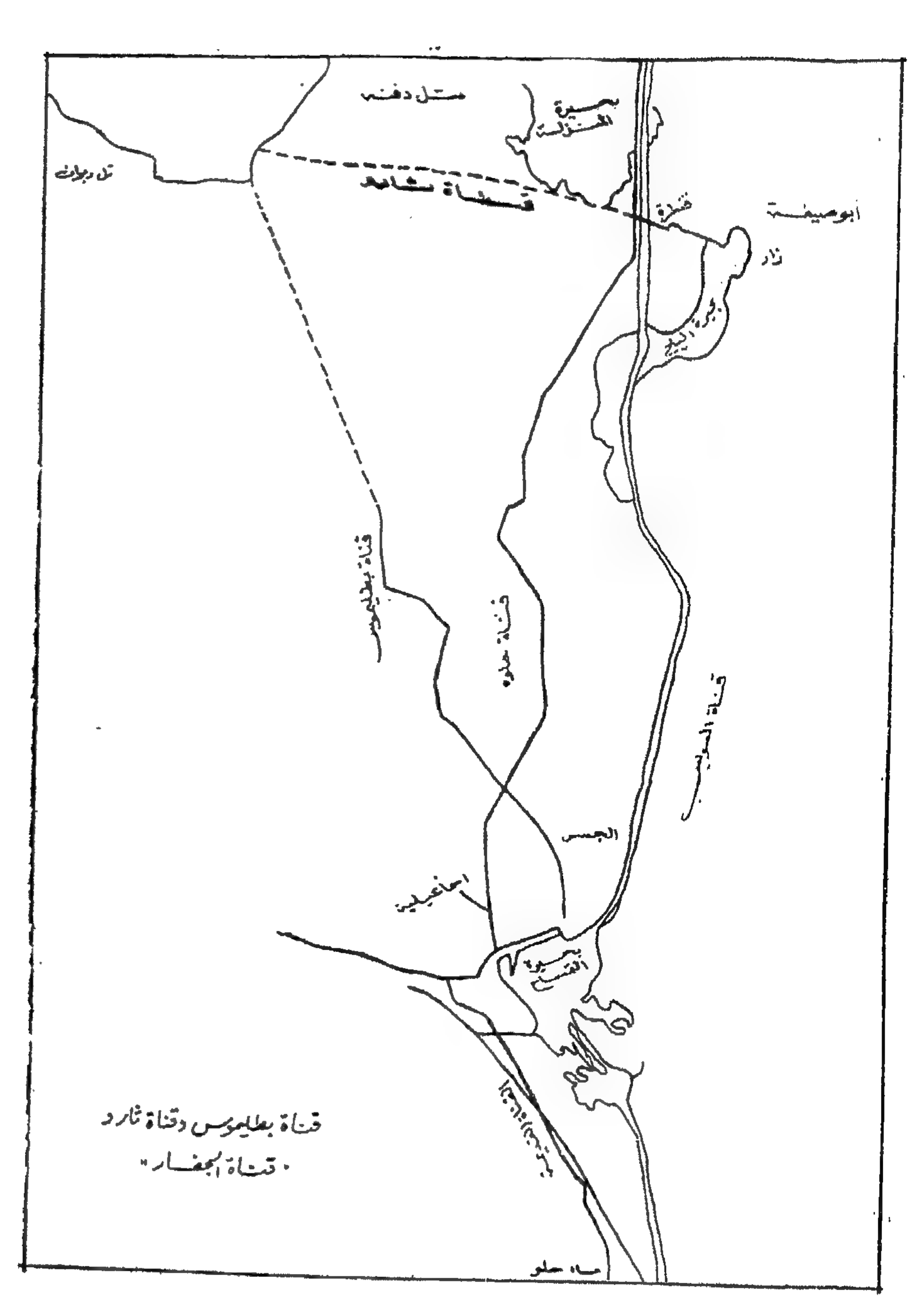
الملك كورش العظيم
(انظر صفحة ٥٨٤ و ٦٢٨)



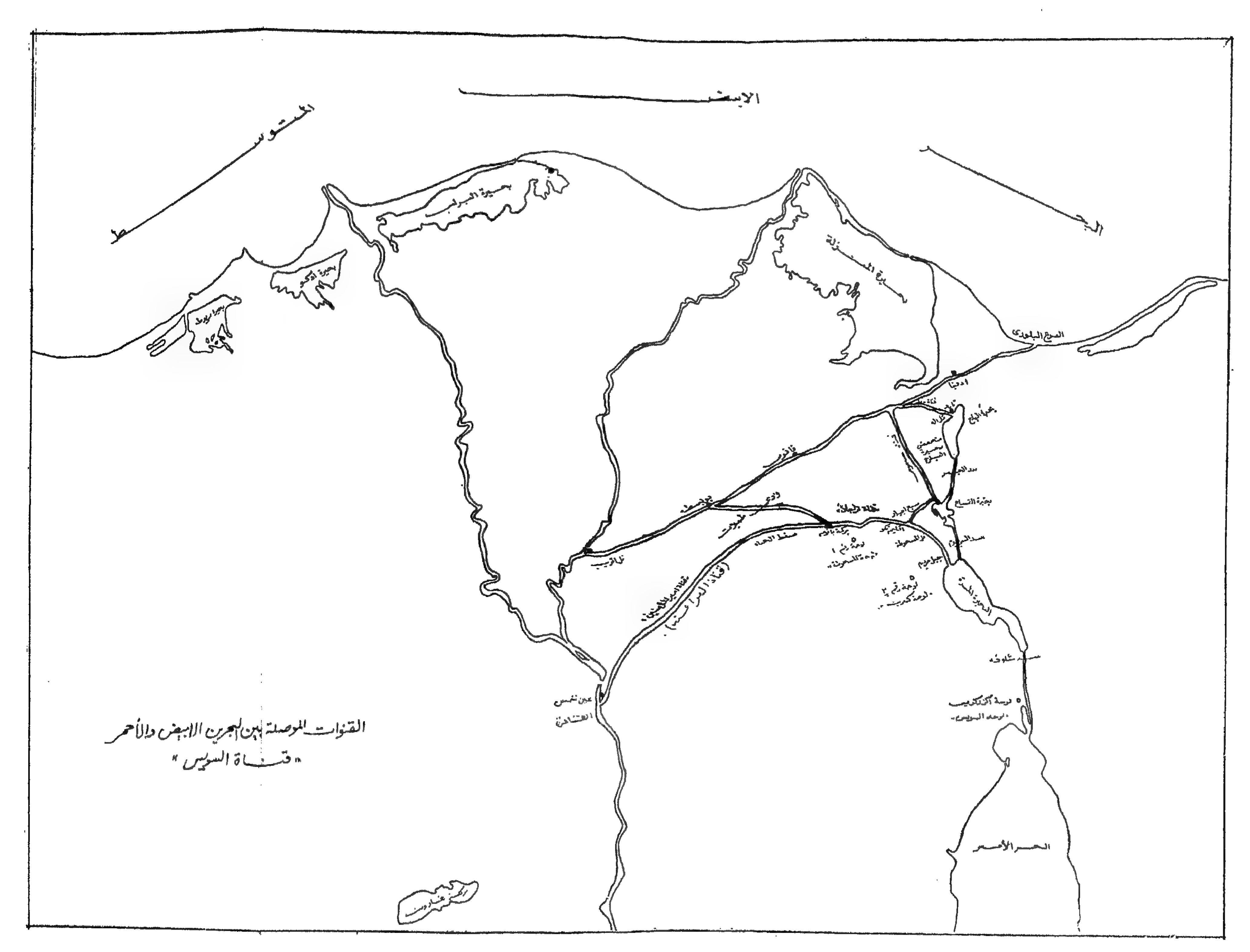


الملك دارا الأول
(انظر صفحة ٥٨٩)





أنظر صفحة ٦٩٦ وما بعدها



انظر صفحة ٦٩٦ وما بعدها

فهرس الموضوعات

تاريخ مصر من العهد الفارسى إلى دخول الاسكندر الأكبر

صفحة

صفحة

---

(١) تصحح بدلا من التوازنى فى ص ٦١٢

فهرس الاشكال

فهرس

أسماء الأعلام والبلدان والآلهة

(ب)

(ت)

(ر)

ملحوظة : كتبت بعض اسماء الأعلام بهجائين مختلفين ، كما ورد تصحيح فى هذا الفهرس لبعض اسماء الأعلام التى طبعت خطا فى صلب متن الكتاب .

المصادر الأفرنجية

١ — مختصر أهم أسماء الدوريات الأفرنجية المستعملة فى هذا الجزء :

A. F. O. = Archiv fur Orientforschung. Berlin.

A. J. S. L. = The American Journal of Semitic Language and Literatures, Chicago and New York.

Ancient Egypt. London.

A. R. = Archeaological Report. Egypt Exploration Fund.

A. S. = Annales du Service des Antiquités de l'Egypte. Caire.

A. S. N. = Survey Department, Archaeological Survey of Nubia. Cairo.

A. Z. = Zietschrift fur Agyptische Sprache und Altertumskunde, Leipzig.

B. B. M. F. A. = Bulletin of the Museum of Fine Arts, Boston.

B. C. H. = Bulletin de Correspondence Hellénique, Paris.

B. I. F. A. O. = Bulletin de l'Institut Français d'Archéologie Orientale, Le Caire.

Chronique d'Egypte, Brüssel.

E. E. M. M. = The Bulletin of the Egyptian Expedition Metropolitan Museum of Art New York.

J. A. = Journal Asiatique.

J. E. A. = Journal of Egyptian Archaeology. London.

J. H. S. = Journal of Hellenic Studies. London.

Kemi, Revue de Philologie et d'Archéologie. Egyptienne et Copte, Paris.

L. A. A. A. = Annals of Archaeology and Anthropology issued by the, Institute of Archaeology. University of Liverpool, Liverpool.

Mem. Inst. Fr. = Mémoires publiés par les membres de l'Institut Français d'Archéologie Orientale du Caire.

Mém. Miss Fr. = Mémoires publiés par les Membres de la Mission Française au Caire, Paris.

Mitt. D. Inst. = Mittelungen des Deutschen Instituts fur ägyptische Altertumskunde in Kairo, Berlin.

N. G. A. W. = Nachrichten des Göttinger Akademie des Wissensch.

N. G. G. W. = Nachrichten der Ges. der Wissensch. zu Gottingen.

O. L. Z. = Orientalistische Literaturzeitung, 1898 ff.

P. S. B. A. = Proceedings of the Society of Biblical Archaeology London.

Rec. Trav. = Recueil de Travaux relatifs à la Philologie et à l'Archéologie Egyptienne et Assyrienne, Paris.

Rev. Archéol. = Revue Archéologique.

Rev. Eg. = Revue Egyptologique, Paris.

Rev. Eg. Anc. = Revue de l'Egypte Ancienne. Paris.

Sphinx. Revue Critique Embrassant le Domaine Entier de l'Egyptologie. Upsala.

Sudan Notes and Secords, Khartoum.

T. S. B. A. = Transactions of the Society of Biblical Archaeology, London.

W. O. = Die Welt des Orients. Wissenschaftliche Beiträge zur Kunde des Morgenlandes. Wuppertal.

Z. A. = Zeitschrift fu Assyriologie und verwandte Gebiete.

Z. D. M. G. = Zietschrift der Deutschen Morgenlandischen Gessellschaft. Leipzig.

٢ — المراجع الأفرنجية :

Amelineau. Nouvelles Fouilles.

Avedief, Y., The Origin and Development of Trade and Cultural Relations of Ancient Egypt with Neighbouring Countries (Papers presented by the Soviet Delegation at the 23rd International Congress of Orientalism. 1954).

Borchardt, L., Die Mittel Zur Zeitlichen Festlegung von Punkten der agyptischen Geschichte, Kairo. 1935.

Boreaux, Antiquités Egyptiennes, Guide Catalogue Sommaire.

Bourdon, Anciens Canaux. Anciens Sites et Ports de Suez.

Breasted J. H., Ancient Records of Egypt.

British Museum, A Guide to the Egyptian Galleries. Sculptures. etc.. 1909.

British Museum, Hiereglyphic Texts from Egyptian Stelae. 1911.

Brugsch, H. K., Thesaures Inscript. Aegy. Altaegvpt. Inschrift.

Brugsch, H. K., Gesch. Aegypt.

Budge, E. A. W., Book of Kings.

Budge. Annals of Nubian Kings.

Busolt, G., Griechische Geschichte bis Kur Schlacht bei Chaeroneia.

Buttles, Miss, The Queens of Egypt.

Cambridge Ancient History.

Campell, The Sarcophagus of Pabasa.

Catalogue Général du Musée du Caire, 1901.

Champollion, F., Monuments de l'Egypte et de la Nubie. Paris.

Champollion, F., Notices Descriptives. Paris. 1844.

De Laporte, Le Proche Orient.

Diodorus Siculus, Loeb. Ed.

Dunham, Royal Cemeteries of Kush Volume II. Nuri

Evans, A., The Palace of Minos at Knossoss, London, 1921.

Gauthier, H., Le Livre des Rois d'Egypte. Le Caire, 1907 f. IV.

Gauthier, H., Dictionnaire des Noms Géographiques contenus dans les Textes Hieroglyphiques. Le Caire. 1925 ff., 1-VII.

Griffith, E. L.I., Catalogue of the Demotic Pabyri in the Rylands Library at Manchester, I-III, Manchester, 1909.

Hall, H. R., The Anciens History of the Near East, London, 1913.

Herodotus. Book I-V.

Hieratiche Papyrus aus den Koniglichen Mussen zu Berlin, Leipzig, 1911.

Kees, H., Handbuch der Altertumswissenschaften.

Kienitz, F. K., Die politische eGschichte Agyptens vom. 7. bis zum 4 Jahrhundert vor der Zeitwende.

Lepsius, C. R., Denkmaler aus Aegypten und Aethiopien. Berlin, 1894.

Luckenbill D. D., Ancient Records of Assyria and Babylnia, I-II.

Marriette. Monuments Divers Recueillis en Egypte et en Nubie, Paris, 1889.

Marriette, Le Serapeum de Memphis. Paris, 1857.

Maspero, G., Guide du Visiteur au Musée du Caire, 1015.

Meyer E., Geschichte des Altertums.

Meyer E., Forschungen zur alten Geschichte. III.

Meyer E., Kleine Schriften, I-II.

Meyer, E., Der Papyrusfund von Elephantine. Leipzig. 1192.

Moret, A., Histoire de l'Orient.

Muller, C., Fragmenta Historicorum Graecorum.

Newberry, P. E., Egyptian Antiquities, Scarabs, 1906.

Otto, M. W., Priester und Tempel im hellenitischen Agypten, I-II.

Pauly-Wissowa, Real-Encyklopädie der klassischen Altertumswissenschaft.

Petrie, W. M. F., Ihnasya.

Petrie, W. M. F., A History of Egypt, London.

Petrie, W. M. P., Kahun.

Petrie, W. M. P., Memphis.

Petrie, W. M. P., Naukratis.

Porter, B. and Moss, R., Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Inscriptions, Texts, Reliefs and Paintings, I-VI.

Posner, G., La Première Domination Perse en Egypte. Recueil d'Inscriptions Hiéroglyphiques, Kairo 1936.

Reisner, G.A., The Archaeological Survey of Nubia, Report for 1907, 1908.

Rosellini, I., Monumenti dell. Egitto e della Nubie, 1832-1844.

Scharff, A., Handbuch der Altertumswissenschaften, herausgeg. von W. Otto 6, Abteilung. I. Textband. Handbuch der Archäologie. S. 433—642 A. Scharff, Agypten.

Schrader, E., Keilinschriftliche Bibliothek. I-VI.

Spiegelberg, W., Die sog. Demotiche Chronik des Pap. 215 der Bibliothepue Nationale zu Paris nebst den auf der Ruckseite des Papyrus stehenden Texten, herausgeg. und erklärt von W. Spiegelberg, Leipzig. 1914.

Steindorff, G., Urkunden des Agyptischen Altertums. hefausgeg Leipzig. d. G.R., Leipzig, 1880.

Wiedemann, A., Agyptische Geschichte. Gotha, 1884. Supplement hierzu, 1888.

Wiedemann, A., Herodots zweites Buch mit sachlichen Erlauterungen, 1890.

Wiedemann, A., Geschichte Agyptens von Psammetich I. bis auf Alexander

كتب للمؤلف

بالعربية :

(١) مصر القديمة : الجزء الأول فى عصر ما قبل التاريخ الى نهاية العهد الاهناسى .

(٢) مصر القديمة : الجزء الثانى فى مدنية مصر وثقافتها فى الدولة القديمة والعهد الاهناسى .

(٣) مصر القديمة : الجزء الثالث فى العصر الذهبى فى تاريخ الدولة الوسطى ومدنيتها وعلاقتها بالسودان والأقطار الآسيوية ولوبيا .

(٤) مصر القديمة : الجزء الرابع فى عهد الهكسوس وتأسيس الامبراطورية .

(٥) مصر القديمة : الجزء الخامس فى السيادة العالمية والتوحيد ويبحث فى علاقات مصر مع ممالك آسيا وسيادة مصر عليها وأول عقيدة التوحيد بالله .

(٦) مصر القديمة : الجزء السادس فى عصر رعمسيس الثانى وقيام الامبراطورية الثانية .

(٧) مصر القديمة : الجزء السابع فى عصر مرنبتاح ورعمسيس الثالث .

(٨) مصر القديمة : الجزء الثامن فى نهاية عصر الرعاسمة وقيام دولة الكهنة فى طيبة فى عهد الأسرة الواحدة والعشرين .

(٩) مصر القديمة : الجزء التاسع فى نهاية الأسرة الواحدة والعشرين وحكم دولة اللوبيين لمصر حتى بداية العهد الأثيوبى ولمحة فى تاريخ العبرانيين .

(١٠) مصر القديمة : الجزء العاشر فى تاريخ السودان المقارن الى أوائل عهد بيعنخى .

(١١) مصر القديمة : الجزء الحادى عشر تاريخ مصر والسودان من أول عهد بيعنخى الى نهاية الأسرة الخامسة والعشرين ولمحة فى تاريخ آشور .

(١٢) مصر القديمة : الجزء الثانى عشر فى عصر النهضة المصرية ولمحة فى تاريخ لاغريق .

(١٣) مصر القديمة : من عهد الفرس الى دخول الاسكندر الأكبر ولمحة فى تاريخ السودان فى ذلك العهد ونبذة فى تاريخ الفرس وقناة السويس قديما

(١٤) جغرافية مصر القديمة : (محلاة باحدى واربعين خريطة) .

(١٥) الأدب المصرى القديم أو ادب الفراعنة : الجزء الأول فى القصص والحكم والتأملات والرسائل .

(١٦) الأدب المصرى القديم أو ادب الفراعنة : الجزء الثانى فى الدراما والشعر وفنونه .

بالفرنسية :

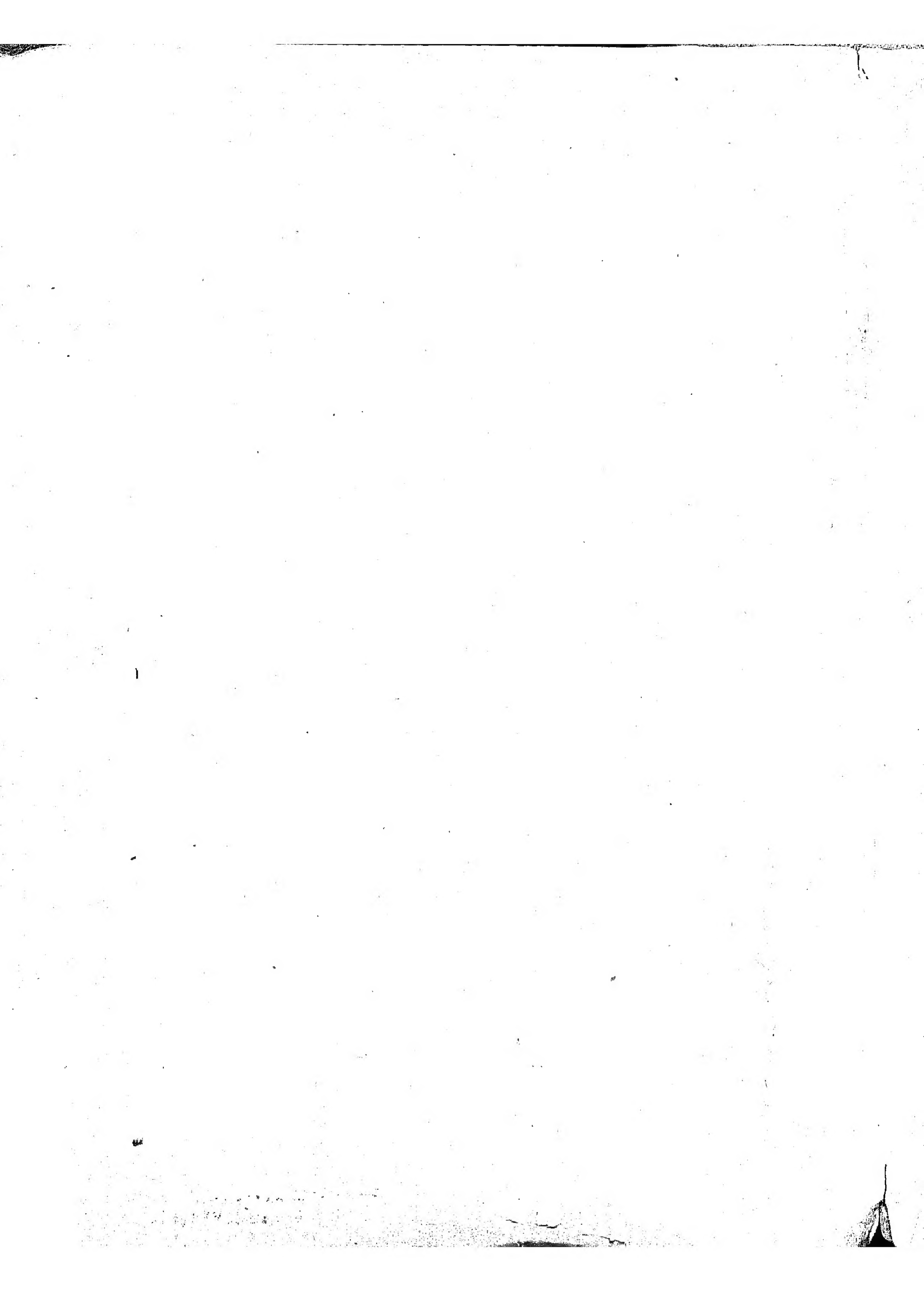
1. Hymnes Religieux du Moyen Empire : 199 pages, (1923, Le Caire).
2. Le Poème dit le Pantaour et le Rapport Officiel sur la bataille de Qadesh, 162 plates. Université Egyptienne. Faculté des Lettres, (1929, Le Caire).
3. Le Sphinx à la Lumière des Fouilles Récentes.

بالانجليزية :

1. « **Excavations at Giza** », Vol. I, 1929-1930); 119 pages, 81 Plates, 187 Illustrations in the Text Plan (Oxford 1932).
2. » » » Vol. II. (1930-1931); 225 pages, 83 Plates, 251 Illustrations in the Text 2 Plans (Cairo 1936).
3. » » » Vol. III, 1931-1932); 229 pages, 71 Plates, 227 Illustrations in the Text, 2 Plants, (Cairo, 1941).
4. » » » Vol. IV, (1932-1933); 218 pages, 62 Plates, 159 Illustrations in the Text, 3 Plans, (Fourth Pyramid), (Cairo 1943).
5. » » » Vol. V, (1933-1934), 325 Pages, 79 Plates, (3 coloured), 169 Illustrations in the Text, 2 Plans, (Cairo, 1944).
6. » » » Vol. VI. Part I. « The Solar Boats », (1934-1935), (Cairo, 1947).
7. » » » Vol. VI, Part II, «The Offering-List in the Old Kingdom», 504 pages, 174 Plates, and numerous illustrations in the Text, (Cairo 1948).
8. » » » Vol. VI, Part III, a Description of the Mastabas and their Contents (1936-1939).
9. » » » Vol. VII, (1935-1936).
10. » » » Vol. VIII, « The Great Sphinx and its Secrets » (1936-1937), (Cairo, 1954).
11. » » » Vol. IX, (In Print).
12. » » » Vol. X, (In Print).
13. » » Saqqara; Vol. I. (In Print).
14. » » » Vol. II, (In Print).
15. » » » Vol. III, (In Print).
16. « The Sphinx. Its History in the light of Recent Excavations. »




BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية



مطابع دار الكتاب العربي بمصر
مؤسسة مصرية للطباعة الحديثة

